صفوة البيان لمعاني القران

تفسير القُران الكريم

لفضيلة الاستاذ

الشيخ حسنين محمد مخلوف

اعداد وتنسيق الدكتور

هشام محمد طاهر الحربي

اعداد وتنسيق الدكتور هشام محمد طاهر الحربي

صفوة البيان لمعاني القران

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

تقديم

{الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)} [الرحمن]

فلهُ الحمد على جليل نعمه، وله الشكر على وفير منته، والصلاة والسلام على أشرف خلقه، وصفوة أنبيائه ورسله، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه.

أما بعد، فقد قال الله تبارك وتعالى:

{ .. وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (89)} [النحل].

ذلك هو القرآن الكريم، الذي قال فيه ربُنا جلَّ شَأنُه: { .. قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16)} [المائدة].

وأمرنا الله باتباع هديه والتمسّك بأحكامه، وفي ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {أَبْشِرُوا فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ فإنكم لن تَهْلِكوا ولن تضلوا بَعْدَهُ أَبَدًا} [رواه الطبراني عن جبير – رضي الله عنه –].

ومن نعم الله تبارك وتعالى أن جعل لنا في تلاوة القرآن الكريم حق التلاوة، مع العمل به واتباع أحكامه، المثوبة والجزاء الأوفى. وجاءت البشرى بتلك المثوبة الإلهية في الأحاديث النبوية الشريفة، ومنها عن أنسٍ – رضي الله عنه – (مرفوعًا): {مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يُحِلُّ حَلَالَهُ وَيُحَرِّمُ حَرَامَهُ، حَرَّمَ اللَّهُ لَحْمَهُ وَدَمَهُ عَلَى النَّارِ، وَجَعَلَهُ مع السَّفَرَةِ، الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كَانَ الْقُرْآنُ حُجَّةً له} [أخرجه الطبراني في الصغير].

وعن علي – رضي الله عنه – (مرفوعا): {الْبَيْتُ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ يَتَرَائَى لِأَهْلِ السَّمَاءِ، كَمَا تَتَرَائَى النُّجُومُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ} ضعيف لا يصح [البيهقي: شعب الايمان].

وعن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، تلقى الصحابة رضوان الله عليهم كيفية تلاوة القرآن الكريم، وعنهم تلقى السلف الصالح ذلك، فكانت قراءتهم هي ترتيل وتدبر، واتعاظ وتذكر، وأدب وخشوع، ورهبة وخضوع، ورغبة ورجاء، وخشية وبكاء، لعظيم معرفتهم بالله، وفهمهم لكتابه، وتدبرهم لآياته، وتفكرهم في حكمه وأسراره.

اعداد وتنسيق الدكتور هشام محمد طاهر الحربي

قال تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (29)} [ص].

ومنْ نِعَم الله تعالى على أهل هذا الزمان، تيسير طباعة القرآن الكريم ونشره. فأصبح المصحف الشريف في متناول الملايين من المسلمين. كما اتسع مجال إذاعة القرآن الكريم بأصوات القراء، فدخل إلى كل بيت من بيوت للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، صوت قراء القرآن الكريم علن موجات الأثير بالترتيل والتجويد لآي الذكر الحكيم. وفي السنوات الأخيرة مع تقدم العلم والاختراع وانتشار الأجهزة العلمية، أصبحت تسجيلات القرآن الكريم المسموعة والمرئية في متناول كثير من الناس، ويستمع إليها في البيوت والأماكن الخاصة والعامة.

مثل هذا التطور والاتساع في انتشار المصاحف الشريفة، وإذاعة القرآن الكريم، لا بد وأن يواكب جهد متزايد في مجال تيسير فهم معاني القرآن الكريم لجمهور الناس وعامتهم فضلاً عن كثير من الخاصة، وذلك لمساعدتهم عل حسن تدبر معاني كتاب الله، ومن ثم تلاوته حق التلاوة. وقد وصف حجة الإسلام الإمام الغزالي شروط التلاوة الحقة فأبلغ حيث قال: {تلاوة يشترك فيها اللسان والعقل والقلب، فحظ اللسان: تصحيح الحروف بالترتيل، وحظّ العقل: تدبر المعاني. وحظّ القلب: الاتعاظ والتاثر، بالانزجار والائتمار. فاللسان يرتل، والعقل يترجم، والقلب يتّعظ}.

ومما يساعد على تحقيق ذلك الغرض: إيراد تفسير للقرآن الكريم على هوامش المصحف الشريف، بنسق يسهل معه الرجوع إلى التفسير أثناء التلاوة. وأن يكون التفسير سهلاً شاملاً وموجزا ويعين التالي على فهم الآيات وتدبر المعنى في يسر ودون عناء. لذلك رأينا، بمناسبة مطلع القرن الهجرى الخامس عشر، أن نقدم لإخواننا المسلمين مع المصحف الشريف، التفسير المعروف باسم {صفوة البيان لمعاني القرآن} [صورت الطبعة الاولى منه بمصر في عام 1377 هـ الموافق 1957 م]، الذي وضعه العالم العلامة الأستاذ الجليل فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف [ولد بباب الفتوح بالقاهرة عام 1890 م وحفظ القرآن الكريم بالأزهر الشريف وأتم العلوم الأزهرية والتحق بالقسم العالي بمدرسة القضاء الشرعى وتخرج بتفوق في عام 1914 م واشتغل بالتدريس بالأزهر الشريف، ثم عين قاضيًا شرعيا وتدرج في مناصب القضاء إلى أن عُين نائبا للمحكمة العليا الشرعية عام 1944 م، ثم عين مفتيا للديار المصرية عام 1945 ثم رئيسًا للجنة الفتوى بالأزهر الشريف.

وفضيلته من رواد الفكر الإسلامي في عصره ومن أئمة الباحثين في علوم الدين واللغة ويعتبر من العلماء العاملين لما له في خدمة الإسلام من أعمال وآثار ذات نفع عميم للمسلمين. فكما كان له في مجال القضاء الشرعي الكثير من الأحكام التي لها صفة المبادئ والقواعد التي يُرجع إليها بعده في مجالها، فإن له العديد من الفتاوى، والبحوث الإسلامية والمؤلفات الدينية، والمقالات التي اتسمت بطابعها الخاص وتأثيرها في عصره. كما عمل على إحياء كثير من كتب التراث الإسلامي النافعة بالشرح والتحقيق.

وقد انتشرت آثاره في حينها – ومازالت تنتشر– في جميع أقطار العالم الإسلامي. جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.]، المفتي السابق للديار المصرية وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر
الشريف، وعضو مجمع البحوث الإسلامية بمصر، وعضو المجلس التأسيسى لرابطة العام الإسلامي بمكة المكرمة.
ذلك لأن هذا التفسير يفي بالغرض المنشود، حيث توافرت به عدة خصائص منها على سبيل الذكر الخصائص التالية:

1 – أنه يعنى بالجانب اللغوي عناية خاصة، باعتبار أن فقه لغة القران الكريم هو المدخل الطبيعي إلى حسن فهم معانيه. وقد تناول الكلمة القرآنية في أبعادها النحوية والصرفية والبلاغية تناولاً مُجيدا في وفاء مادته، مُبَسطًا في أسلوب عرضه. فهو يجمع إلى سهولة المأخذ، بُعد الغور، ودقة المعنى، وحسن اختيار الكلمات. فهو بهذا ضرب من الأدب الرفيع إلى جانب ما حواه من علم غزير.

2 – أنه يسير وفق منهج السلف الصالح في التفسير. فهو كثيرا ما يفسر القرآن بالقرآن أو بما ورد عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أو الصحابة أو التابعين. متحرياً البعد عن الإسرائيليات التي شابت كثيرا من التفاسير، متجنبا الآراء الشاذة والخلافات المذهبية والآثار المشبوهة والتأويلات الباطلة.

3 – أنه أشار في المواضع المناسبة إلى عدد من العلوم والمعارف التى شملها القرآن الكريم؛ كالعقيدة والفقه، من عبادات ومعاملات، وكذلك الأخلاق والسلوك، وذلك فضلاً عن عدد من علوم القرآن التقليدية؛ كالقراءات، والناسخ والمسوخ، و المكي والمدني وترتيب السور والآيات، وأسباب النزول وغيرها وبالقدر الذي يستلزمه التفسير، ويحتاج إليه إيضاح المعاني.

كما أنَّ هذا التفسير يشير أحيانا – وفي المواضع المناسبة – إلى بعض العلوم الحديثة، مما يساعد على إيضاح بعض وجوه الإعجاز العلمى في القرآن الكريم. كما أنّه كثيرا ما يستعين على تقريب المعانى العميقة بضرب الأمثال وذكر الأشباه، وسوق فرائد الحكم، وخاطبة العقل بما ألفته العقول وتواضعت عليه الأفهام.

فلهذه الخصائص التى تميز بها هذا التفسير رأينا أنه يصلح أكثر من غيره للشباب، ولجمهرة المثقفين، ولا يصعب على من هم دونهم من عامة المسلمين، ولا يقصر عن حاجة الخاصة من العلماء والباحثين.

والله سبحانه نسأل أن يجزي صاحب هذا التفسير خير الجزاء، وأن ينفع به عامة المسلمين وخاصتهم، وأن يوفقنا وإياهم للسير على هدي كتابه، والتمسك بأحكامه، وأن يهدينا جميعاً إلى سواء السبيل.

محمد عبد الرحمن البكر

رئيس اللجنة الوطنية لاحتفالات القرن الهجرى الخامس عشر وزير العدل والشئون الإسلامية والأوقاف

ابوظبي في:25 من شوال 1401 هـ الموافق 25/ 8/1981 م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمةالطبعة الأولى

الحمد لله الذي انزل القران هدى ونورا، وارسل به رسوله الاعظم مبشرا ونذيرا؛ فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، واهتدى به من استمسك بهديه فسعد، وضل عن الحق من أعرض عنه فبعد. وأشهد أن لا إله إلآ الله وحده، تقدست ذاته، وتنزهت صفاته، عما لا يليق بجلاله، ولا ينبغي لكماله. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ومجتباه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن والاه.

أما بعد، فإن القرآن العظيم كتاب الله، أوحى به إلى أفضل خلقه وأكمل رسله، بلاغاً للناس ولينذروا به، وليعلموا أنما هو إله واحد، وليذكر أولو الألباب، وأودعه من العقائد والعبادات، والأحكام والحكم، وفنون العلوم وأصول الفضائل؛ ما به قوام الملة الكاملة، والأمة الفاضلة، والدولة الراشدة، وما به سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

فكان أفضل الكتب السماوية وأجمعها للخير، وأوفاها بحاجة البشر، وأبقاها على الدهر: مصدقا لها ومهيمناً عليها. وكان دعوة الحق لسائر الخلق إلى يوم الدين. لا قبول للإيمان إلا به، ولا نجاة في الآخرة إلا باتباعه {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85)}. [آل عمران]

وقد أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، بلسان عربي مبين؛ كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ... (4)} [ابراهيم]. وكان قومه أئمة البيان وفرسان البلاغة وأعلام الفصاحة؛ فبهرهم بآياته البينة، وحججه الدامغة.، وحكمه البالغة، وأخباره الصادقة، وفصاحة لفظه، ورصانة نظمه، وبلاغة أسلوبه؛ فخروا له سجَّداً، وأذعنوا له خُضَّعاً، وأيقنوا أنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلب رسوله العظيم؛ ليكون من المنذرين، إلآ من فسدت فطرته، وضعفت مُنته، واتخذ إلهه هواه؛ فجحد عناداً، وأبى استكباراً أن يؤمن به ويذعن له. فما إن تحدّاهم بقول الله تبارك وتعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88)} [الاسراء]، وبأن يأتوا بسورة من مثله، فصاحة وبلاغة، ونظما وحكماً، وأحكاماً وأمثالاً، ومواعظ وقصصاً، وأغراضاً ومرامي: حتى ألقوا باليدين عجزاً، وولوا الأدبار هزيمة، ونكصوا على الأعقاب هرباً.

فهو المعجزة الكبرى، الدالة على صدق الرسالة، والدعوة العظمى من الله تعالى إلى التوحيد والإسلام، القائمة ما بقيَ الدهر. وقد تولى الله حفظه من التحريف والتبديل، والتغيير والمعارضة؛ كما قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)} [الحجر]، وقال تعالى: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (115)} [الانعام]؛ فلا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون.

وها هو ذا، قد مضى من وقت نزوله أربعة عشر قرناً، ولا يزال كما وعد الله محفوظاً في الصدور، مقروءا بالألسنة،

مكتوباً في المصاحف كما أنزل، لم يُغيَّر فيه عما أنزل حرف ولا كلمة ولا ترتيب. ولم يستطع أحد – كائناً من كان – أن يعارضه بمثله أو بما يدانيه؛ وسيبقى محفوظاً كما أنزل إلى آخر الدهر، إيمانا بصدق الخبر، والوعد الحق.

وكيف لا؟ وهو حجة الله على خلقه إلى انقضاء الدنيا، ودعوته القائمة إلى آخر الزمان، ورسالته العظمى إلى البشر؛ ما بقي التكليف بالشريعة المحمدية، الخاتمة لجميع الشرائع السماوية.

ومن عنابة الله به ورحمته بخلقه، أن جعل القرآن محفوظاً في كل العصور بالتواتر الصادق القاطع، يرويه الخلف عن السلف بألفاظه وحروفه المُنزلة، وكيفيات أدائه المروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم، بما لا مزيد عليه في الحفظ والضبط. ووفق له في كل عصر حفاظاً متقنين، وأئمة ثقات اختصوا بحفظه ونقله وروايته، ودراسة علومه وفنونه، وتفسيره رواية ودراية، وتدوين تفسيره من جهة أحكامه، ومن جهة إعرابه، ومن جهة بلاغته وإعجازه، ومن جهة قصصه وأخباره، ومن جهة أمثاله ومواعظه، ومن جهة تعاليمه ومبادئه، ومن جهة قراءاته، ومن جهة ألفاظه ولغته؛ إلى غير ذلك من الجهات.

وقد أيقظ القرآن الفكر الإنساني من رقاده، وحرَّكه من جموده، وأزاح عنه رين الجهالة، ووجهه إلى العلم، وعلمه سلوك مناهج الحياة. وفتح للعقول أبواباً من العلوم، وسلك بها سبلا من المعارف لم يكن لها عهد بها من قبل؛ فكانت نوراً وهدىً للناس في سائر العصور. وكان القرآن – كما ورد – مأدبة الله لخلقه، يطعم منها من يشاء بما يشاء، ويفيد منها كل إنسان بقدر استعداده، وتهيؤ فطرته لقبول فيضه.

وكان المسلمون – بدراسة هذه العلوم وتدوينها، وإرساء قواعدها، وتقرير أحكامها، وتفريع أصوها – الرواد الأول في مجال البحث، والقادة الفاتحين في مجال العلم والعرفان.

وقد ورد عن الني صلى الة عليه وسلم وعن أصحابه والتابعين: حث المسلمين في كل العصور، على أن يتخذوا إمامهم القرآن، يهتدون بهديه، ويخضعون لحكمه، ويجتهدون في تعلمه، وتفهم أسراره، وتدبر معانيه، كما يرشد إليه قوله تعالى {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2)} [البقرة] وقوله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ .. (9)} [الاسراء]، وقوله تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (104)} [الانعام]،وقوله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (29)} [ص]،

وقوله تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (24)} [محمد]، وما رواه أبو هريرة مرفوعاً: (أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه).

وإعرابه: معرفة معاني ألفاظه، لا الإعراب المصطلح عليه عند النحاة المقابل لِلَّحن، لأن القراءة مع فقده ليست

قراءة ولا ثواب لها. والتماس غرائبه: طلب معرفة هذه المعاني من مصادرها، وهي الرواية واللغة الفصحى.

وفي القرطبي عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (من قرأ القرآن فلم يعربه وُكِّل به ملك يكتب له كما أنزل بكل حرف عشرحسنات، فإن أعرب بعضه وكل به ملكان يكتبان له بكل حرف عشرين حسنة. فإن أعربه وكل به أربعة أملاك يكتبون له بكل حرف سبعين حسنة).

وعن إياس بن معاوية: مثل الذين يقرأون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره، كمثل قوم جاءهم كتاب من مليكهم ليلاً وليس عندهم مصباح؛ فتداخلتهم روعة ولا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرأوا ما في الكتاب.

فقارئ القرآن وسامعه ينبغي له أن يعرف تفسير ما يحتاج إلى التفسير من آياته؛ إذ كانت هي الصراط المستقيم، وهي النور والهدى، وهي الحجة والبرهان، وهي أصل كل علم ومنبع كل خير، وأن يلتمس حقائق مفرداته ومعانيها المستعملة فيها، التي يتوقف على معرفتها فهم آياته، بل الفهم في كل علم؛ إذ ألفاظ القرآن كما قال الراغب: «لب كلام العرب وزبدته، وواسطتُه وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء في أحكاهم، والحكماء في حكمهم، وإليهامفزع حذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم». وكلها في الفصاحة بالمحل الأرفع، ولها الصدارة التي لاتدفع، ومنها ألفاظ لا يقف على معانيها إلا الراسخون في اللغة، المتمرسون بأساليب العرب ولهجاتم؛ مثل: حناناً وأبّا والبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وغسلين وسجين وأوّاه وافتح بيننا ويؤفكون ويصرفون وسوياً وكأين والقمّل والمَثلات والنكال وأغطش وأحوى وهمزة لمزة والفلق والغسق وضبحاً وكنود وفاكهين، ونحو ذلك؛ وتسمى «غرائب القرآن». وقد عني بشرحها وبيان معانيها الوضعية، وما أريد بها في الآيات المشتملة عليها: أئمة اللغة والتفسير؛ كأبي عبيدة، وابن دريد، والزجاج، والفراء، والأخفش، وابن الأنباري، والراغب، والسجستاني، وأضرابهم. وفي ذلك مطولات ومختصرات.

وقد رغب إلى كثير من طلاب العلم: أن أضع تفسيراً للقرآن الكريم، واضح العبارة، دانى المجتنى، مقتصراً على ما لا بد من تفسيره من الآيات والمفردات، يستغنى به عن استيعاب المطولات –وفيها من تشعب المباحث وكثرة الأقوال، ما قد يعسر معه استخلاص المعاني القرآنية منها على من لم يألف أساليبها واصطلاحاتها – كما يستغنى به عن المختصرات التي يدق على الأذهان فهمها، وتنبو عنها إشاراتها. فاستخرت الله تعالى على ضعفي وصعوبة المقام في وضعه، مستعيناً بحوله وقوته، وهو خير معين، متوكلاً

عليه، وهو نعم الوكيل. مبتهلاً إليه عز شأنه أن يوفقني للصواب، ويحفظني مما يُذم ويعاب، ويُقيل عثرتي يوم الحساب....

وبدأت بشرح مفردات القرآن شرحاً وافياً على ترتيب النظم الكريم، لا على ترتيب المعاجم اللغوية، يوقف منه على

المعنى بسهولة أثناء التلاوة أو السماع، مع بيان معنى بعض الآيات التي انتظمت هذه المفردات.

ولدى إعادة النظر فيه، وجدت الحاجة ماسة إلى تفسير آيات أخرى على النحو الذي قصدت، وإن لم تشتمل على غريب القرآن. فضممت تفسيرها إلى ما بدأت به. واكتمل من الجميع هذا التفسير الذي اسميته: «صفوة البيان، لمعاني القرآن» راجياً من الله تعال النفع به، كما نفع بأصوله، والمثوبة عليه يوم الجزاء،.وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه تعالى خير مرجو، وأكرم مسؤول.

راجي عفو ربه الرءوف

حسنين محمد مخلوف

مفتي الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء

مقدمة

تشتمل على مسائل ينبغي معرفتها

الأولى–في المكِّي والمدني:

أشهر الأقوال في تعريف المكي والمدني:

أن المكيّ: ما نزل قبل الهجرة في مكة أو في ضواحيها؛ كمنى وعرفات والحُديبية. ومنه ما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغها النبي – صلى الله عليه وسلم –.

والمدني: ما نزل بعد الهجرة في المدينة أو في ضواحيها؛ كبدر وأُحُد وسلع، ومنه ما نزل بمكة عام الفتح، أو عام حجة الوداع؛ وما نزل في سفر من الأسفار بعد الهجرة.

والمرجع في معرفة المكي والمدني إلى حفظ الصحابة والتابعين. ومعرفته تُعين على معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ.

الثانية – في معنى السورة:

السورة: طائفة من القرآن، لها ابتداء وانتهاء، وترجمة بإسمٍ خاص بها أو بعدة أسماء، عرف المشهور منها بالتوقيف من النبي – صلى الله عليه وسلم –. مأخوذة من سور المدينة؛ لاحتوائها على فنون من العلوم، احتواء سور المدينة على ما فيها، أو لارتفاع رتبتها كارتفاعه، أو من السُّورة، وهي المنزلة الرفيعة، أو من التَسَوُّر، وهو العلو والارتفاع؛ لارتفاعها بكونها من كلامه تعالى.

وأجمعوا على أن عدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة. ومن عدها مائة وثلاث عشرة جعل الأنفال والتوبة سورة واحدة.

والحكمة في تسوير القرآن سوَراً أن يكون أنشط للقاريء، وأبعث على التحصيل، وأن الجنس إذا انطوت تحته أنواع كان أحسن من أن يكون باباً واحداً. وفي التسوير إشارة إلى أن كلّ سورة نمط مستقل.

الثالثة – في ترتيب الآيات والسور وتسميتها:

ترتيب الآيات في السُّوَر بتوقيف منه – صلى الله عليه وسلم – وبأمره إجماعاً. وترتيب السور توقيفي عند الجمهور.
قال أبو بكر الأنباري: «إن جميع القرآن الذي أنزله الله تعالى، وأمر باثبات رسمه، ولم
ينسخه، ولا رفع تلاوته بعد نزوله، هو هذا الذي بين الدفتين، الذي حواه مصحف عثمان، وأنه لم ينقص منه شيء
ولا زيد فيه شيء، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله ورتبه عليه رسوله من آي السُّور، لم يقدم من ذلك
مؤخر، ولا أخر منه مقدم. وأن الأمة ضبطت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ترتيب آي السور كلها
ومواضعها، وعُرفت مواقعها: كماضبطت عنه نفس القراءات، وذات التلاوة».
وقال البغوي: «إن الصحابة جمعوا بين الدفتين القرآن كما أنزله الله على رسوله، من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه
شيئاً؛ خوف ذهاب بعضه بذهاب حَفظته؛ فكتبوه كما سمعوه من رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، من غير أن
قدموا شيئاً أو أخروا شيئاً، أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه منه – صلى الله عليه وسلم –. وكان رسول الله يلقن
أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن، على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا؛ بتوقيف جبريل عليه السلام
إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية، أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا». ومنه يعلم أن أسماء
السور توقيفية.
وقال ابن الحصار: «ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي، كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم
– يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا. وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب: من تلاوة رسول الله –
صلى الله عليه وسلم –، وما أجمع الصحابة عل وضعه هكذا في المصحف».
الرابعة – في المحكم والمتشابه:
من آيات القرآن آيات محكمات هنَّ أم الكتاب وأصله، وأخرُ متشابهات.
والمُحكم: ما عُرفَ المعنى المراد منه. والمتشابه: ما استأثر الله تعالى بعلمه، كقيام الساعة، والحروف المقطعة في فواتح
السُّور.
وقيل: المحكم ما لا يحتمل من التأويل بحسب وضع اللغة إلاَّ وجهاً واحداً. والمتشابه: ما احتمل: اوجها عديدة
واحتاج إلى النظر؛ لحمله على الوجه المطابق.
وقيل: المحكم ما اتضح معناه. والمتشابه بخلافه. وهناك أقوال أخرى في تفسيرهما. وسيأتي لذلك مزيد بيان أول سورة
آل عمران.
وجعل الخطابي المتشابه عل ضربين: أحدهما ما إذا رُدّ إلى المحكم واعتبر به عرف معناه. والآخر ما لا سبيل إلى
الوقوف على حقيقته. فمن المتشابه ما يمكن الاطلاع عل معناه، ومنه ما لا يعلمه إلا الله تعالى.
ومن المتشابه آيات الصفات نحو: (الرحمن على العرش استوى، كل شيء هالك إلا وجهه، ولتصنع على عيني، يدُ
الله فوق أيديهم، والسموات مطويات بيمينه). ومنه أحاديث الصفات.

ومذهب جمهور أهل السُنة –ومنهم سفيان الثوري وابن المبارك وابن عُيينة ووكيع، والأئمة الأربعة –: أنه يجب الإيمان بها وتفويض علم معناها المراد منها إلى الله تعالى، وترك تأويلها مع تنزيهه تعالى عن حقيقتها، لاستحالة مشابهته تعالى للحوادث، قال تعالى: { .. لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11)} [الشورى]

عن أم سلمة – رضي الله عنها – في تفسير قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5)} [طه]: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإقرار به من الإيمان، والجحود به كفر.

وعن مالك فيه: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وعن محمد بن الحسن: اتفق الفقهاء كلهم على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه.

وقال ابن الصلاح: على هذه الطريقة مضى صدر الأمة وساداتها، وإياها اختار أئمة الفقهاء وقادتها، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامهم.

وقال إمام الحرمين أخيراً في الرسالة النظامية: الذي نرتضيه ديناً، وندين به عقدا، اتباع سلف الأمة؛ فإنهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها.

وممن ذهب إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام ابن القيم ومن تبعهما، وكثير من المفسرين كالبغوي والرازي والجلالين والآلوسي، وصاحب فتح البيان، وغيرهم.

وذهبت طائفة من أهل السنة إلى تأويل هذه الآيات والأحاديث الواردة في الصفات بما يليق بجلاله تعالى، مع تنزيهه عن حقيقتها؛ وهو مذهب الخلف.

وقال الإمام الرازي: إن الذي اختاره الأئمة المحققون من السلف والخلف ترك الخوض في تعيين التأويل، بعد إقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال.

ومن المتشابه: الحروف المقطعة فى أوائل السور؛ فقد افتتحت تسع وعشرون سورة من القرآن بنصف أسماءحروفا المعجم؛ وهي: الألف واللام، والميم والصاد، والراء والكاف، والهاء والياء، والعين والطاء، والسين والحاء، والقاف والنون.

فالمبدوء منها بالألف واللام ثلاث عشرة، وباحاء والميم سبع، وبالطاء أربع، وبكل من الكاف والياء والصاد والقاف والنون واحدة. وبعض هذه الحروف المبدوء بها أحادي، وهو: ص، ق، ن. وبعضها ثنائي، وهو: طه، وطس، ويس، وحم. وبعضها ثلاثي، وهو: الم، و الر، وطسم. وبعضها رباعي، وهو: آلمص، والمر. وبعضها خماسي، وهو: كهيعص، وحم عسق، ولا تزيد على ذلك.

والمختار فيها –كما ذكره الجلال في الإتقان –: أنها من الأسرار الني لا يعلمها إلا الله تعالى.

وعن أبي بكر الصديق: في كل كتاب سِرّ، وسِرُّه في القرآن أوائل السور.

وعن ابن عباس: عجزت العلماء عن إدرا كها. وعن الشَّعبي: هي سر الله فلا تطلبوه. وممن ذهب إلى ذلك عمر

وعثمان وعلي وابن مسعود وسفيان والربيع.

وخاض في معناها آخرون؛ فقال بعضهم: إن كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى؛ والعرب تنطق بالحرف الواحد، تدل به على الكلمة التي هو منها. وقيل: هي أسماء للسور. قال الزَّمخْشري: وعليه إطباق الأكثر.

وأما الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السّور مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها فقيل: إنما ذكرت في مفتتح السور بياناً لإعجاز القرآن، وأنه كلمات مركبة من حروف الهجاء، التي تتألف منها الكلمات التي ينطقون بها، وقد عجز الخلق عن معارضته، فلو لم يكن وحياً من عند الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون معارضته. حكاه الرازي عن المبرد وجمع من المحققين، وحكاه القرطبي عن الفراء؛ ورجحه الزمخشري، وإليه ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ المزي.

وقد ذكر العلماء لوقوع المتشابه في القرآن فوائد، منها في المتشابه الذي يمكن علمه: أنه يوجب مزيد المشقة في الوصول إلى المراد، وهي توجب مزيد الثواب. ومنها: ظهور التفاضل وتفاوت درجات الخلق في معرفة القرآن؛ إذ لو كان كله محكماً لا يحتاج إلى تأويل ونظر، لاستوت منازل الخلق فيه، ولم يظهر فضل العالم على غيره. ومنها في المتشابه الذي لايمكن علمه: ابتلاء العباد بالوقوف عنده، والتوقف فيه، والتفويض والتسليم، والتعبد بالاشتغال به من جهة التلاوة، وإقامة الحجة عليهم؛ لأنه لما نزل بلسانهم وعجزوا عن الوقوف على معناه مع بلاغتهم وأفهامهم، دل على أنه مُنزل من عند الله تعالى.

الخامسة – في أقسام القرآن:

أنزل الله تعالى القرآن بلسان عربي مبين، وجاء فيه في مجادلة المنكين ومراغمة الجاحدين، وفي تقرير الحقائق، والكشف عن، الدقائق، وبيان عظم قدرته تعالى، وبديع صنعته، وبالغ حكمته؛ وعظمة ملكه، وسننه في خلقه – بالحجج الدامغة،، والبراهين الساطعة، يصرّف الآيات للناس لعلهم يفقهون، ويضرب لهم الأمثال لعلهم يتذكرون، ويؤكد لهم الأخبار بمختلف الأقسام على أسلوب فصحاء العرب في مخاطباتهم ومحاوراتهم؛ فقد كانوا إذا أرادوا توكيد الأمر وتحقيقه، أقسموا عليه بالعظيم الخطير الشأن، أو الكثير النفع؛ أو الظاهر الفضل.

وتوكيد الكلام بالقسم إذا إقتضاه الحال أسلوب بليغ رصين، ولله تعالى أن يُقسم بما شاء. فأقسم تعالى بنفسه في القرآن في سبعة مواضع؛ لتقرير وجوب الإيمان به، والطاعة له. وأقسم بأفعاله العجيبة، ومصنوعاته البديعة، فقال: {وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (5) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (6)} [الشمس]، وقال: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1)} [النجم]، {وَالطُّورِ (1) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (2)} [الطور]، {وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2)} [الضحى]، {وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2)} [الفجر]، والقسم بها في معنى القسم به تعالى، إذ هو صانعها ومبدعها.

قال ابن القيّم: إنه يُقسم في القرآن بأمور على أمور، فيقسم بذاته الموصرفة بصفاته، و بآياته المستلزمة لإثبات ذاته وصفاته، ويُقسم ببعض مخلوقاته؛ للدلالة على أنها من عظيم آياته.

وقد يأتي في القرآن بالقسم الظاهر كقوله تعالى: {وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2)} [الضحى]، { .. تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ (56)} [النحل]، وقد يأتي بنحو قوله: {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ .. (186)} [آل عمران]، وبنحو قوله: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75)} [الواقعة].

وقد أقسم تعالى على التوحيد، وعلى أنَّ القرآن حق، وعلى أن الرسول حق، وعلى الوعد والوعيد والجزاء، وعلى حال الإنسان وطبيعته، وكثيراً ما يُذكر جواب القسم، وقد يحذف للعلم به، أو لوجود ما يدل عليه.

وبالتأمل في كل قسم من أقسام القرآن تظهر المناسبة الدقيقة بينه وبين المقسم عليه، وهو نوع بديع من وجوه بلاغة القرآن.

السادسة – في الاسعاذة:

لما كانت الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم تطهّر القلب، وتطرد عنه الوساوس والهواجس، وخواطر السوء، كان من السُّنة الاستعاذة عند إرادة القراءة خارج الصلاة، قال تعالى: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (98)} [النّحل]. فيقولُ القاري: أعوذُ بالله من الشّيطان الرجيم؛ على ما اختاره مالك وأبو حنيفة والشافعي. أو أعوذُ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم؛ على ما اختاره أحمد، رضي الله عنهم. أي ألتجيء إلى الله تعالى، وأستجير به، وأتحصّن مما أخشاه من الشيطان الطريد من رحمته تعالى؛ يقالُ: عُذتُ بفلان، واستعذت به؛ أي التجأت إليه وتعلقت به. ومنه: أعيذك بالله أن تفعل كذا. ومعاذ الله، وعِياذ الله.

السابعة– في البسملة:

ذهب كثير من القراء والأئمة إلى أن البسملة ليست آية من الفاتحة، ولا من غيرها من السّور، وإنما هي آية واحدة من القرآن، أنزلت للفصل بين السور والتبرك بها في الابتداء. وإليه ذهب أبو حنيفة ومالك. وذهب آخرون إلى أنها آية من الفاتحة، ومن كل سورة غير براءة. وإليه ذهب الشافعي، وأحمد في إحدى الروايتين عنه. وهذا كله في غير بسملة النمل [آية 30] , فإنها جزء آية باتفاق:

الثّامنة–في التأمين:

يُندب للقاري بعد الفراغ من الفاتحة أن يقول {آمين} ؛ مفصولة عنها بسكتة خفيفة، ومعناها: استجب يا الله، أو افعل. وليست من القرآن باتفاق؛ ولذا أجمعوا على عدم كتابتها في المصاحف.

الفاتحة

.1

بسم الله الرحمن الرحيم (1)

.2

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2)

{الْحَمْدُ لِلَّهِ}

ثناء أثنى الله به على نفسه. وفي ضمنه تعليم عباده كيف يثنون عليه وأمْرُهم به. وعن ابن عباس: الحمد لله هو الشكر لله، وهو الاستخذاء له، والاقرار بنعمته وهدايته.

{رَبِّ الْعَالَمِينَ}

مالكهم. وكل من ملك شيئا يدعى ربه، او مُربيهم و متولي امورهم والقائم عليهم بما يصلحهم؛ يقال لمن قام بإصلاح الشيء وإتمامه: قد ربَّه. ويقال: فلان يَرُبّ صنيعته عند فلان إذا كان يحفظها ويربّيها عنده، وفي الحديث: (هل لك من نعمة تربُّها عليه؟) [رواه مسلم] أي تحفظها وتربيها كما يربِّي الرجل ولده. واصل الرَّب مصدر بمعنى التربية – وهي تبليغ الشيء إلى كماله بحسب استعداده شيئاً فشيئاً، واستعير للفاعل أي المربِّي. والرَّبُّ على الاول صفة ذات، وعلى الثاني صفة فعل.

{الْعَالَمِينَ}

جمع عالم. وهو ما سوى الله تعالى؛ وسميَ بذلك لانه علم على وجود الخالق. وجُمِع جمع العقلاء تغليباً.

.3

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3)

{الرَّحْمَنِ}

بما ستر في الدنيا وافاض من الخير على خَلقِهِ.

{الرَّحِيمِ}

بما غفر في العُقبى وجاد بالفضل على عباده.

.4

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4)

{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}

صاحب المُلك في ذلك اليوم الذي يكون فيه الجزاء والحساب على الأعمال، والمتصرّفُ فيه بالامر والنهي وحده، قال تعالى: {الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (17) [غافر]. {يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (25) [النور] ويقال دنته بما صنع ديناً–بفتح الدال وكسرها– جزيتُه، وكما تدين تُدان. والله الدّيان: اي المجازي.

.5

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5)

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ}

لا نخضع ونَذِلّ الاّ لك، إقراراً لك بالرُّبوبية، فلا نعبد سواك. والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل، وتستعمل بمعنى الطاعة، ومنه: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (60) [يس]. وبمعنى الدعاء؛ ومنه: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (60) [غافر]. و يعني التوحيد: ومنه: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) [الذاريات]. وكلها متقاربة المعنى.

{وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}

أي لا نستعين إلا بك على عبادتنا وطاعتنا لك في جميع أمورنا: مخلصين لك: فلا نستعين بغيرك؛ وفي الحديث: (إذا استعنت فاستعن بالله) [رواه الترمذي].

وقدمت العبادة على الاستعانة لأنها وسيلة الإجابة، و تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة اقرب إلى الاجابة.

.6

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6)

{اهْدِنَا}

ارشدنا إلى الاستقامة على امتثال اوامرك، واجتناب نواهيك. أو أرنا طريق هدايتك الموصلة إلى قربك، أو ألهمنا الطريق الهادي– وهو دين الله الذي لا عوج له. والهدايةُ: الدّلالة بلطف على ما يوصل إلى المطلوب. وقيل: هي الدلالة الموصلة إليه.

{الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}

الطريق السهل السوي الذي لا اعوجاج فيه. والمراد منه: الطريق الحق، أو دين الاسلام.

.7

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)

{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}

أي بطاعتك من ملائكتك وأنبيائك والصدّيقين والشهداء والصالحين؛ وإليه الإشارة بقوله تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (69) [النساء].

{غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ}

روي مرفوعاً تفسير {المغضوب عليهم} باليهود، و....

{الضَّالِّينَ}

بالنصارى؛ قال تعالى في اليهود: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (60) [المائدة]. وقال تعالى في النصارى: {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (77) [المائدة]. واليهود قد عرفوا الحق وانحرفوا عنه؛ فغضب الله عليهم. والنصارى جهلوه وعموا عنه؛ فضلّوا وأضلّوا. وفي حكم اليهود والنصارى من هم على شاكلتهم من اهل النِّحل الاخرى من غير المسلمين.

والغضب: صفة اثبتها الله تعالى لنفسه على الوجه اللائق بجلال ذاته؛ نؤمن بها، ونفوض إليه تعالى علم حقيقتها بالنسبة إليه، مع تنزيهه عن مشابهة الحوادث، وأثرها الانتقام والعذاب. والضلال: العدول عن الطريق السّوي، والذهاب عن سنن القصد، وطريق الحق؛ ومنه: ضلَّ اللبن في الماء إذا غاب.

البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

الم (1)

{الم}

[راجع المسألة الرابعة من المقدمة ص (و)]

.2

ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2)

{ذَلِكَ الْكِتَابُ}

ذلك الكتاب الكامل، وهو القرآن العظيم. والكتاب: مصدر كتب كالكَتْب وأصل الكَتْب ضمُّ أديم الى أديم بالخياطة، واستعمل عُرفا في ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط. وأريد به: هنا المنظومُ عبارةً قبل أن تنظم حروفه التي يتألف منها في الخط؛ تسميةً للشيء، باسم ما يئول إليه.

{لَا رَيْبَ فِيهِ}

أي ليس هذا الكتاب محلا لأن يرتاب عاقلٌ منصف في أنه منزل من عند الله، أو في هدايته للبشر لأن معه من الدلائل ما لو تأمله لم يتطرق إلى نفسه أدنى شك في ذلك. والريب: الشك والظِّنة والتهمة. مصدر رابه الامر إذا حصل عنده فيه ريبة، وقال ابن الأثير: هو الشك مع التهمة.

{هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}

هو هدايةٌ وإرشاد لهم، مصدر هداه هدىً و هداية و هِدْية – بكسرهما – فَهُدِيَ. ومعناه الدلالة الموصلة: إلى البغية، وضدَّه الضلال. والمتقون: هم الذين يجتنبون كلَّ ما يؤثم من قول أو فعل. أو يمتثلون ما أمر الله به ويجتنبون: ما نهي عنه؛ وقايةً لأنفسهم من عذاب الله وسخطه. جمع متَّقٍ، اسم فاعل من اتّقَى وأصله اوْتَقَى – بوزن افتعل – من وقي الشيء وقايةً اي صانه و حفظه مما يضره ويؤذيه. فإذا بَنَيتَ منه افتعل قلبت الواو تاءً وأدغمت في التاء الأخرى فصارت اتّقَى. وخص المتقين. بالذكر لأنهم هم الذين ينتفعون به

.3

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ {3}

{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}

يصدقون بما غاب عن حواسهم؛ كالصانع و صفاته واليوم الاخر وما فيه من البعث والحساب والجزاء.

والإيمان لغة: التصديق والإذعان وهو إفعال من الأمن؛ كأنَّ حقيقة قولهم: آمن به. آمنه التكذيب والمخالفة.

وشرعا: التصديق بما عُلم بالضرورة انه من دين محمد –صلى الله عليه وسلم–، كالتوحيد والنبوة والمعاد والجزاء.

والغيْبُ: مصدر غاب, أُقيم مقام اسم الفاعل وهو غائب مبالغةً يجعله كأنه هو، وهو الخفيّ الذي لايدركه الحس ولا تقتضيه بديهة العقل، وانما يُعلم بخبر الأنبياء عليهم السلام، ومنه ما لم يُنصب عليه دليل، وهو الذي استأثر الله تعالى بعلمه كالقدر؛ ومنه ما نصبت عليه الدلائل كوجود الصانع وصفاته.

والباء صلة للايمان لتضمينه معنى الاعتراف.

{وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ}

يعدّلون أركانها , ويوفون شرائطها ,ويحفظونها من أن يقع زيغ في أفعالها. من أقام العود إقامة إذا أزال عِوجه كقوّمه.

{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}

ومما اعطيناهم وملّكناهم يتصدقون في سُبل الخير تطوّعا اوفرضا، من الإنفاق، وهو إخراج المال وإنفاده وصرفه.

يقالُ: نفق – كفرِح و نصر – نفِد و فنِيَ او قلّ. و أنفق ماله: أنفده، والهمزة للتّعدية [أي يصبح الفعل اللازم متعديا]. وأصل المادة يدل على الخروج والذهاب و منه: نافق فلان، والنَّافقاء والنَفَق.

.4

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4)

{وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}

وبالنشأة الآخرة هم يعلمون علمًا قطعيًا ,لا اثر فيه للادعاءات الكاذبة والأوهام. من الإيقان، وهو التحقق، يقال: يقِن الماء، إذا سكن وظهر ما تحته. وهو واليقين: العلم وزوال الشك؛ يقال: يقِنتُ بالكسر – يَقْناً، وأيقنتُ وتيقّنت و استيقنت بمعنى واحد. وهو درجة من العلم فوق المعرفة والدراية واخواتها؛ أي يصحبها ثبات الحكم وسكون النفس، وطمانينتها.

.5

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)

{وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}

الفائزون بما طلبوا الناجون مما منه هربوا. من الفلاح، وهو الفوز والظَّفر بدرْك البُغية. وأصله من الفلْح – بسكون اللام – وهو الشق والقطع؛ ومنه فلاحة الارض وهو شقها للحرث، واستعمل منه الفَلَاح في الفوز؛ كأن الفائز شق طريقه وفلحه للوصول إلى البُغية، أو انفتحت له طريق الظَّفَر و انشقّت.

.6

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6)

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا}

جحدوا الرسالة. والمراد بهم هنا المشركون؛ لذكرهم بعد المؤمنين. وذكر المنافقين بعدهم بقوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8). والكُفْر – بالضم ضد الإيمان، واصله الماخوذ منه: الكَفْر – بالفتح – وهو ستر الشئ وتغطيته: ومنه قيل: كافر للسحاب؛ لستره ضوء الشمس، والليل لستره الأشياءَ بظلمته، وللزارع لستره البَذَر في الأرض. والكافر عند الإطلاق ينصرف إلى من يجحد الوحدانية أو النبوّة أو الشريعة أو يجحدها كلها؛ فهو اعم من المشرك. وقد يطلق على جاحد النعمة، وعلى الفاسق عن أمر ربه؛ ويتَبَيّن المراد بالقرائن.

{سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}

أي مستوٍ عندهم إنذارك وعدمُه، فهم لايصدقون بأي حال. والإنذار: إخبار مع تخويف في مدة تتسع للتحفُّظ من المَخُوف، فإن لم تتسع له فهو إعلام واشعار، لا إنذار. وأكثر مايستعمل في القرآن في التّخويف من عذاب الله تعالى. والآيه فيمن شافههم النبيّ –صلى الله عليه وسلم– بالإنذار وهم مصرُّون على الكفر والجحود، وقد حقت عليهم كلمة العذاب لسبق علم الله تعالى بانهم لا يؤمنون: لسوء استعدادهم وفساد فطرهم. وسواء: اسم مصدر بمعنى الاستواء خبر (إنَّ) والجملة الاستفهامية

بعده مرفوعة به على الفاعلية لتأويلها على المفرد.

.7

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7)

{خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ}

طبع عليها: فلا يصل إليها الحق ولا ينفذ فيها، كما سبق في علمه تعالى أزلاً أنهم لا يؤمنون، من الختم، وهو وضع الخاتَم على الشيء و طبعه فيه؛ لكي لا يخرج منه ما حصل فيه، ولا يدخله ما خرج منه. وفيه–كما قال الراغب – : (إشارة إلى ما أجرى الله به العادة أن الإنسان إذا تناهى في اعتقاد الباطل أو ارتكاب المحظور، دون تلّفتٍ بوجهٍ إلى الحق يورثه ذلك هيئة تمرّنه على استحسان المعاصي وكأنما يُخْتم بذلك على قلبه) وإنما خص القلب بالختم لانه محل الفهم والعلم.

{وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ}

غطاء. والغِشاوة: ما يغطّى به الشيء من غشاه إذا غطّاه. يقال: غشِيَه غشاوةً – مثلثة ـ وغِشاية، ستره وغطاه. وهو هنا غطاء التعامي عن ايات الله ودلائل توحيده.

{وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}

أصل العذاب: المنع. يقال: عَذَب الفرسُ – كضرب –: امتنع عن العَلَف وعذَبَ الرجل إذا ترك المأكل والنوم؛ فهو عاذب وعذوب، ثم أطلق على الإيجاع الشديد؛ لما فيه من المنع عن اقتراف الذنب. والعظيم: الكبير؛ من عَظْم الشيء، وأصله كبُر عَظْمه، ثم استعير لكل كبير، محسوساً كان أو معقولاً، عيناً كان أو معنىً.

.8

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8)

هذه الآية إلى قوله تعالى: {يا أيها النّاس اعبدوا ربكم}في وصف المنافقين بعد وصف المؤمنين والمشركين.

.9

يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9)

{يُخَادِعُونَ اللَّهَ}

يخادعون رسول الله بإظهار الإيمان وإبطان الكفر ليدفعوا عن انفسهم القَتلَ والاسر والجِزْية، ويفوزوا: بسهم من الغنائم، وليعلموا اسرار المؤمنين ثم يُفشوها لأعدائهم نكاية بهم. يقال خَدعه – كمنعه –خدعاً، ختَله وأراد به مكروها من حيث لا يعلم؛ كاختدعه، والأسم منه الخديعة. ونسب ذلك إلى الله تعالى للتنبيه الى علوّ منزلته–صلى الله عليه وسلم – حيث جعل خداعه خداعاً له تعالى. وصيغة المفاعلة تقع كثيراً لغير اثنين؛ نحو عافاك الله، وعاقبت اللص و قريء {يخدعُون الله} . أو المراد أن صورة صنيعهم مع الله حيث أظهروا الإيمان وأخَفُوا الكفر، وصورة صنيع الله معهم حيث امرَ بإجراء أحكام الإسلام عليهم في الدنيا وأخر عقابهم إلى الآخرة – تشبه صورة المخادعة وهو كقوله تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (142) [النساء].

{وَمَا يَشْعُرُونَ}

أي يفطنون إلى أن وبال خداعهم عائد عليهم بالشقاء الأبديّ. يقال: شَعُرَ بالشيء – كنصر و كرم – أي فطِن له؛ و منه الشاعر لفطنته؛ لأنه يفطن لما لايفطن له غيره من غريب المعاني و دقيقها.

.10

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10)

{فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}

هو النفاق و الكفر. وسُمّيَ مرضا لكونه مانعا من إدراك: الفضائل، كالمرض المانع للبدن من التصرُّف الكامل. أو لكونه مانعا من تحصيل السعادة الأخرويّة. أو لمِيْل النفس به إلى الاعتقادات الفاسدة ميلَ المريض إلى الأشياء المضِرّة.

{وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}

مؤلِم، أي موجع وجعاً شديداً. من ألِمَ– كفرح –فهو ألِمَ. وآلمه يؤلمه إيلاما، اوجعه إيجاعا شديدا.

.11

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11)

{لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ}

أي لا تفسدوا في جنس الارض. او أرض المدينة؛ بالكفر وموالاة أهله، وتعويق الناس عن الإيمان بالرسول والقرآن. والفسادُ: خروج الشئ عن حالة الاعتدال والاستقامة، وضدّه الصلاح. يقال منه: فَسَد الشيء فساداً، وأفسده إفسادًا.

.12

أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (12)

.13

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (13)

{أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ}

أي الجُهّال الخَرْقَى. وكان المنافقون يصفون المسلمين بذلك فيما بينهم. واصل السّفه: الخفّةُ والرّقة والتحرُّك والاضطراب. يقال: ثوبٌ سفيه، إذا كان رديء النسج خفيفه، أو كان باليا رقيقا. وتسفّهت الريحُ الشجر: مالت به. وزمامٌ سفيه: كثير الاضطراب لمنازعة الناقة إيّاه. وشاع في خفة العقل وضعف الرأي.

.14

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14)

{وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ}

انفردوا مع رؤسائهم وقادتهم المشبهين للشياطين في تمرُدهم و عتوّهم، وهم اليهود. يقال: خلا به وإليه ومعه، خلْوًا وخلاءً وخَلْوةً، سأله أن يجتمع به في خَلْوة ففعَل، وأخلاه معه. أو مضوا وذهبوا الى شياطينهم. يقال خلا بمعنى مضى وذهب. ومنه {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137) [ال عمران].

{إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ}

ساخرون مستخفُّون بالمؤمنين. والاستهزاءُ: السُخْرية والاستخفاف؛ يقال: هَزأ منه وبه–كمنع وسمع–وأستهزأ به؛ أي سَخِر، كعجِب واستَعجب.

.15

اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15)

{اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ}

يُحقّرهم تحقيرا يُتَعجّب منه. أو يجازيهم بالعذاب على استهزائهم بالمؤمنين، وسُمِيَ ذلك استهزاءً مشاكلة؛ كما في قوله تعالى {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ {40} [الشورى].

{وَيَمُدُّهُمْ}

يُمهلهم ويُملي لهم؛ ليزدادوا اثما. من المدّ بمعنى الامهال؛ يقال: مدّه في غَيّه – من باب ردّ – أمهله وطوّل له. أو يزيدهم ويقوّيهم على وجه الإملاء والإرخاء، يقال: مدّ الجيش وأمدّه، إذا الحق به ما يقوّيه ويكثّره. وقيل: أكثر ما يستعمل المدّ في المكروه. والامدادُ في المحبوب.

{فِي طُغْيَانِهِمْ}

في ضلالهم و كفرهم. والطُّغيان: مجاوزة الحدّ. ومنه طغا الماء: اي أرتفع.

{يَعْمَهُونَ}

يَعْمَون عن الرشد. أو يتحيّرون ويتردّدون بين الإظهار والاخفاء، أو بين البقاء على الكفر و تركه الى الإيمان. يقال: عَمِهَ – كفَرِح ومَنَع – عَمَهًا إذا تردد وتحيّر، فهو عمه وعامهٌ، وهم: عَمِهون وعُمّه، كركع. والعَمَه في البصيرة كالعمى في البصر، وهو التحير في الأمر. والجملة حال من الضمير في (يمدهم).

.16

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (16)

.17

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17)

{مَثَلُهُمْ}

أي صفة المنافقين. والمَثل: الصفة. ومنه {لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (60) [النحل] اي الصفات العلا. واصل المَثل، بمعنى المثل: النظير والشبيه، ثم اطلق على القول السائر المعروف؛ لمماثلة مضربه وهو الذي يُضرب فيه، لمورده الذي ورد فيه اولا، ولايكون الا فيما فيه غرابة ثم استعير للصفة او الحال أو القصة إذا كان لها شأن عجيب وفيها غرابة.

{كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ}

اي أوقد نارًا عظيمة. والسين والتاء مزيدتان و ليستا للطلب؛ وتنكير (ناراً) للتفخيم. والإضاءة: فرط الإنارة. شُبّهت حَيْرة المنافقين في ضلالهم وشدّة الامر عليهم، بما يكابده مَن طُفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل. أو شُبّه المنافق بموقد النار، وإظهاره الإيمان لاجتناء ثمراته بالإضاءة، وانقطاع انتفاعه بإهلاكه، وإفشاء حاله بانطفاء النار وذهاب نورها.

.18

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18)

{بُكْمٌ}

خُرسٌ عن الهدى وألحق فلا ينطقون بهما. جمع أبكم وبَكيم، و هو الذي يولد أخرس. أو من به، داء في اللسان يمنع من الكلام.

.19

أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19)

{كَصَيِّبٍ}

الصِّيب –كسيد–:المطر؛ من الصَوب وهو النزول. يقال: صاب صَوْباً، إذا نزل وانحدر؛ سُميَّ به المطر لنزوله، أي كمثل قوم نزل بهم المطر من السماء، وهي جهة العلوّ والمراد السحاب وهو مثل اخر للمنافقين، يصف حيرتهم وشدّة الامر عليهم.

{فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ}

تصحب الامطار الشديدة التى تحدث عند تكاثف السُّحب في السماء وحَجْبِها ضوء الشمس عن الأرض – ظلمات كأنها سواد الليل، ورعدٌ يصم الاذان، وبرق يخطف الابصار وصواعق تحرق ما تصيبه. وهذه ظواهر مُدركةٌ بالحواس، واقعةً في كل في كل زمان، تحدث عند حدوث اسبابها التي اوجدها مقدِّر الاسباب والمسببات، ومُودع الخواص في المخلوقات تعالى شأنه و عظُمت قدرته. وقد بيّنت العلوم الكونية أسباب حدوثها فليراجعها من اراد الوقوف عليها فيما ألف في الكهرباء التي أودعها الله تعالى في الأجسام وفي آثارها وتفاعلها، ففيها البيان الشافي.

20.

يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20)

{يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ}

يذهب بها ويستلبها. من الخَطف بمعنى السّلب. و فعله من باب تعِب.

{وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا}

وإذا اختفى عنهم وقفوا عن المشي في اماكنهم، متحيرين مترصّدين و مضةً أخرى ليصلوا إلى مقاصدهم. يقال: قامت الدابة إذا وقفت. وقام الماء إذا جمد.

21.

يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21)

22.

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22)

{جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا}

صيّرها لاجلكم مهاداً كالبساط المفروش. فذلَّلها لكم، ولم يجعلها حَزْنةً غليظة؛ لإمكان الاستقرار عليها. ويقال للمفروش: فرْش وفِراش. وهذا لا ينافي كُروِيّتها في الجملة؛ لأن الكرة إذا عظمت كانت كل قطعة منها كالسطح في إفتراشه. ذكره النبيسابوري والالوسي.

{وَالسَّمَاءَ بِنَاءً}

سقفا مرفوعا أو كالقبة المضروبة.

{أَنْدَادًا}

أمثالاً ونظراء تعبدونها وتسمّونها آلهة، وتعتقدون فيها النفع والضّر، وتجعلون لها ما لله تعالى وحده؛ فأشبهت حالُكم حالَ من يعتقد أنها آلهة حقيقة، قادرة على ان تدفع عنكم عذاب الله، وتمنحكم مالم يُرد الله بكم من خير. جمع ند، وهو مِثل الشيء الذي يضاده وينافره ويتباعد عنه. وأصله من: ندَّ البعير يَنِدّ ندّا ونِداداً وندوداً، نفرَ وذهبّ على وجهه شارداً.

.23

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23)

{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ}

اي ان ارتبتم في شأن مانزّلناه على مهل وتدريج، وظننتم ان تنزله كذلك دليل على أنه ليس وحياً من عند الله تعالى فأتوا أنتم بسورة من مثله في سُمُو الرتبة، وعُلُوّ الطبقة في النَّظم البديع، والاسلوب البليغ.

{وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ}

أي ادعوا إلى المعارضة من يحضركم، أو من ينصركم–بزعمكم–من دون الله، أو من يشهد لكم أنكم أتيتم بما يماثله. جمع شهيد؛ معنى حاضر او ناصر او قائم بالشهادة.

.24

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24)

{وَقُودُهَا}

الوَقود: ما توقد به النار وترفع. والمراد بالحجارة: الأصنام التي اتخذوها آلهةً وقُرنت بهم في العذاب في الآخرة كما اقترنوا بها في الدنيا. وهو نظير قوله تعالى: {إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم} [الانبياء:98]، اي حطبها ووقودها.

.25

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (25)

{أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ}

جمع

جَنّة، وهي كل بستان ذي شجر متكاثف، مُلتفّ الأغصان، يُظلّل ما تحته ويستره. من الجَنّ، وهو ستر الشيء عن الحاسّة. و هي سبع درجات جنة الفردوس، وجنة عدن، وجنة النعيم، ودار الخلد و جنة المأوى ودار السلام و عِلِّيون. و تتفاوت منازل المؤمنين في كل درجة بتفاوت الأعمال الصالحة.

{وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا}

يُشبه بعضه بعضاً في الصورة والرائحة، ويختلف في اللذة والطعم، أو في الشرف والمزيّة. والحُسن. وعن ابن عباس – رضي الله عنهما–: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسامي، وفي الصحيحين: (أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر).

{وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ}

نساء مختصّات بهم، مطهَّراتٌ غاية التطهر من كل دَنَس و قذر، حسيّ و معنويّ؛ لا كنساء الدنيا. جمع زوج، ويُطلق على الذكر والانثى، قال تعالى: {وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} [البقرة:35].

.26

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (26)

{إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا}

أي ليس الحياء بمانعٍ لله تعالى من ضرب الأمثال بهذه المخلوقات الحقيرة الصغيرة في نظركم؛ كالبعوض والذباب والعنكبوت، فإن فيها من دلائل القدرة وبدائع الصنعة ما تحار فيه العقول، ويشهد بحكمة الخالق. وقد جعلوا ضرْب المثل بها ذريعةً إلى إنكار كون القرآن من عند الله تعالى. وفي الآية إشعارٌ بصحة نسبة الحياء إليه تعالى.

ومذهب السلف: إمرارُ هذا وأمثالِه على ما ورد، وتفويض علم كنهه وكيفيته إلى الله تعالى، مع وجوب تنزيهه عما لا يليق بجلاله من صفات المحدَثات، واختاره الآلوسى. وذهب جمعٌ من المفسرين إلى تأويله بإرادة لازِمِهِ، وهو ترك ضرب الأمثال؛ لأن الأستحياء من الحياء، وهو تغير و انكسار يعتري الإنسان من تخوّف ما يُعاب ويُذمّ به. أو هو انقباض النفْس عن القبائح. وهذا المعنى محال في حقه تعالى فيصرف اللفظ إلى لازم معناه وهو الترك.

{بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا}

البَعوض: ضرب من الذباب، ويطلق على البَقّ المعروف وعلى الناموس.

{فَمَا فَوْقَهَا}

أي في الحجم. أو في المعنى الذي وقع التمثيل فيه. وهو الصغر والحقارة.

{وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ}

الفِسق: الخروج عن الطاعة؛ من قولهم: فَسَق الرطب فسوقاً–من باب قعد–إذا خرج عن قشره. ويقع بالقليل والكثير من الذنوب ولكن تعورف فيما كان كثيرا. وهو أعمّ من الكفر؛ فيقال للعاصي: فاسق وللكافر: فاسق؛ لخروجه عما الزمه العقل واقتضته الفطرة. والمراد بالفاسقين هنا الكفار جميعاً أو المنافقون، أو أحبار اليهود المتعنّتون؛ بدليل الاوصاف الآتية. والإضلال: خلق فعل الضلال في العبد، كما أن الهداية خلقُ الاهتداء فيه.

.27

الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (27)

{الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ}

صفة للفاسقين. والعهد: اسم للمَوْثِق الذي يلزم مراعاته: وحفظه. يقال: عهد إليه في كذا، إذا أوصاه به ووثقه عليه. وعهد الله: تارة، يكون بما رُكّز

في العقول من الحُجّة على التوحيد. وتارة يكون بما أوجبه الله على الناس على لسان رسله صلوات الله وسلامه عليهم، وتارة بما يلتزمه المؤمن وليس بلازم له في أصل الشرع مما ليس بمعصية؛ كالنذور وما يجري مجراها. ونقضُه: فسْخُه وإبطاله.

.28

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28)

.29

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (29)

{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ}

علا إليها و ارتفع، من غير تكييف ولا تحديد ولا تشبيه؛ مع كمال التنزيه عن سِمات المحدثات. وقد سئل مالك – رضي الله عنه – عن الاستواء على العرش فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدْعة، أو المعنى: أقبل وعمَد إلى خلقها بإرادته. والمراد بالسماء: الأجرام العُلويّة، أو جهة العلو.

.30

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30)

{لِلْمَلَائِكَةِ}

هم جند من خلق الله. ركّز الله فيهم العقل والفهم، وفطرهم على الطاعة، وأقدرهم على التشكل باشكال مختلفة، وعلى الاعمال العظيمة الشاقة، ووصفهم في القرآن باوصاف كثيرة؛ منها انهم: {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (20) [الانبياء]،

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6) [التحريم]. ومنها: أنهم رسل الله ارسلهم بامره، ومنهم رسل الوحي إلى من اصطفاهم من خلقه للنبوّة والرسالة؛ قال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) [فاطر]، وقال تعالى: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (75) [الحج]، {يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (2) [النحل]. جَمعُ ملَك والتاء لتأنيث الجمع، واصله مَلْأك من مَلَك؛ نحو شمْأَل من شمَل، والهمزة زائدة. وهو مقلوب مألك، ثم سهّلوه فقالوا: ملك. وقيل: إن مَلْأك من لَأَك إذا أرسل؛ و منه: الأَلُوكة، أي الرسالة.

{خَلِيفَةً}

هو من يخلف غيره وينوب منابه؛ فهو فعيل بمعنى فاعل، والتاء فيه للمبالغة. والمراد به آدم عليه السلام؛ لأنه كان خليفة الله في الارض. وكذلك سائر الأنبياء استخلفهم الله تعالى في عمارة الارض و سياسة الناس، و تكميل نفوسهم، وإجراء احكامه عليهم، وتنفيذ أوامره فيهم. وقيل: آدم وذرّيته؛ لأنه يخلف بعضهم بعضا في عمارة الأرض و استُغني بذكره عن ذكر ذريته لكونه الأصل.

{أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا}

الفساد: الخروج عن الاعتدال والاستقامة، ويضادّه الصلاح. يقال: فسَد الشيء فساداً وفُسوداً، وافسده غيره. وقد عَرف الملائكة وقوع ذلك من الإنسان بإخبار من الله تعالى او إلهام ولم يقصّ علينا فيما حكى الله عنهم للايجاز على عادة القرآن. والاستفهامُ: إستكشاف عن الحكمة الخفية في هذا الاستخلاف مع ما سيترتّب عليه من الافساد وسفك الدماء.

{وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} .

السَّفْك: الصب: والإهراق؛ يقال: سفكت الدم والدمع سفكاً–. – من باب ضرب – صببتُه، والفاعل سافك وسفَّاك. والمراد به حصول التقاتل بين أفراد بني الانسان ظلماً وعدواناً.

{وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ}

ننزهك عما لا يليق بعظمتك، تنزيها متلبِّساً بحمدك والثناء عليك؛ من التسبيح: وهو تنزيه الله من السُّوء على وجه التعظيم. وهو مشتق من السَّبْح وهو المَرُّ السريع في الماء أو الهواء، فالمسبّح مسرعٌ في تنزيه الله وتبرئته من السُّوءِ.

{وَنُقَدِّسُ لَكَ}

نطهّر ذكرك عما لا يليق بك، تعظيماً لك وتمجيداً. من التقديس بمعنى التطهير؛ ومنه: الأرض المقدسة وروح القُدُس. واسمه تعالى القدوس، أي الطاهر. واللام، في (لك) زائدةٌ لتأكيد التخصيص.

.31

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31)

{وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}

ألهمه معرفة ذوات الأشياء التي خلقها الله تعالى في الجنة، ومعرفة أسمائها ومنافعها. أو ألهمه معرفة أجناس الأشياء وأنواعها، ومعرفة أسمائها وخواصِّها، ثم عرض هذه المسمَّيات على الملائكة فقال لهم على سبيل التعجيز: {أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} فيما اختلج في خواطركم من أني لا أخلق خلقاً إلّا أنتم اعلم منه وأفضل. فلما اعترفوا بعجزهم وقالوا: {لا علم لنا إلا ما علمتنا} وليس ذلك منه: أمر آدم أن ينبئهم بها؛ فأنبأهم بها إظهارًا لأحقّيته في الاستخلاف في ألأرض التي من شأنها أن توجد فيها هذه المسمَّيات.

.32

قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32)

{قَالُوا سُبْحَانَكَ}

تنزيها لك عن أن يكون فعلك لغير حكمة، أو عن عدم قدرتك على خلق من هو أعلم وأفضل منا وهو مصدر منصوب بفعل محذوف وجوبا، وهو سَبح – مخففاً– بمعنى نَزَّه أو معناه: إسراعا إليك، وخفةً في طاعتك، والرضا بفعلك؛ كما يفعل السابح في الماء.

.33

قَالَ يَاآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33)

.34

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34)

{اسْجُدُوا لِآدَمَ}

السجود لغة: التذللُ والخضوع مع انخفاض بانحناء وغيره. وخُصَّ في الشرع بوضع الجبهة في الأرض على قصد العبادة. والأظهر أن المأمور به: السجودُ بالمعنى اللغوي، وهو التواضع والخضوع لآدم تحية وتعظيما. وإقرارا له بالفضل دون وضع الجباه؛كسجود إخوة يوسف له، وهو انما كان بالانحناء، وقد أبطل الإسلام ذلك، وجعل التحية السلام والمصافحة، وهذا الأمر

ابتلاءٌ واختبارٌ؛ ليميز الله الخبيث من الطيّب وينفذ ما سبق به من العلم، واقتضته المشيئة والحكمة.

{إِلَّا إِبْلِيسَ}

هو أبو الجِنّ مشتقٌ من الإبلاس وهو الحُزن الناشيء عن شدّة اليأس وفِعلُه أبلس ولم ينصرف لانه معرفة، ولا نظير له في الاسماء فأشبه الأعجمية. وقيل هو اعجميّ لا اشتقاق له فلم ينصرف للعلميّة والعُجمة. والاستثناء منقطع وقيل متّصل، وأن ابليس كان من الملائكة ورجحه الطَبريّ.

.35

وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35)

{وَزَوْجُكَ}

تقول العرب للمرأة زوج، ولاتكاد تقول زوجة.

{الْجَنَّةَ}

جمهور اهل السنة على انها جنة المأوى، وهي دار الثواب والخلود للمؤمنين في الاخرة. وذهب اخرون منهم ابو مسلم الاصفهاني: الى انها بستان في الارض خلقه الله امتحاناً لآدم وزوجه. وساق ادلة الفريقين ابن القيم ولم يرجّح شيئاً منها. والأحْوَطُ الأسلم: الكفُّ عن تعيينها وعن القطع به، وإليه مال أبو حنيفة و أبو منصور الماتُريدي في التأويلات.

{رَغَدًا}

أي أكلاً كثيرا واسعا بلا عناء؛ يقال: رغد عيشُه –كسَمِع و كرُم – رغداً ورَغَداً، اتسع وطاب. وأرغد القومُ: أخصبوا وصاروا في رَغَد من العيش.

{هَذِهِ الشَّجَرَةَ}

أبهم القران تعيينها ولم يقم دليل عليه؛ فالأولى عدم القطع به، والتاء فيها للوحدة الشخصية. ولذلك ظن ادم انه انما نُهي عن عينها فأكل غيرها من جنسها. وقيل: للوحدة النوعية، وإنما اكل منها ناسياً او متأوّلا ان النهي نهيُ ارشاد فقط.

.36

فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36)

{فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا}

.أذهبهما وأبعدهما عن الجنة بكذبه عليهما، و مقاسمته أنه لهما من الناصحين، من الإزلال وهو الإزلاق، يقال: زلَّ يَزِل زلاً وزَلَلاً، زَلِق في طين أو منطق. والاسم الزَّلة. وأزلّه غيره واستزلّه: أزلقه فيه. أطلق واريد به لازمه وهو الإذهاب. وقريء (فأزالهما) اي نحّاهما؛ من الإزالة. تقول: أزلتُ الشيء عن مكانه إزالة – نحّيته وأذهبته عنه.

{اهْبِطُوا}

الهبوطُ: النزول من اعلى إلى اسفل، ضد الصعود. يقال: هَبَطَ يهبُط ويهبط. أي نزل من عُلوٍ إلى سُفْل. والخطاب لآدم وزوجه؛ كما قال تعالى: {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) [طه]، وهما المقصودان بالخطاب في قوله تعالى: {قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24) [الاعراف] والقصة واحدة.

{وَمَتَاعٌ}

المتاع: اسمٌ لما يُستمتع به من اكل وشُرب ولِبس وحياة وأُنس وغير ذلك؛ من مَتَع النهار متوعاً إذا ارتفع. ويُطلق على الانتفاع الممتد الوقت.

.37

فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37)

{كَلِمَاتٍ}

هي كلمات التوبة والاستغفار. والمأثور أنها {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23) [الاعراف]. وعن ابن مسعود أنها سبحانك اللّهمّ وبحمدك وتبارك اسمك، وتعالى جدُّك، لا إله إلأ أنت، ظلمتُ نفسي فأغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا انت.

{التَّوَّابُ}

الرجّاع على عباده بقبول توبتهم، أو بإعانتهم وتوفيقهم إليها. ويقال: للعبد: تواب؛ بمعنى كثير التوبة والنّدم والاستغفار من الذنوب. من التَّوْب وهو الرجوع، لرجوعه إلى ربه في ذلك، ويلزمه ترك الذنب. والتوبة في الشرع: ترك الذنب لقُبْحه والندم على فعله، العزم على ترك معاودته، وتداركُ ما فات من حقوق العباد بقدر الامكان.

.38

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38)

.39

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39)

.40

يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40)

{يَابَنِي إِسْرَائِيلَ}

لقبُ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. ومعناه بالعِبرِية عبد الله، أو صفوة الله. وقد عدّد الله في هذه السورة على بني إسرائيل من هذه الآية إلى اية 142 نعماً عشراً، حباهم بها رحمةً وفضلاً. وقبائحَ عشراً، ارتكبوها جحوداً وإثما. وانتقاماتٍ عشرة، أنزلها الله جزاءًا وفاقاً.

{وَأَوْفُوا بِعَهْدِي}

ادُّوا ما عاهدتموني عليه من الإيمان والتزام الطاعة، وأتمّوه واحفظوه: يقال: أوْفَى بعهده. ووفي – مشددًا ومخففا؛ إذا أتمه ولم ينقض حفظه. والوفاءُ ضد الغدْر.

{وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}

فخافوني في نقض العهد، أو في جميع ما تأتون وتذَرُون. من الرَّهبة، وهي الخوف مطلقا، أو خوفٌ معه تحرز وفِعْلُه كعَلِمَ.

.41

وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (41)

.42

وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (42)

{وَلَا تَلْبِسُوا}

ولا تَخلِطوا. يقال لَبَس عليه الأمر –كضرب – خلطه، ومنه: التلبيس:، بمعنى التخليط والتدليس. وتلبّس بالأمر: اختلط. ولابسه: خالطه.

.43

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (43)

.44

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (44)

{بِالْبِرّ}

هو التوسّع في الخير؛ مأخوذ من البَرّ–بالفتح– وهو الفضاء الواسع. وأصلُ كلِّ بر: الإيمان بما جاء به محمد– صلى الله عليه وسلم. وكان احبار اليهود يأمرون الناس بالطاعة والكف عن المعصية ولا يفعلون ذلك.

.45

وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45)

{وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}

أي وإن الصلاة لثقيلة شاقّة، كما قال تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (142) [النساء] يقال: كبُر–ككرم –كِبَرَاً و كُبْرَاً؛ اي عظم.

{إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}

أي المتضرعين المحبين للطاعة، الذين

اطمأنت قلوبهم إليها؛ وفي الحديث: (وجُعلت قُرّة عيني في الصلاة) [رواه احمد والنسائي]، من الخشوع وهو الضراعة، وأكثر ما يستعمل فيما يظهر على الجوارح: قال تعالى: {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) [المؤمنون].

.46

الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (46)

{الَّذِينَ يَظُنُّونَ}

المراد بالظن هنا اليقين، كما في قوله تعالى: {إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (20) [الحاقه].

.47

يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (47)

{عَلَى الْعَالَمِينَ}

أي على الموجودين في زمانهم بالفعل؛ فلا يتناول اللفظ من مضى ولا من يُوجد بعدهم.

.48

وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (48)

{لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا}

أي لا تقضي فيه نفسٌ عن نفس شيئا مما وجب عليها ولا تنوب عنها فيه، من الجزاء، يقال: جَزَى عنه، أي قضى، و (شَيْئًا) مفعول به. وقُرِيءَ (تُجزي) – بضم التاء – من أجزأ عنه: أي أغنى عنه. أي لا تغني نفس عن نفس شيئا من– الإغناء –، ولا تجديها نفعا، و (شيئا) مفعول مطلق.

{عَدْلٌ}

فدية وبدل. وأصل العَدْل – بالفتح –: ما يساوي الشيء قيمة وقدرا وإن لم يكن من جنسه. والعِدل – بالكسر –:المساوي من الجنس؛ ومن العرب من يَكسر العين من معنى الفِدْية. وقيل للفدية: عدل لما فيها من معنى المساواة والمماثلة والمعادلة.

{وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ}

يُعانون، من النصر وهو العَوْن. والمراد أنهم لا يُمنعون من عذاب الله.

.49

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (49)

{فِرْعَوْنَ}

لقب لكل من ملك مِصْر في ذلك العهد. وفرعون الذي وُلد موسى في زمنه، ورُبّيَ في بيته، وكان يسومهم سوء العذاب، هو رعمسيس الثاني من الأسرة التاسعة عشرة. أما فِرعون الذي أغرق فهو ابنه منفتاح؛ على ما نقله صاحب قصص الأنبياء [العلامة الشيخ عبدالوهاب النجار رحمه الله] عن علماء الآثار.

{يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ}

يبغون لكم أشد العذاب وأفظعَه. من السَّوم، وهو مطلق الذهاب، أو الذهاب في ابتغاء الشيء. يقال: سامت الإبل فهي سائمة؛ أي ذهبت إلى المرعى. وسام السِّلعة: إذا طلبها وابتغاها.

{سُوءَ} والسُّوء – بالضم –: كل ما يَغُم الإنسان من أمر دنيوي أو أخروي. وهو في الأصل مصدر، ويؤنث بالألف فيقال: السُّوءى.

{وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ}

يَسْتَبقون بناتكم ولا يقتلونهن ليستخدموهن. يقال: استحياه؛ أي استبقاه. وأصله: طلبَ له الحياة والبقاء.

{بَلَاءٌ}

اختبار وامتحان بالمحن المقتضية للصبر، أو المِنَح المقتضية للشكر، أولهما للتَّرغيب والتَّرهيب. يقال: بلوْتُه بِلُوا وبلاء، اختبرته وامتحنته. والاسم البَلْوى والبِلية والبِلْوة.

.50

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (50)

{فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ}

الفرق: الفصل والتمييز. يقال:

فَرَقت بين الشيئين فَرْقاً – من باب قتل – فَصَلْتُ بينهما؛ و منه الفرقان، وقوله تعالى {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (106) [الاسراء] فصّلناه وميّزناه بالبيان، أي فَصلنا لاجلكم البحر بعضه عن بعض. والباء بمنزلة لام التعليل. والبحرُ: بَحرُ القُلْزُم، وهو البحرُ الاحمَر. وكان عبورهم شماليّ المكان المعروف بـ (عيون موسى) في البَر الاسْيَويّ، وهي لاتبعد عن السويس كثيراً كما في قصص الانبياء. وهذا الفرق احدى معجزات موسى عليه السلام.

.51

وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (51)

{ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ}

أي اتخذتم العجل الذي صنعه السامِريّ إلهاً معبودا. والمراد: أنهم اتخذوا ما يشبه العجل في الصورة والشكل ونسبة الخُوار إليه في قوله تعالى: {عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ} [الاعراف: 148،طه: 88] مجاز، وهو الذي ذهب إليه الجمهور، كما ذكره الآلوسيّ.

.52

ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (52)

.53

وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (53)

{الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ}

الكتاب: هو التوراة والفرقان: هو التوراة أيضا؛ لفرقها بين الحق والباطل، والعطف من قبيل عطف الصفات. وقيل: هو المعجزات الفارقة بين دعوى الصّادق والكاذب؛ كالعصا واليد وغيرهما. أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام، والعطف من قبيل عطف الخاص على العام.

.54

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (54)

{بَارِئِكُمْ}

خالقكم من العدم على أبدع صورة. يقال: برأ الله الخلق – كجعل – خلقهم من العَدَم، واصل مادة (برأ) يدل على انفصال شيء عن شيء، يقال: برأ المريضُ يبرأُ ويبرؤ بُرْأً و بُرُأً، إذا نَقِه وزال عنه المرض وانفصل. وبَرِئ من الدَّين –كسلِم –يبرأ إذا زال عنه الدَّين وسقط، ومنه البرية للخليقة؛ لانفصالهم من العدم إلى الوجود.

{فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ}

فليقتل البريء منكم المجرم.

.55

وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55)

{جَهْرَةً}

جِهاراً عياناً بحاسة البصر. يقال جَهَر البئرَ– كمنع – واجتهرها، إذا أظهر ماءها. وجَهَر الشيء: كشفه. وجهَر الرجلَ: رآه بلا حجاب.

{فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ}

فأحاطت بكم نار من السماء أحرقتكم؛ عقاباً لكم لفرط عنادكم، او لظلمكم بطلب رؤية الحق في الدنيا. ونزول الصواعق المهلكة من السماء واقع مشاهد.

.56

ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (56)

{ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ}

الجمهور على انَّ الموت هنا هو مفارقة الرُّوح للجسد. والبعث: إحياؤه بإعادة الروح إليه. ومن المفسرين من حَمَل الموت على الغشيان و الهمود؛ كما

في قوله تعالى: { .. وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (17) [ابراهيم]، والبَعَث على الإفاقة. ومنهم من حمل الموت على الجهل؛ كما في قوله تعالى: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ .... } [الانعام:122]،والبعث على التعليم.

.57

وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (57)

{الْغَمَامَ} سحاباً أبيض، ظُلِّلوا به في التّيه – بشبه جزيرة سيناء –من حَر الشمس؛ واحدُهُ غَمامة؛ كسحابة. وأصلُ الغَمّ: ستر الشيء؛ وسمّيَ السحاب غماماً لسَتره ضوء الشمس.

{المنُّ}: مادَّةٌ حلوة لَزِجة تشبه العسل – كالطّل – تسقط على الشجر من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

{وَالسَّلْوَى} طائر معروف بالسُّمانَى، أو طير يشبهه؛ أُطعموا بهما في التّيه. وقيل: هما كناية عما أنعم الله به عليهم، وهما شيء واحد; سمي منًّا لامتنان الله به عليهم وسَلْوى لتسلّيهم به.

.58

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (58)

{رَغَدًا}

كثيرًا واسعا بلا عناء.

{وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا}

خُضَّعاً متواضعين خاشعين، شأن التائب من ذنوبه.

{وَقُولُوا حِطَّةٌ}

أي شأنك يا ربنا حِطَّةٌ: أي أن تحط عنّا ذنوبنا وتغفرها. والحِطة – كجلسة – اسم للهيئة، من الحط بمعنى الوضع والإنزال، وأصله: إنزال الشيء من عُلّو. يقال استحطّه وزْرَه، سأله أن يحطه عنه ويُنزله. أمِرُوا أن يقولوا قولاً دالاً على التوبة وإظهار الندم، فخالفوا وجَهروا بما يدلّ على الكفروالعصيان.

.59

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (59)

{رِجْزًا}

عذاباً، قيل هو الطاعون. وأصلُ الرّجْز الاضطراب؛ ومنه: ناقة رَجْزاء، إذا تقارب خطُوها واضطربت لضعفٍ فيها. وسُمّيَ العذاب رجزا لما يلازمه من الفزع والاضطراب.

{يَفْسُقُونَ}

يخرجون عن الطاعة. يقال: فسق فلان عن أمر ربّه – كنصر وضرب وكرُم – فسقاً وفسوقاً، إذا خرج عن حَجْر الشرع.

.60

وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (60)

{فَانْفَجَرَتْ}

انبجست وانشقّت وسالت. يقال: فجَر الماءَ فانفجر، اي بجَسَه فانبجس؛ و بابه نصر. وفجر القناة: شقها. وفجر الماء: فتح له طريقاً فجرى وسال.

{اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا}

لكل سِبْط عينٌ تجري بالماء يشرب منها؛ حتى لا تقع بينهم شحناء وكانوا متضاغنين. وكانت العيون بالبرَّ الشرقي من مصر قرب مدينة السويس.

{مَشْرَبَهُمْ}

موضع شربهم.

{وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}

أي لاتتمادوا في الفساد حال افسادكم في الأرض. والمقصودُ النهيُ عمّا كانوا عليه من التمادي في الفساد. مأخوذ من العَيْث وهو أشد الفساد؛ يقال عَثِيَ –كـ (رَضيَ) – عُثُوَّ إذا افسد أشدَّ الإفساد.

.61

وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (61)

{وَفُومِهَا}

الفوم: الحنطة، أو جميع ما يُخبز من الحبوب.

{وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ}

جُعلتا مُحيطتيْن بهم، إحاطةَ القبّة بمن ضُربت عليه؛ مجازاةً لهم على كفرانهم. وجُمْلَتُهُم في غالب الأمر في ذِلّة ومَسْكنة، أو هم مستحقون للذلة و الهوان؛ بسبب إرتكاب المعاصى والاعتداء على حدود الله في كل شيء، والفساد في الارض وجحود الحق عناداً وقتل الأنبياء ظلماً، وبما طُبعوا عليه من الكذب والنِّفاق والمكرِ السَّيّء والخداع، وعبادة المال وشدة الحرص على جَمْعه والشح به. وامَّا إحاطة المَسْكنة بهم فلِما يبدو عليهم من الاستكانة والخضوع عند الضعف، والخوفِ من القهر.

{الْمَسْكَنَةُ} :

الخضوعُ –مَفعَلة من السكون– لأن صاحبها قليلُ الحركة والنهوض لما به من الحاجة والذّلِة، وشدّة المحنة.

{وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ}

رجعوا به مستحقين له.

.62

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)

{هَادُوا}

صاروا يهوداً. يقال: هاد وتهود، أي دخل في اليهودية. وسُمُّوا يهودًا نسبة إلى يهوذا أكبر أولاد يعقوب؛ بقلب الذال دالاً في التعريب. أو لمّا تابوا من عبادة العجل؛ من هاد يهود هَوْداً بمعنى تاب؛ ومنه {إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ} [الاعراف:156] أي تُبنا.

{وَالنَّصَارَى}

جمع نصْران بمعنى نصرانيّ؛ كندامَى ونَدْمان، والياء في نصرانيّ للمبالغة؛ كما في أحمَرِيّ. سُمُّوا بذلك في الأصل لأنهم نصروا المسيح.

{وَالصَّابِئِينَ}

جمع صابِيء،، و هو الخارج من دين إلى دين، يقال:: صبأ الظِّلْفُ. والناب والنَّجُم – كمنع و كرم –إذا طلع. والمراد بهم الخارجون من الدِّين الحق إلى الدِّين الباطل، وهم قوم يعبدون الكواكب او الملائكة ويزعمون: أنهم على دينِ صابِيء ابن شيث بن ادم.

.63

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (63)

{مِيثَاقَكُمْ}

العهد عليكم بالعمل بما في التوراة.

{وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ}

الطور: الجبل المعروف بسيناء، وهو جبل المناجاة الذي أنزلت فيه التوراة على موسى. ورفعُه: إعلاؤه عن مَقرّه، و هو نَتْقُه المذكور في قوله تعالى: {وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (171) [الاعراف] وهذا من الايات التي رأوها بعد أخذ الميثاق عليهم تقويةً لإيمانهم.

.64

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (64)

.65

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (65)

{اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ}

تجاوزوا الحد بصيد الحيتان فيه وقد نُهوا عنه، وأمروا بتعظيم السبت والتجرد للعبادة فيه؛ قال تعالى: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (163)} [الاعراف] والاعتداءُ: مجاوزة الحدّ؛ يقال: اعتدى وتعدَّى إذا ظلم. والظالم: مجاوز: مجاوزٌ للحد والحق.

{خَاسِئِينَ}

مُبعَدين عن رحمة الله، مطرودين كما يخسأ الكلب. والخسُوء: الطرد والإبعاد. يقال: خسأت الكلب خسئاً و خسوءًا – من باب منع – طردته وزجرته؛ وذلك إذا قلت له اخسأ. و خسأ الكلب–كخضع–بَعُد. والجمهور على أنهم مُسخُوا حقيقةً. وعن مجاهد: لم تمسخ صُورهم، ولكن مُسخت قلوبهم؛ فلم تقبل وَعظاً ولم تَعِ زجرا، فمثلوا هنا بالقردة، كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (5) [الجمعة].والقردة من أخس الحيوان وأدْنئه.

.66

فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (66)

{نَكَالًا}

عقوبة. يقال: نكَّل به تنكيلا إذا صنع به صنيعاً يحذِّرُ غيره، والاسمُ النَّكال وهو ما نكَّلت به غيرك. وأصله من النِّكل – بالكسر– وهو القيد الشديد، وحدِيدةُ اللجام؛ لكونهما مانعيْن، وجمعه أنكال. وسُمِّيت العقوبة نَكَالاً لأنها تحذِّرُ غيرَ مَن نزلت به ارتكاب ما أوجبها.

.67

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67)

{هُزُوًا}

سخرية.

.68

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68)

{لَا فَارِضٌ}

لا كبيرة هَرِمة، ولا فَتِيَّة صغيرة لم يلحقها الفَحل بل نَصَفٌ بين السنين. يقال: فَرضَت البقرة – كجلس وظَرُف – فروضاً وفراضةً، طعنت في السن.

{عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ}

نَصَفٌ، وسط بين السنين. والعَوَان من البقر التي نُتِجت بعد بطنها البكر، وجمعها عُون.

.69

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69)

{فَاقِعٌ لَوْنُهَا}

صادقُ الصُفرة. يقال: أصفر فاقعٌ، وأبيض ناصع. وفقعَ لونُه يَفْقَع فَقْعاً وفقوعاً: اشتدت صُفرته أو خَلَصت.

.70

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70)

.71

قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71)

{لَا ذَلُولٌ}

لم تُذلَّل بالعمل. يقال: بقرةٌ ذَلول بيّنة الذِّل –بالكسر–اي هيّنة سهلة الانقياد.

{تُثِيرُ الْأَرْضَ}

تقلب الارض للزراعه.

{الْحَرْثَ}

هو الأرض المهيأة للزرع، أو نفس الزرع. ويُطلق الحرثُ على إلقاء البَذر في الأرض، وعلى إعدادها للزراعة.

{مُسَلَّمَةٌ}

بريئة من العيوب. من السلامة، وهي التّعري من الآفات.

{لَا شِيَةَ فِيهَا}

لا لوْنَ فيها يخالف لوَ سائر جلدها. وأصلها (وَشْيٌ)) لَحِقها من النقص ما لحق زِنَة وعِدَة. يقال: وشَيْت الثوبَ أشيه وَشْياً وشِيَةً، إذا جعلت فيه أثراً يخالف مُعْظَم لونه.

.72

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72)

{فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا}

تخاصمتم أو تدافعتم في شأن هذه النفس التي قُتلت، فألقى كلٌّ منكم تهمة القتل على الاخر. وأصله: تدارأتم من الدَّرءُ وهو الدفع؛ لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضاً ويدفعه. يقال: درأت عنه، دفعت عن جانبه؛ فقلبت التاء دالاً لتقارب مخرجهما وسكنت للإدغام، فاجتلبت الهمزة للنطق بالساكن [(فَادَّارَأْتُمْ) أصله تدارأتم، فقلبت التاء دالاً لتقارب مخرجهما وأُدغمت التاء في الدال وأدخلت الألف].

.73

فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73)

{فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا}

أي اضربوا القتيل ببعض البقرة المذبوحة؛ فضربوه بها، فأحياه الله وأخبر عن قاتله ثم سقط ميتاً. وهذه معجزة أجراها الله تعالى على يد موسى عليه السلام في هذه الحادثة، للدّلالة على: صدق رسالته ووجوب أتباعه، كما اجرى على يد عيسى عليه السلام إحياء الموتى.

.74

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (74)

{يَتَفَجَّرُ}

يتفتح بسعة وكثرة.

{يَشَّقَّقُ}

يتصدع بطول أو بعرض.

.75

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75)

{يُحَرِّفُونَهُ}

يبدلونه أو يؤوِّلونه بالباطل.

.76

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (76)

{خَلَا بَعْضُهُمْ}

مضى اليه، أو انفرد معه

{أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ}

أتخبرون المؤمنين بما بيّن الله لكم في التوراة من نعت محمد وصفته. من قولهم: فَتَح الله على فلان علم كذا، اي رزقه ذلك و سهّله له. أو أتخبرونهم بما حكم الله به عليكم في التوراة من أخذ الميثاق على أنبيائكم بالإيمان بمحمد و نصرته. من الفتح بمعنى الحُكم والقضاء؛ ومنه: {رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (89) [الاعراف] أي احكم بيننا و بينهم بالحق.

.77

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (77)

.78

وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (78)

{وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ}

اي جُهّال بالتوراة. جمع أُمِّيّ و هو الذي لا يقرأ ولا يكتب نسبة إلى الأمّ، لأن الكِتاب كان في الرجال دون النساء، فنسب من لا يكتب ولايقرأ من الرجال إلى أمّه في جهله بهما دون أبيه.

{إِلَّا أَمَانِيَّ}

اي لكن يعتقدون اكاذيبَ و أباطيلَ افتعلها أحبارُهم؛ فاخذوها عنهم تقليداً لهم لفرط جهلهم. جمع أُمْنِيّة، وهي الصورة الحاصلة في النفس من تمنِّي الشيء و تقديره. من مَنَى الشيءَ: قدّره؛ و اكثر ما يكون التّمنّي في تصور الشيء عن ظنّ و تخمين؛ فصار الكذب له أملك، وساغ أن يعبّر عن الكذب بالتمني، و عن الأكاذيب بالأماني، كما فسره مجاهد، والاستثناء منقطع.

.79

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (79)

{فَوَيْلٌ}

اي عذاب اليم، او فضيحة او حَسرَة أو هَلَكة، أو وادٍ في جهنم. وهو في الاصل مصدر لا فِعل له من لفظه؛ مثل: ويْح، ولا يثنّى ولا يُجمع.

.80

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (80)

{أَيَّامًا مَعْدُودَةً}

اي أربعين يوماً؛ كما يزعمون. وهي مدة عبادتهم العجل.

.81

بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (81)

{بَلَى}

تمسّكم النار مخلّدين فيها. وهي حرف جواب كنَعَم وأجَل، إلاّ أنها لا تقع جواباً إلا لنَفْي متقدم، إبطالاً ونقضًا وإيجابًا له، سواء دخله استفهام أم لا. ففي نحو: ماقام زيد. تقول بلى؛ أي قد قام. وفي نحو: أليس زيد قائماً؟ تقول بلى؛ أي هو قائم. ومنه: { ... أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ... } [الاعراف:172]، أي انت ربُّنا، ولو قالوا نعم، لكفروا.

{كَسَبَ سَيِّئَةً}

هي هنا الكفر

{وَأَحَاطَتْ بِهِ .. }

أحدقت به واستولت عليه.

.82

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (82)

.83

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (83)

.84

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (84)

.85

ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85)

{تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ}

تتظاهرون عليهم بحلفائكم من العرب. من التظاهر، وهوالتعاون. وأصله من الظَّهر، كأن المتعاونين يسند كل واحد منهم ظهره إلى الآخر.

{بِالْإِثْمِ}

هو اسم للفعل المُبْطيء عن الثواب، و جمعه آثام. ولذا، يطلق على الذنب والمعصية، يقال: أثِم يأثم إثماً ومأثماً؛ فهو آثم وأثيم: وقيل: اسم للفعل الذي يستحق عليه صاحبهُ الذمَّ واللَّوم. أو هو ما تنفر منه النفس، ولا يطمئن إليه القلب.

{أُسَارَى}

جمع أسير بمعنى مأسور، وهو من يؤخذ على سبيل القهر والغَلَبة فيُشدّ بالإسار، وهو القِدّ. والقِدُّ: سيْر يُقَدّ من جلد غير مدبوغ.

{تُفَادُوهُمْ}

تنقذوهم من الأسر بالفداء. يقال: فاداه وفداه،،أعطى فداءه فأنقذه.

{خِزْيٌ}

بلاءٌ وفضيحة مصدر خَزِيَ الرجل يَخزَي خِزياً وخزى: وقع، في بلية فذل بذلك؛ وهو: خزيان، وهُنَّ خزايا، وأخزاه الله فضحه.

.86

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (86)

.87

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (87)

{وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ}

أرسلنا على أثره الرسلَ متتابعين. يقال: قفا أثره يقفوه قَفْوًا وقُفُوًّا، إذا تبعه. وقفَّى على أثره بفلان، إذا أتْبعه إيَّاه. وقفّيته زيدا؛ وبه: أتبعته إيَّاه.

واشتقاقه من: قَفَوته إذا اتَّبعت قفاه. والقفا: مؤخّر العنق، ثم أطلق على كل تابع ولو بَعُدَ الزمن بينه و بين متبوعه.

{بِرُوحِ الْقُدُسِ}

هو جبريل عليه السلام؛ قال تعالى: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (102) [النحل] والإضافة فيه من إضافة الموصوف إلى الصفة؛ اي الرُّوح المقدَّس، ووصف بالقُدس لطهارته عن مخالفة ربّه في شيء. وسُمّيَ روحاً لمشابهته الرُّوحَ الحقيقي في أن كلاًّ منهما مادّة الحياة للبشر، فجبريلُ من حيث ما يحمل من الرسالة الإلهية تحيا به القلوب، والروح تحيا به الاجسام.

.88

وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ (88)

{قُلُوبُنَا غُلْفٌ}

مغشّاةٌ باغطية حِسية مانعة من نفوذ ما جئت به فيها. جمع اغلف، و هو الذي جُعلَ له غلاف؛ و منه قيل للقلب الذي لا يعِي ولا يفهم: قلب أغلف؛ كانه حُجب عن الفهم بالغلاف.

.89

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (89)

{يَسْتَفْتِحُونَ}

يطلبون من الله النصر على المشركين بالنّبي العربيّ المبعوث في آخر الزمان، الذي يجدون صفته في التوراة.

والاستفتاحُ: الاستنصار؛ من الفتح وهو النصر، كالفَتَاحة.

.90

بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (90)

{اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ}

باعوا به أنفسهم

{بغياً}

حسداً لأجل تنزيل الله الكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم. وأصل البَغي الظُّلْم، وأطلق على الحسد، لأن الحاسد يظلم المحسود جَهده بتمنّي زوال نعمة الله عنه. وهو منصوبة على أنه مفعول له لـ {يَكْفُرُوا}.

{فَبَاءُوا بِغَضَبٍ .. }

رجعوا بغضب فوق غضب. يقال: باء بإثمه يَبوء رجع؛ وهما كفرهم بعيسى عليه السلام، وكفرُهم بمحمد صلى الله عليه وسلم.

.91

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (91)

.92

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (92)

{ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ}

الذي صنعه لكم السامرِيّ إلهاً تعبدونه.

.93

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (93)

{وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ}

أي داخل قلوبهم وخالطها حبُّ عبادته؛ كما يُداخلُ الصِبغ الثوب. وأصل الإشراب: مخالطةُ المائع للجامد، ثم أُتسع فيه حتى قيل في الالوان؛ نحو أُشرِب بياضُه حُمرة. وحذف المضافان للعلم بها، وفي ذلك مبالغةً لا تخفى.

.94

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (94)

{خَالِصَةً}

اي مخصوصة بكم كما تزعمون. يقال: هذا الشيء خالصةٌ لك؛ اي خالصٌ لك خاصةً.

.95

وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (95)

.96

وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (96)

{وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا}

أي واحْرَصُ على الحياة من المشركين الذين لايرجُون بعثاً بعد الموت؛ فهم يحبون طول الحياة. واليهود أحرص على الحياة منهم؛ لعلمهم بأنهم صائرون إلى العذاب، ومن توقع ذلك كان أحرص الناس علي أسباب التباعد منه.

{لَوْ يُعَمَّرُ}

لو يطول عمره.

.97

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (97)

{مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ}

عادى اليهودُ جبريل لزعمهم أنه أُمِرَ أن يجعل النبوة فيهم فجعلها في غيرهم. أو لأنه لا يأتي إلا بالشّدة والحرب والقتال. أو لنزوله بالقرآن على محمد مصدِّقاً لكتابهم وهم كارهون للقرآن؛ ولذلك حرّفوا التوراة. فأخبر تعالى أن من كان عدوّا لجبريل فلا حق له في عداوته لأنه لم ينزل بالقرآن من تلقاء نفسه، وإنما جاء به بأمره تعالى مصدقاً لما سبقه من الكتب، وهادياً ومبشرًا للمؤمنين، فهو من حيث إنه مأمور وجب أن يكون معذوراً، ومن حيث إتيانه بالهداية والبشارة وجب أن يكون مشكورًا؛ وعداوةُ مَن هذا سبيلُه عداوة لله تعالى.

{عَلَى قَلْبِكَ}

أي نزّله عليك. وذكرُ القلب لأنه هو القابل الأول للوَحْى، ومحلُّ الحفظ والفهم.

.98

مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (98)

.99

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (99)

.100

أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (100)

{أَوَكُلَّمَا}

ألهمزة للاستفهام والواو للعطف على محذوف، أيْ أكفروا بالايات البينات؟ وكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم. أي طرحوه ونقضوه. من النَّبذ، وهو إلقاء الشيء وطرحُه لقلّة الاعتداد به. و فِعله من باب ضرب.

{نَبَذَهُ}

طرحه و نقضه.

.101

وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (101)

.102

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102)

{وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو}

أقبل اليهود لمَّا نبذوا التوراة على كُتُب

السحرة من أهل بابلَ، التي كانت تخبر بها الشياطينُ الكهنة في عهد سليمان، وزعموا أنَّها عِلمُ سليمان، وأنه كان ساحراً ولم يَتِم له الملك والسلطان على الإنس والجنّ والطير والرّيح إلا به؛ فأكذبهم الله بهذه الاية. فالتلاوة بمعنى الاخبار و التحديث. ولتضمُّن الفعل معنى الكذب عُدّيَّ بعلى.

{يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ}

الضمير للشياطين أو لليهود. وقد ذكر العلامة ابن خلدون في مقدمته: أن السحر والطِّلْسمات علومٌ بكيفية استعدادات، تقتدِر النفوس البشرية بها على التأثير في عالم العناصر بغير آلة ولا مُعين، أو بمُعين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الاعداد وبعض الموجودات. فالنفوس الساحرة تؤثِّر بالهمة والتوجّه في الأشياء؛ فإن كان بغير مُعِين وآلةٍ فهو السحر، وإن كان بمُعين فهو الطِّلسم. وأنّ هذه العلوم كانت شائعة في أهل بابل من السُّريانيين والكلدانيين، وفي أهل مصر من القبط وغيرهم قبل بعثة موسى عليه السلام. وكان لها في زمن بعثته أسواق نافِقة؛ ولهذا كانت معجزته من جنس ما يدّعون ويتناغوْن فيه. وهنالك نوع ثالث من التأثير، وهو تأثير النفوس في القوى المتخيّلة بإلقاء انواع من الخيالات والمحاكاة والصور فيها، حتى تُرى كأنها واقعيّة وليست إلا خيالاً، وهو المسمى بالشعوذة. وأن خلاف العلماء في أن السّحر حقيقة أو تخييلٌ خلافٌ لفظيّ. فالقائلون بأن له حقيقة نظروا إلى النوعين الأوّليْن، والقائلون بأنه تخييل نظروا إلى النوع الثالث. والشريعة لم تفرّق بين السحر والطِّلْسمات؛ وحرمتهما جميعا لما فيهما من الضرر. وأما النوع الثالث فقد قال ابن خلدون: إنه ملحق بهذين النوعين في التحريم؛ لما فيه من الضرر. والحق أنه لا يحرُمُ منه الا ما فيه مضرة، واما ما ليس فيه مضرة فلا يحْرُمُ، وإنما ينبغي تركه لأنه لا يعني الجادّين، و (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) رواه الترمذي. وما جاء في الحديث من عدّ السحر من الكبائر، وعدّه كفراً، إذا كان الساحر يتجه في رياضته بالتعظيم والعبادة والخضوع والتذلل لغير الله تعالى، فهو محمول على النوعين الاولين. ثم ذكر الفرق بين المعجزة والسحر بانه راجع إلى التحدِّي، وهو دعوى وقوع

المعجزة على وَفق ما ادّعاه، وأن الساحر مصروف عن مثل هذا التحدِّي؛ فلا يصح منه. ووقوعُ المعجزة على وَفق دعوى الكاذب غير مقدورٍ؛ فراجعه. وفي الاية إشارة الى أن تعليم السحر مُوجبٌ للكفر.

{وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ}

أي ويعلّمون ما أنزل على الملَكين: هاروت وماروت، ببابل: أي ما أُلهماه وعُلّماه وهو السحر وعطفُه على ما قبله لتنزيل تغاير الذات، وكان نزولهما لتعليم السحر إبتلاءً من الله تعالى وامتحاناً للناس. فمن تعلّمه وعَمِل به كفر، و من تعلّمه وتوقَّى العمل به ثبت على الايمان؛ ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء، كما امتحن قوم طالوت بالنهر. وكانا يحذِّران الناس أشدّ التحذير من العمل به، فلا يصفانه لأحد ولا يكشفان له وجوه الاحتيال فيه حتى يبذلا له النصيحة، فيقولا له: {إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ}.وكذلك كان للتمييز بين السحر والمعجزة، حيث كثر السحر في ذلك الزمان، وأظهرالسحرة من الأمور الغريبة ما يوقع الشك في النبوة؛ فبعث الله تعالى هذين الملكين لتعليم ابواب السحر، حتى يزيلا الشُّبَه، ويُميطا الأذى عن الطريق. والظاهر انهما نزلا بصورة آدَمِيّة، ولا بُعد في ذلك فقد كان جبريل عليه السلام ينزل بصورة دِحْيَة الكلبيّ وغيره. وما يرويه المفسرون في قصّة هاروت وماروت لا أصل له وهو من اكاذيب الإسرائيليّين فلا يُعوّل عليه. وقد أنكره من الأئمة: القاضي عياض والإمام الرازي والشهابُ العراقي و ابن كَثِير والالوسي.

{إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ}

ابتلاءٌ من من الله واختبارٌ للناس؛ أيتبعون النصح ولا يعملون ألسحر أم يخالفونه ويعملون السحر، من الفَتن وأصله إدخال الذهب النار لتظهر جوْدته من رداءته. ثم استعمل في الاختبار والامتحان بالمِحَن والشدائد، وبالمِنَح واللطائف؛ لما فية من إظهار الحال والحقيقة. وأكثر ما تُستعمل فيه الفتنةُ: الامتحان بالمحن. وعليه يُحمل تفسير بعضهم الفتنة بالمحنة. وابتلاءُ اللهِ العبادَ، ليس ليعلم احوالهم، لانه تعالى عالم بجميع المعلومات التي لانهاية لها على سبيل التفصيل من الازل، ولكن ليعلمَ العبادُ احوالهم من ظهور جَودة ورداءة، وهي الاحوال التي يعلمها الله تعالى أزلاً.

{خَلاق}

نصيب من الخير، هو ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة وتخلّق به. وفُسّر الخَلاقُ: بالقَوام وبالقدْر؛ والمعاني متقاربة.

{شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ}

باعوا به انفسهم.

.103

وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (103)

{لَمَثُوبَةٌ}

لأجرٌ وجزاء. وسُمّي بذلك لأن المحسن يثوب اليه ويرجع.

.104

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104)

{لَا تَقُولُوا رَاعِنَا}

كان المؤمنون إذا حدثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون له {راعِنا}، من المراعاة؛ وهي المبالغة في الرّعْي، وهو حفظ الغير وتدبير أموره، وتدارك مصالحه، يريدون: راقِبنا وتأنّ بنا، حتى نفهم كلامك ونحفظه. وكانت هذه اللفظة بلغة اليهود سَبّاً قبيحاً. أو بمعنى: اسمع لا سمعتَ. أو يا أحمق، من الرُّعونة، وهي الحماقة والخفّة. فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين، اخذوا يخاطبونه صلى الله عليه وسلم بها، و يضحكون فيما بينهم، قاصدين بها سبه والاستهزاء به؛ كما قال تعالى: {مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (46) [النساء]، فنُهي المؤمنون مخاطبته بهذه اللفظة؛ قطعاً لألسنة اليهود حتى لايتّخذوها ذريعةً إلى سبه صلى الله عليه وسلم وإيذائه، وأمِروا بأن يقولوا ما في معناها، مما لا يمكن التذرع به إلى ذلك، وهو انظرنا؛ أي انتظرنا وتأنّ، أو انظر إلينا. وهذه الآية أصل في سد الذرائع.

.105

مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (105)

.106

مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (106)

{مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ}

لما قال الكافرون: إن محمداً يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه و يأمرهم بخلافه، و يقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا وأنه ما يقول إلا من تلقاء نفسه—أنزل الله هذه الآية بياناً لوجه حِكمة النسخ، وأنها رِعايةُ مصالح العباد، وأنَّ النسخ من عند الله لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم. والنَّسخُ: الرفعُ والازالة، يقال: نسخت الشمس الظلَّ تَنْسَخُه، إذا أذهبته وأبطلته، ونسخُ الاية تارةٌ برفع حُكمها مع بقاء تلاوتها، وتارة برفع تلاوتها مع بقاء حُكمها و تارةٌ برفعهما معاً. وتارةٌ يكون النسخُ ببدل، وتارة بغيْرِ بدل؛ كما تقرر في الاصول. والمرادُ به في الآية نسخُ الحكم ببدل، وإنْساءُ الآية – من النسيان – إذهابُها من القلوب حتى لا تذكرها، و هو النوع الثالث من النسخ. والمعنى: ما ننسخ من آية فنرفع حكمها، أو نَمْحُها من القلوب، نِأت بدلها بما هو أنفع لكم و اسهل، واكثرُ لأجركم في المنفعة، أو بمثلها في المنفعة والثواب، فما نسخ بالأخف فهو في العمل أيسر، وما نسخ بالأشد فهو في الثواب أكثر. وقرئ (ننسأها) من النسيء بمعنى التأخير، أي نؤَخر إنزالها من اللوح المحفوظ.

.107

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (107)

{وَلِيّ}

مالك، أو مُتَوَلّ لأموركم.

.108

أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (108)

{سَوَاءَ السَّبِيلِ}

قصد الطريق ووسطه

.109

وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (109)

{فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا}

فتجاوزوا عما كان منهم من عداوة وحَسَد، والعَفْوُ: ترك العقوبة على الذنب، والصَفح: ترك اللوْم والعقاب عليه، وهو أبلغ من العفو، إذ قد يعفو الإنسان ولا يصفح.

{حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ}

أي بأمره بقتالهم، أو بالجزاء يوم القيامة. والأمرُ على الأول واحد الأوامر، وعلى الثاني واحد الأمور.

.110

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (110)

.111

وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (111)

{تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ}

اي دعوى اليهود: لن يدخل: الجنة إلا من كان هوداً، و دعوى النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى وزعْمُهم جميعاً من حرمان المسلمين منها أمانيُّ باطلة، تمنوْها على الله بغير حق.

{قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ}

(هَاتُوا) اي أحضروا حجّتكم على ما ادعيتوه من اختصاصكم بدخول الجنة. و (هاتوا) فعل: أمر، وهاؤه أصلية. (بُرْهَانَكُمْ) والبرهانُ: الحُجة على صحة الدعوى، مصدرُ بَرَه يَبْرُهُ اذا ابْيضّ، سميت به الحجةُ لنصوع دلالتها على المطلوب؛ ومنه: أبْرَهَ إذا أتى بالبرهان، او من البَرْه، وهو القطع ومنه البُرْهة وهي القطعة من الزمان، وسميت به الحجةُ لأن بها قطع دعوى الخصم، أو من البَرهنة بمعنى البيان.

.112

بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (112)

{بَلَى مَنْ أَسْلَمَ}

اي ليس الامر كمازعمتم، وإنما يدخل الجنة من أخلص دينه وعبادته لله وحده، وهو متبعٌ فيه امر ربه، محسنٌ في عمله.

.113

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (113)

{يَتْلُونَ الْكِتَابَ}

اي جنس الكتاب، فيصدُق على التوراة والإنجيل وليس فيهما شيء مما يزعمون.

{قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}

قال مشركو العرب الذين لا كتاب لهم يتعلمون منه في محمد وأصحابه؛ إنهم ليسوا على شيء من الدِّين. كما قال اهل الكتاب فيمن خالفهم: لستم على شيء من الدين، فتشابهت قلوبهم.

.114

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (114)

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ .. }

هم المشركون الذين حالوا بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابِه وبين المسجد الحرام يوم الحُدَيْبِية. وقيل: هم النصارى الذين كانوا يمنعون الناس من الصلاة في بيت المَقْدِس، ويظاهرون بُخْتَنَصَّر على خرابه. والتعبير بصيغة الجمع لأن كل موضع منه

مسجد.

{ما كان لهم ... }

أي ما صح لهم دخولها إلا خائفين من الله تعالى؛ لمكانها من الشرف والكرامة بإضافتها إليه تعالى. أو من المؤمنين أن يبطشوا فضلاً عن أن يستولوا عليها ويمنعوا المؤمنين منها.

{خزي}

ذل وصغار، وقتل وأسر.

.115

وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (115)

{فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ}

ففي أي مكان من المشرق والمغرِب توليتم شطرَ القبلة، التى امركم الله بها ورضيها لكم فهنالك جهته سبحانه التي امرتم بها.

.116

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (116)

{وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا}

زَعمَ بعض اليهود أنَّ عُزيْراً ابنُ الله، وزعم نصارى نَجْران أن ألمسيح ابنُ الله، وزعمَ بعض مشركي العرب أن الملائكة بناتُ الله، تعالى الله عما يقولون عُلُّواً كبيراً! وكيف ذلك وله جميعُ ما في السموات والارض عبيدا و ملكا وخلْقاً، وتدبيرا

وتسخيرا وتصريفا؛ وكلُّها مربوبةً له تعالى، فكيفَ ينسَب اليه منها الولد!

{سُبْحَانَهُ}

تنزيهاً له عما هو نقصٌ في حقه، و محالٌ عليه من اتخاذ الولد؛ لاقتضاء الوالديّة النوعيّة، والجنسية والتناسل والافتقار، والتشبيه والحدوث. وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا أحدَ أصبرُ –على أذّى سَمِعه– من الله إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويكافئهم).

{كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ}

مطيعون طاعةَ تسخير و انقياد، خاضعون: لا يَستعصي منهم شيء علي مشيئته و تكوينه. شاهدون بلسان الحال والمقال بوحدانيته، من القنوت، وهو لزوم الطاعة مع الخضوع {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (15) [الرعد].

.117

بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (117)

{بديع السماوات}

مبدعهما ومنشئهما بلا احتذاء ولا اقتداء، وبلا آلة ولا مادّة. صفةٌ مشبَّهة من أبدع؛ و الذي ابتدعهما من غير أصل ولا مثال هو الله تعالى – الذي ابتدع المسيح عليه السلام من غير أب بقدرته سبحانه، وابتدع عُزَيْراً والملائكة؛ فكيف يضيفون إليه تعالى بُنُوّة شيء من هذه المخلوقات.

{وَإِذَا قَضَى أَمْرًا .... }

أي إذا أراد سبحانه إحداثَ أمرٍ من الأمور حدث فورا؛ قال تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82) [يس] وهو على ما ذهب إليه كثير من أهل السُّنة تمثيلٌ لحدوث ما تتعلق به إرادته تعالى بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقُّف. وليس المراد إحداثَ أمْرٍ أتى بالكاف والنون، ففي الكلام استعارةٌ تمثيلية. وذهب آخرون إلى أن الأمر بـ (كُن) محمولٌ على حقيقته،

وأنه تعالى أجرى سنته في تكوين الأشياء أن يكونها بكلمة (كن) أزلاً، ومن ذلك عيسى عليه السلام خُلق بكلمة (كن) فكان.

.118

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (118)

{وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}

هم مشركو العرب [آيه 113 من هذه السورة].

{الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}

هم اهل الكتاب.

.119

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (119)

.120

وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120)

{وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ}

الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم، والمقصودُ منه امّتُه.

.121

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (121)

{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ}

هم مؤمنو أهل الكتاب، والكتابُ: التوراة أو الإنجيل، أو هم أصحابه صلى الله عليه وسلم، والكتاب: القرآن.

.122

يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (122)

{الْعَالَمِينَ}

عالَمَيْ زمانكم.

.123

وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (123)

{لَا تَجْزِي نَفْسٌ .. }

[آيه 48 من هذه السورة].

{عَدْلٌ}

فدية

.124

وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124)

{وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ ... }

اختبره ربُّه تعالى بما كلفه به من الاوامر والنواهي. و معنى اختبار الله تعالى العبدَ معاملتُه إياه معاملةَ المختبَر مجازاً، إذ حقيقة الاختبار محالةٌ عليه تعالى، لعلمه المحيط بالأشياء. أو الاختبار لإظهار ما في المبتلَى من جودة ورداءة وطاعه وعصيان؛ دون التعرّف لحاله والوقوف على حقيقة أمره. وهو تعالى يختبر عباده تارةً بالمضار ليصبروا، وأخرى بالمسارّ ليشكروا، وفي كلا الحالَيْن تبدو النفس على حقيقتها.

{بِكَلِمَاتٍ}

بأوامر ونواه.

{فَأَتَمَّهُنَّ}

أتى بهنَّ على الوجه الأكمل، وأدّاهن كما يليق به عليه السلام، قال تعالى: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (37) [النجم]

.125

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125)

{مَثَابَةً لِلنَّاسِ}

مرجعاً للناس يرجعون اليه من كل جانب و يحجُّون، مصدرٌ ميميٌّ، من ثاب القوم إلى المكان رجعوا إليه، فهم يثوبون إليه ثوبا وثووباً. أو معاذا لهم يلجَأون إليه. أو موضع ثواب يُثابون بحجه و اعتماره.

{مَقَام إِبْرَاهِيمَ}

هو الحجر الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام عند بناء البيت، وهو على المشهور تحت المصلى المعروف الآن.

{عَهِدْنَا}

وصينا أو أمرنا أو أوحينا.

{بَيْتِيَ}

الكعبة المشرفة بمكة المكرمة.

.126

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126)

{أَضْطَرُّهُ}

ادفعه وأسوقه وأُلجئه.

.127

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127)

.128

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128)

{مُسْلِمَيْنِ لَكَ} مخلصين موحِّدين لك. من أسلمَ وجهَهُ: اذا اخلص نفسه أو قصده، أو منقادين لك. قائمين بشرائع الإسلام، من استسلم: إذا انقاد.

{وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا}

علِّمنا شرائع ديننا وأعمال حجّنا؛ كالطواف والسّعي والوقوف. أُو متعبداتنا التي تقام فيها شرائعه؛ كمنى و عرفاتٍ و نحوهما. جَمعُ مَنْسِك–بفتح السين وكسرها– بمعنى الفعل، و بمعنى الموضع. من النُّسُك – مثلّثة النون، وبضمها وضم السين – وهو غاية العبادة، وشاعَ في الحج، لما فيه من الكُلْفة غالباً والبُعد عن العادة.

.129

رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129)

{وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ}

وابعث في الأُمَّة المسلمة، أو في ذريّتنا – وهم العرب – رسولا منهم، وهو محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ لم يُبْعَث في ذريتهما غيره.

{وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}

اي يعلمهم معاني الكتاب وحقائقه، وهو القرآن. ويعلمهم الحكمة، و هي في الأصل إصابة الحق في القول والعمل. والمراد بها هنا: الفقهُ في الدين و معرفةُ اسراره، وحِكَمِه و مقاصده التي يكمُلُ بها العلم بالكتاب.

{وَيُزَكِّيهِمْ}

يطهرهم من ارجاس الشرك و ادران المعاصي، يقال: زكاه الله اي طهّره و اصلحه. و منه زكاة المال؛ لتطهّره بها و طهارةِ

النفس بأخراجها. وأصلُ الزكاء–بالمدّ–:ألنماءُ وألزيادةُ؛ ومنه: زكا ألزرعُ وألارض زَكاءً وزُكُوّاً، اي نَما ونمت.

.130

وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130)

{يَرْغَبُ عَنْ ... }

يزهد وينصرف عن ...

{سَفِهَ نَفْسَهُ}

خَسِرَ نفسه، أو جهلها أو إمتهنها وأذلها و استخف بها. والسَّفه: خفةٌ في النَفْس لنقصان العقل في أمور الدنيا أو الدِّين. و (سفه) متعد بنفسه. و (نفسه) مفعول به.

.131

إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131)

{أَسْلِمْ}

إنقَدْ، أو أصلح ألعبادة لي.

.132

وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (132)

{اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ}

اختار لكم دين التوحيد، وهو دين الإخلاص لله في العبادة والطاعة والانقياد لحكمه؛ فليس عند الله دين مَرْضيٌّ سواه وهو دين الإسلام.

.133

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133)

.134

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (134)

{خَلَتْ}

مضت وسلفت.

.135

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (135)

{حَنِيفًا}

مائلا عن الضلال والباطل إلى الهدى والحق. جمعه حُنفاء، وأصلُه من الحَنَف، وهو مَيْل في إبهام القدمين من كل واحدة إلى صاحبتها؛ يقال: حَنَفَ يَحْنِف مال، وتحنف إليه: مال وتحنف: تحرى طريق الاستقامة. والحنيف: المسلم و (حنيفاً) حالٌ من إبراهيم.

.136

قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (136)

{وَالْأَسْبَاطِ}

هم اولاد يعقوب الاثنا عشر، جمع سبط وهو ولدُ الولدِ، وسموا أسباطاً بالنسبة لإسحاق وإبراهيم عليهما السلام. وقيل هم أحفادُ يعقوب، وهم اولاد اولاده وكانوا كثيرين. والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب من ولد إسماعيل، وسُمُّوا أسباطاً من السبط، وهو الشجرة ذات الأغصان الكثيرة، وهم في الكثرة بمنزلتها.

.137

فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (137)

{فِي شِقَاقٍ}

في مخالفة لله تعالى ومعاداة. من الشق وهو

الجانب؛ لأن كل واحد من الفريقين يكون في شِق غير شِق صاحبه. أو من قولهم: شق العصا، إذا أظهر العداوة.

.138

صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (138)

{صِبْغَةَ اللَّهِ}

دينَ الله، أو فِطرةَ الله التى فطر الناس عليها وهي الايمان. والصِبغة – كجلسة – من صَبَغ، وهي الحالة التى يقع عليها الصِّبغ، عبّر بها عن التطهير بالايمان بما ذكر؛ لظهور اثره عليهم، كظهور أثر الصبغ على المصبوغ، ولتداخله

في قلوبهم تداخله وصيرورته حلية لهم. و (صِبْغَةَ اللَّهِ) مصدر مؤكِد لـ (آمنا) منصوب بفعل مقدّر، اي صبغنا الله صبغته.

.139

قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (139)

.140

أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (140)

.141

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (141)

.142

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (142)

{سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ}

جمع سَفيه؛ من السَّفه وهو الخفه الناشئة من نقصان العقل. أي سيقول الخفافُ ألاحلام، الطاعنون في تَحويل القبلة إلى الكعبة، وهم اليهود والمنافقون والمشركون: أيُ شيء صرفهم عن قبلتهم التي كانوا يُصلّون إليها، وهي بيت القدس؟! و قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي إليها منذ قدم المدينة، وبعد ستة عشر أو سبعة عشر شهراً–على الارجح–أُمرَ بالصلاة الى الكعبة؛ فأخبره الله تعالى بما سيقولونه قبل أن يقولوه؛ ليوطِّن نفسه عليه، وأعلمه الجواب عنه، وهو من أعلام النبوَّة. وقيل: إنه أخبره به بعد ما وقع، وأُتي بالسين مع مُضي القول لاستمرارهم عليه.

{مَا وَلَّاهُمْ}

ايُّ شيء صرفهم

{عَنْ قِبْلَتِهِمُ}

عن بيت المقدس.

.143

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (143)

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وسطا}

اي كما هديناكم الى قبلة هي أوسط القِبَل جعلناكم امَّة وسطاً. أو مثل ذلك الجَعْل العجيب جعلناكم أمةً وسطاً، أي عَدولًا خياراً، أو متوسطين: اي معتدلين في الدِّين غير مُفَرِّطين فيه، كاليهود والمشركين، وكالنصارى والصابئين. ووَسطُ الشيء في الأصل: مالَه طرفان متساوين القدر، واستعير للخصال الحميدة، لكونها أوساطاً لطرفي الخصال الذميمة؛ ثم أطلق على المتّصف بها، من إطلاق اسم الحال على المحلل، لاعتدالة بعده عن طرفي الافراط والتفريط الذّميمين، وخيرُ الأمور الوسط.

{وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ}

بيان للحكمة في جعل بيت المقدس قبلةٌ له ثم صرفه عنها إلى الكعبة. أيْ أن أصل أمرك أن تستقبل الكعبة، وأنّ استقبالك لبيت المقدس هذه المده ثم صرفك عنه، انما كان ليظهر حال من يتبعك ويستقبل معك حيثما توجَّهت ممن ينقلب على عقبيه مرتدّاً عن دينه فنجازي كلاً بعمله. وعُبِّرَ عن ذلك بالعلم لترتبه عليه.

{مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ}

يرتدّ عن دين الإسلام، ويرجع إلى ما كان عليه، إلفاً لقبلة ابائه؛ وهو كقوله تعالى: {نَكصَ على عَقِبَيْه} [الانفال:48]، {فارتدا على آثارهما قصصاً} [الكهف:64]، وقولهم: رجعت على حافرتي، اي طريقي الذي أُصْعِدت فيه. والحافرة: العَوْد في الشيء حتى يَرِدُ آخره على أوله.

{وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً}

أي وإن كانت هذه التولية لشاقةً ثقيلةً على النفوس إلاً على الذين هدى اللهُ قلوبهم إلى اتّباعك، والإيمان بك، والعلمِ بانَّ لله تعالى ان يكلف عباده بمايشاء وينسخ مايشاء، وله الحكمة البالغة في ذلك.

{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}

لما وُجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته إلى الكعبة قالوا: يا رسول الله: كيف بالذين ماتوا منا وهم يصلون الى بيت المقدس!؟ فنزلت. اي: وما كان الله مريداً لإضاعة ايمانكم؛ اي صلاتكم الى القبلة المنسوخة فالايمان مجازٌ عن الصلاة، من إطلاق اللازم على ملزومه بقرينة المقام. او لإضاعة ثباتكم على الإيمان بالرسول، بل يجازيكم عليه بالحسنى.

.144

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (144)

{قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ .. }

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلِّب وجهه نحو السماء في الدعاء إلى الله تعالى: أن يحوّله إلى الكعبة، قبلة أبيه ابراهيم عليه السلام. فاستجاب الله له وحوّله إليها.

{تَرْضَاهَا}

تحبّها وتهواها، لأنها قبلة ابراهيم عليه السلام، واقدم القبلتين، وأدعى للعرب إلى الإيمان؛ فوافقت أغراضه الشريفة – صلى الله عليه وسلم–مشيئةَ الله وحكمتَه.

{شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}

نحوه وجهته وتلقاءه، منصوبٌ على الظرفية. والمراد من المسجد الحرام: الكعبة؛ كما في الصحيحين. أي فولّ وجهك في

الصلاة جهتها، وحيثماكنتم من بر أو بحر، شرق أو غربٍ فولوا وجوهكم في الصلاة جهتها. وفي ذكر المسجد الحرام دون الكعبة التي هي القبلة ايذانٌ بكفاية محاذاة الجهة للبعيد؛ لأن في وجوب محاذاة عينها على البعيد حرجاً عظيماً دون القريب. وروى عن ابن عباس: أن البيت قبلةٌ لأهل المسجد، والمسجد قبلةٌ لأهل الحرم، والحرم قبلة لأهل المشرق والمغرب. وإليه ذهب مالك.

.145

وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (145)

.146

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146)

{يَعْرِفُونَهُ}

اي يعرفون محمداً صلى الله عليه وسلم بالنعوت المسطورة في التوراة، التي من جملتها انَّه صلى الله عليه وسلّم يُصلِّي إلى القبلتين.

.147

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (147)

{فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}

اي الشاكين او المتردّدين في كتمانهم الحق مع العلم به. من الامتراء في الشيء، وهو الشك فيه، والشّاك في الشيء يتردد فيه، ويدافع اليقين ويجادلُ فيه؛ ليستخرج ما عند خصمه من القول والحجة. من مَرِيْتُ الناقةَ إذا مسحت ضَرعها لتَدِر. ومريتُ الفرس إذا استخرجت ما عنده من الجَري بسوط أو غيره. والخطاب له صلى الله عليه وسلم والمُرادُ أمتهُ، كما في نظائره.

.148

وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (148)

.149

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (149)

{وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ}

أعاد سبحانه هذا الأمر ثلاث مرات، وفي كل مرة فائدةٌ زائدةٌ. فعلّل الأمرَ الأوَّل باكرامه تعالى لرسوله والمؤمنين بالقبلة التى يحبُّونها ويَرضَوْنها، وهي قبلة أبيهم إبراهيم. وعلل الثانى بما جرت به العادة الإلهِيَّة من أن يؤتى أهل كلِّ مِلةٍ قبلة، وقد شرع للمؤمنين أشرف الجهات التى يعلم أنها حقٌّ، وهي بيته المُعظَّم قبلةٌ لهم. وعلل الثالث بدفع شُبَه الطاعنين الجاحدين. كأنه تعالى يقول: الزم هذه القبلة، فإنها التى كنت تهواها. ثم يقول: الزم هذه القبلة، فانها قبلةُ الحقّ لا قبلةُ الهوى. ثم يقول: الزم هذه القبلةَ، فإن في ذلك انقطاع حججُ الطاعنين.

.150

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (150)

{لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ}

أي لينتفي احتجاج اليهود بقولهم: يَجحَد دينَنا ويتبع قِبلَتنا. والمشركين بقولهم: يَدعي مِلَّة ابراهيمَ ويخالف قبلته؛ ويتبعهم المنافقون في كل باطلً من القول. فلما حُوّلتم إلى الكعبة انتفى احتجاجهم جميعا. وسُمّيَ قولهم حجةٌ لانهم يسوقونه مساق الحجة وإن كان في نفسه باطلا.

{إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ}

أي لكن الذين ظلموا منهم يتعلّقون بالشُّبه ويجادلونكم بالباطل؛ فيقول اليهود: ما تحول الى الكعبة إلاّ ميلاً لدين قومه، وحباً لبلده. ويقول المشركون بَدا له فرجع الى قبلة ابائه، ويوشِك أن يرجع الى دينهم.

.151

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (151)

{وَيُزَكِّيكُمْ}

يطهّركم من الشرك والذنوب، ومن رذائل الاخلاق وأعمال الجاهلية.

{الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}

القران والسنن والفقه في الدين.

.152

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (152)

{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} فاذ كروني بطاعي، أذكرْكم بمغفرتي. وفي الحديث الصحيح: {يقول الله تعالى: فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي و ان ذكرني في ملأ ذكرته في مَلأٌ خيرٍ منه. (متفق عليه).

.153

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153)

.154

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (154)

{وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ .. }

إخبارٌ بأن الشهادة في سبيل الله حياةٌ أبدية خالدة، بعد بيان أن أقوى ما يستعان به على تحمُّل المصائب والشدائد الصبرُ والصلاة؛ كما قال تعالى: {واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها الكبيرة إلا على الخاشعين} [البقره: 45].

{بَلْ أَحْيَاءٌ}

اي بل هم احياء يُرزقون، حياة برزخية خاصَّةٌ، لايَعلم حقيقتها إلا الله تعالى، تمتاز عن حياة سائر المؤمنين في البَرْزَخ. وقال الآلوسى: {إن الرُّوح تتعلَّق بعد الموت ببدن برزخِيّ، مغاير لهذا البدن الكثيف. وأرواح الشهداء يثبت لها هذا التعلّق، على وجه يمتازون فيه عمَّن عداهم من المؤمنين، إما في نفس التعلّق أو نفس الحياة، أو في نفس المتعلق به، مع ما ينظمّ الى ذلك من البهجة والنعيم اللائقين بهم، ولهذه الابدان البرزخيّه شبَهٌ صوري بالأبدان الدنيويّة. والله أعلم. وقد اسهبَ القولَ في ذلك والدنا – رحمه الله – في كتابه (المطالب القدسيّة، في أحكام الروح وآثارها الكونية).

.155

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155)

{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ}

والله لنختبرنكم، من الابتلاء بمعنى الاختبار: اي لنعاملنّكم بقليل

من البلايا معاملةَ المختَبِر لاحوالكم؛ ليظهر: هل تصبرون على ما أنتم عليه من الطاعة أو لا تصبرون. وقد أخبرهم الله تعالى بذلك قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم، ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له، وليعلموا انه شيء يسير هيّن، له عاقبة حميدة.

.156

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156)

.157

أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157)

{صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ}

ثناء أو مغفرة منه تعالى.

.158

إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (158)

{مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ}

أي من أعلام دينه و متعبَّداته، تعبَّدنا الله بالسعي بينهما في الحج والعمرة. وشعائرُ الحج: معالمه الظاهرةُ للحواس، التي جعلها الله أعلاماً لطاعته ومواضعَ نسكه و عبادته؛ كالمَطَاف والمَسْعى والمَوْقف والمَرمى والمَنحَر جمعُ شعيرة وهي العلامة. وقيل للبَدَنة المُهداة إلى البيت المعظَّم: شعيرة، لانها تُشعَر، أي تُعَلَّم، ويقال لمواضع النّسك: مشاعر، جمع مشعر وهو المَعلْم والمتعبَّد من متعبَّداته، من الإشعار وهو الإعلام ومنه المشعر الحرام للمُزْدَلِفة؛ لأنها مَعْلَمٌ للعبادة وموضعٌ لها. وتطلق الشعائر على العبادات التى تعبَّدنا الله بها في هذه المواضع، لكونها علامات على الخضوع والطاعة والتسليم لله تعالى.

{اعْتَمَرَ}

زار. والعُمرة: زيارة البيت المُعظَّم على وجه الخصوص، أخذًا من العمارة؛ كأن الزائر يَعمُر البيت بزيارته، وجمعها عُمَر و عُمرات، كغرف وغرفات في جمع غرفة.

{فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا}

أي فلا إثم عليه في التطوف بهما. من جَنح، أي مال عن القصد وسُمِّيَ الإثمُ به للمَيْل فيه من الحق إلى الباطل. وقد كان على الصّفا صنم يسمّى (إسافاً) وعلى المَرْوَة صنم يسمّى (نائلة)، و كانوا في الجاهلية يستلمونهما ويتمسحون بهما؛ فتحرَّجوا بعد الإسلام و تكسير الاصنام من السَّعي بين الصفا والمروة، فنزلت هذه الاية، واخبر الله انه من شعائر الله ولاجناح فيه.

.159

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159)

{يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ}

يطردهم ويُبعدهم من رحمته. يقال: لَعَنه، اي طرده وابعده ساخطا عليه، فهو لعين و ملعُون، وجمعه ملاعين. واللاعنون هم الملائكة والمؤمنون، والمراد دوام اللّعن واستمراره.

.160

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160)

.161

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (161)

.162

خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (162)

{وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ}

اي لا يُمْهَلون، ويؤخَّرون عن العذاب ساعة. من الإنظار بمعنى التأخير والإمهال. أو من النظر بمعنى الانتظار. يقال: نظرته و انتظرته وأنظرته، أخَّرته وأمهلته؛ ومنه: {فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرة} [البقرة: 280]. أو من النظر بمعنى الرؤية، أي لا ينظر الله إليهم نظر رحمة ورضا.

.163

وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (163)

.164

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164)

{وَبَثَّ فِيهَا}

فرق و نشر فيها بالتوالد.

{وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ}

تقليبها جنوباً و شمالاً أي ودَبورا، حارةً و باردةً، عاصفةً وليّنَة، عقيماً ولواقحَ، بالرحمة تارة وبالعذاب أخرى.

{تصريف}

مصدر مضافٌ للمفعول، والفاعل هو الله، اي وتصريف الله الرياحَ. أو مضاف للفاعل، والمفعول السحاب؛ أي وتصريف الرياح السحابَ.

.165

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165)

{أَنْدَادًا}

أمثالاً ونظراء جمع نِدّ (راجع ايه 22 من هذه السورة)، والمراد بها الاصنام والاوثان التي اتخذوها الهة، ورجوْا منها النفع وخافوا الضُّر وقرّبوا لها القربان. وقيل: الرؤساء الذين يطيعونهم طاعةَ الأرباب. وقيل الأعمُّ مما ذكر.

{وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا}

اي ولو يعلم الذين ظلموا أنفسهم بالشّرك شدة عذاب الله وعقوبته حين يعاينون العذاب المُعَد لهم يوم القيامة لوقعوا من الحسرة والندامة فيما لايكادُ يوصف.

.166

إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (166)

{وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ} الأسباب جمع سبب. وهو في الأصل الحبل الذي يُرتَّقى به الشجر و نحوه، ثم سُمِّيَ به كل ما يُتوصَّل به الى غيره، عينا كان أو معنى. والمراد بها هنا: الوشائج التى كانت بين الأتباع والمتبوعين في الدنيا، من القرابات والمودَّات, والاتفاق على الدِّين والاتّباع. وتقطيعها: فصلها فصلاً شديداً والباء في (بهم) للسببية، أي وتقطعت بسبب كفرهم الاسبابُ التي كانوا يرجُون بها النجاة.

.167

وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (167)

{لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً}

لو ثبت أنَّ لنا عودةً ورجعةً إلى الدنيا لتبرأنا منهم كما تبرَّءوا. والكَرَّة: العودة والرجوع. يقال: كَّرَ يَكُر كراً، رجع.

{حسرات}

جمع: حَسْرة، وهي اعلى درجات النّدم والغمّ على ما فات. يقال: حسِرَ يحْسَر حَسَراً وحَسرة، فهو حسير، إذا اشتدت ندامته على أمر فاته، وأصله من الحَسْر بمعنى الكشف أو الاعياء؛ كأنه انحسرت قواه من فَرْط الغَمِّ، او أدركه الإعياء عن تدارك ما فَرَط منه. يُري الله المشركين أعمالهم السيئة يوم القيامة في الصحائف، ويتيقنون الجزاء عليها فيتحسرون ويندمون.

.168

يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (168)

{حَلَالًا طَيِّبًا}

الحَلَال: المباح الذي انحلت عُقدة الحَظْر عنه. من الحَل الذي هو نقيض العَقد. والطَّيبُ: المستلذّ، أو المباحُ الذي لا يتعلق به حق الغير، أو كما قال الإمام مالك: ما يجده فَمُ الشرع لذيذاً لا يَعافه ولا يكرهه، أو تراه عينه طاهراً من دَنَس الشُّبهة. نزلت في الذين حَرّموا على أنفسهم البَحيرة والسائبة ونحوهما.

{خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ}

آثاره وزلاته و طُرُقه التى يحرّم بها الحلال ويحلل الحرام. جمع خطوة كغرفة، وأصلها ما بين القدمين، ثم استعيرت لما ذُكر، وقري بسكون الطاء.

.169

إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (169)

{بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ}

السوء: ما يُكره من الأمور والأحوال. وهو في الأصل مصدر ساءه يسوؤه سوءا ومَساءةً إذا أحزنه. والمراد به هنا كلُّ ما يُغضب الله تعالى من المعاصي، لأنه يسوء صاحبه. والفَحشاءُ والفاحشةُ و الفُحْشُ ما عَظُم قُبْحُه – شرعاً – من الأفعال والأقوال.

.170

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (170)

{أَلْفَيْنَا}

وجدنا.

.171

وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (171)

{يَنْعِقُ} النَّعيقُ: دعاءُ الراعي الشَّاء. يقال: نَعقَ الراعي بالغنم يَنْعِق نعْقاً ونعيقاً ونُعاقا ونَعَقاناً، صاح بها و زجرها.

أي مَثلُ داعي الذين كفروا كَمَثل الناعق بغنمه، في كون الكافر لايفهم مما يخاطبه به داعيه الاّ دَويّ الصوت دون إلقاء فِكْر وذِهن،كما أنَّ البهيمة كذلك. فالكلام على حذف مضاف من الأول.

{بُكْمٌ}

خرس عن النطق بالحق.

.172

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (172)

{كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ}

أي من مستلَذّات ما أحْللناه لكم.

.173

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (173)

{وَالدَّمَ}

اي المسفوح المُهراق، لآية: {أو دماً مَسْفُوحا} [الانعام:145] و هي خاصةٌ، والآية هنا عامَةٌ، والخاصُّ مقدَّم على العام.

{وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ}

المرادُ به جميعُ أجزائه. و عُبِّر عن ذلك باللحم لانه معظمه والمقصودُ بالأكل.

{وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ}

الإهلالُ: رفع الصوت عند رؤية الهلال استعمل لرفع الصّوت مطلقاً؛ ومنه: إهلالُ الصّبي، والإهلالُ بالحجِ. وكانوا في الجاهلية إذا ارادوا ذبح ما قَربوه إلى الهتهم سَمَّوْا عليها اسماءها –

كاللّات والعُزى–ورفعوا بها أصواتهم؛ وسُمّيَ ذلك إهلالاً. ثمَ توسع فيه فقيل لكل ذابحٍ: مُهِلٌّ، سمّى او لم يُسَمّ، جهر بالتَّسميةِ أو لم يَجْهَر. والمراد بما أهِلَّ به لغير الله: ما ذُبح للاصنام ونحوها، و منه مايذبحه المجوسي للنار. ومنهُ عند الجمهور: ذبائح أهل الكتاب إذا ذكروا عليها اسم عُزير او عيسى عليهما السلام لأنها مما اهل به لغير الله. وذهب جماعة من التابعين الى تخصيص الغير بالأصنام، وإلى حِلِّ ذبائح أهل الكتاب مطلقا؛ لعموم قوله تعالى في سورة المائدة وهي آخر السور نزولا: {وطعام الذين أوتُوا الكتاب حل لكم} [المائدة:5] أي ذبائحهم، وهو سبحانه يعلم ما يقولون. وروَى الحسن عن عليّ رضي الله عنه: إذا ذَكر الكتابيُّ اسم غير الله وأنت تسمع فلا تأكل، فإذا غاب عنك فكُلْ، فإن الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم مايقولون. ذكره الرازي والنيسابوري والآلوسي وغيرهم.

وظاهر الآية يقتضى ألا يحرم من المطعومات سوى هذه الأربعة؛ لكنا نعلم أن في الشرع مطعومات أخرى محرمةٌ كلحوم الحمر الأهلية، فتصير كلمة (إنما) متروكة الظاهر في العمل، كما قاله الرَّازي.

{فَمَنِ اضْطُرَّ}

أي فمن أُلْجِئ بإكراه أو جوع مهلك – مع فقد الحلال – إلى اكل شيء من هذه المحرّمات الأربع، التي كانوا في الجاهلية يستحلونها، أو التي اعتقد ألمؤمنون حُرْمتها ولو في حالة الاضطرار فلا اثم عليه في اكلها. من الاضطرار و هو الاحتياج الى الشيء. يقال: اضطره إليه أحوجه وألجأه فاضطُّر. مأخوذ من الاضطرار، وهو حَمْلُ الإنسان على أمر يكرهه، وقَهْرُه عليه بقوّة يناله بدفعها الهلاك. والآية استثناء لحالة الضرورة الملجئة.

{غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ}

غير باغٍ في أكله طالبٍ للمُحرم وهو يجد غيره، او غير طالب له للذَّته، أو على جهة الاستئثار به على مضطر آخر؛ بأن ينفرد بتناوله فيهلك الآخر. من: البُغَاء، وهو الطلب، تقول: بغيْتُه بُغاءً وبُغى، و بُغْية، وبِغْية، طلبته.

{ولا عاد}

فيه، اي متجاوز سَدَّ الجوْعة. اسم فاعل بمعنى مُتَعَدّ؛ تقول: عدَا طَوْرَه، إذا تجاوز حدَّه وتعدّاه إلى غيره، فهو عاد ومنه {بل أنتم قومٌ عادُون} [الشعراء:166]. (غَيرَ) منصوب على الحال من الضمير المستتر في (اضُطُّر) فلم يأكل ولم يشرب ثم مات دخل النار. فجعل الأكل عزيمة لارُخصة.

.174

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (174)

{ثَمَنًا قَلِيلًا}

عوضاً يسيراً.

{وَلَا يُزَكِّيهِمْ}

ولا يطهرهم من دَنَس الكفر والذنوب بالمغفرة. من التزكية بمعنى التطهير [آيه 129 من هذه السورة].

.175

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (175)

{فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ} فما أدومهم على عمل المعاصي التى تُفضي بهم إلى النار. والمراد بالتَّعجب في هذه الآية ونظائرها الإعلامُ، بحالهم، وانه ينبغي ان يتعجّب منها كل أحد.

.176

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (176)

{شِقَاقٍ بَعِيدٍ}

خلاف ونزاع بعيد عن الحق.

.177

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)

{وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ}

البِرُّ: اسم جامع لكل خير، ولكل طاعة وقربة الى الله تعالى. أي ولكنَّ البِرَّ بِرُّ مَن آمن؛ و حذف المضاف على حد: الجودُ حاتم: اي الجودُ جَوْدُ حاتم. أو ولكنّ البر – أي البارّ – من آمن؛ على أنه اسم فاعل من بَرّ يَبِر فهو بَرّ، واصله بَرِر، فلما اريد الإدغام نُقلت كسرة الراء إلى ما قبلها بعد سلب حركتها. وقد اشتملت الآية على خمسة عشرَ نوعاً من أنواع البرّ. وهي ردُّ لما زعمته اليهود من أن البرّ هو مجرد التوجه إلى جهة المغرب، و مازعمته النصارى من أنه مجُرد التوجّه إلى جهة المشرق. أي ليس البر كلُّه فيما زعموا، وإنما فيما بيَّنته هذه الآية.

{وَابْنَ السَّبِيلِ}

هو المسافر المنقطع عن اهله ووطنه؛ الذي قد فرغت نفقته. و سُمِّي ابنَ سبيل لملازمته السبيل؛ اي الطريق في سفره.

{وَفِي الرِّقَابِ}

اي في فكِّ الرقاب وتخليصها من الاسترقاق أو الأسر. أو شراء رقاب و عتقها.

{والصابرين في البأساء والضراء}

البأساءُ ما يصيب الناسَ في الأموال، كالفقر. والضراءُ: ما يصيبهم في الأنفس، كالمرض. مشتقّان من البُؤس والضُّر، وألفهما للتأنيث. يقال: بَئِس يَبْأَس بُؤساً وبأْساً، اشتدَّت حاجته. وضَرَّه وأضره وضارَّه ضُرًّاً وضَرًّا، ضد نَفع.

(والصَّابِرِينَ) منصوب على المدح بتقدير أخُصُّ، و غَيّرَ سبكه عما قبله تنبيهاً على فضيلة الصبر ومزيَّته على سائر الأعمال حتى كأنه ليس من جنس ما قبله. وهذا الضرب من الاسلوب يُسمّى القطع، وهو أبلغ من الإتباع.

{وَحِينَ الْبَأْسِ}

إي ووقت القتال في سبيل الله. يقال: بَؤُسَ يبؤُس بأساً فهو بئيس؛ أي شديد شجاع. وهو ظرف منصوب بالصابرين.

.178

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (178)

{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ}

أي فُرِض عليكم. من الكَتْب، وهو في الاصل

ضَمُّ ادام بالاديم بالخياطة، وتُعُورف في ضَمِّ الحروف بعضها إلى بعض بالخط؛ وأطلق على المضموم في اللفظ وإن لم يكتب بالخط، ومنه الكتابة. ويُطلق الكَتب والكتاب والكتابة على الإيجاب والفَرْض: لأن الشأن فيما يُوجب ويُفرَض ان يراد ثم يقال ثم يكتب؛ ومنه {كَتَبَ الله عليكم الصيام} [البقره:183]، ومنه {كَتَبَ الله عليهم الجَلَاء} [الحشر:3].

{الْقِصَاصُ} :تتبعُّ الدّم بالقود. وأصله من القَص، وهو تتبُّع الاثر. يقال قص أَثَرَه أي تتبعه. ومنه القِصة والقصَص، لما فيهما من التتُّبع.

{فَمَنْ عُفِيَ لَهُ ..... }

أي فالقاتل عمداً إذا عُفِيَ له عن جنايته من جهة اخيه ولِيِّ الدَّم، بأن صَفَحَ عنه من القصاص الواجب عليه، ورضيَ منه، بالدِّيةِ بدل الدم؛ فالواجب اتباع ولِيِّ الدم له بالمعروف بألا ياخذ منه اكثر من حقه ولا يُرهقه، وأداءُ القاتل إليه الدية أداء حسناً لا مَطلَ فيه ولابَخْس.

{ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ}

ففي شرع العفو تسهيل على القاتل، وفي شرع الدية نفعٌ لأولياء المقتول. وقد كتب على اليهود: القصاصُ وحدهُ وحُرِّم عليهم أخذ الدِّية والعفو. وكتب على النصارى: العفو، وحُرِّم عليهم الدية والقصاص. فخيَّر الله هذه الأمة بين القصاص والعفو وأخذ الدية؛ توسعةً عليهم، وتيسيراً وتفضيلاً لهم على غيرهم.

.179

وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (179)

{وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ}

أي لكم في تشريع القصاص في القتل العَمْد بقاءٌ فإن من هَمَّ بالقتل إذا علم أنه إذا قَتل اقتُصَّ منه ارتدع و انكفَّ، فسَلم هو وسَلِمَ صاحبه من القتل. ومَن قَتَلَ إنساناً واقتُصَّ منه، ارتدعَ غيرُه ممن كانَ يَهُمُ بالقتل؛ فسَلمَ الناسُ من يده. ولولا هذا التشريع الحكيم العادل لفشا القتلُ بين الناس فُشُوَّ صغائر الذنوب، وهانَ أمرُ الدماء على الناس.

.180

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (180)

{إِنْ تَرَكَ خَيْرًا}

أي مالاً يُعَدّ كثيراً في العرف.

{الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ}

فُرض الإيصاء في بدء الإسلام للوالدَيْن والأقربين – وارثين، أو غير وارثين – على من حضره الموت وله مال. ثم نُسخ بآية المواريث، و بحديث: (لاوصية لوارث) رواه ابو داؤد والترمذي، وهو مذهب جمهور الأئمة وذهب ابن عباس إلى أن المنسوخ وجوبُ الوصية للوارثين منهم، وبقي في حق من لايرثُ منهم. وهو قول الحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومُسلم بن يَسَار والعلاء بن زياد.

.181

فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (181)

.182

فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (182)

{جَنَفًا} الجَنَف: المَيْل والجور. يقال: جَنِف في وصيّته وأجنف، مالَ وجارَ، فهو جَنِف وأجنف. وقيل: أجنف مختصٌّ بالوصية، وجَنَف في مطلق الميل عن الحق. ويقال:

جَنِف وجَنَف عن طريقه جَنَفاً وجُنُوفاً.

{إِثْمًا} والإثمُ: عَمَلُ ما لا يَحل. يقال: أثِمَ يأْثَمُ فهوَ آثم وأثيم. والمراد بالجَنَف هنا: الميلُ عن الحق في الوصية خطأ، بقرينة مُقابلته بالإثم وهو الميل عن الحق فيها عمداً.

.183

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183)

{مِنْ قَبْلِكُمْ ... }

من لدُن آدم إلى عهدكم، والمماثلة في أصل الوجوب، فما أخْلى الله امة من فَرْضه عليها.

.184

أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (184)

{وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ}

ذهب اكثر المفسرين والفقهاء إلى ان هذه الاية منسوخة، ففي الصحيحين عن سَلمة بن الاكْوَع قال: لما نزلت هذه الايةُ كان من شاء منّا صام ومن شاء أفطر ويَفتدِي، حتى نزلت الآية بعدها فنسختها: {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}

اي انها نسخت هذا التخيير. وذهب ابن عباس إلى أنها مُحكمةٌ غير منسوخة – كما رواه البخاري و أبو داود وغيرهما – وانها نزلت في الشيخ الكبير الهرِم والعجوز الكبيرة الهرِمة، اللذَيْن لا يستطيعان الصوم، فعليهما إطعام مسكين عن كل يوم. وذهب اخرون إلى أنها غير مَنسوخة، وأن المعنى: وعلى الذين يصومونه مع الشدة والمشقة إذا أفطروا فَديةٌ؛ فتشمل الآية من ذُكر، والمرضعَ والحامل إذا خافتا على أنفسهما أو ولديهما، و من في حكمهما. بناء على أن الوسع اسمٌ للقدرة على الشيء على جهة السهولة، والطاقة اسمٌ للقدرة عليه مع الشدة والمشقة، وعلى أنه ممن أطاق الفعلَ إذا بلغَ غاية طوقه فيه. ولا تقول العرب: اطاق الشئ إلا إذا كانت قدرته عليه في غاية الضعف بحيث يتحمل به مشقّة شديدة. قال الراغب: (الطاقةُ اسم لمقدار ما يمكن للإنسان أن يفعله بمشقة، وذلك تشبيه بالطّوْق المحيط بالشيء، ومنه: {ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به} [أخر سورة البقرة] أي ما يصعب علينا مزاولته؛ وليس معناه: لا تحملنا مالا قدرة لنا به. وفي اللغة: الطاقةُ أقصى الغاية، وهي اسم لمقدار ما يمكن ان يفعله الانسان بمشقة. والطاقة اسم يوضع موضع المصدر، وهو الاطاقة، كالطاعة. وقيل يجوز ان تكون الهمزة في أطاق للسَّلب، كأنه سلب طاقته بأن كلف نفسه المجهود، فسلبَ طاقته وقدرته عند تمامه.

{تَطَوَّعَ خَيْرًا}

زاد في الفدية.

.185

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185)

{الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ}

أي أبتُديءَ فيه انزاله – قاله ابن إسحق – وكان ذلك ليلة القدر؛ ويدل عليه قوله تعالى: {إن أنزلناه في ليلة القدر} وهي الليلة المباركة، كما قال تعالى: {انا آنزلناه في ليلة مباركة} [الدخان:3]. وقيل: انزل في فضله او في إيجاب صومه القرانُ.

{وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ}

لتحمدوا الله وتثنوا عليه.

.186

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)

{أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ .... }

أقبل عبادة مَن عبدني. فالدعاءُ: العبادةُ، والإجابةُ: القبول. وقيل: الدعاءُ الابتهالُ إليه تعالى، وفي الحديث: (ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثمٌ ولا قطيعة رَحِم إلا أعطاه الله تبارك وتعالى إحدى ثلاث: إمّا أن يُعَجِّل له دعوته، وإما أن يدَّخرها له في الاخرى، و اما أن يَكُفَّ عنه من السوء مثلها) [رواه احمد والحاكم].

{لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}

ليكونوا على رجاء من إصابة الرُّشد، وهو الاستقامة على طريق الحق مع تَصَلُّب فيه. يقال: رَشَدَ ورَشِد، يَرْشُد رُشْداً ورَشداً؛ اهتدى.

.187

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187)

{الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ}

الافضاء إليهن؛ اي مباشرتهن. والرّفَثُ في الاصل: الفُحشُ من القول، وكلام النساء حين الجماع، كنّي به عن المباشرة للزومه لها غالباً. يقال: رفثَ في كلامه – كنصر وفرح وكرُم –وأرفث، إذا أفحش فيه: وقيل: أفحش في شأن النساء، وحلُّ الرَّفث في ليالي الصيام رخصةٌ ورفعٌ لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام؛ فانه كان إذا أفطر

أحدهم إنما يحل له الطعام والشراب والنساء إلى أن يصلى العشاء أو ينام قبلها، فإذا صلى العشاء أو نام قبلها حَرُم عليه ذلك إلى الليلة القابلة، فوجدوا في ذلك مشقة عظيمة؛ فنزلت هذه الآية.

{هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ}

سكن أو ستر لكم عن الحرام.

{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا}

أباح الله الاكل والشرب مع ماسلف من اباحة الجماع في الليل.

{تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا}

اي محارمه و مَناهيه فلا تقربوها، او أحكامه المتضمنة لما نهاكم عنه، فلا تقربوا ما نُهيتم عنه. {حُدُودُ اللَّهِ} مُنهياته ومحرماته.

.188

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (188)

{بِالْبَاطِلِ}

الباطلُ: الذاهب الزائل. يقال: بَطَل بُطلاً وبُطلاناً وبُطولاً، ذهبَ ضياعاً وخُسراً. والمراد به هنا؛ كل ما لم يبح الشرع أخذه من المال وإن طابت به النفس؛ كالرّبا والميسر، وثمن الخمر والرشوة، وشهادة الزور واليمين الكاذبة، والغِشّ والخيانة، والسرقة والغصْب، ونحو ذلك؛ والباء للسَّبَبِية. والجار والمجرور متعلق بالفعل قبله؛ أي لا يأخذ بعضكم مال بعض بالسبب الباطل.

{وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ}

اي تُلقُوا. يقال: ادْليتُ دلوي في البئر، إذا أرسلتها للاستقاء. ثم جُعل كلُّ إلقاء قول أو فعل إدْلاء؛ ومنه: أدْلَى بحجّته. والمعنى: ولا تلقوا بأمور تلك الأموال التى فيها الخصومة إلى الحكام. أي لاتسرعوا بالخصومة الى الحُكام ليعينوكم على إبطال حقٍ او تحقيق باطل.

.189

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (189)

{وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا}

كانوا في الجاهلية إذا أحرموا أتُوا البيت من ظهره، و كانوا يتحرّجون من الدخول من الباب؛ فانزل الله هذه الآية مبيّناً لهم أن ذلك ليس ببِر، ولكن البر برُّ من اتَّقى المحارم والشهوات.

.190

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (190)

هذه أوّلُ آيةٍ نزلت في القتال بالمدينة. رُوِيَ عن ابن عباس: أن المشركين لمّا صَدُّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيت عام الحُدَيْبية، وصالحوه على أن يرجع عامه المقبل للعُمْرَة: تجهّز – صلى الله عليه وسلم –وأصحابُه لعمرة ألقضاء في ذي القَعدة من السنة السابعة، ولكنّ أصحابَه خافوا ألا تَفيَ لهم قريش بالعهد وتقاتلهم. وكَره المسلمون قتالَهم في الحَرم وفي الشهر الحرام؛ فأنزل الله هذه الآية بياناً لكيفيّة المقاتلة إن احتاجوا إليها. أي قاتلوا في طاعة الله تعالى الذين يناجزونكم فيهما القتال بالفعل، ولا تعتدُوا بالْبدء به، وكان هذا في الابتداء، ثم أمر بقتال المشركين كافة بدءوا أو لم يبدءوا. أو قاتِلوا في سبيل الله الذين أعدّوا أنفسهم للقتال فيهما وتهيّئوا له، ولا تعتدُوا بقتال من لم يُعِد نفسه له: كالصبيان والنساء والعجزة، ونحوهم. او لا يكن منكم اعتداءٌ بالقتال بوجه من الوجوه.

.191

وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (191)

{وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ}

أي اقتلوا هؤلاء الذين أُذنتم بقتالهم دون اعتداء منكم؛ حيث وجدتموهم وظفرتم بهم، في حلٍّ أو حَرَم، او شهر حلال او حرام، وبالغوا في تخويفهم، وتشديد الأمر عليهم؛ حتى يُضطرَوا إلى الخروج من مكة، كما فعلوا معكم مثل ذلك. يقال: ثَقِف الرجل، كسمِع ه– ظَفِر به ; وثَقِفته صادفته.

{وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ}

أي و لا تستعظموا قتالهم في الحَرَم والأشهر الحرُم إذا بدءوا به، او إذا تهيئوا له؛ فإنَّ شركهم في الحَرَم أشدُّ قبحاً من القتل، او فإنَّ فتنتهم للمؤمنين بالتخويف والإيذاء والإلجاء إلى مفارقة الأهل والوطن أصعبُ من القتل. وأصلُ الفتنة: عَرْضُ

الذهب على النار؛ لاستخلاصه – من الغِش، ثم استعملت في الشِّركِ وفي الابتلاء بما ذُكر: ورُوىَ أن بعض الصحابة قَتل في سَرِية رجلاً من المشركين في شهر حرام؛ فعابه المؤمنون، وقيل: عابه المشركون فسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم سؤال تبْكيت؛ فنزلت الاية: {ولا تقاتلوهم عند المسجدِ الحَرَامِ} أي الحَرَم. نُهي المؤمنون عن القتال في هذا الموطن الشريف؛ إلا إذا بدأهم المشركون به، و هتكوا حرمته؛ فيكون قتالهم فيه عندَئذٍ، اضطرارياً. والآيةُ مُحكَمَةٌ غيرُ منسوخة. وهي تخصيصٌ لقوله تعالى: {وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ} بالنسبة للمكان.

.192

فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (192)

.193

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (193)

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ}

أي وقاتلوا المشركين قاصدين إزالَة الفتنة، وإعلاءَ الإسلام، حتى يَضمحِل الشرك، ويكون الدين لله خالصاً.

.194

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (194)

{الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ} بيانٌ للحكمة في اباحة القتال في الاشهر الحُرُم. وقد وقع من المشركين يومَ الحُدَيْبية قتال خفيفٌ بالرَّمي بالسّهام والحجارة: اي هذا الشهرُ الحرام الذي تؤدُّون فيه عُمْرة القضاء بذلك الشهر الذي قُوتلم فيه قتالاً خفيفاً، فإذ بدءوا بانتهاك حُرْمته بالقتال فيه، فلا تبالوا أن تُقاتلوهم فيه لابتدائهم بهتك حُرْمته. أو فلمّا لم تمنع حُرْمتُه المشركين من الشرك والأفعال القبيحة، فكيف تمنع المؤمنين من قتالهم، دفعاً لشرورهم، وإصلاحاً لفسادهم.

{وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ}

جمعُ حُرْمة، وهي ما مُنِع من انتهاكه. والقصاص: المساواة. اي وكل حُرمة يجري فيها القصاص. فمن هتَك أية حُرمة اقْتُص منه بأن تهتك له حُرمة. والمراد: أنهم إذا أقدموا على مقاتلتكم في الحَرَم والشهر الحرام والإحرام، فقاتلوهم انتم ايضا علي سبيل القصاص. ثُم أكّد ذلك بقوله: {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}.

.195

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (195)

{وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} التَهلُكة: الهلاك و الموت. او كلُّ شيء تصير عاقبته إليه. مصْدَر هَلَك يَهْلِك هُلْكاً وهلاكاً وتهلكة. والايْدِي كناية عن الانفس؛ أي ولاتُلقوا أنفسَكم، فيما فيه هلاككم؛ في دِين أُو دنيا؛ بترك الجهاد والامساك عن الانفاق فيه، مع القدرة على ذلك.

.196

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (196)

{أُحْصِرْتُمْ}

منعتم بعد الإحرام من الوصول إلى البيت؛ بسبب: عدو أو مرض، أو نحوهما. أو بسبب العدوّ فقط. من الإحصار، وهو الحبس والتضييق.

{فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ}

أي عليكم إذا أردتم التَّحَلُّل من الاحرام ذَبحُ ما تيسرَّ لكم من الهَدْي؛ وهو ما يُهدى إلى البيت، من بَدَنة أو بقرة أو شاة. مصدرٌ بمعنى المفعول اي المهدي.

{وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّه} أي ولا تتحلّلَوا بالحَلْق حتي تعلموا أن الهَدْي المبعوث قد بلغ مكانه الذي يجب أن يُراق فيه دمُه، وهو الحرام، لقوله تعالى: {ثم محلها إلى البيت العتيق} [الحج:33]، و قوله: {هدياً بالغ الكعبة} [المائدة:95] وإليه ذهب أبو حنيفة. أو لا تحِلُّوا حتى يبلغ الهَدْي محِله؛ أي يُذبح في موضع الاحصار، حِلّاً كان أو حرما؛ وإليه ذهب جمهور الأئمة. ويُستفاد حكم غير المحصر من الآية بدلالة النص، كما ذكره الالوسي.

{فَفِدْيَةٌ}

فعليه إذا حلق فدية.

{نُسُكٍ}

ذبيحة، واقلها شاة، وأصل النُسُك: سبائِكُ الفضّة التى خَلَصت من الخبث، وكلُّ سبيكة منها نسيكة. ومنه قيل للمتعبد: ناسكٌ؛ لأنه خلص نفسه لله تعالى من دنس الآثام. كالسَّبيكة المخلصة من الخبث. ثم قيل للذبيحة: نُسُك ونسيكة؛ لأنها من أشرف العبادات والقُرُبات.

{فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ}

اي فعليه ما تيسرله من الهدي بسبب التَمتُّع،

{ذَلِكَ}

اي التّمَتُّع او الحُكم المذكور، اي لزوم الهَدْي او بدله على المتمتّع.

{حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}

حاضرو المسجد الحرام: هم أهلُ مكة وأهل الحِلِ الذين منازلهم داخل المواقيت. أو هم أهل مكة خاصّةً. أو هم أهل مكة ومن كان بينه وبين مكة مسافة لا تقصر فيها الصلاة، وإلى الأول ذهب الحنفيّة، وإلى الثاني المالكية، وإلى الثالث أحمد والشافعي رحمها الله، وتفصيل الأدلة في الفروع.

.197

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ (197)

{فَرَضَ}

الزم نفسه بالاحرام.

{فَلَا رَفَثَ}

الرّفَثُ: الجماع أو الكلام المتضمن لما يُستقبَحُ ذكره؛ من ذِكر الجماع ودواعيه. أو هو الفُحش والخَنَا والقول القبيح. أو هو التعريض للنساء بالفحش من الكلام.

{ولا فُسُوق}

لاخروج عن طاعة الله تعالى بارتكاب العاصي ومنها السباب. وفعل محظورات الاحرام.

{وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى}

تزودوا ماتتبلغون به في سفركم، وتكفون به وجوهكم عن الناس. أو تزوّدُوا لمعادكم بالتقوى؛ فانها خير زاد في الاخرة.

.198

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (198)

{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ}

كانت عُكاظُ و مَجَنَّة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية، فتأثموا أن يتّجروا فيها في الموسِم؛ فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية. اي ليس عليكم حرَج أن تبتغوا رزقاً من ربكم بالتجارة في مواسم الحج. وسئل: عمر – رضي الله عنه–: هل كنتم تتجرون في الحج؟ فقال و هل كانت معايشهم الا في الحج.

{فضلاً}

رزقا بالتجارة والاكتساب في الحج.

{أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ}

دفعتم أنفسكم بكثرةٍ للخروج منها إلى مُزْدَلِفة. من الإفاضة، وهي دفعٌ بكثرة؛ تشبيها بفيض الماء الكثير. يقال: أفضت الماء إذا صببته بكثرةٍ، وعرفاتٌ: جَمْعٌ سُمِّيت به البقعة المعروفة، كأذرعات.

{الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ}

هو مُزْدَلِفة. أو جبلُ قُزَح. وسُمِّي مشعرًا من الشِّعار وهو العلامة؛ لأنه من معالم الحج. ووصف بالحرام لحرمته. و قال ابن كثير: وانما سُمْيت المزدلفة بالمشعر الحرام لأنها داخل الحَرَم.

.199

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (199)

.200

فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (200)

{مَنَاسِكَكُمْ}

عباداتكم الحجية.

{مِنْ خَلَاقٍ}

من نصيبٍ وحظ من الخير، بوزن سحاب.

.201

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (201)

{فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً}

النعمة والعافية والتوفيق. {وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً}

الرحمة والإحسان والنجاة.

.202

أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (202)

.203

وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (203)

{فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ}

هي أيام التشريق الثلاثة التالية ليوم النَّحر.

.204

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (204)

{أَلَدُّ الْخِصَامِ}

شديد الخصومة في الباطل. صفة مشبَّهة كأحمر، وتجمع على لُدْ. وأصل الألد الشديدُ اللَّديدِ –

أي الشديد صفحة العنق–وهوالذي لايمكن صرفه عما يريد؛ واستعمل في الخصم الشديد التَّأبي. والخصامُ: مصدرُ

خاصم. أو جمع خَصْم؛ أي أشدّ الخصوم خصومةً.

.205

وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (205)

{الْحَرْثَ}

الزرع.

.206

وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (206)

{أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ}

العزة في الأصل خلافُ الذل؛ وأريد بها الأنَفة والحَمِيّة مجازاً. أي حملتهُ الأنَفَة وحميّةُ الجاهلية على فعل الإثم الذي

أمِر باجتنابه. تقول: أخذته بكذا، إذا حملته عليه وألزمته إيّاه. والباءُ للتّعدية.

{فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ}

كافيه جهنّمُ جزاءً. والمِهاد: الفِراش. وأصله ما يُوَطَّأ للصبيّ لينام عليه. والاية نزلت في الأَخنَس

ابن شَرِيق، وكان منافقا. وعن ابن مسعود: انّ من اكبر الذنب عند الله أن يقال للعبد اتقِ الله؛ فيقول: عليك

بنفسك!؟ وروي أنه قيل لعمر: اتق الله؛ فوضع خدّه على الارض؛ تواضعا لله عزّ وجلّ.

.207

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (207)

{يَشْرِي نَفْسَهُ}

اي يبيعها ويبذلها لمرضاة الله تعالى كالجهاد والامر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

.208

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (208)

{ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً} أمرَ الله المؤمنين أن يعملوا بجميع أحكام الإسلام وشرائعه، ويحافظوا على فرائضه وإقامة

حدوده. والسِّلْم – بكسر السين و فتحها و سكون اللام –: الإسلامُ وما فيه من الاستسلام والانقياد لله تعالى. و

(كافة) اي جميعاً –حال من (السلم) – من الكف بمعنى المنع، واستُعمل بمعنى الجملة والجميع؛ بعلاقة أنها مانعةٌ للأجزاء من التفرّق.

{خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ}

آثاره وطرائقه التي يزيّن لكم بها المعاصي. جمع خُطوه–بالضم–وأصلها ما بين قدمي الماشي.

.209

فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (209)

{زَلَلْتُمْ}

ملتم وضللتم عن الحق.

{عَزِيزٌ حَكِيمٌ}

عزيزٌ في انتقامه لايفوته هارب ولا يغلبه غالب، حكيمٌ في أحكامه و نقضه وإبرامه.

.210

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (210)

{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ}

أي ما ينتظر أولئك الذين أبَوُا الدخولَ في الإسلام من بعد ما جاءتهم البينات، إلا أن يأتيهم الله يوم القيامة في ظُلَل من الغمام للحساب والجزاء. وإتيانُه تعالى إنما هو بالمعنى اللائق به سبحانه مع تنزيهه عن مشابهة المحدَثات، وتفويضِ علم كيفيته إليه تعالى؛ كما ذهب إليه السلف

في آيات الصفات وأحاديثها. وقد بيناه في المسألة الرابعة من المقدمة، وفي تفسير قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا ... } [البقرة:26].وقوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ} [البقرة 29].ومذهب جمهور المتكلمين أن ظواهر هذه الآيات غيرُ مرادة بالإجماع؛ لاستحالتها عليه تعالى، إذ صفاتُه مغايرةٌ لصفات خلقه، كما أنَّ ذاته مغايرةٌ لذواتهم، فوجب تأويلها على سبيل التفصيل، فَيحْملُ الإتيان على الإتيان بأمره أو بأسه، كما قال تعالى: {أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ... } [النحل: 33]، {فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا .. } [الانعام: 43].

{فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ}

جمع ظُلّة – كغرفة–وهي ما يُظِلّك. والغَمامُ: السحاب الأبيض الرقيق؛ جمع غمامة. ولا يكون ظلة الا حيث يكون متراكباً. أي يأتيهم الله في ظُلل كائنة من الغمام؛ أي في قطع متفرقة منه. كلُ قطعة منها في غاية الكثافة والعِظَم.

وقيل: إن (في)، بمعنى الباء؛ أي يأتيهم الله بظلل من الغمام، أي بالعذاب الذي ياتيهم في الغمام مع الملائكة.

.211

سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (211)

{سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ}

سؤال تقريع و توبيخ. و هو تهديدٌ لليهود بالعقاب الشديد إذا سلكوا مسلك أسلافهم في جحود الآيات البينات.

.212

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (212)

{يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}

أي بغير حساب من المرزوق. أو بلا حَصر وعدٍّ لما يعطيه. أو أنه لا يخاف نفاد ما في خزائنه حتى يحتاج الى حساب لما يخرج منها. أو يُعطي للمتقين في الآخرة ما يشاء بغير محاسبة منه لهم على ما منَّ به عليهم.

.213

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (213)

{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً}

كان الناس جميعاً على شريعة من الحق ثم اختلفوا؛ فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين، و انزل معهم الكِتابَ بشرائعه ليحكم بين الناس بالحق فيما اختلفوا فيه. ولم يختلف أهل التوراة والانجيل الا من بعد ما جاءتهم البيناتُ؛ فكان اختلافهم ضلالاً بغيا و حسداً، ولكن الله تعالى هدى الذين آمنوا للحق بإرادته. فكانت هذه الأمة خيرَ الأمم.

{بَغْيًا بَيْنَهُمْ}

حسداً وحرصاً على الدنيا، أو ظلماً و مجاوزة للحدّ. يقال: بغى عليه

استطال؛ و بابه رَمَى. وكلُّ مجاوزة وإفراط على المقدار الذي هو حدّ الشيء: بغْي.

.214

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (214)

{مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا}

حال الذين مضوا من المؤمنين.

{مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ}

[آيه 177 من هذه السورة] والجملة بيان للمَثل.

{وَزُلْزِلُوا}

أُزعجوا ازعاجا شديداً بالبلايا.

.215

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (215)

{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ}

نزلت في عَمرو بن الجَموح، وكان كثير المال فقال: يارسول الله، بماذا نتصدق؟ وعلى من نُنفق؟ فبين الله فيها من ينفق عليه.

.216

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (216)

{كُرْهٌ لَكُمْ}

مكروه لكم طبعاً.

.217

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (217)

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ}

بعث الرسول صلّى الله عليه وسلم عبدالله بن جَحْش الاسدي في سَرِيّة لاستطلاع أخبار قريش ولم يأمرهم بقتال، فقتلوا أحد المشركين، وقد أهَلَّ رجبُ و كانوا لا يعلمون بإهلاله؛ فتحدث المسلمون في ذلك، وسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم: هل يحل لهم القتال فيه؟ فنزلت. وقيل: السائلون هم المشركون، وقد قالوا: ان محمداً وأصحابَه استحلّوا الدماء في الشهر الحرام.

{قُلْ قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ}

أي عظيم مستنكر. وفيه تقريرٌ لحُرْمة القتال في الشهر الحرام. والجمهور على أن هذا الحكم منسوخ، وأنه لا حرج في قتالهم في الاشهر الحُرُم، قاتَلُوا أو لم يقاتلوا –بقوله تعالى: {فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة:5]، فإن المراد بالاشهر الحرم هي: أشهر العهد الاربعة التي أُبيح للمشركين السّياحة فيها، لا الأشهر الحرم الأربعة المعروفة؛ فالتقييد بها يفيد ان قتلهم بعد انسلاخها مأمورٌ به في جميع الأزمنة والأمكنة. وذهب عطاء بن ابي رَبَاح إلى انه لا يحلّ القتال في الحَرَم ولا في الاشهر الحُرُم إلا أن يقاتلهم المشركون فيهما؛ فلم يجز القتال فيهما إلا دفاعاً. قال الالوسى:

والأمة اليوم على خلافه في سائر الأمصار.

{وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ}

أي و صَرْفُهم المسلمين عن كل ما يوصل إلى طاعة الله تعالى وعن المسجد الحرام، وشركُهم بالله في بيته وحَرَمه، وإخراجُهم أهله منه، أعظم وزراً عند الله من القتال في الشهر لحرام؛ فإن كنتم قتلتموهم في الشهر الحرام فقد انتهكوا حرمةً أعظم وأفظع.

{وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ}

اي والشركُ أو امتحان المسلمين بأنواع التعذيب والاذى و البلايا لصرفهم عن دينهم اعظمُ وزراً من القتل، لان الفتنة عن الدِّين تُفضي الى القتل الكثير في الدنيا، وإلى استحقاق العذاب الدائم في الآخرة.

{حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ}

بَطلت أعمالهم من قولهم حبطت الدابة تحْبَط حَبَطا وحبُوطاً، إذا أصابت مرعى طيباً، فأفرطَت في الأكل حتى انتفخت فماتت.

.218

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (218)

.219

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (219)

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ}

سأل بعض الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: أفتنا في الخمر المَيْسِر، فإنهما مذهبة للعقل، مَسلبة للمال. فنزلت هذه الاية؛ فتركها قوم وشربها آخرون. ثم صلى أحد الصحابة المغرب إماماً؛ فلم يُحسن القراءة لسُكْره، فنزل: {لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} [النساء:43]، فحرمت تحريماً باتاً في

الصلاة. ثم اجتمع بعض الصحابة يوماً في دار عِتبان بن مالك، فلما سَكِروا افتخروا وتناشدوا أشعار الهجاء و تضاربوا؛ فشكا بعضهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اللهمّ بين لنا في الخمر بياناً شافيا، فنزل: {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ–الى قوله–فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} [المائدة:90]. فقال عمر: انتهينا، انتهينا. وَحَرُمت الخمر بهذه الاية تحريماً مؤبّداً . وللتّدَرُّج في التحريم حكمة بالغة؛ فإنهم وقد الفوا الخمر لو مُنعوا منها دفعة واحدة لشقّ الأمر عليهم. فكان في التدريج في التحريم رِفقٌ عظيمٌ. والخمره: اسم لكل ما خامر العقلَ؛ اي خالطه، أو ستره وغطّاه، سواء اتُخذَ من العنب أو من غيره، وفي الاحاديث الصحيحة: (كل مُسكر خمرٌ) [رواه مسلم] (وما أسكر منه الفَرَق فملءُ الكفِ منه حرام) [متفق عليه]، الفرق–بالتحريك–:مكيال يسع ستة عشر رطلاً. ولَعَن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم (عاصرَها ومعتصِرَها، و شاربَها و ساقيها، وحامِلَها والمحمولة إليه، وبائِعَها والمبتاعة إليه، وواهبَها وآكلَ ثمنها) [أخرجه الترمذي].

والخمر: يؤنث ويُذكّر.

{وَالْمَيْسِرِ}

القِمار؛ مصدر ميمي من يَسَر؛كالمَوْعِد من وَعد. . مشتق من اليَسَر؛ لانه كسب المال بسهولة. وأصله: قمارُ العرب بالأزلام والأقلام؛، وفي حُكمه كلُّ شيء فيه خطرٌ؛ أي رهان.

{وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ}

سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم حين حثهم على الصدقة ماذا ينفقون؟ فقال تعالى:

{قُلِ الْعَفْوَ}

أي أنفِقوا العَفْو، وهو ما يفضُل عن الأهل و يزيد عن الحاجة. وهذا القدر هو الذي يتيسّر اخراجُه ويسهُل بذله، ولا يَجْهَد صاحبَه، وقد: بُين بآية الزكاة، وأصل العَفو

نقيضُ الجهد؛ ولذا يقال: للأرض الممهَّدة السهلة الوطء: عَفُوٌ.

.220

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (220)

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى}

لمّا نزل قوله تعالى: {ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن} [الانعام:152] وقوله تعالى: {إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ... } [النساء:152]، انطلق من كان عنده مالٌ ليتيم يَعزِل طعامه من طعامه، و شرابَه من شرابه، ويحبس له ما يفضُل من طعامه؛ حتى يأكلَه أو يفسُد، فاشتد ذلك عليهم، فسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية.

{إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ}

أي مداخلتُهم مداخلةً يترتب عليها إصلاحُهم في أنفسهم بتقويمهم و تهذيبهم، وفي اموالهم بالرعاية والاستثمار – خيرٌ لهم و للقائمين بأمورهم من مجانبتهم.

{وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ}

أي وإن تخالطوهم في المعيشة والمصاهرة تؤدُّوا اللائق بكم؛ لانهم إخوانكم في الدِّين، وقد تكون لهم مع ذلك اخوّةٌ في النسب، أو قرابةٌ في العشيرة.

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ}

العَنَتُ: الشدةُ والمشقة. يقال: أعنته في كذا يُعْنتُه إعناتا، إذا أجهده وألزمه ما يشق عليه. أي ولو شاء الله لضييق عليكم، وأحرجَكم بتحريم المخالطة لهم ولكنه وسع وخفف عنكم، فأباح لكم مخالطتهم بالتي هي احسن.

.221

وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (221)

{وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ}

حرّم الله في هذه الاية نكاحَ المشركات، وهنَّ الوثنيّات والمجوسيّات. وأحلّ نكاح الكتابيّات بقوله تعالى في آية المائدة: {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ .. } [المائده:5]. وقيل: المرادُ بالمشركات غيرُ المؤمنات، فيحرمُ نكاحهنّ ولو كنّ كتابيّات. و قد نُسخ الحُكم أو خصص في حق الكتابيات خاصّةً، فأُجيز نكاحهن وإن كان مع الكراهة. وحرّم الله زواج الكفار مطلقا بالمؤمنات ولو كانوا كتابيّين.

.222

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (222)

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ}

المَحِيضُ: الحَيْض مصدرُ حاضت المرأة تحيض حيضاً ومَحيضاً ومَحَاضاً وأصله السّيَلان. يقال: حاض الوادي إذا سال، ومنه الحوضُ لسيلان الماء

إليه. وقيل: المحيضُ هنا اسم مكان.

{هُوَ أَذًى}

أي قَذَر أو موضع قَذَر. يقال: أذِيَ الشيء يأذى اذِّي، اي قذِر. ويطلق الاذى على الضرر. والحيضُ: ضَرَرٌ شرعاً وطِبا.

{فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ}

أي في زمن الحيض. أو في مكانه، وهو الفرج؛ فلا تواقعهنَّ فيه.

{فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ}

أي في المكان الذي أمركم الله باجتنابه لعارض الاذى، وهو الفرج، ولا تعدَّوه إلى غيره. و (مِن) بمعنى في.

.223

نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (223)

{نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ ..... }

الحرث في الأصل: إلقاءُ البَذْر في الارض، أو هو الزرع. والمرادُ: أنهنَّ مواضعُ حرث؛ اي هن مَزْرعٌ، لكم و مَنبِت للولد اعدهنّ الله لذلك، فأتوهن إذا تطهّرن من الحيض في موضع الحرث كيف شئتم: قائماتٍ قاعداتٍ مستلقيات مادام ذلك في صِمام واحد وهو الفرج. وفي الآية دليل على تحريم إتيانهن في ادبارهن.

.224

وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (224)

{وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً}

لا تجعلوا الله حاجزاً–للأجل حلفكم به–عن البر والتقوى والإصلاح بين الناس. وكان أحدهم يُدْعَى إلى بِرٍّ فيقول: حلفت ألا أفعله؛ فيعتَلُّ بيمينه في تركه. والعُرْضة: كلُّ ما يعترض الشيء فيمنع منه. يقال: عرض العودَ على الاناء إذا كان معترِضاً دونه وحاجزا ومانعاً منه. وفلانٌ عرضةٌ دون الخير، اي حاجز عنه. و اللام في {لِأَيْمَانِكُمْ} للتعليل.

{أَنْ تَبَرُّوا}

, أي عرضة لأن تَبَرَوا، بمعنى مانع من البر.

.225

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (225)

{بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ}

لغْوُ اليمين: أن يحلف علي شيء يرى أنه صادقٌ فيه ثم يتبين له خلاف ذلك. أي لا يعاقبكم بلَغْوا اليمين في الدنيا بالكفارة ولا في الآخرة بالعقوبة. وقيل: هو الذي يجري على اللسان بلا قصد، كقولك لاوالله وبلى والله. ولا كفارة فيه.

{وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ}

أي ولكن يؤاخذكم بالعقوبة في الآخرة بما تعمّدتم فيه الكذب. وهو أن يحلف أحدُكم على شيء ماضٍ كذبا؛ ويسمَّى اليمينَ الغَمُوس ولا كفارة فيها. او ولكن يؤاخذكم بوجوب الكفارة فيها؛ والأول مذهب جمهور الأئمة، والثاني مذهب الشافعية.

.226

لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (226)

{لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ}

الإيلاء: الحَلِفُ على ترك مباشرة الزوجة. يقال: آلى، إيلاء. وائتلى ائتلاء: حلف. وكانوا في الجاهلية يحلفون ألا يقربوا نساءهم السنة والأكثرَ إضراراً بهن؛ فنُهُوا عن ذلك وحدّد للايلاء مدةً أربعة أشهر فقط رحمة بالنساء. والتربُّصُ: انتظار هذه المدة. {فَإِنْ فَاءُوا}

رجعوا في هذه المدة عما حَلفوا

عليه. يقال: فاء يفيء فيئاً وفَيئةً إذا رجع. و أحكام الإيلاء مبينةٌ في الفقه.

.227

وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (227)

.228

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (228)

{ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ}

جمع قرْءٍ – بالفتح والضم – وهو الحيْضُ، أو الطهرُ الفاصلُ بين الحيضتين. وإلى الأول ذهب أبو حنيفة وأحمد، وإلى الثاني ذهب مالك والشافعي.

{وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ}

أي أزواجهن أولى برجعتهن إليهم في حال العِدّة. جمعُ بَعْل، و هو الذكر من الزوجين. يقال: بَعَل الرجُل يبْعَل بُعولةً، إذا صار زوجاً.

{عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ}

زيادةُ في الحق – او فضيلة بالقيام بامرهن والحماية لهن. والدرجةُ في الأصل: ما يرتقى عليه، واستُعملت في المنزلة الرفيعة وفيما ذكرنا مجازاً.

.229

الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (229)

{الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ}

اي التطليق الشرعيُّ: تطليقةٌ بعد تطليقة على التفريق. أو الطلاقُ الرجعيُّ: مرتان. وأما الثالثة فلا رجعةَ بعدها. {أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ}

أي طلاق مصاحب لجَبْر الخاطر وأداء الحقوق وعدم المضارة.

{تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ}

اي احكامه المفروضة.

.230

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (230)

{فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ}

أي فإن طلقها الطلقةَ الثالثة فلا تحلّ له حتى تنكح زوجاً آخر. والمرادُ بالنكاح هنا: الوطءُ؛ فلا تحل بمجرد العَقْد.

.231

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (231)

{فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ}

اي شارفن انقضاء عدتهن.

{وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا}

اي مضارة لهن.

{آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا}

اي سخرية بالتهاون في المحافظة عليها.

{وَالْحِكْمَةِ}

هي السُّنَّه، و هي وحيٌ غير متلُوّ. أو هي اصابة الحق في القول والعمل. وإنزالُها عليهم: إنزال ما يرشدهم إليها؛ وهي في الأصل مصدرٌ من الإحكام، وهو الإتقان في علم أو قول أو عمل، أو فيها كلها.

.232

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (232)

{فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ}

فلا تمنعوهنَّ من الزواج بمن يُردن تضييقا عليهن. و العَضْلُ: التضييق والمنع الشديد. يقال عضلت الناقة بولدها، إذا نَشِب في بطنها، و تعسر عليه الخروج. ومنه: أعضَل به الامرُ اذا اشتد. والخطابُ للناس كافةً؛ فيشملُ عضل الأزواج والأولياء لهن.

{أَزْكَى لَكُمْ}

أنمى وأنفع لكم.

.233

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (233)

{وُسْعَهَا}

طاقتها وقدرتها، لا ما يشق عليها وتعجز عنه.

{لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ}

نهيٌ عن أن يُلحِق أحدهما بالآخر ضررا بسبب الولد؛ فلا ينزعه الزوج منها إذا أرادت إرضاعه ولا يُكرهها عليه إذا أبته، ولا يمنعها شيئا مما وجب لها عليه. وكذلك لا تدفعه هي اليه لتضرّه بتربيته، ولا تطلب منه ما ليس حقاً لها، ولا تشغل قَلْبَه بالتفريط في شأن الولد.

{وَعَلَى الْوَارِثِ}

وارث الولد عند عدم الاب.

{أَرَادَا فِصَالًا}

أي فطاما للولد قبل الحولين.

{وَتَشَاوُرٍ}

أي وتداولٍ في الرأي بينهما، أو مع أهل الخبرة في أمر الفطام قبل الحولين. والمشاورةُ: استخراجُ الرأي بما فيه المصلحة، من الشَّوْر وهو اجتناء العسل. يقال: شُرْتَ العسل إذا استخرجته من مواضعه.

{فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا}

فلا حَرجَ ولا إثم عليهما في ذلك، من الجُنُوح؛ وهو المَيْلُ؛ لميل الآثم عن الحق.

{تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ}

أي تسترضعوا المراضعَ أولادكم. يقال: أرضعتُ المرأةَ الطفل، واسترضعتها إياه. أو تسترضعوا المراضع لأولادكم. و حذف حرف الجر من المفعول الثانى؛ كما في قوله تعالى: {وإذا كالوهم} [المطففين:3].

.234

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234)

{فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ}

أي فلا حَرج ولا اثمَ عليكم أيها القادرون عليهنّ، فيما فعلن بانفسهن بعد انقضاء العدة؛ مما كان محرَّماً عليهن أثناءها بالوجه الذي يعرفه الشرع ولا ينكره.

.235

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (235)

{عَرَّضْتُمْ بِهِ}

لوّحتم واشرتم به. من التعريض، وهو إمالة الكلام عن نهجه إلى عُرْض منه و جانب. وضدُّه: التصريح و الافصاحُ. {أَكْنَنْتُمْ}

أي أسررتم وأخفيتم.

{لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا}

السرُّ ضدُّ الجهر، أريد منه هنا الوطء؛ لأنه لا يكون إلا سِراً، ثم العقد لأنه سببُه، فهو مجاز على مجاز. اي لا تأخذوا عليهن وهنَّ في العدّة عهداً ألا يتزوّجن غيركم بعد انقضائها. او لا يقل الرجل للمعتدّة: تزوَّجيني؛ بل يعرّض لها تعريضا غير مفصح.

{يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ}

اي ينتهي المفروض من العدة.

.236

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (236)

{لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ}

أي لاتبعة عليكم من مهرٍ اذا طلقتم النساء ولم تكونوا دخلتم بهنَّ ولم تفرضوا لهنَّ مهراً؛ بل عليكم لهن مُتعةٌ بقدر وُسْعكم وطاقتكم. والمتعةُ: اسمٌ لما يُتمتّع به من المال والكسوة، و تقدر باجتهاد الحاكم كالنفقة. والمُوسِعُ: ذو السَّعة والغنى. يقال: أوْسعَ الرجلُ، اتسعت حاله. والمُقْتِرُ: ضيّق الحال. يقال: أقتر الرجلُ، افتقر وقلّ ما في يده. ولا تجب المتعة لغيرهن من المطلَّقات، وإنما تستحبّ لهن.

{فَرِيضَةً}

أي مهرا.

{مَتِّعُوهُنَّ}

أي أعطوهن ما يتمتعن به.

{الْمُوسِعِ}

اي ذي السعة والغنى.

{قَدَرُهُ}

أي قدر امكانه وطاقته.

{الْمُقْتِرِ}

أي الفقير الضيق الحال.

.237

وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (237)

{وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ}

أي

وإن طلقتموهن قبل الدخول وقد سميّتم لهن مهراً، فلهن نصف المهر ولا متعةَ لهن. أمّا المطلقات بعد الدخول و لهنّ مهرٌ مسمّى؛ فيجب لهن المهرُ كاملا، وإن لم يُسمَّ لهن مهرٌ وجب لهن مهرُ المثل؛ ولا مُتعة لهن في الحالتين. وقيل: تجب فيهما مع المهر.

{إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ}

أي إلا أن تترك المطلّقات نصيبَهن من الصّداق للأزواج، أو يترك الأزواجُ ما يعود اليهم من نصف المهر الذي ساقوه كاملاً الى زوجاتهم.

.238

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (238)

{وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى}

هي صلاة العصر على الراجح؛ لتوسّطها بين الصلوات الخمس أو لانها الفُضْلى؛ وفي الحديث: (الذي يفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله) [متفق عليه] اي نقص و سُلب اهلَه و مالَه فبقى فردا. والوسطى: مؤنث الأوسط؛ يقال: وسطت القوم أسِطُهم، إذا صرت في وسطهم. و أوسط الشيء و وسطُه: خيارُه.

{قَانِتِينَ}

مطيعين لله خاضعين. من القنوت،، وهو لزوم الطاعة مع الخضوع.

.239

فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (239)

{فَإِنْ خِفتُمْ فَرِجَالًا}

فإن خفتم العدوَّ في حال المقاتلة في الحرب، فصلُّوا مشاة أو راكبين على ركائبكم بإيماء؛ سواء وليتم شطر القبلة او لا. ورجالاً: جمعُ راجل، وهو القوي على المشي برجليه. ويُلحق بما ذكر: الخوف بسبب آخر؛ كالهارب من العدو, أو من قصده سبع هائج، او غَشِيه سيلٌ جارفٌ. و سياتي حكم خوف العدوّ في غير حال المقاتلة في قوله تعالى: {وإذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة} [النساء:102].

.240

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (240)

{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ}

أي يجب على الزوج حين مشارفة الموت أن يوصِيَ لزوجتة بالنفقة والسكنى حولاً، ويجب عليها الاعتداد حولاً. وهي مخيّرة بين السكنى في بيته حولاً ولها النفقة، وبين ان تخرج منه ولا نفقة لها؛ ولم يكن لها ميراث من زوجها. وقد نُسخ وجوبُ الوصية بالنفقة والسكنى بآية المواريث، وبحديث: (ألا لا وصيَةَ لوارث) [رواه ابو داؤد والترمذي]. ووجوب العدة حولاً بقوله تعالى: {يتربصْنَ بأنْفُسِهن أربعةَ أشهرٍ وعشراً} المتأخر نزولا والمتقدم تلاوة. واختار الفخر ما ذهب إليه أبو مسلم من أن المعنى: والذين يتوفون منكم وقد أوصوْا وصيةً لأزواجهم بالنفقة والسكنى حولاً، فان خرجنَ قبل ذلك وخالفن وصيةَ الزوج بعد أن يُقِمْن المدة التي ضربها الشارع لهن، وهي أربعة أشهر وعشر فلا حَرج فيما فعلن في أنفسهن من معروف، اي الزواج الصحيح لان إقامتهن بهذه الوصية غير لازمة.

.241

وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (241)

{وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ}

أي نفقة. والنفقة: تسمى

متاعا. أو لهن مُتعة؛ والمراد ما يشمل الواجبة والمستحبَّة.

.242

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (242)

.243

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (243)

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا}

كان المشركون يستفتون اليهود في كثير من الأمور. وكانت هذه القصة معلومةٌ لليهود في أسفارهم وتواريخهم؛ فنزل القران بالإشارة إليها، ليرتدع المشركون عمّا هم فيه من الضلال وإنكار البعث، ويعلموا أن دلائل القدرة على البعث مشهورة. وأن عند اليهود منها ما لو رجعوا إليهم فيه لعلموا أنه حق لاريب فيه. وفي ذكر هذه القصة مع ذلك تشجيع للمؤمنين على الجهاد والتعرّض للشهادة، و تمهيدٌ لما بعد هذه الاية. ومعنى {ألم ترَ}: ألم تعلم.

وتُستعمل فما تقدم للمخاطب العلمُ به، وفيما لم يعلم به من قبل. والخطابُ لرسول صلى الله عليه وسلم، والمرادُ أمتُه. والمقصودُ: حثُّهم على العلم بها، والاعتبار بشأنها.

.244

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (244)

.245

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (245)

{يُقْرِضُ اللَّهَ}

القرضُ الحسنُ: الإنفاقُ في سبيل الله. أو مطلقُ العملِ الصالح.

{قَرْضًا حَسَنًا}

احتساباً به عن طيبة نفس.

{يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ}

يَسْلُب تارة ويُعطي أخرى. او يسلُب قوما و يُعطي اخرين. أو يضيق على بعض ويوسع على بعض؛ بما اقتضته مشيئته المبنية على الحكمة والمصلحة. أي فلاتبخلوا بما وسّع عليكم كيلا تُبدَّل أحوالكم. والقَبْضُ: ضدُّ البسط. يقال: قَبَضه بيده يقبِضه، تناوله. وقبضَ عليه بيده، أمسكه. و بَسَط يده: مَدَّها. وبسَطَ المكانُ القومَ: وسِعَهم. والاية تحريضٌ على الاقراض الحسن، و زجرٌ عن تركه.

.246

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246)

{الْمَلَإِ}

أشراف القوم ووجوههم، سُمُّوا مَلأ لانهم مليئون بما يُحتاج اليه منهم. أو لأن هيبتهم تملأ الصدور. وهو اسمُ جَمعِ لاواحد له من لفظه، كرهط.

{هَلْ عَسَيْتُمْ}

هل الامر كما أتوقعه منكم أنكم تجبُنون عن القتال معه؟.وألاستفهام لتقرير أن المتوقع كائن.

.247

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247)

{أَنَّى يَكُونُ}

كيف أو من اين يكون؟

{وَزَادَهُ بَسْطَةً}

سعة و امتدادا وفضيلة.

.248

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (248)

{التَّابُوتُ}

صندوق التوراة. من التَّوب وهو الرجوع؛ لأنه لايزال يَرجع إليه ما يخرج منه. وتاؤه مزيدة لغير التأنيث، كجبروت.

{فِيهِ سَكِينَةٌ}

أي في إتيانه سكونٌ لكم وطمَأنينة. أو في التَّابوت ما تسكنون اليه و تطمئنُّون وهو التوراة. والسكِينَةُ: من السكون، وهو ثبوت الشئ بعد التحرك، أو من السَّكن – بالتحريك –: وهو كل ما سكنتَ اليه وأطمأننتَ به من أهل وغيرهم.

.249

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249)

{فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ}

خرج بجنوده من بيت المقدس لمحاربة العمالقة قوم جالوت.

{مُبْتَلِيكُمْ}

مختبركم وهو أعلم بأمركم.

{وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ}

من لم يذقه أصلاً، لا قليلا ولا كثيراً. من طعمَ الشيءَ يَطْعَمُه، اذا ذاقه مأكولاً او مشروبا. واستعمال طَعِمَ الماء بمعنى ذاق طعمَه مستفيضٌ.

{غُرْفَةً بِيَدِهِ}

الغُرْفَة: اسم للشيء المغترَف، وجمعه غِراف. وامّا الغرفةُ فهي اسم للمَرَّةِ الواحدة من الغَرف. وقيل: هما لغتان بمعنى واحد. رخَّص لهم في الاخذ باليد دون الكَرْع.

{لَا طَاقَةَ لَنَا}

لا قدرة ولا قوة لنا.

{فِئَةٍ}

جماعة من الناس.

.250

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (250)

{بَرَزُوا} : ظهروا وانكشافوا.

.251

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251)

{وَقَتَلَ دَاوُودُ}

وكان داؤد في عسكر طالوت.

{وَالْحِكْمَةَ}

هي النبوّة. ولم

يجتمع المُلك والنبوّةُ لأحد قبلَه في بني اسرائيل، وورِثه فيهما ابنه سليمان عليهما السلام.

.252

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (252)

.253

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (253)

{بِرُوحِ الْقُدُسِ}

جبريل عليه السلام [اية 87 من هذه السورة].

.254

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (254)

{وَلَا خُلَّةٌ}

بضم الخاء، ولاخالصُ مودة وصداقة. أي لايمكن في هذا اليوم استجلابُ حسنة بمودة وصداقة؛ وسُمّيت المودةُ خُلَّةً لتخلّلها النفس، وجَمْعها خلال.

{وَلَا شَفَاعَةٌ}

أي لاحدٍ إلا لمن يشاء ويَرضَى. فالاطلاق هنا مقيَّدٌ بآية {الا منْ أذنَ له الرحمنُ و رضيَ لهُ قولاً} [طه:109] والنبيُّ مأذون له، أو يستأذِن فيؤذَن له.

.255

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255)

{الْحَيُّ}

اي الباقي الذي له الحياة الدائمة التى لا فناء لها. لم تحدُث له الحياة بعد موتٍ، ولا يعتريه الموتُ بعد الحياة؛ وسائرُ الأحياء سواه يعتريهم الموت والفناء.

{الْقَيُّومُ}

الدائم القيامِ بتدبير أمر الخلق وحفظهم، والمعطي لهم ما به قِوامهم. وهو مبالغة في القيام، وأصله قَيُووم – بوزن فيْعُول – من قام بالأمر إذا حفظه ودبّره.

{لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ}

اي نُعاس. وهو الفُتور اوّل النوم مع بقاء الشعور والادراك، ويقال له غَفْوة. مصدرُ وسِنَ الرجلُ يَوْسَن وَسَناً وسِنَة؛ فهو وسِنٌ ووَسنان اِذا نَعَس. والمراد انه تعالى لا يَغْفُلْ عن تدبير امْر خلقه ابدا.

{وَسِعَ كُرْسِيُّهُ}

الكُرسِيُّ غيرُ العرش، وهما مخلوقان لله تعالى؛ كالسماوات والارض. ومن المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، فنفوّض علم حقيقتهما إليه تعالى، مع كمال تنزيهه عن الجسميّة، وعن مشابهة المحدثات؛ {ليس كمثله شيءٌ وهو السميعُ البصير} [الشورى:11]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما تفسيرُ الكرسي بالعلم؛ وهو قول مجاهد. وفسَّر بالملك والسلطان والقدرة وهي معانٍ مجازية.

{وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا}

لا يُثقله ولايشق عليه حفظهما. يقال آده الأمر أو الحِمل–من باب قال–أثقله فهو مَئُود؛ كمقول.

.256

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256)

{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}

معناه على ما ذكره أبو مسلم والقفال: ليس في الدِّين – وهو عقدٌ في القلب وإذعانٌ في النفس–إكراه وإجبار من الله تعالى؛ بل مبناه على التمكين والاختبار، وهو مناط الثواب والعقاب، ولولا ذلك لما حصل الابتلاء والاختبار، ولبطُل الامتحان؛ وهو كقوله تعالى: {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر} [الكهف:29]. وقيل: معناه إن من حق العاقل بعد ظهور الآيات البينات على أن الإيمان بالله وطاعته رشد، والكفرَ به ومعصيَته غيٌّ–ألّا يحتاج الى الأكراه على التدين بالاسلام الحنيف؛ بل يختاره من غير تردّد. والجملة على المعنيين خبرية. وقيل: هي خبر في معنى النهي؛ أي لاتُكرهوا فِي الدِّين ولا تُجبروا عليه أحداً، فإنه بيِّنٌ واضح الدلائل والبراهين؛ فمن هداه الله له، ونوَّر بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أضله الله وأعمى قلبه لا يفيده الإكراه على الدخول فيه، وهو عامٌ منسوخ بقوله تعالى: {جاهد الكفار والمنافقين و اغلظ عليه} [التوبة:73]. أو مخصوصٌ بأهل الكتاب الذين قبلوا الجزية. وعن ابن عباس: أنها نزلت في أولاد الأنصار الذين تهوّدوا قبل الإسلام، وأراد أهلوهم من الأنصار استردادَهم حين أُجليَت بنو النَّضير في السنة الرابعة؛ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم إثر نزول الاية: {قد خير اصحابكم فان اختاروكم فانهم منكم وإن اختاروهم فاجْلُوهم معهم}. اما الجهادُ الذي فرضه الله على المؤمنين فليس للإكراه على الإسلام والعقيدة وإنما هو من اجل بقاء الكفار على جحود حق الله وعصيانهم أمرَه ومحادّتِه، بعد وضوح الحجج ظهور الدلائل والإعذار اِليهم؛ ولحملهم على العمل بشريعته والانقياد لاحكامه، ولحماية الدعوة والحق الذي جاءت من عدوانهم، وليكون الدين كله لله وحده؛ قال تعالى {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (193)} [البقره].

{تَبَيَّنَ الرُّشْدُ}

تميز الحقُّ من الباطل، والهُدى من الضلال؛ بوضوح الدلائل. والرُّشدُ: الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه، مصدر رَشِدَ يَرْشُد ويَرْشَد، أي اهتدى. والمراد هنا: الحق والهدى. والغَيُّ: الضلالُ؛ مصدرُ غَوَى يَغْوي أي ضلّ والاسم الغَواية.

{بِالطَّاغُوتِ}

اسم لكل ما يُطغِي الإنسان؛ كالأصنام والأوثان والشيطان والكاهن والساحر، وكل رأسٍ في الضلال، وكل ما عُبد من دون الله تعالى. من طَغَا يطْغُو طُغْواً وطُغواناً، او طغى – كرَضيَ و سَعَى – طَغياً و طُغْيانا، اذا جاوز الحد وغلا في الكفر، وأسرف في المعاصي والظلم.

{اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}

ثبت في امره و استقام

على الطريقة المُثلى؛ وهي الإيمان أو القرآن أو الاعتقاد الحق، أو السبب الموصّل إلى رضا الله تعالى. والعروة من الدَّلو والكوز: مَقْبِضُه. ومن الثوب: مدخلُ زرّه – أستُعملت في المعاني المذكورة على سبيل التجوّز. والوُثقى: تأنيث الأوثق – من وثُقَ – بالضم – وَثاقة، قوِيَ وثبت فهو وَثيق: اي ثابت مُحْكم.

{لَا انْفِصَامَ لَهَا}

لا انقطاع ولا زوال لها.

.257

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (257)

.258

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258)

{الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ}

هو نمروذ بن كنعان. وهو أوَّل من ادعى الرُّبوبية؛ فهو رأس الطواغيت. اي ألم ينته علمك إلى قصة هذا الكافر الذي لستُ له بوليّ، كيف تصدَّى لمحاجة من تكفّلت بنصرته وأخبرت أني وليٌّ له. وكيف خذلتُه و نصرت عليه خليلي الذي اصطفيته وواليته!.

{فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ}

غُلب وقُهر و تحيّر وانقطع في حِجاجه، وهو فعل جاء على صورة المبني للمفعول كزُهيَ وزُكِمَ، والمعنى فيه على البناء للفاعل و (الذي كفر) فاعله. والبَهْتُ: الانقطاع والحيَرة. و قريء أيضا بوزن عَلِم ونَصَر وكَرُم.

.259

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259)

{أَوْ كَالَّذِي مَرَّ}

اي أوْ رأيت مثل الذي مرَّ علي قرية – وهو عند أكثر المفسرين عُزَيْر –اراد ان يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرة؛ كما طلب ذلك إبراهيمُ عليه السلام ليطمئن قلبه.

{وَهِيَ خَاوِيَةٌ}

ساقطةٌ حيطانُها على سقوفها التى سقطت. يقال: خَوِيَ البيت، سَقَط. أو خاليةٌ من الناس ثابتة على عروشها. يقال: خَوَت الدارُ تَخْوي خُويًا و خَوَاءً. أقْوَت وخلَت. والعروشُ جمع عَرش، وهو سقف البيت؛ ويُسمّى العريش وكلُّ ما يهيَّأ ليُظِلَّ أو يُكِنّ فهو عَريش و عَرْش.

{أَنَّى يُحْيِي}

كيف أو متى يحي؟

{لَمْ يَتَسَنَّهْ}

لم يتغيّر بمر السنين الطويلة عليه، ولم تذهب طراوته؛ فكأنه لم تمرّ عليه السنون. مشتقٌ من السَّنة، والهاء فيه أصلية إذا قُدّر لام سنة هاءً، وأصلها سَنْهَةٌ لتصغيرها على سُنَيْهة. وجمعِها على سَنهات كسَجْدة وسجدات، ولقولهم: ساهَتُه إذا عاملته سنةً فسنةً. وتَسَنَّه عند القوم إذا اقام فيهم سنةً. أو الهاء فيه للوقف نحو كتابِيَه. وجَزْمُه بحذف حرف العلة إذا قُدر لامُ سنة واواً، واصلها سَنَوة لتصغيرها على سُنَيّة

وجمعها على سنوات، وقولهم: سانيته و تسنيت عنده. أقمت سنين.

{وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً}

أي وفعلنا ما فعلنا من الإماتة والإحياء لنجعلك آية للناس وعبرة، ودلالة على البعث بعد الموت.

{كَيْفَ نُنْشِزُهَا}

كيف نرفعها من أماكنها من الارض فنردّها إلى أماكنها من الجسم، ونؤلف بينها؛ من الانشاز و هور الرفع. يقال: أنشز الشيء رفعه من مكانه. وأصله ألنَشز–بفتحتين وبالسكون– وهو المكان المرتفع. وقريءَ {نُنشِرُها} بضم النون والراء، أي نحييها من أنشر الله الموتى أي أحياهم.

.260

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (260)

{أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ}

بَصِّرني كيفيَة احيائك للموتى. وسؤالُه عليه السلام ذلك لينتقل من مرتبة علم اليقين إلى مرتبة عين اليقين. أو من مرتبة العلم الاستدلالي إلى مرتبة العلم الضروريّ الناشيء عن الحِس.

{فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ}

فأمِلْهُن واضممهن إليك، لتتأمّلهن وتعرف أشكالهن و هيئاتهن، كيلا تلتبس عليك بعد الإحياء، ثم جزّئهن أجزاء أو فقطعهن. قريء بضم الصّاد و كسرها و تخفيف الراء. يقال: صارَه يَصُورُه ويَصيره أماله. وصار الشيء: قطّعه وفصله و (إليك) متعلق بـ (صُرْهن) على الأول، وبـ (خُذ) على الثاني، باعتبار تضمينه معنى الضم.

.261

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (261)

{الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ}

بيان لكيفية الإنفاق الذي بُيِّن فضله.

.262

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (262)

{مَنًّا وَلَا أَذًى}

المَنُّ: إظهار الاصطناع، وان يعتد الانسان بإحسانه على من أحسن إليه. يقال: منَّ عليه يَمُنُّ. اي أمتنّ عليه؛ وهو من كبائر الذنوب. ويقال: المِنةُ تهدِم الصَّنيعة. والاذى: ما يصل إلى الحيوان من الضّرر؛ يقال: آذاه يُؤْذيه أذى وأذاة وأذِية. والمراد هنا: التّطاولُ والتّفاخرُ على المنعَم عليه.

.263

قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (263)

{قَوْلٌ مَعْرُوفٌ}

كلامٌ جميلٌ يُرَدُّ به السائل، وصفحٌ وعفوٌ عما يفرُط منه عند الرد وعدم الإعطاء، خيرٌ وأفضلُ من صدقة عليه يتبعها أذى لما فيها من المضرة له. وهو تقرير لقبح المنّ و الاذى، ولم يذكر المنّ هنا لشمول الأذى له.

.264

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (264)

{رِئَاءَ النَّاسِ}

مُراءاة للناس وسُمعةٌ. أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمَنّ والاذى كإبطال المنافق المرائي عمله الذي لا يبغي به رضاء الله، ولا ثوابَ

الآخرة.

{فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ}

اي فَمَثَّلُ المرئي في الانفاق كمثل حجر كبير املس صُلْب؛ من الصَّفاء وهو خلوص الشيء مما يشوبه. يقال: يومٌ صفوان، أي صافي الشمس. وقيل: هو جمعٌ، واحده صفوانة.

{فَأَصَابَهُ وَابِلٌ}

اي مطرٌ شديدٌ عظيمُ القَطْر. يقال: وبَلَت السماء تبِل وبْلًا ووبُولا، اشتد مطرها.

{فَتَرَكَهُ صَلْدًا}

أي اجْردَ نَقِيا من التراب الذي كان عليه؛ ومنه رأس اصلدُ، إذا كان لا يُنبت شعرا. وصَلَد الزَّنْدُ يَصلِد، لم يُخرج ناراً. والمقصود: ان اعمال هؤلاء المرائين بالإنفاق تَبْطُل يوم القيامة وتضمحل؛ كما يُذهب المطر ما على الصَفوان من التراب.

.265

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (265)

{وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ}

اي كما أنفقوا أموالهم في سبيل الله ابتغاء مَرضاته انفقوها توطيناً لأنفسهم على حفظ هذه الطاعة وترك ما يفسدها؛ فـ (مِنْ) بمعنى اللام. أو تثبيتاً للإسلام وتصديقا به، وتحقيقا للجزاء الموعود به من أصل أنفسهم؛ فهي الدافعة له وهي المنشا والمبتدأ.

{جنةٍ}

تطلق الجنة على الأشجار الملتفة المتكاثفة، وهو الانسب هنا. وعلى الارض المشتملة عليها.

{بِرَبْوَةٍ}

بمكان من الإرض مرتفع عن السَّيْل. والعادةُ في أشجار الرُّبى أن تكون احسنُ منظراً وازكى ثمراً.

{أُكُلَهَا}

ثمرها. وكل مأكول: أُكُل.

{فَطَلٌّ}

فمطر خفيف يكفيها لطيبها وكَرم منبتها. والطَّلُ: أضعف المطر وهو الرذاذ، وجمعه طِلال وطِلَل. والمرادُ: أن هذه الجنة تزكو وتثمر، كَثُرَ المطر أو قل؛ فكذلك نفقة هؤلاء ابتغاءَ مرضاة الله وتثبيتاً من انفسهم تزكو عند الله وتطيب، كثرت أو قَلَت.

.266

أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (266)

{إِعْصَارٌ}

ريحٌ عاصفةٌ تنعكس من الارض الى السماء، مستديرة كعمود، وتسمى زَوْبَعة؛ وسُمِّيت اعصاراً لانها تَعْصر ما تمر به من الاجسام، أو تلتف كما يلتف الثوب المعصور. الريحُ مؤنثة وكذا سائر اسمائها الا الاعصار؛ ولذا قيل:

{فيه نار}

أي سَمُوم أو صواعق. وهو مَثلٌ لحبُوط عمل المرائي يوم القيامة أحوجَ ما يكون اليه.

.267

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (267)

{مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ}

أي حلال ما كسبتموه، أو كسبكم أو جياده. {وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ}

ولا تقصدوا الرِّدِئ من أموالكم تنفقون منه. يقال: تيمّمت الشيء ويمّمته اذا قصدته.

{وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ}

والحال أنكم لا تأخذونه لأنفسكم إلا بأن تتساهلوا فيه، وتغضُّوا الطَّرف عن رداءته؛ من الإغماض، وأصله غَمضُ البصر وإطباقُ الجَفْن على الجفن، ثم استعير للتغافل والتساهل.

{تُغْمِضُوا فِيهِ}

تتساهلوا وتتسامحوا في اخذه.

.268

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (268)

{يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ}

يخوفكم سوء الحال والضعف بسبب قلة المال. وأصله كسر فَقار الظَّهر، يقال: رجل فقِر وفقير، إذا كان مكسور الفَقار.

{وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ}

يُغريكم بالبخل. والفاحِشُ عند العرب: البخيل. قيل: كلُّ فحشاء في القرآن فهي الزّنى إلا في هذه الآية. أو ويأمركم بالخَصْلَة الفحشاء، وهي انفاق الرديء من المال لا الجيّد خشيةَ الفقر.

.269

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (269)

{الْحِكْمَةَ}

اصابة الحق في القول والعمل،، أو العلم النافع.

.270

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (270)

{مِنْ أَنْصَارٍ}

أي أعوانٍ ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله، جمعُ نصير او ناصر. وفيه وعيدٌ عظيمٌ لكل ظالم.

.271

إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (271)

{إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ}

الصدقةُ ما يُخرجه الإنسان من ماله على جهة القُربة، وتشمل الفَرْض والتطوُّع. وإبداؤها: علانيتها. وإخفاؤها: إسرارُها. والجمهورُ على أن الآية في صدقة التطوّع، وأن إخفاءَها أفضل من إظهارها؛ لما فيه من شائبة الرياء، وهَتك ستر الفقير. وفي الصحيحين في السبعة الذين يُظلّهم الله في ظله يوم لا ظلَّ الا ظلّه: (... ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لاتَعلَمَ شِمالُه ما تنفق يمينه). وأما الصدقة

المفروضةُ فالإظهارُ فيها أفضلُ. لانها من شعائر الإسلام كالصلاة المكتوبة. و عن ابن عباس رضي الله عنهما: صدقةُ السرِّ في التطوع تفضلُ علانيتَّها سبعين ضِعفاً، وصدقة الفريضة علانيتُها أفضلُ من سرّها بخمسة وعشرين ضعفاً. وكذلك جميع الفرائض والنوافل.

.272

لَيسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (272)

{لَيسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ}

الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم. والمراد هو وامَتُه. وقد كان لبعض الأنصار قرابةٌ من اليهود، فلما أسلموا كرهوا أن يتصدقوا عليهم وراودوهم أن يسلِموا؛ فنزلت الاية. أي ليس عليك هُدَى هؤلاء الكافرين فتمنعهم الصدقة، ولا تعطيهم منها ليدخلوا في الإسلام؛ ولكن الله تعالى هو الذي يَهدي من يشاء إلى الإسلام فيوفّقه له. فتصدق عليهم لوجه الله تعالى. والمرادُ صدقة التطوع؛ للإجماع على أنه لا يجوز صرفُ الزكاة إلى غير المسلم.

.273

لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (273)

{لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا}

ه بيانٌ لمن هم أشدُّ الناس حاجة إلى الصدقة، بعد بيان جواز التصدق على الفقراء عامة ولو من غير المسلمين، وهم فقراء المهاجرين أصحابة الصُّفَّة، وكانوا يستغرقون أوقاتهم بالتعلم والجهاد، ويخرجون في كل سَرِيَّة يبعثها الرسول صلى الله عليه وسلم. أي ذلك الانفاق المحثوثُ عليه للفقراء. أو اجعلوا ما تنفقون للفقراء الذين حبسوا أنفسهم في سبيل الله.

{لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا}

سيراً في البلاد وتقلباً فيها؛ ابتغاءَ المكاسب والعيش؛ لاشتغالهم بالجهاد والتعلم. وسُمّيَ السير ضربا لما فيه من ضرب الارض بالارجل.

{مِنَ التَّعَفُّفِ}

اي من اجل تعفُّفهم عن السؤال. والتعفف: تركُ الشيء والإعراضُ عنه؛ بقهر النفس و حملها عليه. يقال: عفّ عن الشئ يَعِفّ، إذا كفّ عنه. وتعفف: إذا تكلف الإمساك عنه.

{تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ}

تعرِفُ فقرهم بما يُرى عليهم من الضّعف والرَّثاثة. أو تعرفهم بما يبدو عليهم من الخشوع والتواضع. أو بما ألبسهم الله من الهَيْبة والوقار. والسِّيما – بالقصر وتمد –: أصلها من الوَسْم بمعنى العلامة.

{إِلْحَافًا}

أي الحاحاً. يقالُ: ألحف عليه في المسألة أي ألح فهو مُلحِف والنَّفيُ منصبٌ على القيد والمُقيّد معا بقرينة السياق؛ أي أنهم لايسألون اصلاً؛ تعففا منهم.

.275

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (275)

{يَأْكُلُونَ الرِّبَا}

يتعاملون به أخذاً وإعطاء. وخُصَّ الأكل بالذكر لأنه معظم المقصود من المال. والربا الزيادة. يقال: رَبَا الشئ يربو إذا زاد وكَثُر. وفي الشرع فضلُ مالٍ لا يقابله عوض في معاوضة مال بمال، قلّتِ الفائدةُ أو كَثُرت. وهو رِبا نسيئة، وربا فَضْلٍ، وكل منهما محرّمٌ شرعاً، وسيأتي تتمة لهذا في (أية 130) من آل عمران.

{يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ}

يتخبله الشيطان ويَصرَعه بسبب مسه إيَّاه. وأصلُ التَخبُّط: الضرب على غير استواء واتساق؛ كخبط البعير الأرضَ بيديه. وفعلُه من باب ضرب. والمَسُّ: الخبَلُ والجنون. يقال: مُس الرجل فهو مَمْسُوس، إذا ألَمّ به مُلِمٌّ فجُنَّ. والمعنى: أن المتعاملين بالربا المستحلّين له لا يقومون يوم البعث إلا كقيام المصروع الذي تَخَبله الشيطان و صرعه، وهو – كما اختاره الإمام القفال –: تشبيه جاء على ما تعارفوه من اضافة الصرع و كلِّ شيء قبيح الى الشيطان؛ ونظيره قوله تعالى: {طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ} [الصافات:65]. واختار الفخر أن المراد بمس الشيطان: دعاؤه إلى طلب الملذات والشهوات والاشتغال بغير الله، ومن استجاب له كان متخبطاً في أمر الدنيا، فتارةً يجرُّه الشيطان إلى الهوى،، وتارة يجرُّه المَلَك إلى الهدى. و آكل الربا مُفْرط في حب الدنيا، فإذا مات على ذلك الحب صار حجاباً بينه وبين الله تعالى. فالخَبطُ الذي كان حاصلا له في الدنيا بسبب حب المال أورثه خبطاً في الآخرة، أوقعه في ذل الحجاب.

{إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا}

زعموا أنه حيث حل بيع ما قيمته درهم بدرهمين حالا أو مؤجَّلا يحل بيع درهم بدرهمين. وجعلهم الربا اصلا وتشبيه البيع به مُبالغة منهم في التماثل.

{وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا}

إبطالٌ من الله تعالى لقول الكفار: {إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا}.

.276

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (276)

{يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا}

المَحْقُ: النقصان وذهابُ البركة. تقول: محقه الله فامَّحق وامْتَحَق؛ اي ذهب خيره وبركته. ويقال: محقه مَحْقا؛ اي ابطله و محاه؛ ولما كان الباعثُ على الربا، تحصيلَ المزيد من المال، والصارفُ عن الصدقات الاحتراز عن نقصانه، بيّن الله تعالى في هذه الآية: أن الربا وإن كان زيادة في الحال فهو نقصان في الحقيقة؛ لذهاب بركة المال به لا محالة. وأن الصدقة وإن كانت نقصانا في الحال للمال صورة فهي زيادة فيه معنى، وذلك في الدنيا والاخرة.

.277

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (277)

.278

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (278)

{وَذَرُوا مَا بَقِيَ}

دَعوا واتركوا مَا بَقَى مما شرطتم من الربا ولا تطالبوا به بعد ان علمتم حرمته؛ فليس لكم إلاّ رءوس أموالكم.

.279

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (279)

{فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ}

فكونوا على علم ويقين بها؛ من اذِن بالشئ ياذَن إذا عَلِم. و قريء {فآذِنُوا} من آذنه الامر و آذنه به، أعلمه إيّاه؛ اي أعْلِموا من لم ينته عن الرّبا بحربٍ من الله ورسوله. وهو وعيدٌ و تهديدٌ شديدٌ للمرابين.

.280

وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (280)

{عُسْرَةٍ}

ضيق الحال من عدم المال.

{فَنَظِرَةٌ}

فعليكم تأخيره وامهاله. والنَظِرَةُ: اسمٌ من الإنظار وهو الامهال. يقال: نَظَره وانتظره و تنظّره، تأنى عليه و أمهله. وهذا الحكمُ عامٌّ في كل دَيْن؛ على ما ذهب اليه الجمهور. وفي الحديث الصحيح: (من أنظر معسراً أو وضع عنه اظله الله عز وجل في ظله يومَ لا ظلَّ إلا ظلّه.) رواه مسلم.

.281

وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (281)

.282

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (282)

{فَاكْتُبُوهُ}

أمْرُ استحباب. وقيل للوجوب. وعن ابن عباس: أن المراد الدَّين في الآية السَّلَم (السَّلف).

{لَا يَأْبَ}

لا يمتنع.

{وَلْيُمْلِلِ}

وليكن المُمْلي من عليه الحق؛ لأنه المُقِرّ المشهود عليه. والإملالُ والإملاءُ لغتان بمعنى واحد. يقال أَمَلّ وأمْلى.

{وَلَا يَبْخَسْ}

ولاينقص من الحق الذي عليه شيئا في الإملاء. يقال: بَخَس زيد عمرا حقَّه يَبْخسُه، نقصه. ومنه: {وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (20) [يوسف].

{وَاسْتَشْهِدُوا}

الأمر للندب. وقيل للوجوب.

{أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا}

الضلالُ: تركُ الطريق المستقيم؛ عمداً كان أو سهواً، قليلاً كان أو كثيرًا. اي خشية أن تنسَى إحداهما الشهادة فتذكرها الاخرى. و هوا بيانٌ لحكمة اشتراط العدد في شهادة النساء في الأموال.

{وَلَا تَسْأَمُوا}

أي ولاتَضجَرُوا ولا تملُّوا. يقال سَئِمت الشيء أسأمه سَأَماً وسآمة، ضجرته ومللته. ويقال سأمت منه؛ ومنه {لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (49)} [فصلت].

{أَقْسَطُ}

أعدَل وأحفظ. يقال: أقسط الحاكم يُقسط اقساطاً وهو مُقسط، إذا عَدَل في حُكمه وأصاب الحق فيه، ومنه: { ... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (42) [المائدة].

{وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ}

أثبت لها وأعون على أدائها.

{أَدْنَى}

أقرب. {تِجَارَةً}

التجارة: التصرف في رأس المال طلبا للربح. يقال: تجَرَ يَتْجُر وهو تاجِر والجمع تَجَر وتِجارٌ وتُجار. اي لكن التجارة الحاضرة يجوز عدم الإشهاد والكَتْب فيها.

{فُسُوقٌ}

خروج عن الطاعه إلى المعصيه.

283.

وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (283)

{فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ}

جمعُ رَهْن بمعنى مرهون. وأصلُ الرهن الدوامُ. يقال: رهنَ الشيءُ إذا دام وثبت. و رَهَنَ عنده الشيء – كمنع– وأرهنه، جعله رَهْناً. ورهانٌ خبرُ مبتدأ محذوف؛ أي فعليكم رهان مقبوضة.

284.

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (284)

{وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ}

وإن تظهروا ما استقر في انفسكم مما عزمتم عليه من السُّوء أو تخفُوه يجازيكم به الله. فالعَزْم على المعصية، والتصميمُ عليها مؤاخَذٌ عليه. وأمّا حديث النفس بها، والخواطرُ الفاسدةُ التي تَرِد علي القلب دون أن يصحبها عزمٌ وتصميمٌ فمعفوٌّ عنها؛ إذ ليس في الوسع الخلوُّ عنها. وفي الحديث: (إن الله

تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به) [متفق عليه].

285.

آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285)

{وَمَلَائِكَتِهِ}

الايمانُ بالملائكة: هو التصديقُ بوجودهم، وبأنهم معصومون مطهَّرون، وبسائر صفاتهم التي جاء بها التنزيل.

{غُفْرَانَكَ}

مصدرٌ نائبٌ عن فعله؛ اي اغفر غفرانك؛ على حد سَقْياً ورَعْياً. والمرادُ: نسألك غفران ذنوبنا.

.286

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)

{وُسْعَهَا}

طاقتها وقدرتها؛ فضلاً منه ورحمة.

{وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا}

الاصرُ: الثِّقل والعَهْد الثقيل. أي لا تُكَلفنا أمرًا يثقل علينا. أو عهدا ثقيلا لا نفي به؛ كما كلَّفت بني اسرائيل من قبلنا، فلا تمتحنا بمثله، رأفةً منك وفضلاً.

والله اعلم.

سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

الم (1)

.2

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2)

{الْحَيُّ الْقَيُّومُ}

[راجع آية 255 البقرة ص 61].

.3

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (3)

{نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ}

اي القرآن. وفي تخصيص القران القرآن بصيغة التنزيل ايماءٌ الى انه منزل مُنَجَّماً على التدريج بخلاف التوراة والانجيل فقد نزلا جملة.

.4

مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (4)

{وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ}

الفُرْقانُ: كل ما فُرق به بين ألحق والباطل. مصدرُ فَرَق يَفْرق بين الشيئين فَرْقاً وفُرْقاناً. إذا فصل بينهما. أي وأنزل بهذه الكتب الفرقان بين الحق والباطل؛ فلم يبق لأحد عذر في جحودها والكفر بها.

{عَزِيزٌ}

منيعُ الجانب. او قويٌ غالبٌ كلَ شيء، من العِزَّةِ وهي حالة تمنع الإنسان أن يُغلب ويُقهر. يقال: عَزَّ يَعِز عِزَّاً وعِزَّة، صار عزيزاً وقويَ بعد ذِلَّة.

{ذُو انْتِقَامٍ}

ذو عقوبة شديدةٍ لمن يكفر به لا يقدر على مثلها منتقم. يقال: انتقم منه إذا عاقبه بجنايته. والفعل المجرد منه نَقِمَ، كضَرب وعلم.

.5

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (5)

.6

هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (6)

.7

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (7)

{آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ}

آياتٌ بيناتٌ واضحاتُ الدلالة، لا: التباس فيها ولا اشتباه. من: الإحكام بمعنى الاتقان. يقال أحكمه اي اتقنه، فاستحكم ومنعه من الفساد؛ كحَكَمه حكماً. وذلك لإحكام عبارتها عن احتمال التأويل والاشتباه؛ ولمنع الخلق من التصرف فيها؛ لظهورها ووضوح معانيها، وإقامتها حجّة من الله على عباده، وعِصمة لهم من الزّيغ. وإلى هذا المعنى

يرجع تفسير بعضهم المُحكمات: بما عُرف تأويلُها وفُهم معناها المراد منها، أو مالا التباس فيها، ولا تحتمل من التأويل إلا وجهاً واحدا. [المسألة الرابعة من المقدمة ص: و].

{هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ}

اي أصله الذي يُعول عليه في لأحكام، ويرجع إليه في الحلال والحرام. ويردّ إليه ما: تشابه من آياته و أشكل من معانيها. وامُّ كل شيء اصله و عِماده؛ قال الخليل: كلُّ شيء ضُمّ إليه سائر ما يليه يسمى في لغة العرب أُمًّا.

{وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ}

و منه " ايات اخرُ متشابهاتٌ، و هي غير المحكمات. والمتشابهُ: ما استأثر الله بعلمه؛ كوقت الساعة والروح والحروف المقطعة في اوائل السور، وإليه ذهب الحنفية. أو ما لا يتضح معناه إلا بالنظر الدقيق وهو يشمل المُجمل ونحوه؛. وإليه ذهب الشافعية. أو ما دلّ الدليل القاطعِ على أن ظاهره غيرُ مراد، ولم يقم دليل على تعيين المراد منه؛ كآيات الصفات مثل: الاستواء واليد والقَدَم، والتعجّب والضحك، والفوقيّة والنزول والرحمة والغضب، ونحو ذلك. يقال: اشتبه الأمران، إذا أشبه كل واحد منهما الآخر حتى التبسا. وأمورٌ مشتَبهَةٌ ومشبَّهة –كمعظَّمة – :مُشكِلةٌ. وشُبِّه عليه الأمرُ تشبيها: لُبِس عليه.

{فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ}

مَيْلٌ عن الاستقامة وانحرافٌ عن الحق، وطرحٌ للقصد السَّوى. يقال: زاغ يزيغ، مال. ومنه: زاغت الشمس: إذا مالت.

{ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ}

الابتغاءُ: الاجتهادُ في الطلب. يقال: بغيتُ الشيء وأبتغيته، إذا طلبت أكثر مما يجب. والفتنةُ: ما يُدفع إليه الإنسان من شدة. وابتغاءُ الفتنة: طلبُ فتنة المؤمنين عن دينهم بالتشكيك والتلبيس، وإثارة الشُّبَه ومناقضة المُحكم بالمتشابه أو فَتْن أتباعهم الجهال بذلك.

{وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ}

وطلب تأويلِ الكتاب وتحريفه. التأويلَ الباطل الذي يشتهونه، و التحريف السقيم الذي يقصدونه، زاعمين انه الغاية المرادة منه، وذلك شأن أهل البدع والأهواء والملاحدة في كل: عصر. وتبعهم في ذلك الذين سموا أنفسهم مبشرين في هذا العصر. والتأويلُ: يطلق بمعنى التفسير والبيان؛ و منه { ... نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ... } [يوسف:36]، و قول المفسرين: تأويلُ هذه الآية كذا وكذا. و بمعنى حقيقة الشيء وما يئول إليه؛ من الأوْل وهو الرجوع إلى الأصل، وردُّ الشيء الى الغاية المرادة منه. يقالُ آل الامر إلى كذا يئول أوْلاً، رجع. وأوّلته

اليه رَجَعته؛ ومنه: { ... هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ... } [الاعراف: 53] أي ما ينتظرون إلا حقيقة ومآلَ ماأُخبروا به من أمرالمعاد. والمراد هنا المعنى الثاني، على ما أختاره الراغب. وذهب آخرون إلى اختيار المعنى الأول.

{وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}

اي الثابتون المتمكّنون فيه، وهم الذين أتقنوا علمهم؛ فلم يداخلهم فيه شك ولم تعرض لهم فيه شبهة. وأصله في الأجرام أن يَرْسَخ الجبل والشجر في الأرض، واستعمل في المعاني، ومنه: رسخ الإيمان في قلبه اي ثبت، واستقر. فإذا فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه فالوقف على لفظ الجلالة، وما بعده استئناف؛ أي والراسخون في العلم يقولون آمنا به، ويفوضون علمه اليه سبحانه، ولا يقتحمون أسواره كأهل الزَّيْغ والضلال الذين خلطوا فيه بغير علم، واتبعوا أهواءهم بغير هدى. وإذا فسر بما لا يتضح معناه إلا بنظر دقيق، فالحق الوقف على لفظ (العِلْم)؛ أي أنه لا يعلم تأويلَه الحقَّ المطابق للواقع إلا الله والراسخون في العلم؛ دون أولئك الزائغين. ويجوز الوقف على لفظ الجلالة؛ لانه لا يعلمه كله الا الله تعالى، أو لا يعلمه بالكُنه سواه. وإذا فسّر بما قام الدليل القاطع على أن ظاهره غيرُ مراد، مع عدم قيام الدليل علي تعيينه، جاز الوقف والعطف عند من يجوّزِ الخوض فيه، وتأويله بما يرجع إلى الجادّة في مثله؛ وهم جمهور الخلف. ووجب الوقف على لفظ الجلالة عند من يمنع الخوض فيه ويمنع تأويله؛ وهم جمهور السَّلف. ونقل ابن كثير: انه اذا اريد من التأويل المعنى الاول الذي أسلفناه فالوقف على لفظ (العلم)،لأنَّ الراسخين يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به، وإن لم يُحيطُوا علماً بحقائق الأشياء على ما هي عليه. وإذا أريد منه المعنى الثاني فالوقف على لفظ الجلالة؛ لأن الحقائق لا يعلمها على الجليّة إلا الله عزَّ وجلَّ. والحكمةُ في إنزال المتشابه على التفسير الأول: الابتلاءُ به؛ ليخضع العبد لسلطان الربوبيّة ويُقر بالعجز والقصور. وفي ذلك غايةُ التربية ونهايةُ المصلحة؛ كما ابتلى سبحانه عباده بسائر التكاليف والعبادات، وعلى التفسير الثاني وكذا الثالث: أن يشتغل أهل النظر والفقه في الدِّين بردّ المتشابه إلى المُحْكَم؛ فيطول بذلك نظرهم، ويتصل بالبحث عن معانيه فكرهم؛ فيثابون على اجتهادهم كما أثيبوا على عباداتهم. ولو انزل القران كله محكماً لاستوى في معرفته العالم والجاهل، ولم يَفْضُل العالِمُ على غيره، ولماتت الخواطر وخَمَدَت القرائح؛ ومع الغموض والخفاء تقع الحاجة إلى الفكرة، والحيلةُ إلى استخراج المعاني، هذا إلى أن القرآن في أعلى طبقات البلاغة والاعجاز، وفي ألفاظه و آياته وأسلوبه من المجازات والكنايات، والتشبيهات والاشارات، ما يوجب كَدَّ الاذهان وشحذَ القرائح؛ لاستخراج معانيه و استقصاء مراميه، وذلك مما لايقدر عليه إلا من أوتيَ أوفر حظٍّ من العلم والفقه، وكانت له قَدَمٌ راسخة في البحث والفهم. هذا، ومن المتشابه آيات الصفات وأحاديث الصفات كما قدّمنا. ومذهب السَّلف فيها: أنها صفات ثابتة الله تعالى وراء العقل، جاء بها السمع؛ فيجب الإيمان بها كما وردت، مع وجوب إعتقاد تنزيهه تعالى عن التجسيم والتشبيه؛ لئلا يضادّ النّقلُ العقلُ، وان ظاهرها غير مراد قطعا لاستحالته عليه تعالى، فإن ذاته وصفاته مخالفةٌ لذوات المحدثات

وصفاتهم. قال الإمام الشعراني وغيره: إن مذهب السلف أسلم وأحكمُ، وقد درج عليه صدر الأمة وساداتها، واختاره ائمة الفقه والحديث، حتى قال الإمام محمد بن الحسن: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه. اهـ. أي من غير تأويل على سبيل التفصيل، ولا تمثيل له بالحوادث: تعالى الله عن الشبيه والمثال. [راجع المسألة الرابعة من المقدمة ص و].

.8

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (8)

{رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا}

اي لا تُمِلْها عن ألحق والإيمان بك والتسليم لك. يقال: زاغت الشمس تزييغ زيغاً، مالت، وهو من قول الراسخين. وقيل من كلامه تعالى؛ أي قولوا ذلك.

.9

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (9)

.10

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (10)

.11

كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (11)

{كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ}

أي حال هؤلاء في الكفر واستحقاق العذاب كحال آل فرعونَ والذين من قبلهم من الأمم. وأصل الدأب الدوام، يقال دأب على كذا يَدأبُ دَأَباً ودأْبا ودُؤُباً إذا داوم عليه وجدّ فيه وتعِب، ثم غلب استعماله في الحال والشأن والعادة.

.12

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (12)

{قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا}

قل لليهود الذين دعوتهم الى الاسلام فتمردوا عليك بنقض العهد، ومُمالأة قريش عليك بعد غَزْوة أحُد، وقالوا: لسنا أمثال قريش في الضعف وقلة المعرفة بالقتال، بل نحن أولُو قوّة ومعرفة به -: انكم ستُغلبون في القتال كما غُلب المشركون في بدر.

{وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ}

ما مهدتموه لأنفسكم في الاخرة. والمهادُ –كفراش وزناً ومعنى–وهو الوضع الذي يُوطّأُ للصبيّ ويُمهّد له؛ وجمعه مُهُد، ككتاب وكتب.

.13

قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (13)

{فِي فِئَتَيْنِ}

جماعَتَين التقتا في القتال يومَ بدر، جماعةِ المسلمين وجماعةِ المشركين. وأصل الفِئة: من الفَيء، وهو الرجوع، وسُمِّيت الجماعة فِئةً لأنه يُرْجع إليها في وقت الشدة، وجمعها فئات وفئون.

{يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ}

يري الكفار المسلمين مِثلَيْهم، أي مثلَي الكفار في العدد، وذلك عند الالتحام في ساحة القتال، لتضعف قلوبهم وينهزموا، فيتمكن منهم المسلمون قتلاً وأسرا. وأما تقليلُهم في أعين الكفار في قوله تعالى: {وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ .. } [الانفال: 44] فهو قبل ذلك ليطمعوا في المسلمين ولا يَجْبُنُوا عن قتالهم.

{وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ}

يقوّي بنصره ولو بدون الأسباب العاديّة: يقال: أيّدته تأييدا فهو مؤيَّد. أي قويته تقوية وأعنته، ومنه: {ذا الايد} [ص: 17] اي القوة.

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً}

لعِظة. من العُبُور، وهو التجاوز من حالٍ إلى حال؛ ومنه: عبر الوادي يَعبُرُه عبْراً وعبوراً، قطعه من عِبْره إلى عبره، أي من شاطئه إلى شاطئه. وسُميَ الاتعاظُ عِبْرَة لأن المتعظ يعبرُ به من الجهل إلى العلم، ومن الهلاك إلى النجاة.

.14

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14)

{حُبُّ الشَّهَوَاتِ}

المشتهيات بالطبع.

{وَالْبَنِينَ}

لم يذكر البناتِ لشمول البنينَ لهنّ على سبيل التغليب.

{وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ}

جمع قِنطار، وهو المال الكثير الذي يتوثق به في دفع الحاجة. مأخوذ من الإحْكام تقول: قَنْطرت الشئ إذا أحكمته؛ ومنه القنطرة لتوثقها بعقد الطاق. والمقنطرة: أي المجموعة قنطاراً قنطاراً، كقولهم: دراهمُ مدرهَمة، وإبلٌ مؤبلة. وذكره للتأكيد.

{وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ}

أي الراعية في المُرُوج والمسارح. يقال: سوَّم ماشيته إذا أرسلها في المرعى. أو المطهَّمة الحسان؛ من السِّيما بمعنى الحسن. أو المعلَّمة ذات الغرة والتحجيل؛ من السِّمة أو السُّومة بمعنى العلامة. والخيل: اسم جَمع كرهط. أو جمع خائل، كطير وطائر. وسُميت خيلاً لاختيالها في مشيتها بطول أذنابها.

{وَالْأَنْعَامِ}

الإبل والبقر والغنم، جمع نعَمِ. ولا يقال للجنس الواحد منها نَعَم إلا للإبل خاصَّة.

{وَالْحَرْثِ}

اي المزروعات.

{حُسْنُ الْمَآبِ}

المرجعُ الحَسَن وهو الجنة؛ فهيَ الاحق بالرغبة فيها لبقائها دون المُتَعِ الفانية. والمآبُ: إسم مصدر بوزن مَفْعَل، من آب – كقال – إيابًا وأوْباً و مآبا، إذا رجع. واصله مأوب، نقلت حركة الواو إلى الهمزة ثم قلبت الواو ألفا، مثل مقال.

.15

قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (15)

{وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ}

رضاءٌ عظيم منه تعالى، لا سَخَطَ بعده أبدا.

.16

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (16)

.17

الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (17)

{وَالْقَانِتِينَ}

المطيعين الخاضعين لله؛ من القنوت، وهو لزوم الطاعة مع الخضوع.

{وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ}

ه جمع سَحَر، وهو من ثلث الليل الاخير. أو من حين يُدبر الليل إلى طلوع الفجر. وتخصيصُ الاسحار بالاستغفار لان الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة، إذ العبادة حينئذ أشقُّ، والنفسُ أصفى، والرُّوعُ أجمع. وعن أنس: كنا نُؤمر إذا صلَّينا من

الليل أن نستغفر في آخر السحر سبعين مرةً.

.18

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18)

{قَائِمًا بِالْقِسْطِ}

قائما بالعدل في قَسْمه و حكمه، وتدبير أمر خلقه. والقِسْطُ والإقساطُ: العدل. يقال: قسَط يقسِط ويقسُط قِسطا، وأقسط إقساطاً فهو مُقسِط،، إذا عدل، ومنه: { ... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (42) [المائده] ويُطلق القِسْط على الجَوْر، والفاعلُ قاسط؛ منه: {وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (15) [الجن].

.19

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (19)

{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}

اي ان الشريعة المرضية عند الله تعالى هي: الاستسلامُ والانقيادُ اليه، والدخول في طاعته. يقال: اسلم أي انقاد واستسلم، واسلم امره لله سلّمه إليه. وفسر قتادةُ الإسلام بأنه: شهادة أن لا الله إلا الله، والإقرار بما جاء من عند الله وهو دين الله الذي شرعه وبعث به رسله، ودلّ عليه أولياءه فلا يقبلُ غيره ولا يجزي بالإحسان الا به. وهو الدين الحنيف الذي جاء به خاتم رسل الله صلى الله عليه وسلم.

{الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}

هم اليهود و النصارى، و قد اختلفوا في الإسلام أو في التوحيد من بعد قيام الدلائل على صحته، وشهادة كتبهم به.

{بَغْيًا}

حسداً وطلباً للرياسة.

.20

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (20)

{أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ}

أخلصت عبادتي لله وحده، وأطعتهُ وانقدتُ له. وعبّر عن الذات بالوجه لأنه أشرف الأعضاء، وبه يحصل التوجه إلى كل شيء.

{وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}

هذه الآية من أصرح الأدلة على عموم بعثته صلى الله عليه وسلم للخلق كافة. وقد نطقت بذلك الايات والاحاديث الصحيحة، قال تعالى: {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا .... } [الاعراف:158]، وقال: { ... لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (1) [الفرقان]. وقال صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الامة يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذي أرسِلتُ به إلا كان من أهل النار) رواه مسلم. وقال: (بُعِثت إلى الأحمر والأسود) أخرجه ابن سعد. {وَالْأُمِّيِّينَ} الأمّيونَ: من ليس لهم كتاب، والمرادُ مشركو العرب.

.21

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (21)

.22

أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (22)

{حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ}

أي

بطلت أعمالهم وخلت عن ثمراتها.

.23

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ (23)

{أَلَمْ تَرَ}

خطابٌ لكل من يتأتى منه الرؤية؛ على طريق الاستفهام التَّعجيبيّ من حال اليهود من أهل الكتاب. أي ألم ينته علمك إلى الذين ... الاية. والكتاب: التوراة.

.24

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24)

{أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ}

أربعين يوماً، و هي مدة عبادتهم العجل. فهوّنوا على أنفسهم الخطوب، ولم يبالوا بالمعاصي والذنوب.

{وَغَرَّهُمْ}

اي خدعهم وأطمعهم في غير مطمع.

{يَفْتَرُونَ}

اي يكذبون على الله.

.25

فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (25)

.26

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26)

{اللَّهُمَّ}

أصله: يا ألله؛ فحذف حرف النداء و عُوض عنه الميمُ المشددة.

.27

تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (27)

{تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ}

تُدخل طائفةً من الليل في النهار؛ فيَقصُر اللْيلُ و يزيد النهارُ، و تُدخل طائفة من النهار في الليل، فيقصُر النهارُ و يزيد الليل. من الولوج وهو الدخول؛ يقال: وَلَجَ منزله يلِجُه، دخله. ويقال: أولجه، أدخله.

{وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ}

تخرج الحيوان من النُّطْفة، والنطفة من الحيوان، وتُخرج النبات الغضَّ الطرِيّ من الحبّ اليابس، وتخرج الحبَّ اليابس من النبات الحيّ النامي.

{بِغَيْرِ حِسَابٍ}

[البقرة:212].وفي الاية دليلٌ علي مزيد عظمته، وكمال قدرته على البعث والجزاء.

.28

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (28)

{لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ ... }

كان بعض اليهود يباطنون نفراً من الانصار لِيَفتِنُوهمْ عن دينهم؛ فقال لهم بعض الصحابة: اجتنبوهم، واحذروا مباطنتهم، لا يفتنوكم عن دينكم؛ فأبَوْا إلّا ملازمتهم، فنزلت الاية. اي لا تتخذوا لكم أنصارًا وبطانة من الكافرين، متجاوزين اخوانكم المؤمنين، تُسِرُّون اليهم بالمودّة وتركنون إليهم. وتُلقون اِليهم ذات صدوركم؛ فإنهم لا يألون جهدا في مضرتكم والنكاية بكم. ومثله قوله تعالى: {لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ... } [ال عمران:118].وقوله تعالى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ..... } [المجادلة:22]، وقوله: {لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى

أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ... } [المائدة:51]، وقوله: {لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ... } [الممتحنه:1].والاولياءُ: جمعُ وَليّ، بمعنى الموالي؛ من الوَلْيِ وهو القُرْب.

{فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ}

أي ومن يوالِ الكفارَ هذه المولاة، فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية، يعني انه منسلخ من ولاية الله رأساً.

{إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً}

أي الا ان تخافوا منهم مخافةً. أو تخافوا من جهتهم أمراً يجب اتقاؤه؛ من الضَّرر في النفس أو المال أو العِرض. وذلك إذا كان الكفار غالبين ظاهرين، أو كنتم في قومٍ كفار؛ فيرخص لكم مداراتهم باللسان، بل تداروهم وأنتم لهم كارهون. وألاتعملوا ماهو محرم؛ كشرب الخمر، وإطلاعهم على عورات المسلمين، والانحياز إليهم في مجافاة بعض المسلمين؛ فلا رُخصة إلا في المداراة باللسان. وعن معاذ و مجاهد: أن هذا الحكم قد نُسخ بعد قوة الإسلام. وعن الحسن: جوازُ التقية في كل وقت؛ لدفع الضرر بقدر الامكان. و (تُقَاةً) مصدر تقيتُه – كرميته – بمعنى اتقيته، ووزنه فُعَلَة، ويُجمع على تُقى؛ كرُطَبَة و رُطب. وأصل تقاةٍ: وُقَيَة من الوقاية، فابدلت الواوُ المضمومة تاءً والياءُ الفاً لتحركها وانفتاح ماقبلها. و (تقاة) على المعنى الأول مفعول مطلق؛ والتقدير: إلا أن تتقوا منهم اتقاءً؛ فوقع (تقاة) موقع اتقاء، والعرب تنيب المصادرَ بعضها عن بعض. وعلى الثاني مصدرٌ مفعول به؛ وتقديره: إلا ان تتقوا منهم متقى؛ أي أمراً يُتَّقى ويُخاف ويُحذر.

{وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ}

يخوفكم عقابه وانتقامه.

.29

قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (29)

.30

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (30)

{مُحْضَرًا}

مشاهداً في الصحف لم يُبْخَس منه شيء؛ قال تعالى: { ... وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49) [الكهف].

.31

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31)

{تُحِبُّونَ اللَّهَ}

أي تُحبون طاعتَه أو ثوابَه. وأكمل من ذلك: محَبته تعالى لذاته؛ لاطمعاً في ثوابه، ولاخوفاً من عقابه.

.32

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (32)

.33

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33)

{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ}

نزلت حين قال اليهود: نحن ابناء ابراهيم وإسحق ويعقوب، ونحن: علي دينهم. اي ان الله تعالى اختار هؤلاء لاداء رسالته و هي الإسلام، وأنتم على غير دين الإسلام، إذ امركم باتباعه فخالفتم وأرسل إليكم رسولاً بشَّر به موسى وعيسى فكذبتم، وهو من بيت النبوّة، ومن ذريّة إبراهيم، كموسى و عيسى عليهما السلام، وقد اصطفاه كما اصطفى مَن قبله فلمَ كفرتم به!؟

.34

ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (34)

.35

إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35)

{امْرَأَتُ عِمْرَانَ}

هي حنة أمُّ مريم. وعمرانُ هذا، غير عمران أبي موسى عليه السلام؛ وبينهما نحو الف وثمانمائة الف سنة.

{مُحرّرا}

مُخلَصاً لعبادتك وخدمةِ بيت المَقْدس، معتقاً من أمر الدنيا؛ من حرَّرت العبد: خلصته من الرق وأعتقته. ورجل حُرٌّ، إذا كان خالصاً لنفسه، ليس لاحدٍ عليه يدٌ وتصرُّف.

.36

فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (36)

{أُعِيذُهَا بِكَ}

أمنعها وأجيرها بحفظك؛ من العوْذِ، وهو أن تلتجيء الى غيرك وتتعلق به. يقال: عاذ فلان بفلان إذا استجار به؛ ومنه العُوذة و هي التميمة والرُّقية.

.37

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37)

{وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا}

ضمَّها الله تعالى إلى زكريا وجعله كافلاً لها، و ضامنا لمصالها – وهو زوج خالتها – بالقُرعة التى أجروْها حينما اختلفوا فيمن يكفلها؛ من الكفالة بمعنى الضمان. يقال: كَفَله وتكَفّل به واكفله إياه، ضمنه. والكفيلُ: الضامنُ، كالكافل، و هو الذي يعولُ غيره.

{الْمِحْرَابَ}

هو غرفة في بيت المقدس، لا يُصعَد إليها إلا بسلم. أو هو المسجد؛ وكانت مساجدُهم تسمى المحاريب. وسُمِّي محرابا لأنه محل محاربة الشيطان والهوى.

{أَنَّى لَكِ هَذَا}

من أين يجئ لك هذا الرزق الذي أرى عندك في غير أوانه!؟ و تُستعمل "أنى" بمعنى من أين ومتى وكيف لتضمُّنها معانيها.

.38

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (38)

.39

فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (39)

{مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ}

أي بكلمة كائنة من الله، يعني عيسى بن مريم. وسُمِّيَ كلمةً لان الله تعالى خلقة بكلمة (كن) من غير توسط سبب عادِيّ فكان؛ وكان تأثير الكلمة في حقه أظهر. أو مصدقاً بكتاب من الله والمراد به الإنجيل وإطلاق الكلمة عليه؛ كما تقول العرب: أنشدني كلمة؛ يريدون قصيدة.

{وحصوراً}

هو من لا يأتي النساء وهو قادر على ذلك، من

الحَصْر وهو الحبس، لحبسه نفسه عن شهوتها.

.40

قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (40)

{أَنَّى يَكُونُ} كيفَ او مِن اين يكون؟

{عَاقِرٌ}

عقيم لا تلد لكبر سنِّها؛ من العقر وهو العُقْم. يقال: عَقَرت المراة تعقِر عَقْرا؛ فهي عاقر.

.41

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (41)

{رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً} علامة تدلُ على حصول الحَمْل؛ لأبادر الى شكر هذه النعمة والقيام بحقها.

{أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ}

أي تعجز عن تكليمهم بغير آفه.

{إِلَّا رَمْزًا}

إيماءً وإشارةً، حيثُ حُبس عن النطق من غير آفه. وفِعْلُه من بابَيْ نصر و ضرب. والاستثناء منقطع، لان الرمز ليس من جنس الكلام، أي النطقِ باللسان.

{وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ}

التسبيحُ: الصلاة. والعشيُّ: جَمْعُ عشية، وهي من الزوال إلى الغروب. والابكار: مصدر أبكر بمعنى بكر، أريد به الوقت الذي هو البُكرة، وهو من طلوع الفجر إلى الضحى. ويقال: التسبيحُ التنزيه، والمراد نزهه تعالى دائما عما لايليق به من العجز والنقص.

.42

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42)

{عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ}

اي عالمي زمانها؛ كما في نظائره.

.43

يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (43)

{اقْنُتِي لِرَبِّكِ}

أُخلصي له وحده العبادة، واديمي له الطاعة؛ من القنوت، وهو لزوم الطاعة مع الخضوع.

.44

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (44)

{يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ}

يرمون سهامهم في الماء الجاري للاقتراع على من يكفُلُ مريم؛ فمن وقف قلَمُه عن الجرى مع الماء فهو أحقُّ بها، فجرت كلها مع الماء إلا قلمَ زكريا فانه ثبت فكفلها الله له. والأقلامُ والسِّهام والأزلامُ و القداحُ بمَعْنى.

.45

إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45)

{بِكَلِمَةٍ مِنْهُ}

اي كائنة من الله، أي مبتدأة منه من غير توسط الأسباب العادية، قال له كن فكان.

{الْمَسِيحُ}

فعيل بمعنى فاعل؛ للمبالغة في مسحه الأرضَ بالسياحة للعبادة. او مسحه ذا العاهة ليَبْرأ أو بمعنى مفعول، أي ممسوح لأن الله مسحه بالبركة، أو طهره من الذنوب. و هو لقبٌ منقولٌ

عن الصفة.

{وَجِيهًا}

أي ذا جاه و قدر و شرف.

.46

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46)

{فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا}

اي في حال كونه صغيرًا قبل أوان الكلام، وفي حال الكهولة. والمَهدُ: اسم للمضجع الذي يُهيَّأ للصبي في رَضاعه. وهو في الأصل مصدرُ مَهَده يَمْهدُه، اذا بسطه وسواه. والكهلُ: من وخَطَه الشيبُ، أو اجتمعت قوته وكَمُل شبابه؛ و منه: اكتهل النبات اذا طالَ و قويَ. فهو عليه السلام يكلِّمهم بكلام الانبياء، من غير تفاوت بين حالتي الطفولة والكهولة، وهو إحدى معجزاته عليه السلام. وفي تغير أطوار حياته من طفولة إلى كهولة ردٌّ على النصارى الذين يزعمون ألوهيته.

.47

قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (47)

{إِذَا قَضَى أَمْرًا}

اي اذا أراد شيئا فانما يقول له كن فيكون، ويحدث فورا بلا مهلة؛ قال تعالى: {وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (50) [القمر]. وأكثر المفسرين على أنه تمثيلٌ لتأثير قدرته في مراده، بأمر المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع وتوقف، وافتقارٍ إلى مزاولة عملٍ واستعمال آلة. وكأن أصل الكلام: إذا قضى أمرًا فيحصل عَقِبه دفعةً، فكأنما يقول له كن فيكون. وقيل هو حقيقة [آيه 117 البقرة ص 29]

.48

وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (48)

{وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ}

أي الكتابة والخط ليستفيد بهما.

{والحكمة}

وهي الإصابة في القول والعمل. أو احكام الشرائع.

.49

وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (49)

{أَخْلُقُ}

أصور وأقدِّر.

{لكم}

لاجل تصديقكم بي.

{وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ}

أشفي بإذن الله من ولد أعمى فيُبْصر. يقالُ: برأ المريض يبرأ ويبرُو بُرْءا وبروءًا، إذا نقه من مرضه. وبرؤ – ككرم وفرح – بَرْءا وبُرْءا و بُروءًا، إذا نَقِه من مرضه. وأبرأه الله فهو بارى و برئ. و كَمِه يَكْمَه كَمَهاً، إذا ولد أعمى؛ فهو أكمه، وامرأة كمهاء.

{تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ}

تَخْبَئُونه فيها لحاجتكم إليه؛ من الادخار، وهو إعداد الشئ لوقت الحاجة إليه. يقال: ذخرته وادّخرته، إذا أعددته للعُقبى. وأصله (تذتخرون) بالذال المُعجَمَة – من اذتخر الشيء – بوزن افتعل – ثم دخله الإبدال.

.50

وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (50)

{حُرِّمَ عَلَيْكُمْ}

اي في التوراة. و هو صريح في أن شريعة عيسى نَسخت شريعةَ موسى عليهما السلام في بعض الاحكام.

.51

إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (51)

.52

فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (52)

{أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ}

أي علمه يقيناً، وتحققه تحَقُّقَ مايدرك بالحواس. يقال: أحسَّ الشيء، علمهُ بالحس. وأحسَّ بالشيء، شعرَ به بحاسته. ومنه: {هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ} [مريم: 98].

{مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ}

اي اعواني، حال كوني ذاهباً إلى الله، اي ملتجئاً اليه؛ جمع نصير.

{الْحَوَارِيُّونَ}

أصفياء عيسى، جمعُ حواريٌّ. وحواريُّ الرجُلِ: ناصره وخالصتهُ، من الحَوَر: وهو شدة البياض. ومنه قيل: الحُوارَي للخبز الخالص الدقيق. وسُمُّوا حواريين لخلوص نيّاتهم ونقاء سرائرهم من النفاق والريبة، كنقاء الثوب الابيض من الدنس.

.53

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (53)

.54

وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (54)

{وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ}

دبَّر اليهود الذين احس عيسى منهم الكفر قتله غِيلة، وتواطئوا عليه؛ فأحبط الله تعالى تدبيرهم برفعه الى محل كرامته، والقاء شَبَهه على من قصد اغتياله فقتلوه. والمكر: التدبير المحكم، أو صرف غيرك عما يريده بحيلة. وهو مذموم إن تحرى به الفاعلُ الشرَّ والقبيح؛ كمكر هؤلاء اليهود. ومحمودٌ ان تحرَّى به الفاعلُ الخير والجميل؛ ومنه (مكر الله) حيث نجّى رسوله منهم. فلا ضرورة لادعاء المشاكلة اللفظية في اطلاق المكر في حقه تعالى، وانما يراد به في حقه سبحانه وتعالى المعنى الائق بكماله.

.55

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (55)

{إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}

. اي آخذك وافياً بروحك وجسمك. ورافعُك إلى محل كرامتي؛ فالعطف للتفسير. يقال وفّيت فلاناً حقه، أي أعطيته إياه وافيا؛ فاستوفاه و توفاه اي أخذه وافيا. أو قابضُك ومستوفي شخصك من الأرض؛، مِن توفي المال بمعنى استوفاه وقبضه. واعلم أن عيسى عليه السلام لم يُقتل ولم يُصلب؛ كما قال تعالى: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ} [النساء: 157] وقال: {وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) [النساء]. فاعتقادُ النصارى القتل والصّلب كفرٌ لا ريب فيه. وقد أخبر الله تعالى أنه رفع إليه عيسى، كما قال: {وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [ال عمران: 55] وقال: {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} [النساء:158] فيجب الإيمان به.

والجمهور على أنه رُفع حيًا من غير موت ولا غفوة بجسده وروحه الى السماء. والخصوصية له عليه السلام هي في رفعه بجسده وبقائه فيها إلى الأمد المقدّر له. وأما التوفي المذكور في هذه الآية، وفي قوله تعالى: {فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ} [المائدة:117]. فالمراد منه على الرواية

الصحيحة عن ابن عباس والصحيح من الاقوال، كما قاله القرطبي، و هو اختيار الطبري وغيره. وكما كان عليه السلام في مبدإٍ خلقه آية للناس ومعجزة ظاهرة، كان في نهاية أمره آية ومعجزة باهرة. والمعجزات بأسرها فوق قدرة البشر ومدارك العقول؛ و هي من متعلقات القدرة الإلهية ومن الأدلة على صدق من الرسل عليهم السلام.

{وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا}

بتبعيدك منهم برفعك، وبنجاتك مما قصدوا بك.

{وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ ... }

هم كلُّ من آمن بأنه عبد الله ورسوله، وكَلمتُه القاها إلى مريم ورُوحٌ منه؛ وآمن بما جاء به من التوحيد الذي جاء به جميع الرسل. ويندرج فيهم المسلمون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، الذين آمنوا برسل الله جميعا. ولم يفرِّقوا بين أحد منهم. وهم فوق الذين كفروا بالحجّة والبرهان إلى يوم القيامة.

.56

فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (56)

.57

وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (57)

.58

ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (58)

.59

إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59)

{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ}

إن شأن عيسى بالنسبة لقدرة الله حيث خلقه من غير أب كشأن آدم حيث خلقه من غير أبوين؛ بل شأن آدم أعجبُ حيث خلقه من تراب يابس. فمن آمن بقدرته تعالى في خلقه آدم من تراب، كيف لا يؤمن بها في خلقه عيسى بن مريم من غير أب!

{خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ}

كلام مستأنف؛ لبيان أن المشبّه به اخرق للعادة وأغرب.

.60

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (60)

{فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}

أي الشاكين في أنَّ ذلك كذلك. والامتراء: الشك؛ من قولهم: مريت الناقة والشاة إذا حلبتها. فكأن الشاك يجتذب بشكه مراء؛ كاللبن الذي يُجْتذَب عند الحَلب. ويقال: مارى فلان فلاناً اذا جادله، كأنه يستخرج غضبه. والخطاب له صلى الله عيه وسلم والمراد به أمته أو لكل من يصلح للخطاب.

.61

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (61)

{تَعَالَوْا}

أي هلموا، أقبلوا بالعزم والرأي.

{نَدْعُ أَبْنَاءَنَا}

أي يدعُ كل منّا ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة.

{ثُمَّ نَبْتَهِلْ}

أي نتباهل ونتلاعن: بأن نقول: بُهلة الله على الكاذب منا ومنكم؛ وأفتعل وتفاعل أخوان، كأقتتل وتقاتل.

والبَهْلةُ: اللعنة. يقال: بَهَله الله يَبْهَله بهلاً، لعنه وأبعده من رحمته؛ ثم شاعت في كل دعاء مجتَهَد فيه وإن لم يكن التعانا. والآية نزلت في محاجَّة نصارى نجْران للنبي صلى الله عليه

وسلم، ولما دعاهم إلى المباهلة امتنعوا وقالوا: إنه والله النبيُّ المبشر به في التوراة والإنجيل! ولو باهلناه لم يبق نصرانيّ على وجه الارض.

.62

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (62)

.63

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (63)

.64

قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (64)

{كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ..... }

السَّواء: العدل والنَّصفةُ. أي هَلمُّوا الى كلمة ذات عدل وإنصاف بيننا وبينكم. أو السَّواءُ مصدر بمعنى مستوية، لا تختلف فيها الرسل والكتب المنزَّلة، وهي: {أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ}

.65

يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (65)

{أَفَلَا تَعْقِلُونَ}

اي: أتقولون ذلك فلا تعقلون بطلانه؟! وقد زعم اليهود أن إبراهيم كان يهوديا يَدِين بما يَدِينون، وزعم النَّصارى انه كان نصرانيًّا كذلك؛ فكذبهم الله تعالى بأنه لم يكن كما قالوا. وإنما كان (حنيفا مُسلما) وما كان مثلهم (من المشركين). فإن: النصارى أشركوا بزعم ألوهيّة المسيح، واليهود أشركوا بزعم التشبيه.

.66

هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (66)

{هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ} (ها) حرف تنبيه، و (أنتم) مبتدا خبرُه (حاججتم)، و (هؤلاء) منادَى حذف منه حرف النداء. وقيل: خبره {هؤلاء} وجملة {حاججتم} مستأنفة مبيّنة للجملة الاولى.

.67

مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67)

{حَنِيفًا مُسْلِمًا}

مائلاً عن الأديان الباطلة إلى الدِّين الحق، منقاداً لطاعته أو موحّداً. والإسلام يُطلق بمعنى التوحيد، ومنه {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [البقره:19].

.68

إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (68)

{وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ}

اي ناصرهم و مجازيهم بالحسنى.

.69

وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (69)

.70

يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (70)

{لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ}

أي لِمَ تكفرون بآيات الله المنَّزلة في كتبه، الدّالةِ على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم! وأنتم تعلمون أنها حقٌّ بما قام عليها من دلائل الصدق.

.71

يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (71)

{لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ}

تخلطونه به بتحريفكم التوراة والإنجيل، أو بإظهار تكذيبه مع علمكم بصدقه صلى الله عليه وسلم؛ من اللَّبس وهو الخلط. يقال: لَبَسَ عليه الامر يَلبِسهُ فالتبس، إذا خلطه عليه حتى لا يعرف جهته. وأمْرٌ مُلبِسٌ ومُلْتَبِس، اي مُشتَبه.

.72

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (72)

{آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ}

مكيدةٌ دبّرها ليهود ليُلبِّسوا على الضعفاء من المسلمين أمر دينهم؛ فتشاوروا بينهم أن يُظهروا الإسلام أوَّلَ النهار، فإذا جاء آخره أظهروا الكفر، ليقول الجهال: إنما ردّهم إلى دينهم إطلاعُهم على نقيصة وعَيبٍ في دين الاسلام؛ وهم أهل كتاب؛ فيرتدُّوا عن الإسلام مثلَهُم فاطلع الله نبيه بهذه الاية على ما دبروا.

.73

وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (73)

{وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ ... }

هذا من قول اليهود. يقول بعضهم لبعض: لاتصدقوا إلا نبياً يُقَرر شرائع التوراة؛ فأمّا من جاء بما يخالفها كمحمد فلا تصدقوه. واللام زائدة، كما في قوله تعالى: {قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (72) [النمل] اي رَدفَكم.

{إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ}

اي قل جوابا لهم: إنَّ الدِّين دينُ الله، فكلُّ ما رضيَه ديناً فهو الدِّين الذي يجب أتباعه، وقد رَضِيَ الإسلام ديناً ناسخاً لبعض شرائع التوراة فيجب اتباعه.

{أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ}

اي وقل لهم: لأن؛ أي من أجل أن يُؤتى أحد شريعةٌ مثل ما أوتيتم، ولما يتصل به من الغلبة بالحجة يوم القيامة؛ دبرتم ما دبرتم؟ لاجَرَم انه لم يَدعُكم إلى ذلك إلا الحسد؛ فحذف الجواب اختصارا، وهو كثير في لغة العرب. ويؤيده قراءة ابن كثير بهمزتين وتليين الثانية.

.74

يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (74)

.75

وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75)

{عَلَيْهِ قَائِمًا}

ملازما له تطالبه وتقاضيه.

{لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ}

ليس علينا فيما أصبناه من أموال العرب إثم ولاحَرَج؛ مبالغة منهم في التعصُّب لدينهم، حتى استحلُّوا ظلم من خالفهم فيه وأخذ ماله بأي طريق. أو لانهم قالوا: نحن أبناءُ الله وأحباؤه؛ والخلق لنا عبيد؛ فلا سبيل علينا إذا أكلنا أموالهم. فأكذبهم الله في ذلك بقوله:

{وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}

أنهم

كاذبون جراءةً منهم على الله. أو يعلمون أن الخيانة محرَّمةٌ في كل شريعة.

.76

بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (76)

.77

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (77)

{لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ}

لا نصيبَ لهم ولاحظّ في نعيمها.

{وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ}

اي كلام لُطف بهم؛ بل كلامَ نقمة وغضب.

{وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ}

أي لا يرحمهم ولا يُحسن إليهم، ولاينيلهم خيرا.

{وَلَا يُزَكِّيهِمْ}

اي لا يطهّرهم من دَنس الذنوب والاوزار بالمغفرة. أو لا يثني عليهم بجميل.

.78

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (78)

{يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ}

يحرّفون التوراة فيفتلون ألسنتهم بها، ويُميلونها عن المنَزل إلى المحرف المبدَّل كذبا على الله؛ ولهم في ذلك ما لا يحصى من اللّيّ، وهو الفتْل والميْل. يقال: لَوَى فلان يد فلان يَلْويها ليًّا، فتَلَها وأمالها. ولَوَى لسانه بكذا، كناية عن الكذب وتخرص الحديث.

.79

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79)

{وَالْحُكْمَ}

الحكمة أو الفهم والعلم.

{وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}

ولكن يقول: كونوا رَبَّانِيِّينَ؛ جمع ربّاني، وهو العالم الفقيه أو المدبّر أمر الناس: نسبة إلى الرَّب، بزيادة الألف والنون للمبالغة، كما في رَقَبَاني للغليظ الرَّقَبة. أو إلى رَبّان – كعطشان –بمعنى مُرَب، وهو المعلم للخير، ومن يسوس الناس ويعرّفهُم امور دينهم.

{تَدْرُسُونَ}

تقرأون الكتاب.

.80

وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (80)

{وَلَا يَأْمُرَكُمْ}

عطفا على يقول، و (لا) مزيدة لتأكيد معني النفي، وهو شائع في الاستعمال. أي ماكان لبشر أن يؤتيَه الله ما ذُكر ثم يأمر الناس بعبادة نفسه، أو باتخاذ الملائكة أو والنّبيين أرباباً. وقُريء بالرفع على الاستئناف؛ أي ولا يأمركم الله.

.81

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81)

{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النبيينَ}

أخذ الله الميثاق من النبيين أن يصدِّق بعضهم بعضاً. وأخذ العهدَ على كل نبيّ ان يؤمن بمن يأتي بعده من الانبياء وينصره إن أدركه؛ فان لم يدركه يأمر قومه بنصرته إن أدركوه. فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى، ومن عيسى أن يؤمن بمحمد؛ صلواتُ الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين. وإذا كان هذا حكم الأنبياء، كانت الأمم بذلك أوْلى وأحرى. وأصل الميثاق: العقدُ المؤكّد باليمين.

{لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ}

اللام موَطئة للقسَم، و (ما) شرطية في موضع النصب بآتيت، والمفعول الثاني ضمير المخاطَب، و (من) بيانٌ لـ (ما)، وقوله: (لَتُؤْمِنُنَّ) جواب القسم، وهو دليل جواب الشرط.

{وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي}

قبلتم عهدي. والإصرُ: العهدُ. وأصلُه من الاصار، وهو الطُّنب والأوتاد التي يُشد بها البيت؛ و اطلق على العهد إصرٌ لانه مما يؤصَر أي يُشد و يُعقد.

.82

فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (82)

.83

أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (83)

{وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ}

اي وله تعالى استسلم وانقاد كلُّ من في السموات والارض، من الملائكة والإنس والجن؛ طائعين وكارهين، مالكلُّ تحت قهره وسلطانه، وفي قبضة قدرته و تسخير ارادته.

{طَوْعًا} والطّوْعُ: الانقياذ بسهولة، يقال: طاعه وفي لغة من بابي با ع وخاف – انقاد له. وطاع له طوعا من باب قال.

{وَكَرْهًا} والكُرهُ: الاباءُ. يقال: كرهه – كسمعه – كَرْهاً وكُرهاً وكراهيةٌ وكراهة. إذا أباه. والجملة حالية: أي كيف يبْغُون غير دينه والحال هذه!

.84

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (84)

{وَالْأَسْبَاطِ}

أولاد يعقوب لصُلْبه أو أولاد أولاده [آيه 136 البقره]

.85

وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85)

{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ}

من يطلب بعد مبعثه – صلى الله عليه وسلم – دينا غير دين الإسلام، وشريعة غير شريعته، فلن يرضى الله منه ذلك؛ لأن الإسلام الذي جاء به هو الدِّين المرضيُّ عند لله تعالى؛ قال تعالى: {وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: 3]. وقيل: الاسلام التوحيد، وهو الذي أجمعت عليه الشرائع الالهيَّة؛ لما فيه من إسلام الوجه لله تعالى.

.86

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (86)

.87

أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (87)

.88

خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (88)

{يُنْظَرُونَ}

يؤخرون عن

العذاب لحظة.

.89

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (89)

.90

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (90)

{ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا}

ضمُّوا إلى كفرهم ما به ازدادوا فيه، وذلك كالإصرار عليه، وكطعن أهل الكتاب في الرسول صلى الله عليه وسلم، ونقضهم ميثاقه، و فتنتهم للمؤمنين، وطعنهم في القران.

{لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ}

أي لن يُتوقع منهم توبةٌ حتى تقبل؛ لأنهم غير أهلٍ لأن يوفَّقوا لها. فهو من قبيل: – ولا ترى الضَّبَّ بها يَنْجحِر.

.91

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (91)

.92

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92)

{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ}

ه لن تبلغوا حقيقة البِرّ. او لن تنالوا ثوابه حتى يكون ما تبذلونه في سبيل الله مما تحبُّونه وتؤثرونه من الأموال وغيرها. والنَيْلُ: الإصابة. يقال: نال ينالُ نيلاً، إذا أصاب ووجد، والبرُّ: الاحسان وكمالُ الخير. وأصلُه التوسُّعُ في فعل الخير. يقال: بَرَّ العبد ربه، أي توسع في طاعته. والإنفاقُ: البَذلُ؛ ومنه إنفاق المال. وعن الحسن: كلُّ شيء أنفقه المسلم من ماله بيتغي به وجه الله تعالى ويطلب ثوابه حتى التمرة يدخل في هذه الآية.

.93

كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (93)

{كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا}

قالت اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف تزعم أنك على مِلة إبراهيم وانت تاكل لحوم الإبل وتشرب البانها، وهي محرمة في مِلَّته؟ فقال لهم: كان ذلك حلالاً لإبراهيم. فقالوا: كلُّ شيء تحرِّمه فإنه كان محرّماً في مِلة نوحٍ و ابراهيم حتى انتهى إلينا؛ فأنزل الله الآية مكذباً لهم. والمعنى: كلُّ الطعام كان حلا لبني اسرائيل من قبل أن تُنَزَّل التوراة مشتملة على تحريم ما حُرِّم عليهم بسبب بغيهم وظلمهم، إلا ما حرمه إسرائيل –وهو يعقوب عليه السلام– على نفسه وعلى بنيه. باجتهاد منه؛ و هو: لحوم الإبل وألبانها، وكانت أحبَّ شيء إليه، فحرّمت عليهم في التوراة، ولم تكن محرمة من قبل في مِلة إبراهيم وإسماعيل واسحاق ويعقوب، عليهم السلام.

{فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}

فلم يجسُروا علي الاتيان بها فَبُهتوا.

.94

فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (94)

.95

قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (95)

{فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ}

وهي ملة الاسلام التي انا عليها؛

حتى تتخلّصوا من اليهودية التى اضطرتكم إلى الكذب على الله بتحريف آياته، والتشديد على أنفسكم بتحريم الطيبات.

{حنيفا}

اي مائلاً عن سائر الأديان الباطلة إلى الدين الحق [البقرة:135].

.96

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96)

{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ ... }

قالت اليهود للمسلمين: بيتُ المقدس قبلتُنا، وهو أفضل من الكعبة وأقدم، وهو مُهاجَر الانبياء. وقال المسلمون: بل الكعبةُ أفضل، فأنزل الله الآية. اي ان اوَّل بيت وضعه الله متعبَّدا للناس وقبلة للصلاة، وموضعاً للحج والطواف، سواء العاكف فيه والباد، لهو الكعبة التى بناها إبراهيم عليه السلام بمكة، وأنتم تزعمون أنكم على دينه ومنْهَجه، فكيف لا تصلُّون إليها، ولا تنسُكون فيها، مؤمنين بشريعته!

{ببكَّة}

لغة في مكة، والميم والباء يتعاقبان لغة كما في لازم ولازب.

{مُباركًا}

كثير الخير والنفع لمن حجه أو اعتمره، أو اعتكف فيه أو طاف حوله؛ لمضاعفة ثواب العبادة فيه. من البَركة، وهي النماء والزيادة.

.97

فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97)

{فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ}

على حُرْمته و مزيد فضله؛ منها: أن الآمر ببنائه الربُّ الجليل، وبانيه إبراهيم الخليل، وهو مهبط الخيرات ومصعَد الطاعات؛ ومنها: الحجرُ الأسود، والحطيمُ وزمزم، والمشاعر كلها، و مقامُ ابراهيم وهو الحجر الذي قام عليه اثناء البناء، ومنها: إهلاكُ من قصده من الجبابرة بسوءٍ؛ كأصحاب الفيل وغيرهم، وعدمُ تعرّض ضواري السباع للصيود فيه، ومنها: أمْنُ من دخله.

{مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ}

وقد كان ملتصقا بجدار البيت، حتى أخَّره عمر بن الخطاب رضى الله عنه في خلافته إلى ناحية المشرق حيث هو الآن؛ ليتمكن الطائفون من الطواف، وليصلى المصلون عنده دون تشويش عليهم من الطائفين.

{وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا}

الضمير المنصوب عائد إلى البيت بمعنى الحَرَمَ كله بقرينة أن بعض هذه الآيات موجودٌ في كل الحَرَم لا في خصوص البيت، فهو من باب الاستخدام، و هو ذكر اللفظ بمعنَى وإعادة الضمير إليه بمعنَى آخر. والمرادُ أمْنُ من دخله في الدنيا وفي الآخرة.

{وَمَنْ كَفَرَ}

أي جحدَ فرضية ألحج فلم يرَ فِعلَه بِرا ولا تركَه مأثماً.

.98

قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (98)

.99

قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (99)

{تَبْغُونَهَا عِوَجًا}

تطلبون لسبيل الله – و هي ملة الإسلام- إعوجاجاً وميلا عن القصد والاستقامة. أو تطلبونها معوجّة أي مائلة زائغة عن الحق، والمرادُ طلب ذلك لأهلها، وذلك بالتحريش والإغراء بينهم؛ لتختلف كلمتهم ويختل أمر دينهم. من البُغاء –بالضم–وهو الطلب؛ يقال: بغيتُ له كذا وبغيةٌ، أبغيه بُغاءً وبُغي و بُغيَة وبغيةٌ، إذا طلبته. وأعوج– بكسر العين وفتحها–:مصدرُ عَوِجٍ، كتَعِب. قال ابن

الأثير: إن مكسور العين مختص بما ليس بمرئيّ؛ كالرأي والقول. والمفتوح مختصٌ بما هو مرئيٌّ؛ كالاجساد. و عن ابن السكيت: أن المكسور أعمُّ من المفتوح. واختار المَرزوقيُّ أنه لا فرق بينها.

.100

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (100)

{إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا}

أي من اليهود في إثارة الإحن التي كانت بينكم في الجاهلية وتهييج الفتن، كراهةً لما أنتم عليه بعد الاسلام من التآخي والتراحُم يصيّروكم بعد ايمانكم كافرين؛ فاحذروهم أشدّ الحذر.

.101

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (101)

{يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ}

يمتنع بالله ويستمسك بدينه او كتابه؛ من الاعتصام وهو الاستمساك بالشيء في منع النفس من الوقوع في آفة.

ويقال: اعتصم بالله، أي أمتنع بلطفه من المعصية.

.102

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102)

{اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ}

أي اتقاءً حقاً. أي ثابتاً واجباً، من حق الشيءُ بمعنى ثبت ووجب. وذلك بأداء ما كلفتم به على قدر الطاقة، كما قال تعالى بياناً لذلك: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن: 16]. والتقاة: اسم مصدرٍ من اتَّقى، كالتُّؤدة من اتأد.

.103

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103)

{بِحَبْلِ اللَّهِ}

اي بعهد الله، او بدينه، او بالقرآن، لأنه سبب يوصِّل إليه. وأصل الحبل: السبب الذي يتوصَّل به الى ألبُغْية.

{وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا ... }

على طرف.

{حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ}

ليس بينكم وبينها إلا أن تموتوا كفاراً، والشَّفا طرفُ الشيئ وحَرْفُه؛ مثل شفا البئر.

{فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا}

بمحمد – صلى الله عليه وسلم –.

.104

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104)

{أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ}

الامةُ: الجماعة التي تُؤَمُّ وتُقصد لامر ما. وتُطلق في القرآن أيضاً على أتباع الأنبياء، وعلى القُدْوة، وعلى المِلة، وعلى الطائفة من الزمان، إلى غير ذلك من معانيها. والمرادُ بالخير: ما فيه صلاحٌ للناس، دينيٌّ او دنيويٌّ. و بالمعروف: ما عرف بالعقل والشرع حُسنُه أو ما وافق الكتاب والسُّنة. وبالمنكر: ضدُّ ذلك.

.105

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (105)

{كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا}

هم اليهود والنصاري وفيه زجرٌ

للمؤمنين عن التَّفرق والاختلاف للهوى.

.106

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (106)

.107

وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (107)

.108

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (108)

.109

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (109)

.110

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (110)

{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ}

أفاد ان هذه الامة خيرُ الأمم وأنفعُ الناس للناس لاتصافها بما وصفها الله به في هذه الآيه.

.111

لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (111)

{إِلَّا أَذًى}

أي لن يضركم اليهود إلا ضرراً يسيراً لا يبالى به؛ كالسب والطّعن والتهديد ونحوه؛ فلا تبالوا بهم.

{يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ}

ينهزموا ويُخذلوا.

.112

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (112)

{ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ ..... }

[راجع آيه 61 البقره].

{ثُقِفُوا}

أي وُجدوا، أو ظفر بهم.

{إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ}

أي لايَسلمون من الذلة في أي حال إلا في حال اعتصامهم بحبل من الله وهو دينه او كتابُه.

{وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ}

وهو عهد الذمة والأمان. والواو بمعنى أو.

{بَاءُوا بِغَضَبٍ}

رجعوا به مستحقين له.

{الْمَسْكَنَةُ}

فقر النفس وشحها.

.113

لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113)

{لَيْسُوا سَوَاءً}

تمهيدٌ لتعداد محاسن مؤمني أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام واضرابه والنجاشِي وأصحابه. أي ليس أهل الكتاب متساوين في الاتصاف بما ذُكر من القبائح؛ بل منهم طائفةٌ سَلِمت منها، واتصفت بالخير، وقد وصفها الله هنا بثمانية أوصاف.

{مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ}

مستقيمةٌ ثابتةٌ على طاعة الله؛ من قام بمعنى استقام. تقول أقمت العودَ فقام؛ أي استقام واعتدل.

{آنَاءَ اللَّيْلِ}

أي ساعاته. جمع إِني وأَني وإِنْيٍ وإِنوٍ. فالهمزة في {آنَاءَ} منقلبة عن ياء؛ كرداء. أو عن واو ككساء.

.114

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114)

.115

وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (115)

.116

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (116)

{لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ}

لن تَدفع عنهم أو تجزي عنهم.

.117

مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (117)

{مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ}

اي حال ما ينفقه الكفار في الدنيا قربةً أو مُفاخرةً وسُمعةً في ضياعه وذهابه وقت الحاجة إليه في الآخرة، من غير أن يعود عليهم– كحال زرعٍ لقوم ظالمين، أصابته ريحٌ مُهلِكةٌ فاستأصلته؛ ولم ينتفع أصحابه منه بشيء وهو من التشبيه المركَّب. {فِيهَا صِرٌّ}

بكسرِ أوله: بردٌ شديد. أو سَمومٌ حارةٌ مهلِكةٌ.

{حَرْثَ قَوْمٍ}

زرعهم.

.118

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَاعَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (118)

{لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً}

أي لاتتخذوا أولياءَ وأصفياءَ لكم من غير إخوانكم المؤمنين: كاليهود والمنافقين، تُصافونهم وتُطلعونهم على اسراركم؛ لانهم لايألون جَهداً في افساد أمركم، ويودّون مضرتكم ومشقَّتكم في دنياكم ودينكم. وآية ذلك ظهور عداوتهم لكم، وما يخفونه منها أشدّ وأفضع. إنهم يكرهونكم وأنتم تحبونهم، والحال أنكم تؤمنون بكتابهم وهم يكفرون بكتابكم. وينافقونكم بإظهار الإيمان إذا لقُوكم؛ فإذا خلوْا إلى أنفسهم عضُّوا عليكم الأنامل من الغيظ والحَنَق، وإن نلتم حسنةً أساءتهم، وان أصابتكم سيئةٌ أفرحتهم فكيف تنخدعون بهم، وتتخذونهم بطانة لكم!؟ وبطانةُ الرجل وَ

وَليجتُه: خاصته الذين يستبطنون أمره ويداخلونه؛ تشبيهاً ببطانة الثوب للوجه الذي يلي البدن لقُربه؛ و هي ضدُّ: الظهارة. و يُسمَّى بها الواحد والجمع والمذكر والمؤنث.

{لا يألونكم خبالاً}

أصل الأَلوِ: التقصيرُ، يقال: ألا في الأمر يألُو أَلوًا وأُلوًّا، إذا قصر فيه. وهو لازم يتعدى بالحرف، ويستعمل متعدياً إلى مفعولين؛ فيقال: لا آلوك نُصحاً، على تضمين الفعل معنى المنع، أي لاأمنعك ذلك، والخَبالُ الشرُ والفساد، أي: لا يقصرون لكم عن جُهد فيما يورثكم شراً و فساداً. او لايمنعونكم خبالا، أي أنهم يفعلون معكم ما يقدرون عليه من الفساد ولا يُبقون شيئا منه عندهم.

{ودوا ما عنتم}

أحَبُّوا عنتكم، اي مشقتكم وشدة ضرركم، من العَنَت، وهو الوقوع في أمر شاق، أو الاثم. وفعله من باب طرِب (ما) مصدرية.

.119

هَاأَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (119)

{خَلَوْا}

خلا بعضهم ببعض، حيث لا يراهم المؤمنون [اية 14 البقرة ص 7].

{عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ}

أي لاجلكم والعضُّ معروفٌ مصدرُ عضّ، من باب فَرِح. والانامل رءوسُ، الاصابع جمع أنملة. والغيظُ: أشدُّ الغضب. وعضُّهم الأناملَ: كنايةٌ عن شدة غضبهم وتحسرهم: لما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم، وعجزهم عن ان يجدوا سبيلا إلى التّشفّي منهم.

.120

إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (120)

.121

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (121)

{وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ}

واذكر لهم وقت خروجك غُدْوَةً إلى غزوة أُحُد من حُجرة عائشة؛ ليتذكروا ما وقع فيه من الاحوال الناشئة عن عدم الصبر، فيعلموا انهم إذا لزموا الصبر والتقوى لا يضرّهم كيدُ اعدائهم.

{تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ}

تنزلهم و تُهيِّيء لهم مواطن واماكنَ للقتال. يقال: بوّأته وبوأت له منزلاً أنزلتُه فيه.

{مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ}

مواطن و مواقف له يوم احد.

.122

إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (122)

{إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ}

هما حيّان من ألأنصار: بنو سَلَمه من الخَزرَج، وبنو حارثة من الأوس، وكانا جناحي العسكر. والفَشَلُ: الجبنُ والخَور. يقالُ: يَفشَل فشلاً فهو فَشِل، أي جبانٌ ضعيف القلب. والظاهرُ أن ذلك كان مجرد حديثِ نفس عند رؤية انْخذالِ رأس المنافقين: عبدالله بن أبي مع أصحابه عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

.123

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (123)

{وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ}

أي ضعفاء لقلة العَدد والعُدد. فقابلوا هذه النعمة بامتثال أمر الله وطاعته وشكره على ما أنعم.

.124

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (124)

{إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ..... }

أي في يوم بَدْر، وقد أمدَّ الله فيه المؤمنين بألف من الملائكة؛ كما قال تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9) [الانفال]. ثم زاد عددهم إلى ثلاثة آلاف، كما قال تعالى: {أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ} اي يكفيكم ذلك؟ ولذا قال تعالى:

.125

بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (125)

{بَلَى}

ثم صار خمسة الاف؛ لقوله تعالى: {إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ} وقد صبروا واتقوا وأتاهم المشركون من مكة فوراً حين استنفرهم ابو سفيان لإنقاذ العِير. فكان المَدَدُ خمسة آلاف؛ كما روي عن قتادة. وقال الشعبي: إن المدد لم يزد على الالف، وقد بلغ المسلمين أنَّ كُرْزَ بن جابر المُحاربي يريد أن يمد المشركين، فشق ذلك عليهم فانزل الله {أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ} إلى قوله {مُسَوِّمِينَ} فبلغ كُرْزاً الهزيمة

فرجع ولم يمدهم؛ فلم يمدّ الله المسلمين بالخمسة الالاف أيضاً وأختار ابن جرير أنهم وُعدوا بالمدد بعد الالف، ولا دلالة في الآية على أنهم أمِدُّوا بما زاد عن ذلك، ولا على انهم لم يُمدُّوا به، ولا يثبت شيء من ذلك إلا بنص.

{وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا}

ويأتوكم – أي المشركون – من ساعتكم هذه. والفورُ: مصدر فارت القِدر، اي اشتد غليانها. ثم استعير للسرعة، ثم إطلق على الحالة التى لا بطء فيها. وقد تحقق من المشركين ذلك، حيث أتوا على عجل دون إبطاء لإنقاذ العير من المسلمين.

{مُسَوِّمِينَ}

معلِّمين أنفسهم أو خيلهم. بعلامات مخصوصة. وقريء بالفتح؛ اي معلَّمين من جهته تعالى بعلامات القتال؛ من التسويم وهو إظهار علامة الشيء.

.126

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (126)

.127

لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (127)

{لِيَقْطَعَ طَرَفًا}

اي ولقد نصركم الله يومَ بَدْر ليُهلك طائفةً {مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} بالقتل والاسر، أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة، أو يتوبَ عليهم إن أسلموا، أو يعذبهم العذاب الشديد في الاخرة إن ماتوا مصرّين على الكفر؛ وليس لك من أمرهم شيئ. إنما أنت عبد مأمور بإنذارهم وجهادهم. فجملة {ليس لك من الامر شيء} اعتراضٌ بين المعطوف والمعطوف عليه. وأصل ألكبت: الخزي والاذلال.

{يَكْبِتَهُمْ}

يخزيهم ويغمهم بالهزيمة.

.128

لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (128)

.129

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (129)

.130

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (130)

{لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا}

نهيٌ عن تعاطي الربا، مع تقريعهم لما كانوا عليه من تضعيف الفائده الربوية. فقوله: {أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً} ليس لتقييد النَّهي به، بل هو بيان لما كانوا عليه في الجاهلية من التعامل الفاسد المؤدِّي إلى استئصال المال. وقد حرّم الله أصل الربا و مضاعفتَه.

.131

وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (131)

.132

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (132)

.133

وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133)

{عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ}

عرضها كعرضهما. والمراد أنها في غاية السعة والبَسْط، فشُبّهت بأوسع ما يتصوره الإنسان. وخُصَّ العرضُ بالذكر للمبالغة في ذلك؛ لأنه غالباً يكون أدنى من الطول. أي فإذا كان عرضها كذلك فما بالك بطولها؟

.134

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134)

{فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ} في اليُسر والعُسر، والمراد أنهم لايتركون الإنفاق في الخير في جميع الأحوال.

{وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ}

المُمْسكين عليه، الكافّين عن إمضائه مع القدرة عليه؛ من الكَظْم، وهو الحبس. يقال: كَظَم البعيرُ جرَّته اذا ردَّها و كفَّ عن الاجترار. وكَظَم القِربة: ملأها وشدّ على رأسها مانعاً من خروج ما فيها. والغَيْظُ: توقّدُ حرارة القلب من الغضب.

.135

وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135)

{فَاحِشَةً}

فعلة بالغة في القُبح كالزنا؛ من الفُحْش، وهو مجاوزة الحد في السُّوء.

{أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ}

بارتكاب أي ذنب. وعطفُه على ماقبلَه من عطف العام على الخاص.

.136

أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (136)

.137

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137)

{سُنَنٌ}

وقائع في الامم المُكذبة، أجراها الله حسب عادته؛ وهي الإهلاك عند التمرُّد والعصيان.

.138

هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (138)

.139

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (139)

{وَلَا تَهِنُوا}

تحريضٌ على الجهاد والصَّبر، وتشجيعٌ للمؤمنين وتسليةٌ لهم عما أصابهم يوم أُحُد. أي لا تضعُفوا بالذي نالكم من عدوِّكم يومَ أحد عن القتال في سبيل الله، ولا تحزنوا على من قُتِل منكم ولا على ما فاتكم من الغنيمة. والوهْن –بالسكون والتحريك–الضَّعف.

.140

إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140)

{الْقَرْحُ}

–بفتح القاف وضمها–:عضُّ السلاح ونحوه مما يجرح الجسد؛ فيشمل القتل

والجراح. او هو الجراح: اي ان نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يومَ بَدْر، ثم لم يثبِّطهم ذلك عن العودة إلى قتالكم؛ فأنتم أولى الا تضعُفوا إذ أنكم ترجون من الله مالا يرجُون.

{وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}

نصرّفها بينهم فنُديل لهؤلاء مرة ولهؤلاء اخرى: أُديل المسلمون من المشركين يومَ بدر فقتلوا منهم سبعين واسَرُوا سبعين، وأُديل المشركون من المسلمين يوم احُدٍ حتى جرحوا سبعين وقتلوا خمسة وسبعين؛ من المداولة، وهي نقل

الشيء من واحد إلى آخر. يقال: تداولَته الايدي إذا انتقل من واحد إلى آخر. ومنه قولهم: الدّولة–بالضم–للكرّة. والأيام دُول: يومٌ لهؤلاء ويومٌ لهؤلاء.

{وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا}

أي نداولها بينكم و بين عدوِّ كم؛ ليظهر امركم، وليعاملكم الله معاملةَ من يريد أن يعلم المخلصين من غيرهم. أي يميز الثابتين على الإيمان من غيرهم وإطلاق العلم على التمييز مجاز، من اطلاق اسم السبب على المبسبب.

.141

وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (141)

{وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا}

وليطهّرهم ويصفّيهم من الذنوب؛ من المَمحص، أو التمحيص. يقال: مَحصْت الذهب بالنار ومحَّصته، إذا أزلت عنه ما يشوبه من خبَث. أو من التمحيص بمعنى الابتلاء والاختبار.

{وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ}

يهلكهم إن كانت الدُّولةُ عليهم؛ من المَحْق، وهو محْوُ الشيء والذهاب به. وأصلُه: نقص الشيء قليلاً حتى يفنى. يقال: مَحَق فلان هذا الطعام، إذا نقصه حتى أفناه محقاً.

.142

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (142)

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا}

عتاب للمنهزمين يوم أحُد؛ اي بل أظننتم أن تدخلوا الجنة وتنالوا درجة القرب والرضا، ولمّا تجاهدوا في سبيل الله جهاد الصابرين على مُرّه وشدائده! ولقد كنتم قبل هذا اليوم تتمنَّونَ ان تنالوا مرتبة الشهادة؛ لتلحقوا بمن استُشهد من إخوانكم ببدر، وتُلحون من اجل ذلك على الرسول صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى القتال؛ فلما حَمِى و طيسه ورأيتم باعينكم ما تمنيتم حين استُشهد بعض إخوانكم لم تلبثوا أن انهزمتم، ولم تثبتوا لأعدائكم!

{وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ}

أي ولم تجاهدوا جهاد الصابرين فيعلم الله ذلك منكم. وهو مثل ما يقال: ما علِمَ اللهُ في فلان خَيراً؛ ويراد: ما فيه خيرٌ حتى يعلمه. فهو كنايةٌ عن نفي تحقق هذا الجهاد منهم في الماضي مع توقعه في المستقبل.

.143

وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (143)

.144

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (144)

{انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ}

رجعتم الى ماكنتم عليه من الكفر والضلال. يقال لكل من رجع الى حاله السيء الاول: نكَصَ على عقبيه، وارتد على عقبيه. والعَقبُ: مؤخر الرِّجل، وجمعه أعقاب.

.145

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (145)

{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ ... }

تحريضٌ على الجهاد، وإعلامٌ بأنَّ الحَذر لايدفع القدر، وأن أحداً لن يموتَ قبلَ أجله، وإن خاض المهالك واقتحم المعارك؛ فقد كتب الله ذلك كتاباً مؤقتاً، قدّر فيه الأجل المعلوم، فلا يتقدم يتأخر.

{كِتَابًا مُؤَجَّلًا}

مؤقتاً بوقت معلوم.

.146

وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (146)

{وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ ... }

كلامٌ مستانَف، سيق توبيخاً للمنهزمين، حيث لم يستنُّوا بسنن الربانيّين المجاهدين مع الرسل، مع أنهم أولى بذلك حيث كانوا خير أمةٍ أخرجت للناس. (وَكَأَيِّنْ) كلمةٌ مركبةٌ من كاف التشبيه واي الاستفهامية المُنوَّنة، ثم هُجر معنى جزئيها وصارت كلمة واحدة بمعنى كم الخبرية المفيدة للتكثير، يكنى بها عن عدد مُبْهم فتفتقر إلى تمييز بعدها. وهي مبتدأ خبره جملة:

{قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ} أي و كثير من الانبياء قاتل معه لإعلاء كلمة وإعزاز دينه علماءٌ أتقياءٌ، أو عابدون أو جماعات كثيرة؛ فما جَبُنُوا وما ضعفُوا عن الجهاد وما خضعوا للاعداء. و (رِبِّيُّونَ) جمع رِبِّي وهو العالم بربه، منسوب إلى الرب كالرَّباني؛ و كسرُ الراء من تغييرات النسب. أو منسوبٌ إلى الرِّبة وهي الجماعة.

{فَمَا وَهَنُوا .. }

أي فما جَبُنُوا عن الجهاد وأصل الوهن: الضَّعف. أريد به ما ذُكر بقرينة عطف قوله: {وما ضعفوا} عليه.

{وَمَا اسْتَكَانُوا}

أي ما خضعوا؛ من الاستكانه وأصلها من السكون؛ لأن الخاضع يسكن لمن خضع له. او ماذلوا: من الكَوْن.

يقال: أكانه يُكِينُه إذا ذله.

.147

وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (147)

.148

فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (148)

.149

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (149)

.150

بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (150)

{اللَّهُ مَوْلَاكُمْ}

الله ناصركم لا غيره.

.151

سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (151)

{سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ... }

اي

الخوف والفزع. يقال: رَعَبه يرْعَبُه، خوَّفه. وأصلُه من المِلءْ؛ يقال: سَيْلٌ راعبٌ، إذا ملأ الاودية. ورعَبت الحوض: ملأته. أي سنملأ قلوب ألمشركين خوفاً وفزعاً.

{مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا}

اي أشركوا به آلهة لم ينزِّل الله بها حجَّةً. والمراد: أنه لا حُجَّة لهم حتى ينزلها. و سُمِّيت الحجَّةُ سلطاناً لقوّتها ونفوذها. وأصلُ المادّة يدل لغةً على الشدة والقوة؛ ومنها السَّلِيط للشديد، واللسان الطويل. والتَّسليطُ: التغليبُ. واطلاق ألقهر والقدرة.

{مَثْوَى الظَّالِمِينَ}

مكانُ إقامتهم واستقرارهم. يقال: ثوي بالمكانِ و فيه يَثوِي ثواءً وثُوِيًّا، و اثوى به، أطال الاقامه به أو نزل.

.152

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (152)

{إِذْ تَحُسُّونَهُمْ}

تقتلونهم قتلاً ذريعاً يقالُ حسّه حسًا، إذا قتله. وحقيقتُه: أصاب حاسّتَه بآفه فأبطلها؛ نحو كَبَده وفأَده أي أصاب كبده وفؤاده. ومنه جرادٌ محسوس؛ و هو الذي قتله البرد، أو مَسَّته النار.

{حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ}

جبُنتم وضعُفتم امامَ عدوِّكم

{وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ}

أمْرَ نبيكم مَنَعكم الله النصر؛ فجواب الشرط محذوف.

{ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ}

ردكم عنهم بهزيمتكم.

{لِيَبْتَلِيَكُمْ}

ليعاملكم معاملة من يَمْتحنُ غَيرَه، ليتميز الصابر المخلص من غيره.

.153

إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (153)

{إِذْ تُصْعِدُونَ}

متعلق بـ {صَرَفكم} أي تذهبونَ في الوادي وتمضون فيه هرباً من عدوكم؛ من الإصعاد، وهو الذهاب في صعيد الارض والإبعادُ فيه. يقال: أصعد في الأرض، إذا أبعد في الذهاب وأمعن فيه؛ فهو مُصْعِد.

{وَلَا تَلْوُونَ}

لا تعرّجون على أحد منكم ولا تلتفتون الى ما وراءكم من شدّة الهرب؛ من لَوَى بمعنى عطف.

{غَمًّا بِغَمٍّ}

اي حزنا متصلا بحزن.

.154

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (154)

{أَمَنَةً نُعَاسًا}

ألأَمَنَةُ–بفتحتين–:الأمنُ. والنعاسُ: ألفتورُ في أوائل النوم. أي ثم أعقبكم بما أصابكم من الخوف والرُّعب أمنا تنامون معه أيها المؤمنون وأنتم في مصافكم. أما المنافقون فلم يُلقَ عليهم النعاس وبَقوا في خوفهم فزعين. و (نُعَاسًا) بدل من (أَمَنَةً). {يَغْشَى}

يلامس كالغشاء.

{لَبَرَزَ}

لخرج.

{إِلَى مَضَاجِعِهِمْ}

مصارعهم التي قدر الله قتلهم فيها بأحُد؛ وقتلوا هنالك ألبتَّة. فان قضاء الله لا مردّ له، ولا ينفع الحذرُ القَدَر. جمعُ مَضْجع وهو مكان الاضطجاع.

{وَلِيَبْتَلِيَ}

ليختبر وليمتحن وهو العليم الخبير.

{وَلِيُمَحِّصَ}

ليخلص ويزيل او ليكشف و يميز.

.155

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (155)

{اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ}

طلب زلتهم وخطيئَتهم. أو حملهم عليها بوسوسته لهم: أن يخالفوا أمر الرسولِ صلى الله عليه وسلم لهم بالثبات في مواقفهم التي عينها لهم؛ فأطاعوه فحُرِموا التأييد و تقويةَ القلوب حتى تولوْا.

.156

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (156)

{ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ}

سافروا فيها لتجارة أو غيرها فماتوا. وأصلُ الضرب: إيقاعُ شيء على شيء، ثم استعملَ في السير؛ لما فيه من ضرب الارض بالارجل، ثم صار حقيقة فيه.

{أَوْ كَانُوا غُزًّى}

أي غزاةً فقتلوا. جمع غاز؛ كصائم وصُوّم. والغزْوُ: الخروجُ لمحاربة العدوّ. وأصله قصدُ ألشيء؛ ومنه المَغْزى، أي المقصِد.

.157

وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (157)

.158

وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (158)

.159

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)

{فَبِمَا رَحْمَةٍ}

فبرحمةٍ عظيمة.

{لِنْتَ لَهُمْ}

سهلت لهم لهم أخلاقك ولم تعنفهم.

{فَظًّا}

كَريه الخُلق، خشن الجانب، جافياً في المعاشرة قولاً وفعلاً. وفعْلُه من باب تعب. وأصلُ الفظّ: ماء الكَرش وهو مكروه طبعا.

{غَلِيظَ الْقَلْبِ}

قاسيه؛ من الغِلظة ضد الرقة، وتنشأ عنها الفظاظة. وفعلُه كَكَرُم وضرب.

{لَانْفَضُّوا}

لتفرقوا ونفروا.

{وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}

اي في امر الحرب و نحوه مما تجري فيه المشاورة عادة، وفي أمر الدّين الذي لم ينزل فيه وحي؛ للاستظهار بأرائهم، ولتطيب قلوبهم، ولتستنَّ بك أُمَتُك في ذلك. رُوِيَ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أما إن الله ورسوله لغَنِيّان عنها ولكن جعلها الله تعالى رحمة لامتي فمن استشار منهم لم يَعْدَم رشدا و من تركها لم يعدم غيًّا) أخرجه البيهقي وابن عدي. و قد درج الأئمة الراشدون من بعده – صلى الله عليه وسلم – على هذه السُّنة التي هي من أهم عزائم الأحكام في الاسلام. وإنما كانوا يستشيرون الأمناء الصلحاء من أهل العلم والدين، والبصر بالأمور، والصدق والأمانة، والشجاعة في الحق، والمشورةُ والمشاورةُ: استخراج الرأي بمراجعة البعض البعضَ. ماخوذة من قولهم: شُرتُ الدابة، إذا علمت خُبْرها بجريٍ أو غيره. أو من قولهم:. شرتُ العسل واشترتُه، إذا أخذته من الخليَّة.

{فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ}

أي فإذا عقدت قلبَك على الأمر بعدالمشورة فاعتمد على الله في إمضائه وفوض أمرك إليه؛ فإنَّ بيده مقاليد الأمور كلها، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. والتوكل: الاعتماد على الله والتفويض إليه. وهو لا ينافي الأخذ بالأسباب؛ ومنها الشُّورى،كما تشير إليه الايةُ، وحديث (اعقلها وتوكل) رواه الترمذي. والله خلق الاسباب والمسببات، وربط بينهما ربطاً عادياً، وجعلها في سُنَّتِه الكونية؛ فَتَرَكُ الاخذُ بها جهلٌ، وترك التوكل عليه زندقه.

.160

إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (160)

{فَلَا غَالِبَ لَكُمْ}

فلا قاهر ولا خاذل لكم.

.161

وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (161)

{أَنْ يَغُلَّ}

يخون في الغنائم؛ من الغُلول. وهو الاخذُ من الغنيمة خفْيةً قبل قسمتها. يقال: غلّ شيئا من المغنم يغُل غلولاً، أخذه خفية. وأصله من الغَلَل، وهو دخول الماء في خلل الشجر. وسُمِّيت هذه الخيانةُ غُلولاً؛ لأنها تجري في المال على خفاء من وجه لا يحل. والمرادُ: تنزيهه صلى الله عليه وسلم عما اتهمه به بعض المنافقين يوم بَدْر، أو المرادُ نهيُ أمته صلى الله عليه وسلم عن الغلول.

.162

أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (162)

{بَاءَ بِسَخَطٍ}

رجع متلبساً بغضب شديد.

.163

هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (163)

.164

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (164)

{لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}

أي من قومه، أو من العرب مطلقاً.

{وَيُزَكِّيهِمْ}

يطهرهم من الكفر و الذنوب. او يدعوهم الى ما يكونون به زاكاين طاهرين مما كانوا عليه من دنس الجاهلية، والاعتقادات الفاسدة.

.165

أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (165)

{أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ}

حين نالكم من المشركين يومَ أُحد نصف ما نالهم منكم قبل ذلك يوم بدر، رجعتم وقلتم: مِن اين لنا هذا القتل والخذلان ونحن مسلمون نقاتل غضباً لله وفينا رسوله وهؤلاء مشركون!؟

{أَنَّى هَذَا}

من أين لنا هذا الخذلان؟ {قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ}

أي الذي نالكم إنما هو من شؤم مخالفتكم أمرَ الرسول – صلى الله عليه وسلم –.

.166

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (166)

.167

وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (167)

.168

الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (168)

{فَادْرَءُوا}

فادفعوا

{عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}

في انَّ الحَذَر يدفع القَدَر.

.169

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169)

{بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}

[آيه 154 البقرة]

.170

فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170)

.171

يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171)

.172

الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (172)

{أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ}

نالهم القتل والجراح بالسلاح يوم أحُد [آيه 140 من هذه السورة]

.173

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173)

.174

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174)

.175

إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (175)

{يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ}

أي يخوفكم أولياءه؛ بأن يعظمهم في قلوبكم. وهم أبو سفيان وأصحابه.

.176

وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (176)

.177

إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (177)

.178

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (178)

{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا}

ولا يظنن الذين كفروا أن إمهالنا لهم بإطالة اعمارهم –مع ما هم فيه من التمتع بطيبات الدنيا وزينتها، وعلى ما هم عليه من الكفر و الطغيان – خير لأنفسهم؛ إنما نمهلهم لازدياد ذنوبهم وآثامهم بتعزُّزهم وتجبُّرهم. والإملاء في الأصل: إطالةُ المدّة، يقال: أملى عليه الزمان، طال عليه. وأملى له: طوَّل له وأمهله.

.179

مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (179)

{مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ}

ما كان الله مريدا لان يَذَر كم، على ما أنتم عليه أيها المؤمنون من اختلاط المؤمن بالمنافق، حتى يميّز المنافق منكم من المخلص؛ بالامتحان والابتلاء، وقد وقع ذلك في يوم أُحُد. يقال: مِزْت: الشيء أميزه ميزا، فصلت بعضه عن بعض. ومَّيزته: فرقت بين جزئيه.

{يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ}

فيطلعه على بعض غَيْبه، ومن ذلك نفاق المنافقين وإخلاص المؤمنين. كما قال تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ... (27)} [الجن].من الاجتباء بمعنى الاختيار. و اجتباءُ الله العبدَ: تخصيصهُ ايّاه بفيض الهي، يحصل له منه أنواعٌ من النّعم بلا كسب منه.

.180

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (180)

{سَيُطَوَّقُونَ}

سيُجعل ما باخلوا به من المال الواجب عليهم أداؤه ه طوقاً من نار في أعناقهم يوم القيامة. أو سيُلزمون وبالَ ما بخلوا به إلزامَ الطَّوق.

.181

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (181)

.182

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (182)

{لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}

أي ليس بذي ظُلم لهم اصلا حتى يعذبهم بدون جُرم؛ بل هو عادل ,ومن العدل أن يُثيب ويعذب العاصي. وصيغةُ (ظلاّم) صيغة نَسَبٍ؛ كعطار ولبّان.

.183

الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (183)

{عَهِدَ إِلَيْنا}

أمرنا وأوصانا في التوراة.

{بِقُرْبَانٍ}

ما يُتقرّب به الى الله من أنواع البِر. مصدرٌكالغُفران والرّجحان؛ من قولك: قربت قُرباناً؛ وسمّيَ به المتقرَّب به الى الله تعالى من نَعَمٍ وغيرها.

.184

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (184)

{وَالزُّبُرِ}

أي الكتب. جمع زبور, وهو الكتاب المقصور على الحِكَم والمواعظ؛ كزَبور داؤد عليه السلام. من الزَّبر وهو الزجر؛ لزجره عن الباطل. وأما الكتاب فهو ما تضمن الأحكامَ والحكم.

.185

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (185)

{زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ}

بَعُدَ ونُحِّيَ عنها.

{الْغُرُورِ}

الخداع أو الباطل الفاني.

.186

لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (186)

{لَتُبْلَوُنَّ}

واللهِ لَتُختبَرُنَّ وتُمْتَحنُنَّ في أموالكم وأنفسكم حتى يتبيّن الجازعُ من الصابر، والمخلصُ من المنافق؛ من الابتلاء وهو الاختبار والامتحان. والمرادُ: أنه تعالى يعاملهم بهذه المحن معاملةَ من يختبر غيره ليتميّز الصادق من الكاذب. وقد أخبرهم الله بذلك ليوطّنوا أنفسهم على احتماله عند وقوعه, ويتستعِدُّوا للقائه، ويقابلوه بحسن الصبر والثبات.

.187

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (187)

{فَنَبَذُوهُ}

أي طرحوه ولم يراعوه.

.188

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (188)

بمنجاة من العذاب. مصدرٌ بمعنى الفوز. تقول: فاز يفوز إذا نجا.

.189

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (189)

.190

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190)

{الْأَلْبَابِ}

العقول الخالصة عن شوائب الحس والوَهم, خلوص اللبّ عن القشر، جمعُ لُب بوزن قُفل.

.191

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)

{بَاطِلًا}

عَبَثًا وهَزْلاً, عاريًا عن الحكمة، خالياً عن المصلحه؛ بل خلقته مشتملاً على حِكم جليلة، منتظماً لمصالح عظيمةٍ؛ يدور عليها أمر معاش العباد, ومعرفة احوال المبدأ والمعاد.

{سُبْحَانَكَ}

تنزيهاً لك عما لايليق بك من خَلْق الباطل!

{فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}

فاحفظنا من عذابها.

.192

رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (192)

{أَخْزَيْتَهُ}

فضحته أو أهنته أو أهلكته.

.193

رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (193)

{مُنَادِيًا}

الرسول أو القران.

{ذُنُوبَنَا}

أي الكبائر.

{وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا}

أزل عنا صغائر ذنوبنا.

{وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ}

أي في زُمرتهم, وعلى مثل أعمالهم. والأبرارُ: الأنبياء والصالحون. جمع بَر؛ كرَبٍّ وأرباب. أو جمع بار؛ كصاحب وأصحاب. وهو الكثير الخير والاتساع في الاحسان.

.194

رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (194)

.195

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (195)

.196

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196)

{لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ}

الخطاب للرسول – صلى الله عليه وسلم – والمراد أمته. أي لا يغرنّكم ضربهم في الارض, وتصرفهم في البلاد للتجارات وطلب المكاسب والأرباح، وما هم فيه من رَغد العيش.

.197

مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (197)

{وَبِئْسَ الْمِهَادُ}

ما مَهَّدُوا لانفسهم في جهنم بكفرهم. وأصل المهاد:

ألفراش الذي يوطأُ للصَبي ويمهَّد.

.198

لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (198)

{نُزُلًا}

أي حال كون الجنات ضيافةً وإكراماً من الله تعالى، أعدّها لهم كما يُعدّ القِرَى للضيف. وأصلُ النزل–بضمتين وبضم فسكون –: ما يُعدّ للضيف أول نزوله من الطعام والشراب والصّلة، ثم اتسع فيه فاطلق على الرزق والغذاء وإن لم يكن ضيف؛ وجمعه أنزال.

.199

وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (199)

.200

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (200)

{اصْبِرُوا}

أي على المصائب فلا تجزعوا، وعلى الطاعات فلا تضجروا، وعن المعاصي فلا تشتهوا.

{وَصَابِرُوا}

غالبوا الأعداء في الصبر على شدائد الحرب , ولا تكونوا أضعف منهم فيكونوا أشدَّ منكم صبراً.

{وَرَابِطُوا}

أقيموا في الثغور، رابطين خيلكم فيها، مترصِّدين للغزو, مستعدين له اكثرَ من أعدائكم. والمرادُ به: الحثُّ على مداومة الجهاد في سبيل الله؛ إذ هو سبيل الفلاح.

والله أعلم

سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1)

{خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ}

هيَ آدم عليه السلام. وذلك من أظهر الادلة على كمال القدرة, وأقوى الدواعي الى اتقاء موجبات نقمته, والى مراعاة حقوق الأُخُوّة فيما بينكم. وخَلَق من آدم زوجَهُ حواء؛ كما قال تعالى {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} [الاعراف: 189].

{وَبَثَّ مِنْهُمَا}

أي نشر وفرق منهما بالتناسل.

{وَالْأَرْحَامَ}

واتَّقُوا الارحام ان تقطعوها فلا تصلوها بالبِر والإحسان. جمع رَحِم, وهي القرابة؛ مشتقَّة من الرَّحمة؛ لان القرابة من شأنهم ان يتراحموا، ويعطفَ بعضهم على بعض.

{رَقِيبًا}

حافظا يحصي كل شيء؛ من رَقَبه اذا حَفِظه. او مطَّلِعاً، و منه: المَرْقَب للمكان العالي الذي يُشْرِف منه الرقيب ليطلع على ما دونه. وإذ كان الله رقيباً وجب أن يخاف و يُتَّقى.

.2

وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (2)

{وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ}

مما يجب تقوى الله تعالى فيه: اليتامى والنساء والصغارُ. أي اتركوا أموال اليتامى التى في تصرُّفِكم سالمةً غيرَ متعرِّضين لها بسوء؛ حتى تؤدوها اِليهم حين بلوغهم الرشدَ كاملةً.

{وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ}

لاتأكلوها مع أموالكم؛ أي لا تسوُّوا بينهما في الانتفاع؛ وهذا حلال وذاك حرام. والمرادُ: تحريم التصرُّف فيها بسائر التصرفات الضارة باليتامى. و خُصَ الأكلُ بالذِّكر لانه معظم ما يقع لأجله التصرُّف.

{حُوبًا كَبِيرًا}

إثماً عظيماً. اسم مصدر من حاب يحوب حَوْبا، إذا اكتسب إثماً. ويطلق الحُوبُ على ألهلاك والبلاء.

.3

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا (3)

{وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا}

كانت اليتيمة في الجاهلية تكون في حِجر وليّها، فيرغب في مالها و جمالها، ويريد التزوج بها دون أن يعدل في صداقها فنُهُوا أن ينكحوهن الا ان يعدلوا فيهن باكمال الصّداق رعايةً ليُتْمِهِنَّ. وأُمِروا أن ينكحوا من غيرهن ما حل لهم، أو ما لا تحرج منه من النساء. والمعنى: وإن خفتم أيها الأولياء الجْورَ والظلم في نكاح اليتامى اللاتي في ولايتكم فانكحوا من غيرهن ما طابَ لكم من النساء. وقد علم الله تعالى أن مصلحة الرجال والنساء–بل مصلحة المسلمين–قد تستدعي تعدد الزوجات، بل قد توجبه في بعض الحالات. وعَلم أن التعدُّد المطلق مَظِنةُ الجور والفساد؛ فأباح التعدد وحدد غايته بأربع بحيث لا يجوز الزيادة عليهن. وقيد الإباحةَ بالعدل بينهن فيما يستطيع الإنسان العدلَ فيه بحسب طاقته البشرية؛ فإن عجز عنه لم يُبح له التعدد. وقوله (مَثْنَى) أي اثنتين اثنتين، و (ثُلَاثَ) أي ثلاثاً ثلاثاً، و (رُبَاعَ) اي أربعاً اربعاً. وهو كما تقول للجماعة اقتسِمُوا هذا المالَ، وهو ألف درهم: درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة، واربعةً اربعةً؛ فيصيب كلَّ واحد ما أراد من العدد بعد قصره على أربعة، وعدم جواز الزيادة عليه. وقد

أمرَ الرسولُ صلى الله عليه وسلم غَيْلَان الثَّقفي حين أسلم واسلم نِسْوَتُه– وكنَّ عشرا – ان يختار اربعاً منهن: ويفارقَ سائِرهن.

{فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا}

أي فإن علمتم أنكم لا تعدلون بين الأكثر من الواحدة في القَسْم والنفقة وحقوق: الزوجية بحسب طاقتكم، كما علمتم في حق اليتامى أنكم لاتعدلون؛ فالزموا

زوجة واحدة، ومفهومه: إباحة الزيادة على الواحدة إذا أمن الجوْر فيما ذكر.

{ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا}

اي اختيارُ الواحدة والتسرَّي أقربُ من ألا تميلوا الميلَ المحظورَ المقابلَ للعدل. والعول في الأصل: الميل المحسوس. يقال: عال الميزانُ عولاً إذا مال. ثم نقل إلى الميل المعنوي وهو الجور؛ ومنه: عال الحاكمُ إذا جار. وقيل: (أَلَّا تَعُولُوا) أي لا تكثُر عيالكم. يقال: عال يعول، إذا كثر عياله.

.4

وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا (4)

{وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً}

أعطُوهنَّ مهورَهنَّ عطية عن طِيبة نَفس منكم؛ والخطاب للأزواج. والصَّدُقات: جمع صَدُقة – بفتح فضم، و هي كالصَّداق–، ما يُعطى للزوجة من المهر، ويُسَمّى أجرًا وفريضة. والنِّحلة في الأصل العطية على سبيل التبرُّع. ويقال: نحله كذا نِحْلَة ونُحلا، إذا اعطاه إياه عن طيب نفس بلا مقابلة عِوَض.

{هَنِيئًا مَرِيئًا}

اي اكلاً سائغا حميد المَغَبَّة؛ والمراد أنه حلالٌ خالصٌ من الشوائِب. يقال: هَنِيءَ الطعام وهَنُؤ هناءةً، و هَنَأَنِي الطعام وَهَنأ لي يَهْنِئني ويهنؤني، صار هنيئاً أي سائغا. ومَرَأ الطعامُ– مثلثة الراء– مراءة فهو مَرِيءٌ، هنيءٌ حميدُ المَغبَة.

.5

وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (5)

{وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ}

نُهِيَ الأولياء عن إيتاء السفهاء من اليتامى أموالَهم التي جعلها الله مناطَ تعيّشهم؛ خشية إساءة التصرُّف فيها لخفة احلامهم. وأضيفت الأموال إلى الأولياء للتنبيه إلى أن أموال اليتامى كأنها عينُ أموالهم، مبالغة في حملهم على وجوب المحافظة عليها.

{قياماً}

أي قوام معايشكم وصلاح أمور كم.

.6

وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (6)

{وَابْتَلُوا الْيَتَامَى}

خطاب للأولياء. أي اختبروهم قبل البلوغ بتتبُّع أحوالهم في الاهتداء الى ضبط الأموال، وحسن التصرُّف فيها، وجرِّبوهم بما يليق بأحوالهم. وزاد بعض الأئمه: تعرُّف صلاحهم في دينهم.

{آنَسْتُمْ}

أي علمتم و تبينتم.

{رُشْدًا}

اي اهتداء لحسن التصرف في الأموال.

{وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا}

لا تأكلوها مُسرفين و مبادرين كِبرهم، بأن تفرِّطوا في إنفاقها وتقولوا: ننفِقُها كما نشتهي قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا. والاسرافُ: التبذير؛ ضد القصد. والبدارُ: المبادرة والمسارعة إلى الشئ، و (يَكْبر) مضارع كَبِر، من باب تعب، يستعمل في السِّن.

{وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا}

أي مبادرين كبرهم و رشدهم.

{فَلْيَسْتَعْفِفْ}

أي فليكف عن أكل أموالهم.

{وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا}

شهيدا عليكم في كل ما تعملونه. او محاسبا لكم؛ فلا تخالفوا
ما أمرتم به. يقال: حسَبه يحسُبُه حسبا، إذا عَدّه؛ وهو حال او تمييز. و فاعل (كفى) الاسم الجليل، والباء زائدة.

.7

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (7)

{لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ}

اوجب الله تعالى للذكور من الأولاد، وللإناث منهم: نصيبًا مِمَّا تركه الوالدان والاقربون من المال، قليلاً أو كثيراً، وقد بينه الله فما يأتي من الآيات. وكانوا لا يُوَرِّثون النساء والصغار.

{نَصِيبًا مَفْرُوضًا}

أي واجاباً أو مقتَطَعاً محدوداً.

.8

وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (8)

{فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ}

اي أرضخوا (الرضخ: إعطاء ألشئ ليس بالكثير) من مال المتوفي للقرابة غير الوارثين، ولليتامى والمساكين الاجانب منه قبل قسمته وهو أمر نَدْب واستحباب؛ تطييباً لقلوبهم وتصدقاً عليهم.

.9

وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (9)

{وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا}

أَمَرَ الله الذين يخافون على ذرِّيتهم الضعفاء العَيْلَة والضَيْعة من بعدهم، وألا يُحسن إليهم من يليهم – أن يخشَوْه ويتقُوه فيمن يتولوْن امرهم من اليتامى، ويقولوا لهم قولاً جميلاً , هادياً لهم إلى محاسن الاداب والأفعال، وإلى ما ينفعهم في

دينهم ودنياهم؛ كما يقولون ذلك لأولادهم. يقال: سدّ يَسِدّ سَداداً وسُدوداً, أصاب في قوله و فعله فهو سديد. وأمرٌ سديدٌ وأسدُّ: قاصدٌ.

{قَوْلًا سَدِيدًا}

أي جميلاً أو صوابا وعدلاً.

.10

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (10)

{وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}

سيدخلون نارًا هائلة جزاء أكلهم أموال اليتامى ظلمًا. يقال: صَلَيْت الرجُل نارا، إذا أدخلته فيها وجعلته يَصلاها. وصَلَيْت اللحم وغيره – من باب رمى – إذا شَوَيته. والسَّعيرُ: الجمر المشتعِل، من سَعَرت النار –كمنع–وأسعرتها وسعَّرتها، إذا أوقدتها وألهبتها.

.11

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (11)

{يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ}

في هذه الآية والتي بعدها واية 176 من هذه السورة بيان الفرائض. أي يفرض الله عليكم في شأن أولادكم ما بيّنه لكم.

{فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ}

وكذلك ميراثُ الاثنتين؛ كما قضى بذلك رسول – صلى الله عليه وسلم – لابْنتيْ سعد بن الربيع. {فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ}

أي والباقي لأب تعصيباً. فإذا كان معهما أحد الزوجين كان للام ثلث الباقي بعد نصيب الزوج أو الزوجة. وثلثاه للاب.

{فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ}

والباقي للاب. ولاميراث للإخوة لحجبهم بالأب.

{مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ}

أي أن هذه الفرائض إنما تُقسم بعد قضاء الدَّين وإخراج وصية الميّت من الثلث. وقُدمت الوصيةُ على الدّين في التلاوة مع تأخُّرِها في الحكم لإظهار كمال العناية بتنفيذها؛ لكونها مظِنة التفريط في الأداء.

{فريضةً}

أي فُرض ذلك فرضا من الله العليم الحكيم

فيما فَرض وقدّر.

.12

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (12)

{وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً}

تُطلق الكلالة على الميت الذي لم يُخلّف ولداً ولا والداً، وعلى الوارث الذي ليس بولد ولا والد للميت. والأولُ قول علي وابن مسعود؛ لأنه مات عن ذهاب طرفيه فكَلَّ عمود نسبه؛ مِن الكَلال وهو ذهاب القوة من الإعياء والضعف. والثاني قول سعيد بن جبير؛ لأن هؤلاء الوارثين يتكللون الميتَ من جوانبه، وليسوا في عمود نسبه؛ كالإكليل يحيط بالرأس ووسطُ الرأس منه خالٍ؛ من تكلّله الشَيءُ إذا أحاط به. و (رَجلُ) اسم كان، وجملة (يورث) خبرها، و (كلالةً) حال من الضمير في (يُورَث). أي وإن كان رجل موروثا حالَ كونه كلالةٍ؛ على المعنى الأوّل. او حال كونه ذا كلالة، اي ذا وارثٍ هو كلالة على المعنى الثاني. و (امرأةٌ) عطف على (رجل) أي لأم، باتفاق. ويؤيده قراءة سعد بن أبي وَقّاص: (وله أخ أو أخت من أم)

.13

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (13)

{تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ}

اشارةٌ إلى الأحكام التى تقدّمت في شأن اليتامى و الوصايا والمواريث. وسُمِّيت حدودًا لان الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها ويتخطوْها إلى غيرها.

.14

وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (14)

{مُهِينٌ}

أي مُذِلٌّ من الهوان وهو الذُّل.

.15

وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (15)

{وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ}

والنساء اللاتي يفعلن الفاحشة و هي الزنا. وأصلُ الفاحشةِ: ما عَظُم قُبْحُه حتى بلغ الغاية في جنسه من الأقوال والأفعال. والمرادُ بالنّساء. الزوجاتُ؛ عند الجمهور.

{أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا}

أي مخرجاً من هذه العقوبة، وقد جعله الله تعالى بما شَرَعه من الحد، فالزاني البِكْرُ: يُجْلَد. . والزاني الثَّيِّبُ: يُرجَم. وقد رجم النبيُّ صلى الله عليه وسلم ماعزَ بنَ مالك الأسْلَمِي والغامديَّة وكانا محصَنين.

.16

وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا (16)

{وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ}

أي والزاني والزّانيةُ من رجالكم ونسائكم، اللذان يأتيان هذه الفاحشة؛ فاذوهما بالتعيير والتوبيخ أو بهما، وبالضرب بالنعال المراد بهما: البكران اللَّذان لم يُحْصَنا. وقيل المراد بالنساء في الآية الأولى جنسُ النساء، وبقوله: (واللذان) في الآية الثانية الرجلان يفعلان اللِّواط؛ وهو رواية عن مجاهد، والحكْمُ منسوخٌ بالحد المفروض. وذهب أبو مسلم الاصفهانى: إلى أن الآية الأولى في السحّاقات اللّاتي يستمتع بعضُهن ببعض، وحدهنَّ الحبس. والثانية في اللائطين؛ وحدهما الايذاء. وأما حُكم الزّنا ففي سورة النور وزيَّفه الالوسيُّ، واختاره بعض المفسرين.

.17

إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (17)

{إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ}

اي إنما التوبة المقبولة عند الله: هي توبةُ الذين يعملون السيئاتِ جهالةً وسفَها.

{بِجَهَالَةٍ}

بسفه وكل من عصى جاهل.

{ثُمَّ يَتُوبُونَ}

إلى الله تعالى منها وهم في فُسحة من العمر قبل وقت الاحتضار والغَرْغرة، ولا توبة تقبل منهم إذا تابوا في هذا الوقت؛ لانها حالةُ اضطرارٍ لاحالة اختيار. وكذلك لاتُقبل توبةُ الذين يموتون على الكفر فلا ينفعهم الندمُ ولا يُقبل منهم الفداء ولو بملء الارض.

.18

وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (18)

.19

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (19)

{لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ}

أي تأخذوهن على سبيل الإرث، كما يؤخذ المالُ الموروث بعد موت أزواجهن مُكْرِهين لهنّ على ذلك، وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية. و (كَرْهًا) –بالفتح والضم – بمعنى واحد. والخطاب لأقارب الميّت.

{وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ}

نهيٌ للازواج عن إمساك النساء من غير حاجة لهم إليهن، مضارّةً ومضايقةً لحملهن على الاختلاع بمهورهن؛ من العَضْل، وهو التضييق والمنع: يقال: عضَّلت الدجاجة ببيضها والمرأة بولدها اذا تعسَّر خروجهما.

{إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ}

استثناءٌ متصلٌ من أعم العِلل، أي لا تعضلوهن لعلّة من العلل، إلا أن يأتين بفاحشة مبينةٍ أخلاقهن، وكاشفةٍ عن احوالهن، و هي النشوزُ وسوءُ الخلق، وإيذاءُ الزوج وأهله بالبَذاء وفحش القول ونحوه؛ فلكم العذرُ في طلب الخُلع منهن، وأخذِ ما آتيتموهن من المهر لوجود السبب من جهتهن. والاصل في الباب قوله تعالى: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ} [البقرة:229]، و قوله: {فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا} [النساء:4].

.20

وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (20)

{أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا}

ظلماً أو باطلاً. وأصله الكذبُ الذي يبهَت [يذكر إنسانا بعيب غير موجود] المكذوب عليه. أو الباطلُ الذي يتحيّر من بطلانه. وكان الرجلُ في الجاهلية إذا أراد التزوّج بأخرى بَهَت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها من المهر، ليصرفه في زواج الاخرى، فحرم ذلك عليهم.

.21

وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (21)

{أَفْضَى بَعْضُكُمْ .... }

وصَلَ، بالوقاع أو الخلوة الصحيحة.

{مِيثَاقًا غَلِيظًا}

عهداً وثيقاً.

.22

وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (22)

ه {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ}

كانوا في الجاهلية

يتزوجون بزوجات ابائهم، فنهاهم الله عنه بهذه الاية، وعفا عمّا قد سلف قبل نزولها. وقد وصفه الله تعالى بأنه:

{إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً} فاحشةٌ، أي أمر مستقبحٌ غاية القُبح، وبأنه مقتٌ.

{وَمَقْتًا} وأصله بُغضٌ مقرونٌ باستحقار حصل بسبب أمر قبيح ارتكبه صاحبُه، وكانوا في الجاهلية يُسمُّون الولدَ الذي ياتي به الرجلُ من زوجة أبيه: المَقْتِي. ثم قال:

{وَسَاءَ سَبِيلًا}

أي طريقاً [غير سويّ] يسلكه الأبناء.

.23

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (23)

{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ}

جملة المحرَّمات من النساء بنص الكتاب أربعة عشرَ صنفاً: سبع بالنسب من قوله (أُمَّهَاتُكُمْ) الى قوله (وَبَنَاتُ الْأُخْتِ)،وسبع بالسّبَب من قوله (وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ) الى قوله (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ) [الآيه 24 من نفس السوره].وقد ثبت بالسُّنة تحرمُ أصناف أُخر، كالجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها، ونكاح المعتدة، ونكاح الخامسة لمن كان عنده أربع. والأُمهاتُ تعمُّ الجدّات: حيث كنّ؛ لان الأُمَّ هي الأصل كأم الكتاب.

{وَبَنَاتُكُمْ}

المراد بهن الفروع.

{وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ}

زوجاتكم. وحرمتُّهن بمجرد العَقْد عند الجمهور.

{وَرَبَائِبُكُمُ}

جمع ربيبة، بمعنى مَرْبوبه، و لحقتها الياء لصيرورتها اسماً، وهي بنت امرأة الرجل من زوج آخر. و سُمِّيت ربيبةً لأن الزوج يَربُّها ويَسُوسها، كما يَرُبُّ وليدَه غالباً. و قوله:

{اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ}

اي في تربيَتكم؛ وصفٌ لبيان الشأن الغالب في الرَّبيبة فلا مفهوم له. وإنما تحرُم الربيبة بالدخول بالأم، لا بمجرّد العقد عليها.

{فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ}

فلا إثم عليكم.

{وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ}

أي وزوجات أبنائكم. جمعُ حليلة: وهي الزوجة. ويقال للزوج حليل.

.24

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (24)

{وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ}

أي و حُرمت عليكم ذواتُ الأزواج من النساء قبل مفارقة أزواجهم لهن. سُمِّين محصناتٍ لان الازواج احصنوهن عن الفاحشة. أو هن أحصَنَّ أنفسهن عنها؛ من الإحصان، وهو المنع الشديد. وأصله من الحِصن وهو المكان المنيع الحمى. يقال: أحصنت المرأة وحُصنت ,أعفت، فهي حاصنٌ وحاصنة وحَصَان. وأحصنها زوجُها فهي محصَنَة. ويقال: رجلٌ مُحْصَن إذا تزوّج.

{إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}

استثناءٌ من تحريم نكاح ذوات الأزواج. والمراد به المَنسبِيَّات اللاتي سُبين ولهنَّ أزواج في دار الحرب، فيحِلُّ لمالكهن وطؤُهنَّ بعد الاستبراء، لارتفاع النكاح بينهنَّ وبين أزواجهن بمجرد السَّبِي، أو بسبيهنَّ وحدَهنَّ دون أزواجهن.

{كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ}

أي كتب الله عليكم تحريمَ هذه المحرَّمات المذكورات كتاباً، و فرضه فريضة.

{مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ}

مُحصِنين أنفسَكم بمن تطلبونهن بأموالكم من الاستمتاع المحرّم، غير زانين. فالمراد بالإحصان هنا: العِفة، وتحصينُ النفس من الوقوع في

الفاحشه. وبالسِّفاح: الزِّنى؛ من السَّفح وهو صبُّ الماء وسيَلانُه؛ وسُمِّيَ به الزنا لأن الزاني لاغرض له إلا صب النطفة فقط دون النسل. (مُحْصِنِيَن) و (غَيْرَ مُسَافِحِينَ) حالان من فاعل (تَبْتَغوا).

{فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً}

فرض الله تعالى على الازواج الذين ابتغوُا الزوجات محصنين غيرَ مسافحين أن يعطوهنَّ مهورَهنَّ عوضاً عن انتفاعهم بهنَّ. ومعلومٌ أن النكاح الذي يُحَقِّق الإحصان ولايكون الزَّوج به مسافحاً، هو النكاح الصحيح الدائمُ المستوفي شرائطه. فبطل نكاح المُتعَة بهذا القَيْد؛ لانه لا يحقق الإحصان، ولا يُقصَد به إلا سفحُ الماء وقضاءُ الشهوة. وجملة القول في المُتعة: أنها أحلت في السَّفر للضرورة، ثم حُرّمت يومَ خَيْبر، ثم أبيحت يوم فتح مكة، وهو يوم أوْطاس [واد في ديار هوازن، جنوبي مكه بنحو ثلاث مراحل. وكانت وقعتها بعد فتح مكه بشهر] لإتصالهما، ثم حُرّمت بعد ثلاثٍ تحريماً مؤبَّدا إلى يوم القيامة؛ كما في حديث سَبْرَة بن معبَد الجُهنِيّ، وعليه انعقد اجماع الامّه. وما نُسب الى ابن عباس من حِلّها مطلقاً غيرُ صحيح؛ فإنه ما كان يحلها إلا للمضطر، وكان يقول: ما هي إلا كالمَيْتَة والدّم ولحم الخنزير. على أنه قد صحَّ رجوعُه عن القول بحلها بقوله – فيا رواه عنه التِّرمذيّ و البيهقي و الطبراني –: ان المُتْعَة كانت في أول الإسلام حتى نزلت الاية: {إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) [المؤمنون] [والآيه 30 من سورة المعارج] فكل فَرْجٍ سواهما فهو حرام.

.25

وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (25)

{طَوْلًا}

غنىً وسَعَة. وهو كناية عما يُصرف إلى المهر والنفقات.

{أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ}

أي الحرائر، بدليل مقابلتهن بالمملوكات، و عُبر عنهن بذلك لأن حرمتهن أحصنتهن عن نَقْص الإماء. {وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}

أي أدُّوا إلى مواليهن مهورَهن عن طيبِ نَفْس منكم، دون مَطْلٍ أو مُضارَّة، ولا تبخسوا منه شيئا استهانة بهن لكونهن مملوكات.

{مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ}

عفائف غير معلِنات بالزنا، ولا متخذات أصدقاء يزنون بهن سِراً، جمعُ خِدْن، وهو الصاحب والخليل. وكانوا في الجاهلية يحرّمون ما ظهر من الزنا ويستحلُّون ما خفي منه؛ فحرّمها الله بقوله: {وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [الأنعام:15]. و (مُحْصَنَاتٍ) منصوبٌ على الحال من المفعول في قوله: (فانكحوهن).

{ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ}

اي نكاح الإماء لمن خاف الإثم بسبب غلبة الشهوة، وشق عليه الصبر عن الجماع، وأصلُ العَنَت: انكسار العظم بعد جَبْر، فاستُعير لكل مشقة وضَرر؛ ولا ضررَ أعظمُ من

مواقعة المآثم.

{مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ}

مصاحبات أصدقاء للزنى سراً.

.26

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (26)

{سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ}

طرائق مَن تقدمكم من أهل الرُّشد لتسلكوها. جمع سُنَّة، وهي الطريقة.

.27

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27)

.28

يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (28)

{وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا}

لايصبر عن الشهوات , ولا على مشاق الطاعات؛ فكان من رحمة الله تعالى به التخفيفُ عنه في التكاليف.

.29

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (29)

{بِالْبَاطِلِ}

اي بالحرام؛ كالربا والمَيْسر، والغصب والسرقة، وشهادة الزور، والخيانةِ والظلم، ونحو ذلك.

{إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً}

أي لكن يَحِلُّ أكلُها بالتجارة عن عن طيبة نفس كلِّ واحد منكم. وخُصَّت التجارةُ بالذكر من بين أسباب التَّمَلّك لكونها أغلبَ وقوعاً، وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أطيبُ الكسبِ كسبُ التجار الذين إذا حدّثوا لم يكذبوا، وإذا وعدوا لم يُخلفوا، وإذا ائتُمنوا لم يخونوا، وإذا اشترَوْا لم يذمُّوا، وإذا باعوا لم يمدحوا وإذا كان عليهم لم يَمْطُلوا، وإذا كان لهم لم يُعَسِّروا) [رواه البيهقي].

{وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ}

لا تهلكوها بارتكاب الآثام؛ ومنها: أكل الأموال بالباطل، وقتلُ النفس بغير حق وقتل الإنسان نفسه.

.30

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (30)

{نُصْلِيهِ نَارًا}

ندخله إياها ونحرقه بها.

.31

إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا (31)

{إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ}

اجتناب الشيء: المباعدة عنه وتركه جانباً. وكبائرُ الذنوب: ما عَظُمَ منها وعظُمت عقوبته؛ كالشِّرك، وقتل النفس بغير حق، ونحوه.

{نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ}

أي صغائر ذنوبكم، بدليل مقابلتها بالكبائر. جمع سَيئة، و هي الفَعْلة القبيحة التي تسوء صاحبَها او غيره، عاجلا أو آجلاً. ضدُّ الحسنة.

{وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا}

مكاناً حسناً، وهو الجنة. وقرئ (مَدخلاً) بفتح الميم؛ أي وندخلكم فتدخلون مَدخلاً كريماً.

.32

وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (32)

.33

وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (33)

{وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ}

ولكل واحد من الرجال والنساء جعلنا ورثةً عَصبةً يرثون مما تركه الوالدان والاقربون من المال. والعرب تسمِّي ابن العم

موْلى. أو ولكلِّ مالٍ مما تركه الوالدان والاقربون جعلنا مواليَ أي ورثةً يَلُونه ويحوزونه.

{وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ}

عاقَدتْهم أيمانُكم. ويسمى عقدَ الموالاة، و كانوا يتماسكون بالايدي عند المعاقدة والمحالفة. وكان الرجل في الجاهِليَّة يُعاقد الرجلَ الأجنبيَّ منه على التوارث، فجُعل له في بدء الإسلام السُّدُس من جميع المال، والباقي للورثة. ثم نُسخ ذلك بقوله تعالى: {وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} [الانفال:75]. وذهب الحنفيّة إلى أنه إذا أسلم الرجلُ على يد رجل اخر، وتعاقدا على ان يَرِثه صحَّ، وله إرثُه إن لم يكن له وارث أصلا. والآية غيرُ منسوخة.

{فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ}

أي حظهم من الميراث.

.34

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (34)

{قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ}

قيام الولاة المصلحين على الرعية.

{قَانِتَاتٌ}

مطيعات الله ولأزواجهن.

{حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ}

يحفظنَ في غَيبة أزواجهنّ ما يجب حفظُه في النفس والمالِ. فاللامُ بمعنى في، والغيبُ بمعنى الغَيبة. أو حافظاتٌ لأسرار أزواجهنّ، وهي ما مايقع بينهم وبينهن في الخَلْوة.

{بِمَا حَفِظَ اللَّهُ}

لهن من وحقوقهن على ازواجهن.

{نُشُوزَهُنَّ}

عصيانهُنَّ لكم وترفعهنَّ عن مطاوعتكم. يقال: نشزت المرأةُ تَنشُز وتنشِز، عصَت زوجها وامتنعت عليه. وأصل النشوز: الارتفاع.

.35

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (35)

{وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ... }

أي ان علمتم أو ظننتم شقاقا وخلافاً بينهما

{فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا}

لينظرا في أمرهما ويحكما بما يريانه مصلحةً من الجمع أو التفريق. وقيل لايحكمان إلا بالجمع. واتفقوا على أنهما إذا كانا موكلين من جهة الزوجين يَنْفذُ حكمهما في الجمع والتَّفريق. ونقل الحافظ ابنُ كثير عن ابن عبد البر: أن الإجماع

منعقد على نفاذ قولهما في الجمع وإن لم يُوَكّلها الزوجان، واختلفوا في نفاذه في التفرقة. والجمهورُ على نفاذه فيها أيضاً من غير توكيل.

.36

وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (36)

{وَالْجَارِ الْجُنُبِ ... }

أي البعيد مكاناً؛ من الجنابة ضدُّ القرابة. يقال: اجتنب فلانٌ فلاناً إذا بعد عنه. وقيل: هو الذي لا قرابة في النسب بينه وبين جاره. ويقابله الجارُ ذو القربى، بمعنى القريب مكاناً أو نسباً. والجُنُب يستوي فيه المفرد والجمع، و المذكّر والمؤنث. {وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ}

الرَّفيق في أمْر حَسَن، كتعلمٍ وتجارةٍ وصناعة و سفر. و هو الذي يصحبك في ذلك، ويكون في جنبك وجوارك.

{وَابْنِ السَّبِيلِ}

هو المسافر المجتاز بك، الذي انقطع به الطريق. أو هو الضيف يمرُّ بك فتكرمه.

{مُخْتَالًا فَخُورًا}

معجَباً بنفسه، يَعُدُّ مناقِبه؛ تكبُّراً وتطاولاً على الناس.

.37

الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (37)

.38

وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (38)

{رِئَاءَ النَّاسِ}

أي قاصدين بانفاقهم الرِّياء والسُّمعة، لا وَجْه الله تعالى؛ وهم المنافقون أو المشركون.

{فَسَاءَ قَرِينًا}

مصاحِباً ملازماً له في الدنيا أو الآخرة. فعيل بمعنى مُفاعل؛ كخليط بمعنى مُخالط.

.39

وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (39)

.40

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (40)

{لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ}

اي لا يظلم احداً شيئاً ولو مقدار ذرة، وهي النَّملة الصغيرة الحمراء التي لاتكاد تُرى. أو هي جزءا من أجزاء الهَبَاء في الكُوَّة ونحوها. ومثقالُ الشيئ: ميزانُه من مِثله، و جَمْعُه مثاقيل. وهو مثلٌ ضربه الله لأقل الأشياء.

.41

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (41)

.42

يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (42)

{لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ}

ان يُدْفَنوا فتُسوَّى عليهم الارض كما تسوَّى على الموتى.

.43

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (43)

{لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى}

المراد بالصلاة هنا: إمّا الهيئة المخصوصة، وإمَّا مواضعُها وهي المساجد. و (سُكَارَى): جمع سكران. والجُنُب: مَن أصابته الجنابة، ويستوي فيه الواحد والاكثر والذكر والمؤَّنث. وعابرُ السبيلِ: مجتازُ الطريق وهو المسافر. أو من يعبر الطريق من جانبها اِلى جانب. والمعنى: لا تُصلّوا في حالة السُّكر، حتى تكونوا بحيث تعلمون ما تقولون، ولا في حالة الجنابة حتى تغتسلوا، إلا أن تكونوا مسافرين ولم تجدوا ماء فتيمّمُوا للصلاة. او لا تقربوا المساجد وانتم سكارى، ولا تقربوها جُنُبا إلا أن تكونوا مجتازي المسجد من باب إلى آخر من غير مُكث.

{وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى}

بيانٌ للاعذار المبيحة للتيمّم ولكيفيته. والمَرَض المُبيحُ له: هو الذي يمنع من استعمال الماء؛ مثل الجُدَرِي والجراحةِ التي يُخشى من استعمال الماء فيها التلفُ أو زيادةُ المرض.

{أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ}

أي المطمئن من الارض، وكانوا يأتونه لقضاء الحاجة، وَكُني به عن الحَدَث.

{أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ}

اي واقعتموهن او ماسستم بَشَرَتهن ببشرتكم.

{فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا}

الصَّعِيدُ: وجهُ الأرض البارز، تراباً كان أو غيره. وقيل الترابُ. والطَّيِّبُ: الطاهر.

.44

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ (44)

{الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا}

هم يهودُ المدينةِ.

.45

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا (45)

.46

مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (46)

{يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ}

يُميلونه عن مواضعه، ويجعلون مكانه غيره. أو يتأوّلونه على ما يشتهون؛ من التحريف وهو التغيير. ومنه قولهم: طاعونٌ يُحَرِّف القلوب؛ أي يميلها ويجعلها على حرف، أي جانب و طَرَف وأصله من الحرف؛ يقال: حرَّف الشيء عن وجهه، صرفه عنه.

{وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ}

هي كلمةٌ ذات وجهين، تحتملُ معنى: اسْمع! مدعُوّاً عليك بلا سمعتَ، أو غير مُسْمَعٍ كلاماً ترضاه. ومعنَى: اسمع منّا غيرَ مسمَع مكروهاً. كانوا يخاطبون بها النبي صلى الله عليه وسلم استهزاءً به؛ مضمرين إرادة المعنى الأول، وهم مظهرون له إرادة المعنى الثاني.

{وَرَاعِنَا}

وكذلك كانوا يخاطبونه صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة، وهي محتملة معنى: راقبنا وانتظرنا نكلِّمك. ومعنى السَّبِّ بالرُّعونة والحُمق. أو تنقيصه بإرادة: راعي غَنَمنا، مظهرين إرادة المعنى الأول، وهم يضمرون الثاني [آيه 104 البقرة].

{لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ}

فتلاً بها وانحرافا؛ بصرف الكلام عن جانب الخير إلى جانب الشر، كما كانوا يحيُّونه بقولهم: السَّام عليكم، يَعنونَ به الموت. وأصلُهُ: لَوْياً؛ من لَوَى

الشيء – كرمى – اذا فَتَلهُ. مفعول به او حال، اي لاوين.

{وَأَقْوَمَ}

اعدل وأصوبُ واسدّ.

.47

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (47)

{مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا}

أصلُ الطَّمس: الصرفُ والإفسادُ والتحويلُ. وهو مثلٌ ضربه الله لهم في صرفهم عن الحق، وردّهم إلى الباطل، ورجوعهم على اعقابهم عن المَحَجَّة البيضاء. وهو نظير قوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ {8} وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ {9} [يس]. و قال مجاهد: المرادُ طمسُ وجه القلب؛ أي من قبل أن نطمس قلوبًا عن صراط الحق فنردَّها على أدبارها في الضلال.

.48

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (48)

{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}

المراد بالشرك هنا: مطلقُ الكفر؛ فيدخل فيه كفرُ اليهود دخولاً أوّليًّا. أي إنَّ الله لا يغفر لكافر مات على كفره، ويغفر ما دون الكفر من الذنوب والمعاصي لمن يشاء أن يغفر له ممن اقترفها إذا مات من غير توبة. فن مات منهم بدونها فهو في خَطَر المشيئة، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة، وان شاء عذَّبه ثم أدخله الجنة. واما قوله تعالى: { ... إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ {53} [الزمر] فمقَّيدٌ بالمشيئة، وبما عدا الشرك لمن مات مُصِرّا عليه.

.49

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (49)

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ}

تعجبٌ للنبي صلي الله عليه وسلم أو لكل سامع، من ادعاء اليهود انهم ازكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والاثم العظيم.

{وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا}

اي مقدارَ فتيل؛ و هو الخيط الذي في شق النواة. يُضرب مثلا في القِلة والحقارة، كالنقير للنُّقرة في ظهر النواة، والقطمير لقشرتها الرقيقة. وفي الكلام جملة مطويّة، أي يعاقبون على تلك التزكية الكاذبة، عقابًا عادلاً، ولايُظلمون فيه أدنى ظلم وأصغره.

.50

انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا (50)

.51

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (51)

{يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ}

الجِبْتُ في الاصل: اسمُ صنم، واستعمل في كل معبودٍ غير الله تعالى. والطاغوتُ: يُطلق على كل باطلٍ، وعلى كلِّ ما عُبد من دون الله، او كلِّ من دعا إلى ضلالة. أي يصدِّقون بانهما آلهةٌ ويشركونهما في العبادة مع الله تعالى، أو يطيعونهما في الباطل.

.52

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (52)

.53

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (53)

{أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ}

أي بل ألهم. والمعنى ليس لهم نصيب من المُلْك

البتةَ، وإذا كان لهم منه نصيب فهم من شدة الحرص والبخل بحيث لو أوتُوا شيئا منه لما أعطوا الناس منه أقلَّ قليل، وقد كُنِّيَ عنه بالنَّقير.

{نقيرًا}

قدر النقرة في ظهر النواة.

.54

أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (54)

{أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ .... }

ثم وصفهم الله تعالى بالحسد بعد وصفهم بالبُخل؛ والحسودُ يتمنى زوال النَعَم عن العباد. والمرادُ من الناس: النبي – صلى الله عليه وسلم –،أو هو والمؤمنون، أو العرب عامةً.

{الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}

الكتابُ: التوراة والإنجيل أو هما والزَّبُور. والحكمةُ: النبوّةُ، أو إتقان العلم والعمل، أو فهمُ الأسرار المودَعةِ في الكتاب.

.55

فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (55)

{سَعِيرًا}

ناراً مسعَّرة؛ أي موقدة إيقاداً شديداً للصادِّين عنه. يقال: سَعَر النارَ –كمنع – وسعَّرها وأسعرها، أوْقدها.

.56

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (56)

{نُصْلِيهِمْ نَارًا}

أي ندخلهم ناراً هائلة نشويهم فيها.

{كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ}

كلما احترقت جُلودُهم، وتهرّت وتلاشت.

{بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا}

غير محترقة. يقال: نضِج الثَّمر واللحمُ يَنْضَج نُضْجاً ونَضْجا، إذا أدرك؛ فهو نضيج وناضج. والنَّضجُ والتبديلُ في جهنم حقيقي. و قيل: هو كناية عن دوام العذاب لهم.

.57

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (57)

{أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ... }

بريئات من ميع الادناس الحسّية والمعنويَّة. والتنوين للتكثير.

{ظِلًّا ظَلِيلًا}

ألظلُّ معروفٌ. والظَّليلُ: صفةٌ مشتقة من الظِّل للتأكيد، على حدِّ: يومٌ أيْوَمُ، وليلٌ الْيلُ. أي ظلاً وارفاً لايصيب صاحبَه حرٌّ ولاسَموم، دائماً لاينسخُ.

.58

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (58)

{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ}

أي ما ائْتُمنتم عليه من الحقوق، سواءٌ أكانت لله تعالى أم للعباد، فعلِيَّة أم قولية أم اعتقادية. جمع أمانة، مصدرٌ سُمّيَ به المفعول.

{وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ}

أي ويأمركم اذا قضيتم بين الناس في حقوقهم أن تقضوا بالعدل والإنصاف.

واصل العدل: التسويَةُ.

{نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ}

اصْلُه: نِعْمَ ما يعظكم به؛ فأدغمت (ما) في ميم (نعم) " وكُسرت العَين للتوصل إلى النطق بالساكن. {ما} موصولةٌ أو نكرةٌ موصوفة؛ اي نِعْم الذي يعظكم به، أو نعم هو، أي نِعْم الشيءُ شيئاً يعظكم به تأدية الأمانة والحُكم بالعدل.

.59

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (59)

{وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}

أمراء الحق وولاة العدل من المسلمين، أو العلماء المجتهدين. أُمرَ المؤمنون بطاعتهم إذا أمروا بما فيه طاعةٌ لله ولرسوله، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وإنما الطاعة في المعروف.

{فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ}

أُمروا برد ما يختلفون فيه من أمور الدِّين إلى كتاب الله تعالى، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم في حياته وسُنته من بعده؛ لينزلوا على حُكمها.

{وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}

أحمدُ مَغبَّة، وأجمل عاقبة. وأصلُه من آل هذا الأمر إلى كذا، أي رجع اليه. أو أحسنُ تأويلاً من تأويلكم أنتم إياه، من غير ردّ إلى أصل من الكتاب والسنة. والتأويلُ على الأول بمعنى الرجوع إلى المآل والعاقبة. و على الثاني، بمعنى التفسير والتبيين، وهو فيهما حقيقة.

.60

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (60)

{إِلَى الطَّاغُوتِ}

[راجع آية 256 البقره وآيه 51 من هذه السورة].وقيل: المراد به هنا كعبُ بن الأشرف اليهودي، وكان مفرِطاً في الطغيان وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ورأساً في الضلال والفتنة.

.61

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (61)

{يَصُدُّونَ عَنْكَ}

أي يعرضون عنك.

.62

فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (62)

.63

أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (63)

.64

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (64)

.65

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (65)

{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ..... }

{لا}

الاولى نافيةٌ لكلام سبق؛ تقديرُه: ليس الامر كما يزعمون من أنهم آمنوا بما انزل إليك، ثم استأنف القَسَم فقال: وربِّك لا يؤمنون. وقيل: انها زائدةٌ لتأكيد معنى القسم؛ كما زيدت في قوله: {لئلا يعلم أهل الكتاب} [الحديد:29] لتاكيد وجوب العلم.

{حَتَّى يُحَكِّمُوكَ}

فيما اختلفوا فيه من الامور، والتَبس عليهم منها.

{شَجَرَ بَيْنَهُمْ}

ويقال: شَجَر بينهم الأمرُ يَشْجُر شَجْراً وشُجُوراً , إذا تنازعوا فيه. وأصلُه التداخلُ والاختلاط، ومنه شَجَر الكلامُ، إذا دخل بعضه في بعض واختلط.

{حَرَجًا}

ضِيقا. وأصلُ الحَرَج: مجتمَع الشيء، وتُصور منه ضِيق ما بينهما، فقيل للضِّيق: حَرَجٌ. وللإثم أيضا: حرج؛ و منه: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ} [النور:61]،أي ضيقٌ بالإثم لترك الجهاد.

{وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}

ينقادوا لقضائك انقياداً لا شائبة فيه بظاهرهم وباطنهم. وهذا الحُكْمُ باقٍ إلى يوم القيامة، وليس مخصوصاً بمن كان في عهده صلى الله عليه وسلم.

.66

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (66)

{وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا}

اي أقرب إلى ثبات إيمانهم.

.67

وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (67)

.68

وَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (68)

.69

وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (69)

.70

ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا (70)

.71

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا (71)

{خُذُوا حِذْرَكُمْ ... }

الحِذْر و الحَذَر بمعنًى، وهو الاحتراز مما يخاف. يقال: أخذ حذره، إذا تيَقظ واحترز مما مما يخاف منه. وقيل: الحِذر ما به الحَذر من السلاح ونحوه؛ أي احتَرزوا من عدوكم وتيقظوا له. أو خذوا عُدتكم من السلاح واستعدوا لعدوّكم. وفيه دلالة على وجوب الأخذ بالاسباب.

{فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ}

اخرُجوا الى قتال عدوّكم مجدِّينَ جماعةٌ في اثْر جماعة، فصائلَ وسرايا. الثُبات: جمع ثُبَةٍ، و هي الجماعة والعُصْبة من الفرسان؛ مشتقة من ثبا يثبو، أي اجتمع.

{أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا}

مجتمعين جماعةٌ واحدةٌ. والنَّفْرُ: الفَزَع. يقال: نفر إلى الحرب ينفِرُ ويَنْفر نَفْرا ونُفورا، إذا فزع إليه.

.72

وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (72)

{لَيُبَطِّئَنَّ}

ليتأخرنّ ويتثاقلن عن الجهاد؛ من بَطّأ اللازم – بالتشديد – بمعنى أبطأ؛ كعتَّم بمعنى أعتم إذا أبطأ. أو ليُبَطِّئن غيرَه، اي يُجَبِّنّه ويثبطَنَّهُ عن الجهاد؛ من بطأ المتعدي، بالتشديد نزلت في المنافقين.

.73

وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (73)

{كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ}

ه يتمنى المنافق إذا

انتصر المؤمنون لو كان معهم في القتال، ويأسف لتخلفه عنه، لا لمودّة في قلبه تحمله على مشاركتهم في الجهاد والبلاء في كل حال، بل لمجرّد حرمانه من حظه من الغنيمة. والجملة معترضة بين القول والمقول؛ لدفع توهم ان تمنيهِ المَعِيةَ للنصرة والمظاهرة.

.74

فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (74)

{فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}

فليقاتل في سبيل الله المؤمنون الذين يبيعون الحياة الدنيا، ويختارون الآخرة وثوابها على الدنيا الفانية. {يَشْرُونَ}

يبيعون وهم المؤمنون.

.75

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (75)

.76

الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (76)

{الطَّاغُوتِ}

الشيطان وسبيله الكفر.

.77

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (77)

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ}

كان بعض الصحابة بمكة يلقْون من المشركين أذى كثيرا، ويتمنَّون أن يقاتلوهم؛ فكان النبي صلى الله عليه وسلم يكفهم عن القتال، لأنه لم يؤمرَ به. فلما فُرض القتال بالمدينة وقد هاجرو إليها، جبُنُوا عن القتال وخافوا المشركين خوفاً شديداً؛ جَزَعاً من الموت بمقتضى الجبلّة: البشرية، فنزلت الآية.

{وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا}

ولاتُنقصون ادنى شيء من أجوركم على الجهاد، فلا ترغبوا عنه. [اية 49 من هذه السورة].

.78

أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (78)

{فِي بُرُوجٍ ... }

أي في حصون وقلاع، جمعُ بُرْج وهو الحصن. وأصلهُ من التبرج وهو الإظهار.

{مُشَيَّدَةٍ}

أي مطوّلة بارتفاع؛ مِن شيّد البناء رَفعه. أو مطليّة بالشِّيد، وهو الجِصُّ لتقويتها. أي فأنتم صائرون الى الموت لا محالة، ولا يُنْجي حذَرٌ من قَدَر فما لكم تَجبُنون عن القتال!!

{وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ}

نزلت في اليهود والمنافقين حين أبدُوا التشاؤم من الرسول صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وقُحِطوا. والمرادُ من الحسنة والسيئة: النّعمة والبليّة، وقد

شاع استعمالها في ذلك؛ كما شاع في الطاعة والمعصية. فكذَّبهم الله تعالى بقوله: {كل من عند الله} خلقاً وإيجادًا، وتقديرًا نافذا في البرَّ والفاجر، والمؤمن والكافر، جارياً على مقتضى الحكمة والمشيئة.

.79

مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (79)

{مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ}

اي ما اصابك أيها الإنسان من نعمة فمن الله تفضُّلاً وإحساناً.

{وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ}

بليّة.

{فَمِنْ نَفْسِكَ}

أي فبسبب اقترافك الذنوب عقوبةً لك من الله، وإن كان كلاهما من عند الله خلقاً وتقديرا. وهو كقوله تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} [الشورى:30]. وعن ابن عباس: ما كان من نكبة فبذنبك، وأنا قدّرت ذلك عليك. وعن عائشة نحوه.

.80

مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (80)

{فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا}

حافظاً ورقيبا، تحفظ أعمالهم و تجازيهم عليها، إنما أنت نذير.

.81

وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (81)

{بَرَزُوا}

خرجوا.

{بَيَّتَ طَائِفَةٌ}

دبرت بليل.

.82

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (82)

.83

وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (83)

{وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ}

نزلت في ضعفاء المؤمنين، فقد كانوا يسمعون من المنافقين أخبارًا عن السرايا مظنونةً غير معلوم صحتها، وقد تكون مختَلَقة، فيُذيعونها قبل التثبت منها و تشيع بين الناس، فلا تخلو من وَبَالٍ يعود على المسلمين. فنعى الله ذلك عليهم، وقال إنهم لو ردّوا الأمر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى كبار أصحابه، وقالوا: نسكت حتى نسمعه منهم، ونتلقى علمَه من جهتهم، وهل هو مما يصح أن يُذاع أو لا يذاع، لعلموا الحقيقة وما وجب عليهم ازاءها من كتمانٍ

أو إذاعة. وقوله:

{الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ}

أي يتلقَّوْنه منهم ويستخرجون علمَه من جهتهم؛ وفي الكلام إظهارٌ في مقام الإضمار، والأصل: لعلموه. ولولا فضل الله على هؤلاء المذيعين بإرشادهم إلى ما يجب عليهم من الردّ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى كبار أصحابه فيما يسمعونه من هذه الأخبار لضلُّوا باتباع آراء المنافقين فيما يأتون ويذرون. وقوله:

{إِلَّا قَلِيلًا}

استثناء من قوله {أذاعوا به} أي إلا قليلاً منهم لم يُذيعوه، اي لم يُفشوه.

{أذاعوا به}

يقال: اذاع الخبرَ واذاع به، إذا أشاعه وأفشاه. وقيل: عُدِّيَ بالباء لتضمنه معنى التحديث.

.84

فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا (84)

{وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا}

تعذيبًا. وأصلُه التعذيب بالنكْل وهو القَيْد، ثم استُعمل في كل تعذيب. يقال: نَكَلَ به يَنْكُل، أصابه بنازلة. ونكَّل به مبالغة.

.85

مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا (85)

{مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً}

الشفاعة: التوسُّطُ بالقول في وصول إنسان إلى منفعة دنيوية أو أخروية، أو إلى خلاصه من مضرة كذلك. من الشَّفع ضدُّ الوِتر؛ كأن المشفوع له كان و ترا فجعله الشفيع شَفعا. فمن يسعى في الخير أو في الشر يكون له نصيبٌ من الجزاء، خيرًا أو شرّا. وإطلاق الشفاعة على السعي في الشر مشاكلةٌ.

{كفل منها}

نصيب و حظ من وزرها. والكِفلُ: النصيب والحظ، واستعمالُه في الشر اكثرُ من استعمال النصيب فيه. مأخوذ من قولهم: اكتفلتُ البعير، إذا أدرتَ على سنامه أو على موضع من ظهره كساء ركبت عليه؛ فكان لك نصيب من الانتفاع به.

{وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا}

مقتدرًا أو حفيظاً؛ من اقات على الشيء: اقتدر عليه. أو من القُوت، وهو ما يُمسك الرمق من الرزق، وتحفظ به الحياة.

.86

وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (86)

{حَسِيبًا}

محاسباًو مجازيا، أو شهيدا.

.87

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (87)

.88

فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (88)

{فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ}

نزلت في قوم خرجوا الى المدينة يزعمون انهم مهاجرون، ثم ارتدُّوا في أنفسهم واستأذنوا الرسول صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى مكة، ليأتوا ببضائع لهم يتَّجرون فيها. فخرجوا وأقاموا بمكة، فاختلف المسلمون فيهم، فقائل: هم منافقون، وقائل: هم مؤمنون؛ فبين الله نفاقهم وأمر بقتلهم لردّهم. وقيل: نزلت في قوم تخلفوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وأقاموا بمكة وأعلنوا الإيمان ولم يهاجروا؛ فاختلف فيهم المسلمون، فتولاهم أناسٌ وتبرأ من ولايتهم آخرون؛ فسمّاهم الله منافقين، وبرّا المؤمنين من ولايتهم، وأمرهم ألا يتولوهم حتى يهاجروا. أي فمالكم تفرقتم في شأن المنافقين فرقتين

{والله اركسهم بما كسبوا}

ردّهم الى الكفر بعد الايمان بسبب ما كسبوه من الردة؛ من الرَّكس، وهو ردُّ اول الشيء على آخره. يقال: رَكَسَ الشيء يَرْكُسه ركساً، اذا قلبه على رأسه. والرَّ كس والنَّكس بمعنّى.

.89

وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (89)

{حَتَّى يُهَاجِرُوا}

حتى يؤمنوا، وتتحققوا إيمانهم بهجرتهم في سبيل الله؛ أي بخروجهم للقتال مع الرسول صلى الله عليه وسلم لوجه الله، لا لغرض دنيويّ.

.90

إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (90)

{إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ}

استثنى من المأمور بقتلهم فريقان: من ترك المحاربين من الاعداء ولَحِق بالمعاهدين؛ فكان معهم على عهدهم. ومن اتى المؤمنين وكَفَّ عن قتال الفريقين. وقولهُ:

{حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ}

أي ضاقت عن أن يقاتلوكم مع قومهم، أو يقاتلوا قومهم معكم. يقال حَصِر صدرُه يَحْصر، ضاق. وهذه الآيه منسوخه بآية: {فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ... } [التوبه: 5].

.91

سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (91)

{سَتَجِدُونَ آخَرِينَ}

نزلت في اناس كانوا يأتون الرسول – صلى الله عليه وسلم – فيُسْلِمون رياءاً ونفاقاً، ثم يرجعون الى قريش فيَرْتَكسون في الشرك، يبتغون بذلك ان يأمنوا نبيَّ الله ويأمنوا قومهم؛ فابى الله ذلك عليهم.

{رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ}

دعوا إلى الشرك

{أُرْكِسُوا فِيهَا}

أي قُلبوا فيها أقبح قلب وأشنَعه. يقال: أركسته فركس، أي قلبته على رأسه فقلب.

{حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ}

أي وجدتموهم، أو تمكنتم منهم. يقال: ثَقِفت الرجلَ في الحرب أثْقَفُه، أدركته أو ظفرت به.

{السَّلَمَ}

الاستسلام والانقياد للصلح.

.92

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (92)

{فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ}

اي فعليه اعتاق نَسَمة مؤمنة.

{وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ}

أي مؤداة إلى ورثته يقتسمونها بينهم

قسمة الميراث، والدِّية: من الوَدْي، كالعدة من الوَعد. يقال: و دَى القاتلُ القتيل يديه دية، إذا أعطى وليَّه المال الذي هو بدل النَّفس. وسُميَّ المالُ دية تسمية بالمصدر. وأحكامُ الدية مبسوطة في الفقه.

{فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ}

أي فان كان المقتول خطأ من قوم محاربين لكم {وهو مؤمن} وقد قتله مسلم لكونه بين اظهر قومه. فعلى القاتل تحرير رقبة مؤمنة، ولا دية له، إذ لا وراثة بينه وبين أهله. {وان كان} المقتول المؤمن {مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ} أي معاهدة، فعلى القاتل ديةٌ مؤدّاة إلى اهله المسلمين ان وجدوا، ولا تدفع إلى أهله الكفار، إذ لا يرث الكافر المسلمَ، وعليه عتق نسَمَة مؤمنة.

.93

وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (93)

{فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا}

المراد من الخلود هنا: المكث الطويل لا الدوام؛ لتظاهر النصوص على أنَّ عصاة المؤمنين لا يخلَّدون في النار. والجمهور على أن القاتل إذا تاب واناب، وعمل عملا صالحا، بدل الله سيئاتِه حسناتٍ، وعوّض المقتول من ظُلامته، وأرضاه عن طِلابته. وما قيل من أنه: لاتوبة لقاتل المؤمن عمدًا، محمول على التغليظ في الزجر.

.94

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (94)

{إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}

اي سافرتم للجهاد

{فتبينوا}

فاطلبوا بيان الأمر في كل ما تفعلون وتتركون.

{وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ}

أي حياكم بتحية الإسلام، أو استسلم و انقاد {لَسْتَ مُؤْمِنًا} وإنما فعلت ذلك تقِيّةً؛ بل اقبلوا منه ما أظهر، وعاملوه بموجبه؛ وأمرُ القلوب بيد الله، وسِرُّها لا يعلمه سواه.

{عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}

الغنيمة وهي مال زائل.

.95

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (95)

{لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}

وهم مَنْ لم يخرجوا يوم بَدر لعذر. أو من اذِن لهم في التخلف عن الجهاد.

{غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ}

أي غيرُ اصحاب الامراض والعلل التى لا سبيل معها إلى الجهاد، من نحو عمىً أو زمانةٍ أو ضَعْف بدن أو عجز عن الاهبة.

{فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ}

اي بعذر، وهم أولو الضرر

{درجة}

منزلة.

{وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ}

اي بغير عذر بامره صلى الله عليه وسلم اكتفاء بغيرهم. {أَجْرًا عَظِيمًا}.

.96

دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (96)

{دَرَجَاتٍ مِنْهُ}

كثيرة.

.97

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97)

{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ}

نزلت في أناس بمكة أسلموا بألسنتهم ولم يهاجروا معه صلى الله عليه وسلم؛ حتى إذا خرج المشركون إلى بدر خرجوا معهم وقاتلوا المسلمين، فَقُتلوا بها كفّارا.

.98

إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (98)

{إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ}

استثناء منقطع.

.99

فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (99)

{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ}

يتجاوز عنهم بفضله. و (عَسَى) من الله تعالى واجب؛ لأنه إطماعٌ وترجٍ، والله تعالى إذا اطمع عبده وصله.

.100

وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (100)

{يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا}

متحوَّلا ومهاجَرا. اسم مكان، وعبر عنه بالمراغَ للإشعار بان المهاجر في سبيل الله يصل في الموضع الذي يهاجر إليه، الى ما يكون سببا لرغم انوف قومه الذين فارقهم؛ من الرّغْم – بتثليث الراء – وهو الذُّلُّ والهوان. وأصله لصوقُ الأنف بالرَّغام و هو التراب. وفعله من باب قَتَل وفي لغة من باب تَعِب.

{فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ}

أي وجب له الأجر تفضلاً منه تعالى. وفي الآية ترغيبٌ عظيم في الهجرة في سبيل الله، وكذلك كل من قصد بهجرته فعل طاعة من الطاعات ثم مات قبل إتمامها؛ فإنه يكتب له ثوابها كاملا.

.101

وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا (101)

{وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ}

أي اذا سافرتم ايَّ

سفر، فلا حرج ولا اثم عليكم في قصر الصلاة إن خفتم ان يتعرّض لكم الأعداء في الصلاة بقتل أو جَرْح أو أسر؛ فتُصلى الرباعية ركعتين. وجمهور الأئمة على انَّ قَصرَ الصلاة مشروعٌ في السفر في حالتي الخوف و الامن، وقد ثبت عنه – صلى الله عليه وسلم – قصرها في الأمن، كما في الصحيحين وغيرهما. والتقييد بالشرط في الآية إنما يدل على ثبوت القَصر في حالة الخوف، ولا يدل على عَدَمه في حالة عَدَم الخوف، بل هو مسكوتٌ عنه، ويستفاد حكمه من دليل آخر، وقد ثبت بالسّنة قصرها في الامن. ولا مفهوم له عند القائلين بالمفهوم من الأصوليين؛

لخروجه مخرج الغالب، حيث لم تخلُ أسفارُه صلى الله عليه وسلم في الغالب من خوف الاعداء؛ لكثرتهم إذ ذاك.
وأحكام القَصْر مبَيَّنةٌ في الفقه.

{يفْتِنَكُمُ}

ينالكم بمكروه.

.102

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (102)

{وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ}

بيان لكيفية القصر عند الضرورة التامة، بعد النص المجمل في مشروعيته. والخطابُ له صلى الله عليه وسلم يتناول الأئمة بعده، فإنهم نوابه والقائمون بما كان يقوم به؛ فهو كقوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً} [التوبه:103].
وقد أُمِرَ أن يجعل المجاهدين طائفتين: طائفة تُصلي معه ومعهم أسلحتهم التي لا تشغلهم عن الصلاة. وطائفة أخرى تقف تجاه العدوِّ للحراسة؛ فإذا أتمّت الطائفة الأولى ركعة، أتت الطائفة الاخرى فصلت معه – صلى الله عليه وسلم – الركعة الباقية من صلاته. و كيفيّات صلاة الخوف مبينة في الفقه. وظاهرٌ أن الآية في صلاة الخوف في غير حالة الالتحام. وأما في حالته فقيل: يؤخرون الصلاة الى أي يأمَنوا، ثمَّ يقضون ما فاتهم منها. وقيل: يصلون بالإيماء بالركوع والسجود إلى أي جهة، رجالاً وركبانا. وقد تقدم طرفٌ من ذلك في آية 239 البقرة.

{وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ}

[راجع آية

71 من هذه السورة].

{حِذْرَهُمْ}

احترازهم من عدوهم. {تَغْفُلُونَ}

تسهون.

.103

فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (103)

{فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ}

أي اذا فرغتم من صلاة الخوف فداوموا على ذكر الله تعالى في جميع الاحوال، حتى في حال المقارعة والالتحام.

{فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ}

سكنت قلوبكم بالعودة الى اوطانكم.

{فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ}

ادُّوها في أوقاتها باركانها وشروطها وحدودها تامة كاملة.

{كتاباً موقوتاً}

مكتوبا محدود الأوقات مقدرا.

.104

وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (104)

{وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ}

لا تضعفُوا ولا تتوانَوْ في طلب الكفار بالقتال؛ مِن الوَهْن وهو الضَّعْف.

.105

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (105)

{إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ}

نزلت في طُعمة بن أبَيْرِق من بني ظَفَر – وكان هو وقومُه منافقين– سرق درعاً من جار له كانت في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب، ثم خبّاها عند يهودي؛ فالتُمست عند طعمة بدلالة أثر الدقيق في الطريق. فحلف ما أخذها، وما له علمٌ بها؛ فتركوه واتبعوا الأثر حتى انتهوا إلى دار اليهودي فوجدوها عنده فقال: دفعها إلى طُعْمةُ، وشهد له بذلك ناسٌ من اليهود. فانطلق قوم طعمة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وشهدوا زورًا أن اليهودي هو السارق، وسألوا الرسولَ صلى الله عليه وسلم أن يجادل عن صاحبهم؛ فهمَّ ان يفعل ويعاقب اليهودي، فنزلت الآية فلم يفعل. وهمَّ أن يقضى على طُعمة فهرب إلى مكة وارتد، ونَقَب حائطاً ليسرق متاع أهله فسقط عليه ومات مرتداً.

{وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا}

اي ولا تكن لأجل الخائِنِين– وهم طُعمةُ وقومُه – مخاصماً للبريء من السرقة. وأصلُه من الخُصم – بضم فسكون – وهو ناحية الشيء وطَرَفُه، كأن كل واحد من الخصْمين في ناحية من الدعوى والحجّة؛ واللام للتعليل.

.106

وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (106)

{واستغفر الله}

أي مما همْمت به في امر طُعمة واليهودي لظن صدق طعمةَ وقومِه. أُمِر – صلى الله عليه وسلم – بالاستغفار، وان كان معذوراً ,لزيادة الثواب وارشاده الى التثبت، والى ان ما ليس بذنب مما يكاد يُعد حسنةً من غيره، اذا صدر منه – صلى الله عليه وسلم – بالنسبة لمقامه المحمود – يوشك ان يكون كالذنب.

.107

وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (107)

{وَلَا تُجَادِلْ}

لا تخاصم عن الذين يخونون أنفسهم بارتكاب المعاصي؛ من المجادلة وهي شدة المخاصمة. واصلها من الجَدْل، وهو شدة الفَتْل.

{يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ}

يخونونها بارتكاب المعاصي.

.108

يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (108)

{إِذْ يُبَيِّتُونَ}

يدبرون فيما بينهم قولاً باطلاً لايرضاه الله، من شهادة الزور، ورَمي البريء بالسرقة، وأصل التَّبْييت: تدبيرُ الفِعل ليلاً، ثم اطلقَ على كل

تدبير وإن لم يكن بالليل.

109

هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (109)

{وَكِيلًا}

محافظاً ومحاميا عنهم من عقاب الله تعالى. وأصلُ معنى الوكيل: مَن يُوكل له الأمر ويُسند إليه، ثم أطلق على ما ذكر مجازاً من استعمال الشيء في لازم معناه.

.110

وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (110)

{وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا}

اي ومن يعمل عملاً يُسيء به غيره

{أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ}

بارتكاب المعاصي، ثمَّ يتب توبة صادقة {يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا}

وهو كقوله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (136) [آل عمران].

.111

وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (111)

.112

وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (112)

{وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً}

الخطيئة: الصغيرة من الذنوب. والإثم: الكبيرة منها. أو الأولى الذنب المختصُّ بفاعله، والثاني الذنب المتعدّي إلى الغير.

{بُهْتَانًا}

والبُهتانُ: الكذب على الناس بما يُبهتون به، ويتحيّرون عند سماعه لفضاعته.

.113

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (113)

.114

لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (114)

{لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ}

أي مما يَتناجى به الناس ويخوضون فيه. والنَّجوى اسم مصدر بمعنى المُسارَّة. يقال نَجوته نجواً ونجوَى، وناجيته مناجاة، اي ساررته. وأصله: أن تخلوَ بمن تسارّه في نجوة من الأرض، وهي المكان المرتفع المنفصل بارتفاعه عما حوله. ويطلق على القوم المتناجين، كما في قوله تعالى: {وَإِذْ هُمْ نَجْوَى} [الاسراء: 47] مبالغة، على حد: قومٌ عدلٌ. أو بتقدير مضاف؛ أي ذَوُو

نجوى.

{إِلَّا مَنْ أَمَرَ}

إلا في نجوى الذين يأمرون بالصدقة، أو بالبر والخير الذي يصل نفعُه إلى الناس؛ فيسد حاجتهم، أو يرشدهم إلى ما فيه خيرهم ودفع الشر عنهم، أو باصلاح ذات البين عند المشاحنة والمعاداة.

.115

وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (115)

{نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى}

نُخْلِ بينه وبين ما اختاره لنفسه من الضلال في الدنيا هو

{وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ}

نُدخله فيها في الآخرة.

.116

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (116)

{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}

[آيه 48 من هذه السورة].وذُكرت هنا تكميلاً لقصة من سبق بذكر الوعد بعد ذكر الوعيد في ضمن الآيات السابقه.

.117

إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (117)

{إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا}

أي ما يعبدون من دون الله إلا أصناما سَمَّوْها بأسماء الإناث؛ كاللاتِ والعُزّى ومناةَ، وكان لكلِ حَيٍ من احياء العرب صنم يعبدونه، ويسمُّونه انثى بني فلان، ويزينونه بالحلي كالنساء.

{وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا}

اي وما يعبدون بعبادة هذه الاصنام إلا شيطانا عاتيا. اغراهم بعبادتها فأطاعوه فكانوا له عابدين. والمَرِيدُ والمُتَّمَرِد: البالغ الغاية في الشر و الفساد. يقال: مَرَد –كنَصَر وظرف – إذا عَتا وتجبَّر، فهو ماردٌ ومريدٌ ومتمردٌ. وأصل المادة للملامسة والتجرُّد؛ ومنه صرحٌ مُمَرّدٌ، أي أملس. وشجرةٌ مرداءُ للتي تناثر ورقها. و غلامٌ امردُ: لم ينبت في وجهه شعر. ووصف الشيطان بالتمرُّد لتجرده للشر، او لظهور شره ظهورَ عيدان الشجرة المرداء.

.118

لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (118)

{نَصِيبًا مَفْرُوضًا}

حظا مقدراً معلوماً؛ مِن الفَرْض واصله القطع. واطلق هنا على المقدار المعلوم؛ لاقتطاعه عمّن سواه من صالحي المؤمنين. فكلُّ من اطاع الشيطان فهو نصيبه المفروض.

.119

وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (119)

{وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ}

اي لأزيغنهم عن طاعتك و توحيدك. ولألقِيَنَّ في صدورهم الأماني الباطلة الميسَّرة للعصيان

{فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ}

اي فليُقَطِّعُنها من أصلها، أوليشقُّنها؛ من البَتْك و هو القطع. ومنه: سيف باتك، أي صارمٌ. وكانوا في الجاهلية إذا ولدت الناقة خمسة أبطن وجاء الخامسُ ذكرا قطعوا أذنَها أو شقُّوها شقا واسعاً؛ علامةً على أنهم حرَّموا على انفسهم الانتفاع بها وجعلوها للطواغيت، وسمَّوها البَحِيرة، أي المشقوقة الأُذُن. والمرادُ: أنه يُغريهم بعبادة الطواغيت – ويدعوهم إلى التقرّب إليها بالبحائر ونحوها؛ فيسارعون إلى اجابته.

{وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ}

أي فليغيَّرُن ما خلقه الله عن نهجه صورةً وصفةً؛ كفقوء عين فحل الإبل في بعض الأحوال، وخِصاء الإنسان والوَشم، واللواطة والسِّحاقِ

والتخنُّث، وعبادة الكواكب والنار والأحجار، و تغيير دين الله وأحكامه.

.120

يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (120)

{غُرُورًا}

خداعا و باطلا.

.121

أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (121)

{وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا}

معدَلاً و مهربا يفرُّون إليه للنجاة من عذابها. يقال: حاص عنه يَحيص حَيصاً وحيوصاً ومحيصاً، حاد وعدل.

.122

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (122)

{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا}

أي قَولاً. وهو مصدر قال، أو اسمُ مصدر.

.123

لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (123)

{لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ}

أي ليس ما وعد الله به من الثواب أو ادخال الجنه. أو ليس ما تحاورتم فيه حاصلاً بمجرد أمانيّكم ايها المسلمون، أو أمانيّ أهل الكتاب؛ وانما يحصل بالسعي والجد في طاعة الله والعمل الصالح. والأمانيُّ: جمع أمنية، وهي ما يودّه الانسان ويشتهي.

{مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ}

من يرتكب معصِيَةً، مؤمنا كان او كافرا، يُجازه الله بها، عاجلاً أو آجلاً، أي إلا إذا تاب أو تفضل الله تعالى عليه بالمغفرة إذا كان مؤمناً. وأجمع العلماء على أن الامراض والاسقام ومصائب الدنيا وهمومها يكفر الله بها الخطيئات. والاكثرون على أنها أيضاً تُرفع بها الدرجات، وتُكتب الحسنات.

.124

وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (124)

{وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا}

لايُبخسون من ثواب أعمالهم شيئاً ما، ولو تافهاً حقيراً كالنقير [آية 49،53 من هذه السورة ص 118،119].

.125

وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (125)

{أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ}

أخلص نفسه أو توجهه وعبادته لله.

{وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا}

مائلاً عن سائر الأديان الزائغة إلى الدِّين الحق؛ حالٌ من (ابراهيم). ومِلتُه: شريعتُه الموافقة للإسلام.

{وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا}

صفيًّا. مشتقٌّ من الخُلَّة، وهي صفاء المودّة التي توجب الاختصاص بتخلل الأسرار.

.126

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا (126)

.127

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (127)

{وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ}

ويطلبون منك الفَتْوى أي تبيين المُشكل من الاحكام في حق النساء من الميراث وغيره؛ فقل لهم: الله يُفتيكم في شأنهن، ويفتيكم ما يتلى عليكم في القرآن في شأن اليتامى اللائي تمنعونهن ما فُرض لهن من الميراث وغيره، وترغبون في

نكاحهن لمالهن وجمالهن بأقلّ من صداقهن. أو ترغبون عن نكاحهن و تعضُلونهن طمعا في أموالهن؛ أي يبين لكم ألا تفعلوا شيئاً من ذلك. ويُفتيكم ايضا في شأن الصغار من الولدان أن تُورِّثوهم؛ وكانوا لا يورثونهم كما لا يورثون النساء. ويُفتيكم أيضا في شأن اليتامى – ذكورًا كانوا أو إناثا– ان تقوموا بالعدل في ميراثهم وسائر أموالهم وأحوالهم.

{وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ (أو شر في ذلك وغيره يعلمه الله ويحاسبكم عليه. فقوله: (وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ) معطوفاً على اسم الجلالة، أو على الضمير في (ويفتيكم) و (فِي يَتَامَى النِّسَاءِ) متعلق بـ (يُتْلَى). و (وَتَرْغَبُونَ) أي في نكاحهن أو عنه،

وكل من الحرفين مرادٌ على سبيل البدل. (وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ) معطوف على (يتامى النساء). (وَأَنْ تَقُومُوا) عطف على ما قبله.

{بِالْقِسْطِ (بالعدل في الميراث والاموال.

.128

وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (128)

{بَعْلِهَا}

زوجها.

{نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا}

النُّشوز: أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقَتَه ومودّته، ويؤذيها بسبٍ أو ضرب. والإعراض: أن يقلل محادثَتها ومؤانستها، وهو أخف من النشوز.

{وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ}

أي جُبلت علي الإفراط في الحرص والبخل؛ فكأنه حاضِرُها لاينفكُّ عنها ابداً.

.129

وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (129)

{وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا}

أي العدل المطلق الكامل بين زوجاتكم في القسم النفقة، و التَّعهُّد والنظر، والإقبال والمحالمة والمفاكهة، والمحبة والانعطافِ وغير ذلك.

{وَلَوْ حَرَصْتُم}

عليه اتمَّ الحرص، ولذلك لم يكلفكم الله به؛ اذ التكليف الشرعي انما يكون بما في الوسع والطاقة، فقاربوا واجتهدوا ألا تميلوا المَيْلَ المحظور إلى واحدة منهن في حقوق الزوجية، بحيثُ تكون الاخرى كانها معلَّقة لا هي مطلقة ولا هي ذات بَعْل، وجاهدوا أنفسكم حتى تصلوا إلى الحد المستطاع من العدل الذي يباح لكم معه تعدُّد الزووجات.

[راجع آيه 3 من هذه السورة].

.130

وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (130)

{سَعَتِهِ}

فضله و غناه ورزقه.

.131

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (131)

.132

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (132)

{وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا}

كفيلاً بالامر معتَمدا عليه. يقال: وكل فلان فلاناً، إذا استكفاه أمره ثقةً بكفايته، أو عجزا عن القيام بأمر نفسه.

.133

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا (133)

.134

مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (134)

.135

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (135)

{قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ}

مواظبين على إقامة العدل في جميع الامور، لاتميلون عنه، ولايصرفكم عنه صارف؛ متعاونين متناصرين فيه.

{فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا}

أي أنهاكم عن اتباع أهواء نفوسكم، لتتصفوا اذا انتهيم عنه بصفة العدل. كما يقال: لاتتبع هواك لتُرضيَ ربَّك؛ أي أنهاك عنه كيما ترضي ربك بتركه. فقوله {أَنْ تَعْدِلُوا} من العدل ضد الجَوْر، وهو علةٌ للنهي بتقدير اللام.

{وَإِنْ تَلْوُوا}

اي وان تلووا ألسنتكم عن الشهادة بالحق، بان تحرفوها و تقيموها علي غير وجهها الذي تستحقه؛ من اللي وهو الفَتْل؛كما في قوله تعالى: {لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ} [النساء:46]. وقُرِيءَ {تَلُوا} بضم اللام وبواو واحدة؛ من الولاية بمعنى مباشرة الشهادة.

{أَوْ تُعْرِضُوا}

عنها بترك إقامتها رأساً

{فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}

فيجازيكم بما عملتم.

.136

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (136)

.137

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (137)

{ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا}

بتكرر الارتداد منهم وإصرارهم على الكفر، وتماديهم في الغَي حتى ماتوا عل كفرهم.

{لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ}

لانه تعالى لا يغفر أن يشرك به.

{وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا}

أي طريقاً إلى الجنة؛ لانهم ليسوا من اهلها لسوء اختيارهم وفساد استعدادهم. وهو نظير قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (168) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (169) [النساء].

.138

بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (138)

.139

الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (139)

{أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ}

أي أيطلب المنافقون عند اليهود المنَعة والقوة والغلبة، فيتخذونهم أولياء وأنصارًا لهم من دون المؤمنين؟! وقد كانوا يقولون فيما بينهم: إنَّ أمرَ محمد لايتم فتولّوا اليهود. وأصل العزة: الشدة. يقال: عزَّ عليّ أن يكون كذا، اي اشتدَّ علي ذلك. ومنه استعزَّ عليه المرض، أي اشتدَّ عليه وغلبه. والعَزازُ للارض الصلبة الشديدة. والاستفهام للانكار. وقيل للتعجب.

.140

وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (140)

{وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ}

الخطاب للمنافقين اللذين تعولوا اليهود، وخاضوا معهم في الاستهزاء بالقران؛ كما خاض مشركو مكةَ من قبل في ذلك. وفيه توبيخٌ شديدٌ لهم، حيثُ فعلوا ذلك مع تحقُّق ما يمنعهم منه، وهو نزول القران بالنهي عن مجالسة المشركين الذين يخوضون في آيات الله بالباطل في قوله تعالى في سورة الأنعام وهي مكية: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ... } [الانعام 168] وهوَ يستلزم النهيَّ عن موالاتهم على أبلغ وَجْهٍ وآكده.

{حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ}

والخوضُ في الاصل: الدخولُ في مائع كالماء والطين. يقال: خاض يخوض خوضاً، دخلَ، واسمُ المكان مخاض جَمع مخاضة، ثمَّ صار اسماً لكل دخول فيه تلويث؛ وتُجُوِّز به إلى القول الباطل، واستعماله في ضده للمشاكلة. ويؤخذ من الآية النهيُ عن مجالسة أهل الباطل عامة عند خوضهم في باطلهم؛ كالمُبْتَدِعة والفُساق والملاحدة.

{إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ}

أي انكم إن قعدتم معهم كنتم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب.

{إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا}

ثم اخبر اللهُ انه جامع المنافقين والكافرين من المشركين واليهود في جهنم جميعا؛ لاشتراكهم في موجب هذا العذاب الخالد.

.141

الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (141)

{الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ}

وصف الله المنافقين بأنهم ينتظرون ما يحدث للمؤمنين من خير او شر، او من نصر او هزيمة.

{فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ}

أي نصرٌ منه وخيرٌ لكم

{قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ}

في

الجهاد فأعطونا نصياً من الغنائم. والفتح: النَّصرُ، كالفتاحة.

{وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ}

أي دُولَة وظهور على المؤمنين {قالوا} للكافرين

{أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ}

أي ألم نغلبكم ونتمكَّن من قتلكم وأسركم فأبْقينا عليكم. والاستحواذ: الاستيلاء والغَلَبةُ. يقال: استحوذ عليه، أي غلب عليه.

{وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}

أي ألم ندفع المؤمنين عنكم بتخذيلهم، ومراسلتنا إياكم بأخبارهم وأسرارهم؛ فأعطونا نصيباً مما أصبتم منهم.

{وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا}

أي حجة يوم القيامة. وقيل في الدنيا، فلا حُجَة لهم يغلبون بها المؤمنين؛ لأنهم على الباطل والمؤمنون على الحق. والسبيلُ: الطريق، وما يتوصل به إلى الشيء، وأطلق على الحُجة مجازًا.

.142

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (142)

{يُخَادِعُونَ اللَّهَ}

يفعلون ما يفعل المخادع، حيث أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، وهو تعالى فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع؛ حيث تركهم في الدنيا معصومي الدماء والأموال، تجرى عليهم أحكام الإسلام بحسب الظاهر، وأعدَّ لهم في الآخرة الدَّرك الأسفل من النار. وخادِع: اسم فاعل من خادعته فخدعته، إذا غلبته وكنت أخدع منه.

.143

مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (143)

{مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ}

مُرَدَّدين متحيِّرين بين الكفر والإيمان، قد ذبذبهم الشيطان بينهما أو بين المؤمنين والكافرين المعلِنين. وأصلُ الذّبذَبة: حكايةُ صوت الحركة للشيء المُعلَّق، ثم استعير لكل حركة واضطراب، أو تردد بين شيئين. يقال: ذبذبه ذبذبةٌ، أي تركه حيران متردِّدا؛ كالشاة العائرة – وهي المتردِّدة – بين قطيعين لا تدري أيهما تتبع.

.144

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (144)

{سُلْطَانًا مُبِينًا}

حجة ظاهرة في العذاب.

.145

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (145)

{فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ}

أي في الطبق الأسفل من أطباقها السَّبعة. وسُمِّيت دركات لكونها متداركة، أي متتابعة بعضها تحت بعض، والدَّرك لغة في الدَّرَك وهو كالدَّرج؛ إلا أن الدرج يقال باعتبار الصعود، والدّرك باعتبار النزول والحدور. ولذا قيل: درجاتُ الجنة، ودركات النار.

.146

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (146)

.147

مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (147)

.148

لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (148)

{لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ}

أي إعلانه وإظهاره. وكذا الإسرارُ به.

{مِنَ الْقَوْلِ}

ومثلُه الفعل، لكن يباح للمظلوم أن يَجْهر بما في ظالمه من السُّوء ليدفع عن نفسه شره.

.149

إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا (149)

.150

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (150)

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ}

نزلت في اليهود الذين آمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد. وفي النصارى الذين آمنوا بعيسى وكفروا بمحمد – عليهم الصلاة والسلام – تفريقا بين الله ورسله، والله سبحانه قد أمرهم بالإيمان بجميع رسله.

.151

أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (151)

.152

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (152)

.153

يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا (153)

{يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ}

نزلت في أحبار اليهود حين سألوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم تعنتاً: أن يأتيَهم من السماء بكتاب جملةً واحدةً، كما أتى موسى عليه السلام بالتوراة؛ وجَهلوا الحكمة في تفصيل آيات القرآن وجَعْلِه نجوما.

{جَهْرَةً}

عياناً بالبصر.

{الصَّاعِقَةُ}

نار من السماء أو صيحة منها.

.154

وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (154)

{وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ}

حين امتنعوا من قبول التوراة؛ ليخافوا فيقبلوها ولا ينقضوا العهد والميثاق؛ وهو كقوله تعالى: {وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (171) [الاعراف].

{لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ}

لا تجاوزوا في يوم السبت ما أبيح لكم إلى ما حُرِّم عليكم، وهو الاصطياد فيه.

{مِيثَاقًا غَلِيظًا}

أي عهدا وثيقا مؤكدا بأن يطيعوا الله؛ فعصَوْا ونقضوا العهد.

.155

فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (155)

{قُلُوبُنَا غُلْفٌ}

[راجع آية 88 البقرة].

{طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا}

أي ختم عليها فحجبها عن العلم.

.156

وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (156)

{بُهْتَانًا عَظِيمًا}

أي كذباً وباطلا فاحشا.

.157

وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157)

{وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ}

زعم أكثر اليهود أنهم قتلوا المسيح وصلبوه، فأكذبهم الله تعالى في ذلك وقال:

{وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ}

أي شُبّه لهم المقتولُ بأن ألقى عليه شَبَهُ المسيح، فلما دخلوا ليقتلوا المسيح وجدوا الشبيه فقتلوه وصلبوه، يظنُّونه المسيح وما هو به في الواقع، إذ قد رفع الله عيسى إلى السماء، ونجاه من شر الأعداء. وقيل: المعنى ولكن التبس عليهم الأمر حيث ظنوا المقتول عيسى كما أوهمهم ذلك أحبارهم.

{وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ}

وهم اليهود: حيث قال بعضهم: قتلناه حقًّا، وتردد فيه آخرون. والنصارى حيث قال بعضهم: صُلب الناسوتُ ورفع اللاهوتُ. وقال بعضهم: قُتلا معاً. وقال فريق: رأيناه قُتل. وفريق: رأيناه رفع. وكلهم ضلّال كذبة، وما لهم بذلك من علم! ولكنهم يظُنون ظناً ويتبعون وهماً، وما قتلوه متيقنين أنه هو، بل رفعه الله إلى السماء التي لاحُكم فيها إلا الله تعالى، وطهره من الذين كفروا.

.158

بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158)

.159

وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (159)

{وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ}

أي ما أحد من أهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان إلا ليؤمنن بأنه عبدُ الله ورسوله وكلمته، قبل أن يموت عيسى وتكون الأديان كلُّها ديناً واحِداً وهو دين الإسلام الحنيف، دينُ إبراهيم عليه السلام.

ونزول عيسى عليه السلام ثابتٌ في الصحيحين، وهو من أشراط الساعة.

.160

فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (160)

.161

وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (161)

.162

لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (162)

{وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ}

أي وأخص المقيمين الصلاةَ

بالذكر أو بالمدح. وقُرئ " والمقيمون ".

.163

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (163)

{وَالْأَسْبَاطِ}

أولاد يعقوب عليه السلام لصُلبه، وقيل: أولادُهم. وفي نبوة مَنْ عدا يوسف منهم خلاف، وصحح السيوطي والآلوسي عدمَها. فالمرادُ من الإيحاء إليهم: الإيحاءُ إلى الأنبياء منهم، كما تقول: أرسلت إلى بني تميم؛ تريد أرسلت إلى رؤسائهم ووجوههم.

{زَبُورًا}

أي مزبورا بمعنى مكتوب، ولم يكن فيه أحكام؛ بل فيه تقديسٌ وتحميدٌ وثناء على الله عز وجل، ومواعظ وحكم.

.164

وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (164)

.165

رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (165)

.166

لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (166)

{أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ}

أي بعلم تام وحِكمة بالغة منه تعالى. أو بما عَلِمه من مصالح عباده في إنزاله عليك.

.167

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (167)

.168

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (168)

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا}

أي وظلموا أنفسهم بالضلال البعيد والصد عن سبيل الله، فازدادوا بذلك كفرا وأصروا عليه إلى الممات

{لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ}

كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (48)} [النساء].

{وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا} {إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ .... (169)}

لفساد استعدادهم [راجع آية 137 من هذه السورة]. والتعبير بالهداية في جانب طريق النار ضربٌ من التهكم بهم.

.169

إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (169)

.170

يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (170)

.171

يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171)

{يَاأَهْلَ الْكِتَابِ}

خطاب للنصارى، زجرا لهم عمّا هم عليه من الضلال البعيد.

{لَا تَغْلُوا}

لا تجاوزوا الحد ولا تفرطوا. والغُلوُّ: مجاوزةُ الحد. وقد غَلَوْا في الدين فقالوا على الله غير الحق، ونسبوا له ابنا وشريكا، تعالى الله عما يقولون عُلوًّا كبيرا!

{وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ}

[راجع آية 39 آل عمران].

{وَرُوحٌ مِنْهُ}

أي وذو روحٍ من أمر الله تعالى، خلقه كسائر الأرواح.

.172

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (172)

{لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ}

لن يأنف ولن يترفع عن عبوديته وطاعته لخالقه تعالى. والاستنكافُ: الأنفةُ والترفع؛ يقال: استنكف أي استكبر. وأصله من النكف، وهو تنحية الدَّمع عن الخد بالإصبع ورفعه عنه.

.173

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (173)

.174

يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (174)

{بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ}

هو رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وما جاء به من البينات من ربه. وعبر عنه صلى الله عليه وسلم بذلك لما معه من المعجزات الباهرة الشاهدة بصدقه، كما عبّر عنه بالبينة في قوله تعالى: { .... حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ {1} [البينة].

{نُورًا مُبِينًا} : هو القرآن الكريم.

.175

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (175)

.176

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (176)

{يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ}

[راجع آية 12 من هذه السورة].

{لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ}

أي ولا والد: ولم يُذكر في الآية لعلمه من لفظ الكلالة.

{وَلَهُ أُخْتٌ}

أي لأبوين أو لأب. وأمّا الأخت لأم ففرضها السُّدُس:: كما في آية 12 من هذه السورة.

والله أعلم.

سورة المائده

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (1)

{أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}

بالعهود المؤكدة، وهي ما ألزمه الله عباده وعقدَه عليهم من التكاليف، وما يعقدونه فيما بينهم من عقود المعاملات والأمانات ونحوها، مما يُطلب شرعا الوفاء به. والإيفاء والوفاء: الإتيان بالشيء وافيا. يقال: وفي ووفي وأوفي بمعنى. والعقود: جمع عقد، وأصله الربطُ محكَماً، تُجوِّزَ به عن العهد الموثَّق، وهو المراد هنا.

{أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ}

البهيمة: اسم لذوات الأربع من دواب البَر والبحر، والأنعامُ: الإبل والبقر والغنم، ولا يدخل فيها الحافرُ لغة. والإضافة للبيان، وهي بمعنى " مِن " [بهيمة من الانعام]؛ كخاتم فضة [خاتم من فضة]. وألحق بها في حِل الأكل ما يماثلها في الاجترار وعدمِ الأنياب، كالظِّباء وبَقَر الوحش.

{إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ}

أي إلا ما يتلى عليكم تحريمه في الآية الثالثة.

{غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ}

أي أحلت لكم بهيمة الأنعام كلها، غيرَ مُجَوَّزين للاصطياد أو الانتفاع بالمَصيد وأنتم محرمون بحج أو عُمرة، سواء أكنتم في الحل أم في الحَرَم. يقال: أحْرَم فهو محرم وحَرَام وهم حُرُم. فإذا تحللتم من الإحرام حلّ لكم ذلك، لقوله تعالى: {وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا} [المائده: 2]. وفي حُكم المُحرم من كان في الحَرم وليس مُحْرِما. و {غَيْرَ} حالٌ من الضمير في {لَكُمْ}. و

{مُحِلِّي}: جمع مُحِل بمعنى مستحِل. و {الصَّيْدِ}: مصدر بمعنى الاصطياد، أو اسمٌ للحيوان المَصيد. وجملة {وَأَنْتُمْ حُرُمٌ} حال من الضمير في {مُحِلِّي}.

.2

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (2)

{لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ}

لا تنتهكوا حُرمة أعلام دين الله ومتعبداته في الحج وهي مناسكه. أو الأعمال الحجية التي جعلها الله علامة على طاعته والتسليم إليه. جمع شعيرة بمعنى العلامة. [آية 153 البقرة].

{وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ}

ولا تُحِلُّوا الأشهر الحُرُم الأربعة بالقتال فيها، وهو عند الجمهور منسوخ بآية: {فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبه: 5].

{وَلَا الْهَدْيَ}

ولا تُحِلُّوا حُرمة

ما يُهدى إلى البيت الحرام من الأنعام تقربا إلى الله تعالى بالتعرض له؛ بنحو غصب أو سَرقة أو حَبْس عن بلوغه مَحِله [أي موضعه الذي يحل فيه اراقة دمه].

{وَلَا الْقَلَائِدَ}

جمعُ قِلادة وهي ما يُقَلد به الهديُ ليُعلم أنه مهدى إلى البيت الحرام فلا يتعرض له أحد بسوء. والمراد: لا تُحِلوا ذوات القلائد وهي البُدْن بالتعرض لها. وخُصَّت بالذكر مع أنها من الهَدي اعتناءً بها؛ لأن الثواب فيها أكثر، و بهاء الحج بها أظهرُ.

{وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ}

أي ولا تُحِلوا أذى قوم قاصدين البيت الحرام. جمع آمٍ، من الأَمَّ وهو القصد المستقيم. والمراد بهم المشركون، وهو منسوخ بآية: {فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} [التوبة: 28] أو بأية السيف أو بهما.

{يَبْتَغُونَ فَضْلًا}

المراد منه: التجارة والمكاسب.

{وَرِضْوَانًا}

هو ما يطلبونه من الرضاء بزعمهم.

{وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ}

لا يحمِلُكم بغضُكم للمشركين من أجل صدِّهم إيّاكم عن المسجد الحرام يوم الحُدَيْبية على اعتدائكم عليهم انتقاماً منهم؛ من جَرَمه على كذا حمله عليه. أو لا يَكسِبَنَّكم بغضُكم لهم الاعتداء عليهم؛ من جَرَم بمعنى كَسَب، غير أنه يستعمل غالبا في كَسْب مالا خَير فيه؛ ومنه الجريمة. وأصل الجَرْم قطع الثمرة من الشجرة، وأطلق على الكسب لأن الكاسب ينقطع لكسبه. والشنآن: البُغض أو البغض المصحوبُ بتقزز. مصدر شنأه –كمَنعه وسَمِعه – أي أبغضه.

{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى}

أي على فعل الطاعات واجتناب المنكرات والمنهيات.

{وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ}

وهو ترك ما أمر الله بفعله، وفعل ما أمر بتركه.

{وَالْعُدْوَانِ}

وهو مجاوزة حدود الله.

.3

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (3)

{وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ}

يعني الخنزير بجميع أجزائه.

{وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ}

ما ذُكر على ذبحه غيرُ اسمه تعالى، من صنم أو وَثَن أو طاغوت أو نحو ذلك [آية 173 البقرة].

{وَالْمُنْخَنِقَةُ}

البهيمة التي تموت بالخَنق، سواء أكان بفعلها كأن تدخل رأسها في موضع لا تستطيع التخلص منه فتموت، أم بفعل غيرها.

{وَالْمَوْقُوذَةُ}

البهيمة التي تُضرب بمثقل غير محدد، كخشب أو حجر حتى تموت؛ وكانوا في الجاهلية يضربونها بالعصي حتى إذا ماتت أكلوها.

{وَالْمُتَرَدِّيَةُ}

البهيمة التي تسقط من عُلُو فتموت من التردي؛ مأخوذ من الرَّدى بمعنى الهلاك.

{وَالنَّطِيحَةُ}

التي تنطحها أخرى فتموت من النطاح. يقال: نطحه يَنْطَحُه وينطِحُه، أصابه بقرنه.

{وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ}

أي ما بقي من الحيوان بعد أكل السبُع منه

{إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ}

استثناء من التحريم؛

أي إلا ما أدركتم ذكاته من المُخنِقة وما عُطف عليها وفيه بقيةُ حياة، يضطرب اضطراب المذبوح وذكيتموه فإنه يحل؛ من التذكية وهي الإتمام. يقالُ: ذكَّيت النار إذا أتممتُ اشتعالها. والمراد هنا: إتمام قَرْي الأوداج وإنهار الدم. والتفصيل في الفقه.

{وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ}

جمعُ نِصاب، ككتب وكتاب. أو نَصْب، كسُقُف وسَقْف. أو واحد الأنصاب، وهي والنُّصب أحجار نصبوها حولَ الكعبة، كانوا يذبحون عليها ويعظمونها ويلطخونها بالدماء، وهي غير الأصنام، إنما الأصنام المصورة المنقوشة.

{وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ}

وأن تطلبوا عِلمَ ما قسم لكم في سفر أو غَزْوٍ ونحو ذلك بواسطة الأزلام، وتُسمى القِداح، وهي سهام كانت لديهم في الجاهلية مكتوبٌ على أحدها: أمَرني ربي، وعلى الآخر: نَهاني رَبي، والثالث غُفْلٌ من الكتابة، فإذا أرادوا شيئا من ذلك أتوا إلى بيت الأصنام واستقسموها؛ فإن خرج الآمرُ أقدموا على الأمر، وإن خرج الناهي أمسكوا عنه، وإن خرج الغفل أجالوها ثانيا حتى يخرج الآمرُ أو الناهي. وواحد الأزلام: زُلَمٍ؛ كجَمَل وصُرَد.

{ذَلِكُمْ فِسْقٌ}

أي الاستقسام بالأزلام. أو تناول جميع ما ذكر من المحرمات خروجٌ عن طاعة الله تعالى.

{الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا}

المرادُ به: يومُ عرفة، وهو يومُ الجُمُعة عام حَجَة الوداع. واليأسُ: انقطاع الرجاء، وهو ضد الطمع.

{مِنْ دِينِكُمْ}

أي من إبطال أمر دينكم.

{فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ}

أي فمن ألجأته الضرورة إلى أكل شيء من هذه المحرمات في مجاعة شديدة. والاضطرارُ: الوقوع في الضرورة.

والمخْمَصة: خلُوُّ البطن من الغذاء عند شدة الجوع.

{غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ}

أي غير مائلٍ إليه بأن يكون غير باغٍ ولا عاد فأكل فلا إثم عليه. و {مُتَجَانِفٍ} من الجَنَف وهو الميل. يقال: جَنِف عن الحق كفرح – إذا مال عنه. وجَنِف عن طريقه – كفرح وضرب – جنفاً وجُنُوفا، مال عنه.

4.

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (4)

{الطَّيِّبَاتُ}

ما أذن الشارع في أكله.

{وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ}

وأحل لكم صيدُ ما درَّبتم على الصيد من سباع البهائم؛ كالفهود والكلاب. وسباع الطير؛ كالصُّقور ونحوها

مما يقبل التعليم والتدريب. وسُميت جوارح لكسبها القوت لأصحابها من الصيد. يقال: جَرَح فلان أهله يجرح ويجترح، أي تكسَّب لعياله. {مُكَلِّبِينَ}

أي مُؤدِّبين ومعوِّدين لها على الصيد؛ من الكَلَب بمعنى الضراوة. يقال: كَلَب الكلب يكلبُ واستكلب، ضَرِى وتعودَ أكل الناس.

{وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ}

أي على ما علمتم من الجوارح عند إرساله.

.5

الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (5)

{وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}

أي وذبائِحُهم حلال لكم إذا ذَكَروا عليها اسم الله تعالى عند الذبح، فإن ذَكروا عليها اسم غيره قيل لا تحلَّ.

وذهب أكثر أهل العلم إلى أنها تحل، وهو قول الشَّعبي وعَطاء؛ قالا: فإن الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون.

{وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ}

وأحِلَّ لكم العفائفُ من المؤمنات ومن الكتابيات. وخص المحصنات بهذا المعنى بالذكر للترغيب في نكاحهن، والحث على اختيارهن.

{أُجُورَهُنَّ}

أي مهورهن.

{مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ}

أعفّاءَ بالنكاح، غير مجاهرين بالزنا. يقال: سفح الماء يسفَحُه إذا صبه.

{وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ}

أي صديقات للزّنا بهن سرا جمعُ خِدْن وهو الصديق؛ يطلق على الذكر والأنثى [آيه 24 النساء].

.6

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {6}

{قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ}

أردتم القيام إليها وأنتم محدثون حَدَثاً أصغر.

{وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ}

أي واغسلوا أيديكم مع المرافق،

{وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ} وأرجلكم مع الكعبين. فـ {إلى} بمعنى مع؛ كما في قوله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ} [النساء 2] أي مع أموالكم.

{وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى}

[آية 43 النساء].

{الْغَائِطِ}

موضع قضاء الحاجة (كناية عن الحدث).

{لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ}

واقعتموهن أو مسستم بشرتهن.

{صَعِيدًا طَيِّبًا}

ترابا. أو وجه الأرض – طاهرا.

{حَرَجٍ}

ضيق في دينه وتشريعه.

.7

وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (7)

{وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ}

واذكروا عهد الله الذي عاهدكم عليه، وهو الميثاق الذي أخذه عليكم حين بايعتم الرسول صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيها أحببت وكرهتم في ليلة العقبة أو تحت الشجرة.

.8

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (8)

{كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ}

ليكن من دأبكم أن تقوموا الله بالحق في كل ما يلزمكم القيام به، من العمل بطاعته واجتناب منهياته.

{شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ}

شاهدين بالعدل.

{وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ} . [آية 2 من هذه السورة]

.9

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (9)

.10

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (10)

.11

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (11)

{اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ}

تذكير بنعمة خاصة بعد التذكير بنعمة عامة؛ وهي إنجاؤهم من كيد أعدائهم.

{أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ}

أي يبطشوا بكم بالقتل والإهلاك. يقال: بَسَط يده إليه، إذا بطش به، وبسط إليه لسانه، إذا شتمه. والبَسْط في الأصل: مطلق المدّ، وإذا استعمل في اليد واللسان كان كناية عما ذكر.

.12

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (12)

{وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ}

بيانٌ لما كانوا عليه من نقض العهود والمواثيق، وتحريفِ التوراة والإعراض عنها، والخيانة للرسل.

{نَقِيبًا}

كفيلاً، كفلوا عليهم بالوفاء لله بما واثقوه عليه من العهود؛ من التنقيب وهو البحث والتَّفتيش. والنَّقيب: من يَنْقُب عن أحوال القوم وأسرارهم فيكون شاهدَهم وضمينَهم وعريفهم. وأصلُه من النَّقب وهو الثقب الواسع والطريق في الجبل.

{وَعَزَّرْتُمُوهُمْ}

نصرتموهم مع تعظيمهم وطاعتهم؛ من التعزير وهو النصر والإعانة مع التعظيم والتفخيم، وذلك بالذب عنهم والاعانة لهم والانقياد إليهم.

{وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا}

هو ما كان عن طيب نفس. أو ما لا يتبعه منٌّ ولا أذى أو ما كان من حلال.

.13

فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (13)

{لَعَنَّاهُمْ}

طردناهم من

رحمتنا بسبب نقضهم ميثاقهم عقوبة لهم.

{يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ}

يغيرونه. أو يؤولونه بالباطل.

{عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ}

على خيانة وغدر منهم. اسم وضع موضع المصدر، كقائلة في موضع القيلولة. وتلك عادتهم مع رسلهم.

.14

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (14)

{وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى}

بيان لقبائح النصارى وجناياتهم إثر بيان قبائح اليهود وشرورهم. و

{نَصَارَى}

جمع نصران به ك (ندامى) جمع نُدمان، ولم يستعمل نصران إلا بياء النسب. وقد صارت كلمة نصرانيّ لقباً لكل من اعتنق المسيحية. أي وأخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم.

{فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ... }

ألزمنا أو الصَقنا بينهم العداوة والبغضاء. يقال: أغريتُ فلانا بكذا حتى غَرِيَ به، نحو ألزمتُه به وألصقته، وأصل ذلك من الغراء وهو ما يلصق به.

.15

يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15)

{نُورٌ}

هو محمد صلى الله عليه وسلم.

.16

يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16)

.17

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17)

.18

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (18)

.19

يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (19)

{يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ}

أي يبين لكم شرائع الدين على انقطاع من الرُّسُل، وطمُوسٍ من السُّبُل، وتغير الأديان، وكثرة عبادة الأوثان؛ فكانت النِّعمة به أتمَّ النعم. وأصل الفترة: الانقطاعُ؛ يقال: فَتَرَ الماءُ إذا انقطع عما كان عليه من البرودة إلى السخونة. وفَتَرَ عن عمله يفتُرُ ويفتِرُ فتورا، إذا انقطع عما كان عليه من الجد. وسميت المدةُ التي بين النبيين فترةً؛ لفتور الدواعي فيها إلى العمل بتلك الشرائع.

.20

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (20)

.21

يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (21)

{ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ}

هي بيت المَقْدس، وقيل: دمشق وفلسطين والأردن. وقيل: أرض الطور وما حوله.

.22

قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (22)

{إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ}

شديدي البطش متغلبين، لا تتأتى مقاومتهم، وكانوا من العمالقة بقايا قوم عاد، استحوذوا عليها وملكوها بعد أن كانت في حَوزة اليهود في زمن يعقوب عليه السلام. جمع جبار، صيغة مبالغة؛ من جَبَرَ – الثلاثي – وهو الذي يقهر الناس ويكرههم على ما يريده.

.23

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (23)

.24

قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24)

.25

قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (25)

{فَافْرُقْ}

فافصل بحكمك.

.26

قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (26)

{يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ}

أي يسيرون متحيرين في الأرض، عقوبة لهم على تفريطهم في أمر الله تعالى؛ من التَّيه وهو الحَيْرة. يقال: تاه يتيه ويتوه إذا تحير. وتَوهه إذا حيّره. ووقع في التّيه والتّوه، أي في مواضع الحيرة. وأرضٌ تِية أي مضلة؛ ومنه سُميت هذه الأرض البرية التي بين مصر والشام بالتيه.

{فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}

فلا تحزن عليهم؛ من الأسى وهو الحزن. يقال: أسيَ أسى – كتَعب –أي حَزِن، فهو أسيّ مثل حزين. وأسا على مصيبته – من باب عدا – حَزِن.

.27

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27)

{قَرَّبَا قُرْبَانًا}

اسم لما يتقرب به إلى الله تعالى من صدقة أو ذبيحة أو نحوهما. وهو في الأصل مصدر قَرُب منه – ك (كَرُم) – إذا دنا. وكانت أمارة قبول القرابين أن تنزل من السماء نارٌ بيضاء فتأكلها، فإن لم تنزل لم تكن مقبولة، فتأكلها السباع والطير لعدم جواز أكل القرابين إذ ذاك.

.28

لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28)

.29

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (29)

{أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ}

ترجع وتُقِر، من البَوْء وهو الرجوع واللزوم، يقال. باء إليه رجع، وبُؤْت به إليه رجعت. وباء بحقه أقر ولَزِم، أي أني أريد أن تبوء باثم قتلك لي، وباثمك الذي قد صار إليك بذنوبك من قبل قتلي.

.30

فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (30)

{فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ}

سهلته له وزينته بعد هذه الموعظة وهذا الزَجْر. يقال: طاعَ الشيء يطُوع ويطَاع أي سهل وانقاد. وطوَّعه فلان له سَهَّلَهُ.

.31

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (31)

{يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ}

يحفر فيها ليدفن غرابا قتله.

{سَوْءَةَ أَخِي}

جيفته أو عورته.

{يَاوَيْلَتَا}

أصلُها: يا ويلتِي، وهي كلمة جَزَعٍ وتحسُّر، تستعمل عند وقوع الداهية العظيمة؛ كأن المتحسر ينادي ويْلته ويطلب حضورها، بعد تنزيلها منزلة من ينادَى؛ ولا يكون ذلك إلا في أشد حال. والوَيْلةُ كالْوَيْل:: الفضيحة والبليَّة والهلاك.

.32

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (32)

{مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ}

أصل معنى الأجْل: الجنايةُ التي يخاف منها آجلا. يقال: أجَل الرجل على أهله شرا يأْجِلُه – بضم الجيم وكسرها– أجلاً، إذا جناه أو أثاره وهيجه، ثم استعمل في تعليل الجنايات، كما في قولهم: من أجلك فعلت كذا، أي من جَرَّاك وجنايتك، ثم اتُّبع فيه فاستعمل في كل تعليل. والمعنى: من أجل هذه المفاسد الحاصلة بسبب هذه الجريمة الفظيعة، شرعنا القصاص، وكتبنا في التوراة تعظيم القتل العمد العدوان، وشدّدنا على بني إسرائيل فيه؛. لشيوعه فيهم، حتى إنهم تجرءُوا على قتل الأنبياء. وهم أوْل أمة نزل الوعيد عليهم في القتل العمد العدوان مكتوبا.

{لَمُسْرِفُونَ}

لمجاوزون الحد بارتكاب المعاصي والآثام، ومنها القتل بغير حق. والإسراف: مجاوزة حد الحق. أو هو التباعد عن حد الاعتدال

مع عدم المبالاة به.

.33

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (33)

{إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}

نزلت في قُطاع الطريق ومحاربتهم الله والرسول، ومخالفتهم الأمر، وخروجهم عن الطاعة، فإذا قَتلوا فقط قُتلوا حدًّا، وإذا قتلوا وأخذوا المال قُتلوا وصُلبوا، وإذا أخذوا المال فقط قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف. الأول – لأخذ المال. والثاني – لإخافة الطريق. وإذا أخافوا السبيل ولم يَقتُلوا ولم يأخذوا مالاً نفوا من الأرض، أي أخرجوا إلى بلد آخر من بلاد الإسلام وسُجنوا فيه. وقيل: المراد بالنفي السجن دون إخراج من البلد. قال الآلوسي: والظاهر أن

هذا التفصيل عُلم بالوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. وقيل: الإمام مُخَيَّر بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق.

{يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ}

يبعدوا أو يسجنوا.

{خِزْيٌ}

ذل وفضيحة وعقوبة.

.34

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (34)

.35

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (35)

{اتَّقُوا اللَّهَ}

اجتنبوا المعاصي، التي منها المحاربة والفساد، وافعلوا الطاعات، التي منها التوبةُ والاستغفار ودفع الفساد.

{وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ}

أي اطلبوا الزلفي إليه بالأعمال المرضية عنده وبهجر معاصيه، والابتغاء: الطلب. والوسيلة هنا: ما يتقرب به إلى الله تعالى من فعل الطاعات واجتناب المعاصي؛ من وسَلَ إلى كذا، أي تقرب إليه بشيء، وقيل: الوسيلة الحاجة؛ أي اطلبوا متوجّهين إليه تعالى حاجتكم، فإن بيده مقاليد السموات والأرض، ولا تطلبوها متوجهين إلى غيره.

.36

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (36)

.37

يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (37)

.38

وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (38)

{فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا}

أي يديهما. والمراد. اليد اليمنى من كل منهما؛ وحَدُّها لغة: من رءوس الأصابع إلى الرسغ.

{نَكَالًا}

عقوبة منه تعالى على انتهاك حرمة المال. [راجع في معنى النكال آية 66 البقرة]. والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم. أو لولاة الأمور ومنَ أُذِن له في إقامة الحدود.

.39

فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (39)

.40

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (40)

.41

يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (41)

{يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ}

نزلت في المتهافتين في الكفر من المنافقين واليهود؛ نعياً عليهم، ووعيداً لهم.

{سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ}

أي هم جميعا مستجيبون للكذب قابلون له.

{سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ} مستجيبون لقوم آخرين منهم لم يحضروا مجلسك، ولم يسمعوا منك تكبُّرا وعتُّوا.

{يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ} ثم وصفهم الله بأن دأبهم تحريف جنس الكلم عن مواضعه؛ فيحرّفون كلامك ويحرفون التوراة، ويحرفون القرآن حسب أهوائهم وأغراضهم. ومع ذلك يقولون لأتباعهم: إن أتاكم محمد بما نقوله فخذوه، وإن أتاكم بغيره فارفضوه. وما يقولون إلا كذباً وباطلا وقولاً محرفا.

{لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ}

فخزيُ المنافقين: بافتضاحهم، وازدياد غمهم بسرعة انتشار الإسلام وقوة شوكته. وخزي اليهود بالذلة وظهور كذبهم في كتمان ما في التوراة، وإجلاء بني النَّضير من ديارهم.

.42

سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (42)

{أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ}

هم أكالون للمال الحرام كالربا والرشوة. سميَّ سحتاً من سحته إذا استأصله؛ لأنه مَسْحوت البركة أي مقطوعها. أو لأنه يُذْهِب فضيلة الإنسان ويستأصلها. واليهود أرغب الناس في المال الحرام وأحرصهم عليه.

{فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ}

خُيِّرَ الرسول صلى الله عليه وسلم إذا ترافع إليه أهل الكتاب بين الحكم بينهم، والإعراض عنهم، ثم نسخ التخيير بقوله تعالى: {وأن احكم بينهم بما أنزل الله} [ايه 49 المائده]. وقيل: إن التخيير ثابت بهذه الآية؛ وقوله تعالى: {وأن احكم} بيان لكيفية الحكم عند اختياره، وأنه لا يحكم إلا بأحكام الإسلام. وأما إذا تحاكم مسلم وذميٌّ فإنه يجب الحكم بينهما بأحكام الإسلام اتفاقا. وتفصيل الأحكام في الفقه.

{بِالْقِسْطِ}

أي بالعدل، وهو ما جاء به الإسلام من الأحكام.

.43

وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (43)

{يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ}

يعرضون عن حكمك الموافق.

.44

إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44)

{يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ}

أي يحكم بالتوراة لليهود أنبياؤهم الذين بُعثوا فيهم بين موسى و عيسى عليهما السلام، وانقادوا لله تعالى وأطاعوه بإقامتها وتنفيذ أحكامها. {وَ} يحكم بها لهم:

{الرَّبَّانِيُّونَ}

وهم العُبّاد من اليهود. وقيل: الربانيون علماء النصارى.

{وَالْأَحْبَارُ}

وهم العلماء منهم جمع حَبْر؛ مأخوذ من التحبير والتَّحسين. والأحبارُ: علماءُ اليهود.

{بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ}

أي بالذي سألهم النبيُّون أن يحفظوه من كتاب الله من التغيير والتبديل. والضميرُ عائدٌ إلى الربانيين والأحبار.

{فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ}

خطاب لرؤساء اليهود المعاصِرين له صلى الله عليه وسلم، وحَثٌّ لهم على الاقتداء بمن سلفهم من النبيين والربانيين والأحبار؛ في إقامة التوراة وحفظها من التحريف، وعلى إظهار ما كتموه من نَعته صلى الله عليه وسلم، وحكم الرَّجم المذكورَيْن بها. ويتناول غيرهم بطريق الدلالة.

{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ}

اختلف المفسرون فيمن نزلت فيهم هذه الآية والآيتان بعدها، فقيل: في اليهود خاصة، قريظة والنضير. وقيل: في الكفار عامة. وقيل: الأولى في هذه الأمة. والثانية في اليهود. والثالثة في النصارى. والكُفرُ إذا نسب إلى المؤمنين حُمل على التشديد والتغليظ، لا على الكفر الذي ينقل عن المِلْة. والكافر إذا وصف بالفسق والظلم أريد منهما العُتُّو والتَّمرد في الكفر. وعن ابن عباس: من لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به فهو كافر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وهو اختيار الزجاج.

.45

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (45)

{فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ}

فمن عفا من أصحاب الحق عن القصاص وتصدق به على الجاني فذلك كفارة لذنوبه. والضمير في {له} يعود إلى المتصدِّق.

.46

وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (46)

{وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى}

اتبَعْناهم على آثارهم بعيسى؛ أي جعلناه يقفو آثارهم ويتبعهم. [راجع آية 87 البقرة].

.47

وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (47)

.48

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48)

{وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ}

رقيبا على ما سبقه من الكتب السماوية المحفوظة من التغيير؛ حيث يشهد لها بالصحة، ويقرر أصول شرائعها، وما شُرع مؤبداً من فروعها، وما نُسخ منها؛ من الهيمنة وهي الحفظ والارتقاب. يقال إذا رَقَبَ الرجل الشيء وحفظه: قد هَيْمن عليه؛ وهو مُهَيْمِن.

{عَمَّا جَاءَكَ}

عادلاً عما جاءك.

{لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}

الخطابُ للأمم الثلاث. والشِرعةُ: الشريعة وهي الطريق الظاهر الموصل للماء. والمرادُ بها الدين، وسُمِّيَّ الدين شريعة تشبيها بشريعة الماء، من حيث إن كلا سبب الحياة. والمنهاجُ: الطريق الواضح في الدين، من نَهَجَ الأمر يَنْهج إذا وضَحَ. والعطف باعتبار جمع الأوصاف. وقيل: هما بمعنى واحدٍ وهو الطريق، والتكرير للتأكيد: أي ولكل أمة من الأمم الحاضرة والغابرة وضعنا شرعة ومنهاجا خاصَّين بها. فالأمةُ التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى عليهما السلام شِرعتُها ما في التوراة، والتي كانت من مبعث عيسى إلى مبعث محمد عليه الصلاة والسلام شِرعتُها ما في الإنجيل. وأما هذه الأمة فشرعتُها ما في القرآن فقط، فآمنوا به واعملوا به. وليس لأحد بعد بعثته صلى الله عليه وسلم إيمان مقبولٌ إلا الإيمان به.

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً}

أي ولو شاء الله أن يجعل الأمم جميعا تدين بدين واحدٍ وملةٍ واحدة في جميع الأعصار لفعل، ولكنه تعالى حكيم خبير يعلم ما للأمم والعصور من خصائص وطبائع، وما يناسب كل أمة من أحكام وشرائع يستقيم بها أمرُها وتَقْتَضيه مصلحتها، فأنزل شرائع شتى، تتفق جميعها في الأصول، ويختلف بعض أحكامها في الفروع باختلاف الأمم والعصور، ومن الطبيعي أن يَنْسخ بعضها بعضا في بعض الأحكام. واقتضت حكمته تعالى أن يختم شرائعه بشريعة عامة كاملة كفيلة بمصالح الناس إلى يوم الدين؛ فأنزل بها القرآن وميزه على سائر كتبه السابقة بما يعلمه الراسخون في العلم، وبعث به خاتم رسله وأفضل خلقه، وأمره ببيانه للناس فمنهم من أدرك هذه الحكمة فعرف ربه حق المعرفة، وآمن به وبكتبه ورسله وعمل بأحكامه. ومنهم من جهلها فجَمَدت قريحتُه وفسدت سريرته، وآمن ببعض وكفر ببعض، فكان لله عاصيا، ولحكمته جاحدا، ولرسله مكذبا، وعن كتبه: معرضا، و بغضب الله حقيقا، ولنقمته أهلا.

{لِيَبْلُوَكُمْ}

ليختبركم

وهو أعلم بأمركم.

.49

وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49)

{وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ}

أي واحذر فتنتهم لك، وأن يصرفوك عن بعض ما أنزل إليك ولو كان أقل قليل؛ بتصوير الباطل بصورة الحق، أو بالكذب على التوراة بإنكار بعض أحكامها.

.50

أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50)

{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ}

أي أينصرفون عن قبول حُكمك بما أنزل الله ويُعرضون عنه، فيبغون حكم الجاهلية؟

.51

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51)

{لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ}

نهى الله المؤمنين أن يتخذ أحد منهم أحدا من اليهود والنصارى ولياً ونصيراً، أي لا تصافُوهم مصافاة الأحباب، ولا تستنصِروا بهم، فإنهم جميعا يدٌ واحدة عليكم، يبغُونكم الغوائل، ويتربصون بكم الدوائر؛ فكيف يُتَوَهم بينكم وبينهم موالاة؟.

{وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}

أي من جملتهم؛ وحكمه حكمهم [راجع الآيات 118 – 120 آل عمران].

.52

فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (52)

{يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ}

كان المنافقون يعتذرون عن موالاة اليهود بقولهم: إننا نخشى أن تدور علينا دائِرَةٌ من دوائر الدهر، ودُولة من دُوَله، بأن ينقلب الأمر للكفار، وتكون الدُّولة لهم على المسلمين فنحتاج إليهم. أو نخشى أن يدور علينا الزمن بمكروه، كالجذب والقحط، فلا يميروننا ولا يقرضوننا. والدائرةُ: النائبةُ من حوادث الدهر، التي تحيط بالناس إحاطة الدائرة بما فيها. وأصلها ما أحاط بالشيء، ثم استعير لما ذكر، وتطلق على الهزيمة.

{بِالْفَتْحِ}

بالنصر لرسوله – صلى الله عليه وسلم.

.53

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (53)

{أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ}

الجَهْد: الوسع والطاقة، من جهد نفسه يَجْهَدها في الأمر، إذا بلغ أقصى وسعها وطاقتها فيه؛ أي أقسموا مجتهدين في أيمانهم. والمرادُ أنهم أكَّدُوا الأيمان وشددوها بأقصى وُسعِهم.

{حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ}

بطلت وضاعت.

.54

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (54)

{أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}

عاطفين عليهم متذللين لهم، ليِّني الجانب معهم. جمعُ ذليل؛ من تذلل إذا تواضع. ولتضمينه معنى الحُنو عُدِّي بعلى.

{أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ}

أشداء غلظاء عليهم؛ من أعَزَّني فلان، إذا أظهر العزَةَ من نفسه، وأبدى الجَفوَةَ والغِلظة. والعزة: حالة تمنع الإنسان من أن يُغْلب ويُقهر.

{لَوْمَةَ لَائِمٍ}

اعتراض معترض في نصرهم الدين.

{وَاللَّهُ وَاسِعٌ}

كثير الفضل والجود.

.55

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55)

.56

وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (56)

.57

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (57)

{هُزُوًا}

سُخرية. وأصله هُزُءا، فأبدلت الهمزة واوا لضم ما قبلها. يقال: هزأ منه وبه –كمنع وسمع – هُزُءا و هُزوا، سخر كاستهزأ. {وَلَعِبًا}

أخذا على غير طريق الجد. مصدرُ لعِب يلعب؛كسمع.

.58

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (58)

.59

قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (59)

{هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا}

هل تكرهون منّا وتعيبون علينا. يقال: نَقَم عليه أمره ونَقَمت منه نَقْما – من باب ضرب – عبته وكرهته أشد الكراهة، والواو في {وَأَنَّ} بمعنى مع.

.60

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (60)

{قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً ..... }

خطاب لليهود وقد قالوا للمسلمين: لا نعلم ديناً شرا من دينكم. ومرادهم لا نعلم أهل دين شرا من أهل دينكم، فأنزل الله الآية. أي قل لهم: هل أخبركم بشر من أهل ذلك الدين عقوبة عند الله يوم القيامة هو من أبعده الله عن رحمته وغضب عليه، وجعل منهم قردة وخنازير في طباعهم وقلوبهم،

وأطاع الشيطان وكل: داع إلى ضلالة.

{وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ}

أطاع الشيطان في معصية الله.

{أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا}

من غيرهم.

{وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ}

أكثر ضلالا عن السبيل السواء، وهو الملةُ الحنيفية الحقة. والسّواء: الوسط المعتدل.

.61

وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (61)

{وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا}

نزلت في منافقي اليهود الذين كانوا يدخلون على الرسول صلى الله عليه وسلم يظهرون له الإيمان به وبما جاء به نفاقا.

{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ}

في قلوبهم من الكفر؛ وهو وعيد لهم.

.62

وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (62)

{يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}

يبادرون إلى ارتكاب الحرام؛ من الكفر والكذب، وأكل السُّحت والربا، وإلى الظلم أو مجاوزة الحد في العصيان.

.63

لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (63)

{لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ}

أي هلا ينهاهم عن ذلك علماء أهل الإنجيل، وعلماء أهل التوراة من اليهود!! وهو توبيخ شديد وذم بليغ، لأولئك القادة الذين تركوا النهي عن هذه المنكرات، ولذا قال تعالى فيهم: {لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}.

.64

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (64)

{يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ}

قال اليهود ذلك حين كف الله عنهم ما بسط لهم من الرزق، عقوبة على عصيانهم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم، وكنَّوا بذلك عن بخله تعالى بالعطاء، كما يُكَنى ببسط اليد عن الجُود والسخاء. ومثله في الكناية عن البخل: فلانٌ جعدُ الأنامل، ومقبوض الكف.

{غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ}

دعاء عليهم بالبخل، ومن ثم كان اليهود أبخلَ خلق الله. أو دعاءٌ عليهم بأن يعذبوا في جهنم بالأغلال، فتشدُّ أيديهم إلى أعناقهم بها جزاء هذه الكلمة الشنيعة.

{وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا}

أي أبعدوا عن رحمة الله بسببه. وهو دعاء ثانٍ عليهم.

{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}

أي بالجود والعطاء الذي لا نهاية له.

{يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} {إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} [الاسراء: 30]. وتقدم القول في آيات الصفات ومنها صفة اليد في المقدمة [المسأله الرابعه].

{وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ}

أي بين طوائف اليهود، فهم طوائف متعادية متباغضة في الدين ولا يزالون كذلك. ولا يخلو أحد منهم من الحسد والأَثَرة، وهما غرس نَكِدٌ خبيث، لا ينبت إلا شرا وعداوة وبغضاً. والعداوة: أخص من البغضاء فإن كل عدو مبغض، وقد يبغض من ليس بعدو.

{كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ}

أي كلما أرادوا كيداً وشراً للمؤمنين صرفه الله عنهم، وكلما أرادوا حربا غلبوا. وقيل: المرادُ كلما أرادوا محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم ردهم الله وقهرهم؛ بحلِّ عزائمهم وإلقاء الرعب في قلوبهم.

.65

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (65)

.66

وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (66)

{مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ}

من أهل الكتاب طائفة معتدلة لم تغل ولم تُقَصِّر، وهم من أسلم منهم؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه، والنجاشي وأصحابه، ومن نَهجَ نَهجهم.

.67

يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67)

{بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ}

أُمِرَ صلى الله عليه وسلم بالبلاغ للثقلين كافة، فبلّغ الرسالة وأدى الأمانة. رُوي عن عائشة رضي الله عنها قالت: من حدثك أن محمداً كتم شيئا مما أنزل الله عليه فقد كذب–وقرأت – {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك} وفي رواية [رواه البخاري]: {لو كان محمد صلى الله عليه وسلم كاتماً شيئا من القرآن لكتم هذه الآية: {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} [الاحزاب: 37]. نزلت – حين ضاقَ ذرعاً بقَوْمِه، وعرف أن من الناس من يكذبه – لتثبيته وبشارته بحفظ الله تعالى له وكفالته إياه.

{وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}

يحفظك من الكفار أن يعتدوا عليك بالقتل.

.68

قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (68)

{فَلَا تَأْسَ}

فلا تحزن ولا تتأسف على القوم الكافرين لزيادة طغيانهم؛ فإنهم هم الذين ظلموا أنفسهم، وضررُه عائد إليهم. وفي المؤمنين غنى لك عنهم.

.69

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (69)

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا}

نظمُ الآية: إن الذين آمنوا – أي بألسنتهم – ولم تؤمن قلوبهم، والذين هادوا – والنصارى، من آمن منهم بالله واليوم الآخر إيمانا حقا، ويندرج

في ذلك: الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به. وعمل صالحا فلا خوف عليهم، حين يخاف الكفار العذاب، ولا هم يحزنون، حين يحزَن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب. والصابئون كذلك؛ فحذف خبره. وإنما عطفت جملة (الصابئون) على ما قبله للإشارة إلى أنهم من أشد الفرق المذكورة ضلالا. فكأنه قيل: كل هذه الفرق إذا آمنت وعملت صالحا قَبِل الله توبتها، حتى الصابئة فإنه تعالى يقبل توبتها. و {مَنْ آمَنَ} مبتدأ خبره جملة {فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ}، والجملة من المبتدأ والخبر، خبر {إِنَّ}.

.70

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (70)

.71

وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (71)

{وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ}

أي ظن اليهود أنه لا يصيبهم من الله بلاء ولا عذاب بقتل الأنبياء وتكذيب الرسل؛ لزعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، أو لإمهال الله إياهم، أو لنحو ذلك. فتمادوا في فنون الغي والفساد، وعَمُوا عن الدين الذي جاء به الرسل، وصَمُّوا عن استماع الحق الذي القَوْه إليهم. وهذه هي المرة الأولى من مَرَتَيْ إفساد بني إسرائيل، حين خالفوا التوراة وارتكبوا المحرمات. ثم عموا وصموا بعد أن تابوا مما كانوا عليه من الفساد، وأنعم الله عليهم بفكاكهم من أسر الذل والمهانة التي لبثوا فيها دهرا طويلا تحت قهر بختنصر، ورجوعهم إلى بيت المقدس بعد التفرق في الأكناف والتشتت في الأرض. فاجترأوا – إلا قليلا منهم – على قتل زكريا ويحيى، وهموا بقتل عيسى عليهم السلام. فكان ذلك هو المرة الأخرى من مَرتيِّ الإفساد. وقيل: إن العمى والصمم الأول إشارة إلى ما كان منهم في عهد زكريا ويحيى، والثاني إشارة إلى ما كان منهم في زمن محمد صلي الله عليه وسلم. {كَثِيرٌ مِنْهُمْ} بدل من الواو في {عَمُوا وَصَمُّوا}.

.72

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72)

{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا}

للنصارى عقائد مختلفة متضاربة في عيسى عليه السلام، تُنكرها العقول، وتأباها الفِطَر؛ وهم فرق شتى وشيع متكاذبة، كل شيعة تكفر الأخرى. فمنهم من يزعم أن الله هو المسيح، ومنهم من يزعم أن الله ثالث آلهة ثلاثة، ومنهم من يزعم أن المسيح ابن الله تعالى. وقد كذّبهم الله جميعا، وسجل عليهم الكفر في غير آية، وندد بعقولهم وهددهم أشد التهديد بما ذكره من الآيات البينات، التي منها هذه الآيات.

.73

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73)

.74

أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (74)

.75

مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (75)

{مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ}

فهو بشرٌ مخلوقٌ لله تعالى، وعبد من أصفياء عباده، اختاره للرسالة، كسائر الرسل الذين مَضَوا قبله، وسيمضي كما مَضَوْا، فكيف يكون إلها أو جزء إله؟! ان ذلك باطل من القول.

{وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ}

أي وما أمُّه إلا أمَةٌ من إماء الله كسائر النساء ديدنها الصدق مع الله، أو التصديق له في سائر أمورها؛ فمن أين لكم وصفها بما وصفتموها به؟

{كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ}

أي كانا محتاجين إلى القوت، وإلى القوى التي لابد منها في هضمه، وإحالته إلى ما به قوام الجسم والحياة، وفي نفض ما لابد من نفضة من المواد؛ وليس شيء من ذلك في قدرتهما، وإنما هو بقدرة الله تعالى وتدبيره؛ فهما في ذلك كسائر البشر، فكيف تنسبُون إليهما ما نسبتم من الباطل المحال!؟ وقيل – كما نقله الآلوسي –: إنه كناية عن قضاء الحاجة؛ لأن من أكل الطعام احتاج إلى النَّفض. وهذا أمَرُّ مذاقا في أفواه مدعي ألوهيتهما؛ لما في ذلك – مع الدلالة على الاحتياج المنافي للألوهية – من البشاعة ما لا يخفي.

{أَنَّى يُؤْفَكُونَ}

كيف يُصرفون عن استماع الحق ونُبينه مع ما بينا من دلائله. إن ذلك لشيء يُتعجب منه غاية التعجب. يقال: أفكه عن الشيء يأفِكه أفْكا، صرفه عنه وقلبه؛ فأنا آفكه وهو مأفوك. وقد أفَكت الأرض أفْكاً: صرف عنها المطر.

.76

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (76)

.77

قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (77)

{لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ}

لا تجاوزوا الحد في دينكم، فترفعوا عيسى عن رتبة الرسالة، وأمه، عن رتبة الصديقية إلى ما انتحلتموه في حقهما.

{غَيْرَ الْحَقِّ}

غُلُّوا باطلا.

{قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ}

وهم أسلافكم الذين كانوا قبل البعثة.

{وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ}

أي عن قصد طريق الحق الذي هو الإسلام بعد البعثة، بسبب حسدهم وبَغيهم، وتكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم. والسواء في الأصل: الوسط المعتدل،

والمراد به الدين الحق.

.78

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78)

.79

كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79)

.80

تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (80)

{تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا}

أي ترى كثيرا من اليهود، وهم كعب بن الأشرف وأصحابه، يوالون المشركين ويصافُونهم؛ لعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، و يتواطئون معهم على محاربته.

{سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}

غضب عليهم بما فعلوا.

.81

وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (81)

.82

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (82)

{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ}

أي لتجِدَنَّ أشد الكفار عداوةً للمؤمنينَ اليهود، لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم، وانهماكهم في اتباع أهوائهم وتمرُّنهم على التمرُّد، والاستعصاء على الأنبياء، وتمكن الحسد والبغي في قلوبهم؛ إلى حد استيجاب إيصال الأذى والشر إلى من خالفهم في الدين، وقد جعلهم الله قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين؛ بل هم أعرق فيها ولذا قدموا في الذكر عليهم.

{وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى}

فهم ألينُ عريكةً وأسلس انقيادا إلى الحق، وفيهم من هو مُعرضٌ عن الدنيا ولذاتها والتنافس فيها، ومن كان شأنه ذلك لا يحسد الناس ولا يعاديهم. والآية نزلت في النجاشي وأصحابه. وقيل: في الوفد الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب مسلمين. وقيل: في جماعة من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام، فلما بُعث محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به وصدقوه، فأثنى الله تعالى عليهم في هذه الآية.

{ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ}

عن اتباع الحق والانقياد له إذا فهموه. أو أنهم يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود. و

{قِسِّيسِينَ} أي علماء، جمع قِسِّيس صيغة مبالغة؛ من تَقَسس الشيء إذا تتبَّعه بالليل. سُمُّوا بذلك في الأصل لتتبعهم العلم بكثرة

{وَرُهْبَانًا} أي عُبَّادا، جمع راهب؛ من الرهبة وهي المخافة. ومنه الترهُّب وهو التعبُّد. والرَّهبانيةُ وهي الغلوُّ

في تحمل التعبد من فَرط الرهبة.

.83

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83)

{تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ}

تمتلئ أعينهم بالدمع فتصبه.

.84

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (84)

.85

فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (85)

.86

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (86)

.87

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (87)

{لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ}

نزلت في جماعة من الصحابة اعتزموا المبالغة في الزّهد والتّقشُّف والعزوف عن متاع الدنيا؛ مبالغة منهم في التعبد، فنُهوا عن ذلك؛ أي لا تحرموا على أنفسكم ما لذَّ وطاب من الحلال، ولا تتجاوزوا الحلال إلى الحرام، وتمتعوا بأنواع الرزق الحلال الطيب.

.88

وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (88)

.89

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (89)

{لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ}

[آيه 225 البقرة ص]. و {فِي} بمعنى من أو متعلق باللغو.

{وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ}

أي بتعقيدكم الأيمانَ وتوثيقها بالقصد والنية، أي إذا حنثتم فيها، وحُذف للعلم به. والمرادُ بالمؤاخذة: المؤاخذة الدنيوية بوجوب الكفارة.

{فَكَفَّارَتُهُ}

أي فكفارة الحنث فيه. والكفارة: اسم للفَعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة. أي تسترها وتمحوها؛ إذ الممحو لا يُرى كالمستور.

{أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ}

أي عتق نَسَمة من الرق.

{فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ... }

فمن لم يجد شيئا من الأمور الثلاثة المخير بينها، فعليه صوم ثلاثة أيام. وأحكام الكفارة مفصلة في الفقه

{وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ}

أي عن الحِنث فبرُّوا بها؛ إذا لم يكن الحنث خيرا وأفضل.

.90

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90)

{إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ}

[راجع في تفسير الخمر والميسر آية 219 من البقرة] وفي تفسير الأنصاب والأزلام [آية 3 من هذه السورة]. {رِجْسٌ}

أي خبث مستقذر، أو إثمٌ أو شرٌّ. وعن الزجاج: الرجس اسم لكل ما استُقذِر من عمل قبيح. يقال: رَجس – كفرح وكرم – عمِل عَملا قبيحاً. وأصله من الرجس، وهو شدة صوتِ الرعد وهَدير البعير؛ فسميَّ العمل الشديد في القبح رجساً.

{فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}

فكونوا جانبا من هذا الرجس بعيدين عنه؛ لكي تفلحوا: بالاجتناب عنه، والأمرُ للوجوب.

.91

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (91)

{فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ}

استفهام إنكاري بمعنى انتهوا! وهو من أبلغ ما يُنهى به؛ ولذا قالوا: قد انتهينا يارب! إذ فهموا التحريم المؤكد القاطع.

.92

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (92)

.93

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (93)

{لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا ... }

مات ناس من الصحابة قبل تحريم الخمر والميسر وقد طعموهما فقال بعض الصحابة: كيف بأصحابنا الذين ماتوا قبل تحريمهما؟ فنزلت الآية مبينة حال من مات قبل التحريم وحال من مات بعده. أي لا إثم على الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيما تناولوه منها قبل التحريم إذا ما اتقوا الشرك – أو ما حُرِّم عليهم قبل ذلك – وثبتُوا على الإيمان والأعمال الصالحة، ثم اتقُوا الخمر والميسر بعد التحريم وآمنوا بتحريمها، ثم ثبتُوا على اتقاء جميع ما شُرع تحريمه وأحسنوا العمل؛ فتكرير الاتقاء باعتبار الأوقات الثلاثة. والمراد أنه لا جناح عليهم إذا كان من شأنهم أنهم كلما أمروا بشيء أو نهوا عن شيء سارعوا إلى الطاعة والامتثال، فكلما حرَّم الله عليهم مباحاً اتقوه. وظاهرٌ أن انتفاء الجناح إنما يَعْتمد اتقاء المحرمات، ولا دخل فيه لباقي الصفات الحميدة المذكورة، وإنما ذُكرت شهاده باتصاف هؤلاء الصحابة بها.

.94

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (94)

{لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ}

ليختبرنّكم بنوع من البلايا – وهو تحريم مصيد البر صغارا وكبارا – وأنتم محرمون أو في الحرم.

{لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ} ليتميز من يخاف الله وهو لم يره ممن لا يخافه.

{فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ} فمن اصطاده منكم بعد ما أعلمكم الله بذلك فله عذاب أليم؛ لاعتدائه وعدم مبالاته بطاعة ربه، ومن لم يتعود كَبْحَ نفسه وطاعة ربه في الهَيّن من هذه البلايا لا يكاد يكبحها عن العظائم والمزالق. وهذا سر من أسرار الابتلاء.

.95

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (95)

{لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ}

أي لا تقتلوا صيدَ البر – وهو ما توالُدُه ومثواه في البر مما هو ممتنع لتوحشه خلقةً وطبعاً – وأنتم محرمون ولو كنتم خارجَ الحَرَم، ومثله لو كنتم في الحَرَمِ وأنتم حلال. وقيل: {حُرُم} جمع حرام، وهو يقع على المُحْرِمِ وإن كان في الحِلِ وعلى من في الحرم وإن كان حلالاً، وهما سيَّان في النهي عن قتل الصيد. واستُثنيَ من ذلك الحدأةُ والغراب والفأرة والعقرب والكلب العقور؛ وسُميت في الحديث فواسق. ولا شيء على المُحْرِم إذا قتل نحو السبعُ والنَمر والفهد إذا ابتدأت بالأذى والتعدي. وقيل مطلقا وتفصيل الأحكام في الفقه.

{فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ}

أي فعليه جزاء من النَعَم مماثل للمقتول في الخلقة والمنظر؛ ففي النعامة بَدَنَة، وفي حمار الوحش بقرة، وفي الظبي شاة، وفي الأرنب سخل، أو ما يساوي قيمة هذا الجزاء طعاما، فيعطي لكل مسكين مُد. أو ما يعادل هذا الطعام صياماً؛ فيصوم عن كل مُدٍّ يوما. وإن لم يوجد للمقتول مماثل كالعصفور والجراد فعليه قيمته يشتري بها طعام لكل مسكين مُدٍّ، أو يصوم عن كل مدٍّ يوما. وقوله: {مِنَ النَّعَمِ} حال من {مثل} أو صفة له. وذهب آخرون إلى أن المُماثلة إنما تعتبر ابتداء بحسب القيمة؛ فيقوَّمُ المقتول من حيث هو، فإن بلغت قيمته قيمة هدي خير الجاني بين أن يشتري بها هديا يهدى إلى الكعبة ويذبح في الحرم ويتصدق بلحمه على من يشاء، وبين أن يشتري بها طعاما للمساكين، لكل مسكين نصف صاع من بر أو صاع من غيره، وبين أن يصوم عن طعام كل مسكين يوما. وإن لم تبلغ قيمته قيمة هدي يُخيّر بين إعطائها لمسكين وصوم يوم كامل. وقوله {من النعم} تفسير للهَدي المشترى بالقيمة على أحد وجوه التخيير.

{هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ}

أي الحَرَم. وخُصت الكعبة بالذكر للتعظيم إذ هي الأصل. ولا يجزئ الذبح في غيره.

{أَوْ كَفَّارَةٌ}

معطوف على {جَزَاءٌ} و {أو} للتخيير، وكذلك في قوله: {أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا} أي ما يعادل ذلك الطعام صياما، فيصوم عن طعام كل مسكين يوما. والعَدْل بالفتح:-: ما عادل الشيء من غير جنسه؛ وأما بالكسر: فما عادله من جنسه. وقيل هما سِيّان ومعناهما المِثل مطلقاً. وقرى بالكسر. والتفصيل في الفقه.

{لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ}

أي جزاء ذنبه وسوء عاقبته. والوَبال في الأصل: الثقلُ والشدة والوخامة. يقال: وبُل المطر إذا اشتد فهو وبيل. ووبُل المَرْتع وبالا ووبالة بمعنى وَخُم. ثم قيل في سوء العاقبة: وبَالٌ. وفي العمل السيء: هو وبال على صاحبه.

.96

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (96)

{أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ}

هو ما توالده ومثواه في الماء. والمراد بالبحر: جميعُ المياه، بحرا أو نهرا أو غديرا أو بركة. وبالصيد: الاصطياد أو ما يُصاد منه. وبطعام البحر: ما يؤكل من صيده. أي أحل لكم الصيد وأكل ما يُؤكل منه، أو الانتفاع بما يصاد منه، وأكل ما يؤكل من حيوان البحر. وقيل: طعام البحر ما يقذفه ميتا.

{مَتَاعًا لَكُمْ}

تمتيعا لكم

{وَلِلسَّيَّارَةِ}

المسافرين منكم يتزوَّدونه قديدا.

.97

جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (97)

{جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ}

الجَعْلُ:

التصييرُ و (الكعبة) و (قياما) مفعولا جعَلَ. و (الْبَيْتَ الْحَرَامَ) بدل من الكعبة. والمراد به الحرم كله. والقيامُ والقِوَام: ما به صلاح الشيء؛ كما يقال: الملكُ العادلُ قِوام رعيته؛ لأنه يدبر أمرهم، ويردع ظالمهم، ويدفع أعداءهم. وقد صيّر الله تعالى البيت للناس سببا لإصلاح أمورهم؛ حيث جعله مثابة وأمناً وملجأً، ومجمعاً للتجارات والتعارف والتشاور، وحَرَّمه إلى يوم القيامة، لا يُعضدُ [يقطع] شجره ولا يُنَفَّر صيدُه [لايشرد ولايزعج]، ولا يلتقط لُقَطَته

إلا من عرَّفها [لا يحل الانتفاع باللقطه الا بعد الاعلان عنها]، ولا يُخْتَلى خلاه [الخلا–بالقصر–:النبات الرطب الرقيق مادام رطبا واختلاؤه: قطعه.]. كما جعله محجًّا للناس ومنسكا وسببا لتكفير الخطيئات وزيادة المثوبات. وجعل الأشهر الحُرُم قواما للناس يأمنون فيها القتل والقتال [راجع آيه 2 من هذه السوره]، ويسافرون فيها في أمن؛ لتحصيل قدر ما يكفيهم من الأقوات طول العام.

{الْهَدْيَ}

ما يهدي من الأنعام إلى الكعبة.

{الْقَلَائِدَ}

ما يقلد به الهديَ علامة له. وجُعِل الهديَ وذوات القلائد منه قواما لمعايش الفقراء. وكل ذلك لحكم سامية، ومصالح ظاهرة، اقتضتها حكمة العليم الخبير، ورأفتُه بعباده.

.98

اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (98)

.99

مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (99)

.100

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (100)

.101

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (101)

{لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ}

نزلت حين أكثروا من السؤال عن أمور يسوءهم إبداؤها؛ لكون التكليف بها شاقا عليهم، أو لكونها مستورة وفي إظهارها فضيحة للسائل. فالأولُ: كسؤالهم عن الحج، هل يجب في كل عام؟ والثاني: كسؤال بعضهم عن أبيه بقوله: أين أبي؟ فقال له النبي: أبوك في النار؛ فنُهوا عن السؤال عن أمثال هذه الأمور لاستتباعه إبداءها وقت التنزيل وقد يكون فيه فضيحة، وقد يكون فيه مشقة. وقد سأل السابقون أنبياءهم عن أمثالها فأجابوهم بيان أحكامها فلم يقوموا بها لمشقتها، فضلوا بترك العمل بها.

.102

قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (102)

.103

مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (103)

{مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ}

ما شَرَعَ الله هذه المحرمات التي حرّمتموها على أنفسكم، وزعمتم أنه حرَّمها كذباً على الله تعالى. وكانوا في الجاهلية إذا ولدت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر شقُّوا أذنها ومنعوا ركوبها، وتركوها لآلهتهم، لا تُنحر ولا يحمل عليها، ولا تُطرد عن ماء أو مرعى، وسمّوها (البحيرة) أي مشقوقة الأذن؛ من البَحر وهو الشقّ.

{السائبة}

وكان الرجل إذا قدم من سفر، أو نجت ناقته من حرب أو برأ من مرض سيب ناقته وخلاها وجعلها كالبحيرة وتسمَّى (السائبة). وقيل: هي الناقة التي تُعتق للأصنام.

{الوصيلة}

وكانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم، وإذا ولدت ذكرا فهو لآلهتهم، وإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم، وتسمى (الوصيلة). وقيل: هي الناقة تبكر بأنثى ثم تثني بأنثى، فكانوا: يتركونها للطواغيت ويقولون: قد وصلت أنثى بأنثى ليس بينهما ذكر.

{الحامي}

وكان الفحلُ إذا لقِحَ ولدُ ولده قالوا قد حمى ظهره فلا يُركب ولا يحمل عليه، ولا يمنع ماءً ولا مرعى حتى يموت. يقال: حماه يحميه إذا حفظه، ويسمى (الحامي}.

وفي تفسير الأربعة خلاف كثير. وأول من ابتدع هذه المنكرات عمرو بن لحي، وكان قد ملك مكة فاتَّخذ الأصنام ونصب الأوثان، وغير دين إسماعيل عليه السلام.

.104

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (104)

{حَسْبُنَا}

كافينا.

.105

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105)

{عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ}

الزموا العمل بطاعة الله، فأتوا بما أمركم به، وانتهوا عما نهاكم عنه.

{لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}

أي لا يضركم ضلالُ من ضل إذا أنتم رمتم العمل بطاعة الله، وأدَّيتم فيمن ضل من الناس ما ألزمكم الله به؛ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ على يدي الظالم إذا أراد ظلم المسلم أو معاهد ومنعه منه. فإذا أبى النزوع عن ذلك فلا ضير عليكم في تماديه في غيّه وضلاله، إذا أنتم اهتديتم وأدّيتم حق الله تعالى.

.106

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ (106)

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ}

أي أن المحتضر إذا أراد الوصية وكان في سفر فليُحضر من يوصى له بإيصال ماله لورثته مسلما، فإن لم يجد فكافرا، والاثنان أحوط، فإذا جاءا بما عندهما، ووقعت ريبة في كتم بعضه أو في الخيانة فيه فليحَلِّفا، لأنهما مودَعَان مصدقان بيمينهما. فإذا وُجد ما خانا فيه وأدّعيا أنهما تملّكاه بشراء ونحوه ولا بيّنة لهما على ذلك،؛ يحلف المدَّعى عليه على عدم العلم بما ادعياه من التملك، وأنه مِلْك لمورّثهما لا نعلم انتقاله عن ملكه. والشهادة الأولى بمعنى الحضور أو الإحضار؛ تقول: شهدت وصية فلان بمعني حضرتُ. والشهادةُ الثانية في قوله تعالى: {لَشَهَادَتُنَا} [آيه 107 نفس السوره] بمعنى العلم المشاهد أو ما هو بمنزلته. والثالثة في قوله: {أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا} [آيه 107 نفس السوره] بهذا المعنى أو بمعنى اليمين.

والاثنان الكافران وصيّان لا شاهدان بالمعنى المتبادر. وفي تفسير الآية أقوال أخرى. وقوله: {شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ} مبتدأ حذف خبره؛ أي فيما فُرض عليكم شهادةُ ما بينكم. {اثْنَانِ} فاعل بـ {شهادة} أي أن يشهد اثنان. {مِنْكُمْ} أي من المسلمين.

{ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ}

سافرتم.

{تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ}

توقفانهما للحلف بعد صلاتهما، أو بعد صلاة العصر، وهو الوقت الذي يجتمع فيه الناس، ويتحاشى فيه أهل الأديان الكذب في الحلف.

{لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا}

لا نحلف بالله كذبا لأجل عرض الدنيا

{وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى}

أي ولو كان المُقْسَم له قريبا منّا.

.107

فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (107)

{فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا}

أي اطلع على خيانتها بوجود ما خانا فيه عندهما.

{فَآخَرَانِ}

مبتدأ خبره جملة يقومان مقامهما و أي يقفان موقفها في الحبس من بعد الصلاة والحلف.

{مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ}

صفة للمبتدأ، وه (اسْتَحَقَّ) بالبناء للفاعل.

{الْأَوْلَيَانِ}

تثنية أوْلى بمعنى أقرب فاعلُه. والمرادُ بالموصول: أهل الميت. وبالأوليان: الأقربان إليه الوارثان له، الأحقان بالشهادة، لعلمها واطلاعها. ومفعول " استحق " محذوف، تقديره: أن يجردوهما للقيام بالشهادة ليُظهروا كِذب الكاذبين.

.108

ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (108)

{أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا}

أي يَصْدِقوا في حلفهما ولا يكذبا فيه. والله أعلم.

.109

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (109)

{فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ}

أيْ أيّ إجابة أجابتكم بها

أممكم، حين دعوتموهم إلى توحيدي وطاعتي، أهي إجابة قبول، أم إجابة رد وإباء؟!.

{قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا}

أي بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء، سره وعلانيته، ظاهره وخفيه {إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ}.

.110

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (110)

{بِرُوحِ الْقُدُسِ}

جبريل عليه السلام.

{تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ}

في زمن الرضاعة قبل أوان الكلام [راجع آية 46 آل عمران].

{وَكَهْلًا}

في حال اكتمال القوة (بعد نزوله).

{عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}

أي الكتابة والفهم لأسرار العلوم.

{تَخْلُقُ}

تُصوِّر وتقدر.

{الْأَكْمَهَ}

الأعمى المطموس البصر خلقة.

{وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ}

واذكر نعمتي عليك إذ صرَفت عنك بني إسرائيل حين دبَّروا قتلك، فأحبطتُ كيدَهم ونجَّيتك منهم.

.111

وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (111)

{أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ}

ألهمتهم وقذفت في قلوبهم. أو أمرتهم على لسانك. والحواريُّون: خاصتُه وأنصارُه.

.112

إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (112)

{هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ}

هل ينزِّل علينا ربُّك مائدة من السماء إن سألته أن ينزلها! وهو كما يقول الرجل لصاحبه: هل تستطيع أن تقوم؟ وهو يعلم أنه يستطيع. وقد طلبوا إنزالها لاعتقادهم قدرته تعالى على ذلك؛ فإنهم مؤمنون. وقيل: إن سؤالهم ذلك من قبيل قول إبراهيم عليه السلام: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى .. } [البقرة:260]. فقال لهم عيسى: {اتَّقُوا اللَّهَ} أن تسألوا مثل هذا {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}

بكمال قدرته!

{مَائِدَةً}

والمائدةُ: الخِوَانُ إذا كان عليه الطعام؛ من ماده يميدُه، إذا أعطاه وأطعمه: ويطلق على نفس الطعام مائدة لعلاقة المجاورة.

.113

قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (113)

{وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا}

تسكن قلوبنا وتزداد يقينا

{وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ}

{وَنَعْلَمَ} علمَ مشاهدةٍ {أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا} فيما جئت به {وَنَكُونَ} لك {عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ} عند الذين لم يَروها من قومنا؛ ليؤمن كافرهم، ويزدادَ الذين آمنوا إيماناً.

.114

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (114)

{تَكُونُ لَنَا عِيدًا}

يكون يوم نزولها عيداً لنا ولمن يأتي بعدنا. والعيدُ: بمعنى العائد، مشتقٌ من العَوْد، لعَوده بالفرح والسرور.

{وَآيَةً مِنْكَ}

وتكون دلالة منك على كمال قدرتك ووحدانِيَّتكَ، وحجَّة يصدقون بها رسولك.

.115

قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (115)

{قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ}

وعدٌ بالإنزال مرة بعد

أخرى، مع تهديد بأشد العذاب وأفظعه، إذا كفروا بعد إنزالها. وجمهور المفسرين على أنها أنزلت عدة مرات. وعن الحسن ومجاهد: أنها لم تنزل؛ لأنهم خافوا بعد هذا الوعيد أن يكفر بعضهم، فاستعفوا وقالوا لا نريدها. والله أعلم.

.116

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116)

{وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى}

أي يقول له ذلك يوم القيامة توبيخا لقومه على رءوس الأشهاد.

{أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي}

وقد اتخذ النصارى عيسى إلها، كفراً منهم وضلالا. واتخذ قومٌ منهم فيما مضى أمَّه إلها ويسمون المَرْيَميين. كما اتخذ قوم من اليهود عزيراً ابن الله تعالى؛ فتجاوزوا بذلك ربهم وإلههم الحق.

{تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي}

تعلم ما في ذاتي ولا أعلم ما في ذاتك. والمرادُ: تعلمُ ما أعلم ولا أعلمُ ما تعلم، وتعلم ما في غيبي ولا أعلمُ ما في غيبك، وتعلمُ ما أقول وأفعل ولا أعلم ما تقول وتفعل. وإطلاق النَّفس على الذات بالنسبة إليه تعالى جائزٌ.

.117

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117)

{فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي}

فلما أخذتني وافياً بالرفع إلى السماء حيًّا، إنجاءً لي مما دبروه من قتلي؛ من التَّوفي وهو أخذ الشيء وافياً أي كاملا. وقد جاء التَّوفي بهذا المعنى في قوله تعالى: {يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا .... } [آل عمران:55]. ولا يصح أن يُحمل على الإماتة، لأن إماتة عيسى في وقت حصار أعدائه له ليس فيها ما يسوّغ

الامتنان بها، ورفعه إلى السماء بعد الموت جُثَّة هامدة سُخْف من القول. وقد نزه الله السماء أن تكون قبورا لجُثث الموتى. وإن كان الرفع بالروح فقط، فأي مزية لعيسى في ذلك على سائر الأنبياء، والسماء مستقر أرواحهم الطاهرة. فالحقُّ أنه عليه السلام رُفِع إلى السماء حيا بجسده؛ وقد جعله الله وأمه آية، والله على كل شيء قدير.

{الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ}

الحفيظ عليهم: المُراقِبَ لأعمالهم، الذي لا يغيب عنه شيء من أحوالهم.

.118

إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (118)

.119

قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (119)

.120

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (120)

والله أعلم.

سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1)

{الْحَمْدُ لِلَّهِ}

إعلام بأنه تعالى حقيقٌ بالحَمْدِ والثناء، مستوْجب لهما، لخلقه السماوات والأرضَ، على ما هما عليه من بديع الصُّنع والإحكام. وخلقِه الظلمات والنُّور، أو ظلماتِ الليل ونور النهار؛ منفعة للعباد، وآيات للمتفكرين، ودلائل على وحدانيته وقدرته وتدبيره.

{وَجَعَلَ}

أي أحدث وخلق.

{ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}

أي ثم الذين كفروا مع قيام هذه الدلائل الظاهرة يسوُّون بربهم غيرَه مما لا يقدر على شيء من ذلك؛ فيكفرون به، أو يجحدون نِعمته، فأي شيء أعجب من ذلك وأبعد عن الحق!، من العدل بمعنى التسوية. وقوله {بِرَبِّهِمْ} متعلق

بقوله {يَعْدِلُونَ}. أو ثم الذين كفروا – بربهم يميلون عنه، وينصرفون إلى غيره من خلقه، فيعبدون ما لا يستحق العبادة، من العدول. وقوله {بِرَبِّهِمْ} متعلق بقوله {كَفَرُوا}، و {ثُمَّ} على المعنيين الاستبعاد وقوع ذلك منهم.

.2

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (2)

{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ}

ابتدأ خلقكم من المادة الطينية بخلق أصلكم منها، ثم قدَّر حداً معينا من الزمان للموت، وأجل آخر مستأثر بعلمه تعالى؛ لا يعلم وقت حلوله سواه تعالى؛ وهو وقت البعث للحساب والجزاء. وقيل: الأجل: الأول ما بين الخلق والموت، والثاني ما بين الموت والبعث؛ وهو: البَرْزخ.

{قَضَى أَجَلًا}

كتب وقدر زمانا معينا للموت.

{أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ}

زمن معين للبعث مستأثر بعلمه.

{ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ}

أي ثم أنتم تشكُّون في البعث. أو تجادلون فية. أو تجحدونه مع قيام الدلائل المشاهدة على القدرة عليه؛ فإن من قَدَر على إحياء ما لم يشم رائحة الحياة قط، قادر على إحياء ما قارنها مدَّة؛ من المِرْيَة، وهي الشك والتَّردد في الأمر، وأصلُها من مَرَى الناقة يَمْريها، إذا مسحَ ضَرعَها للدَّر؛ واستُعملت في الشك لأنه سببٌ لاستخراج العلم الذي هو كاللبن الخالص من بين فَرْث ودم. أو من المراء بمعنى المجادلة. أو من مَرَى حقه، إذا جحده. {ثُمَّ} للاستبعاد.

.3

وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (3)

{وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ}

أي وهو الإله، أو المعبود، أو المدبر فيها فقوله: {في السماوات} متعلق بلفظ الجلالة؛ باعتبار المعنى الوصفي الذي تضمنه.

{يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ}

أي أعمالَ قلوبكم وأعمال جوارحكم.

{وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ}

أي ما تستحقونه عليها من ثواب أو عقاب. أو يعلم ما تُسرُّونه وما تجهرون به من أقوالكم وأعمالكم، وما تفعلونه لجلب

نفع أو دفع ضمن أعمالكم التي تكتسبُونها بقلوبكم وجوارحكم، سراً وعلناً.

.4

وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (4)

{وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ}

أي وما ننزل إليهم آية من آيات القرآن، ناطقةً ببدائع صُنْعه، منبئةً بجريان أحكام ألوهيته على سائر خلقه، وإحاطة علمه بجميع أحوالهم، و بأنباء اليوم الآخر؛ إلا أعرضوا عنها، ولم يعتَنوا بها، أو كذَّبوا بها، كما ينبئ عنه قوله تعالى: {فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ} [آية 5] أي بالقرآن. والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها؛ إذ التكذيب مرتب على الإعراض، بمعنى عدم القبول والاعتناء به.

.5

فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (5)

{فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}

وقد توعّدهم الله على سوء صنيعهم بقوله: {فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} كما أتى من قبلهم من المكذِّبين لرسلهم.

.6

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (6)

{أَلَمْ يَرَوْا}

أي أل يبصروا، أو ألم يعرفوا! كم أهلكنا من قبلهم من قرن من أمة فعلت مثل ما فعلوا!.

{مِنْ قَرْنٍ}

القرنُ: مدةٌ معينةٌ من الزمان. وهو حقيقة في ذلك وفي أهله؛ على ما اختاره بعض المحققين. والمراد هنا: أهله، ولا حاجة إلى تقدير مضاف. وقيل: هو حقيقة في الأول، واستعماله في الأهل مجازٌ بالحذف. وأصله من الاقتران بمعنى الاجتماع.

{مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ}

أعطيناهم في أرضهم من القوة والبَسْطَة في الأجسام والأموال ما لم نعط أهل مكة. يقال: مكنته ومكنت له، مثل نصحته ونصحت له؛ من التمكين وهو إعطاء المكِنَة – بفتح الميم وكسر الكاف – أي القوة والشدة.

{السَّمَاءَ}

المطر.

{مِدْرَارًا}

غزيرا متتابعة في أوقات الحاجة، رحمةً منا وانعاماً، فعاشوا في خِصْب وسَعة. يقال: دَرَّت السماء بالمطر تدِرُ وتدُر درًّا و درورا فهي مِدْرار، صبته صبًّا. وأصلُه من الدَّر، أي سيلان اللبن وكثرته، ثم استعير للمطر الغزير.

{فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ}

أي ومع ذلك التمكين وهذه القوة أهلكناهم بسبب كفرهم، أفلا يعتبر أهل مكة بذلك فلا يستمروا في كفرهم وعنادهم!

.7

وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7)

{وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ}

القرطاسُ – بتثليث القاف، والكسر أشهر –: ما يُكتب فيه. أي ولو نزلنا عليك مكتوباً من عندنا في قرطاس كما اقترحوا فرأوه ولمسُوه بأيديهم لقالوا: ما هذا إلا سِحْرٌ بيّن ظاهر؛ إمعانا منهم في الجحود والعناد.

.8

وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (8)

{وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ}

أي هلاّ نزل على محمد مَلَك نشاهده معه، ويخبرنا أنه رسول من عند ربه، فيكون معه نذيرا.

{وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ}

جواب عن اقتراحهم. أي لو أنزلنا عليه مَلَكا في صورته الحقيقية، وشاهدوهُ بأعينهم لزَهقت أرواحُهم من هول ما يشاهدون.

{ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ}

أي لا يُمهلون طرفة عين بعد إنزاله ومشاهدتهم له، من النَّظر. يقال: نظرته وأنظرته؛ أي أخرته.

.9

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ (9)

{وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا}

أي ولو جعلنا النَّذير – الذي اقترحوا إنزاله معه– مَلَكا لمثّلناه رجلاً؛ لعدم استطاعتهم معاينة المَلَك على صورته الأصلية. وهذا على فرض عدم الهلاك برؤيته.

{وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ}

أي ولخَلَطنا عليهم بتمثيله رجلا ما يخلطون على أنفسهم بأن يقولوا له: إنما أنت بشر مثلنا ولست بملك؛ من الَّلبس وهو الخَلْط، وأصله السُتر بالثوب؛ ومنه اللباس. ويستعمل في المعاني فيقال: لَبَس الحق بالباطل يَلبِسه، ستره به. ولَبستُ عليه الأمر: خلطته عليه، وجعلته مشتبها حتى لا يعرف جهته.

.10

وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (10)

{فَحَاقَ}

أي أحاط بالذين سخِروا من الرُسل العذاب الذي كانوا يستهزئون به حين يخوّفهم الرسل ايَّاه. يقال: حاق به الأمر يَحيق حيقاً وحُيُوقاً، أحاط به كأحاق. والحيقُ: ما يشتمل على الإنسان من مكروه فِعله.

{سَخِرُوا}

والسُّخريةُ: الاستهزاء والتهكم.

.11

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (11)

{عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}

آخرتُهم ونهايتهم، مصدر كالعافية، وهي منتهي الشيء وما يصير إليه.

.12

قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (12)

{كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}

أوجب على نفسه رحمةَ عباده؛ تَفَضُّلا منه وإحسانا، فلا يعجل عليهم بالعقوبة حين يستوجبونها بما يعملون.

{لَيَجْمَعَنَّكُمْ}

أي والله ليجمعنكم إلى يوم القيامة للجزاء، فلا يَغُرَّنكم هذا. الإمهالُ؟.

{خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ}

أهلكوها وغبنوها بالكفر.

.13

وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (13)

{وَلَهُ مَا سَكَنَ}

أي ولله وحده جميع ما ثبت واستقر فيهما، من السُّكنى، فيتناول السَّاكن والمُتحرك. وقال ابن جرير: كل ما طلعت عليه الشمس وغرَبت، فهو من ساكن الليل والنهار. والمرادُ أنه تعالى هو رب جميع ما وجد في الأرض برڒاً وبحراً.

.14

قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (14)

{أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا}

ناصرا ومُعيناً، أستنصره وأستعينُ به على النوائب، فضلا عن أن أتخذه معبودا؟ من الوَلاية بمعنى النُّصرة.

{فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}

مبدعهما على غير مثال يُحتذى؛ مِنَ الفَطْرِ، وهو الإبداع والإيجاد من غير سَبْق مثال. وأصله: الشق وفصل شيء عن شيء؛ ومنه فَطَر نابُ البعير أي طلع. واستعمل فيما ذكر؛ لاقتضائه التركيب الذي سبيله الشق والتأليف. أو لما فيه من الإخراج من العدم إلى الوجود.

{وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ}

يَرزق ولا يُرزق. والمراد أن له تعالى الغنى المطلق، وأنَّ الخلقَ جميعا محتاجون إليه وجودا و بقاء.

{مَنْ أَسْلَمَ}

خضع لله بالعبودية وانقاد له.

.15

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15)

.16

مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (16)

.17

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17)

.18

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (18)

{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ}

أي الغالب لعباده، المقتدر عليهم، الذي لا يعجزه شيء أراده، ولا يستطيع أحد من خلقه ردَّ تدبيره، والخروج من تحت قهره وتقديره. قال الطبري: القاهِرُ: المتعبد خلقه، العالي عليهم، وإنّما قال {فوق عباده} لأنه تعالى وصف نفسه بقهره إياهم، ومن صفة كل قاهر شيئا أن يكون مستعلياً عليه. والمعنى: والله الغالبُ عباده، المذلِّل لهم، العالي عليهم بتذليله إياهم؛ فهو فوقهم بقهره إياهم، وهم دونه. [راجع المسألة الرابعة من المقدمة في مذهب السلف والخلف في آيات الصفات].

.19

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (19)

{أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً}

سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم شاهداً يشهد له بالنبوة؛ فنزلت الآية. أي أيُّ شيء أعظم شهادة؟ فإن أجابوا وإلا ف {قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} يشهد لي بالحق، وعليكم بباطلكم؛ بماأنزله من القرآن، وهو أكبر معجزة وأصدق دليل.

{وَمَنْ بَلَغَ}

أي وأنذر من بلغهُ القرآن ممن سيوجد إلى يوم القيامة من سائر الأمم. وفي هذا دلالة على عموم الرسالة، وأن أحكام القرآن تعمُّ

الثقلين إلى يوم الدين. وفي الحديث: (من بلغه القرآن فكأنما شافهتُه) [أخرجهُ أبو نعيم].

.20

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (20)

.21

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (21)

.22

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (22)

.23

ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (23)

{لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ}

الفتنة من الفَتْن، وهو إدخال الذهب النار لتعلم جودته من رداءته، ثم استعمل في معان: كالمَعذِرة والاختبار، والكفر والإثم والضلال، والبليّة والمصيبة. أي لم تكن معذرتهم عن كفرهم، أو عاقبة كفرهم، إلا التَبَرّي من الشرك والشركاء في ذلك اليوم، فقد كذبوا في الآخرة كما اعتادوا الكذب في الدنيا.

.24

انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24)

{ضَلَّ عَنْهُمْ}

غاب وزال عنهم

{مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}

يكذبون – الأصنام وشفاعتهم.

.25

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (25)

{وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً}

أي أغطية تمنعهم أن يفقهوا ما يسمعونه من القرآن؛ جمع كِنَان. يقال: كَنَّ الشيء يكُنُّه ستره. وأكنته: أخفيته – واستكن: استَتَر.

{وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا}

أي وجعلنا في آذانهم صمماً وثقلا يمنعهم من استماع القرآن على وجه القبول. يُقالُ: وَقَرت أذنه – من باب تَعِب ووعد– صُمَّت وثَقُل سمعها. والكلامُ تمثيل لِعظم جهلهم بشئون النبي صلى الله عليه وسلم، وفرط نُبُوِّ قلوبهم وأسماعهم عن فهم القرآن والانتفاع به، وقد خلق الله فيهم داعية الكفر وعَلِم أنهم لا يؤمنون، فيستحيل إيمانهم مع ذلك مهما رأوا من الآيات الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم، وهو قوله تعالى: {وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا}.

{أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}

أكاذيبهم، أو أقاصيصهم، أو تُرهاتهم المسطورة التي لا أصل لها. جمع أسطورة، كأحدوثة وأحاديث. وقيل: جمع لا واحد له، كأبابيل.

.26

وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (26)

{وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ}

يتباعدون بأنفسهم عن القرآن، أو عن الرسول فلا يؤمنون به إظهاراً لغاية نفورهم. منه يقال: نأي ينأي نَأْيا، أي بَعُد. ونأيْته ونأيْت عنه وأنأيته عنه.

.27

وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (27)

{وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ}

حُبسوا عليها يوم القيامة. يقال: وقَفَه وقفاً، حبسه .. وجواب الشرط: لرأيتَ هولا عظيماً.

.28

بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (28)

{بَلْ بَدَا لَهُمْ ... }

أي بل

ظهر لهم في وقوفهم هذا ما كانوا ينكرونه ولا يؤمنون به، وهو نار الآخرة. فالمراد من "ما": النار، ومن الإخفاء: السَتْر بمعنى الإنكار والجحود. ومع ذلك لو ردوا إلى الدنيا لعادوا إلى الكفر والتكذيب؛ لسوء استعدادهم، وإنهم لكاذبون لا يوفون بما وَعدوا به.

.29

وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (29)

.30

وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (30)

{وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ}

حبسوا على حكم ربهم للحساب والجزاء. وجواب الشرط: لرأيت أمرا عظيما.

{قَالُوا بَلَى} أي إنه لحق، و {بلى} حرف جواب لاستفهام دخل على نفي فتفيد إبطاله، [راجع آية 81 البقرة].

.31

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَاحَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (31)

{بَغْتَةً}

فجأة. والمراد بالساعة: يوم القيامة. والبَغْتُ والبَغْتةُ: مفاجأة الشيء بسرعة من غير اعتداد به، ولا إلقاء بال إليه. {يَاحَسْرَتَنَا}

الحَسْرَةُ: شدة الندم على ما فات. [راجع آية 167 سورة البقرة].

{فَرَّطْنَا فِيهَا}

قصرنا وضيعنا في الحياة الدنيا.

{يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ}

آثامهم وخطاياهم. جمع وِزْر: وأصله الحِمل الثقيل، وأطلق على الذنب لثقله. والمراد: بيان شدة ما يلاقونَه من العذاب بسبب ذنوبهم.

.32

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (32)

{لَعِبٌ وَلَهْوٌ}

اللعِب واللهوُ: كلاهما الاشتغال بما لايَعني العاقل ولا يُهِمُّه؛ من هوى وطَرَب، حراماً كان أو حلالا. غير أن اللعب ما قُصد به تعجيل المسرة والاسترواح به. واللهو: ما شغل من هوى وطرب وإن لم يُقصد به ذلك. أي وما طُلّاب لذات الحياة الدنيا ومسراتها ونعمائها المتنافسون فيها إلا في لعب ولهو؛ لأنها عما قليل تزول وتضمحل، كما يزول لعب اللاعب ولهو اللاهي، ولا يبقى له أثر؛ فلا يغتر بها العاقل.

.33

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (33)

{فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ}

أي في الحقيقة، وإنّما يكذبون آيات الله وأنك رسول الله؛ فلا تحزن مما يقوله هؤلاء الظالمون الجاحدون.

.34

وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ {34)

{لِكَلِمَاتِ اللَّهِ}

آيات وعده بنصر رسله.

.35

وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (35)

{وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ}

أي وإن كان قد عظم، وشق على نفسك تكذيبهم وكفرهم وعدمُ

إجابتهم إلى ما اقترحوا، وأخذ منك الحزن على ذلك مأخذه، وأحببت أن تجيبهم إلى ما اقترحوا، فإن كنت تقدر على أن تتخذ سَرَباً في أعماق الأرض، أو مصعدا تصعد به إلى السماء: لتأتيَهم بأية مما اقترحوا عليك فافعل؛ وإذا كنت لا تقدر على ذلك فاصبر على شدائدهم وعلى تكذيبهم ومعارضتهم الآيات التي نصبها الله تعالى للناظرين المتأملين؛ ولو شاء الله أن يجمعهم على الهدى لجمعهم، ولكن لم يرد ذلك لعلمه بسوء اختيارهم.

{نَفَقًا فِي الْأَرْضِ}

سَرَباً فيها ينفذ: إلى ما تحتها.

{فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ}

بدقائق شئونه تعالى التي منها عدم تعلُّق مشيئته بإيمانهم لفساد استعدادهم.

.36

إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (36)

{وَالْمَوْتَى}

أي الكفار الذين لا يسمعون ولا يستجيبون

{يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ}

يوم القيامة من قبورهم

{ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ}

لا إلى غيره؛ فيجازيهم على جحودهم وإصرارهم على الكفر.

.37

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (37)

.38

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (38)

{إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ}

طوائف مختلفة أمثالكم في الخلق والموت، والحاجةِ إلينا في الرزق والتدبير في جميع أمورها، والدلالة على كمال القدرة وبديع الصنعة في تسخيرها وتصريفها بقدرتنا؛ فكيف تظنون عدم قدرتنا على إنزال ما اقترحتم من الآيات! إن ذلك جهل منكم عظيم! ومانُنَزِل الآيات وما نترك إنزالها إلا على حسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحةُ والمشيئةُ المبنيَّة عليهما.

{مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}

ما تركنا في القرآن شيئا مما يحتاج إليه الناس في أمر الدين والدنيا، إمّا مُفَصَّلا وإما مُجْمَلا، أو شيئا يحتاج إليه المكلفون من أصول الدين وأحكامه وحكمه، وضُروب الهدى التي جاء بها الرسل. وقيل: الكتابُ اللوح المحفوظ، وفرَّطنا من التفريط وهو التقصير. يقال: فرَّط في الأمر تفريطاً، قَصَّر فيه وضيَّعه وقدم العجز فيه. والجملة معترضة لتقرير مضمون ما قبلها.

.39

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (39)

{فِي الظُّلُمَاتِ}

ظلمات الجهل والعناد والفكر.

{مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ}

من يُرِد سبحانه خَلقَ الضلال فيه يخلقه فيه حسب اختياره الناشيء عن استعداده بحيث لو خُلّي ونفسَه لاختاره.

.40

قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (40)

{أَرَأَيْتَكُمْ}

أي أخبروني عن حالتكم العجيبة؟ والهمزة للاستفهام، ورأي بمعنى عَلِمَ، وتتعدى إلى مفعولين، والتاء ضمير الفاعل، وما بعده حرف خطاب يدل على اختلاف المخاطب، أتى به للتأكيد، والمفعول الأول محذوف تقديره: أغير الله تدعونه لكشفه؟ والمعنى: أرأيتكم عبادتكم الأصنام هل تنفعكم؟ أو هل تكشف عنكم ضركم؟ أي أخبروني عن ذلك إن كنتم صادقين في أن أصنامكم آلهة، وأن عبادتكم لها نافعة. وفي استعمال أرأيت بمعنى أخبرني تجوُّز: إطلاق الرؤية وإرادة الأخبار؛ لأن الرؤية سبب له. وجعلُ الاستفهام بمعنى الأمر بجامع الطلب في كل منها.

.41

بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (41)

.42

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (42)

{فَأَخَذْنَاهُمْ}

أي فكذبوا رسلهم فانتقمنا منهم

{بِالْبَأْسَاءِ}

وهي الفقرُ والضِّيقُ في المعيشة.

{وَالضَّرَّاءِ}

وهي الأسقام والعلل العارضةُ للأجسام

{لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ}

يتذللون الله تعالى ويتوبون من كفرهم؛ من الضراعة، وهي الذلة والهيئة المنبئة عن الانقياد والطاعة. يقالُ: ضَرَع الرجل يَضْرع ضراعةً، خضع وَذَلَّ: فهو ضارعٌ وضَرِعٌ.

.43

فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (43)

{جَاءَهُمْ بَأْسُنَا}

أتاهم عذابنا.

.44

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44)

{فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ}

أي من النعمِ الكثيرة بدل البأساء والضراء، الزاماً للحجة واستدراجا لهم، وفي الحديث: (إذا رأيت الله يعطي العبد في الدنيا وهو مقيم على معاصيه فإنما هو استدراج) [رواه احمد والطبراني].

{مُبْلِسُونَ}

آيسون من النجاة والرحمة؛ من الإبلاس، وهو اليأس والقنوط. يقال: أبلس من رحمة الله أي يئس. أو مكتئبون متحسّرون.

.45

فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (45)

{فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ}

آخرُهم الذي يدْبرُهم. والدّابِرُ: التابعُ من خلف. يقال: دَبَرَ القوم يدبرهم دُبورا، إذا كان آخرهم في المجيء. والمراد أنهم استؤصلوا بالعذاب استئصالا.

.46

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (46)

{أَرَأَيْتُمْ}

أخبروهم.

{نُصَرِّفُ الْآيَاتِ}

نكررها على أنحاء مختلفة.

{ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ}

يُعرِضون عن الآيات مكذبين. يقال: صدف عن الشيء يَصدِف صَدْفا وصَدوفاً، إذا أعرض عنه. وأصدفه عن كذا: أماله عنه وصرفه. وأصله

صَدَفة الجبل؛ أي جانبه ومنقَطعه.

.47

قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ (47)

{بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً}

مفاجأة. أو ظاهرا عياناً.

.48

وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (48)

.49

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (49)

.50

قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (50)

{قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ}

اقترحوا على الرسول صلى الله عليه وسلم أشياء تعجيزا وتعنتاً!؟ فنزلت الآية. أي قل لهم لا أدَّعي أن عندي مقدورات الله فأتصرَّف فيها كيف أشاء! ولا أني أعلم الغيب فأخبركم بما سيكون! ولا أني مَلَك حتى لا آكل ولا أشرب ولا أتزوج! وما أنا إلا عبد لله يتبع ما أوحاه الله إليه؛ فكيف تقترحون على ما لا شأن لي به!.

{خَزَائِنُ اللَّهِ}

مرزوقاته أو مقدراته. والخزائنُ: جمع خِزانة، وهي ما يُخْزن فيه الشيء النفيس. وخَزْنُ الشيء: إحرازُه حيث لا تناله الأيدي.

.51

وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (51)

{وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ}

خَوِّف بالقرآن الذي أوحي إليك القوم الذين يخافون

{أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ}

غير منصورين ولا مشفوعا لهم. والمراد بهم عصاةُ المؤمنين، وقيل: المقرُّون بالبعث، سواء كانوا جازمين بأصله، أو مترددين في شفاعة الأنبياء أو في شفاعة الأصنام. وهو أمر من الله لرسوله بتذكيرهم وإنذارهم. وتنديدٌ بالمشركين الذين لا ينفع فيهم الوعظ والتذكير.

.52

وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (52)

{وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ}

ولا تبعد عنك ضعفاء المؤمنين الذين سارعوا إلى الإيمان بك، واستداموا على عبادة ربهم يبتغون بها وجهه الكريم، مثل: سلمان، وبلال، وصهيب، وعمار، وخَبَّاب؛ أملا في إسلام رؤساء المشركين وسادتهم الذين استنكفوا منهم وقالوا: لو طردت هؤلاء السُّقاط لجالسناك، بل اجعلهم جلساءك وأخصاءك فهم عند الله أفضل وأزكى؛ كما قال تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28) [الكهف].: ولم يقع منه صلى الله عليه وسلم طردٌ لهم، وإنما همَّ بإبعادهم وقت حضور هؤلاء السادة؛ لمصلحة أخرى، وهي التلطف لهم أملا في إسلامهم.

{بِالْغَدَاةِ} والغداه لغة: كالبُكرة، ما بين

صلاة الفجر وطلوع الشمس.

{وَالْعَشِيِّ} والعشي: آخر النهار. أو من الزوال إلى الغروب. والمراد بهما هنا جميع الأوقات.

{مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ}

لمّا قال المشركون في حق هؤلاء الضعفاء: إنهم ما قبلوا دينك ولازموك إلا لحاجتهم إلى المأكول والملبوس؛ قال تعالى إن كان الأمر كما زعموا فما يلزمك إلا اعتبار الظاهر، وحسابُهم على الباطن لا يتعدى إليك، كما أن حسابك لا يتعدى إليهم. وهو كقوله تعالى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الانعام:164]. وقوله {فَتَطْرُدَهُمْ} جواب لقوله {مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ}. وقولُه {فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ} جواب لقوله {وَلَا تَطْرُدِ} أي فتكون من الذين يضعون الشيء في غير موضعه.

.53

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (53)

{فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ}

جعلنا بعضهم فتنة لبعض؛ أي ابتلاء تظهر به حقائق أنفسهم غير مشوبة بالشوائب التي تلتبس بها عادة. فابتلينا الفقراءَ بالأغنياء، والأغنياء بالفقراء، وكلَّ فريق بضده.

.54

وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (54)

{مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ}

أي وهو جاهل بمقدار ما يستحق عليه من العقاب وما يفوته من الثواب. أو لإيثاره اللذة العاجلة على الآجلة.

.55

وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ (55)

.56

قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (56)

.57

قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ {57}

{مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ}

ليس في مقدرتي إنزال العذاب الذي استعجلتموه بقولكم: {فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ} [الانفال: 32]. وما الحُكم في ذلك إلا الله وحده، يتبع الحق والحكمة فيما يقدّره ويحكم به، وهو خير من يفصل بين الحق والباطل.

والاستعجالُ: المطالبة بالشيء قبل وقته.

{يقُصُّ الْحَقَّ}

من قص الأثر: تتبعه.

{خَيْرُ الْفَاصِلِينَ}

بين الحق والباطل بحكمه العدل.

.58

قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ {58}

.59

وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (59)

{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ}

جمع مِفْتَح –كمنبر–: وهو آلة الفتح، وتسمَّى المفتاح. أو جمع مَفْتِح –كمسجد–: وهو الخزانة التي تحفظ بها الأشياء. والغيب: ما استأثر الله بعلمه. أي وعنده المفاتيح التي يفتح بها الغيب، وهو مجاز عن علمه تعالى جمعَ المعلومات، ما غاب عنَّا وما لم يَغِب؛ لأن المفاتيح هي التي يتوصل بها إلى ما في الخزائن المستوثق منها بالإغلاق؛ فمن علِمَ كيف يفتح بها ويتوصل إلى ما فيها فهو عالِم. أو عنده خزائن الغيب، والمراد بها القدرة الكاملة على كل الممكنات، كما في قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ {21} [الحجر].

{إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}

إلاّ في علمه تعالى المحيط بجميع الأشياء إحاطة الكتاب بما فيه. أو الاّ في اللوح المحفوظ الذي خُطَ فيه بقلم القدرة أزلاً، ما كان وما سيكون. وهو بدل من {إِلَّا يَعْلَمُهَا} بدل كلّ على المعنى الأول، واشتمال على الثاني.

.60

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (60)

{وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ}

يَقْبِض أرواحكم إذا نمتم ليلا. وأصلُ التَّوفِّي: أخذ الشيء وافياً. ويقال: توفَّيت الشيء واستوفيته بمعنى: وهو كقوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ {42} [الزمر].

{وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ}

ما كسبتم فيه بجوارحكم من الخير والشر. والاجتراحُ: الاكتسابُ. يقال: جَرَح – من باب نفع – واجترح. أي اكتسب بيده أو رجله أو فمه. وتخصيصُ التوفي بالليل، والجَرْح بالنهار، باعتبار الغالب وإلا فقد يعكس الأمر.

.61

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (61)

{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ}

[راجع آية 18 من هذه السورة].

{وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً}

ملائكة يكتبون أعمالكم ويحفظونها؛ لتعرض على رؤوس الأشهاد. يوم الحساب، وهم: الكرام الكاتبون. وذلك من جملة القهر لعباده.

{لَا يُفَرِّطُونَ}

لا يتوانون. أو لا يقصرون.

.62

ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (62)

.63

قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (63)

{تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً}

معلنين الضراعة وَالذِّلة، ومسرّين في

.64

قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ (64)

.65

قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (65)

{أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا} يخلطكم فرقا مختلفة الأهواء، كل فرقة تتبع إماما، تختصمون وتشتبكون في ملاحم القتال [راجع آيه 9 من هذه السورة].

{شِيَعًا}

جمع شيعة، وهم الأتباع والأنصار. وكلُّ قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة.

{وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ}

يسلط بعضكم على بعض بالعذاب والقتل. والبأس: الشدة. وهذا ما ابتلى به الناس في سائر العصور.

{نُصَرِّفُ الْآيَاتِ} نكررها بأساليب مختلفة.

.66

وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (66)

{بِوَكِيلٍ}

بحفيظ وكل إلى أمركم فأجازيكم.

.67

لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (67)

.68

وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (68)

{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا}

أي استهزاء وطعنا فيها. وأصلُ الخَوض: العبور في الماء، ثم استعير للأخذ في الحديث فقيل: تخاوضوا في الحديث، أي أخذوا فيه. وأكثر ما يستعمل الخوض فيما كان على وجه اللعب والعبث. والخطاب لكل من يتأتى مخاطبته. أو للرسول والمراد أمته.

.69

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (69)

.70

وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (70)

{غَرَّتْهُمُ}

خدعتهم وأطمعتهم بالباطل.

{وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ}

أي وذكر الناس بالقرآن أو بالحساب مخافة أن تستلم نفس إلى الهلاك، أو حبس أو تُرتَهن أو تُفتضح، أو تُحرم الثواب بسبب كفرها وذنوبها؛ من البسْل بمعنى المَنع بالقهر، أو التحريم، أو الحبس والرهن، أو الاستسلام. ومنه: أسد باسلٌ؛ لمنعه فريسته من الإفلات. وشرابٌ بسيل، أي متروك، وهذا بسيل عليك، أي محرم.

{وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ} وإن تفتد تلك النفس بكل فداء لا يقبل منها ما تَفْتدي به.

والعدلُ: الفداء؛ وهو كقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ {91} [ال عمران].

{أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا}

أسْلِموا إلى الهلاك، أو بأحد المعاني السابقة لِلإبسالِ؛ بسبب أعمالهم القبيحة.

{حَمِيمٍ}

ماءٍ بالغٍ نهاية الحرارة، يَتَجَرْجر في بطونهم، وتتقطع به أمعاؤهم.

.71

قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (71)

{وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا}

أي نرجع إلى الشرك الذي كنا فيه: يقال لمن رُدَّ عن حاجته ولم يظفر بها: قد رُدَّ على عقبيه، مثل: رجَعَ القَهْقَري.

{كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ}

أي أن رُدُّ إلى الشرك رداً مثل الذي ذهبت به المَرَدةُ فألقته في المهامة والقفار، تائها ضالاً عن الجادة لايدري ما يَصْنع، له رُفقة تدعوه إلى الطريق المستقيم قائلة له: إئتنا؛ فلا يجيبهم. والكلامُ من باب التمثيل.

{أُمِرْنَا لِنُسْلِمَ}

أمرنا بأن نسلم ونخلص العبادة.

.72

وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (72)

.73

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (73)

{وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ}

أي وقضاؤُه المعروف بالحَقِّية كائن، حين يقول سبحانه لشيء من الأشياء {كن فيكون} ذلك الشيء ويَحدُث، و {يوم} خبر مقدم و {قَوْلُه} مبتدأ مؤخَّر و {الحقُّ} صفته.

{فِي الصُّورِ}

هو قَرْن ينفخ فيه الملك نفخَةَ الصَّعق والموت، ونفخة البعث والنشور، والله أعلم بحقيقته. أي واستقر الملكُ لله تعالى وحده في ذلك اليوم، فلا مُلك لسواه { ... وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (19) [الانفطار].

.74

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (74)

{آزَرَ}

لقب لأبي إبراهيم عليه السلام المسمى تارخ، أو هو آسم آخر له.

{أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً}

جمع صنم، وهو والمثالُ والوَثَن بمعنى، وهو الذي يتخذ من حجر أو خشب أو معدن على صورة إنسان. أي تتخذُها آلهة تعبدها من دون الله الذي خلقك ورزقك! وهي لاتنفع ولا تضر، ولا تستحق الألوهية؛ بل هي مما تصنعون بأيديكم.

.75

وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75)

{وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ}

أي كما أريناه الحقَّ في خلاف ما عليه قومُه من الشرك نريه ربوبيته تعالى، ومالكيَّته للسماوات والأرض؛ والملكوت: الملك العظيم؛ مصدرٌ زيدت فيه الواو والتاء للمبالغة في الصفة؛ كالرحَمُوت من الرّحمة. وهو مختص بمُلكه تعالى: كما ذكره الراغب.

.76

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76)

{جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ}

ستره الليل وتغشاهُ بظلمته، وأصلُ الجَنّ: السَّتر عن الحاسة. يقال: جنَّه الليل وجن عليه يَجُن جنًّا وجنونا، وأجَنَّه وأجَنَّ عليه إجناناً؛ ومنه الجن والجنّة – بالكسر– والجُنة – بالضم – وهي

ما يَتَّقي به المحارب ضرب قِرنه، والجَنة – بالفتح – وهي البستان الذي يستر بأشجاره الأرض.

{قَالَ هَذَا رَبِّي}

قال هذا على سبيل الفَرْض وإرخاء العِنان، مجاراةً مع عُبّاد الأصنام والكواكب؛ ليَكُرّ عليه بالابطال، ويثبت أن الرب لا يجوز عليه التغيير والانتقال، وكذا يقال فيما بعده.

{فلَمَّا أَفَلَ}

غاب وغرب. يقال: أفلَ الشيء يأفِلُ أفلا وأُفولا، غاب.

{قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ}

أي لا أعبد الأرباب أو لا أحب عبادة المنتقلين من حال إلى حال، ومن مكان إلى مكان.

.77

فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77)

{رأَى الْقَمَرَ بَازِغًا}

مبتدئاً في الطلوع منتشر الضوء: من البزوغ وهو الطلوع والظهور. يقال: بَزَغ الناب بزوغا إذا طلع.

.78

فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78)

.79

إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79)

{لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}

أي للذي أوجدهما وأنشأهُما على غير مثال سابق.

{حَنِيفًا}

مائلا عن الأديان الباطلة، والعقائد الزائغة كلها إلى الدين الحق.

.80

وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (80)

{وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ}

خاصموه في التوحيد.

{إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا}

أي إلا وقت مشيئة ربي شيئا من المكروه يصيبني من جهتها. والاستثناء متصلٌ بتقدير الوقت.

.81

وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81)

{سُلْطَانًا}

حُجَّة وبرهانا.

{فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ}

أي فأي الفريقين حقيق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة: الذي عَبدَ من بيده النَّفع والضر، أم الذي عَبَدَ مالا يضر ولا ينفع بلا دليل ولا برهان!؟

.82

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82)

{وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}

لم يخلطوا: إيمانهم بشرك كما يفعل المشركون حيث يزعمون أنهم مؤمنون بالله، وأن عبادتهم لغيره من تتمات إيمانهم وأحكامه، لكونها لأجل التقريب والشفاعة.

.83

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83)

.84

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84)

.85

وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (85)

{وَإِلْيَاسَ}

هو من أسباط هارون أخي موسى بن عمران عليهم السلام.

.86

وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86)

.87

وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (87)

{وَاجْتَبَيْنَاهُمْ}

اصطفيناهم للنبوة.

.88

ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (88)

{لَحَبِطَ عَنْهُمْ}

أي لبطل وسقط عنهم. يقال: حَبِط العمل–كسمع وضرب – حَبْطا وحبوطاً، بَطَل.

.89

أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ {89)

{وَالْحُكْمَ}

أي القضاء بين الناس بالحق. أو الحكمة، وهي علمُ الكتاب ومعرفة ما فيه من الأحكام أو الإصابة في القول والعمل.

{فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا}

أي بهذه الثلاثة [الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ]

{هَؤُلَاءِ}

أي أهل مكة

{فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا}

أي أعددنا ووفقنا للإيمان بها والقيام بحقوقها

{قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ}

وهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

.90

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ (90)

{فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}

أي بطريقهم من الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين اقْتَد؛ دون فروع الشرائع القابلة للنسخ فإنهم يختلفون فيها، فلا يمكن الاقتداء بهم فيها، والهاء للسكت.

.91

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (91)

{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}

ما عظّمُوا الله حق تعظيمه، أو ما عرفوه سبحانه حق معرفته، أي معرفته الحق في اللطف بعباده والرحمة بهم، ولم يراعوا حقوقه تعالى في ذلك، بل أخلوا بها إخلالاً عظيماً، إذ أنكروا بعثة الرسل وإنزال الكتب. ومرادهم بذلك: الطعن في رسالته صلى الله عليه وسلم. يقال: قَدَرَه يَقْدُرُه – من باب نَصَر – عظّمه. وأصل القَدْر: معرفه المقدار بالسَّبر والحَزر: يقال: قَدَرَ الشيء يقْدُرُه، إذا سبَرهُ وحَزَره ليعرف مقداره؛ ثم استعمل في معرفة الشيء على أتم الوجوه، حتى صار حقيقة فيه.

{تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ}

أي أوراقا مكتوبة مفرقة لتتمكنوا من إبداء ما تريدون إبداءه منها، وإخفاء الكثير منها، ومنه نعوت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم. والقرطاس: ما يُكتب فيه.

{قُلِ اللَّهُ}

أي قل: الله تعالى أنزله. أو أنزله الله: إن لم يجيبوك بأنه تعالى هو الذي أنزل التوراة.

{خَوْضِهِمْ}

باطلهم.

.92

وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (92)

{مُبَارَكٌ}

القرآن

{أُمَّ الْقُرَى}

مكة والمراد أهلها؛ وسميت بذلك لأنها قبلة أهل القرى ومحَجهم.

{وَمَنْ حَوْلَهَا}

من أهل المشارق والمغارب؛ لعموم بعثته صلى الله عليه وسلم للناس كافة.

.93

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (93)

{وَلَوْ تَرَى} وجواب {لو} مقدر؛ أي لرأيتَ أمرا فظيعاً هائلا.

{فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ}

شدائده وسكراته. جمع غمرة، وهي الشدة. وأصلها الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها. يقال: غمَرَهُ الماء – كنصر – إذا علاه وستره، ثم استعمل في الشدائد والمكاره.

{أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ}

أي قائلين لهم أخرجوا أرواحكم، وهو كناية عن العنف في السياق والإلحاح، والتشديد في الإزهاق من غير تنفيس وإمهال. وجواب

{عَذَابَ الْهُونِ}

أي الهوان والذُل.

.94

وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (94)

{وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ}

أي ما أعطيناكم وملكناكم في الدنيا من الأولاد والأموال والخدم، وجئتمونا فرادى. والخول: ما أعطاه الله من النَعم. يقال: خوّله الشئ تخويلاً، ملّكه اياه ومكّنه منه ومنه التخَول بمعنى التعهد.

{لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ}

لقد تقطع الاتصال الذي كان بينكم في الدنيا واضمحل، ففاعل {تقطّع} ضمير يعود على الاتصال المدلول عليه بلفظ {شركاء} و {بينكم} منصوب على الظرفية، وقرئ بالرفع، أي لقد تقطع وصلُكم. و {بَيْن} مصدرٌ يستعمل في الوصل وفي الفراق بالاشتراك؛ كالجَوْن للأسود والأبيض، والمراد الأول.

.95

إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (95)

{إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى}

شروع في ذكر دلائل كمال القدرة والعلم والحكمة، بعد تقرير دلائل التوحيد والنبوة.

{فالق}

أي شاق، يشُّق الحبة اليابسة كالحنطة فيخرج منها النبات الأخضر النامي، ويشُّق النواة اليابسة فيخرج منها النخلة والشجرة النامية.

{يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ}

أي يُخرج ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو كالنُّطفة والحبة

{وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ}

أي كالنطفة والبيضة من الحيوان. وهو معطوف على {فالِقُ}.

{فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ}

فكيف تصرفون عن عبادته، وتُشركون به مالا يقدر على شيء من فعله [آية 75 المائدة].

.96

فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (96)

{فالِقُ الْإِصْبَاحِ}

الإصباحُ: مصدرٌ سُميَّ به الصُّبح، أي شاق ظلمة الصبح – وهي الغَبش في آخر الليل الذي يلي الفجر المستطيل الكاذب – عن بياض النهار، فيضيء الوجود ويضمحل الظلام، ويذهب الليل بسواده ويجيء النهار بضيائه.

{وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا}

يَسكن إليه من يتعب بالنهار ويستأنس به لإسترواحه فيه.

{وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا}

أي يجريان في الفلك بحساب مقدر معلوم، لا يتغير ولا يضطرب حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما، بحيث تُتِم الشمس دورتها في سنة، ويُتِم القمر دورته في شهر، وبذلك تنتظم المصالح المتعلقة بالفصول الأربعة وغيرها.

{حُسْبَانًا} والحُسبانُ: مصدرُ حَسِبت المال حَسْبا – من باب قتل– أحصيته عددا.

.97

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (97)

.98

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (98)

{أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ}

من آدم عليه السلام وهو تذكير بنعمة أخرى؛ فإن رجوع الناس جميعا إلى أصل واحد أدعى إلى التواد والتراحم.

{فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ}

فلكم موضع استقرار في الأرحام، وموضع استيداع في الأصلاب. وقريءَ {مستقِر} بكسر القاف أي فمنكم مستَقِرٌ في الأرحام.

.99

وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (99)

{فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا}

أي أخرجنا من النبات الذي لا ساق له نباتاً غضا أخضرَ، وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة.

وخَضِر بمعنى أخضر، اسم فاعل. يقال: خَضِر الزرع – من باب فرح– واخضَرَّ، فهو خضِر وأخضر.

{نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا}

ه أي سنابل فيها الحب يركب بعضُه بعضاً؛ كما في الحنطة والشعير وسائر الحبوب. يقال: رَكِبه –كسمعه – ركوبا ومركباً،

علاه، كارتكبه.

{وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ}

ومن طلع النَّخل قنوانٌ دانية.

{طَلْعِهَا} والطَّلع أول ما يبدو ويخرج من ثمر النخل كالكيزان. وقِشره يسمى الكُفُرّي، وما في داخله يُسمى الإغريض لبياضه.

{قِنْوَانٌ} والقِنوان: العراجين، جمع قِنو وهو العِذْق، وهو للتمر بمنزلة العُنقود للعنب.

و {دَانِيَةٌ}

أي متدلية، أو قريبة من يد المتناول.

{وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ}

عطف على {نبات} أي وأخرجنا به جناتٍ كائنةً من أعناب.

{مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ}

أي بعضه متشابه، وبعضه غير متشابه في الهيئة واللون والطعم وغير ذلك، مما يدل على كمال قدرة الصانع! كما قال تعالى: {يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ} [الرعد:4].

{وَيَنْعِهِ}

أي وانظروا إلى حال نُضجه وإدراكه نظر استدلال واستبصار؛ كيف يعود شيئا قويا بعد الضَعف، جامعاً لمنافعَ شتَّى. مصدرُ يَنَعت الثمرة كأينعت، تَينَع وتَينِع يَنْعاً ويُنُوعاً. إذا نَضِجت.

.100

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (100)

{وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ}

شروع في بيان جحودهم في معاملة خالقهم، بعد أن مَنَّ عليهم بالإيجاد وبما يحتاجون إليه في المعاش. أي وجعلوا الجن شركاء الله تعالى في الألوهية والعبادة، وقد خلقهم من العدم؛ فكيف والمراد بهم الملائكة حيث عبدوهم وقالوا: هن بنات الله، وأطلق عليهم جن لاستتارهم. أو المراد الشياطين؛ حيث أطاعوهم في عبادة غير الله تعالى من الأصنام والطواغيت.

{وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ}

واختلقُوا وافترَوْا له سبحانه بنين وبنات! يقال: خرق الكذب يَخْرِقُه، صنعَه. وأصلُ الخَرْق: قطعُ الشئ على سبيل الفساد من غير تدبُّر وتفكُّر؛ وذلك كما افترى بعض أهل الكتاب أن عُزيراً ابن الله، وأن المسيحَ ابنُ الله.

فالمشركون واليهود والنصارى سواء في الافتراء على الله بغير علم؛ سبحانه وتعالى عما يصفون!

.101

بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (101)

{بَدِيعُ .. }

مبدع ومخترع.

{أَنَّى يَكُونُ}

كيف أو من أين يكون؟

.102

ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (102)

{وَكِيلٌ}

رقيب ومتولٍّ.

.103

لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103)

{لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}

لا تحيط بعظمته وجلاله على ما هو عليه أبصارُ الخلائق في الدنيا والآخرة، أولا تدركه الأبصار إدراك إحاطة بكُنْهه وحقيقته؛ فإن ذلك محال. والإدراك بهذا المعنى أخص من الرؤية التي هي مجرد المعاينة، فنفيُه لا يقتضي نفي الرؤية؛ إذ نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم. فأنت ترى القمر ولا تدرك حقيقته، ولذلك أثبت أهل السنة رؤية المؤمنين له تعالى في الآخرة، كما قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23) [القيامة] وذهب بعض السلف إلى أن الآية مخصوصة بالدنيا.

{وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ}

أي وهو يدرك القوة

التي تدرك بها المبصرات ويحيط بها علماً، إذ هو خالق القُوى والحواس.

.104

قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (104)

{قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ}

هي آيات القرآن وحُجَجُه التي يهتدون بها إلى الحق، جمعُ بصيرة، وهي للقلب بمنزلة البصر للعين، فهي النور الذي يَبْصُر به القلب، كما أن البصر هو النور الذي تبصر به العين. وإطلاق البصائر على هذه الآيات من إطلاق اسم المسبب على السبب.

{وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ}

برقيب أحصي عليكم أعمالكم، وإنما الله هو الذي يحصيها عليكم ويجازيكم عليها.

.105

وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (105)

{وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ}

أي وكما فصّلنا الآيات الدالة على التوحيد في هذه السورة تفصيلا بديعا مُحكماً، نفصل الآيات ونبيّنها في كل موطن تلزمهم الحجة.

{وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ}

أي قرأت الكتب على أهل الكتاب، ثم جئتنا تزعم أنه من عند الله. يقال: درس الكتاب، إذا أكثر قراءته وذلك للحفظ. وأصله من دَرَس الحِنْطة يدرسها دَرْسا ودِراساً، إذا داسها، كأن التالي يدوس الكلام فَيَخِف على لسانه. وقرئ {دارسْت}

أي قارأت أهل الكتاب؛ من المدارسة بين الاثنين، أي قرأت عليهم وقرأوا عليك.

.106

اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (106)

{وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}

لاتعتدَّ بأقوالهم الباطلة، التي من جملتها ما حُكي عنهم آنفا، ولا تُبالِ بها.

.107

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (107)

.108

وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (108)

{وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ ... }

السَّبُّ: الشتم الوجيع، وذكرُ المساوي لمجرد التحقير والإهانة.

{عَدْوًا}

اعتداء وظلماً. والعَدْو: الاعتداء والتجاوز عن الحق إلى الباطل، نُهُوا عن سب الأوثان ولعنها قبل الأمر بالقتال – كما قاله الزجاج وابن الأنباري – ثم نُسخ بآية القتال حين قوى المسلمون.

.109

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (109)

{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ}

أبلغ ما في وسعهم في تغليظ الحلف [21، 53 المائدة].

{قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ}

أعلمهم بأن مرجع الآيات كلها إلى حُكمه تعالى خاصة، يقضي فيها حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة، لا قدرةَ لأحد عليها، فكيف أتصدَّى لاستدعاء إنزالها؛ وأمرُها لله وحده.

{وَمَا يُشْعِرُكُمْ}

أي وما يدريكم ايها المؤمنون الراغبون

في إنزالها طمعا في إسلامهم.

{أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ}

أي أنا أعلم أنهم لا يؤمنون وأنتم لا تعلمون ذلك؛ ولذا توقعتم إيمانهم، ورَغبتم في نزولها. فالاستفهام في معنى النفي، وهو اخبار عنهم بعدم العلم لا إنكار عليهم. وقيل: {أنَّ} – بالفتح – بمعنى لعل، أي وما يدريكم حالهم عند مجيء الآيات، لعلها إذا جاءت لا يؤمنون، فما لكم تتمنَّونَ مجيئها!

.110

وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (110)

{وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ}

وندعُهم في تجاوزهم الحد في العصيان يترددون متحيّرين {آية 15 البقرة].

{يَعْمَهُونَ}

يعمون عن الرشد أو يتحيرون.

.111

وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (111)

{وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا}

ولو آننا آتيناهم ما اقترحوا فنزّلنا إليهم الملائكة، وأحيينا لهم الموتى يشهدون عيانا بصدقك، وزدنا على ذلك فجمعنا لهم جميع الخلائق مقابلة ومعاينة حتى يواجهوهم، يشهدون لك بالرسالة، أو كفلاء بصدقك – ما استقام لهم الإيمان؛ لسوء استعدادهم وفساد فِطَرهم.

{وَحَشَرْنَا}

والحشرُ: الجمعُ، وفعله من باب قتل.

و {قُبُلًا}

– بضمتين – بمعنى مواجهة ومعاينة. تقول: لقيته قُبُلًا ومقابلة وقبيلاً، أي مواجهة، وهو بمعنى قِبلاً في القراءة الأخرى. وقيل: جمع قبيل بمعني كفيل، أو بمعنى جماعةً جماعةً، أو صنفاً صنفاً.

.112

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (112)

{شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ}

مردةَ النَوعين. والشيطانُ: كلُ عاتٍ متمردٍ من الإنس والجن. أي جعلنا لكل نبيٍّ أعداء من شياطين الإنس والجن، يُسّرُ بعضهم إلى بعض ما يَفتِنون به المؤمنين الصالحين، ويزينون لهم الباطل والمعاصي ليغروهم ويخدعوهم.

{زُخْرُفَ الْقَوْلِ} وزُخرُفُ القول: باطله الذي زُيّن ومُوِه بالكذب. وأصلُ الزخرف: الزينة المزوقة؛ ومنه قيل للذهب: زخرف، ولكل شيء حسن مُمْوّه زخرف.

{غُرُورًا} والغُرور: الخداع والأخذ على غرة.

.113

وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ (113)

{وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ}

ولتميل إلى هذا الزخرف الباطل قلوب الكافرين، معطوف على {غروراً} المنصوب على أنه مفعول له. وأصل الصَّغْو: الميل. يقال: صغا يصغو ويَصغى صَغواً، وصغيَ يصغى صُغِيا، مال. وأصغى إليه: مال بسمعه. وأصغى الإناء: أماله.

{وَلِيَقْتَرِفُوا}

وليكتسبوا من الأعمال الخبيثة ماهم مكتسبون. وأصل القَرف والاقتراف: قَشْرُ اللحاء عن الشجر، والجلدة عن الجرح. واستعير الاقتراف للاكتساب مطلقا، ولكنه في الإساءة أكثر، فيقال: قرفته بكذا، إذا عِبته به واتَّهَمْتَه. قال أبو حيان: ترتيب هذه المفاعيل في غاية الفصاحة، لأنه أولا يكون الخداع فيكون الميل فيكون الرضا فيكون الاقتراف، فكلُّ واحد مسَّبب عما قبله.

.114

أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (114)

{فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}

أي من الشاكين في: أن أهل الكتاب يعلمون أن القرآن مُنزل من عند ربك بالحق. وقيل: الخطابُ لكل من يتاتى منه الامتراء. أو للرسول صلى الله عليه وسلم والمقصود أمتُه.

.115

وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {115)

{وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ}

أي كمُل كلامه تعالى – وهو القرآن – وبلغ الغاية؛ صادقا في أخباره، عادلاً في أحكامه.

{لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ}

لا مُغَيّر لها بِخُلْف في الأخبار، أو نقض في الأحكام، أو تحريف أو تبديل؛ وهذا ضمان من الله تعالى لكتابه بالحفظ.

.116

وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (116)

{وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ}

الخطاب له صلى الله عليه وسلم ولأمته، وقيل له، والمرادُ أمَتُه.

{وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ}

أي يكذبون، أي أن شاهم الكذب، فهم مستمرون عليه مع ماهم عليه من اتباع الظن في شأن خالقهم ومن ذلك تحريم الحلال وتحليل الحرام. وأصل الخَرص: القول بالظن. يقال: خَرَصت النخل خرصاً – من باب قتل – حزَرْت ثمره وقدرته بالظن والتخمين. واستعمل في الكذب لما يداخله من الظنون الكاذبة، فيقال: خرص في قوله – كنصر – أي كذب.

.117

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (117)

.118

فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (118)

{فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}

لما قال المشركون: أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربُّكم! نزلت الآية. والخطاب للمسلمين، أي كلوا مما ذُكر على ذبحه اسم الله خاصَّة، دون ما ذكر عليه اسمُ غيره كالأوثان، أو ما ذُبح على النصُب، أو اسم مع اسمه تعالى، أو مات حَتف أنفه، كما قال تعالى {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (121) [الانعام]}.

.119

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (119)

{وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ}

وقد بيّن لكم ما حرّمه عليكم من المطعومات؛ إلا ما دعتكم إليه الضرورةُ بوحْي غير مَتْلُو، أو بقوله تعالى: {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ... } [الانعام 145]. والتأخر في التلاوة لا يوجب التأخر في النزول.

.120

وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (120)

{وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ}

اتركوا جميع المعاصي سِرها

وعلانيتها، أو ما كان منها بالجوارح وما كان بالقلوب.

{يَقْتَرِفُونَ}

يكتسبون من الإثم أياً كان.

.121

وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (121)

{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}

نُهُوا عن أكل الميتات بأنواعها، وما أهلَّ به لغير الله من ذبائح المشركين، وما ذبح على النُصب ونحوه، وما ذكر عليه اسم مع اسمه تعالى. أما ذبائح المسلمين وذبائح أهل الكتاب إذا ذكروا عليها اسم الله فحلال. وتقدم الخلاف في ذبائح أهل الكتاب إذا ذكروا عليها اسم عُزَير أو المسيح في تفسير آيتي البقرة والمائدة [آيه 173 البقره وآيه 3 المائده].

{وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ}

وإنّ أكل ذلك لخروج عن طاعة الله. وقد اختلف الأئمة في ذبيحة المسلم إذا لم يذكر اسم الله عليها؛ فذهب قوم إلى تحريمها، سواء تركها عمدا أو سهوا. وذهب قوم إلى حلها. وآخرون إلى حلها إن تُركت التسميةُ سهوا، وإلى حُرمتها إن تركت عمدا. والمذاهب والأدلة مبسوطة في الفقه.

.122

أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (122)

{أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ}

أي أأنتم مثلهم، ومن كان ميتا فأعطيناه الحياة وجعلنا له نورا عظيما يمشي به فيما بين الناس آمنا، كمن مَثلُه في الظلمات ليس بخارج منها. وهو تمثيل للمؤمن والكافر لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين؛ فمثل المؤمن المهتدي كمن كان ميتاً هالكاً فأحياه الله، وأعطاه نورا يستضيء به في مصالحه، ويهتدي به إلى طرقه. ومثل الكافر الضالّ كمن هو منغمس في الظلمات لاخلاص له منها فهو على الدوام متحير لا يهتدي، فكيف يستويان!؟ والنُّور: هو القرآن أو الإسلام. والظلمات: ظلمة الكفر، وظلمة الجهل، وظلمة عَمَى البصيرة؛ وهو كقوله تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (19) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (20) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (21) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (22) [فاطر].

.123

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (123)

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ}

أي وكما جعلنا في قريتك رؤساء دعاةً إلى الكفر والى عداوتك جعلنا في كل قرية من قرى الرسل من قبلك رؤساء من المجرمين مثلهم؛ يمكروا فيها ويتجبروا على الناس، ثم كانت

العاقبة للرسل. والأكابِرُ: جمعُ أكبر، وهم الرؤساء والعظماء. والمجرمون: جمعُ مُجرم؛ من أجرم إذا اكتسب أمراً مكروهاً، ومنه الجرم والجريمة؛ للذنب والاثم.

.124

وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (124)

{صَغَارٌ}

ذِلٌّ وهوان: بعد استكبارهم. يقال: صَغِر يَصْغر وصَغارا فهو صاغر، إذا ذل وهان.

.125

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (125)

{فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ}

أي فمن يُرد الله أن يَهديه للإسلام ويوفقه له يوسع صدره لقبوله، ويستهله له بفضله وإحسانه. ومن يرد أن يُضله يُصيّر صدره ضيِّقا متزايد الضيق، لا منفذ فيه للإسلام كانما إذا دُعيَ إليه قد كُلف الصعود إلى السماء وهو لا يستطيعه بحال. وشرح الصدر: توسعه، يقال: شرح الله صدره فانشرح، أي وسعه فاتسع.

{حَرَجًا}

شديد الضيق. والحَرَج: مصدر حَرج صدرُه حَرَجا فهو حرِج، أي ضاق ضيقا شديدا. وصِفَ به الضِّيق للمبالغة، كأنه نفس الضِّيق. وأصلُ الحَرَج: مجتمع الشيء، ويقال للغَيْضة الملتفة – الأشجار التي يصعب دخولها:. حَرَجة.

{يَصَّعَّدُ}

أي يَتَصعدّ، بمعنى يتكلف الصعود فلا يستطيعه.

{كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ}

أي مثل جعلَ صدره ضيقا حرجا يجعل الله العذاب على الكافرين، وأصلُ الرجس: النتْنُ والقذَر أو المأثم، أو العمل المؤدّي إلى العذاب. [المائدة:90].

.126

وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (126)

.127

لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (127)

{وَهُوَ وَلِيُّهُمْ ... }

متولي إيصال الخير إليهم. أو مواليهم أو ناصرُهم؛ بسبب أعمالهم الصالحة.

.128

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (128)

{يَامَعْشَرَ الْجِنِّ}

المَعْشر: الجماعة أمرهم واحد. والمراد بالجن هنا: الشياطين.

{اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ}

أكثرتم من دعوتهم للضلال والغواية. أي ويقال لهم في ذلك اليوم: قد أكثرتم من إغوائكم الإنس وإضلالكم اياهم. أو أكثرتم منهم بأن جعلتموهم أتباعكم.

{رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ}

أي انتفع الإنس بالجن؛ حيث دلُوهم على المفاسد وما يوصّل إليها. والجِنُ بالإنس؛ حيث أطاعوهم وانقادوا إليهم فصاروا كالأتباع لهم. والمراد بهم الكفارُ.

{النَّارُ مَثْوَاكُمْ}

مأواكم ومستقركم ومقامكم.

{إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ}

الأرجح أن المراد بهذا الاستثناء وبنظائره في آيات أخر المبالغة في الخلود. أي أنه لا ينتفي في وقت ما إلا وقت مشيئته تعالى، وهو تعالى لا يشاء

ذلك؛ فقد أخبر أن هؤلاء الكفار لا يخرجون من النار أبدا. وفي ايراد المعنى في هذه الصورة بيان أن مرد الأمور كلها إلى مشيئته تعالى، وأن خلودهم إنما كان بمحض المشيئة، ولو شاء الله عدمه لم يخلدوا. وفيه تنكيل آخر بهم، وهو إبقاؤهم في حيرة دائمة وتردد، بين الطمع في الخروج واليأس منه.

.129

وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (129)

.130

يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (130)

{وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ}

خدعتهم بهرجها.

.131

ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (131)

{ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ}

أي إتيان الرسل و إنذارُهم ثابت؛ لأنه لم يكن ربك مهلك أهل القرى بسبب أي ظلم فعلوه قبل أن ينَّبهوا إلى بطلانه وينهوا عنه، قال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (24) [فاطر] وقال: { ... وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (15) [الاسراء].

.132

وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (132)

.133

وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ (133)

.134

إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (134)

{وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ}

أي بجاعِليه عاجزا عنكم، غير قادر على إدراككم؛ من أعجزه بمعنى جعله عاجزا. أو بفائِتين العذاب؛ من أعجزه الأمر، إذا فاته.

.135

قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (135)

{اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ}

أي على غاية تمكنكم من أمركم، وأقصى استطاعتكم. مصدرُ مَكُن – ككرم – مكانة، إذا تمكن أبلغ التمكن. والأمر للتَّهديد والوعيد.

.136

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (136)

{وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ}

شروع في ذكر أحكام لهم فاسدة درجوا عليها في الجاهلية، فقد كانوا يجعلون من زروعهم وأنعامهم وسائر أموالهم نصيباً لله، ونصيباً لأوثانهم؛ فيشركونها في أموالهم. فما كان لله صرفوه إلى الضِيفان والمساكين، وما كان للأوثان أنفقوه عليها وعلى

سَدَنتها. فإذا رأوا ما جعلوه لله أزكى بدلوه بما للأوثان، وإذا – رأوا ما جعلوا للأوثان أزكى تركوه لها، فنزلت الآية.

{ذرأَ}

بمعنى خلق. يقال: ذرأ الله الخلق يَذرَؤُهم ذرءاً، أي خلقهم وأوجدهم. وقيل: الذَّرء الخلقُ على وجه الاختراع.

{الْحَرْثِ}

الزرع.

{وَالْأَنْعَامِ}

الإبل والبقر والضأن والمعز.

.137

وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ({137}

{وَكَذَلِكَ زَيَّنَ}

أي ومثل ذلك التزيين في قسمة – الأموال بَيْن الله والأوثان، زيَّن لهم شركاؤهم من الشياطين أو السَّدَنَة قتل بناتهم خشية العَيْلة أو العار، فأطاعوهم فيما أمروهم به من المعصية. وسمُّوا شركاء لأنهم أشركوهم مع الله في أموالهم أو في الطاعة لهم.

{قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ}

وأد البنات الصغار أحياء.

{لِيُرْدُوهُمْ}

ليهلكوهم بالإغواء؛ مِن الرَّدى وهو الهلاك. يقال: رَدِيَ –كَرَضِيَ – هلك.

{وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ}

ليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل عليه السلام حتى زلُّوا عنه إلى الشرك، من اللَّبس، وهو الخلط بين الأشياء التي يُشبه بعضُها بعضا [آية 9 من هذه السورة].

{يَفْتَرُونَ}

يختلقونه من الكذب.

.138

وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (138)

{هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ}

أي ما جعلوه لآلهتهم أنعام وحرث محجورة، أي ممنوعة محرمة لا يَطعَمها إلا الرجال دون النساء، وأنعامٌ حُرِّمت ظهورها فلا تُركب ولا يُحمل عليها، وهي البحائر والسوائب والوصائل والحوامي، وأنعامٌ ذُبحت للأصنام فيذكرون عليها عند الذبح أسماء أصنامهم دون اسم الله تعالى.

.139

وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (139)

{مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ ... }

أرادوا أجنة البحائر والسوائب المحرمة، فزعموا أن ما ولد منها حياً فهو حلال للرجال و محرمٌ على النساء، وما ولد ميتاً اشترك في أكله الرجال والنساء. وهذا نوع آخر من جهالاتهم.

{وَصْفَهُمْ}

كذبهم على الله بالتحليل والتحريم.

.140

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (140)

.141

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (141)

{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ}

أي الله عز شأنه هو الذي أبدع هذه الجنّات والثمار والزروع، المختلفة الأنواع والأشكال والروائح والطعوم والألوان، التي ينتفع بها الإنسان والحيوان؛ وليس لأحد من خلقه في ذلك شَرِكَة أو تأثير، فكيف يشركون معه غيره؟ أو يتصرفون فيما خلقه لهم بالتحليل والتحريم؟ والقِسْمة بين الله وآلهتهم الباطلة افتراء على الله؟

{مَعْرُوشَاتٍ}

وهي ما انبسط على وجه الأرض وانتشر، مما يحتاج إلى أن يتخذ له عريش يُحْمل عليه؛ كالكرم والبطيخ والقرع، جمعُ معروش. والعَرشُ: عيدان تُصنع كهيئة السقف فتُمسكه.

{وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ}

وهو ما قام على ساق واستغني باستوائه وقوة ساقه عن التعريش؛ كالنخل والشجر.

{مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ}

أي ثمره الذي يؤكل منه، في الهيئة والطعم.

{مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ}

أي متشابها في المنظر، وغير متشابه في المَطْعم. أو متشابها بعض أفرادهما في اللون أو الطعم أو الهيئة. وغير متشابه في بعضها.

{وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ}

أدُّوا زكاته المفروضة يوم قطعه وجذاذه. وهذه الآية مدنية وإن كانت السورة مكية.

.142

وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (142)

{وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً}

أي وأنشأ لكم من الأنعام حَمُولة. وهي الكبار الصالحة للحمل

{وَفَرْشًا}

وهي صغارها الدانية من الأرض؛ مثل الفرش المفروش عليها.

{وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ}

لا تسلكوا طُرُقه في التحريم والتحليل: كأهل الجاهلية افتراء على الله. جمع خُطوة، وأصلها ما بين قدمي الماشي. أريد بها ما ذكر مجازا.

.143

ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (143)

{ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ}

بدل من {حمولة وفرشاً}

أي ثمانية أصناف: أربعة ذكور من الإبل والبقر والضأن والمعز. وأربعة إناث كذلك خلقها الله لتنتفعوا بها أكلا وركوبا وحملا وحلباً وغير ذلك، ولم يحرم شيئا منها ولا من أولادها؛ فمن الافتراء على الله تحريم ما لم يحرمه.

.144

وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (144)

{وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا}

أمركم الله بهذا التحريم.

.145

قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (145)

{قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ ... }

قل لهم: قد تتبعت ما أوحيَ إليَّ إلى الآن فلم أجد من المطاعم المحرمة إلا هذه الأربعة، وليس فيها ما زعمتم من المحرمات: كالبحائر والسوائب ونحوها. والحَصر حقيقي بالنسبة لما نزل تحريمه. وقد وردت السنة بعد نزول هذه الآية بتحريم لحوم

الحُمُر الأهلية. وكل ذي ناب: من السباع ومِخلَب من الطير. وقيل: الحصر إضافي بالنسبة لما زعموه من تحريم البحائر والسوائب؛ أي إنما حرم هذه الأربعة دون ما يزعمون من ذلك. فلا ينافي تحريم غيرها مما ذكر.

{عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ}

أي على أيّ آكل يأكله.

{دَمًا مَسْفُوحًا}

سائلا مهراقا.

{فَإِنَّهُ رِجْسٌ}

أي فإن لحم الخنزير نتنٌ قذر. أو نجسٌ أو خبيثٌ مخبث.

{أَوْ فِسْقًا}

عطف على {لحم}. وسُمّيَ فسقا لتوغله في الخروج عن الطاعة.

{أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ}

أي ذبح على غَير اسم الله تعالى.

{فَمَنِ اضْطُرَّ}

{البقرة:3،المائدة:173].

{غَيْرَ بَاغٍ}

غير طالب للمحرم للذة، أو استئثار.

{وَلَا عَادٍ}

ولا متجاوز ما يسد الرمق.

.146

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (146)

{وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا}

حرم الله على اليهود خاصةً أشياء أخرى غيرَ هذه الأربعة بسبب بغيهم، فحرم عليهم {كُلَّ ذِي ظُفُرٍ} لحماً وشحماً. وهو ما لم يكن مشقوق الأصابع من بهيمةٍ أو طير، ويدخل فيه الإبل والنَّعام والبط والإوز. وحرم عليهم من شحوم البقر والغنم شحمَ الكليتين، والشحم الذي على الكَرِش. وأحل لهم:

1 – الشحم العالق بظهورهما، وقيل: العالق بالظهر والجنب من داخل بطونهما.

2 – ما حملته الحوايا من الشحوم وهي المباعر، أو المصارين؛ جمع حاوية أو حَوية أو حاوياء. وهي ما تَحوَّى من الأمعاء أي تجمَّع واستدار.

3 – ما اختلط بعظم، وهو شحم الألية المتصل بالعُصعص في الضأن

.147

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (147)

{وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ}

عذابه ونقمتُه؛ إذا جاء وقتُها المقدَّر في علمه سبحانه.

.148

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ {148}

{لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا}

احتج المشركون لما ارتكبوا من الشرك وتحريم ما حرَّموه، بأنه واقع بمشيئة الله تعالى: وزعموا أنه مادام كذلك فهو مَرضِيٌّ عنده؛ فرد الله عليهم بأنه لو كان مرضيًّا عنده لما أذاق أسلافهم المكذبين الذين قالوا لرسلهم الداعين إلى التوحيد مثل قولهم – عذابه

ونقمتَهُ، ولَمَا دمَّر عليهم وأدَال عليهم رسله. وبأنه لا حجة لهم على ما زعموا، وما يتبعون فيه إلا الاعتقاد الفاسد، والكذب الفاضح. كيف وقد بعث رسله جميعا إلى الخلق؛ بالدعوة إلى التوحيد، والتنديد بالشرك، وإنذار المشركين، وتخويفهم عذاب الله وبأسه الشديد. وهو نظير قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (35) [النحل] وقوله تعالى: {وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (20)

[الزخرف]. وقوله تعالى: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (7) [الزمر].

{تَخْرُصُونَ}

تكذبون على الله فيها ادعيتموه [آية 116 من هذه السورة].

.149

قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (149)

{الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ}

بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

{فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ}

فهو تعالى يهدي من هُدِيَ، ويُضِل من ضَلَّ؛ وكل من الهدى والضلال واقع بمشيئته تعالى، ولكنه لا يرضى لعباده الكفر، ولا يأمر بالفحشاء، ولذلك أرسل الرسل، وأنزل الكتب بأوامره ونواهيه: {مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (165) [النساء].

.150

قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (150)

{هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ}

أحضروهم للشهادة لكم. و {هَلُمَّ} كلمه دعوة إلى الشيء، وهي اسم فعل بمعنى أقبل، إذا كان لازما، وبمعنى احْضُر وائتِ، إذا كان متعديا كما هنا. يستوي فيه الواحد والمثنى والجمع، والمذكر والمؤنث في لغة الحجازيين.

{وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}

يجعلون له عديلا من مخلوقاته [آية 1 من هذه السورة].

.151

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151)

{تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ}

أخبركم بما نهاكم عنه ربكم، وبما أمركم به يقيناً لا ظناً ولا كذبا كما زعمتم. والأصل في كلمة {تعال} أن يقولها من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه، ثم اتسع فيها حتى عَمَّت. والمذكور في الآيتين خمسة محرمات بصيغ النَّهي،

وخمس واجبات بصيغ الأمر، وهي أحكام لا تختلف باختلاف الأمم والعصور. و {أنْ} في قوله: {أَلَّا تُشْرِكُوا} تفسيريَّة.

{وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}

أي وأحسنوا بهما إحسانا.

{وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ}

نُهوا عما كانوا يفعلونه من وأد البنات.

{مِنْ إِمْلَاقٍ}

أو من خشيته. والإملاق: الفقرُ، مصدر أملق: الرجل إملاقا، إذا افتقر واحتاج.

{وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ}

كبائر المعاصي عَلَنيَّها وسرها. جمع فاحشة، وهو كقوله تعالى: {وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ {120} }

[الانعام]. وقوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ {33} }

[الاعراف].

{وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ}

الذي يوجب قتلها شرعاً كردةٍ أو قصاص أو زنا يوجب الرجم، أو منع الزكاة أو ترك الصلاة. {وَصَّاكُمْ بِهِ}

أمركم وألزمكم به.

.152

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152)

{حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ}

أي احفظوه حتى يبلغ الحلم فإذا بلغه فادفعوه إليه. والأشُدُّ: قوة الإنسان وشدته واشتعالُ حرارته؛ من الشدة بمعنى القوة والارتفاع. يقال: شدَّ النهار إذا ارتفع. وهو مفرد جاء بصيغة الجمع. أو جمعٌ لا واحد له. أو جمع شِدَّة، كأنعُم ونعمة.

{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ}

أمر بإقامة العدل في التعامل وإيفاء الكيل والوزنِ بالعَدْل: إتمامهما بحيث يعطى صاحب الحق حقه من غير نقصان ولا بخسٍ،

ويأخد صاحب الحق حقه من غير طلب الزيادة. والكيلُ والوزنُ: مصدران أريد بهما ما يكال وما يوزن به؛ كالعيش بمعنى ما عاش به. أو المكيل والموزون.

{بِالْقِسْطِ}

بالعدل دون زيادة ونقص.

{وُسْعَهَا}

طاقتها وما تقدر عليه.

{وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا}

وإذا قلتم قولا في حكم أو شهادة أو رواية ونحو ذلك، فاصدُقوا فيه وقولوا الحق.

{وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا}

أي أوْفوا بما عهد إليكم من هذه الأمور المعدودة، أو أي عهد كان.

.153

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153)

{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي}

أي ولأن هذا – أي المذكور في هاتين الآيتين أو في هذه السورة بأسرها – ديني وطريقي الذي لا اعوجاج فيه فاتبعوه واعملوا به، ولا تتبعوا الطرق الضالة المخالفة له.

.154

ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (154)

{لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ}

لعلهم يصدقون بالبعث

والجزاء.

.155

وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (155)

{وَهَذَا كِتَابٌ}

إشارة إلى القرآن.

.156

أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (156)

{أَنْ تَقُولُوا}

أي أنزلنا إليكم القرآن كراهة أن تقولوا، أو لئلا تقولوا يوم القيامة لو لم ينزّله.

{إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا}

والخطاب لأهل مكة.

.157

أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (157)

{وَصَدَفَ عَنْهَا}

أعرض عنها غير مفكّر فيها أو صرف الناس عنها. يقال:

صَدَف عنه – من باب ضرب وجلس – أعرض. وصدف فلانا وأصدفه عن كذا، صرفه وأماله عنه.

.158

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (158)

{هَلْ يَنْظُرُونَ}

ما ينتظر مشركو مكةَ بعد تكذيبهم بالآيات إلا أن تأتيهم ملائكةُ الموت لقبض أرواحهم.

{أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ}

أي في ظلل من الغيام كما أخبر. أو يأتي أمره بقتلهم؛ كما فسره ابن عباس. أو بعذابهم كما فسره الحسن

{أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ}

أي بعض أشراط الساعة. وفُسِّر في الحديث بطلوع الشمس من مغربها. فمن آمن من شركٍ أو تاب من معصية عند ظهور بعض الآيات لا يقبل منه، لأنه رجوع اضطراري. كما لو أرسل الله عذاباً على قوم فآمنوا أو تابوا، فإنه لا ينفعهم ذلك لمعاينتهم الأهوال والشدائد التي تضطرهم إلى الإيمان والتوبة.

فقوله: {لَا يَنْفَعُ نَفْسًا}

كافرة أو مؤمنه

{إِيمَانُهَا}

أي ولا توبتها من المعاصي

{لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ}

صفة راجعة إلى الأولى.

{أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا}

راجعة إلى الثانية. والآية وعيد للمكذبين، وتيئيس من إيمان مشركي مكة، وتمثيل لحالهم بحال من ينتظر ذلك.

.159

إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (159)

{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ}

هم المشركون تفرقوا شيعا، فمنهم عبدة الملائكة، ومنهم عبدة الأصنام. وقيل: هم اليهود والنصارى، تفرقوا فرقا يكفّر بعضهم بعضا. وقيل: هم أهل الأهواء والبدع من هذه الأمة.

{كَانُوا شِيَعًا}

فرقا وأحزابا في الضلالة. تفرقوا شيعا واختلفوا ضلالا. واختار الطبري التعميم، وهو الأولى. فكلُّ من فارق دين الإسلام مشركا كان أو يهوديا أو نصرانيا، أو مبتدعا ضالاً كالفرق المعروفة التي خلعت ربقة الإسلام، ومنها فِرَق البهائية والقاديانية والإسماعيلية الباطنية – فمحمد صلى الله عليه وسلم بريء منه.

.160

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (160)

.161

قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161)

{دِينًا قِيَمًا}

مستقيما. والقِيَم والقَيّمُ لغتان بمعنى

واحد،. وقرئ بهما.

{حَنِيفًا}

مائلا عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق [راجع آية 135 البقرة].

.162

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162)

{وَنُسُكِي}

أي عبادتي كلها وتقربي إليه تعالى. وهو من عطف العام على الخاص. وقيل: المراد به ذبائح الحج والعمرة واختاره الطبري.

.163

لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163)

.164

قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (164)

{وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ .. }

لا تجترِحُ نفس إثما إلا عليها من حيث عقابُه فلا يؤاخذ سواها به. وكلُّ ذي اثم فهو المعاقب بإثمه، والمأخوذ بذنبه.

{وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ}

ولا تحمل نفس آثمةٌ ولا غيرُ آثمة إثم نفس أخرى حتى تخلص هذه الثانية من وزرها، وإنما تحمل الآثمةُ إثم ذنبها الذي فعلته بالمباشرة أو التسبب فتُعاقَبُ هي عليه؛ من الوزر، وهو الإثم والثِّقل. وقيد في الآية بالوازرة موافقة لسبب النزول.

.165

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (165)

{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ}

أي خلائف من القرون الماضية، فأورثكم أرضهم التخلفوهم فيها وتعمروها بعدهم. جمع خليفة. وكلُّ من جاء بعد من مضى فهو خليفة؛ لأنه يخلفه.

{لِيَبْلُوَكُمْ}

به ليختبركم وهو بكم عليم.

والله أعلم.

سورة الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

.01

المص {1}

.02

كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (2)

{فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ}

لا يكن في صدرك ضيق بسبب إبلاغ الكتاب وتأدية ما أرسلت به إلى قوم لم يؤمنوا بكتاب، ولم يعتقدوا صدق رسالة؛ فتلقوك بالتكذيب والإعراض والأذى والتعنت فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ولا تبالِ بما يلْقَونك به؛ وهو كقوله تعالى: {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (12) [آيه 12 هود]. والحرج: شدة الضيق [آية 125 الأنعام].

{لِتُنْذِرَ بِهِ}

متعلق بـ {أنزل}.

.3

اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (3)

.4

وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (4)

{وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا}

وكثير من أهل القرى الذين أعرضوا عن الحق، وأصرُّوا على الكفر، قصدنا إهلاكهم بسبب ذلك، فجاءهم عذابُنا مَرَّة وهم نائمون ليلا كقوم لوط ومرة وهم قائلون نهارا كقوم شعيب، وهوا إنذار لمشركي مكة. والبياتُ: قصدُ العدو ليلاً. يقالُ: بيّت القوم العدو بياتا، إذا أوقعوا به ليلاً؛ وهو حال بمعنى بائتين. والقيلولة: نوم الظهيرة، أو الإستراحة نصف النهار، ولو بلا نوم. يقالُ: قالَ يقيل قَيْلا وقيلولة، فهو قائل. والجملة: حالٌ بمعنى أو قائلين. وإنزال العذاب في هذين الوقتين وهما وقت الغفلة والدَّعة – أقسى وأفظع.

{بَأْسُنَا}

عذابنا.

{بَيَاتًا}

بائتين أو ليلا وهم نائمون.

{هُمْ قَائِلُونَ}

مستريحون نصف النهار (القيلولة).

.5

فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (5)

{دَعْوَاهُمْ}

دعاؤهم وتضرعهم.

.6

فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (6)

{فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ}

أي فلنسألن يوم القيامة الأمم المرسل إليهم المكذبين لرسلهم عما أجابوا به رسلهم، والسؤال للتوبيخ؛ ولنسألن الرسل عن إبلاغ رسالاتهم؛ لتقريع الأمم إذا أنكروا التبليغ.

.7

فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (7)

.8

وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (8)

{وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ}

أي والوزن الحقُّ – أي العدل الذي لا ظلم فيه لصحائف الأعمال – كائن يوم يسأل الله الأمم ورسلهم، وإنما توزن الصحائف يومئذ بميزان؛ لإظهار العدل الإلهي على رءوس الأشهاد. وقيل: المراد بالوزن الحق العدل التام في القضاء بين العباد.

{فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ}

بأن رجحت حسناته على سيئاته، جمع موزون.

.9

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (9)

{وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ}

بأن رجحت سيئاته على حسناته.

.10

وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (10)

{وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ}

تذكير بفنون من النعم توجب الإيمان.

{وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ}

ما تعيشون به وتحْيَون من المطاعم والمشارب، ونحوها. أو ما تتوصلون به إلى ذلك من المكاسب والتجارات. جمعُ معيشة، وهي في الأصل مصدر عاش يعيش عَيْشا وعَيشة ومعاشا ومَعِيشة، إذا صار ذا حياة، ثم استعمل فيما يُعاش به أو يتوصل به إلى العيش.

.11

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (11)

{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ}

تذكيرٌ بنعمة أخرى؛ تستوجب شكرهم لسريانها إليهم. أي خلقنا أباكم آدم طينا غير مصوَّر، ثم صورناه أبدع تصوير بأحسن تقويم سَرَى إليكم. أو ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم، بأن خلقنا أباكم آدم ثم صورناه. و {ثمَّ} على المعنيين للترتيب الزماني، وكذا في قوله {ثُم قلنا}.

.12

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12)

{قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ}

أي ما ألزمك واضطرك إلى ألا تسجد، فالمنعُ مجازٌ عن الإلجاء والاضطرار. أو ما حملك ودعا إلى الا تسجد، فالمنع مجاز عن الحَمل. والاستفهام للتوبيخ والتقريع، ولإظهار معاندته وكفره، وافتخاره بأصله، وحسدِه لآدمَ عليه السلام.

.13

قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (13)

{فَاهْبِطْ مِنْهَا}

أي من الجنة التي هي دار المتقين. أو من رَوْضة كانت على نَشَز من الأرض خلق فيها آدم عليه السلام.

{فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ}

أي من أهل الصَغار والهوان على الله تعالى وعلى أوليائه لتكبرك.

.14

قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14)

{أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}

أخِّرني ولا تُمتني إلى يوم البَعث، وهو وقت النفخة الثانية عند قيام الساعة. وقد طلب بذلك النجاة من الموت، إذ لا موت بعد البعث؛ من اللإنظار. تقول: أنظرته بحقي؛ أُنظِره إنظاراً، أي أمهلته.

.15

قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (15)

{قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ}

من المؤخَّرين، أي إلى يوم الوقت المعلوم؛ كما في آية 38 من سورة الحجر وآية 81 من سورة ص. وهو على المشهور: وقتُ النفخة الأولى فيموت كما يموت غيره. وقيل: المراد به الوقت المعلوم في علم الله أنه يموت فيه.

.16

قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16)

{فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي}

أي فأقسم باغوائك إياي. أو فبسبب ذلك لأترصّدنهم على طريق الحق وسبيل النجاة، كما يَتَرصد قطاع الطريق السابلة فأصدهم عنها. والإغواء: خُلْقُ الغي بمعنى الضلال. وأصل الغي الفساد؛ ومنه غَوِيَ الفصيل– كرضى ورمى – غَوى، إذا بَشِمَ من اللبن ففسدت مَعِدته، أو منع الرضاع فهُزِل وكاد يهلك، ثم استعمل في الضلال. يقال: غوى يَغْوي غيًّا وغواية فهو غاو وغوي، وإذا ضل. وأغواه غيره وغوَّاه؛ أضله.

{لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ}

لأترصدنهم ولأجلسن لهم.

.17

ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17)

.18

قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (18)

{اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا}

أي

اخرج من الجنة أو من تلك الروضة معيبا مهانا. يقال: ذَأَمه يذأمُه ذَأما، إذا عابه وحقره، فهو مذءوم

{مَدْحُورًا}

مطروداً مبعداً. يقال: دحره دَحْرا ودُحورا، طرده وأبعده.

.19

وَيَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19)

.20

فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20)

{فَوَسْوَسَ لَهُمَا}

ألقى إليهما الوَسْوسة. يقال: وسوس له وإليه. وهي في الأصل: الصوت الخفي المكرر؛ ومنه قيل الصوت الحُلْي: وسواس. وأريد بها الحديث الخفي الذي يلقيه الشيطان في قلب الإنسان ليقارف الذنب.

{لِيُبْدِيَ لَهُمَا}

لتكون عاقبة ذلك أن يظهر لهما ما سُتر عنهما من عوراتها، وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر.

و {وُورِيَ}

من المواراة وهي الستر.

{سَوْآتِهِمَا}

والسَّوأةُ: فرج الرجل والمرأة؛ من السَّوء. وسُميت العورة سوأة لأن انكشافها يسوء صاحبها. وقيل: الكلام كناية عن إزالة الحُرمة وإسقاط الجاه.

{إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ}

أي كراهة أن تكونا. أو لئلا تكونا ملكين.

.21

وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21)

.22

فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22)

{فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ}

فأنزلها عن رتبة الطاعة إلى رتبة المعصية بما غرهما به من القسم؛ من التدلِية، وهي إرسال الشيء من أعلى إلى أسفل، ومنه دَلى الدلو في البئر. والغرور: إظهار الصح مع إبطان الغِش. وأصله من غررت فلانا، أي أصبت غِرته وغفلته، ونلت منه ما أريد.

{وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ}

و شرعا وأخذا يلزقان من ورق الجنة ورقة فوق أخرى على عوراتهما لسترهما؛ من الخَصف، وهو خَرز طاقات النَّعل ونحوه بالصاق بعضها ببعض، وفعله من باب ضرب، ولعل المعنى والله أعلم: أنهما لما ذاقا الشجرة وقد نهيا عن الأكل منها ظهر لهما أنها قد زلا، وخلعا ثوب الطاعة وبدت منهما سَوْأة المعصية، فاستحوذ عليهما الخوف والحياء

من ربهما، فأخذا يفعلان ما يفعل الخائف الخجل عادة من الاستتار والاستخفاء حتى لا يُرى، وذلك بخصف أوراق الجنة عليهما يحتَّان بها ويستتران، وما لهما إذ ذاك حيلة سوى ذلك. فلما سمعا النداء الرباني بتقريعهما ولومهما أُلهما أن يتوبا إلى الله ويستغفرا من ذنبهما، بكلمات من فيض الرحمة الإلهية، فتاب الله عليهما وهو التواب الرحيم، وقال لهما فقط أوْ لهما ولذريتهما، أوْ لهما ولإبليس: اهبطوا من الجنة إلى الأرض، لينفذ ما أراده الله من استخلاف آدم وذريته في

الأرض، وعمارة الدنيا بهم إلى الأجل المُسمى، ومنازعة عدوهم لهم فيها، والله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شيء قدرا. والله أعلم بأسرار كتابه.

.23

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23)

.24

قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24)

.25

قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (25)

.26

يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (26}

{أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا}

أي وهَبنا لكم بما هيّأناه من الأسباب لباسَيْن: لباس مداراة لعوراتكم وأجسامكم، ولباس زينة وتجمُّل.

فقوله: و {وَرِيشًا}

أي لباسا ريشا، أي ذا ريش وزينة، أخذاً من ريش الطائر وهو زينته. وقيل: {وَرِيشًا}، أي مالا، من قولهم: تريش الرجل إذا تمول. والمراد أعطيناكم اللباس للموارة، والمال لتحصيل ما تحتاجون إليه. وهو امتنان منه تعالى على عباده بهذه النعم.

{وَلِبَاسُ التَّقْوَى}

الإيمان وثمراته.

.27

يَابَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (27)

{يَنْزِعُ عَنْهُمَا}

يزيل عنها، استلابا بخداعه.

{إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ}

تعليل للتحذير من متابعته بقوله: {لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ} ببيان أنه بمنزلة العدوِّ المداجي يكيد لكم في خُفْية واستتار، وإنَّ عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة إلا من عصَمَه الله.

{وَقَبِيلُهُ}

جنوده من الجن، أو نسله.

{مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ}

أي بصورهم الخلقية. أما إذا تَمَثلوا بصور أخرى فإنا نراهم كما وقع كثيرا.

.28

وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (28)

{وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً}

أي وإذا فعل المشركون فعلة متناهية في القبح كالشرك، والطواف عراة بالبيت المعظم، واتخاذ البحائر والسوائب وغير ذلك من الكبائر فنهوا عنه – احتجُّوا بتقليد – آبائهم، وأن الله تعالى أمرهم بها، فرد الله عليهم بأنه:

{لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ}

وإنما يأمر بمحاسن الأعمال ومكارم الأخلاق والخصال، ويأمر بالعدل في الأمور كلها، وبأن تخلصوا له عبادتكم، والطاعة في عامة أموركم.

.29

قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (29)

{بِالْقِسْطِ}

بالعدل وهو جميع الطاعات والقرب.

{أَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ}

توجهوا إلى عبادته مستقيمين.

وقولُه: {عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ}

أي في وقت كل سجود أو في مكان كل سجود. والمراد بالسجود: الصلاة. والمقصود بذلك – إخلاص العبادة لله تعالى.

{كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ}

تعليل للأمرين السابقين في قوله: {وَأَقِيمُوا} وقوله: {وَادْعُوهُ} أي أنه تعالى يعيدكم أحياء يوم القيامة للحساب والجزاء كما بدأكم، لا يعجزه عن

ذلك شيء، فإن القادر على البَدء قادر على الإعادة. وقيل: هو كلام مستأنف التقرير قدرته على البعث، والرد على منكريه.

.30

فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (30)

.31

يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (31)

{يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ}

كان بعض جهلة العرب يطوفون بالبيت عراة. ويحرمون على أنفسهم في أيام الحج اللحمَ والدَّسم؛ فأنزل الله الآية. أي البسوا ثيابكم مداراة لعوراتكم عند كل عبادة من طواف وصلاة، وكلوا واشربوا ما أحل الله لكم، ولا تسرفوا بتحريم الحلال.

.32

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (32)

وأُمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: {مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ}

وهي ما أحله لهم، ومالا يحرمه الله فلا محرّمَ له. ويقول لهم: إن النِّعم التي قد أفاضها الله على المؤمنين وأجراها عليهم، وهي غير خالصة لهم في الدنيا لمشاركة غيرهم لهم فيها، هي خالصة لهم يوم القيامة لحرمان الكفار من المتاع في الآخرة.

.33

قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (33)

ويقول لهم: {إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ}

وهي كبائر المعاصي والآثام التي ترتكبون كثيرا منها

{مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ}

جهرها وسرها

{وَالْإِثْمَ}

وحرم الإثم كله لما فيه من المفاسد

{وَالْبَغْيَ}

وحرم البغيَ والظلم لما فيه من الضرر بالعباد. وعطف الإثم على ما قبله من عطف العام على الخاص. وعطف {البغي} على {الإثم} من عطف الخاص على العام، وكذا ما بعده لمزيد الاعتناء به

{وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ}

وحرم عليكم أن تسوُّوا به في العبادة إلها آخر لم يُنزّل به الله

{سُلْطَانًا}

حجة وبرهانا.

{وَأَنْ تَقُولُوا}

وحرّم عليكم الافتراء على الله بتحريم الحلال وتحليل الحرام. وغير ذلك مما تتقلوَّلونه على الله.

.34

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (34)

{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ... }

هو أي مدَّةُ عُمْر وبقاء محدودة في علمه تعالى لا تتغير ولا تتبدل، كآجال آحاد الناس، فإذا جاء آخر عمرها فنِيَت لا محالة، لا يتأخر فناؤها عنه لحظة من الزمن ولا يتقدم عليه لحظة. والكلام كناية عن ذلك. وفيه وعيد لكفار مكة الذين كانوا يستعجلون العذاب الموعود استهزاء.

.35

يَابَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (35)

.36

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (36)

.37

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (37)

{أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ}

أي ينالهم في الدنيا نصيبهم مما كتب لهم، من الأعمال والأرزاق والأعمار، مع ظلمهم وافترائهم لا يُحرمون منه إلى انقضاء آجالهم، تَفَضُّلا منه تعالى، رجاء أن يَصلحوا ويتوبوا؛ فإذا فرغ أجلهم جاءتهم رسلُ الموت يتوفَّونهم قائلين لهم توبيخا وتقريعاً: {أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} أي تعبدونهم من دونه لِيَمنعُوكم من عذابه.

.38

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ (38)

{قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ}

أي يقول تعالى لهم يوم القيامة: ادخلوا النار في زمرة أمم مكذبة قد مضت من قبلكم؛ فقد حقت عليكم جميعاً كلمة العذاب.

{حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا}

تلاحقوا في النار فأدرك بعضهم بعضا واجتمعوا فيها

{قَالَتْ أُخْرَاهُمْ}

دخولا في النار أوهم الأتباع

{لِأُولَاهُمْ}

السابقة دخولا أوْ هم المتبوعون

{رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا}

بدعوتهم إيانا إلى الضلال، أو بسَنّهم لنا ما سنُّوا من طرائق فاقتدينا بهم

{فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا}

مُضاعفاً. والضِّعف: المثلُ مرةٌ واحدةٌ. وقيل: ضعف الشيء مثله إلى ما زاد عليه بلا نهاية، وليس مقصورة على المثلين.

{مِنَ النَّارِ}

أي من عذابها.

.39

وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (39)

{فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ}

أي في الدنيا بالاقتداء، بل كفرتم باختياركم، فلا دخل لنا في كفركم.

.40

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (40)

{لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ}

أي لا تُفتح لأعمالهم ولا لأرواحهم لفرط خُبثها وفسادها.

{وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ}

أي ولا يدخلون الجنة حتى يدخل ما هو مَثلٌ في عظم الجسم فيما هو مثل في
ضيق المسلك، وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه. والمرادُ: أنهم لا يدخلونها أبدا، لأن الشيء إذا غلق بما يستحيل حصوله دل ذلك على استحالته؛ نحو: لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب. أو يبيض القار: أي لا أفعله أبدا. والوُلُوج: الدخول بشدة؛ والسَّمُّ ثَقبُ الإبرة، وفيه اللغات الثلاث، والفتح أشهر، وجمعه سِمام وسُموم وكل ثقب في البدن فهو سم. والخِياط والمِخْيط – كإزار ومِزر –: ما يُخاط به. والمراد هنا الإبرة.

.41

لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (41)

{لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ}

أي لهم فراشٌ من تحتهم فيها. وأصل المهاد: المُتَمهَّد الذي يقعد ويضطجع عليه كالفراش

{وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ}

أغطية. جمعُ غاشية، وهي ما غشاهم فغطاهم كاللحاف ونحوه. والمراد: أن النار تحيط بهم من تحتهم ومن فوقهم؛ كما في قوله تعالى: {لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ (16) [الزمر].

.42

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (42)

{لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}

أي طاقتها وما تقدر عليه بسهولة، دون ما تضيق به ذَرْعا. وأصل الوُسع: الجِدَة والطاقة. والجملة معترضة بين المبتدأ والخبر؛ لبيان أن الصالحات التي كانت سببا الدخولهم الجنة هي في وسعهم وطاقتهم.

.43

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43)

{مِنْ غِلٍّ}

حقد وعداوة كانت بينهم في الدنيا بمقتضى الطبيعة البشرية، والتدافع في المجتمع. والمراد أنه تعالى يُنشئهم نشأة أخرى لا تحمل فيها صدورهم غلا، كما كانت في الدنيا.

{أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}

أي بسبب ما عملتم في الدنيا من الأعمال الصالحة. ولما كانت الأعمال الصالحه لا تنال الا بتوفيق الله ورحمته، ولا يترتب عليها دخول الجنة إلا بقبول الله لها، كان دخول الجنة في الحقيقة برحمته وتوفيقه وقبوله تعالى، لا بذات العمل بها وفي الحديث: (لن يدخل الجنة أحد بعمله وانما يدخلها برحمة الله).

.44

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (44)

{فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ}

فأعلم مُعلمٌ، أي منادٍ بين الفريقين؛ من التأذين وهو النداء والتصويت للإعلام. ومنه الأذان للصلاة.

.45

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (45)

{وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا}

يطلُبون

السبيل معوجَّة؛ أي مائلة عن الحق [أية 99 آل عمران].

.46

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (46)

{وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ}

وبين أهل الجنة وأهل النار حاجز عظيم؛ وهو السور المذكور في قوله تعالى: {فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (13) [الحديد].

{وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ}

أي وعلى أعراف الحجاب – أي أعاليه – رجال. جمع عُرف: وهو كل مرتفع من الأرض؛ لأنه بسبب ارتفاعه يصير أعرف مما انخفض عنه، ومنه عرف الفرس، وعُرف الديك؛ لارتفاعه على ما سواه من الجسد. وهؤلاء الرجال: أقوام من المؤمنين استوت حسناتهم وسيئاتهم؛ فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، فَحُبسُوا هناك حتى يقضى الله، فيهم بما يشاء، فبينما هم كذلك إذ قال الله لهم: أنتم عتقائي فارعوا من الجنة حيث شئتم، فيكونون آخر أهل الجنة دخولا ممن لم يدخل النار.

{يَعْرِفُونَ كُلًّا}

يعرفون كلاً من أهل الجنة وأهل النار

{بِسِيمَاهُمْ}

بعلاماتهم التي أعلمهم الله بها؛ كبياض الوجوه ونضرة النعيم لأهل الجنة. وسواد الوجوه وزُرقة العيون لأهل النار.

والسّيما: العلامة.

{وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ}

أي حين عرفوهم

{لَمْ يَدْخُلُوهَا .. }

أي نادوهم وهم لم يدخلوا الجنة حال كونهم طامعين في دخولها مترقبين له.

.47

وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (47)

{تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ}

حيالهم ووُجاههم. ظرفُ مكان بمعنى جهة اللقاء والمقابلة.

.48

وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (48)

.49

أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (49)

{أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ .. }

يقول الله تعالى أو بعض الملائكة لأهل النار: أهؤلاء الذين أقسمتم لا يناالهم الله برحمته؟ مشيرا إلى ضعفاء المؤمنين قد قيل لهم: {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ} أو مشيرًا إلى أصحاب ثم يقولُ لهم: أدخلوا الجنة.

.50

وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (50)

{أَفِيضُوا عَلَيْنَا}

صُبُّوا علينا شيئا

{مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ}

من سائر الأشربة، ليخفف عنا ما نحن فيه من شدة العطش والعذاب. أو أفيضوا علينا من الماء، وأطعمونا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة.

.51

الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (51)

{اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا}

فلم يرفعوا به رأسا ولم يعبأوا به.

{وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا}

خدعهم عاجلُ ما هم فيه من الدَّعة وخَفْض العيش والرفاهية، عن الأخذ بنصيبهم من الآخرة، حتى اجتالتهم المنايا { ... وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (185) [آل عمران]. يقال: غره يَغُرُّه غراً وغروراً وغِرَّة. فهو مغرورٌ وغريرٌ. خدعه وأطمعه بالباطل.

{فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ .. }

فيوم القيامة نتركهم في العذاب جياعا عطاشا؛ لتركهم العمل والاستعداد للقاء يومهم هذا، ولجحودهم آيات الله وتكذيبها. فالكاف في قوله {كما} للتعليل و {ما} في قوله {وما كانوا} معطوفة على {ما} في {كما نَسُوا}.

.52

وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (52)

.53

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (53)

{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ}

أي هل ينتظرون إلا عاقبة هذا الكتاب وما يئول إليه أمره؛ من تبين صدقه وظهور صحة ما أخبر به من الوعيد، والبعث والحساب. وتأويلُ الشيء: مرجعه ومصيره الذي يئول إليه ذلك الشيء، والمرادُ أنهم بمنزلة المنتظرين؛ من حيث أن ما ذكر يأتيهم لا محالة.

{يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ}

أي يوم القيامة يقول هؤلاء الذين تركوا القرآن وأعرضوا عنه {قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ}.

{يَفْتَرُونَ}

يكذبونه من الشركاء وشفاعتهم.

.54

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54)

{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ}

أنشأهن على غير مثال سابق، وأنشأ ما بينهما كذلك في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا. أو في ستة أيام، وكل يوم مقداره ألف سنة من السنين التي نَعُدُّها. قال سعيد بن جبير: كان الله قادرا على خلق السماوات والأرض – أي وما بينها – في لمحة ولحظة، فخلقهن في ستة أيام، تعليماً لخلقه التثبت والتأني في الأمور.

{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}

عرش الله تعالى – كما قال الراغب –:وعَرْشُ اللهِ: ما لا يعلمه البشر على الحقيقة إلّا بالاسم، وليس كما تذهب إليه أوهام العامّة، فإنه لو كان كذلك لكان حاملا له، تعالى عن ذلك، لا محمولا، والله تعالى يقول: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ} [فاطر: 41]. وقد ذُكر العرش في إحدى وعشرين آية. أما الاستواءُ على العرش فذهب سلف الأمة – ومنهم الأئمة الأربعة – إلى أنه صفة لله تعالى بلاكيف ولا انحصار ولا تشبيه وتمثيل؛ لاستحالة اتصافه تعالى بصفات المحدَثين، ولوجوب تنزيهه تعالى عما لا يليق به { ... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11) [الشورى]. وأنه يجب الإيمان بها كما وردت. وتفويض العِلم بحقيقتها إليه تعالى. وقال الإمام الرازي: إن هذا المذهب هو الذي نختاره ونقول به وتعتمد عليه. وذهب جمهور المتكلمين إلى وجوب صرفه عن ظاهره لاستحالته، وإلى تأويله على التفصيل، وأن المراد منه – كما قال الإمام القفّال – أنه استقام ملكُه، واطَّردَ أمْرُه، ونفذ حكمه تعالى في مخلوقاته، والله تعالى دلَّ

على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره للعالم على الوجه الذي ألفوه من ملوكهم، واستقر في قلوبهم؛ تنبيها على عظمته وكمال قدرته، وذلك مشروط بنفي التشبيه؛ ويشهد بذلك قوله تعالى: { ... ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (3) [يونس] [راجع المسألة الرابعة من المقدمة ص و] وقد ذُكر الاستواء على العرش في سبع آيات من القرآن.

{يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ}

التَّغشيةُ: التغطية والسَّتر. أي يجعل الليل غاشية للنهار مغطيا له فيذهب بنوره، وهكذا دواليك في كل ليل ونهار، وبتعاقب الأمثال يستمر الاستبدال، فيتغير كل واحد منهما بالآخر، فكما يغطِّي النهار بالليل يغطى الليل بالنهار، وفي ذلك من منافع الخلق ما فيه و به تتم الحياة، وهو دليل القدرة والحكمة والتدبير من الإله العلي العظيم.

{يَطْلُبُهُ حَثِيثًا}

يطلبُ الليلُ النهارَ طلباً سريعاً حتى يلحقه ويُدركه. وهو كناية عن أن أحدهما يأتي عقب الآخر ويخلفه بلا فاصل؛ فكأنه يطلبه طلباً سريعاً لا يفتر عنه حتى يلحقه. والحثُّ على الشيء: الحضُّ عليه. يقالُ: حثَّ الفرس على العدو يَحُثُّه حثا، صاح به أو وكزه برجل أو ضرب. وذهب حثيثاً أي مسرعا.

{لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ}

الخلقُ: إيجاد الأشياء من العدم. والأمر: التدبير والتصرف على حسب الإرادة لما خلقه. فهو سبحانه الخالق والمدبر للعالم على حسب إرادته وحكمته. لا شريك له في ذلك.

{تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}

كَثُرَ خيره واحسانه: من البركة بمعنى الكثرة من كل خير. وأصلُها: النَّماء والزيادة. أو ثبت ودام كما لم يزل ولا يزال؛ من البركة بمعنى الثبوت، يقال: برك البعير، إذا أناخ في موضعه فلزمه وثبت فيه وكل شيء ثبت ودامَ فقد بَرَك. أو تعالى وتعظم وارتفع. أو تقدس وتنزه عن كل نقص.

.55

ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (55)

{ادْعُوا رَبَّكُمْ}

سَلُوا ربكم حوائجكم، فإنه تعالى يسمع الدعاء و يجيب المضطر. وهو القادر على إيصالها إليكم؛ وغيره عن ذلك عاجز.

{تَضَرُّعًا}

تذللاً واستكانة؛ من الضراعة، وهي الذلةُ والاستكانة. يقال: ضَرَع ضراعة، خضع وذل. وتضرَّع: أظهر الضراعة. حالٌ من الضمير في {ادعوا} أي متضرعين.

{وَخُفْيَةً}

أي سراً في أنفسكم. وقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يُسمع لهم صوت؛ إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم. وفي حديث أبي موسى الأشعري أنه صلى الله عليه وسلم قال لقوم يجهرون: (أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ–أي ارفقوا بها واقصروا من الصياح– فَإِنَّكُمْ ليس تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، انكم تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيباً. وهوَ مَعَكم وهوَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ.) [رواه ابن جرير وابن المبارك]. وهو تعليم للأدب في الدعاء.

.56

وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (56)

{وَادْعُوهُ خَوْفًا ... }

خائفين من الرد؛ لقصوركم عن أهلية الإجابة. طامعين في الإجابة

تفضلا منه تعالى وكرماً. أو خائفين من عقابه، طامعين في ثوابه. والخوفُ: انزعاج في الباطن يحصل من توقع أمر مكروه يقع في المستقبل. والطَمَعُ: توقع أمر محبوب يحصل في المستقبل.

{إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}

رحمةُ الله: إفضالُه و إنعامه على عباده، أو ثوابه. وتذكير {قريب} باعتبار معناها. أو لكون تأنيثها مجازيا، فيجوز في خبرها التذكير والتأنيث.

.57

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (57)

{بُشْرًا}

بضمٍّ فسكون الشين، مخفف (بُشُرا) بضمتين جمع بشير، كنُذُر ونذير: أي مبشرات بنزول الغيث المستتبع لمنفعة الخلق.

{أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا}

بما فيه من الماء. وحقيقة أقلَّه: وجده قليلا ثم استعمل بمعنى حمله؛ لأن الحامل يستقل ما يحمله بزعم أن ما يرفعه قليل. و (سَحَابًا) اسم جنس جمعي يفرق بينه وبين واحده بالتاء، روعي معناه في قوله: (ثقالا) ولفظه في قوله: (سقناه}).

و {ثقالاً}

جمع ثقيلة: من الثَّقَل –كعِنَب – ضد الخفة. يقال: ثَقل – ككرُم –ثقلاً وثقالة، فهو ثقيل وهي ثقيلة.

{لِبَلَدٍ مَيِّتٍ}

مجدب لا ماء فيه ولا نبات.

{كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى}

أي كما أحيينا الأرض بعد موتها بإحداث القوى النامية فيها، وإنزال الماء عليها، وتطريتها بأنواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الأرض، ونبعثهم أحياء في اليوم الآخر.

.58

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (58)

{وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ ... }

الأولُ مثلٌ ضربه الله تعالى للمؤمن، يقول: هو طيب وعمله طيب. والثاني مثل للكافر، يقول: هو خبيثه وعمله خبيث، وفيها بيان أنَّ القرآن يُثمر في القلوب التي تشبه الأرض الطيبة التربة، ولا يثمر في القلوب التي تشبه الأرض الرديئة السَّبِخة.

{لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا}

أي لا يخرج نباته إلا قليلا عديم النفع. وأصلُ النَكِد: العَسِرُ القليل الذي لا يخرج إلا بعناء ومشقة. يقال: نَكِدَ عيشه يَنْكَد، اشتد وعسُر. ونكدت البئر: قل ماؤها؛ ومنه: رجلٌ نَكِدَ ونَكْد وأنكد: شُؤُمٌ عَسِرٌ، وهم أنكاد ومناكيد.

{نُصَرِّفُ الْآيَاتِ}

نكررها بأساليب مختلفة.

.59

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (59)

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا}

شروع في ذكر أنباء بعض الرسل عليهم الصلاة والسلام، وما وقع لهم مع أممهم المكذبة، تسلية له صلى الله عليه وسلم، وتثبيتاً للمؤمنين، ووعيداً وإنذارا للمكذبين.

{اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}

هذه دعوة جميع رسل الله إلى أقوامهم، فتوحيدُ العبادة شرعتُهم كافة؛ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وهو الدّين القيم والملة الحنيفية والإسلام.

.60

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (60)

{قَالَ الْمَلَأُ}

أشراف

القوم وسادتهم [آية 246 البقرة].

{فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}

في ذهاب عن الحق والصواب بَيّنٍ واضح: يقال: ضل الطريق يَضِل وضلَّ عنه ضلالا وضلالة، زلّ عنه فلم يهتد اليه.

.61

قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (61)

.62

أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (62)

{وَأَنْصَحُ لَكُمْ}

أتحرَّى ما فيه صلاحكم وأرشدكم إليه، من النُّصح وهو تحري قول أو فعل فيه صلاح للغير، أو تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه. وأصله الخلوصُ، من قولهم:: نصحت له الوُدَّ، أي أخلصته؛ وأريد منه ما ذُكر مجازاً. ويقال: نصحته، ونصحت له؛ وباللام أفصح.

.63

أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (63)

.64

فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (64)

{فِي الْفُلْكِ}

أي السفينة. ويذكَّرُ ويستعمل واحداً وجمعاً.

{قَوْمًا عَمِينَ}

عُمْيَ البصائر عن الحق والإيمان، لا تنفع فيهم الموعظة، ولا يفيدهم التذكير. جمعُ عُمٍ صفة مشبهة. يقالُ: هو عم – كفرح – لأعمى البصيرة. وهو أعمى لأعمى البصر. وقيل هما بمعنى: كَخَضِر وأخضر.

.65

وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (65)

{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا}

وأرسلنا إلى عادٍ – وهم عادٌ الأولى –أخاهم هودا، وكانوا بالأحقاف باليمن. والأحقاف: الرمل الذي بين عُمان وحَضْرَموت. وكانوا عبّاد أصنام.

.66

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (66)

{إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ}

أي متمكنا في الحماقة وخفة العقل؛ حيث هجرت دين قومك إلى دين آخر لا يُعرف.

.67

قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (67)

.68

أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (68)

.69

أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (69)

{بَسْطَةً}

قوة وعِظَم أجسام.

{فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ}

نِعَمه الكثيرة عليكم بشكرها. جمعُ إلْيٍ كحِمل وأحال. أو أُلي، كقُفل وأقفال. أو إلًى؛ كمعًي وأمعاء. أو ألًى كقفا وأقفاء.

.70

قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (70)

.71

قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (71)

{قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ}

أي نزل وَوجب عليكم من قبل ربكم عذاب وسخط. والرِّجسُ: العذاب، من الارتجاس وهو الاضطراب، ثم شاع في العذاب لاضطراب من ينزل به. والغضبُ: السُّخط: أو اللَّعن والطرد. وعُبِّر بالماضي لتحقُّق وقوعه.

.72

فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (72)

{وَقَطَعْنَا دَابِرَ ... }

استأصلناهم عن آخرهم بالريح العقيم. وهي ريح الدَّبُور [آية 45 الأنعام].

.73

وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73)

{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا}

أي أرسلناه إليهم. وهي قبيلة من العرب تسمى عاداً الثانية. وكانت مساكنهم الحِجْر بين الحجاز والشام إلى وادي القُرى. في طريق الذاهب من المدينة إلى تبوك. وناقة الله خلقها الله من صخر لا من أبوين.

{آية}

معجزة دالة على صدقي.

.74

وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (74)

{وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ}

جعل لكم مباءة فيها، أي منازل تسكنونها. يقال: بَوَّأهُ منزلا، أنزله وهيأه له ومَكَّن له فيه.

{وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ}

تنجرونها {بُيُوتًا} تسكنون فيها: من النَّحت، وهو نجر الشيء الصُّلب. يقال: نَحَته ينحته – كيَضربِه وينصُره ويعْلَمه – بَرَاه.

{آلَاءَ اللَّهِ}

نعمه وإحساناته.

{وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}

العُثُوُّ: أشد الفساد [راجع آية 60 البقرة]

.75

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (75)

.76

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (76)

.77

فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (77)

{فَعَقَرُوا النَّاقَةَ}

نحروها. وأصل العقر: قطع عرقوب البعير، ثم استعمل في النحر؛ لأن ناحر البعير يعقِرُه ثم ينحرُه.

{وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ}

استكبروا عن امتثاله؛ من العُتُو وهو النُّبُو، أي الارتفاع عن الطاعة والتكبُّر، عن الحق غُلوًّا في الباطل. يقال: عتا يَعتُو عُتُوًّا وعُتِيا وعِتِيا، إذا تجاوز الحد في: الاستكبار؛ فهو عاتٍ وعتيّ.

.78

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (78)

{فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ}

أهلكتهم الزلزلة الشديده. يقال: رَجَفت الأرض ترجُف رَجْفا، إذا اضطربت وزلزلت؛ ومنه الرَّجفان للاضطراب الشديد. وجاء في آية 67 من سورة هود إهلاكهم بالصيحة من السماء التي زُلزلت بها الأرض فكان إهلاكهم بها. وذكر في كل موضع واحدة منهما.

{جَاثِمِينَ}

باركين على الركب، أو مقيمين. والمرادُ أنهم هامدون صَرعى لا حَرَاك بهم؛ من الجُثوم، وهو للناس والطير بمنزلة البروك للإبل. يقال: جَثَم الطائر يجثِمُ جثماً وجثوماً، فهو جاثمٌ وجَثوم، إذا وقع على صدره، أو لزم مكانه فلم يبرح.

.79

فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (79)

.80

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (80)

{وَلُوطًا}

أي وأرسلنا لوطا، وهو ابن أخي إبراهيم عليهما السلام، وكان قد هاجر مع إبراهيم من أرض بابل إلى الشام؛ فنزل فِلسطينَ، ونزل لوطٌ الأردُن، وبعثه الله إلى أهل سدوم وما حولها من القرى، وهي من بلاد الشام ومن فلسطين مسيرة يوم وليلة، وهي القرى المؤتفكات، بُعث إليهم يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عن الفاحشة التي اخترعوها ولم تكن معروفة في الناس قبلهم.

.81

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (81)

.82

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (82)

{إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ}

أي يتنزهون عن الإتيان في هذا المأتى. يقال: تطهر الرجل أي تنزه عن الإثم أرادوا به السخرية والاستهزاء بلوطٍ ومن معه.

.83

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (83)

{مِنَ الْغَابِرِينَ}

أي الباقين في العذاب. أو الباقين المُعَمَّرين، ثم هلكت فيمن هلك من قومها. والغابر: الباقي، يقال: غبر الشيء يغبُرُ غبورا: بقى.

.84

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (84)

{وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا}

أي نوعا عجيبا من المطر. بينه الله تعالى بقوله: {فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (74) [الحجر].

.85

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (85)

{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ}

أي وأرسلنا إلى مَدْينَ- وهو ابن

إبراهيم عليه السلام، سُمِّيت به القبيلة – شعيباً عليه السلام. وكانوا أهل كفر وبخسٍ للمكيال والميزان، فدعاهم إلى التوحيد، ونهاهم عن الخيانة فيهما. وعن السُّدي وعِكرمة: أن شعيبا أرسِل إلى أُمَّتيْن: أهل مدين الذين أهلكوا بالصيحة، وأصحاب الأيئكة الذين أخذهم الله بعذاب يوم الظُّلة، وأنه لم يُبعث نبيٌّ مرتين إلا شعيب عليه السلام.

واختار ابن كثير: أنهما أمة واحدة، أخذتهم الرجفة والصيحة وعذاب يوم الظُّلة أي السحابة، كما قال تعالى: {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (91)} [الاعراف]، {وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (94)} [هود]، {فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (189)} [الشعراء]. {فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ} [آية 152 سورة الأنعام]

{وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ ... }

ولا تنقصوهم حقوقهم بتطفيف الكيل ونقصان الوزن في المبايعات؛ فإن ذلك خيانة. يقال: بَخَسه حقه يبخسَه. إذا نقصه إياه.

.86

وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (86)

{وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ}

ولا تقعدوا بكل طريق من الطرق المسلوكة تخوّفون من آمن بالقتل. أو تخوفون الناس أن يأتوا شعيبا، وتقولون لهم: إنه كذاب يريد أن يفتنكم عن دينكم. وجملة (توعدون) وما عطف عليها في محل نصب على الحال من ضمير (تقعُدوا).

{وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا}

توَدُّون سبيل الله مُعْوجَّة [آية 99 آل عمران].

.87

وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (87)

.88

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (88)

{أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ}

أي أنعود إلى ملتكم – بمعنى نصير إليها – ولو كنا كارهين لها؟ والاستفهام للإنكار. أي لا نصير إليها في أي حال. وكلامُ شعيب في قوله {إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا} مبني على التغليب، وإلا فإنه لم يكن في ملتهم من قبل ونجاه الله منها.

.89

قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (89)

{رَبَّنَا افْتَحْ}

اقض واحكم بيننا وبينهم بالحق؛ من الفتح، وأصله إزالة الأغلاق، واستعمل في الحكم: لما فيه من إزالة الإشكال في الأمر. ومنه قيل: للحاكم: فاتح وفتّاح – في لغة – لفتحه أغلاق الحق. وقيل للحكومة: الفُتاحة والفِتاحة بضم الفاء وكسرها.

.90

وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (90)

.91

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (91)

{فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ}

الزلزلة الشديدة. وإسناد الإهلاك إليها هنا من الإسناد إلى السبب القريب. وإسناده إلى الصيحة في آية 94 من سورة هود من الإسناد إلى السبب البعيد؛ إذ هي من أسباب الرجفة. وعلى ما اختاره ابن كثير بكون إهلاكهم بها وبعذاب يوم الظلة كما سلف.

{جَاثِمِينَ}

[آية 78 من هذه السورة].

.92

الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (92)

{كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا}

كأن لم يقيموا في ديارهم ناعمى البال رخيِّي العيش. يقال: غَنِيَ بالمكان يغنى، أقام به وعاش في نَعمة ورغَد.

.93

فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ (93)

{فَكَيْفَ آسَى}

أي فكيف أحزن عليكم! يريد: أنكم لستم: مستحقين لأن يحزن عليكم. والأسى: الحزنُ. وحقيقته إتْباعُ الفائت بالغم. يقال: أسيت عليه –كرضِيت – أسى، حزنت.

.94

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (94)

{وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ}

أي وما أرسلنا في قرية من القرى المُمهْلكة نبيا فكذبه أهلها، إلا أخذناهم بالبؤس والفقر والضر والمرض كي يتذللوا ويخضعوا ويبتهلوا إلى الله تعالى في كشف ما نزل بهم.

{بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ}

الفقر والبؤس والسقم والألم.

{يَضَّرَّعُونَ}

يتذللون ويخضعون ويتوبون.

.95

ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (95)

{ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ}

ثم لما لم يفعلوا ذلك، واستمروا في كفرهم وعنادهم امتحناهم بضد تلك المِحن استدراجاً لهم؛ فأعطيناهم رَخاء وخصباً، وغنى وسِعَة، وصحة وعافية.

{حَتَّى عَفَوْا}

كثروا ونموْا في أنفسهم وأموالهم؛ يقال: عفا النبات، وعفا الشحم إذا كثرا وتكاثف، وأعفيته: تركته يعفو ويكثر؛ ومنه حديث (اعفوا اللحى) [متفق عليه].

{وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا}

وقالوا – لجهلهم أن ما أصابهم في الحالين ابتلاء من الله و امتحان –: إن تلك عادةُ الدهر، يُداول الضراء والسراء، بين الناس، من غير أن تكون

هناك داعية إليها، أو تَبعةٌ تترتب عليها.

{بَغْتَةً}

فجأة؛ فأخذناهم إثر ذلك بالعقوبة فجأة

{وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}

ليكون ذلك أعظم لحسرتهم. وفي هذه الآية بيانٌ لسنن الله في الأمم المهلكة بسبب تكذيبها؛ تحذيرا وتخويفا من سوء العاقبة لمن هم على شاكلتهم في الكفر والتكذيب؛ ككفار قريش.

.96

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96)

{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى}

أي ولو أن أهل تلك القرى المُهْلكة آمنوا بما جاء به الرسل، واتقوا ما حرمه الله عليهم ..

{لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ .. }

لآتيناهم بركات من السماء والأرض، كالمطر والنبات والثمار، والأنعام والأرزاق، والأمن والسلامة من الآفات. جمعُ بَرَكة، وهي ثبوت الخير الإلهي في الشيء؛ وسُمي بذلك لثبوت الخير فيه، ثبوت الماء في البِرْكة.

.97

أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (97)

{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى}

أي أبَعْدَ ذلك الأخذ – لمن كذب واستكبر وعاند – والعلم به يأمنُ أهلُ مكة – وما حولها من القرى – المماثلون لمن سبقهم في التكذيب والعناد. أن ينزل بهم عذابُنا ليلاً وهم في غفلة وطمأنينة. أو نهارا وهم ساهون لاهون [آية 4 من هذه السورة].

{يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا}

ينزل بهم عذابنا

{بَيَاتًا}

وقت بيات أي ليلا.

.98

أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (98)

.99

أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (99)

{أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ}

أي عذابه ونقمته ليلا أو نهارا؛ آمنَ ما يكونون منه. أو إدْرارَ نعمه عليهم استدراجا لهم؛ حتى يُمعنوا في الطغيان، ويزدادوا في العُتُو، فيهلكهم كما أهلك من قبلهم.

.100

أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (100)

{أَوَلَمْ يَهْدِ .. }

أي أو لم يبين لأهل مكة وما حولها ما جرى للأمم السابقة إصابتَا إيّاهم بذنوبهم لو شئنا ذلك؛ كما أصبنا مَن قبلهم. و {يَهْدِ} أي يبين، والفاعل ضميرٌ عائد على ما يفهم من سياق الكلام، أي ما جرى للأمم المهلكة السابقة. و {أن}

وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول.

{أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ}

إصابتا إياهم لو شئنا. و {أنْ} وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول.

{وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ}

أي ونحن نختم على قلوبهم، والجملة مستأنفة لإثبات حصول الطبع على قلوبهم.

.101

تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (101)

.102

وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (102)

{مِنْ عَهْدٍ}

من وفاء بما أوصيناهم.

.103

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (103)

{فَظَلَمُوا بِهَا}

أي جحدوا وكفروا بها ظُلما وعُلُواً والباء للتَّعدية. أو فظلموا أنفسهم بتكذيبها. أو ظلموا الناس بسبب صدهم عن الإيمان، والباء للسببية.

.104

وَقَالَ مُوسَى يَافِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (104)

.105

حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (105)

{حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ}

أي جدير بالا أقول على الله غير الحق، وهو صفة {رَسُولٌ} [آية:105] أو خبر بعد خبر، أو خبرُ مبتدا محذوف؛ أي أنا حقيق، و (عَلَى) بمعنى الباء.

.106

قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (106)

.107

فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (107)

{فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ}

أي حية عظيمة ضخمة في الجثة، وإن كانت في خفة الحركة وسرعتها كأنها جَانّ. وهي الحية الصغيرة.

{مُبِينٌ}

ظاهر أمره لا يُشكُ فيه.

.108

وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (108)

{وَنَزَعَ يَدَهُ}

أي أخرج يده اليمنى من طوق قميصه؛ لقوله تعالى: {وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (12) [النمل]. والجَيْب: طوق القميص. أو أخرَجها من تحت ابطه لقوله تعالى: {وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (22) [طه]. " والنزعُ: إخراج الشيء عن مكانه.

{فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ}

بياضاً عجيبًا خارقاً للعادة، إذ كان لها شعاع يغلب ضوء الشمس.

.109

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (109)

.110

يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (110)

.111

قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (111)

{قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ}

أي قال الملأ لفرعون: أخِّر أمرَهما، ولا تعجل بقضاء في شأنهما. وأصلُه: أرجئْه، حُذفت الهمزة وسكنت الهاء؛ تشبيهاً للضمير المنفصل بالضمير المتصل. والإرجاءُ: التأخيرُ. يقال: أرجيت هذا الأمر وأرجأته، إذا أخرته، ومنه: {تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (51) [الاحزاب].

{وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ}

وابعث في مدائن الصعيد بمصر رجالا يجمعون إليك السحرة منها؛ إذ

كانت مقرهم، وكان السحر في زمن فرعون غالباً. يقال: حَشَر الناس – من باب ضرب ونصر–، جَمَعهم؛ ومنه: يوم الحشر والمحشْر.

.112

يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (112)

.113

وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (113)

.114

قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (114)

.115

قَالُوا يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (115)

.116

قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (116)

{سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ}

خيلوا لها ما يخالف الحقيقه.

{وَاسْتَرْهَبُوهُمْ}

خوفوهم تخويفا شديداً.

.117

وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (117)

{تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ}

تبتلع وتلقم بسرعة ما يكذِبون ويُمَوِّهون به، واللقْفُ: التناول بسرعة. يقال: لقف الشيء يَلقَفه لَقْفا ولقَفانا، أخذه بسرعة. والإفكُ: الكذب. يقال: أفَك يأفِك، وأفِك يأفَك افكا وأفكا – كضرب وعلم – إذا كذب. وأصلُه من الأفك – بفتح أوله – وهو صرف الشيء عن وجهه الذي يجب أن يكون عليه. وأطلق على الكذب افك – بالكسر– لكونه مصروفا عن وجه الحق ثم صار حقيقة فيه.

.118

فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (118)

{فَوَقَعَ الْحَقُّ}

ظهر وتبين أمر موسى عليه السلام.

.119

فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (119)

.120

وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (120)

.121

قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (121)

.122

رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (122)

.123

قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (123)

.124

لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (124)

.125

قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (125)

.126

وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (126)

{وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا}

أي ما تكره منا وتَعيبُ. [آية 59 المائدة].

{أَفْرِغْ عَلَيْنَا}

أفض أو صب علينا.

.127

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (127)

{وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ}

قال جمهور المفسرين: إن فرعون كان قد صنع لقومه أصناما صغارا وأمرهم بعبادتها، وسمى نفسه الرب الأعلى.

وقال الحسن: إنه كان يعبد الكواكب ويعتقد أنها المربّية للعالم السفلي كلّه، وهو رب النوع الإنساني.

{نَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ}

نستبقى بناتهم للخدمة.

.128

قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128)

.129

قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (129)

.130

وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (130)

{وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ}

شروعٌ في تفصيل مباديء هلاكهم. والسنين: جمع سنة، أي عام الجدب والقحط، تقول العرب: مسّتهم السَّنَّة، وأسَنتُوا إذا قَحِطوا وأجدبوا. وأصابتنا سُنيَّة حمراء: أي جدب شديد، ومنه حديث: (اللهم اجعلها عليهم سنين كسِني يوسف) [رواه البخاري].

.131

فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (131)

{وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ}

أي قحطٌ وجدبٌ، وبلاء ومرض

{يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ}

أي و يتطيروا ويتشاءموا بهم. والأصلُ في إطلاق التَطُّير على التشاؤم: أن العرب كانت تزجر الطير فتتشاءم بالبارح، وهو ما ولّاك مُياسرة. وتتيمَّن بالسّانح؛ وهو ما ولاكَ مُيامنة. ومنه سَمُّوا الشؤم طيرا وطائرا، والتشاؤمَ تطيُّرًا. وقد يطلق الطائر على الحظ والنّصيب، خيراً كان أو شرًّا ولكنه غالب في الشر.

{إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ}

إنما سببُ شؤمهم أعمالُهم السيئة المكتوبة عند الله، فهي التي ساقت إليهم ما يسوؤهم، وليس موسى عليه السلام ومن معه.

.132

وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (132)

.133

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (133)

{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ}

هو المعروف. وقيل: هو الموت الجارف، وكان بسبب الطاعون أو الجُدَري: والطُّوفانُ في الأصل: اسم لكل شيء حادث يحيط بالجهات ويعم كالماء الكثير، والقتل الذريع، والموت الجارف.

{وَالْقُمَّلَ}

ضرب من القراد. أو هو السوس أو القَمْل المعروفان.

.134

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (134)

{وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ}

أي نزل بهم العذاب بهذه الأمور الخمسة التي أرسلها الله عليهم.

.135

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (135)

{يَنْكُثُونَ}

ينقضون العهد الذي عاهدوه بقولهم: { ... لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (134)} [الاعراف]، من النَّكث، وأصله فك طاقات الصوف المغزول ليغزل ثانية، ثم استعير لنقض العهد بعد ابرامه. يقال: نكث العهد والحبل ينكُثُه وينكِثه، نقضه.

.136

فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (136)

.137

وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (137)

{دَمَّرْنَا}

أهلكنا وخربنا.

{وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ}

يرفعون من الأبنية والقصور المشيَّدة. أو يجعلون له العروش من الثمارِ والأعناب.

.138

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138)

{وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ}

شروع في قصتهم، وما أحدثوه بعد أن منَّ الله تعالى عليهم بما مَنَّ فيما ذكر من قصة فرعون معهم؛ تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عما رآه من اليهود في المدينة من الكيد والمكر والتدبير السيء، والعناد والجحود.

{الْبَحْرَ} : بحر القُلْزُم؛ وهو البحر الأحمر.

.139

إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (139)

{إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ}

مكسرٌ مُهْلك ما هم فيه من الدِّين الباطل وعبادة الأصنام. والتتبير: الإهلاك، أو التكسير والتحطيم. يقال: تبره يُتبِره وتبَّره، أهلكه.

.140

قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (140)

{أَبْغِيكُمْ إِلَهًا}

أطلب لكم إلها معبودا.

.141

وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (141)

{وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ}

تذكير بنعم الله عليهم؛ إذ أنقذهم من أسر فرعون وقهره، وما كانوا فيه من الهوان، وبما صاروا إليه من العزة، وباغراق عدوهم وهم ينظرون؛ ومع ذلك قالوا: { ... اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ... }.

{يَسُومُونَكُمْ}

يذيقونكم أو يكلفونكم أشدَّ العذاب وأسوأه [آية 49 سورة البقرة].

{وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ}

يستبقون بناتكم للخدمة.

{بَلَاءٌ}

ابتلاء وامتحان بالنعم والنقم.

.142

وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (142)

{وَوَاعَدْنَا مُوسَى ... }

وعده الله تعالى أن يكلمهُ عند انتهاء ثلاثين ليلة يصومها، وهي شهر ذي القعدة، وقد صام أيامه ولياليه، ثم أمره أن يصومَ عشرا بعدها، هي عشر ذي الحجة.

{فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً}

وهو كما قال تعالى في سورة البقرة: {وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (51)}

[البقره].

.143

{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143)}

{وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ}

أي أزال الحجاب بين موسى وبين كلامه فسمعه من غير واسطة بحرف وصوت، وهو لا يشبه كلام المخلوقين.

{قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ}

أي أرني ذاتك والمرادُ: مكني من رؤيتك. أوتجلَّ لي أنظر إليك وأرَكَ

{قَالَ لَنْ تَرَانِي}

أي لن تُطيق رؤيتي وأنت في هذه النشأة وعلى الحالة التي أنت عليها؛ وتأييدُ النفي باعتبارهما. وأمّا في النشأة الأخرى فقد ثبت في الحديث الصحيح أن المؤمنين يرون ربهم في عرصات يوم القيامة وفي روضات الجنات. ويدل عليه قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23)} [القيامه]. وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في تفسير قوله تعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103)} [الانعام]. وفي الآية دلالة على إمكان الرؤية في ذاتها، لأنه تعالى علقها على استقرار الجبل وهو ممكن، وتعليق الشيء بما هو ممكن يدل على إمكانه، وإليه ذهب أهل السُّنة.

{فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ}

ولم يفتته التجلي

{فَسَوْفَ تَرَانِي}

إذا تجليت لك.

{فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ}

ظهر له على الوجه اللائق بجلاله،

{جَعَلَهُ دَكًّا}

أي مدقوقا مفتتاً والدكُّ والدقُّ بمعنى، وهو تفتيت الشيء وسحْقُه. وفعله من باب رَدَّ. قال الألوسيُّ: وهو من المتشابهات التي يسلك فيها طريق التسليم، وهو أسلم وأحكم.

{وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا}

مغشيّاً عليه؛ لعظم ما رأي من النور الذي حصل به التجلي. يقال: صَعَقتهم السماء تصعقهم –كَمَنع – صاعقة. وكَسَمِع صعْقاً وصَعَقاً وصعقة فهو صَعِق، غشي عليه.

{قَالَ سُبْحَانَكَ}

تنزيهاً لك من مشابهة خلقك في شيء.

{تُبْتُ إِلَيْكَ}

من الإقدام على السؤال بغير إذن.

.144

قَالَ يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (144)

.145

وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (145)

{وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ}

أي في ألواح التوراة من كل شيء يحتاجون إليه من الحلال والحرام، والمحاسن والقبائح.

{وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا}

أي بِحَسنِها وكلها حَسنٌ، أو بما هو أحسنُ وأكثر ثوابا في كل شيء.

.146

سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (146)

{سَبِيلَ الرُّشْدِ}

طريق الهدى والسداد.

{سَبِيلَ الْغَيِّ}

طريق الضلال والفساد.

.147

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (147)

{حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ}

بطلت أعمالهم التي عملوها في الدنيا من البر والإحسان والخير؛ فلا ثواب لهم عليها.

.148

وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (148)

{وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ ... }

أي من بعد ذهاب موسى إلى جبل المناجاة إلها معبوداً على صورة العجل المعروف؛ صاغه لهم موسى السامِريُّ – وكانت صناعته الصياغة – من الحليّ الذي استعاروه من القبط قبيل الغرق، وبقي في أيديهم بعده. وطلب منهم أن يعبدوه، وقال لهم: {فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (88)} [طه] فعكفوا على عبادته.

{عِجْلًا جَسَدًا}

أي جُثَّة لا يعقل ولا يُميزُ، أو جسداً، أي أحمرَ ظاهر الحمرة لكونه مصنوعاً من الذهب. والجَسَدُ: الدمُ اليابسُ، والزعفران أو نحوه من الصَّبغ؛ ومنه ثوبٌ مُجسد، مصبوغ بالزعفران أو أحمرُ.

{لَهُ خُوَارٌ}

أي صوت يشبه صوت البقر، إذ صاغه على صورة العجل، وجعله مجوفاً، ووضع في جوفه أنابيب على شكل مخصوص، وجعله في مهب الريح، فإذا هبت الريح مع هذه الأنابيب صوت يشبه خوار العجل، وقرئ {جُؤَارٌ} أي صوت شديد. وفي هذين الوصفين تقريع لهم، وتبكيت بشدة الجهل؛ إذ ليس من شأن الإله أن يكون كذلك!.

{أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ}

هو كقوله تعالى: {أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (89)} [طه]، يُقرّعهم على فرط جهالتهم وضلالتهم، إذ عبدوا عجلا جسدا له خُوار، لا يكلمهم ولا يرشدهم إلى خير، ولا يملك لهم نفعا ولا ضرا، وذَهلوا عن عبادة الخالق رب العالمين.

{اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ}

أي اتخذوا هذا العجل إلا معبودا، مع كونه مصنوعاً بأيديهم؛ فظلموا أنفسهم بهذا الجهل، وأوردوها مورد الهلاك.

149.

وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (149)

{وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ}

أي ولما نَدِمُوا أشد الندم على عبادة العجل، وتبينوا ضلالهم بها تبينا ظاهرا هو {قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} وكان ذلك بعد عودة موسى من الميقات. يقال للنادم المتحيّر: سُقط في يده؛ والأصل سَقَط فمهُ في يده، فحذف الفاعل وبُني الفعل للمفعول؛ كما في مُرَّ بزيد. وهو من الكناية؛ لأن من شأن الإنسان إذا

اشتد ندمه على شيء أن يَعَض يده، فتصير يدُه مسقوطاً فيها، لأن فَمَه وقع فيها. ولما كان سقوط الأفواه في الأيدي لازماً للندم أطلق اسمُ اللازم

وأريد الملزوم على سبيل الكناية. وهذا التركيب لم تعرفه العرب إلا بعد نزول القرآن، ولم يوجد في أشعارهم ومنثورهم؛ فهو من فرائده البليغة.

.150

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (150)

{أَسِفًا}

شديد الغضب. أو حزيناً مما حَدث منهم من عبادة العجل. يقال: أسِفَ يأسف أسفاً، اشتد غضبه أو حزن فهو أسف وأسيف.

{أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ}

أسبقتم بعبادة العجل ما أمركم به ربُّكم! وهو انتظاري حافظين لعهدي، وما وصّيتكم به من التوحيد وإخلاص العبادة لله، حتى آتيكم بكتاب الله فغيرتم وعبدتم العجل!. يقال: عجلت الشيء: أي سبقته.

{وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ}

وضعها على الأرض حين رأى ما رأى من قومه، واشتد غضبه حَمِّية للدين، أو غيرةً من الشرك برب العالمين، لتفرغ يده فيأخذ برأس أخيه، وعُبر عن هذا الوضع بالإلقاء تفظيعاً لفعل قومه، حيث كانت معاينته سبباً لذلك وداعيا إليه.

و {وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي}

قاربوا قتلي حين نهيتهم عن عبادة العجل، فلم أقصر في منعهم منها.

{فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ}

لا تسرَّهم بما تنال مني من مكروه. والشماته: الفرح ببليّة مَن تعاديه ويعاديك. يقال: شَمِت به يَشمتُ شماتا وشماتة، إذا فرح بمصيبة نزلت به، وأشمتّه الله به.

.151

قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (151)

.152

إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (152)

.153

وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (153)

.154

وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (154)

{سَكَتَ}

سكن وأخذ الألواح أي التي كان ألقاها. وظاهر الآية أن الألواح لم تتكسر، ولم يرفع من التوراة شيء وأنه أخذها بعينها.

{وَفِي نُسْخَتِهَا}

أي فيما نسخ فيها وكُتب. فنُسْخَة بمعنى منسوخة كخُطبَة بمعنى مخطوبة. والنّسخُ الكتابة. والإضافة بيانية أو بمعنى في.

{لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ}

أي يخافون أشد الخوف من ربهم.

.155

وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (155)

{وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ}

أمر الله موسى أن يأتيَه في ناس من قومه ممن لم يعبدوا العجل، يعتذرون عمن تركوهم وراءهم من عَبَدة العجل، ووعدهم موعدا؛ فاختار موسى منهم سبعين رجلا وذهب بهم إلى الطور، وسألوا الله أن يكشف عنهم البلاء ويتوب على من عبد العجل؛ فأخذتهم في ذلك المكان

الرَّجفة، وهي الزلزلة الشديدة التي غُشي عليهم بها من أجل أنهم لم ينهوهم عن المنكر، ولم يأمروهم بالمعروف، ثم أفاقوا؛ وكان ذلك لتأديبهم على تقصيرهم. فالسبعون هنا غيرُ السبعين الذين كانوا مع موسى حين التكليم، والميقات غيرُ الميقات، وإلى ذلك ذهب بعض المفسرين، وهو الذي يقتضيه ظاهر النظم.

{قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ}

قال موسى هذا القول لاستجلاب العفو عن هذه الجريمة التي اقترفها قومه، بعد ما مَنَّ الله عليهم بالنعم السابغة الوافرة، وأنقذهم من فرعون وقومه.

{فِتْنَتُكَ}

محنتك وابتلاؤك.

.156

وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156)

{وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً}

أقسم لنا في الدنيا ما يَحسنُ من نعمة وطاعة، وعافية وتوفيق.

{وَفِي الْآخِرَةِ}

المثوبة الحسنى، أو المغفرة والرحمة، أو الجنة.

{إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ}

تعليل لطلب الحسنة في الدارين؛ أي لأنا تُبنا إليك من المعاصي التي جئناك للاعتذار منها. يقال: هاد يهود، إذا رجع وتاب.

{قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ... }

جواب من الله تعالى لنبيه موسى باجابة سؤله بقبول توبة قومه. وحاصله –كما قاله الآلوسي –: إن عذابي الذي تخشى أن يُصيب قومك أصيب به من أشاء، فلا يتعين قومُك لأن يكونوا عرضاً له بعد توبتهم

{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}

فلا تضيق عن قومك. كيف وقد تابوا ووفدوا إليَّ – أردهم خائبين؛ بل إني سأرحمهم، وأكتب الحظ الأوفر من رحمتي لأخلافهم وذراريهم الذين ياتون من بعدهم، ويتصفون بما يرضيني ويقومون بما آمرهم به، وهم من أدركوا بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، واتبعوه إيمانا به وبما جاء من نعوته في التوراة والإنجيل، فيكونون من آمن بالكتابين، وأفلح في الدارين. ووصف أخلافِهم بما وصفوا به لاستنهاض هِمم بني إسرائيل إلى الثبات على التوبة، وما يوجب الفلاح من الطاعة. والقصر المستفادُ من الجملة قصر نسبي، أي سأجعلها خاصة بهؤلاء دون من بقي منهم على دينه ولم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم حين بعثته.

.157

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157)

{النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ}

الذي لا يكتب ولا يقرأ؛ نسبة إلى أمة العرب، لأن الغالب عليهم ذلك. أو إلى الأم وكأن الذي لا يكتب ولا يقرأ باق على حالته التي ولد عليها. وفي وصفه صلى الله عليه وسلم بالأمّية إشارة إلى أن كمال علمه مع ذلك إحدى معجزاته؛ فإنه عليه الصلاة والسلام لم تتفق له مطالعه كتاب، ولا مصاحبة معلم؛ لأن

مكة لم تكن بلدة العلماء، ولا غاب عنها غيبة طويلة يمكن التعلم فيها، ومع ذلك فتح الله عليه أبواب العلم، وعلمه ما لم يكن يعلم من سائر العلوم والفنون التي اشتملت عليها أحاديثه، وتعلمها و الناس منه، وكانوا بها أئمة العلماء، وقادة المفكرين. فما من شيء يحتاج إليه الفرد أو الأمة في الحياتين إلا للرسول صلى الله عليه وسلم هُدىً فيه، وقول سديد و بيان شاف، فأكْرِم بأمّية تضاءل عندها علم العلماء في كل العصور! وأعظم بها! وهي الهدى والأسوةُ والنور. وقد ذكره الله في التوراة والإنجيل باسمه ونعوته، صلى الله عليه وسلم.

{وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ}

أي ما طاب في حكم الشرع كالشحوم

{وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ}

أي ما خبث في حكم الشرع كالربا؛ فالمدار على حكم الشرع في حل الأشياء وحُرمتها، لا على الرأي والفكر.

{وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ ... }

يخفف عنهم ما ألزِموا العملَ به من التكاليف الشاقة الشديدة في التوراة؛ كقطع موضع النجاسة من الثوب، وإحراق الغنائم وتحريم السبت، وتَعيّن القصاص في القتل مطلقا دون شرع الدية ونحو ذلك. والاصرُ في الأصل: الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه عن الحراك. والأغلالُ: جمع غل، وهو الحديدة التي تجمع يد الأسير إلى عنقه، وتسمى الجامعة. والمراد بها ما ذُكر.

{وَعَزَّرُوهُ}

عظموه ووقروه

{وَنَصَرُوهُ}

أي على أعدائه في الدين. وإذا أخذ في معنى التعزير النصرةُ يكون عطف (نصروه) عليه من عطف اللازم على ملزومه.

.158

قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (158)

{قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ}

أمرٌ للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يصدع بما فيه تبكيتٌ لليهود، وإعلام بعموم رسالته صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة؛ رداً على زعمهم أنه مرسل للعرب خاصة.

.159

وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (159)

{وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى .. } . وهم أناس كانوا على خير وصلاح في عهد موسى عليه السلام، مخالفين لأولئك السفهاء من قومه. وقيل: هم ممن آمن من اليهود بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم.

{وَبِهِ يَعْدِلُونَ}

بالحق يحكمون في الخصومات بينهم.

.160

وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (160)

{وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا .. }

أي صيرناهم اثنتي عشرة أمة لتتميز كل أمة عن الأخرى، ويقال لكل واحدة: سِبطٌ. والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب. والسبط: ولدُ الولد أو الولدُ.

{فَانْبَجَسَتْ}

انفجرت. يقال: بجست الماء أبجسُهُ فانبجس؛ بمعنى فجَّرته فانفجر.

{اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ... }

لكل سِبط عين، وكان ذلك في التّيه.

{وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ... }

المَنَّ مادة صمغية حلوة كالعسل. {وَالسَّلْوَى .. }

الطائر المعروف بالسماني. [آية 57 البقرة].

.161

وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (161)

{هَذِهِ الْقَرْيَةَ}

هي بيت المقدس أو أريحاء.

{وَقُولُوا حِطَّةٌ}

أي قولوا مسألتُنا حِطة، أي أن تحط عنا خطايانا [آية 58 البقرة].

.162

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ (162)

{رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ}

عذابا من السماء أهلكهم (آية 59 البقرة].

.163

وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (163)

{حَاضِرَةَ الْبَحْرِ}

أي قريبة من بحر القُلْزُم – البحر الأحمر – مشرفة على شاطئه. والأكثرون على أنها أَيْلَةُ، وقيل مدين، وقيل طبرية.

{إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ}

يعتدون في يوم السبت حدودَ الله بصيد الحيتان فيه وقد نُهوا عنه. يقال: عدا فلان الأمر واعتدى، إذا تجاوزه.

{شُرَّعًا}

شارعةً ظاهرة على وجه الماء من كل ناحية كشوارع الطرق، دانية من الساحل. جمعُ شارع؛ مِنْ شَرَع عليه إذا دنا وأشرف. وكل شيء دنا من شيء فهو شارع. ودارٌ شارعةٌ: إذا دنت من الطريق.

{وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ}

ويوم لا يعظمونه تعظيم السبت، وذلك سائر الأيام غير يوم السبت. يقال: سبتَ فلان – كنصر وضرب – إذا عظّم السبت.

{لَا تَأْتِيهِمْ}

حيتانهم. اختبرهم الله باظهار الحيتان لهم على ظهر الماء يوم السبت وإخفائها عنهم في غيره.

{نَبْلُوهُمْ}

نمتحنهم ونختبرهم بالشدة.

.164

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (164)

{وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ}

افترق أهل القرية ثلاث فِرَق: فرقة اعتدت بالصيد يوم السبت، وفرقة نهت عنه، وفرقة سكتت فلم تفعل ولم تنه عنه، وقالت للناهية: {لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا}

فأجابتها بأنا فعلنا ذلك معذرة إلى الله لوجوب النهي عن المنكر، وجائز أن ينتفعوا بها. فلما تركوا ما وعظوا به أخذهم الله بالعذاب الشديد، ونجى الفرقة الناهية. وأما الثالثة فقيل إنها ناجية، وقيل هالكة، والأول أصح.

{قَالُوا مَعْذِرَةً}

أي نعظهم لأجل المعذرة إلى الله تعالى، وطَلَبِ عفوه ومغفرته؛ فهو منصوب على المفعول لأجله.

والمعذِرة: مصدر كالمَغفِرة. يقال: عذره يَعذِره: عُذرا ومعذِرة، وهي التنصل من الذنب.

.165

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (165)

{بِعَذَابٍ بَئِيسٍ}

شديد وجيع؛ من بَؤُس يَبْؤُس بأسا، إذا اشتد.

.166

فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (166)

{عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ}

تكبروا عن ترك ما نُهوا عنه وأبَوْا أن يرجعوا عن المعصية. يقال: عتا يعتُو عُتُوا وعِتيا، استكبر وجاوز الحد.

{خَاسِئِينَ}

صاغرين أذلاء، مبعدين عن كل خير. [آية 65 البقرة].

.167

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (167)

{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ}

أي أعلم ربُّك أسلاف اليهود بأنهم إن غيروا وبدلوا، ولم يؤمنوا بأنبيائهم ليسلطن عليهم إلى يوم القيامة من يُذيقهم ما يسوؤهم ويغُمُّهم من أنواع العذاب.

{تَأَذَّنَ}

بمعنى آذن أي أعلم. يقال: آذنه الأمر وبالأمر، أعلمه. وأذّن تأذيناً: أكثر الإعلام.

{يَسُومُهُمْ}

يذيقهم ويكلفهم.

.168

وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (168)

{وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا}

فرقناهم في أقطار الأرض فِرقاً حتى لا تكون لهم شوكة

{مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ}

أي المؤمنون

{وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ}

وهم غير المؤمنين.

{وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ}

عاملناهم معاملة المبتلى المُختبر بالنعم والخصب والعافية، وبالجَدب والشدائد؛ لِيتوبُوا ويرجعوا إلى ربهم. يقال: بلاه يبلُوه. بَلْوا، وابتلاه ابتلاء، إذا جربه و اختبره.

.169

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (169)

{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ ... }

فجاء من بعد هؤلاء الذين فيهم الصالح وغير الصالح خَلْفٌ لا خير فيهم، وهم اليهود الذين كانوا في عهده صلى الله عليه وسلم. والخَلْفُ: القرن يجيء بعد القرن، وهو بسكون اللام شائع فيمن يخلف بالسوء، وبفتحها فيمن يخلف بالخير.

{يَأْخُذُونَ عَرَضَ ... }

يأخذون عِوَضا عن قول الحق متاع هذه الحياة الدنيا، وهو الرشوة في الأحكام، والرشوة على التحريف. والعَرَض: متاع الدنيا وحُطامها.

{الْأَدْنَى}

الأقرب: والمراد به الدنيا، وهي من الكثير للقرب بالنسبة إلى الآخرة.

{وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ ... }

أي وإن أتاهم شيء من حُطام الدنيا أخذوه، حلالا كان أو حرام، ويتمنون على الله المغفرة. وإن وجدوا من الغد مثله أخذوه، وذلك لشدة حرصهم على الدنيا وإصرارهم على المعاصي.

{وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ... }

قرأوا ما في الكتاب وهو التوراة وتدبروه مراراً، فَلِمَ كذبوا على الله؟.

.170

وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (170)

{وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ ... }

أي والذين يتمسكون بالكتاب الأول وهو التوراة فلم يحرّفوه ولم يغيّروه، فأدّاهم ذلك إلى الإيمان بالكتاب التالي والعمل به وهو القرآن – فإنا لا نضيع أجرهم. نزلت في مؤمني أهل الكتاب. يقال: مَسّكتُ وتمسكت بالشيء وتمسكت به، واستمسكت به وأمسكت به بمعنى.

.171

وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (171)

{وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ ... }

زعزعنا جبل الطور، ورفعناه فوق رءوسهم كأنه غمامةٌ أو سقيفة؛ وهو كما قال تعالى: {وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ}

[البقرة 93] من النَّتق وهو الزعزعة والرفع والجذبُ بشدة. يقال: نَتَق الشيء ينتُقه ويَنْتِقه نتقاً، جذبه واقتلعه. والظُّلة في الأصل: كل ما أظلك من سقف أو غيره.

.172

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172)

{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ ... }

أي أخرج من ظهر آدم ذريته كهيئة الذّر، ثم أخرج من هذا الذر ذريته كذلك، ثم أخرج من الذَّر الآخر ذريته كذلك. وهكذا إلى آخر النوع الإنساني.

{وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ}

قررهم جميعا بربوبيته لهم. والشهادة على النفس إقرار.

{قَالُوا بَلَى}

أي قالوا أنت ربنا وشهدنا به أقررنا على أنفسنا برُبُوبيتك.

{أَنْ تَقُولُوا}

أي لئلا تقولوا. أو كراهة أن تقولوا. والمعنى على ما ذهب إليه جمع من المفسرين: أنه تعالى نصب للناس في كل شيء من مخلوقاته ومنها أنفسهم – دلائل توحيده ورُبوبيته، وركز فيهم عقولا وبصائر يتمكنون بها تمكنا تاماً من معرفتها، والاستدلال بها على التوحيد والرُّبوبية؛ حتى صاروا بمنزلة من إذا دعى إلى الاعتراف بها سارع إليه دون شك أو تردد. فالكلام على سبيل المجاز التمثيلي: لكونهم في مبدأ الفِطرة مستعدين جميعا للنظر المؤدي إلى التوحيد، ولا إخراج للذُّرية، ولا قول ولا إشهاد بالفعل. وذهب جمع من السلف: إلى أن الله تعالى أخرج من ظهر آدم ذريته كالذَّر. وأحياهم وجعل لهم العقل والنطق، وألهمهم ذلك الإقرار؛ لحديث رواه عمر رضي الله عنه. وقد أفاض العلامة الآلوسي في هذا المقام، فارجع إليه إن شئت.

.173

أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (173)

.174

وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (174)

.175

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175)

{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ}

أي أذكر لهم قصة رجل من بني إسرائيل أوتِيَ علم ببعض كتب الله، ثم كفر بها ونبذها وراء ظهره.

{فَانْسَلَخَ مِنْهَا}

فخرج منها بكفره بها.

{فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ}

لحقه وأدركه فصار قُدوة ومتبوعاً للشيطان، أو فاتْبعَه الشيطان خطواته وجعله تابعاً لها

{فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ}

فصار في زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد أن كان مهتدياً.

.176

وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176)

{وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا}

أي لرفعناه إلى منازل الأبرار، بسبب تلك الآيات التي آتيناه إياها والعمل بما فيها

{أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ}

رَكَن إلى الدنيا واطمأن بها. يقال: خلد إلى كذا وأخلد إليه: ركن.

{إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ... }

أي إن شددت عليه وأجهدته لهثَ وإن تركته على حاله لهثَ. فهو دائم اللهث في الحالين؛ لأن اللهث طبيعة فيه، فكذلك حال الحريص على الدنيا، إن وعظته فهو لحرصه لا يقبل الوعظ، وإن تركت وعظه فهو حريص؛ لأن الحرص طبيعة فيه، كما أن اللهث طبيعة في الكلب. واللهْثُ: إدلا ع اللسان بالنَّفس الشديد. يقال: لهَثَ الكلب – كسمع ومَنَع – يلهث لهثا ولُهاثا، إذا أخرج لسانه في التنفس.

.177

سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (177)

.178

مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (178)

.179

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179)

{ذَرَأْنَا ... }

خلقنا: يقال: ذرأ الله خلقَه يذرؤُهم ذرءًا، خلقهم. أخبر الله أنه خلق كثيرا من الثقلين لجهنم، وهم الكفار المعرضون عن الآيات وتدبرها، الذين عَلِم منهم أزلاً اختيارهم الكفر، فشاءه منهم وخلقه فيهم، وجعل مصيرهم النار لذلك. واللام في (لجهنم) للعاقبة والصيرورة.

.180

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (180)

{يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ}

يميلون و ينحرفون، فيها عن الحق إلى الباطل. يقال: ألحد إلحاداً، إذا مالَ عن القصد والاستقامة. وألحَدَ في دين الله: حاد عنه. ومن إلحادهم في أسمائه تسميةُ أصنامهم بأسماء مشتقة منها، كاللات: من الله، والعُزَّي: من العزيز، ومناة: من المنان.

وتسميته تعالى بما يوهم معنى فاسدا؛ كقولهم له: يا أبيضَ الوجه.

.181

وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (181)

{وَبِهِ يَعْدِلُونَ}

وبالحق يقضون وينصفون الناس. والمرادُ بهذه الأمة: أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال من أمتي أمةً قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تعالى وهم على ذلك) رواه الشيخان.

وقيل: هم مَن آمن من أهل الكتاب.

.182

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (182)

{سَنَسْتَدْرِجُهُمْ}

سَنستدنيهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم؛ بإدْرار النعم وتواترها عليهم مع انهماكهم في الضلال، حتى يفاجئهم الهلاك وهم غافلون. وقد قيل: إذا رأيت الله تعالى أنعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم أنه مُستَدرج. وأصلُ الاستدراج: الاستصعاد أو الاستنزال درجه بعد درجة. وهو استفعال من الدرجة بمعنى النقل درجة بعد أخرى، من سُفل إلى علو، أو بالعكس.

.183

وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (183)

{وَأُمْلِي لَهُمْ}

أمهلهم ملاوَةً من الدهر وهي المدة الطويلة؛ من الإملاء، وهو الإمهال وإطالة المدة

{كَيْدِي مَتِينٌ}

أخذي شديد قوي.

.184

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (184)

{مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ}

من خَبَل وجنون؛ من الجن، وهو الستر عن الحاسة [آيه 76 الأنعام]. والخَبْلُ يُجَنّ العقل ويستره، و (ما) نافية؛ والمقصود تنزيهٌ للنبي صلى الله عليه وسلم عما نسبوه إليه. وقيل: استفهامية إنكارية: أيْ أيُّ شيء بصاحبهم من الجنون.

.185

أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (185)

{مَلَكُوتِ}

هو المُلْك العظيم، زيدت فيه الواو والتاء للمبالغة، كما في جَبَروت.

{فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ}

أي فبأي كلام بعد القرآن العظيم يصدقون.

.186

مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (186)

{طُغْيَانِهِمْ}

تجاوزهم الحد في الكفر.

{يَعْمَهُونَ}

يترددون متحيرين [آية 15 البقرة].

.187

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (187)

{أَيَّانَ مُرْسَاهَا}

أي متى

إثباتها واستقرارها، والمرادُ متى قيامها. أيّان: ظرف زمان متضمن معنى الاستفهام بمعنى متى، في محل رفع خَبَرٌ مقدم، و (مُرْسَاهَا) مبتدأ مؤخر، وهو مصدر ميميٌّ؛ من أرساه إذا أثبته وأقره.

{لَا يُجَلِّيهَا}

لا يظهرها ولا يكشف عنها.

{ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}

شَقّت أو عَظُمت على أهلها، لخوفهم من شدائدها وأهوالها، من الثقل ضد الخفة، و (في) بمعنى على.

{بَغْتَةً}

فجأة، على حين غفلة منكم.

{كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا}

أي كأنك عالم بها؛ من حَفِي عن الشيء، إذا بحث عن تعرُّف حاله، ومن بحث عن شيء وسأل عنه استحكم علمه به؛ فأريد به لازم معناه مجازا أو كناية. وعُدّي (حَفي) بعَنْ اعتبارا لأصل معناه، وهو السؤال والبحث.

.188

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188)

.189

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (189)

{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ}

نزلت الآية في تسمية آدم وحواء ولديهما بعبد الحرث، بوسوسة إبليس لحواء – وكان يُسمى بين الملائكة الحرث حين علم موت أولادهما، وحرصهما على حياتهم، فزين لها أنها إذا سمت ابنها بهذا الاسم عاش، ففعلت وأقرها آدم على هذه التسمية. وهو ليس شِركاً في العبادة وإنما هو شرك في التَّسمية، وهو خلاف اللائق بهما، ولذا عوتبا عليه. والتعبير بالجمع في قوله (شركاء) لأن من استساغ الشركة في التسمية في واحد استساغها في الأكثر. وقيل: المرادُ بالنّفس الواحدة: آدم، وبالزوج حواءُ، وقد دَعَوا ربهما حين أثقلها الحمل: لئن اتيتنا ولدا صالحا لنكونن من الشاكرين؛ فلما آتاهما صالحاً جعل أولادُهما من بعدهما لله شركاء فيما آتى أولادهما من الأولاد. وعلى المعنيين قد تم الكلام بقوله: (فيما آتاهما) ثم ابتدأ بالخبر عن الكفار بقوله: {فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (190)} [السورة]،

وقوله: {تَغَشَّاهَا}

أي تدَثَرها لقضاء شهوته، وهو كنايةٌ عن ذلك بديعة

{فَمَرَّتْ بِهِ}

فاستمرت به بغير مشقه.

{أَثْقَلَتْ}

صارت ذات ثقل بكبر الحمل؛ فالهمزة للصيرورة.

{لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا}

رَزَقتنا نسلا سَوِيا صالحا لعمارة الأرض

{لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ}

لنعمائك.

.190

فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (190)

{جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ}

بتسمية ولديهما عبد الحارث بوسوسة إبليس مريدا بالحرث

نفسه.

{عَمَّا يُشْرِكُونَ}

أي العرب بعبادة الأصنام.

.191

أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (191)

.192

وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (192)

.193

وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ (193)

.194

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (194)

{إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ}

أي إن هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله، وتعتقدون فيها النفع والضر إنما هي عبادٌ مملوكة لله تعالى، مسخَّرة مُذَلَّلة لقدرته – أمثالُكم فكيف تعبدونها!؟ وأطلق عليها (عِباد) مع أنها جماد وَفْق اعتقادهم فيها، تبكيتا لهم وتوبيخاً.

.195

أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ (195)

{فَلَا تُنْظِرُونِ}

فلا تمهلوني ساعة بعد تدبير كيدكم مستعينين بشركائكم، فإني لا أبالي بكم؛ من النظر بمعنى التأخير والإمهال.

.196

إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (196)

.197

وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (197)

.198

وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (198)

.199

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (199)

{خُذِ الْعَفْوَ ... }

أي اقبَل ما عفا وتيسَّر من أخلاق الناس، وارْضَ منهم بما تيسَّر من أعمالهم وتسهَّل من غير كُلْفة، ولا تطلب منهم ما يشق عليهم ويرهقهم حتى لا يَنْفِروا.

{وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ}

أي بالمعروف المستحسَن من الأفعال، وهو كلُّ ما عُرف حُسْنُه في الشرع، فإن ذلك أقرب إلى قبول الناس من غير نكير.

{وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}

وهذه الآية أجمع آية في القرآن لمكارم الأخلاق.

.200

وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (200)

{وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ}

وان تعرِض لك من الشيطان وسوسة فاستجر بالله والجأ إليه في دفعها عنك؛ من النَّزغ بمعنى النخْس والغرز، وهو إدخال الإبرة أو طرف العصا ونحوها في الجلد؛ وإطلاقُه على الوسوسة مجاز.

.201

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (201)

{مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ}

لَمَّة منه ووَسوسة، بما فيه صدٌّ عما يجب حقا لله تعالى أو للعباد؛ مريدا بذلك اقتناصَهم وإفسادَهم. يقال: طاف الشيء، إذا دار حوله

{تَذَكَّرُوا}

أمر الله ونهيه وعداوة الشيطان.

.202

وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (202)

{وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ}

وإخوان الشياطين من المشركين تزيدهم الشَّياطينُ في الضلال بالوَسْوسة والإغراء بالمعاصي؛ من المد وهو الزيادة.

يقال: مَّده

يمُدُّه زاده.

و {الْغَيِّ}

مصدر غَوى يغوي غيًّا وغَواية.

{ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ}

ثم لا يَكفُّون عن ذلك الإغواء حتى يُرْدُوهم بالكليّة، من أقصر عن الشيء: إذا كفَّ عنه ونزع مع القدرة عليه. أو ثم لا يكفُّ هؤلاء الناس عن الغَي بل يتمادَوْن فيه.

.203

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (203)

{قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا}

قالوا تهكُّما: هلا جمعتها من عند نفسك! يقال: جَبَيت الماء في الحوض، جمعته؛ ومنه قيل للحوض: جابية لجمعه الماء، أو هلا اخترعته عن نفسك. يقال: اجتبيت الكلام واختلقته وانتحلته واخترعته؛ إذا افتعلته من قبل نفسك

{هَذَا بَصَائِرُ}

القرآن حجج بينة وبراهين نيرة.

.204

وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (204)

.205

وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (205)

{وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ}

أي استحضر عظمته جل جلاله في قلبك

{تَضَرُّعًا}

متضرعاً متذلِّلا له.

{وَخِيفَةً}

خائفا منه تعالى مُتذللاً له.

{وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ}

عطف على (في نفسك) أي اذكر ربَّك ذكرا في نفسك، وذكرا بلسانك دون الجهر، والمراد بالجهر: رفع الصوت بإفراط، وبما دونه ما هو أقل منه، وهو الوسط بين الجهر والمخافتة.

{بِالْغُدُوِّ}

وهو ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس.

{وَالْآصَالِ}

جمع أصيل، وهو من العصر إلى الغروب. والمرادُ: دوام الذكر واتصالُه بقدر الإمكان. أي أذكر الله في كل وقت؛ وراقبه في كل حال.

.206

إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (206)

{وَيُسَبِّحُونَهُ}

ينزهونه عن كل ما لا يليق بجلاله على أبلغ وجه وأكمله.

{يَسْجُدُونَ}

يخضعون له تعالى و يعبدونه.

والله أعلم.

سورة الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (1)

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ}

أي عن الغنائم، وهي الأموال المأخوذة من الكفار قهرا بقتال. جمعُ نفل، وأصله الزيادة. تقول: نفلتك وأنفلتك، أي زدتك. و سميت أنفالا لأنها زيادةٌ خص الله تعالى بها هذه الأمة، إذ كانت محرمة على من قبلهم من الأمم. سأل بعض أهل بدر النبي صلى الله عليه وسلم عن حكمها، حين تنازعوا في قسمتها؛ فنزلت الآية باختصاص حكمها بالله ورسوله، يقْسِمها الرسول صلى الله عليه وسلم كما أمره الله تعالى، فقسّمها بينهم على السَّواء.

{لِلَّهِ وَالرَّسُولِ}

مفوض إليهما أمرها

{وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ}

بعد أن أمرهم الله تعالى بالتقوى وامتثال أمره وأمر رسوله، أمرهم بإصلاح ذات بينِهم. {ذَاتَ} كلمة بمعنى صاحبة، ولا تستعمل إلا مضافةٌ إلى الظاهر؛ كذات الصدور، وذات الشَّوكة. والبَيْن: يطلق على الوُصلة وعلى الفُرقة؛ أي راعُوا أحوالاً تحقق اتصالكم، وهي ما يقتضيه كمال الإيمان من الموادَّة والمصافاة فأحرصوا عليها. أو راعُوا أحوالاً توجب فرقتكم فاجتنبوها. ثم وصف كاملي الإيمان بالصفات الخمس الآتية؛ ترغيباً للسائلين في الاتصاف بها.

.2

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2)

{وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}

خافت وفزعت، استعظاما لجلاله، وحذرا من عقابه. والوَجِل: استشعار الخوف. يقال: وَجِل وجلاً فهو وَجِل، إذا خاف.

{زَادَتْهُمْ إِيمَانًا}

أي زادتهم تلاوتها تصديقا ويقينا. والتصديق لا شك في تفاوته للفرق الظاهر بين تصديق الأنبياء وآحاد الناس، ولتفاوت مراتب اليقين إلى علم اليقين، وحق اليقين، وعين اليقين.

{وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}

يعتمدون فيفوضون أمورهم كلها إليه تعالى وحده؛ فلا يرجون غيره، ولا يطلبون إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه.

.3

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3)

{يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ}

[آية 3 البقرة).

.4

أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4)

{أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ}

أي أولئك المتصفون بهذه الصفات،

الجامعون بين الإيمان والعمل هم المؤمنون إيمانا حقا، أي ثابتاً صدقاً، وهو الإيمان الكامل.

.5

كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (5)

{كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ}

أي حال بعض أهل بَدْر في كراهة قسمة الغنيمة بالسَّوية، مثل حال بعضهم في كراهة الخروج للقتال، مع ما في هذه القسمة والقتال من الخير. فالكاف بمعنى مثل، خبرٌ لمبتدأ محذوف وهو المشبّه، والمذكور هو المشبه به ووجه الشبه مطلق الكراهة وما ترتب على كل من المكروهَيْن من الخيرِ للمؤمنين. وقد وقعت في هذه الغزوةِ كراهتان بحكم الطبيعة البشرية، أعقبها إذعان وتسليم ورضى من الصحابة رضوان الله عليهم. الأولى – كراهةُ شبّان أهل بدر قسمة الغنيمة بالسَّوية، وكانوا يحبون الاستئثار بها لأنهم هم الذين باشروا القتال دون الشيوخ الذين كانوا معهم في الغزوة؛ مع أنهم كانوا ردءاً لهم. فكان في الأمر بالقسمة بالسوية خير للمؤمنين، إذ أصلح الله بينهم وردهم إلى حالة الرضا والصفاء. والثانية كراهة بعض أهل بدر قتال قريش، بعد نجاة العير التي خرجوا لأجلها؛ لخروجهم من غير استعداد للقتال لا بعَدَد ولا بعُدد، فكان في القتال الذي أمروا به عزة الإسلام وخَضْدُ شوكة الكفر والطغيان. وفي هذه الآية تنوية بأن الخير فيما قدره الله لا فيما يظنون.

.6

يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (6)

{يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ}

أي يجادلونك في أمر القتال بقولهم: ما كان خُروجنا إلا للعير دون تأهُّبٍ للقتال.

{بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ}

الحق بإعلامك أنهم ينصرون أينما توجَّهوا، وقد أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم قبل نجاة العِير بأن الله وعده الظفر بإحدى الطائفتين: العير أو النَّفير، فلما نجت العير عُلم أن الظفر الموعود به إنما هو على النفير. والعِير: الإبل الحاملة لأموالهم، الآتية من الشام إلى مكة. والنَّفير: المشركون الذين استنفرهم أبو سفيان للقتال دون العير. والطائفة من الناس: الجماعة منهم، ومن الشيء: القطعة منه.

.7

وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (7)

{ذَاتِ الشَّوْكَةِ}

أي السلاح: أو الشدة والقوة. وذات الشَّوكة هي النَّفير. وقد أحبُّوا أن تكون لهم طائفة العير دون طائفة النفير التي فيها القتال بالسلاح؛ ولكن الله أراد لهم وللإسلام ما هو خير، فمكّنهم من أعدائهم وأعز الإسلام بنصرهم.

{وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ}

أي آخرهم [آية 45 الأنعام]. وقد هلك في هذه الغزْوة صنادِيدُ قريش وعصابة المستهزئين؛ وهم أمة الكفر في مكة.

.8

لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (8)

.9

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9)

{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ}

تطلبون منه الغوث والنصر على عدوكم. والغَوْث: التخليص من الشدة؛ فأجاب دعاءكم بأنه مرسلٌ إليكم مددا ألفا من الملائكة

{مُرْدِفِينَ}

أي متتابعين بعضهم في إثر بعض. يقال: أردفتُه وردِفتُه، بمعنى تبعته. وقد قاتلت الملائكة في بدر على الصحيح، ولم تقاتل في غيرها، وإنما كانت تنزل لتكثير عدد المسلمين [آية 124،125 آل عمران).

.10

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10)

.11

إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (11)

{إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ}

يجعله غاشياً لكم كالغطاء من حيث اشتماله عليكم؛ من غَشَّاه تغشية غطاه. والنُّعاس: أول النوم قبل أن يَثْقُل.

{أَمَنَةً مِنْهُ}

تعالى لكم، يزيل به عن قلوبكم الرعب ويقويكم بالاستراحة به على القتال في الغد. مصدرٌ بمعنى الأمن، وهو طمأنينة القلب وزوال الخوف. يقال: أمِنْت من كذا أمَنَة وأمناً وأمانا، بمعنى.

{رِجْزَ الشَّيْطَانِ}

وسوسته لكم وتخويفه إياكم من العطش. وأصلُ الرّجْز: الاضطراب، ويطلق على كل ما تشتد مشقته على النفوس

{وَلِيَرْبِطَ}

يشدُّ ويقوّي باليقين والصبر.

.12

إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (12)

{أَنِّي مَعَكُمْ}

أي بالعون والنَّصر. وقد بين الله ذلك بقوله:

{سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ}

أي الخوف والانزعاج. وأصله: الانقطاع من امتلاء النفس بالخوف من المكروه

{فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ}

بيان لكيفية التثبيت. والأعناق: الرءوس. والبنان: الأصابع، جمع بنانة؛ من قولهم: أبَنَّ الرجل بالمكان، وبَنَّ يَبِنُّ إذا أقام به. وسميت بنانًا لأن بها إصلاح الأحوال التي بها يمكن أن يَبِنَّ، أي يقيم. وقيل البنان هنا: مطلق الأطراف لوقوعها في مقابلة الأعناق.

.13

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (13)

{شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ}

خالفوا أمرهما. والمُشاقة: المخالفة وأصلها المجانبة؛ لأنهم صاروا في شِقٍّ وجانب عن شِقِ المؤمنين وجانبهم.

.14

ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ (14)

.15

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (15)

{زَحْفًا}

زاحفين نحوكم، أو يزحفون زحفاً لقتالكم. والزَّحفُ: انبعاث من جَرِّ الرِّجْل؛ كانبعاث الصبيِّ قبل أن يمشي، والبعيرِ إذا أعيا. أو هو الدَّبيب في السير. سُمِّي به الجيش الكثيف المتوجه للعدو؛ لأنه لكثرته وتكاثفه يُرى كأنه جسم واحد يزحف ببطء وإن كان سريع السير.

{فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ}

أي تديروا لهم ظهوركم

منهزمين؛ والمنهزم يولّي ظهره من انهزم منه. والأدبارُ: جمعُ دُبُر، وهو خلاف القُبُل ويطلق على الظهر وهو المراد هنا.

16.وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (16)

{إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ}

أي إلا أن يكون في توليه منعطفا عن موقفه إلى موقف آخر أصلح للقتال فيه. أو إلى قتال طائفة أخرى أهم من هؤلاء. أو خادعاً للعدو بالفرَّة، مريدا الكَرَّة، والحرب خدعة، وأصل التحرُّف: الزوال عن جهة الاستواء إلى جهة الحرف والطّرف؛ ومنه الاحتراف والتحريف.

{أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ}

أو إلا أن يكون في توليه منحازا إلى جماعة أخرى من الجيش، ومنضمًّا إليها للتعاون معها على القتال؛ من التحيز وهو الانضمام. يقال: حُزت الشيء أحوزه، إذا ضممته. والفِئة: الجماعة من الناس، سُمِّيت فئة لرجوع بعضهم إلى بعض في التعاضد؛ وجمعها فئات

{بَاءَ بِغَضَبٍ}

رجع متلبسا به مستحقا له.

.17

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (17)

{فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ}

أي فلم تقتلوهم بحولكم وقوتكم مع كثرة عددهم وقلة عددكم، ولكن الله هو الذي أظفركم بهم بحوله وقوته.

{وَمَا رَمَيْتَ}

بالرعب يوم بَدْر في قلوب الأعداء

{إِذْ رَمَيْتَ}

في وجوههم بالحصباء

{وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى}

بالرعب في قلوبهم فهزمهم ونصركم عليهم. أو ما أوصلت الحصباء إلى أعينهم، إذ رميتهم بها ولكن الله هو الذي أوصلها إليها.

{وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ}

اللام للتعليل متعلقة بمحذوف مؤخَّر. وليُحسن إليهم ويُنعم عليهم بالنصر والغنيمة فعل ما فعل، لا لشيء آخر؛ والبلاء هنا محمول على الإحسان والنعمة. ويطلق أيضا على المِحنة. وأصله الاختبار، وهو كما يكون بالنعمة لإظهار الشكر، يكون بالمحنة لإظهار الصبر.

.18

ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ (18)

{مُوهِنُ ... }

مضعف.

.19

إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (19)

{إِنْ تَسْتَفْتِحُوا}

إن تطلبُوا النَّصر لأعْلى الجُندين وأهْدى الفئتين فقد جاءكم النصرُ؛ حيث نُصِر الأعلى والأهْدى. قيل لهم هذا تهكما بهم. رُوى أنهم حين أرادوا الخروج إلى بَدْر تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهُمَّ انصر أعلى الجُندين وأهدى الفئتين،

وأكْرَم الحزبين، فكان ذلك في نفس الأمر دعاء على أنفسهم، لا على الرسول وأصحابه.

.20

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (20)

.21

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (21)

.22

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (22)

{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ}

نزلت في نفر من بني عبد الدار بن قصي، كانوا يقولون: نحن صُمٌّ بُكْم عُمْي عما جاء به محمد؛ فقُتلوا جميعا يوم بدر، ولم يسلم منهم إلا رجلان. وإطلاق الدابة على الإنسان حقيقي؛ لأنها تطلق على كل حيوان في الأرض مُميّز أو غير مُميّز.

.23

وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (23)

.24

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24)

{يُحْيِيكُمْ}

يورثكم حياة أبدية في نعم سرمدي.

{أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ}

أي يحول بين المرء وخواطر قلبه، فيمنعه من حصول ما لم يرده منه، فلا يقدر الإنسان أن يُدرك من إيمان أو كفر، أو أن يعيَ شيئا إلا بمشيئته تعالى؛ من الحَوْل بين الشيء والشيء، بمعنى الحجز والفصل بينهما. وهو مُجاز عن غاية قربه تعالى من العبد.

.25

وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (25)

{وَاتَّقُوا فِتْنَةً}

احذروا ابتلاء من الله تعالى ومحنة تنزل بكم، تعمُّ المسيء وغيره؛ كالقحط والغلاء، وتسلط الظلمة وغير ذلك.

والمراد التحذير من الذنوب التي هي أسباب الابتلاء؛ كإقرار المنكرات والبدع والرضا بها، والمداهنة في الأمر بالمعروف، وافتراق الكلمة في

الحق، وتعطيل الحدود، وفَشْوِ المعاصي ونحو ذلك. وفي حديث عائشة مرفوعا: (إذا ظهر السُّوء في الأرض أنزل الله بأهل الأرض بأسَه) فقالت: وفيهم أهل طاعة الله؟ قال: (نعم ثم يصيرون إلى رحمة الله (رواه الطبراني).

.26

وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (26)

{يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ}

يستلبوكم ويصطلموكم بسرعة.

.27

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (27)

{لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ}

أي بترك فرائض الله وسنن رسوله وارتكاب المعاصي؛ من الخَوْن وهو النَّقص. يقال: خوَّنه تخوينا، نسبة إلى الخيانة ونَقَصه. والخائن: ينقص المخُون شيئا مما خانه فيه.

.28

وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (28)

.29

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (29)

{يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا}

هداية في قلوبكم، تفرقون بها بين الحق والباطل. أو نصراً يفرق بين الحق والبطل. أو مخرجا من الشبهات. أو نجاة مما تخافون. أو جميع ذلك.

.30

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (30)

{لِيُثْبِتُوكَ}

أي بالوثاق، أو بالإثخان بالجراح حتى لا تستطيع حراكا؛ ومنه: رجل مُثْبِت، لا حراك به من المرض. وأثبته السقم: إذا لم يفارقه.

{وَيَمْكُرُ اللَّهُ}

يرد مكرهم، و يحبط كيدهم، ويدبر أمرك ويحفظك منهم. أو يجازيهم على مكرهم [آية 54 آل عمران].

.31

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (31)

{لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا}

أي مثل هذا القرآن

{إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}

ماسطروه في كتبهم من الأحاديث المكذوبة، والقصص المتخيلة [آية 25 الأنعام].

.32

وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (32)

{وَإِذْ قَالُوا .. }

القائل هو النضر بن الحارث من بني عبد الدار، قاله استهزاءً وإمعانا في الجحود، فنزل جوابا له:

.33

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33)

{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ}

أي وما كان الله مريدا لتعذيبهم تعذيب استئصال، وأنت مقيم بين أظهرهم بمكة. وقد جرَت سنة الله ألا يُهلك قرية مكذّبة وفيها نبيُّها والمؤمنون به؛ حتى يخرجهم منها ثم يعذب الكافرين

{وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ ... }

أي وما كان الله معذب هؤلاء الكافرين وبين أظهرهم بمكة من المؤمنين المستضعفين من يستغفر الله، وهم الذين لم يستطيعوا الهجرة حين هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وهو كقوله تعالى { ... لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (25)} [الفتح] وإسناد الاستغفار إلى ضمير الجمع لوقوعه فيما بينهم ولعل ما صدر عن البعض بمنزلة ما صدر عن الكل، كقولهم: بنو تميم قتلوا فلانا، والقاتل أحدهم.

.34

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (34)

{وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ}

أي شيء يمنع من عذابهم بعد خروجك وخروج المستضعفين من بين أظهرهم؛ أي لا مانع منه بعد ذلك خصوصا بعد مقتضيه. وقد أوقع الله بهم بأسَه يوم بدر فقُتِلَ صناديدهم، وأسِر سراتُهم وأذلوا.

.35

وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (35)

{مُكَاءً}

صفيرا: يقال:

مَكا الطيرُ يمكُو مكوا ومُكاءً، إذا صفَّر. وهو في الأصل اسم طائر أبيض يوجد بالحجاز له صفير.

{وَتَصْدِيَةً}

تصفيقا. وكانوا يطوفون بالبيت عراة، يصفرون ويصفقون، وكانوا إذا سمعوا الرسول صلى الله عليه وسلم يصلي ويتلو القرآن صفَّروا وصفَّقوا؛ ليخلطوا عليه قراءته، ويشغلوا عنه من يسمعه.

.36

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (36)

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ}

نزلت في المُطعِمين يوم بدر، وكانوا اثني عشر رجلا من قريش – منهم أبو جهل – يُطعمِ كل واحد منهم كل يوم عشر جُزُر.

{ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً}

أي ندامة وأسفا لفواتها من غير ثمرة. يقال: حَسِر يحَسر، ندم. والحسرةُ اسم منه، وهي التَلَهُّف والتأسف على الفائت [آية 167 البقرة].

.37

لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (37)

{فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا}

يجمعه ويضم بعضه إلى بعض. يقال: رَكَم الشيء يَركُمُه، إذا جمعه وألقى بعضه على بعض. وارتكم الشيءُ وتراكم: اجتمع؛ ومنه: {سحابٌ مَرْكوم} [آيه 44 الطور].

.38

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ (38)

{سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ}

عادة الله في المكذبين لرسله.

.39

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (39)

{لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ}

لا يوجد منهم شرك. أو لا يفتتن مؤمنٌ عن دينه.

.40

وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (40)

.41

وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (41)

{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ}

الغَنِيمَة: ما أُخذ من أموال الكفار قهرًا بقتال، أو إيجاف خيل أو ركاب، من الغُنْم وهو الفوز. يقال: غُنماً وغنيمة، إذا ظفر بالشيء. وأما ما أخذ منها بغير قتال ولا إيجافٍ فهو الفيء؛ وسيأتي في سورة الحَشر. والغنيمةُ تُخمَّس: فيعطى أربعةُ أخماسها مِلكا للمقاتلة الذين أحرزوها. والخمسُ الباقي كان في عهد النبوة خمسة أسهم: للرسول ولذي القربى واليتامي والمساكين وابن السبيل. وقولُه:

{فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ}

أي فحكمُه أن لله خُمُسه وذُكر الله تعالى لبيان أنه لا بد في الخمس من إخلاصه له تعالى، وأنه هو الحاكِم به فيقسِمه كيف شاء. وليس المراد أن له سهما منه مفردا؛ لأن له كلَّ شيء، فسهمُ الله وسهم رسوله شيء واحد. وأما بعده صلى الله عليه وسلم فقد سقط سهمه كما سقط سهمُ ذوي القربى، وإنما يعطون لفقرائهم ولا يعطى أغنياؤهم،

فيقسم الخُمس على اليتامى والمساكين وأبناء السبيل. وقيل: صرف سهم الرسول صلى الله عليه وسلم بعده لمصالح المسلمين وما فيه قوة لهم. وتفصيل المذاهب في قسمة الخمس وفي الفئ في كتب الفروع.

{يَوْمَ الْفُرْقَانِ}

أي يوم بدر، الذي: فرق فيه بين الحق والباطل.

.42

إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (42)

{بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا}

بجانب الوادي وحافته الأقرب إلى المدينة، {الدُّنْيَا}

تأنيث: الأدنى بمعنى الأقرب

{وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى}

أي بالجانب الآخر الأبعد منها. {الْقُصْوَى}

مؤنث الأقصى: أي الأبعد.

{وَالرَّكْبُ}

أي العير وأصحابُها أبو سفيان ومن معه.

{أَسْفَلَ مِنْكُمْ}

أي في مكان أسفل من مكانكم إلى ساحل البحر الأحمر، على ثلاثة أميال من بدر.

{وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ}

أي لو تواعدتم أنتم وهم للقتال، ثم علمتم حالهم وحالكم لتخلفتم عن لقائهم في الميعاد؛ هيبةً منهم ويأساً من الظفر بهم، بسبب قِلتكم وكثرتهم، وضعفكم وقوتهم {وَلَكِنْ} تلاقيتم على غير موعد

{لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا}

وهو نصرُكُم وخذلانهم

{لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ}

ليموت من يموت عن حُجة عاينها

{وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ}

ويعيش من يعيش عن حُجة شاهدها؛ فلا يبقى مجالٌ للتعلُّل بالأعذار. أو ليَكفر من كَفَر، ويؤمن من آمن عن حُجة واضحة ظاهرة.

.43

إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (43)

{لَفَشِلْتُمْ}

لجَبنتم و تهيبتم الإقدام عليهم، لكثرة عددهم وعُددهم. من الفشل وهو ضعف مع جبن.

.44

وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (44)

{وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ}

حين الالتقاء قبل الالتحام؛ حتى قال أبو جهل: إنما هم أكلَة جزور، وذلك ليجترئوا عليكم، ويتركوا الاستعداد والاستمداد. ثم عند الالتحام كثركم في أعينهم حتى رأؤكم مثليهم، لتفاجئهم الكثرة فيبهَتوا ويهابوا [آية 13 ال عمران]

عمران ص 74].

.45

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (45)

.46

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46)

{وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}

قوتكم ودولتكم. وأطلق على الدولة – بالفتح – ريح لشبهها بها في نفوذ الأمر وتمشيه. تقول العرب: هبت رياحُ فلان. إذا دالت له الدَّولة، وجرى أمره على ما يريد. وذهبت رياحه: إذا ولت عنه وأدبر أمره.

.47

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (47)

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا}

نزلت في مشركي مكة الذين خرجوا لاستنقاذ العير

{بَطَرًا}

طغيانا في النعمة بترك شكرها، واتخاذها وسيلة إلى مالا يرضي الله. أو فخرا وخيلاء. والبَطَرُ: دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقها، وصرفها إلى غير وجهها. وفعله كفَرِح.

{وَرِئَاءَ النَّاسِ}

ومراءاة للناس ليحمدوا لهم شجاعتهم وسماحتهم.

.48

وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (48)

{وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ}

مجير ومعين وناصر لكم. والجارُ: الذي يجير غيره؛ أي يؤمنه مما يخاف. والجارُ: الناصر والحليف.

{نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ}

رجع القهقرى وولى هاربا. أو بطل كيدُه وذهب ما خيّله إليهم من النصرة والعون. يقال: نكص عن الأمر نكوصاً ونَكْصًا، تكأكأ عنه وأحجم. والعقِب: مؤخر القدم. ونكص على عقبيه: رجع عما كان عليه من خير.

.49

إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (49)

.50

وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (50)

{وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى ... }

ولو رأيت ما يصيب قتلى بدر من أشد صنوف العذاب حين تقبض الملائكة أرواحهم، لرأيت منظرا فظيعا.

.51

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (51)

{لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}

أي ليس بذي ظلم لهم؛ إذ يعذبهم بسبب ما قدمت أيديهم من الذنوب، بل ذلك عدل. فظَلّام صيغة نَسَب؛ كلبّان وتمّار. أو هي صيغة مبالغة والتكثير لكثرة العبيد؛ كأنه قيل: ليس بظالم لفلان ولا بظالم لفلان، وهكذا؛ فلا جمع هؤلاء عدل إلى ظلّام لذلك.

.52

كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (52)

{كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ}

[آية 11 آل عمران ص).

.53

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (53)

{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا}

ذلك التعذيب على الأعمال السيئة عدل إلهي، فقد جرت سنه تعالى في خلقه، واقتضت حكمتُه في حُكمه ألا يُبدِّل نعمة بنقمة إلا بسبب ارتكاب الذنوب، فإذا لم يتلق المنعمُ عليهم نعمته تعالى بالشكر والطاعة، وقابلوها بالكفر والعصيان، بدّل نِعَمهم بنقم جزاءً وفاقاً، وهو كقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [آيه 11 الرعد].

.54

كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ (54)

.55

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (55)

{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ}

نزلت في يهود قُريظة، الذين عاهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم على الا يمالئوا عليه، فأعانوا المشركين بالسلاح واعتذروا، ثم عاهدهم بعد ذلك فنكثوا ومالئوا المشركين عليه يوم الخَندق، وركب زعيمهم كعب بن الأشرف إلى مكة فحالف المشركين على حرب الرسول صلى الله عليه وسلم. فهم شر الدواب، لتماديهم في الكفر ورسوخهم فيه، ولذا قال تعالى: {فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}.

.56

الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (56)

.57

فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (57)

{فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ .. }

فإن ظَفِرت بهم في الحرب فافعل بهم فعلا من القتل والتنكيل تُفرق به جمع كل ناقض للعهد؛ حتى يخافك من وراءهم من أهل مكة وغيرها. يقال: ثَقِفه يَثْقفه، صادفه أو ظفر به أو أدركه. وشَرَّدت بني فلان: قلعتُهم عن مواطنهم وطردتهم عنها حتى فارقوها.

.58

وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (58)

{وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً}

أي وإما تعلمنّ من قوم بينك وبينهم عهد مشارَفَتهم نقضه خيانه منهم، بأمارات تلوح لك كما ظهر من بني النضير فاطرح إليهم عهدهم.

{فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ}

فاطرح اليهم عهدهم وحاربهم. والنَّبذ: إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به؛ وفعله كضرب.

{عَلَى سَوَاءٍ}

أي على طريق مستو ظاهر؛ بأن تُعلمهم بنبذ عهدهم قبل أن تحاربهم؛ حتى تكون أنت وهم في العلم بنبذ العهد سواءً، فلا يتوهَّم أحد فيك الغدر. أما إذا ظهر نقضهم العهد ظهورا مقطوعاً به، فلا حاجة إلى اعلامهم بالنبذ.

والسواء: المساواة والعدل والوسط.

.59

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (59)

{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا .. }

لا يحسبن كفار مكة الذين نجوا يوم بدر من القتل والأسر أنفسهم قد سبقوا الله، فخلصوا من عذابه ونجوا منه.

{سَبَقُوا}

خلصوا وأفلتوا من العذاب.

{إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ}

أي لا يجدونه عاجزا عن إدراكهم. أو لا يفوتونه بل يدركهم بعذابه لا محالة. يقال: أعجزه الشيء أي فاته. وقوله: {إِنَّهُمْ} تعليلٌ للنهي.

.60

وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60)

{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ}

أي أعِدُّوا لقتال أعدائكم: ما أمكنكم من كل ما يتقوى به عليهم في الحرب، من نحو حصون وقلاع وسلاح، وآلات ومصانع، وتعليم للفروسية وفنون الحرب. وما رُويَ من تفسير القّوةِ بالرمي فإنما هو على سبيل المثال، وخص بالذكر أنه كان إذ ذاك أقوى ما يُتقَّوى به؛ فهو من قبيل: (الحَج عرفة، والنَدمُ توبة). ولذا فسرها ابنُ عباس بأنواع الأسلحة، وعكرمة بالحصون والمعاقل.

{وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ}

أي ومن رَبْطِ الخيل للغزو، وخُصَّت بالذكر من بين ما يتقوى به لمزيد فضلها وغَنائها في الحرب.

{تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ}

تخوّفون بهذا الإعداد أعداء الله. والرَّهبة والرَّهب: مخافةٌ مع تحرُّز واضطراب. يقال: رَهِب يَرْهَب رهبةً ورهباً، خاف.

{وَعَدُوَّكُمْ}

أعداءكم وهم كفار مكة.

{وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ}

أي من غيرهم من الكفار كالمنافقين واليهود.

.61

وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (61)

{وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ}

أي إن مال الأعداء المحاربون إلى المسالمة والمصالحة على المهادنة والأمان فَمِل إليها، واقْبَل ذلك منهم، ما دام فيه خير وصلاح بَيّن للإسلام وأهله، ولذلك قَبِل الرسول صلى الله عليه وسلم الصُّلح مع المشركين عام الحديبية على وضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين، مع ما اشترطوا من الشروط. أما المصالحة على الجزية فلا تصح إلا مع أهل الكتاب؛ لأن المشركين لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف. يقال: جنح إليه يجنح – مثلث النون –جُنوحا، مال. والسَّلْم – بفتح السين وكسرها يؤنث و يذكر أي الاستسلام والصلح والمهادنة.

.62

وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (62)

{وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ}

نزلت في بني قُرَيْظة. أي وإن أرادوا بإظهار الميل إلى السلم الخديعةَ لتكُفَ عنهم أو

ليستعدوا، فصالحهم مع ذلك إذا كان فيه مصلحة ظاهرة للإسلام وأهله، ولا تخش منهم، فإن الله كافيك بنصره ومعونته، وقد أيدك الله بنصره و بالمؤمنين، وألف بين قلوبهم فتحابوا في الله، واجتمعوا لإعلاء كلمته، واتبعوا أمرك وأطاعوك. ويظهر لي – والله أعلم – أنها من قضايا الأعيان الخاصة بالرسول المقطوع بتأييده ونصره؛ كما يشير إليه التعليل في الآية.

.64

يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (64)

{حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ}

أي كافيك الله وكافي متبعيك من المؤمنين، وناصركم ومؤيدكم على عدوكم؛ وإن كثر عددهم وقل عددُكم. وحَسْب: صفة مشبهة بمعنى اسم الفاعل، والكاف في محل جر.

.65

يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (65)

{حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ}

بالِغْ في حثهم وإحمائهم على القتال بصبر وجلَد؛ من التحريض وهو الحث على الشيء بكثرة التّزيين له وتسهيل الخطب فيه، كأنه في الأصل إزالة الحَرَض، وهو الإشراف على الهلاك من شدة الضنى؛ نحو مَرّضته، أي أزلت عنه المرض.

{إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ}

خبر بمعنى الأمر. ففرض الله على المؤمنين أول الأمر ألا يفر الواحد من العشرة من الكفار، وكان ذلك في وسعهم، فأعزّ الله بهم الدين على قلتهم، وخذل بأيديهم المشركين على كثرتهم، وكانت السرايا تهزم من المشركين أكثر من عشر أمثالها تأييدا من الله لدينه. ولما شق على المؤمنين الإستمرار على ذلك، وضعُفوا عن تحمله، ولم تبق: ضرورة لدوام هذا الحكم لكثرة عدد المسلمين ممن دخلوا في دين الله أفواجا نزل التخفيف، ففرض على الواحد الثبات للاثنين من الكفار، ورخص له في الفرار إذا كان العدو أكثر من اثنين. وهو كما اختاره مكي رخصةً كالفطر للمسافر. وذهب الجمهور إلى أنه نَسْخ.

.66

الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (66)

.67

مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (67)

{مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى}

استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في أساري بدر: فأشار أبو بكر باستبقائهم رجاء توبتهم، وأخذ فدية منهم تكون قوَّةً للمسلمين. وأشار عمر – اجتهادا منه – وآخرون بقتلهم إعزازا للإسلام، فمال صلى الله عليه

وسلم إلى الرأي الأول. وكان فدا كل أسير أربعين أوقيةً من الذهب؛ إلا العباس ففداؤه ثمانون. فنزلت الآية عتابا على الإقدام على الفداء قبل الإثخان اللازم له قوةُ الإسلام وعزته. والمعنى: ما ينبغي لنبي أن يكون له أسرى

{حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ}

أي حتى يبالغ في قتال الأعداء، إذلالاً للكفر وإعزازا لدين الله، من الثَّخانة، وهي في الأصل الغِلظُ والصلابة.

يقال: يثَخُن الشيء يثخن ثَخونة وثخانةً وثِخَنا، غَلظ وصَلُب فهو ثخين. ثم استعمل في النكاية في العدو فقيل: أثخن فيه، أي بالغ فيه قتلا وجراحة؛ لأنه بذلك يمنعه من الحركة فيصير كالثخين الذي لا يسيل.

{تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا}

أي حُطامَها وهو الفداء

{وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ}

أي يريد لكم ثوابها بسبب الإثخان في أعداء دينه.

.68

لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (68)

{لَوْلَا كِتَابٌ}

لولا حُكم مِنَ اللَّهِ سَبَقَ في كتابه ألا يعذِّب قوماً قبل تقديم البيان إليهم. أو ألا يعذب المخطئ في الاجتهاد. أو سَبقَ بإحلال الغنائم ومنها الفداء، لأصابكم بسبب ما أخذتم من الفداء قبل أن تؤمروا به {عَذَابٌ عَظِيمٌ}.

.69

فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (69)

{فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ}

لما نزلت الآية السابقة كف الصحابة عما أخذوا من الفداء؛ فنزلت هذه الآية بيانا لِحلِّ أخذه، إذ هو من الغنيمة.

.70

يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (70)

.71

وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (71)

{فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ}

فأقدرك الله عليهم حسبما رأيت يوم بدر؛ فإن عادوا إلى الخيانة فَسَيُمكِنَك الله منهم ويُقْدِرك عليهم، يقال: مكّنته من الشيء وأمكنته منه فتمكن واستمكن.

.72

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (72)

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا}

أي سبقوا إلى الهجرة بأن هاجروا قبل عام الحُدَيبية، وهو عام ستة من الهجرة.

{وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا}

هم أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد سماهم الأنصار لنصرتهم له ولدين الله

{بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}

في النُصرة والميراث. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين هؤلاء المهاجرين والأنصار، فكان المهاجريُّ يرثه أخوه الأنصاريُّ، إذا لم يكن له بالمدينة وليٌّ مهاجري وبالعكس، واستمر ذلك إلى فتح مكة. ثم توارثوا بالنسب بعد إذ لم تكن هجرة.

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا .... }

أي ليس بين المؤمنين الذين لم يهاجروا وبين المهاجرين والأنصار ولايه الإرث، إذا كان بينهم وبينهم قرابة وعُصوبة لانقطاع حكمها بسبب عدم الهجرة، وإنما بينهم بحكم الإسلام ولاية النصرة إلا على قوم معاهدين.

.73

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (73)

.74

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (74)

.75

وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (75)

{وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا ... }

أي من بعد صلح الحديبية وقبل الفتح وهاجروا؛ وهي الهجرة الثانية

{فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ}

أي مثلكم في النُّصرة والموالاة، وإن كانوا أنزل درجة من السابقين في الهجرة.

{وَأُولُو الْأَرْحَامِ ... }

وأولو القرابات بعضهم أولى ببعض في الميراث. فنُسخ بهذه الآية ما كان بين المهاجرين والأنصار من التوارث بالهجرة والمؤاخاة.

والله أعلم.

سورة التوبة

وتسمى سورة براءة والفاضحة لأنها فضحت المنافقين. ولم تكتب في أولها البسملة لعدم أمره صلى الله عليه وسلم بكتابتها، إذ لم يَنزِل بها جبريل عليه السلام، والأصل في ذلك التوقيف. وقيل: إنها هي والأنفال سورة واحدة، ومجمُوعهما السورة السابعة من السبع الطُّوَل.

.1

بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (1)

{بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ ... }

لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك، جعل المشركون ينقضون العهود التي كانت بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم؛ فأمره الله بنبذ عهودهم، كما قال تعالى: {وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (58)} [الانفال] ففعل صلى الله عليه وسلم ما أُمر به. أي هذه براءة واصلة من الله ورسوله إلى المشركين، بسبب خيانتهم بنكث العهود التي كانت بينه وبينهم. وأصل البراءة التباعد والتَّقصي مما يُكره مجاورتة. يقال: بريءَ منه يَبْرَا براءةً، إذا تخلص منه وتباعد عنه. ويقال: بَرِيءَ، إذا أعْذر وأنذر؛ أي هذا إعذارٌ و انذار إلى الذين عاهدتم من المشركين.

.2

فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (2)

{فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ}

ولكي لا ينسب إلى

المسلمين الغدر ونبذ العهد دون إعلام وإنذار، أمهل الناكثون مدة أربعة أشهر، يباح لهم فيها أن يسيروا في الأرض حيث شاءوا آمنين من القتل والقتال ليتفكروا ويحتاطوا ويستعدوا، ويعلموا أن ليس لهم بعدها إلا الإسلام أو السيف. وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم عليا – كرم الله وجهه – بالأربعين آيه الأولى من هذه السورة، فأعلمهم بها في يوم الحج الأكبر وهو يوم النَّحر – في السنة التاسعة، وقد كان فيها عاشر ذي القعدة بسبب النسيء الذي ابتدعه المشركون، فيكون آخر مدة الإمهال اليوم العاشر من شهر ربيع الأول من السنة العاشرة. وقيل: إن يوم النَّحر في السنة التاسعة كان عاشر ذي الحجة، فيكون نهايةُ المدة العاشر في شهر ربيع الآخر من السنة العاشرة. والسِّياحة في الأصل: جريان الماء وانبساطه على موجب طبيعته، ثم استعملت في الضرب والاتساع في السير؛ فيقال: ساح في الأرض سَيحا وسياحة، إذا مرَّ فيها مرَّ السائح.

.3

وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (3)

{وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}

أي إيذانٌ وإعلام من الله ورسوله إلى الناس عامة يوم الحج الأكبر–وهو يوم النحر – بأن الله ورسوله قد بَرِئا من عهود المشركين، وأنها قد نُبذت إليهم. يقال: آذنَه الأمر وبه، أعلمه.

.4

إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (4)

{إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ}

أي لكن الذين لم ينكثوا العهد من المشركين

{ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا}

من شروطه

{وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا}

لم يعاونوا عليكم أحدا من أعدائكم؛ كما عاونت قريش بني بكر على خُزاعة، وكانت خُزاعة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

{فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ}

ولا تُجْروهم مجرى الناكثين إذا بقوا على ما هم عليه من الوفاء بالعهد، وهم بنو ضَمْرة وبنو مُدلج من كنانة، وقد بقى من عهدهم تسعة أشهر فأُتِمِ إليهم عهدهم. وسيأتي ذكرهم في الآية السابعة من هذه السورة.

5.

فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5)

{فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ}

فإذا انقضت، أو خرجت أشهر الأمان الأربعة المذكورة؛ وسُميت حُرُما لأنه تعالى جعلها مدة أمان لهم يُحرم قتالهم فيها؛ من السَّلخ بمعنى الكشط. يقال: سَلَخ الإهاب عن الشاة يَسْلُخُه سَلخاً، كشطه ونزعه عنها. أو بمعنى الإخراج، من قولهم: سلخت الشاة عن الإهاب إذا أخرجتها منه، ثم استعير للانقضاء.

{فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ}

الناكثين {حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ}.

{وَاحْصُرُوهُمْ}

احبسوهم، أو ضيقوا عليهم وامنعوهم من التصرف في البلاد.

{وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ}

أي في كل طريق يجتازون منه في أسفارهم حتى تأخذوهم من أي وجهة توجهوا. والمَرْصَد: الموضع الذي يُرقب فيه العدو. يقال: رَصَدت الشيء أرصُده رَصدا، إذا ترقبته.

6.

وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (6)

{وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ}

بعد انسلاخ أشهر العهد، أي استأمنك بعد انقضاء مدة الأمان، وطلب جوارك وحمايتك أحد من المشركين الذين أمرت بقتالهم وقتلهم ليسمع القرآن ويتدبره، ويطلع على حقيقة الإسلام؛ فأجره وأمنه حتى يسمع كلام الله ولا يبقى له عذر، ثم أبلغه موضع أمْنه إن لم يسلم وهذه الآية – كما قال الحسن – محكمةٌ غير منسوخة بآية: { .... وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (36)} [براءة].

7.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (7)

{كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ}

أستفهام في معنى الإنكار، أي مُسْتنكر أن يكون لهؤلاء المشركين الناكثين عهود عند الله ورسوله فإنهم قومُ خيانة وغَدر؛ وليس لمن لم يَفِ بعهد أن يَفيَ الله ورسوله له بالعهد.

{إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ}

أي لكن الذين عاهدتم ولم ينكثوا، وهم الذين سبق استثناؤهم في الآية الرابعة، فاستقيموا لهم على العهد مدة استقامتهم لكم عليه. والمراد بالمسجد الحرام الحَرَم كلُّه.

{فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ}

فما أقاموا على العهد معَكم.

.8

كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (8)

{كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ}

أي كيف يكون لهؤلاء الناكثين

عهد عند الله وعند رسوله والحال أنهم {إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ} يظفروا بكم ويغلبوكم. يقال: ظَهر عليه يظهَر، غلبه. وأظهره الله على عدوه: أعانه عليه.

{لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ}

يراعوا في أمركم

{إِلًّا}

عهدا، أو حِلْفا أو قرابة

{وَلَا ذِمَّةً}

حقا أو عهدا. والذمة: كل أمرٍ لزمك بحيث إذا ضيعته لزمك مَذَمة. أو هي: ما يُتذمم به، أي يُجتنب فيه الذم.

.9

اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (9)

.10

لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (10)

.11

فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (11)

.12

وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (12)

{وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ}

نقضوا أيمانهم من بعد عهدهم الموثق. يقال: نكث العهد والحبل ينكُثُه وينكِثُه، نقضه فانتكث. وأصلُه من النِّكث، وهو أن تُنقض أخلاقُ الأكسية لتُغزل ثانية.

.13

أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (13)

.14

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (14)

{قَاتِلُوهُمْ ... }

قاتلوا هؤلاء الناكثين الذين طعنوا في دينكم وبدأوكم بالقتال، حيث همُّوا بإخراج الرسول من مكة، وقاتلوا خُزاعة حلفاءكم؛ فليس لهؤلاء عهد ولا ذمة، إلا من تاب منهم ورجع إلى الله فكفوا عن قتاله.

.15

وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (15)

{غَيْظَ قُلُوبِهِمْ}

غضبها ووجدها الشديد.

.16

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (16)

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا .. }

خطاب لمن شق عليهم القتال من المؤمنين أو المنافقين، وبيان للحكمة في الأمر به، وأنها الامتحان والتمحيص. أي بل أظننتم أن تتركوا دون أن تُؤمروا بقتال المشركين، ولمّا يعلم الله المخلصين منكم فيه غير المتَّخذين بطانة من المشركين، يُفشون إليهم أسرارهم و يُداخلونهم في أمورهم! أي ولم يُظهر الله الذين جاهدوا منكم مع الإخلاص ممن جاهدوا بدونه،

ولم يُميز لكم هؤلاء من أولئك. فنفيُ العلم مجازٌ عن نفي التبيين والإظهار. فكلمة {أَمْ} بمعنى بل التي للإضراب الانتقالي وهمزة الاستفهام الإنكاري. و {لَمَّا} للنفي مع توقُّع الحصول.

و {وَلِيجَةً}

أي بطانة، من الولوج وهو الدُّخول. ووليجةُ الرجل: من يداخله في باطن أموره، وهو صاحب سره. وقوله {وَلَمْ يَتَّخِذُوا} معطوف على {جَاهَدُوا} داخل في حيز صلة – الموصول. ونظير هذه الآية قوله

تعالى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3)} [العنكبوت]، وقوله تعالى: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ... } [آيه 179 ال عمران].

.17

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (17)

{مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ}

افتخر المشركون بأنهم عُمّار المسجد الحرام، وحجبةُ الكعبة، وأنهم يَقْرون الحجيج ويفُكُّون العاني أي الأسير، فنزلت الآية. أي ما ينبغي للمشركين أن يعمروا المسجد الحرام بدخوله والخدمة فيه، حال كونهم مقرين على أنفسهم بالكفر بسجودهم للأصنام، وهو محبط لكل ما عملوا من بر وخير وافتخروا به، موجب لخلودهم في النار. وذُكر المسجد الحرام بلفظ الجمع لأنه قبلةُ المساجد كلها، فعامرُه كعامرها.

{حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ}

بطلت وذهبت أجورها لكفرهم.

.18

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (18)

{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ ... }

بيان لصفات من هم أهلٌ لعمارة المساجد، وهي الأربعة المذكورة الجامعة لخيري الدنيا والآخرة.

.19

أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (19)

{أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ}

أي أتسوُّون أهل سقاية الحجيج وعمارة المسجد الحرام منكم، وأنتم على هذا الشرك، بمن آمن بالله وأخلص له العبادة، وجاهد في سبيله بالنفس والمال!؟ كلا! وقد بيّن الله فضلهم وعظم منزلتهم في الآية التالية.

.20

الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (20)

.21

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (21)

.22

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (22)

.23

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (23)

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ... }

لما أُمِر المهاجرون بالهجرة شق عليهم هجر أهليهم وأموالهم وديارهم؛ فنزلت الآية فهاجروا طائعين ابتغاء رضوان الله، وامتثالا لأمر رسوله صلى الله عليه وسلم.

{اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ}

اختاروه وأقاموا عليه.

.24

قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24)

{أَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا}

اكتسبتموها [آية 113 الأنعام].

{كَسَادَهَا}

بوارها بفوات وقت رواجها بسبب غيابكم عن مكة أيام الموسم. مصدر كَسَد الشيء. من باب نصر وكرم – كسادا وكُسودًا، لم ينفُق؛ فهو كسادا وكسِيد، أي غير رابح.

{فَتَرَبَّصُوا}

أي انتظروا

{حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ}

أي بعقوبته. وهو تهديد وتخويف لمن آثر محبة من ذكر على محبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. وفي الآية دليل على أنه إذا تعارضت مصلحة من مصالح الدين مع مهمات الدنيا وجب ترجيح جانب الدين على الدنيا ليبقى الدين سليماً. وهذا موقف تَزِّل فيه الأقدام.

.25

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25)

{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ}

امتنان على المؤمنين بالنصر على الأعداء الذي يَبْذل الغيور في سبيله أحب الأشياء إليه. أي لقد نصركم الله على أعدائكم في مواقع حرب كثيرة، ومن أعظمها غزوه بدر وقريظة وخيبر ومكة.

{وَيَوْمَ حُنَيْنٍ}

أي ونصركم يوم غزوة حُنَين؛ وهو واد معروف بين مكة والطائف. وتسمى غزوة هوازن وثَقيف. وكانت في شوال عقب رمضان الذي وقع فيه فتح مكة سنة ثماني من الهجرة. وكان عدد المسلمين اثني عشر ألفاً، وعدد الكفار أربعة آلاف.

{فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا}

فلم تنفعكم تلك الكثره شيئا من النفع في أمر العدوِّ؛ من الغَنَاء وهو النفع. تقول: ما يُغني عنك هذا، أي ما يجزيء عنك وما ينفعك.

{وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ}

أي برحْبِها وسَعَتها.

.26

ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (26)

{ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ}

رحمته التي تسكن إليها القلوب، وتطمئن اطمئناناً يستتبع النصر القريب؛ من السكون، وهو الثبوت بعد التَحرُّك.

أو من السَّكن، وهو زوال الرعب.

.27

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (27)

.28

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (28)

{إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ}

قذَر: مصدر نَجِس الشيء يَنجَس، إذا كان قذرا غير نظيف. أخبر عنهم بالمصدر مبالغة، كأنهم عين النجاسة.

{فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ}

أي الحرم كله. والمراد نهي المسلمين عن تمكينهم من قربانه

{بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا}

وهو التاسع من الهجرة

{وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً}

فقرا وفاقة بسبب منعهم من دخول أرض الحرم، إذ كانوا يأتون في الموسم للمتاجر. يقال: عال يَعيل عَيْلة وعُيولاً، إذا افتقر فهو عائل

{فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ}

وقد أغناهم وأفضل عليهم كثيرا.

.29

قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (29)

{قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ}

أمر بقتال أهل الكتابَيْن بعد الأمر بقتال المشركين؛ بسبب أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، وإيمانهم الذي يزعمونه كلا إيمان.

{وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ}

وهو دين الإسلام، وهو الدين الذي ارتضاه الله لعباده.

{حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ}

وهي ما قُدِّر على رؤسهم من المال، نظير كفِّنا عن قتالهم واسترقاقهم وحمايتنا لهم؛ من الجزاء بمعنى القضاء. أو من المجازاة معنى المكافأة؛ لأنهم يجزوننا عن الإحسان إليهم بذلك.

{عَنْ يَدٍ}

عن طوعٍ وانقياد. وأصلُ اليدِ الجارحة؛ كُنى بها عما ذكر. يقال: أعطى، فلان يده، إذا سلَّم وانقاد؛ لأن من أبى لا يعطي يده.

{وَهُمْ صَاغِرُونَ}

أذلاء، والذليل من أذله الله والعزيز من أعزه الله.

.30

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30)

{وَقَالَتِ الْيَهُودُ ... }

قائل ذلك بعض مُتقدّميهم، أو بعض من كانوا بالمدينة، ونسبة القبيح الصادر من البعض إلى الكل شائع، وكذا القائل ببنوة المسيح له تعالى بعض النصارى.

{يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ}

أي يشابهون في هذه – الأقوال الشنيعة قول المشركين الذين قالوا: الملائكة بنات الله. والمضاهأة والمضاهاة: المشابةُ والمشاكلةُ، أو الموافقة.

{قَاتَلَهُمُ اللَّهُ}

قاتلهم الله دعاء عليهم بالإهلاك.

{أَنَّى يُؤْفَكُونَ}

كيف يُصرفون عن الحق إلى الباطل، بعد وضوح الدليل على استحالة أن يكون له تعالى ولد [آية 75 المائدة].

.31

اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31)

{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ}

أي اتخذ اليهود علماءهم، والنصارى نُساكهم كالأرباب من دون الله، حيث أطاعوهم في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرمه [آية 44،82 المائدة].

{أَرْبَابًا}

أطاعوهم كما يطاع الرب.

{وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ}

وأتَّخذوا المسيح رباً معبودا من دون الله. أو ابناً لله تعالى.

{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا}

أي والحال أنهم ما أمِروا في الكتب الإلهية وعلى لسان موسى وعيسى عليهما السلام إلا ليخلصوا العبادة الله تعالى وحده.

.32

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (32)

.33

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (33)

{لِيُظْهِرَهُ}

ليعليه.

.34

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34)

{إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ ... }

بيان لحال الأحبار والرُّهبان في إغوائهم لأراذلهم، بعد بيان سوء حال الأتباع باتخاذهم كالأرباب، وانقيادهم لهم فيما يأتون ويذَرون.

{والَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ .. }

لما وصف الله أهل الكتاب بالحِرْص على أكل أموال الناس بالباطل، ذكر بعده وعيد من جمع المالَ، ومنع الحقوق الواجبة فيه، سواء أكان من أهل الكتاب أم من المسلمين. والمراد بالإنفاق في سبيل الله: أداء الزكاة. وكلُّ شيء

مجموع بعضه إلى بعض في بطن الأرض أو على ظهرها كنزٌ، وجمعُه كنوز. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أُدِّيَ زكاته فليس بكنز) [رواه الطبراني والبيهقي] أي بكنز أوعِد عليه.

.35

يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (35)

.36

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (36)

{إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ ... }

كانت الأشهر الحرم الأربعة: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم – معظَّمة في الجاهلية ومحرماً فيها القتال، فإذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهرا آخر؛ فيستحلون المحرم ويحرمون صفرا، فإذا احتاجوا إليه أحلوه وحرموا ما بعده، وهكذا حتى استدار التحريم على شهور السنة كلها، وقد يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا، أو أربعة عشر ليتَّسع لهم الوقت، ويحرموا أربعة أشهر منها، وكان يختلف وقت حجهم تبعا لذلك. وقد أبطل الله هذا النّسيء الذي ابتدعوه وحرّمه في هذه الآية، وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع بمنى في أوسط أيام التشريق بـ (أن الزمن قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنه اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ورَجبُ مُضَر) [رواه البخاري]، وعاد يوم الحج الأكبر إلى ما كان عليه في عهد ابراهيم وإسماعيل وهو العاشر من ذي الحجة كل عام، وعُظِّمت الأشهر الحرم في الإسلام، وجُعلت المعصية فيها أعظم وزرا منها في غيرها؛ كارتكابها في الحرم وفي حال الإحرام، ولله تعالى أن يميز بعض الأزمنة عن بعض بالفضل والتعظيم؛ إلا أنَّ القتال فيها إعلاءً لكلمة الله غير محرَّم في الإسلام، كما كان محرماً في الجاهلية، لأن الشرك ظلم وفتنة وفساد، وخطره أشد من خطر القتال فيها، كما قال تعالى. {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ} [آيه 191 البقرة] ولذا قال تعالى: {وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ... } ولم يستثن القتال في الأشهر الحرم؛ فدل على جوازه فيها كغيرها من الأشهر، وإليه ذهب الجمهور، وخالف في ذلك عطاء بن أبي رباح، فذهب إلى أنه لا يحل القتال فيها ولا في الحرم إلا أن يكون دفاعا. ويؤيد الجمهور أنه صلى الله عليه وسلم حاصر الطائفة وغزا هوازن بحُنين في شوال وذي القعدة سنة ثمان من الهجرة، وقوله: {ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ .. } أي كون العدة، كذلك، وتحريم الأربعة منها هو الدين المستقيم دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

{فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ}

بارتكاب المعاصي؛ فإنها فيهن أعظم وزرا.

.37

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (37)

{إِنَّمَا النَّسِيءُ}

أي تأخير حُرمة شهر إلى شهر آخر؛ مصدر نسأه أي أخَّره فهو منسوء كقتيل بمعنى مقتول.

{لِيُوَاطِئُوا}

ليوافقوا بما يصنعون من النسيء عدَّة الأشهر الحرم بحيث تكون أربعة في العدد، وإن لم تكن عينَ الأشهر المحرمة في دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

.38

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38)

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ... }

نزلت في غزوة تبوك، وهي على طرف الشام بينها وبين المدينة أربع عشرة مرحلة، وكانت في رجب سنة تسعٍ بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف، حين بلغه

أن هرقل جمع أهل الروم وأهل الشام لمحاربته، فاستنفر الناس في وقت عُسرة وشدة من الحر وجدبٍ في البلاد، حتى بلغ الجهد بهم مبلغه، وكان العشرة منهم يعتقبون بعيرا واحدا، وكان زادهم التمر المدوَّد، والشعير المسوس؛ فشقَّ ذلك عليهم. ولكن المخلصين من المؤمنين صبروا على هذه الشدائد، احتسابا لله تعالى، ولم يتخلف منهم إلا القليل. وتخلف عنها المنافقون وكثير من الأعراب. وتُسّمى غزوة العسرة، ويقال لها الفاضحة؛ لأنها أظهرت حال كثير من المنافقين. وهي آخر غزواته صلى الله عليه وسلم. وقد أنفق فيها عثمان رضي الله عنه نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها. وأول من أنفق فيها أبو بكر رضي الله عنه فجاء بجميع ماله، وعمر رضي الله عنه فجاء بنصف ماله، وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والنساء بحليهن.

{انْفِرُوا}

اخرجوا للجهاد {فِي سَبِيلِ اللَّهِ}، يقالُ: نَفَر إلى الحرب يَنْفَر وينفِر نَفْرا ونفورا، خرج إليه بسرعة. واستنفر الإمام الناس: حثهم على الخروج للجهاد. واسم القوم الذين يخرجون: النّفير والنُّفرة والنَّفر.

{اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ}

تباطأتم في الخروج مائلين إلى الإقامة بأرضكم ودياركم، من الثَّقل: ضد الخفة. يقال: تثاقل عنه، أي ثَقُل وتباطأ. وتثاقل القومُ: لم ينهضوا للنجدة وقد استُنهضوا لها.

.39

إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39)

.40

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40)

{ثَانِيَ اثْنَيْنِ}

أحد اثنين. والثاني هو الصديق رضي الله عنه.

{إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ}

بأعلى جبل ثور بمكة

{فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ}

طمأنينته على النبي صلى الله عليه وسلم

{وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا}

وهم الملائكة يحرسونه ويسكّنون روعه، ويصرفون أبصار الكفار عنه.

.41

انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (41)

{انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا .. }

أي على الصفة التي يخف عليكم الجهاد فيها، وعلى الصفة التي يثقل عليكم الجهاد فيها. جمع خفيف وثقيل.

.42

لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (42)

{لَوْ كَانَ عَرَضًا}

نزلت في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، واستأذنوا في القعود عنها بأعذار كاذبة، فأذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم. أي لو كان ما دُعُوا إليه غُنماً سهل المأخذ،

{وَسَفَرًا قَاصِدًا} وسفرا متوسّطاً بين القرب والبعد لا مشقة فيه، لخرجوا معك طمعا في المنافع التي تصل إليهم.

والعَرَض: ما عرض لك من منافع الدنيا ومتاعها. والسَّفر القاصدُ: ما بيَّنا. وكل متوسط بين الإفراط والتفريط فهو قاصد، أي ذو قصد، لأن كل واحد يقصِده. والقاصِد والقَصدُ: المعتدل.

{بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ}

أي المسافة التي تُقطع بمشقة. وتطلق على الناحية: يقصِدها المسافر وتلحقه المشقة في الوصول إليها، وعلى السفر البعيد.

.43

عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (43)

.44

لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (44)

.45

إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (45)

{رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ}

في شكهم الذي حَلَّ بقلوبهم يتحيرون، لا مع المؤمنين ولا مع الكفار، وأصلُ معنى التردد: الذهاب والمجيء، استعمل في التحيُّر مجازا أو كنايةً، لأن المتحير لا يقر في مكانه.

.46

وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (46)

{انبِعَاثَهُمْ}

نهوضهم للخروج معكم،

{فَثَبَّطَهُمْ}

منعهم وحبسهم. يقال: ثبطه تثبيطا، قعد به عن الأمر، وشغله عنه ومنعه، تخذيلاً ونحوه.

.47

لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (47)

{مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا}

شرًا وفسادًا، لأنهم جبناء مُخذَّلون. وأصل الخَبَال: اضطراب ومرض يؤثر في العقل كالجنون. أو هو الاضطراب في الرأي.

{وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ ... }

ولسَعَوا بينكم مسرعين بالنمائم وإفساد ذات البين؛ من الإيضاع، وهو في الأصل: سرعة سير الإبل، يقال: أوضعت الناقةُ إذا أسرعت في سيرها، وأوضَعْتُها أنا: حملتها على السير بسرعة؛ فيستعمل لازماً ومتعديا، والخِلال: جمع خَلَل وهو الفرجة بين الشيئين؛ واستُعمل ظرفا بمعنى بين. ومفعول الإيضاع محذوف، تقديره النَّمائم.

{يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ}

أي باغين لكم ما تفتنون به من الخُلفِ فيما بينكم، وتهويلِ أمر العدوّ

عليكم، وإلقاء الرُّعب في قلوبكم. يقال: ابغني كذا، وابغ لي كذا، أي اطلبه لأجلى.

.48

لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (48)

{قَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ}

دبروا لك الحيل والمكايد.

.49

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (49)

{وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ .. }

أي من المنافقين من يقول: ائذن لي في التخلف في المدينة

{وَلَا تَفْتِنِّي}

أي ولا تُوقعني في المعصية والإثم، إذا لم تأذن لي فتخلفت بغير إذنك. والقائل هو الجَدُّ بن قيس وكان رأسا في المنافقين؛ زعم أنه مغرم بالنساء، ويخشى إذا رأى نساء بني الأصفر أن يَفْتَتن بهن. وقال: أنا أعطيكم مالي.

.50

إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ (50)

.51

قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (51)

.52

قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ (52)

{هَلْ تَرَبَّصُونَ .. }

و أي ما تنتظرون بنا إلا إحدى العاقبتين اللتين كل منهما أحسن من جميع العواقب: إما ظفرنا بالعدو، وفيه الأجر والمغنم والسلامة!؟ وإما قتل العدو لنا، وفيه الشهادة والفوز بالجنة والنجاة من النار!؟ وكلاهما مما نحب ولا نكره. والاستفهام للتقريع والتوبيخ.

{الْحُسْنَيَيْنِ}

النصرة والشهاده.

.53

قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (53)

{لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ}

ما أنفقوه أي لن يؤخذ منكم، أو لن تُثابوا عليه؛ لعُتوكم و تمردكم على الله ورسوله، وخروجكم عن الطاعة والاستقامة.

.54

وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (54)

{وَهُمْ كُسَالَى} متثاقلون بها، لأنهم لا يرجون بأدائها ثوابا، ولا يخافون بتركها عقابا، وإنما يقيمونها نفاقا. جمع كسلان؛ من الكسل وهو التثاقل عن الشيء والفتور فيه. وفعله كفرح.

.55

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (55)

{وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ}

ولتخرج أرواحهم وتهلك فيموتوا على الكفر. يقال: زَهَقت نفسُه تَزْهَق، خَرَجت. وزهق الشيء هلك.

.56

وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (56)

{يَفْرَقُونَ}

يخافون أن ينزل بهم ما نزل بالمشركين من القَتْل

والسبي: فيظهرون لكم الإسلام تقية ويؤيدونه بالأيمان الفاجرة، ويبطنون الكفر في قلوبهم؛ من الفَرَق، وأصله انزعاج النفس بتوقع الضرر. يقال: فَرِق فرقاً إذا خاف، وأفرقته أي أخفته.

.57

لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (57)

{لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً}

أي حِصناً ومَعْقلاً يلجأون إليه

{أَوْ مَغَارَاتٍ}

كهوفاً في الجبال يستخفون فيها.

{أَوْ مُدَّخَلًا}

سردابا في الأرض، أو نفقاً كنفق اليربوع يَنْجحرون فيه

{لَوَلَّوْا إِلَيْهِ}

أي لأقبلوا إليه

{وَهُمْ يَجْمَحُونَ}

يسرعون أشد الإسراع؛ لا يردُّهم شي كالفرس الجموح، لشدة بغضهم ايا كم. وخوفهم من القتل. والجُموح: أن يغلب الفرس صاحبه في سيره وجريه. يقال: جَمَح الفرس براكبه يجمحُ جَمْحا وجموحاً، استعصى عليه حتى غلبه، فهو جَموح وجامح.

.58

وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (58)

{وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ}

ومن المنافقين من يعيبك ويطعن عليك في قسمة أموال الزكاة، أو فيها وفي قسمة الغنائم؛ من اللمْز وهو العيب، يقال: لَمَزه وهَمَزَه يلمزُه. إذا أعابه.

.59

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ (59)

{وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا}

الجواب مقدر أي لكان خيرا لهم.

{حَسْبُنَا اللَّهُ}

كافينا فضل الله وقسمته.

.60

إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (60)

{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ}

أي الزكوات المفروضة مقصورة على هذه الأصناف الثمانية. والفقيرُ: من له أدنى شيء من المال. والمسكين: من لا شيء له؛ فيحتاج إلى المسألة لقوته و مداراة بدنه. وقيل: الفقير من لا مال له ولا كسبَ يقع موقعا من حاجته. والمسكينُ: من له مال أو كسب لا يكفيه. وأصلُ الفقير: المكسور فَقَار الظهر. أو هو من الفُقرة أي الحُفرة، ثم استعمل فيما ذكر لانكساره بعُدْمه وحاجته. أو لكونه أدنى حالا من أكثر الناس، كما أن الحفرة أدنى من سطح الأرض المستوية. والمسكين مأخود من السكون ضد الحركة، لأن العدم أسكنه وأذله.

{الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا}

كالجباة والكتاب والحراس.

{وَفِي الرِّقَابِ}

أي في فكها؛ بأن يعان المكاتبون بشيء منها على أداء بدل الكتابة. أو يُشترى بها رقاب فتُعتق. أو يفدى بها الأسارى [آية 177 البقرة].

{وَالْغَارِمِينَ}

المديونين الذين لا يجدون قضاء.

وفي الفقه تفصيل لهذا الصنف.

{وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ}

فسره الجمهور بالغزاة الفقراء. وقيل: طلبة العلم الفقراء. وقيل: منقطعو الحجيج. وفسره في البدائع بجميع القُرُبات. ونقل القفال جواز صرف هذا السهم إلى جميع وجوه الخير، من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد؛ لعموم قوله {في سبيل الله}.

{وَابْنِ السَّبِيلِ}

المسافر المنقطع عن ماله في سفره وإن كان غنيا في بلده؛ وأُلْحق به كل من غاب عن ماله، وإن كان في بلده. وقيل: هو الحاج المنقطع في سفره. أو هو الضيف.

{وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ}

أما المُؤلفة قلوبهم فهم أصناف، وفي حكم سهمهم بعده صلى الله عليه وسلم أقوال مبيَّنة في الفقه.

.61

وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (61)

{هُوَ أُذُنٌ}

أي يصدق كل ما يقال له. يريدون أنه سريع الاغترار بكل ما يسمع، وحاشاه ذلك! أُطلق عليه اسم الجارحة التي هي آلة السمع؛ كما قيل للرَّبيئة عَيْن.

{قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ}

أي أذن في الخير والحق، وفيما يجب سماعه وقبوله؛ وليس بأُذن في غير ذلك كما تقصدون، والإضافة على معنى في، وهذا أبلغ أسلوب في الرد على المنافقين.

{يُؤْمِنُ بِاللَّهِ}

يصدق بالله، ويسمع للمؤمنين؛ لكونهم صادقين عنده.

.62

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (62)

.63

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (63)

{يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}

يخالف الله ورسوله. وأصلُ المحادّة: المخالفة والمجانبة والمعاداة؛ مشتقة من الحد. يقال: حاد فلان فلاناً، إذا صار في غير حده وجهته، وجانبه وخالفه؛ كالمُشاقة.

.64

يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (64)

{مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ}

مظهرٌ ما تخافونه من الفضيحة؛ مأخوذ من الحِذْر– بالكسر ويحرك – بمعنى التحرُّز، وفعله كطَرِب.

.65

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65)

{كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ}

كنا نتحدث ونخوض في الكلام؛ لقصر مسافة السفر بالحديث. أجابوا بذلك حين أطلع الله رسوله على ما قالوه استهزاء به في مسيره في غزوة تبوك [راجع آية 140 النساء].

.66

لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (66)

.67

الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (67)

{وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ}

أي عن الإنفاق في طاعة الله ومرضاته؛ كناية عن الشُّح والبخل؛ كما أن بسطها كناية عن الجود والسخاء، لأن من يُعطي يمد يده بالعطاء، بخلاف من يمنع.

{نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ}

تركوا أمر الله حتى صاروا كالناسين له فجازاهم بأن صيرهم بمنزلة المنْسي من ثوابه ورحمته.

.68

وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (68)

{هِيَ حَسْبُهُمْ}

كافِيتُهم جزاءً وعقابا، لا يحتاجون إلى زيادة على عذابها، يقال: حسْبُك! أي كفاك، وشيءٌ حساب: أي كافٍ.

.69

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (69)

{فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ}

تمتعوا بنصيبهم الذي قُدّر لهم من ملاذ الدنيا. والخَلاق: مشتق من الخَلْق بمعنى التقدير، وأطلق على النصيب لأنه مقدر لصاحبه.

{خُضْتُمْ}

دخلتم في الباطل.

{كَالَّذِي خَاضُوا}

أي كالخوض الذي خاضوه.

{حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ}

بطلت وذهبت أجورها لكفرهم.

.70

أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (70)

{وَالْمُؤْتَفِكَاتِ}

أي أصحاب قرى قوم لوط – عليه السلام – التي قلبت أعاليها أسافلها، من الائتفاك، وهو الانقلاب بجعل أعلى الشيء أسفلَ بالخسف. يقال: أفكَه يأفِكه، إذا قلبَه رأسا على عَقِب. وذكَرَ الله هذه الطوائف الست؛ لأن آثارهم باقية، وبلادهم بالشام والعراق واليمن، وكلها قريبة من أرض العرب؛ فكانوا يمرون عليها في أسفارهم ويعرفون الكثير من أخبارهم.

.71

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71)

.72

وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72)

{فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ}

أي إقامة وخلود. وقيل: هي اسم لمكان مخصوص في الجنة.

.73

يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (73)

{جَاهِدِ الْكُفَّارَ}

بالقتال

{وَالْمُنَافِقِينَ}

باللسان بالوعظ وإلزام الحجة.

{وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ}

وشدد عليهم جميعا في الجهاد بِقِسمَيْه.

.74

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (74)

{وَمَا نَقَمُوا}

ما كرهوا وما عابوا شيئا

{إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ}

بالغنائم [آية 59 المائدة].

.75

وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (75)

{وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ}

أي من المنافقين. نزلت في شأن ثَعْلَبة بن حاطب من بني أمية بن زيد.

.76

فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (76)

.77

فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (77)

.78

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (78)

{يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ}

يعلم ما انطوت عليه صدورهم من النفاق، وما تناجَوْا به بينهم من المطاعن. والسِّرُّ: هو الحديث المكتَتَم في النفس. والنّجوى: المسارّةُ بالحديث [آية 14 النساء].

.79

الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (79)

{الَّذِينَ يَلْمِزُونَ}

يعيبون (هم المنافقون).

{جُهْدَهُمْ}

أي طاقتهم وما تبلغه قوَّتهم؛ وهم الفقراء.

.80

اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (80)

{اسْتَغْفِرْ لَهُمْ ... }

أمر بمعنى الخبر؛ أي استغفارُك لهؤلاء المنافقين وعدمُه سِيّان، ومهما أكثرت منه فلن يغفر الله لهم؛ لإصرارهم على الكفر والفسوق. وعن ابن عباس في سبب نزول الآية: أنه لما نزل قولُه تعالى: { ... سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (79)} [التوبة] سأل اللامزون رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستغفار لهم، فهمَّ أن يفعل، فنزلت فلم يفعل. وذِكرُ السبعين لإرادة التكثير والمبالغة على ما جرى عليه العرب في أساليبهم عند إرادة ذلك. ونظيره قوله تعالى: {ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (32)} [الحاقة]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (من صام يوما في سبيل الله باعد الله

وجهه عن النار سبعين خريفا) [متفق عليه] وليس المراد بها التحديد؛ فلا مفهوم للعدد هنا، ويؤيد ذلك: التعليلُ بالكفر والفِسق المذكورين بعدُ، فإنهما قائمان بهم مع الزيادة على السبعين.

.81

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (81)

{خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ}

بعد خروجه، أو لأجل مخالفته.

.82

فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (82)

.83

فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (83)

{فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ}

مع المتخلفين بعد القوم عن الجهاد لعدم لياقتكم له كالنساء والصبيان ونحوهم. وجُمِع جمع المذكر للتغليب.

.84

وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (84)

{وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ .. }

نُهِيَ صلى الله عليه وسلم عن صلاة الجنازة على من مات منهم وفيها الدعاء والاستغفار، وعن القيام عند قبره للدفن أو للزيارة والدعاء له؛ لأنهم كفروا بالله ورسوله، وماتوا على فسقهم. وكان من عادته صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك لمن مات من المسلمين، وكان يعامل المنافقين بحكم الظاهر معاملة المسلمين، حتى نزلت هذه الآية، فما صلى بعدها على منافق، ولا قام على قبره حتى قبض صلى الله عليه وسلم.

.85

وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (85)

{تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ}

تخرج أرواحهم.

.86

وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ (86)

{اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ}

أي استأذنك في التخلُّف عن الجهاد أصحاب الغنى والسعة من المنافقين.

.87

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (87)

{مَعَ الْخَوَالِفِ}

أي مع النساء اللاتي تَخَلفن عن أعمال الرجال وقعدن في البيوت أو مع

الرجال العاجزين عن القتال يقال: امرأة خالفة، ورجل خالفة، أي لا خير فيه. والتاء للنقل إلى الاسمية

{وَطُبِعَ}

خُتم.

.88

لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (88)

.89

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (89)

.90

وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (90)

{وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ}

شروع في بيان أحوال منافقي الأعراب، بعد بيان أحوال منافقي أهل المدينة، وكان منافقو الأعراب قسمين: قسم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم معتذرا بأعذار كاذبة، وهم أسد وغطفان، اعتذروا بالجهد وكثرة العيال، وقيل: هم رهط عامر ابن الطفيل، اعتذروا بخوف إغارة طيئ على أهليهم ومواشيهم، وهؤلاء هم المعذِّرون و من عَذَر في الأمر، إذا قصّر فيه موهما أن له عذرا ولا عذر له. وقسم لم يجئ ولم يعتذر، وهم الذين ذكرهم الله تعالى بقوله:

{وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ}

أي قعدوا عن المجيء إليه للاعتذار. والأعراب: سُكان البادية، والعربُ: سكّان المدن والقرى.

.91

لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (91)

{لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ}

شروع في ذكر أرباب الأعذار الحقيقية، بعد ذكر أرباب الأعذار المختلقة. أي لا إثم في التخلف عن الجهاد على العاجزين عنه وهم: الضُّعفاء كالشيوخ والنساء والصبيان، والمرضى كالعُمْى والزَّمْنَي والعرج، والفقراء العاجزون عن أهبة السفر والجهاد كجهينة ومزينة وبني عذرة.

{حَرَجٌ}

إثم أو ذنب في التخلف عن الجهاد.

{إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ}

بالإيمان والطاعة ظاهرا وباطنا. والنُّصْح في الأصل: الخلاص. يقال: نصحته ونصحت له. واستعمل في إرادة الخير للمنصوح له، وأريد منه ما ذكرنا مجازا.

.92

وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ (92)

{وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ}

أي تسيل دمعاً من الحزن على فقدان ما ينفقونه على أنفسهم في الجهاد. والفَيْض: انصباب عن امتلاء؛ وإسناده إلى العين للمبالغة، كما في جرى النهر.

.93

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (93)

{إِنَّمَا السَّبِيلُ}

أي الطريق للمعاقبة. والمراد بالطريق: الأعمالُ السيئةُ المُفْضية للعقاب.

.94

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (94)

{يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ}

يعتذر المنافقون إليكم بعد عودتكم من الجهاد عن تخلفهم أعذارا باطلة.

ويُروى أنهم كانوا بضعة وثمانين رجلا.

.95

سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (95)

{لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ}

لتتركوهم ولا تؤنبوهم، ولتصفحوا عنهم.

{إِنَّهُمْ رِجْسٌ}

إنهم قذر أو نجس فاجتنبوهم. جُعلوا نفس الرجس مبالغة في نجاسة أعمالهم.

.96

يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (96)

.97

الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (97)

{الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا}

نزلت في أسد وغطفان والعبرة بعموم اللفظ. أي أهل البادية أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر الكفار والمنافقين؛ لجفائهم وقساوة قلوبهم، وتوحشهم ونشأتهم في معزل عن مخالطة العلماء بالدين، والتعلم منهم، وجهلهم بالقرآن والسُّنن.

{وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ}

وأخلق بألا يعلموا فرائض الله وأوامره ونواهيه. يقال: هو جدير بكذا وأجدر، أي خليق: به وأخلق. مشتقٌ من الجِذْر وهو أصل الشجرة، فكأنه ثابت ثبوتَ الجِذْر في قولك: جدير وأجدر. والمراد وصف جنس الأعراب؛ بدليل قوله تعالى: {وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ... } [التوبة 99].

.98

وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (98)

{مَغْرَمًا}

غرامة وخسارة لأنهم لا ينفقونه رجاءً لثوابٍ، بل تقية ورياء؛ من الغرام بمعنى الهلاك لأنه سببة.

{وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ}

ينتظر بكم صروف الدهر ومصائبه التي يتبدل بها حالكم إلى سوء. والتَّربُّص: الانتظار. والدوائر: جمع دائرة وهي النائبة. [آية: 52 المائدة].

{عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ}

دعاءٌ بِنَحو ما يتربصون به. والسَّوء: مصدر ساءَه يسوءه سَوْءا، إذا فعل به ما يَكره فاستاء هو. والسُّوء – بالضم – اسم منه. وقيل: المفتوح بمعنى الذَّم، والمضموم بمعني العذاب والضرر. وإضافة (دائرة) إلى (السَّوْء) من إضافة الموصوف إلى الصفة كما في رجلِ صدقٍ.

.99

وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (99)

{صَلَوَاتِ الرَّسُولِ}

دعواته واستغفاره (للمنفقين).

.100

وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (100)

.101

وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ (101)

{وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ}

شروع في ذكر أنواع المتخلفين عن غزوة تبوك. أي ومن الأعراب الذين حول المدينة كبعض أناس من قبائل سليم وأشجع وغفار ومزينة وجهينة.

ومن أهل المدينة منافقون {مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ} مَرَنوا عليه وتمهَّروا فيه {لَا تَعْلَمُهُمْ} لعراقتهم في النفاق والتَّقِيَّة، مع كمال فطنتك وصدق فراستك {نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ} لا يخفي علينا ما في سرائرهم {سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ} في الدنيا بالفضيحة وعذاب القبر {ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ} في الآخرة.

.102

وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (102)

{وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ}

أي ومن المتخلفين قوم آخرون اعترفوا بذنوبهم؛ وهي تخلفهم عن الغزو وعن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه، وإيثارهم الدَّعة.

{خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا}

وهو جهادهم في سبيل الله قبل هذه الغزوة

{وَآخَرَ سَيِّئًا}

وهو تخلفهم عن هذه الغزوة، وندموا وتابوا إلى الله منه، وكانوا عشرة أو أقل؛ منهم: أبو لُبابة بن عبد المنذر، ولما بلغهم ما نزل في المتخلفين أوثقوا أنفسهم في سواري المسجد، وحلفوا لا يَحُلهم إلا النبي صلى الله عليه وسلم؛ فأعرض عنهم حتى نزلت الآية فحلَّ وثاقهم؛ إذ قبل الله توبتهم كما يفيده قوله تعالى: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} فإن الترجي في حقه تعالى إطماعٌ، وهو من أكرم الأكرمين إيجاب. ولمّا أطلقهم طلبوا منه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ أموالهم صدقة طهرة لهم، وكفارة عن ذنوبهم؛ فنزل: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً .. }

.103

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103)

{وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا}

تُنمى بها حسناتهم وأموالهم.

{وَصَلِّ عَلَيْهِمْ}

ادع لهم واستغفر لهم.

{سَكَنٌ لَهُمْ}

طمأنينة. أو رحمة لهم.

.104

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (104)

.105

وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105)

.106

وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (106)

{وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ}

أي ومن المتخلفين قومٌ موقوفٌ أمرهم إلى أن يظهر أمر الله فيهم، وهم: مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن أمية؛ تخلفوا عن الغزوة كَسَلاً مع الهمّ باللحاق به عليه الصلاة والسلام فلم يتيسر لهم؛ فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد نزل ما نزل في المتخلفين قالوا: لا عُذر لنا إلا الخطيئة؛ ولم يعتذروا كأصحاب السواري، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم باجتنابهم إلى أن نزلت آية 117: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ .. }. وكانت مدةُ وقفهم خمسين ليلة بقدر مدة التخلُّف؛ إذ كانت مدة غيبته صلى الله عليه وسلم عن المدينة خمسين ليلة. فلا تمتعوا بالراحة فيها مع تعب إخوانهم في السفر عوقبوا بهجرهم ووقفهم تلك المدة.

.107

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (107)

{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا}

منصوب على الذّم، أي وأذم الذين اتخذوا. أو مبتدأ بتقدير مضاف خبرُه: (لا تَقُم) أي ومسجد الذين اتخذوا .. لا تقم فيه، و﴿ (ضِرارا) مفعول له، وكذا ما بعده. وهؤلاء الذين اتخذوه اثنا عشر رجلا من كبار المنافقين، كانوا يصلون بمسجد قباء فقال لهم أبو عامر الراهب: ابنوا مسجدا واستعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب إلى قَيْصَر ملك الروم، فآتي بجند من الروم فأُخرج محمدا وأصحابه، فلما بَنَوه رغبوا إليه صلى الله عليه وسلم أن يصلي فيه، فوعدهم أن يصلى فيه إذا عاد من تبوك إن شاء الله تعالى، فأوحى إليه خبرهم وأعلمه بتآمرهم؛ فلما عاد أمر بحرقه فَحُرق. والضِّرار: طلب المضارة ومحاولته، ومن ثَمَّ سُمِّي مسجد الضرار.

{وَكُفْرًا}

أي وتقوية للكفر الذي يضمرونه ح

{وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ}

وهم أهل قُباء؛ حسدا لهم على اجتماعهم، وطمعا في اختلاف كلمتهم.

{وَإِرْصَادًا}

أي انتظارا و اعدادا لمن حارب الله ورسوله. يقال: أرصدته له أعددته ورَصَدته وأرصدته في الخير، وأرصدت له في الشر.

{مِنْ قَبْلُ}

أي من قبل بناء هذا المسجد – وهو أبو عامر الراهب الذي سماه الرسول صلى الله عليه وسلم أبا عامر الفاسق.

.108

لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (108)

{لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى}

هو مسجد قباء.

.109

أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (109)

{أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ .. }

أي أبعد ما عُلِم حالهم، فمن أسس بنيان دينه على

تقوى الله وطاعته وطلبه رضوانه خير، أم من أسس بنيان دينه على ضلال وكفر ونفاق!؟

{عَلَى شَفَا} والشَّفا: الحَرفُ والشَّفير.

{جُرُفٍ هَارٍ} والجُرُف – بضمتين –: البئرُ التي لم تُطوَ، أو الهُوَّة، أو المكان الذي يَجرُفه الماء ويذهب به. وهار: أي هائر ساقط. يقال: هار البناء إذا سقط. وهو نعت لـ (جرف). وقد مُثِّل بناء الدين على الباطل بالبناء على شفا جرف هار

{فَانْهَارَ بِهِ}

أي فسقط الجرف بالبنيان مع المباني {فِي نَارِ جَهَنَّمَ} .

.110

لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (110)

{لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ .. }

أي لا يزال ما بنوه سبب ريبةٍ وشك في الدين؛ لأنه حين بُني إنما بني لتفريق كلمة المؤمنين وتشتيت وحدتهم، وليتمكنوا فيه من إظهار ما في قلوبهم من كفر وضلال، وليدبروا فيه الكيد للمسلمين. وحين هُدم رَسخ ما في قلوبهم من الشر، وتضاعفت آثاره ومفاسده.

{إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ}

أي إلا أن تتمزق قلوبهم، فحينئذ يسْلون ذلك. والمراد أنهم لا يزالون كذلك ماداموا أحياء.

.111

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111)

.112

التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (112)

{السَّائِحُونَ}

أي الصائمون. سُمُّوا سائحين لتركهم الملاذ كالسائحين، وقيل: الغزاة المجاهدون.

{لِحُدُودِ اللَّهِ}

لأوامره ونواهيه.

.113

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (113)

{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا .. }

نزلت حين أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لعمه أبي طالب بعد موته، فنهاه الله عن ذلك.

.114

وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (114)

{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ}

خاشع متضرّعٍ في الدعاء. أو كثير التأوه من خوف الله. قال أبو عبيدة: الأواه: المتأوِّه فَرَقاً، المتضرعُ يقينا ولزوماً للطاعة. وأصل التأوه: قولُ الرجل أوَّه. أو أوْه؛ أي أتوجع. و (حليم) صبورٌ على الأذى، صفوح عن الجناية، يقابلها بالإحسان والعطف.

.115

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (115)

.116

إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (116)

.117

لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (117)

{لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ .. }

أي غفر الله للمؤمنين بسبب صبرهم على شدائد هذه الغزوة ما عساه قد فرط منهم من الزلات. وضُمَّ ذكر النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذكرهم تنبيها على عظم مرتبتهم في الدين، وأنهم بلغوا الرتبة التي لأجلها ضُمّ ذكره صلى الله عليه وسلم إلى ذكرهم والعُسْرة: ضد اليُسرة، فهي الشِّدة والضيق.

{يَزِيغُ قُلُوبُ}

تميل عن الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم لما فيه من الشدة والمشقة. والزَّيغ المَيْل.

{ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ}

تأكيدٌ للتوبة والعَفو.

.118

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118)

{وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا .. }

أي وتاب على الثلاثة السابق ذكرهم في تفسير آية 106 الذين تخلفوا عن الغزو.

{بِمَا رَحُبَتْ}

أي مع رُحبها أي سَعتها. وأما الرَّحب – بالفتح –: فهو المكان المتسع.

{ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ}

تأكيدٌ للتوبة المفهومة مما سبق.

{لِيَتُوبُوا}

ليدوموا على التوبة ويثبتوا عليها.

.119

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)

.120

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (120)

{مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ .. }

المراد بالنَّفي هنا؛ النهيُ. أي ليس لهم أن يتخلفوا عن رسول الله في الجهاد

{وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ}

أي لا يجعلوا أنفسهم راغبةً عما ألقى فيه نَفْسه، والباء للتَّعدية. أو لا يرغبوا عن نفسه بأنفسهم، أي بسبب صونها؛ والباء للسببية. وهو متضمِّن أمرهم بأن يصحبوه على البأساء والضراء، و يكابدوا معه الشدائد والأهوال برغبة ونشاط، وأن يُلقوا أنفسهم في الشدائد ما تلقاه نفسه الكريمة

{لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ}

عطشٌ

{وَلَا نَصَبٌ}

تعب ومشقة

{وَلَا مَخْمَصَةٌ}

مجاعة شديدة تظهر خَمَص البطن وضموره؛ وفعلها كنصر.

{وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا}

ولا يدوسون مكانا من أمكنة الكفار بأرجلهم أو حوافر خيلهم وأخفاف رواحلهم. أو هو مصدر بمعنى وطْأ ودوْسا، من وطئ كَفَهِم.

{يَغِيظُ الْكُفَّارَ}

يغضبهم ويغمهم.

{وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا}

بقتل أو أسْر، أو جراحة أو غنيمة، ونحو ذلك.

.121

وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (121)

.122

وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (122)

{وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً .. }

أي ما ينبغي للمؤمنين ولا يجوز أن ينفروا جميعا للجهاد، ويتركوا النبي صلى الله عليه وسلم وحده في حالة عدم خروجه بنفسه للجهاد وعدم النَّفير للكافة. بل يجب أن ينقسموا قسمين: طائفة تبقى معه لتعلم العلم والفقه في الدين، والتَلقي من مشكاة النبوة. وطائفة تنفِر

للجهاد. فالماكثون يحفظون ما تجدد من الأحكام؛ فإذا قدم الغزاة علموهم ما تجدد في غيبتهم. فالتَّفقُّه والإنذار إنما هو عمل الطائفة الماكثة. وفي هذا التقسيم رعاية المصلحة في الجانبين.

.123

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (123)

{قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ .. }

لمّا أمروا بقتال المشركين كافة، أرشدهم الله إلى الطريق الأصلح، وهو أن يبدأوا بقتال الأقرب فالأقرب، حتى يصلوا إلى الأبعد فالأبعد؛ لعدم تصور القتال دفعةً واحدةً، ولهذا قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا قومه، ثم انتقل إلى قتال سائر العرب، ثم إلى قتال أهل الكتاب، وهم قريظة والنضير وخيبر وفَدَك. ثم انتقل إلى غزو الروم والشام، وتم فتحه في زمن الصحابة. ثم إنهم انقلبوا إلى العراق، ثم إلى سائر الأمصار. وإذا قاتل الأقرب أولاً تقوى بما ينال منه على الأبعد.

{غِلْظَةً}

شدة وشجاعة، وحمية، وصبرا.

.124

وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (124)

.125

وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (125)

{فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}

شك ونفاق وكفر.

{فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا}

شكّا ونفاقا وكفرا مضموما

{إِلَى رِجْسِهِمْ}

لأنهم كلما جحدوا سورةً أو آية، أو استهزأوا بها ازدادوا فيما هم فيه. وأصل الرِّجس: الشيء المستقذر، وما هم فيه أقذر شيء!

.126

أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (126)

{يُفْتَنُونَ .. }

يُبْتلون بالشدائد.

.127

وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (127)

{لَا يَفْقَهُونَ}

لا يتدبرون، أو لا يفهمون لسوء استعدادهم. يقال: فَقِه يَفقه، وفقُه يَفْقُه، إذا فهم وعلم.

.128

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (128)

{عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ}

شديد وشاق عليه عنتُكم ومشقتكم؛ لكونه بعضا منكم. يقال: عزَّ عليه، أي صعُب وشق. والعَنَتُ المشقة. يقال: أكمةٌ عنُوت، أي شاقة، وفعله كفَرِح.

.129

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (129)

{حَسْبِيَ اللَّهُ}

كافيني الله ومعيني

والله أعلم.

سورة يونس

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (1)

.2

أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ (2)

{أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ}

القَدَم: السّابقة والسّالفة. والعرب تُسمّي كل سابق في خير أو شر قدماً. وإضافته إلى الصدق من إضافة الموصوف إلى الصفة:؛ كما في مسجد الجامع، فتفيد المدح. وما قدموه هو الإيمان. أو الأعمال الصالحة المستتبعة للثواب. أي أن لهم سابقة فضل ومنزلة رفيعة عند ربهم، أو أجراً حَسنا، أو ثوابا كريما بما أسلفوا. وسُميَ قدما لأنه لا ينال إلا بالسعي وهو لا يحصل إلا بالقدم؛ فَسُميَ المسبب باسم السبب.

.3

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (3)

{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}

آية 54 الأعراف].

{اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}

استواء يليق به سبحانه.

{يُدَبِّرُ الْأَمْرَ}

يقضي ويقدر شئون جميع الكائنات على وفق الحكمة والوجه الأكمل. وأصلُ التدبير: النظر في أدبار الأمور وأعقابها، لتقع على الوجه المحمود.

.4

إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (4)

{وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا}

وعدكم بالبعث والرُّجوع إليه وَعداً، وحق ذلك الوعد حقا، أي ثبت ووجب ثباتا ووجوبا لاشك فيه، فيجازيكم على جحودكم.

{إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ .. }

هو دليل على قدرته، وهو كالتعليل لما قبله.

{بِالْقِسْطِ}

بالعدل.

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا}

أي وليجزي الذين كفروا

بكفرهم

{لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ}

أي ماء حار بالغ نهاية الحرارة. والجملة بيان لجزائهم في الآخرة.

.5

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (5)

{جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً .. }

شروع في بيان أدلة كمال قدرته تعالى وعظم حكمته وتدبيره، ردًّا على منكري البعث، أي هو الذي جعل الشمس ذات ضياء في النهار، والقمر ذا نور في الليل، وقدر سير القمر في منازله الثمانية والعشرين في كل شهر، تقديرا بديعا محكما؛ لِيُعرف بذلك ابتداء الشهور والسنين وانتهاؤها وعددها والحساب بالأوقات من الأشهر والأيام، وبذلك تنتظم مصالح العباد في العبادات والمعاملات وسائر الشئون المعاشية، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة يتعاقبان دائما بحسب طلوع الشمس وغروبها، ويتفاوتان بحسب الأمكنة طولاً وقصرا.

{قَدَّرَهُ مَنَازِلَ}

صيَّر القمر ذا منازل يسير فيها.

.6

إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (6)

.7

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (7)

{إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا .. }

لا يتوقعون لقاء حسابنا، فلا يأملون ثوابنا، ولا يخشون عقابنا؛ لإنكارهم البعث. والرجاء في الأصل: توقع الخير، كالأمل. ويستعمل في الخوف وتوقع الشر، وفي مطلق التوقع الشامل للأمل والخوف؛ وهو المراد هنا.

.8

أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (8)

.9

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (9)

.10

دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (10)

{دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ}

أي دعاؤهم في الجنة التسبيح والتنزيه، الذي هو إشارة إلى وصفه تعالى بصفات الجلال، فَيُقابلون بالتحية منه تعالى، أو من الملائكة بالسلام، أي بالدعاء لهم بالسلامة من كل مكروه. والتَّحية: التَكرمة بالحالة الجليلة. وأصلها من الحياة؛ أي

أحياك الله حياةً طيبةً، ثم يختمون دعاءهم بالتحميد، الذي هو إشارة إلى وصفه بنعوت الجلال والإكرام.

.11

وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (11)

{وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ .. }

نزلت في المشركين حين استعجلوا العذاب الذي أوعدوا به؛ استهزاء وتكذيبا إنكارهم البعث، فقالوا: {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (32)} [الانفال] أي ولو يعجل الله لهم الشر الذي استعجلوه {اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ} أي تعجيله لهم بالخير، فَوضع الاستعجال بالخير – وهو طلب التعجيل به – موضع التعجيل به لهم؛ لإفادة سرعة إجابته تعالى لهم، وإسعافهم بالخير؛ حتى كأنَّ استعجالهم بالخير تعجيل له، لسبق رحمته تعالى لعباده.

{لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ}

لأهلكوا جميعا. يقال: قَضَى إليه أجله، أي أنهي إليه مدته التي قدرها لموته فهلك. ولكنه تعالى لا يعجل الشر لهم، ولا يقضى آجالهم استدراجا لهم.

{فِي طُغْيَانِهِمْ}

وهو إنكارهم البعث، وما يتفرع عليه من الأعمال الفاسدة.

{يَعْمَهُونَ}

يتردَّدون ويتحيَّرون: أو يَعْمَون عن الرشد. والجملة حالية (آية 15 البقرة].

.12

وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (12)

{وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ .. }

أي إذا أصاب الإنسان.

{الضُّرُّ}

الجهد والبلاء والشدة. أي شدةٍ ومكروه – ولو قليلا يسيراً – دعانا لكشفه في كل أحواله؛ فإذا استجبنا له استمر على حالته الأولى ونسي ما كان فيه من البلاء، كأنه لم يَدْعُنا إلى كشفه. والمرادُ جنس الإنسان، أو الكافر من الناس باعتبار حال بعض أفراده، وهو من يذكر الله عند البلاء وينساه عند الرخاء. والآية، بيان لكذب الذين استعجلوا العذاب؛ لأنهم سيضرعون إلى الله عند نزوله، لكشفه وعجزهم عن احتماله.

{دَعَانَا لِجَنْبِهِ}

استغاث بنا لكشفه مُلْقيا لجنبه.

{مَرَّ}

استمر على كفره ولم يتعظ.

.13

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (13)

{أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ}

الأمم الماضية آية 6 الأنعام].

{ظَلَمُوا}

بالكفر وتكذيب الرسل.

.14

ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (14)

{خَلَائِفَ}

خالفين لمن سبقكم. جمع خليفة (آية 165 الأنعام].

{لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}

أي لنعلم أي عمل تعملون، خيرا أو شرا. والمرادُ: لنعاملكم معاملة من يطلب العلم بما يكون منكم لنجازيكم بحسبه، وإلا فهو تعالى عالم ما يكون منهم.

.15

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15)

{مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي}

من قبل نفسي ومن عندي. مصدرٌ على تفعال؛ ولا نظير له غير تِبْيَان.

.16

قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (16)

{وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ}

ولا أعلمكم الله بالقرآن على لساني. يقال: دريته وبه أدري دَرْيا ودِراية، عَلِمْتُه. أو علمته بضَرْب من الحيلة. وأدراه به: أعلمه. و {لا} مؤكدة للنفي.

.17

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (17)

{فَمَنْ أَظْلَمُ .. }

أي وإذا كان القرآن بمشيئته تعالى وأمره، فمن اختلق من تلقاء نفسه كلامًا وقال هو من عند الله، أو بدل بعض آياته ببعض، كما يُجوزون ذلك في شأني، أو كذّب ببعض آياته كما يفعلون، فهو أظلم من كل ظالم!

و {افْتَرَى}

اختلق. يقالُ: افترى الكذب اختلقه؛ ومنه الفِرية أي الكذب. والفَريُّ: الأمر المختلق المصنوع. وزيادة {كَذِبًا} مع أن الافتراء لا يكون إلا كذلك؛ للإشارة إلى أن ما نسبوه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مع كونه افتراء على الله هو كذب في نفسه.

{لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ}

لا يفوزون بمطلوب.

.18

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (18)

{وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا}

كان المشركون ينكرون البعث، وقد حاجهم الله في ذلك في غير آية. وكانوا يقولون: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (38)} [النحل]. ويقولون: {وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (29)} [الانعام]، ومع ذلك قالوا: {هَؤُلَاءِ} أي الأصنام {شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ}. وروي عن بعضهم القول بشفاعة اللات والعزى لهم يوم القيامة. فذهب الجمهور إلى أنه إنما قيل على سبيل الفرض والتقدير: أي إن كان هناك بعث كما تزعمون فهؤلاء يشفعون لنا. وذهب الحسن إلى أن مرادهم الشفاعة في الدنيا لإصلاح المعاش لا في الآخرة لإنكارهم البعث. والحق أنهم في أمر مريج من البعث وأنهم فيه حيارى مضطربون، ولذلك اختلفت كلماتهم. وسيأتي لذلك تتمة في موضعه.

{قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ}

أي قل لهم تبكيتاً: أتخبرونه بما لا وجود له أصلا وهو شفاعة الأصنام عنده؛ إذ لو كان موجودا لعَلِمه، وحيث كان غير معلوم له تعالى استحال وجوده، لأنه لا يعزب عن علمه شيء

{سُبْحَانَهُ}

تنزيها له تعالى.

.19

وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (19)

.20

وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (20)

{وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ}

أي هلا أظهر الله على يديه آية من الآيات التي اقترحناها؛ كآية موسى وعيسى عليهما السلام. ولم يردعهم عن هذا القول ما يرون من المعجزات الباهرة، التي أعلاها القرآن العظيم، المعجز للبشر على وجه الدهر إلى يوم القيامة: وأيُّ آية من الآيات السابقة تدانيه! ولكنه الضلال – والعناد!؟

.21

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (21)

{وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً}

ينعى على كفار مكة غُلوَّهم في كفرهم، فقد ابتلاهم بحبس المطر عنهم سبع سنين حتى كادوا يهلكون، فطلبوا منه صلى الله عليه وسلم أن يدعو لهم بالخِصب ووعدوه بالإيمان؛ فلما دعا لهم ورحمهم الله بالحَيَا طفقوا يطعنون في آيات الله وذلك قوله تعالى: {إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا} أي بالطعن فيها وعدم الاعتداد بها.

{ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ}

نائبة أصابتهم (الجوع والقحط).

{قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا}

أعجل عقوبة وأشد أخذًا، جزاء لكم على مكركم السيء.

.22

هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22)

{هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ}

تفسير لما أُجمل في قوله تعالى: {وإذا أذقنا}، وضرب مثلٍ ليظهر ما هم عليه.

{الْفُلْكِ}

السفن

{طَيِّبَةٍ}

لِيّنة الهبوب موافقة للمقصد.

{جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ}

أي ذات عصفٍ؛ على النسب: كلابن وتامر، والعصفُ: الكَسر والنبات المتكسر. والمراد: شديدة الهبوب.

{أُحِيطَ بِهِمْ}

أحدق بهم الهلاك.

.23

فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (23)

{يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ}

يفسدون فيها متجاوزين إلى غير ما أمر الله به. يقالُ: بغى الجرحُ إذا تراخى في الفساد وجاوز الحد فيه.

{بِغَيْرِ الْحَقِّ}

تأكيد لما يفيده البغي.

.24

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (24)

{إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .. }

بيان لشأن الحياة الدنيا وقِصَرِ مدة التمتُّع بها مهما طالت. وقرب زمان الرجوع الموعود به. أي إنما حالها في سرعة تقضيها وانصرام ملاذها؛ بعد كثرتها والاغترار بها كحال ماء

أنزلناه ..

{حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا}

استكملت حسنها وبهاءها، وأصل الزُّخرف: الزينة المزوَّقة.

{وَازَّيَّنَتْ}

بأصناف النبات وأشكالها وألوانها المختلفة. {فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا}

فجعلنا زَرعها كالمحصود من أصله بالمناجل: مِنَ الحصْدِ وهو قطع الزرع. يقال: حصَد الزرع يحصِده ويحْصُده حصدا وحِصَادا، قطعه بالمنجل: فهو حصيد ومحصود.

{كَأَنْ لَمْ تَغْنَ}

كأن لم تمكث تلك الزروع قائمة على ظهر الأرض في الماضي القريب؛ من غَنِيَ بالمكان – كَرضِيَ –. إذا طال مقامه به مستغنيا عن غيره. أي فكذلك الدنيا في سرعة تقضّيها وانصرام نعيمها، بعد إقبالها واغترار الناس بها.

.25

وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (25)

{وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ}

ترغيب في الآخرة بعد التوهين من شأن الدنيا.

.26

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (26)

{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى}

أي لهم المثوبة الحسنى – وهي الجنة. والعربُ توقع هذه اللفظة على الخَلْة المحبوبة، والخصلة المرغوب فيها، ولذلك ترك موصوفها.

{وَزِيَادَةٌ}

هي النظر إلى وجه الله الكريم. أو هي المغفرة والرضوان.

{وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ .. }

الرهق: الغشيان. يقال: رَهِقه يرهَقه، اذا غَشيه بقهر. والقَتَر: الدخان الساطع من الشِّواء والعود ونحوهما؛ يصيب الوجوه فتغبر وتسود.

{ذِلَّةٌ} : الهوان: أي لا يصيبهم ما يصيب أهل النار من ذلك.

.27

وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (27)

{عَاصِمٍ}

مانع يمنع سخطه وعذابه.

{كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ}

أي أن وجوههم في شدة سوادها كأنما ألبست {قِطَعًا} أي أجزاء من الليل المظلم الحالك السواد. و {مُظْلِمًا} حال من الليل، وقريء (قِطْعا) أي بسواد.

.28

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (28)

{مَكَانَكُمْ}

الزموا مكانكم في الموقف

{أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ}

أي الأصنام حتى تنظروا ما يفعل بكم وبهم

{فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ}

فَرقنا بين المشركين وشركائهم، وقطعنا الوُصَل التي كانت بينهم في الدنيا، وذلك حتى يتبرأ كل معبود ممن عبده؛ من زَيَّل: بمعنى فَرق وميَّز، والتَضعيف فيه للتكثير لا للتعدية، لأن زالَ ثلاثيه متعد بنفسه. تقول: زِلْتُ الضأن من المَعِز: اذا فرّقت بينهما. وزِلتُ الشيء عن مكانه أزيله زَيلا، إذا أزلته.

.29

فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (29)

.30

هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (30)

{هُنَالِكَ تَبْلُو}

في هذا الموقف الدَّحض الزلق – وهو موقف الحشر – تُخْبَر وتُعلم كلُ نفس ما قدمت من عمل وتعاينه بكُنهه، متتبعة لآثاره من خير أو شر؛ من البَلْو وهو الاختبار. تقول: بلوته أي اختبرته. وأصله من بَلِيَ الثوب بِليً وبَلاء، إذا خلَق، فكأن المختبر للشيء أخلقه من كثرة اختباره له. وقرئ (تتلو) بتاءين، أي تقرأ كلُّ نفس كتابي حسناتها وسيئاتها.

.31

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (31)

{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ .. }

هذه ثمانية أسئلة أجابوا عن خمسة منها. وأجاب الرسول صلى الله عليه وسلم عن اثنين منها بتعليم الله اياه؛ لعدم قدرتهم على الإجابة عنها، ولم يذكر جواب الأخير منها لشهرته والعلم به وهو قوله: {أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ}.

.32

فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (32)

{رَبُّكُمُ الْحَقُّ}

الثابتة ربوبيته بالبرهان ثبوتا لا ريب فيه.

{فَأَنَّى تُصْرَفُونَ}

فكيف مع ذلك تُصرفون عن الحق إلى الضلال، وعن التوحيد إلى الشرك.

.33

كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (33)

{كَذَلِكَ حَقَّتْ}

كما حقت كلمة الربوبية لله تعالى. أو كما صُرفوا عن الحق بعد الإقرار به، حقت {كَلِمَتُ رَبِّكَ} على هؤلاء المتمردين في الكفر {أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} أي وجب وثبت حُكمه عليهم بذلك. يقال: حق الأمر يَحِق ويحُق حَقَّه، وجب ووقع بلاشك. وحَق الشيء أوجبه كأحقه. لازمٌ مُتعدٍّ.

.34

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (34)

{فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ}

فكيف

تُصرفون مع ذلك عن التوحيد إلى الشرك [آية 75 المائدة].

.35

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (35)

{أَمَّنْ لَا يَهِدِّي ... }

هذه قراءة حفص ويعقوب، أي لا يهتدي؛ أبدلت التاء دالا–لاتحاد مخرجهما – وأدغمت في الدال، وكسرت الهاء تخلصا من التقاء الساكنين. والمعنى: وإذا كان شركاؤكم لا يهدون إلى الحق فأنا أسألكم: آلله الذي يهدي إلى الحق حقيق بالاتباع أم الأوثان التي لا تهتدي إلا أن تُهدى!؟ أي لا تنتقل من مكان إلى مكان إلا أن تُحمل و تُنقل، فبين الله بهذا عجز الأوثان والأصنام حتى عن حالها في أنفسها.

.36

وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (36)

.37

وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (37)

{وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ .. }

زعم المشركون أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد اختلق القرآن من تلقاء نفسه، فأخبر الله تعالى أن هذا القرآن وحي أنزله عليه، وأنه مبرأً عن الاختلاق والافتراء، وأنه لا يقدر عليه أحد إلا الله، ثم ذكر ما يؤكد ذلك بقوله: {وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} أي ما سبقه من الكتب المُنَزَّلة و فهو موافق لها في أصولها.

{وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ}

أي تفصيل ما كُتب وأثبت من الشرائع.

{لَا رَيْبَ فِيهِ}

أي لاشك فيه أنه كذلك.

.38

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (38)

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ}

(أم) منقطعة بمعنى بل التي للانتقال والهمزة التي للإنكار؛ عند الجمهور. أي بل أيقولون افتراه واختلقه!؟ وهو قولٌ منهم في غاية الشناعة، {قُلْ} إن كان الأمر كما تزعمون

{فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ}

أي فأتوا من عند أنفسكم، أو ممن سبقكم من فصحاء العرب وبلغائهم بسورة مماثلة له في صفاته وخصائصه، فحيث عجزتم عن ذلك دل على أنه ليس من كلام البشر.

{وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ}

دعاءه والاستعانة به من آلهتكم أو من غيرها.

{إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}

في أني افتريته.

.39

بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (39)

{بَلْ كَذَّبُوا .. }

أي فما أجابوا وما قدروا، بل سارعوا إلى تكذيبه من غير أن يتدبروا ما فيه، ويقفوا على ما في تضاعيفه من الأدلة على صدقه، وأنه كلام رب العالمين. ومسارعةُ الإنسان إلى تكذيب ما لم يحط به علما من أفحش الجهل!

{وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ}

أي ولم يعرفوا معانيه المُنبئةَ عن علو شأنه مع انسياقها إلى النفوس بنفسها بمجرد التأمل والتدبُّر. فالتأويل: بمعنى التفسير، والإتيان مجاز عن المعرفة. أو ولم ينتظروا وقوع ما

أخبر به من الأمور المستقبلة مع توقُّعه. ومسارعتهم إلى التكذيب دون انتظار ذلك مع قيام تلك الأدلة على صدقه – غايةٌ في الجهالة! فالتأويلُ: بمعنى وقوع مدلوله، وهو عاقبته وما يئول اليه.

.40

وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ (40)

.41

وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (41)

{لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ}

لي ثمرة عملي، ولكم ثمرة أعمالِكم من الثواب والعقاب يوم الحساب.

.42

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (42)

.43

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ (43)

{يَنْظُرُ إِلَيْكَ}

يعاين دلائل نبوتك الواضحة.

.44

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (44)

.45

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (45)

{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ .. }

ويوم يجمعهم في موقف الحساب كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا برهة يسيرة من نهار، والمراد بهذا التشبيه: بيان تأسفهم وتمنيهم طول مكثهم قبل ذلك؛ لهول ما يرون مما لم يكونوا متوقعين له.

{يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ}

يعرف بعضهم بعضا في هذا الموقف؛ كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلا.

.46

وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ (46)

{وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ .. }

أي وإن أريناك في حياتك بعض ما نَعِدهم به من العذاب فذاك، وإن توفيناك قبل أن نرِيك فسنرِيكَه في الآخرة.

.47

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (47)

{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ .. }

ولكل أمة مكلفةٍ بشريعة رسولٌ يأتي يوم القيامة يشهد عليها بالبلا غ والكفر والإيمان؛ فإذا شهد بذلك قضى بينها وبينه بالعدل؛ فحُكم بنجاة المؤمن وعقاب الكافر.

{بِالْقِسْطِ}

بالعدل في الدنيا أو يوم الجزاء.

{وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}

شيئا أصلا في ذلك القضاء.

.48

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (48)

.49

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (49)

{لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ}

جواب آخر عن استعجالهم العذاب [آية 34 الأعراف].

.50

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (50)

{أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ .. }

أي قل لهم: إن عذابكم أمر محتوم، له أجلٌ معلوم، سنة الله في الذين خلوا من قبلكم؛ فأخبروني إن حل بكم بغتة، في

أي وقت وفي أي حالة كنتم عليها:- أي نوع من أنواعه تطلبونه على عجل؟! والمراد تقريعهم على الاستهزاء بالوعيد وعلى استعجال العذاب، وتهويل أمر العذاب الذي سيحل بهم عما قريب. و {بَيَاتًا} أي وقت بيات، وهو الليل. [آية 4 الأعراف].

.51

أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (51)

{أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ}

أي أبعد ما وقع العذاب و حل بكم {آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ} حين لا ينفعكم الإيمان

{وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ}

والمقصود الإنكار عليهم في تأخير الإيمان إلى هذا الحد. وهمزة الاستفهام داخلة على (ثم) المفيدة للتراخي. والاستفهام للتقريع والتوبيخ.

.52

ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (52)

.53

وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (53)

{وَيَسْتَنْبِئُونَكَ}

يستخبرونك عن العذاب الموعود. يقال: استنبأتُ زيدا عن عمرو، أي طلبت منه أن يخبرني عنه.

{إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ}

أي نَعَم وربي إنه لحقٌ واقع. ولا تستعمل (إي) حرف جواب بمعنى نعم إلا مع القسم خاصةً.

{وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ}

[راجع آية 134 الأنعام].

.54

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (54)

{وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ}

أي أخفَوا آثار الغَم والأسف على ما فعلوا من الظلم؛ كالبكاء والعويل وعض الأيدي؛ فلم يظهروها لشدة حيرتهم وذهولهم حين رأوا ألاهوال والشدائد.

.55

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (55)

.56

هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (56)

.57

يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (57)

.58

قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (58)

.59

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (59)

{أَرَأَيْتُمْ}

أخبروني ما خلقه الله لأجل نفعكم من الأرزاق فبعَّضتموه، وجعلتم منه حراما كالبحيرة والسائبة. وحلالاً كالميتة؛ أأذن لكم الله فيه؟ أم تفترون على الله الكذب بنسبة ذلك إليه؟! و (قل) الثانية للتأكيد.

{أَذِنَ لَكُمْ}

أعلمكم بهذا التحليل والتحريم.

{تَفْتَرُونَ}

تكذبون في نسبة ذلك إليه.

.60

وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (60)

.61

وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (61)

{وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ}

في أمر معتنى به؛ من شَأَنه –: بالهمز – يَشأنُه، إذا قصده، فهو مصدر بمعنى المفعول.

{وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ}

أي وما تتلو قرانا من أجل الشأن الذي نزل بك، و (من) الأولى تعليلية، والثانية مزيدة للتأكيد.

{وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ}

أي عمل كان

{إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا}

رُقَباء مطلعين عليه حافظين له؛ لإحاطة علمنا بكل شيء.

{إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ}

تشرعون فيه، وتتلبسون به. وأصلُ الإفاضة: الاندفاع بكثرة أو شدة. ثم أقام – جل شأنه – البرهان على إحاطة علمه بالجزئيات أو الكليات بقوله:

{وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ}

ما يغيب ويخفي عنه تعالى أصغر شيء في الوجود والإمكان. يقال: عَزب الشيء يعزُب ويَعزِب، غاب وخَفِيَ فهو: عازب.

{مِثْقَالِ} و (المثقال): ما يوازن الشيء.

{ذَرَّةٍ} والذَّرَّة: النَملة الحمراء الصغيرة جدا. أو الهباءةُ التي تُرى في شعاع الشمس الداخل من النافذة.

.62

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)

{إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ}

بيان الأحوال أولياء الله المخلصين: وهم عبادُه الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة. جمع وَلِي، وهو ضد العدو، فهو المحبُّ. ومحبَّة العباد لله طاعتهم له. ومحبتهُ لهم إكرامه إياهم. وأصله من الوَلي بمعنى القرب. وهؤلاء لا يخافون حين يخاف الناس، ولا يحزنون إذا حَزِن الناس يوم القيامة.

.63

الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63)

.64

لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (64)

{لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ}

لا تبديل لأقواله تعالى. التي من جملتها ما بَشر به المؤمنين المتقين.

.65

وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (65)

{إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا}

كلام مستأنف لتعليل النهي عن الحزن. أي إن الغلبة الشاملة، والقوة الكاملة، والقدرةَ التامة لله تعالى وحده، فهو ناصرُك ومعينك، فلا يحْزُنك ما يقولونه فيك وفي القرآن، وما يدبرونه في أمرك.

.66

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (66)

{وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ}

أي ما يتبع هؤلاء المشركون شركاء في الحقيقة، وإن ظنُّوها شركاء جهلا منهم وسفها.

{وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ}

يحزِرُون ويقدرون أنهم شركاء؛ فهو مجرد تخمين. أو يكذبون فيما نسبوه إلى الله من ذلك [آية 116 الأنعام ص].

.67

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (67)

{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ ... }

بيانٌ لتفرده تعالى

بالقدرة الكاملة، والنعمة الشاملة، ليَدُلهم على تفرده باستحقاق العبادة.

.68

قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (68)

{سُبْحَانَهُ}

تنزيها له تعالى عما نسبوه إليه.

{إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا}

أي ما عندكم حجة وبرهان على ما زعمتم من اتخاذه تعالى ولداً؛ حيث قلتم: الملائكة بنات الله، وقالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله.

.69

قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (69)

.70

مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (70)

.71

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ (71)

{كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي}

عظم وشق عليكم قيامي، أي وجودي بينكم، أو إقامتي بين أظهركم، أو على دعوتكم مدة طويلة، فهو اسم مكان، أو مصدر ميمي.

{فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ}

اعزموا وصمموا على إهلاكي. يقال: أجمع أمرَه وأجمع عليه، أي عَزَمَه وصمم عليه، وأصله جعل أمره مجموعا بعد ما كان مفرقا.

{وَشُرَكَاءَكُمْ}

أي مصاحبين لهم في العزم على إهلاكي.

{ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ}

ثم لا يكن أمركم مستورا عليكم بل أظهروه وجاهروني به، فإن الستر انما يُصار إليه ابتغاء الهرب أو نحوه، وذلك محال في حقي؛ فلم يكن للستر وجه.

{غُمَّةً} والغُمَّة: الستر؛ من غمه اذا سَتَرَه و (عليكم) متعلق (بِغُمة).

{ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ .. }

أدُّوا إليّ ذلك الأمر الذي تريدون بي؛ كما يؤدِّي الرجل دينه إلى غريمه؛ من القضاء بمعنى الأداء. يقال: قَضَى دينه. إذا أدَّاه.

{وَلَا تُنْظِرُونِ}

ولا تمهلوني بل عجلواأشد ما تقدرون عليه! والكلام خارج مخرج التهكُّم.

.72

فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (72)

.73

فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (73)

{وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ}

وصيرنا الناجين يخلُفون في الأرض

من هلكوا بالطوفان.

.74

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (74)

{نَطْبَعُ}

أي مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المتجاوزين للحدود في الكفر والفساد؛ وذلك بخذلانهم وتَخْليتهم وشأنهم لانهماكهم في الضلال. والطبع: الختم والاستيثاق.

.75

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (75)

.76

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (76)

.77

قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (77)

.78

قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ (78)

{لِتَلْفِتَنَا}

لتصرفنا وتلوينا، واللفت: الصرف واللَيُّ. يقال: لفته يَلفِته لَفتاً؛ صرفه إلى ذات اليمين أو الشمال ولفت الشيء وفَتَله: لواه عنه وصرفه.

{عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا}

من الدين.

.79

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (79)

.80

فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (80)

.81

فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (81)

.82

وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (82)

.83

فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (83)

{وَمَلَئِهِمْ}

أي أشراف قومهم.

{أَنْ يَفْتِنَهُمْ}

أي يبتليهم ويعذبهم ليحملهم على الرجوع عن الإيمان؛ من الفتن [آية 102 البقرة].

.84

وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (84)

.85

فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (85)

{لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً}

أي موضع عذاب لهم، بأن تسلطهم علينا فيعذبونا أو يفتنونا عن ديننا.

.86

وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (86)

.87

وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (87)

{أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا}

أي اتخذا لهم مباءةً، أي بيوتاً بمصر يسكنون فيها. يقال: بوّأت له مكانا، سويته وهيأته له. وتبوَّأ المكان: اتخذه مباءةً. ومنه {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (121)} [آل عمران].

{وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً}

أي مصلى تصلُّون فيها سرا بعد أن خرب فرعون كنائسَكم؛ حتى تأمنوا وتظهروا على فرعون وقومه.

.88

وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (88)

{اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ}

أهلكها. أو أمحُ أثرها. يقال: طَمَس يَطمِس ويطمُس طموساً، دَرَسَ وامَّحى أثره.

{وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ}

اربط عليها واطبع وقَسِّها حتى لا تلين ولا تنشرح للإيمان، من الشَّد على الشيء للاستيثاق منه.

.89

قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (89)

.90

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90)

{بَغْيًا وَعَدْوًا}

ظلما واعتداء. يقال: بغى عليه بغياً، إذا علا وظلم. وعدا عليه عدوا وعُدوانا، ظلمه، كتعدَّى واعتدى.

.91

آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91)

{آلْآنَ}

أي الآن تؤمن حين يئست من الحياة وأيقنت الموت!؟ فالظرف متعلق بمحذوف يقدَّر مؤخَّرا. والاستفهام للتوبيخ والإنكار؛ لتأخيره الإيمان إلى وقت لا يُجدي فيه نفعا لعدم قبوله.

.92

فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (92)

{آيَةً}

عبرة ونكالا.

.93

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (93)

{بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ}

أسكناهم وأنزلناهم منزل كرامة، ومكانا صالحا مرضيّا. واضافته إلى الصِّدق للمدح؛ كما في: قَدَم صدق، ورَجُل صدقٍ.

.94

فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (94)

{فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ}

الخطاب في هذه الآية وفي قوله بعد: {فَلَا تَكُونَنَّ} للرسول صلى الله عليه وسلم والمرادُ غيره؛ كما في نظائرها.

{الْمُمْتَرِينَ}

الشاكين المتزلزلين.

.95

وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (95)

.96

إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (96)

.97

وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (97)

.98

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (98)

{فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ}

(لَوْلَا) للتحضيض كهَلا، وفيه معنى التوبيخ والنفي، أي فهلا كانت قرية من القرى التي أهلكت هلاك الاستئصال، آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخِّر ايمانها إلى حين معاينته كما أخر فرعون إيمانه – فنفعها ذلك! بأن يقبله الله منها ويكشف عنها العذاب بسببه، لكن قوم يونس لم يَجْرُوا على سنة أسلافهم، بل بادروا إلى الإيمان قبل نزول العذاب حين رأوا أماراته؛ فقَبِل الله إيمانهم، وكشف عنهم العذاب ومتعهم إلى حين.

{عَذَابَ الْخِزْيِ}

الذل والهوان.

.99

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (99)

{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ}

أي لكنه لم يشأ ذلك؛ لكونه مخالفا للحكمة التي بُني عليها أساس التكوين والتشريع.

.100

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (100)

{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ .. }

أي وما كان لنفس علم الله تعالى أنها لا تؤمن، أن تؤمن في حال من الأحوال، كسلامة العقل وصحة البدن وغيرهما – إلا في حال ملابستها إرادة الله أن تؤمن، وإرادته تابعة لعلمه به، وعلمه به مُحالٌ؛ لتعلقه بنقيضه وهو عدم الإيمان، فيلزم انقلاب العلم جهلاً، فتكون إرادتُه ذلك محالاً، فيكون إيمانها محالاً؛ إذ الموقوف على المحال محال.

ذكره العلامة الآلوسي.

{وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ}

العذاب أو الكفر. أو الخذلان الذي هو سبب العذاب. وأصله الشيءُ المستقذَر.

.101

قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (101)

.102

فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (102)

.103

ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ (103)

.104

قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (104)

.105

وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (105)

{وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ .. }

وأوحيَ إليّ أن أقم نفسك على دين الإسلام، مقبلا بوجهك عليه غير ملتفت إلى سواه.

{حَنِيفًا}

مائلا إليه.

.106

وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ (106)

.107

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (107)

.108

قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (108)

{وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ}

أي بحفيظ أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها؛ إنما أنا بشير ونذير.

.109

وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (109)

والله أعلم

سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (1)

{كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ}

هذا كتاب نظمت آياته تنظيما محكما متقنا، لا يتطرق إليه نقص ولا خلل؛ من الأحكام وهو الإتقان با كالبناء المحكم الرصيف. يقال: أحكمت الشيء، أتقته فاستحكم.

{ثُمَّ فُصِّلَتْ}

جُعلت مفصلة كالعِقد المفصل بالفرائد. أو فُرِّقت في التنزيل: فنُزِّلت نجوما على حسب الوقائع والمصالح. و (ثم) على الأول للترتيب الإخباري. وعلى الثاني للترتيب الزماني.

2. أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (2)

{أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ}

أي أُحكمت وفصلت لِتُمحضوا العبادة الله تعالى؛ فإن الإحكام والتفصيل يدعوهم إلى الإيمان والتوحيد وما يتفرع عليه من الطاعات.

.3

وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (3)

{وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا .. }

معطوف على (ألا تعبدوا) أي ولاستغفاركم ربَّكم من ذنوبكم، ولإخلاصكم في توبتكم منها. و (أن) مصدرية، وهي تُوصَل بالأمر والنهي كما تُوصل بغيره.

.4

إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (4)

.5

أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (5)

{يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ}

يطوونها على ما يسترونه من العداوة والبغضاء، من ثَنيت الثوب، إذا طويته على ما فيه من الأشياء المستورة. نزلت في الأخنس بن شريق من منافقي مكة، وكان رجلا حُلو المنطق، حسن السياق للحديث، يضمر للرسول صلى الله عليه وسلم الكراهة، ويطوي صدره على بغضه، ويظهر له المحبة والمودة: ويظن أن ذلك يخفي على الله تعالى.

{لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ}

من الله تعالى جهلا منهم.

{أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ .. }

أي ألا حين يبالغون في الاستخفاء، كمن يجعلون ثيابهم أغشية لهم حتى لا يظهر منهم شيء!

{يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ}

أي يعلم الله سِرَهم وعلانيتهم فيجازيهم على نفاقهم {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}.

.6

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (6)

{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ .. }

و بيان الإحاطة علمه بكل شيء.

{وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا}

موضع قرارها في الأصلاب

{وَمُسْتَوْدَعَهَا}

موضع استيداعها في الأرحام، وما يجري مجراهما من البيض و نحوه.

.7

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7)

{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ .. }

[آية 54 الأعراف].

{وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ}

أي ليس تحت عرشه غير الماء قبل خلق السموات والأرضَ.

{لِيَبْلُوَكُمْ}

أي خلق السموات والأرض وما فيهما الذي منه أنتم، ورتَّب فيهما جميع ما تحتاجون إليه من مبادئ وجودكم وأسباب معاشكم؛ ليعاملكم معاملة من يختبر غيره؛ ليتميز المحسن من المسيئ، والمطيعُ من العاصي، ويظهر للناس حاله في الدنيا وفي يوم الحساب، ويجري حُكمُ القضاء الإلهي في أمره على حسب ما يظهر من حاله.

{أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}

أي بطاعة الله. وأورع عن محارمه، فيجازيكم على أعمالكم.

.8

وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (8)

{أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ}

طائفة من الأيام معلومة أو قليلة. [آية 104 آل عمران}.

{وَحَاقَ بِهِمْ}

أحاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلونه استهزاءً.

.9

وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (9)

{إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ}

أي لشديد اليأس من أن يعود إليه مثل ما سُلب منه، كثير الكُفران لما سلف له التقلب فيه من النعم. يقال: يئس من الشيء ييْأَس، إذا قَنِط منه.

.10

وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (10)

{ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ}

نائبة ونكبة أصابته.

{لَفَرِحٌ فَخُورٌ}

بَطِرٌ بالنعمة مغتر بها، كثير التَّعاظم على الناس بما أوتي منها. مشغول بذلك عن القيام بحقها.

.11

إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (11)

{إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا}

استثناء منقطع.

.12

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (12)

{فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ .. }

أي فلعلك تارك تبليغ بعض ما يوحى إليك؛ وهو ما يثير غضب المشركين، وضائقٌ بتبليغه صدرك؛ مخافة تكذيبهم واستهزائهم بقولهم: هلَّا أُعطيَ مالاً كثيرا يغتني به! وهلا جاء معه ملك يصدّقه ويشهد له بالنبوة! فَدُم على التبليغ

ولا تضق بأمرهم ذَرْعا؛ فما عليك إلا الإنذار وعلينا الحساب. و (لعل) للترجي والتوقُّع , ولا يلزم من توقع الشيء وقوعُه. فقد يمتنع لمانع، وهنا لا يتوقع منه صلى الله عليه وسلم ترك تبليغ شيء مما أوحى إليه ولا ضِيق الصدر به؛ لثبوت عصمته من ذلك. وفي الآية تنديدٌ بالمشركين وإنذار لهم بسوء العاقبة. وحثٌّ له على عدم المبالاة بهم.

{وَكِيلٌ}

قائم به حافظ له.

.13

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (13)

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ}

أي بل أيقولون اختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه؛ فتحداهم الله بقوله: {فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ} في البلاغة

{مُفْتَرَيَاتٍ}

مختلفات من عند أنفسكم إن صح أني

اختلقته من عند نفسي! فإنكم عرب فصحاء بُلغاء. وقد وقع التحدي بالقرآن كله كما في سورة الإسراء، ثم بعشر سور كما هنا، ثم بسورة واحدة كما في سورتي البقرة [أية 23] ويونس [آية 38]. وقد عجزوا عن الإتيان بمثل أقصر سورة منه؛ فدل على أنه مُنَزَّل من عند الله تعالى.

.14

فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (14)

.15

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (15)

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}

نزلت في الكفار الذين يعملون أعمالاً صالحة في الدنيا مع تشبُّثهم بالكفر، فهؤلاء يعجل الله لهم ثوابها كاملا في الدنيا، بسطة في الأموال والأولاد والجاه والسلطان، وليس لهم في الآخرة الا النارُ جزاء على كفرهم.

{لَا يُبْخَسُونَ}

أي لا ينقصون؛ من البَخْس وهو نقص الحق ظلما.

.16

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (16)

{وَحَبِطَ}

أي بطل في الآخرة. يقال: حَبَط – كسَمع وضرب – حَبْطا وحُبُوطا، بطل. وأحبط الله عمله، أبطله.

{مَا صَنَعُوا فِيهَا}

أي في الدنيا.

.17

أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (17)

{أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ .. }

بيان لحال الذين يريدون بأعمالهم وجه الله تعالى، اثر بيان حال أضدادهم الذين يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا. أي أفمن كان على برهان جَلِي من ربه يدل على حقيَّة الإسلام وهو القرآن، ويؤيده و يقويه شاهدٌ منه على كونه من عند الله وهو إعجازه في نظمه، وكتاب موسى من قبله – كمن ليس كذلك!؟ لا يستويان؟ والبينة: القرآنُ؛ والتُّلُو: التبعية بمعنى التقوية. والشاهد: إعجازه، والتوراة المؤيدة له. والضميرُ في (منه) للقرآن؛ لإفادة أن إعجازه وصفٌ ثابت لَه في ذاته غير خارج عنه. و {مِنْ قَبْلِهِ} حالٌ من {كِتَابُ مُوسَى} المعطوف على {شَاهِدٌ}.

{شَاهِدٌ}

على تنزيله وهو إعجاز نظمه.

{فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ}

أي في شك من كون القرآن نازلا من عند الله. أو من أنَّ موعدهم النار. والخطاب للرسول والمراد أمتُه كما في نظائره. أو لكلِّ من يصلح للخطاب. والمراد: التحريض على النظر الصحيح المزيل للشك.

.18

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (18)

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى .. }

بعد أن بيَّن الله تعالى حال المؤمنين المُتَصفين بالصِّفة الحميدة السابقة، بيَّن حال الكافرين، وذكر من أوصافهم أربعة عشر وصفا، أوَّلها: افتراءُ الكذب، وآخرها: الخسران في الآخرة، كذبوا على الله تعالى بنسبة ما يستحيل عليه من الشريك والولد.

{وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ}

أي

الحاضرون في موقف العَرض والحساب، وهم الملائكة مطلقا، أو الحفظةُ منهم، أو الملائكة والأنبياء والمؤمنون. جمع شاهد أو شهيد، بمعني حاضر.

.19

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (19)

{وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا}

ويطلبون سبيل الله معْوَجَّة [آية 99 آل عمران].

.20

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (20)

{لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ}

أي مفلتين أنفسهم من عذابه لو أراد الله ذلك.

.21

أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (21)

.22

لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (22)

{لَا جَرَمَ .. }

وردت هذه الكلمة في القرآن في خمسة مواضع متلوّة بـ (أنَّ) واسمها، وليس بعدها فِعْل. وجمهور النحاة على أنها مركبة من (لا) و (جَرَم) تركيب خمسة عشر، ومعناها بعد التركيب معنى فِعْل؛ وهو: حقَّ وثبتَ، والجملة بعدها فاعله. أي حق وثبت كونهم في الآخرة هم الأخسرون. وقيل: إن (لا) نافية للجنس، و (جرم) اسمها، وما بعدها خبرها. والمعنى: لا محالة في أنهم في الآخرة هم الأخسرون، أي في خسرانهم.

.23

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (23)

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا .. }

بيان لأحوال المؤمنين في الدنيا وربحهم في الآخرة، إثر بيان أحوال الكافرين في الدنيا وخسرانهم في الآخرة.

{وَأَخْبَتُوا}

أي أطمأنوا وخشعوا. وأصلُ الإخبات: نزول الخَبْت، وهو المطمئنُّ من الأرض، ثم أطلق على الاطمئنان والخشوع؛ تشبيها للمعقول بالمحسوس، ثم صار حقيقة فيه، ويعدى بالى وباللام.

.24

مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (24)

.25

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (25)

{إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ}

أي قائلا لَهم ذلك.

.26

أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (26)

{أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ}

أي أرسلناه بألا تعبدوا غير الله تعالى.

{عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ}

مؤلِم.

ونسبة الإيلام إلى اليوم مجازٌ لوقوع العذاب فيه. كما في: نَهارُه صائم.

.27

فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (27)

{فَقَالَ الْمَلَأُ}

الأشراف والساده. [آية 246 البقرة]

{بَشَرًا مِثْلَنَا}

أي إنسانا مماثلا لنا، ليس فيك مزيّة تخصك من بيننا بالنبوة!

{بَادِيَ الرَّأْيِ}

أي اتبعوك ظاهرا لاباطنا. أو في أول الرأي من غير تفكر وتثبت، ولو تفكروا ما اتبعوك. و (بَادِيَ) على الأول من البدو بمعنى الظهور؛ يقال: بدا الشيء بدْوا وبُدُوًّا وبَداء، ظهر. وعلى الثاني من البَدْء؛ يقال: بدأ يبدأ، إذا فعل الشيء أولا. والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها.

{مِنْ فَضْلٍ}

زيادة في شيء تؤهلكم لاتباعنا لكم.

.28

قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (28)

{أَرَأَيْتُمْ}

أخبروني [آية 40 الأنعام].

{عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي}

حُجةٍ وبرهان يشهد لي بالنُبوة والصدق.

{فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ}

أُخفيت عليكم عقوبة لكم والضمير للبينة، أو للرحمة بمعنى النبوة. يقال: عُمِّي عليه الأمر، أي أخفي عليه حتى صار هو بالنسبة إليه كالأعمى، وقرئ (عَمِيت) أي خفيت.

.29

وَيَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (29)

{وَمَا أَنَا بِطَارِدِ .. }

أي لا أطرد المؤمنين الذين اتبعوني، ووصفتموهم بأنهم أراذل وأخسَّاء، كما طلبتم مني ذلك أنَفَة من مجالستهم، واستكبارا عن الانتظام في سلكهم!

{إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ}

لقاء فوز ورضوان.

.30

وَيَاقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (30)

.31

وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (31)

{وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ}

أي خزائن رزقه وماله.: رد لقولهم: {وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ}. {وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ} ردٌّ لقولهم: {وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ .. } الآية. {وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ} ردٌّ لقولهم: {مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا}.

{تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ}

تستحقرهم وتستصغرهم: من الأزدراء وهو الإعابة. يقال: ازدراه إذا عابه. و زَرَي عليه زَرْيا وزراية؛ إذا حقره. وأزري به أدخل عليه عَيباً.

.32

قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (32)

.33

قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (33)

{وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ}

بمُصيّريه سبحانه عاجزاً بالهرب من عذابه.

.34

وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (34)

{أَنْ يُغْوِيَكُمْ}

يضلكم.

.35

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ (35)

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ}

أي بل أيقول قوم نوح: إنه اختلق ما جاء به من عند نفسه ونسبه إلى الله تعالى! فهو من قصة نوح.

{فَعَلَيَّ إِجْرَامِي}

فعليّ عقاب إجرامي. أي عقاب اكتساب الذنب. والإجرام: اكتساب الذنب. يقال: أجرم وجَرَم واجترم، بمعنى اكتسب الذنب وافتعله.

.36

وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (36)

{فَلَا تَبْتَئِسْ}

فلا تحزن بما كانوا يفعلون في هذه المدة الطويلة، من التكذيب والاستهزاء والإيذاء؛ فقد حان وقت عقابهم. يقال: ابتأس فلان بالأمر، إذا بلغه ما يكرهه. والمبتئس: الكاره الحزين وأصله من البؤس وهو الحزن.

.37

وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (37)

{وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا}

أي واصنع السفينة بمرأى منّا، أو محفوظا بِكلاءتنا، أو اصنعها بعلمنا. والفُلك يكون واحدا فيُذكَّر، وجمعا فيؤنَّث.

.38

وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (38)

{سَخِرُوا مِنْهُ}

استهزؤوا به؛ لصُنعه السفينة. يقال: سخر منه وبه يَسخر سَخرا وسُخْراً، هَزيء. والاسم السخريةُ.

.39

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (39)

{يُخْزِيهِ}

يذله و يهينه.

{وَيَحِلُّ عَلَيْهِ .. }

أي يجب عليه عذاب دائم. يقال: حل عليه أمرُ الله يحل حُلولاً، وجب.

.40

حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (40)

{إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا}

نَزَل عذابنا.

{وَفَارَ التَّنُّورُ}

نبع الماء منه وارتفع بشدة؛ كما تفور القدر عند غليانها. وكان ذلك علامة لنوح على بدء الطوفان. والتَّنُّور: الكانون يُخبز فيه. وقيل: هو وجه الأرض؛ والعرب تسمى وجه الأرض تنوراً، أو أعلى الأرض وأشرفها. وهو لفظ مُعَرَّب، وقيل عربي. والمشهور: أنه مما اتفقت فيه اللغتان كالصابون.

.41

وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (41)

{مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا}

بفتح

الميم الأولى مع الإمالة، وبضم الميم الثانية، مصدران من جَرَى وأرسى؛ أي باسم الله جَرْيها وإرساؤها.

.42

وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (42)

{فِي مَوْجٍ}

الموجُ: ما ارتفع من ماء البحر عند اضطرابه. وأصله: من ماج يموج إذا اضطرب.

.43

قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (43)

{سَآوِي}

سألتجيء وأستند.

{لَا عَاصِمَ}

لا مانع ولا حافظ.

.44

وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (44)

{بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ .. }

القول في هذه الآية مجازٌ عن تعلق القدرة بزوال الماء و بهلاكهم، كما قيل في قوله تعالى: { .. يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (117)} [البقره].

{وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي}

أمسكي عن إرسال المطر، يقال: أقلع عن عمله إقلاعا، كف عنه. وأقلعت عنه الحمى إذا تركته.

{وَغِيضَ الْمَاءُ}

نقص، يقال: غاض الماء يغيض قل ونَضَب.

{الْجُودِيّ}

جبل بالمَوْصل.

{بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}

هلاكًا لهم. يقال: بَعُد بُعْدا، بمعنى هلك: قال تعالى: { ... أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (95)} [هود] أي ألا هلاكا لمدين كما هلكت ثمود. وبعض العرب يقول في المكان: بَعُدَ – بالضم، وفي الهلاك: بَعِد – بالكسر، ويذهب

إلى أن استعمال المضموم في الهلاك مجاز. ومثله يقال في قوله تعالى: {ألا بُعداً لِعاد} [ايه 60 من هذه السورة]، وقوله تعالى: {ألا بعداً
لثمود} [آيه 68 من هذه السورة].

.45

وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (45)

.46

قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (46)

.47

قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (47)

.48

قِيلَ يَانُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (48)

{وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ}

خيرات ونِعم ثابتة عليك. جمع بركة، وهي ثبوت الخير ونماؤه وزيادته. واشتقاقها من البَرْك وهو صدر البعير. يقال: بَرَك البعير، إذا ألقى بَرْكه على الأرض
وثبت. ومنه البِركة، لثبوت الماء فيها.

.49

تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (49)

.50

وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (50)

{وَإِلَى عَادٍ .. }

[آية 65 الأعراف].

.51

يَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (51)

{فَطَرَنِي}

خلقني وأبدعني. يقال: فطرَ الأمر، ابتدأه وأنشأه. فطر الله الخلق: خلقهم. وأصل الفَطْرِ: الشق، ثم استعمل في الخلق والإبداع مجازاً.

.52

وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (52)

{يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا}

يُنزل المطر عليكم كثيرَ الدُّرور والتتابع من غير إضرار وكانوا قد مُنعوه سنين. [آية 6 الأنعام].

.53

قَالُوا يَاهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (53)

.54

إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (54)

{اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ}

أصابك بعض أصنامنا بجنون وخبل لِسَّبك إياها. يقال: عَراه الأمر واعتراه بمعنى أصابه. وأصله من قولهم: عراه يَعْروه، أي غَشِيه طالباً معروفه، كاعتراه.

.55

مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (55)

{فَكِيدُونِي}

فاحتالوا في كيدي وضري.

{ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ}

لا تمهلوني بكيدكم، بل عاجلوني بالعقوبة؛ من الأنظار بمعنى الإمهال. قال ذلك لِعظم وثوقه بحفظ الله له، وصونه من كيْد أعدائه.

.56

إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (56)

{آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا}

مالكها وقاهرٌ لها. والأخذ: التناول بالقهر. والناصية: منبت الشّعر في مقدم الرأس، ويطلق على الشعر النابت نفسه. والكلام كناية أو مجاز عن القهر والغَلَبة، وإن لم يكن هناك أخذ بالناصية. والعرب إذا وصفوا إنسانا بالذلة والخضوع لغيره قالوا: ما ناصية فلان إلا بيد فلان، أي أنه في قبضته يصرفه كيف شاء.

.57

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (57)

{حَفِيظٌ}

رقيب مهيمن.

.58

وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (58)

{جَاءَ أَمْرُنَا}

نزل عذابنا وهو الريح، قال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (19) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (20)} [القمر].

{عَذَابٍ غَلِيظٍ}

شديد مضاعف، هو عذاب الآخرة.

.59

وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (59)

{وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ}

أي اتبع سِفْلَتُهم رؤساءهم. والجبار: المتعاظم المتكبر على العباد، المترفع عن قبول الحق. والعنيد: المعانِد الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه. يقال: عَنَد عن الحق – من باب نَصَر وضَرب وكرم – عُنُودا، إذا خالفه ورده عارفا به؛ فهو عنيدٌ وعانِدٌ.

.60

وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (60)

{أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ}

هلاكاً لهم [آية 44 من هذه السورة].

.61

وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (61)

{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا}

[آية: 73 الأعراف].

{وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}

جعلكم عمارها و سُكّانها. يقال: أعْمَره المكان واستعمره،، جعله يَعْمُره. وأصله من العمارة ضد الخراب.

.62

قَالُوا يَاصَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (62)

{مُرِيبٍ}

مَوقِع في الريبة أي القلق والاضطراب، اسم فاعل من أراب. يقال. أربتُه فأنا أريبه، إذا فعلت به فعلا يوجب لديه الرِّيبة. أو مُريب بمعنى ذي ريبة؛ من أراب اللازم، أي صار ذا ريبة.

.63

قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (63)

{غَيْرَ تَخْسِيرٍ}

غير أن تجعلوني خاسرا هالكا بإبطال أعمالي، والتعرُّض لعذاب الله وسخطه. يقال: خسره تخسيرا، أهلكه.

.64

وَيَاقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (64)

{هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً}

معجزة دالة على صدقي في الرسالة.

.65

فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (65)

{فَعَقَرُوهَا}

فنحروها [آية 77 الأعراف].

.66

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (66)

.67

وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (67)

{وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ}

آية 78 الأعراف] من الصياح، وهو الصوت الشديد. يقال: صاح إذا صوّت بقوة. وأصل ذلك تشقيق الصَّوت؛ من قولهم: انْصاح الخشب أو الثوب، إذا انشق فسمع منه صوت.

{فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [آية 78 الأعراف].

.68

كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ (68)

{كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا}

كأن لم يلبثوا فيها أصلاً [آية 92 الأعراف].

{أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ}

هلاكاً لهم [آية 44 من هذه السورة].

.69

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (69)

{قَالُوا سَلَامًا}

أي نسلِّم عليك سلاما.

{قَالَ سَلَامٌ}

أي سلام عليكم.

{بِعِجْلٍ حَنِيذٍ}

مشوي على الحجارة المُحماة في حفرة من الأرض؛ وهو من صنع أهل البادية. يقال: حَنَذ الشاة يحنِذُها حَنْذا، شواها بهذه الطريقة؛ فهي حنيذ.

.70

فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (70)

{نَكِرَهُمْ}

أنكرهم ونَفَر منهم. تقول: نكرته أنكُره نكراً ونُكورا، وأنكرته واستنكرته، إذا وجدته على غير ما تعهد فَنَفرت منه.

{وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً}

أضمر من جهتهم خوفاً وفزعا. وأصل الوَجْس: الصوت الخفي. والإيجاسُ: وجوده في النفس، أريد به الفزَع الذي يقع في القلب من صوت أو غيره.

.71

وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (71)

{فَضَحِكَتْ}

سرورا بزوال الخيفة عن إبراهيم وعنها؛ اثر قول الملائكة: {إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ}.

.72

قَالَتْ يَاوَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72)

{يَاوَيْلَتَا}

كلمه أرادت بها التعجب، لا الدعاء على نفسها بالويل والهلاك. وهي كثيرة في أفواه النساء إذا طرأ عليهن ما يتعجبن منه.

.73

قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (73)

{إِنَّهُ حَمِيدٌ}

محمود في أفعاله.

{مَجِيدٌ}

كثير الخير والإحسان. أو ذو الشرف والكرم. والمَجْد: السَّعة في الكرم والجلال. يقال: مَجَد – كنَصر وكَرُم – مجدا ومجادة، أي كَرُم وشرُف. وأمجده ومجده: عظمه وأثنى عليه. وأصله من مَجَدت الإبل وأمجدَتْ: إذا وقعت في مرعى كثير واسع.

.74

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (74)

{الرَّوْعُ}

بفتح الراء: الخَوْف والفزع. يقال: راعه أي أفزعه، كروَّعه.

.75

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (75)

{لَحَلِيمٌ}

متأن غير

عجول

{أَوَّاهٌ}

[آية 114 التوبة]

{مُنِيبٌ}

راجع إلى الله سبحانه.

.76

يَاإِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (76)

.77

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (77)

{سِيءَ بِهِمْ}

أي ساءه وأحزنه حضورهم؛ لاعتقاده أنهم أناس، فخاف أن يقصدهم قومه بالسوء وهو عاجز عن مدافعتهم.

{وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا}

نَفِد طاقة ووسعاً بسببهم؛ فلم يجد من ذلك المكروه مخلصاً. والذرعُ في الأصل: مصدرُ ذَرَع البعير بيديه يذرع، إذا سار مادًّا خطوه. مأخوذٌ من الذراع، وهو العضو المعروف؛ فإذا حمل عليه أكثر من طوقه ضاق ذرعُه عنه وضعف ومَدّ عنقه، فجعل ضيق الذرع كناية عن نفاد الوسع والطاقة، فيقال: ضاق به ذرعا، إذا لم يُطقه ولم يقدر عليه و (ذرعًا) تمييز مُحوَّل عن الفاعل، أي ضاق بأمرهم ذرعُه.

{يَوْمٌ عَصِيبٌ}

شديد شرُّه، عظيم بلاؤه، من العَصب وهو الشدُّ، كأنهُ لشدة شره قد عُصِب به الشر والبلاء؛ أي شُد به.

.78

وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَاقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (78)

{يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ}

أي يسوق بعضهم بعضا إليه من شدة فرحهم. يقال: هُرِع الرجل وأهرِع، إذا أُعجل.

{هَؤُلَاءِ بَنَاتِي}

يُرشدهم إلى نسائهم، وأضافه إلى نفسه لأن كل نبي أبو أمته من حيث الشفقة والتربية.

{وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي}

ولا تفضحوني وتذلوني في أضيافي؛ من الخزي [آية 85 البقرة].

.79

قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (79)

وقولهم: {مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ}

أي قد علمت أنا لا أَرَبَ لنا في النساء، وما لنا فيهن كبير حاجة.

.80

قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (80)

{أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ}

أو أني ألجأ وأنضوي إلى عشيرة قويةٍ تمنعني منكم. تقول: أوَيْت إليك فأنا آوي إليك أُويا، بمعنى صرت إليك وانضممت، وإنما قال ذلك لأنه لم يكن من قومه نسبا، بل كان غريبا فيهم. وجواب (لا) محذوف، أي لمنعتكم بالقوة.

.81

قَالُوا يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (81)

{فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ .. }

بقَطْع الهمزة ووصلِها؛ من أسرى وسَرى، ومعناهما: السير ليلا. وقيل: أسرى سار أول الليل، وسرى سار آخرَه.

{بِقِطْعٍ}

والقِطْع: الطائفة من الليل، أو ظلمة آخره.

.82

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (82)

{جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا}

أي قلبنا قراهم، وكانت عند حمص ببلاد الشام، وأكبرها سدُوم، وهي المؤْتفكات المذكورة في سورة التوبة.

{وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا}

وأمطرنا على هذه القُرى بعد قلبها

{حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ}

وهو حجر وطين مختلِط؛ وهو لفظ عربيٌ يطلق على كل شديد صُلب، وقيل مُعَّرب.

{مَنْضُودٍ}

متتابع في النزول؛ من النَّضد، وهو وضع الشيء بعضه على بعض. يقال: نَضَد متاعه يَنضده، جعل بعضه فوق بعض، كنضده؛ فهو منضود ونضيد ومنضَّد.

.83

مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (83)

{مُسَوَّمَةً}

مُعَلّمة في حكم الله بسيما تتميز بها عن حجارة الأرض. وقد عُذب بها أصحاب الفيل.

.84

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (84)

{وَإِلَى مَدْيَنَ}

[آية 85 الأعراف]

{وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ}

أي آلتيَ الكيل والوزن، لا عند الأخذ ولا عند الإعطاء، فلاتُعطوا غيركم ناقصا، ولا تزيدوا عن حقكم فيما تأخذونه؛ فيكون نقصا من مال غيركم.

{أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ}

بسعة تغنيكم عن التطفيف

{يَوْمٍ مُحِيطٍ}

مهلك.

.85

وَيَاقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (85)

{بِالْقِسْطِ}

بالعدل بلا زيادة ولا نقصان.

{وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ .. }

ولا تنقصوهم مما استحقوه شيئا. وهو تعميم بعد تخصيص؛ ليشمل غير المكيل والموزون، كالمذروع والمعدود، ويشمل الجودة والرداءة. يقال: بخسه حقه، إذا نقصه.

{وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ .. }

لا تسعوا في الأرض مفسدين. [آية 60 البقرة] وقد كانوا يقطعون الطريق على السابلة.

.86

بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (86)

{بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ}

أي ما أبقى الله لكم من الحلال، بعد إيفاء الحقوق بالعدل – خير لكم مما تأخذونه بالحرام. اسمُ مَصدر من بقيَ ضد فَنِيَ.

{بِحَفِيظٍ}

برقيب فأجازيكم بأعمالكم.

.87

قَالُوا يَاشُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (87)

{أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ}

كان شعيب عليه السلام كثير الصلاة، وكانوا يستهزئون به لذلك ويتضاحكون فقالوا له ذلك.

{أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا .. }

أي وأن نترك فعلنا ما نشاء في أموالنا من التطفيف وغيره. فهو عطف على (ما) في قوله: {مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا}. و (أو) بمعنى الواو.

{إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ}

وصفوه بذلك تهكُّماً وسُخريةً.

.88

قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (88)

{أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ}

أي أخبروني. وجواب الشرط محذوف، تقديره: فهل يسعُني مع هذا الإنعام العظيم أن أخون في وَحْيه، أو أخالفه في أمره ونهيه؛

{وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ .. }

أي ما أريد بنهيي إياكم عن البخس والتطفيف أن أنهاكم عنه ثم أفعله! وإنما أختار لكم ما أختار لنفسي. يقال: خالفني فلان إلى كذا، إذا قصده وأنت مُوِّل عنه: وخالفني عنه: إذا ولَّى عنه وأنت تقصده.

{وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}

أرجع في كل أموري لا إلى غيره.

.89

وَيَاقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (89)

{لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي}

لا تكسبكم معاداتي أن يصيبكم مثل ما أصاب أسلافكم المكذبين. [آية 2 المائدة].

.90

وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (90)

.91

قَالُوا يَاشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (91)

{رَهْطُكَ}

الرهط: اسم جمع، يطلقُ في المشهور على العصابة دون العشرة من الرجال ليس فيهم أمرأة. ورهطُ الرجل: قومه وقبيلته الأقربون.

.92

قَالَ يَاقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (92)

{وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا}

نبذتم أمر الله وراء ظهوركم، وتركتموه كالشيء الملقى الذي لا يُلتفت إليه. والظِّهريُّ: نسبة إلى الظهر؛ وأصله المُرمى إلى الظهر، وكسر الظاء فيه من تغييرات النسب، ثم توسعوا فيه فاستعملوه للمنسي المتروك.

.93

وَيَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (93)

{اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ}

على غاية تمكنكم من أمركم، وأقصى استطاعتكم [آية 135 الأنعام].

{ارْتَقِبُوا}

انتظروا العاقبة والمآل.

.94

وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (94)

{وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ}

[آية 76 هذه السورة

و 78، 91 الأعراف].

{جَاثِمِينَ}

هامدين ميتين لا يتحركون.

.95

كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (95)

{لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا}

لم يقيموا فيها طويلا في رغد {أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ}

[آية 44 هذه السورة].

{بَعِدَتْ ثَمُودُ}

هلكت من قبل.

.96

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (96)

{وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ}

برهان بين على صدق رسالته.

.97

إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (97)

.98

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (98)

{يَقْدُمُ قَوْمَهُ}

يتقدمهم ويقودهم إلى النار، كما قادهم في الدنيا إلى الكفر والضلال؛ من قَدَمَ يقدُم قُدما وقُدوما، أي تقدم.

{فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ}

أدخلهم فيها بكفره وكفرهم.

{الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ}

المدخل المدخول فيه وهو النار.

.99

وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (99)

{بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ}

الرِّفد: العطاء. يقال: رفَده يرْفِده رَفدا، أعطاه. والرِّفد – بالكسر: اسم منه – وأصله ما يضاف إليه غيره ليَعْمَده ويُقيمه؛ ومنه رَفَد الحائط: دعمه، وقد لُعِنوا في الدنيا ولُعنوا في الآخرة. أي بئس العطاء المعطى لهم تلك اللعنة المضاعفة. وسُمِّيت اللعنه رِفدا تَهكما بهم.

.100

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (100)

{وَحَصِيدٌ}

أي ومن القرى ما عفا أثره؛ كالزرع المحصود بالمناجل. من قولهم: زرع حصيد، إذا كان قد استؤصل بقطعه.

.101

وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (101)

{غَيْرَ تَتْبِيبٍ}

غير تخسير وأهلاك. والتَبُّ والتَّباب والتتبيب: النقص والخسارة. يقال: تبت يداه أي خسرتا. وهو كناية عن الهلاك.

.102

وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (102)

.103

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (103)

.104

وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ (104)

.105

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (105)

.106

فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106)

{فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا}

وهم الكفار، كما أن الذين {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا} هم المؤمنون، مطيعين وعصاةً.

{زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ}

الزَّفيرُ: إخراج النفس من الصدر من شدة الحزن. مأخوه من الزِّفر بالكسر – وهو الحمل على الظهر لشدته.

والشهيقُ: رد النَّفس إلى الصدر. والمراد بها الدلالة على شدة كربهم وغمِّهم.

.107

خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (107)

{مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ}

أي مدة دوامهما والمقصود التأبيدُ ونفي الانقطاع؛ على حد قول العرب: لا أفعل كذا ما اختلف الليلُ والنهار، أو مالاح كوكبٌ.

{إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ}

نقل ابن عطية أنه على طريق الاستثناء الذي ندب إليه الشرع في كل كلام؛ فهو على حدِّ: {لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ} [آيه 27 الفتح].وهذا الاستثناء في معنى الشرط؛ كأنه قيل: إن شاء ربك؛ فلا يوصف بمتصل، أو منقطع. والنكتة فيه: إرشاد العباد إلى تفويض جميع الأمور إليه جل شأنه، وإعلامهم بأنها منوطة بمشيئته، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا حق لأحد عليه، ولا يجب عليه شيء؛ كما قال تعالى: {رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} .

وقيل: (إلا): حرف عطف بمعنى الواو، والمعنى: وما شاء ربك زائدا على ذلك. والمراد: إفادة التأبيد والدوام.

.108

وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (108)

{عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}

غير مقطوع عنهم. يقال: جَذَّه يجُذُّه جذا، كسره وقطعه؛ ومنه الجُذاذ – بضم الجيم وكسرها، لِما تُكِسر من الشيء، والضمُّ أفصح، قال تعالى: {فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58)} [الانبياء].

.109

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ (109)

{فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ}

أي في شك من عبادة هؤلاء المشركين أنها ضلال مؤد إلى مثل ما حل بمن قبلهم من أمثالهم الضالين. وقوله {مِمَّا يَعْبُدُ} ما: مصدرية.

.110

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (110)

{وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ}

أي وإن هؤلاء المكذبين لفي شك من القرآن أو من العذاب موقعٍ في الرِّيبة، أو ذي ريبة [آية 62 من هذه السورة].

.111

وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (111)

{وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ}

قرئ بتشديد (إنَّ) و (لَمّا). وقد قيل في إعرابها: إن (كُلاًّ) اسم (إنَّ).واللام في (لَمّا) هي الداخلة في خبر (إنَّ)، وما بعد اللام هو (مِن) الجارّة؛ و (ما) الموصولة أو الموصوفة المراد بها هنا من يعقل، فقُلبت النون ميما للإدغام، فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت واحدة منها للتخفيف. فصارت (لَمّا)، والجار والمجرور خبر (إن)؛ وجملة (لَيُوَفِّيَنَّهُمْ) – وهي قسَم وجوابه – صلة أو صفة لـ (ما). . والمعنى: وإن كلا لِمَنَ الذين أو لِمنْ خَلْقٍ والله لَيُوَفِّيَنَّهُمْ جزاء أعمالهم.

.112

فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (112)

{فَاسْتَقِمْ}

أي ألزم النهج المستقيم المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط أنت ومن أمن معك كما أمر الله تعالى.

{وَلَا تَطْغَوْا}

أي لا تجاوزوا ما حدد لكم بإفراط أو تفريط.

.113

وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (113)

{وَلَا تَرْكَنُوا}

أي لا تميلوا {إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا} أنفسهم بشرك أو معصية. يقال: ركن إليه – كَنَصر وعَلِم ونَفَع – إذا اعتمد عليه.

ويستثنى من ذلك للضرورة: صحبة الظالم على التَّقية مع حرمة الميل القلبي إليه.

.114

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (114)

{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ}

أي أدِّ الصلاة المكتوبة على تمامها في طرفي النهار، وهما الغداة والعَشي؛ وصلاة الغداة: الصبح، وصلاة العشي – وهو من الزوال إلى الغروب –: الظهر والعصر.

{وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ}

أي طائفة من أوّله. وهي صلاتا المغرب والعشاء: جمع زلفة، كغُرف وغرفة.

{إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}

إن الأعمال الحسنة – كالصلاة والصدقة والاستغفار ونحوها من أعمال البر، وكالعزم على اجتناب الكبيرة – يكفِّرْن السيئات ويذهبن المؤاخذة عليها؛ والمراد بها: الذنوب الصغائر، لأن الكبائر تكفرها التوبة

{ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ}

عظة للمتعظين.

.115

وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (115)

.116

فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (116)

{مِنَ الْقُرُونِ}

أي من الأمم الماضية

{أُولُو بَقِيَّةٍ}

ذوو خصلة باقية من العقل، أو ذوو فضل. وأصل البقية: ما يصطفيه الإنسان لنفسه و يدخره لينتفع به؛ ومنه فلان من بقية القوم، أي من خيارهم. والمراد: أنه لم يكن منهم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا ما استثنى.

{مَا أُتْرِفُوا}

ما أنعموا فيه من الثروة والعيش الهنيء، والشهوات العاجلة؛ فبطروا النعمة واستكبروا وكفروا بالله، أو فَسَقوا عن أمره؛ من التُّرفة وهي النَّعمة والطعام الطيب، والشيء الطريف تخص به

صاحبك. يقال: تَرِف– كفرح – تنعم. وأتْرَفتْه النَّعمةُ: أطغته أو نَعَّمته. والمُترفُ: المتنعم لا يمنع من تنعمِه.

.117

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (117)

.118

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118)

.119

إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119)

{وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}

أي خلق الناس مختلفين، بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل؛ ليكون فريق منهم في الجنة وفريق في السعير، أو لِرَحمته خَلَق مَنْ خلق.

{وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ}

وجب حكمه وقضاؤه الأزلي.

.120

وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (120)

.121

وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (121)

{عَلَى مَكَانَتِكُمْ}

على حالتكم التي أنتم عليها وهي الكفر، والأمر للتهديد. [آية 93 من هذه السورة].

.122

وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (122)

.123

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (123)

والله أعلم.

سورة يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1)

.2

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2)

.3

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (3)

{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ}

نُبين لك قصة يوسف ابن يعقوب عليهما السلام أحسن البيان وإن كانت من قبل ذلك لم تقرع سمعك. يقال: قَصَّ عليه الخبر؛ أعلمه إياه، واقتص الحديث: رواه على وجهه. وأصله من قولهم: قَصَّ الأثر قصًّا وقصصا، تتبعه.

.4

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4)

{يَاأَبَتِ}

أصله يا أبي، فحُذفت الياء، وعوض عنها تاء التأنيث اللفظي، ونُقلت إليها كسرة الباء، ثم فُتحت الباء على القاعدة في فتح ما قبل تاء التأنيث.

.5

قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (5)

{فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا}

فيحتالوا في هلاكك احتيالاً خفيا لا قبل لك بدفعه. و (كاد) يتعدى بنفسه فيقال: كاده يكيده كيدا، إذا احتال لإهلاكه، ولتضمُّنه معنى احتالَ عُديَّ بالام.

.6

وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (6)

{وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ}

أي كما اجتباك هذه الرؤيا الحسنة يجتبيك لأمور عظام. والاجتباءُ: الاصطفاء والاختيار.

{وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ}

أي وهو يعلمك تعبير الرؤيا. وهو علم ما تَئول إليه؛ من الأَوْل وهو الرجوع.

.7

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (7)

{لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ .. }

سأل اليهودُ النبي صلى الله عليه

وسلم عن قصة يوسف: فنزلت هذه السورة جملة واحده فيها كل ما في التوراة من القصة وزيادة؛ فكان ذلك آية له صلى الله عليه وسلم دالة على صدقه. وفيها من العبر الكثيرة ما لا غنى عنه للناس.

.8

إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (8)

{وَنَحْنُ عُصْبَةٌ}

جماعة قادرون على خدمته دون يوسف وأخيه. والعُصبَة: ما بين العشرة إلى الأربعين كالعصابة؛ من العصب وهو الشدُّ؛ لأن كل واحد منها يشدُّ الآخر ويعضُده، أو لأن الأمور تعصب بهم؛ أي تشتد فتقوى.

{ضَلَالٍ مُبِينٍ}

خطأ ظاهر بإيثارهما علينا بالمحبة مع فضلنا عليهما وكونهما بمعزل عن كفاية الأمور؛ ولم يريدوا الخطأ في الدين.

وأصل الضلال: الميل عن المنهج السويّ. يقال: ضلَّ يضلُّ. إذا خفيَ وغاب وضاع.

.9

اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (9)

{اطْرَحُوهُ أَرْضًا}

ألقوه في أرض بعيدة عن أبيه. {يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ}

تخلصُ لكم محبةُ أبيكم دون أن يشارككم فيها أحد؛ فيقبل عليكم بكليته. يقال: خلا المكان يخلو خُلوًّا وخلاء، فرغَ. ومكانٌ خلاء: ليس به أحد.

.10

قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (10)

{وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ}

في قعر الجب حيث يغيب خبرُه. والجُبُّ: البئرُ التي لم تُطوَ– لم تُبن بالحجارة – وجمعه أجبابٌ وجباب وجَبَة، وسُمِّيتْ جُبًّا لأنها قطعت في الأرض قطعا. والغيابة: غور الجب وما غاب منه عن الأعين وأظلم من أسفله.

{يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ}

أي المارة من المسافرين فيذهب به إلى ناحية بعيدة فتستريحون منه. جمع سَيَّار: وهو المبالغ في السير.

.11

قَالُوا يَاأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (11)

.12

أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (12)

{يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ}

يتسع في أكل الفواكه ونحوها، ويلهو

بالاستباق والانتضال ونحوهما. من الرَّتع، وهو الاتساع في الملاذ والتنعُّم في العيش؛ وفعله كمنع. ومنه للاتساع في الخصب: الرَّتعةُ.

.13

قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (13)

.14

قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (14)

.15

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15)

{وَأَجْمَعُوا}

عزموا عَزْماً قويا. يقال: أجمعت السير والأمر وأجمعت عليه: عزِمت عليه.

{أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ}

وهو بئر على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب عليه السلام.

{وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ}

أي بطريق الإلهام، أو مبشرات الرؤيا، أو بإرسال جبريل عليه السلام. وكان ذلك قبل بلوغه الحُلم – على الأرجح – تطمينا له، وليس استنباءً.

.16

وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (16)

.17

قَالُوا يَاأَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (17)

{نَسْتَبِقُ}

نتسابق في الرمي بالسِّهام، أو على الخيل أو على الأقدام، يقال:. استبقا، أي تسابقا حتى ينظر أيهما أسبق.

.18

وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (18)

{سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا}

زينت وسهلت لكم أنفسكم أمرا عظيما في يوسف فعلتُموه: من التَّسويل، وهو تزيين النفس لما تحرص عليه، وتصوير القبيح منه بصورة الحسن.

{فَصَبْرٌ جَمِيلٌ}

فصبري صبرٌ جميل، وهو ما لاشكوى فيه لأحد غير الله تعالى.

.19

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَابُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (19)

{وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ}

مسافرون من جهة مدين إلى مصر

{فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ}

وهو الذي يتقدم القوم فَيَرِدُ المَنْهل ويستقي لهم، ويقع على الواحد وعلى الجماعة. ويقال لكل من يرد الماء: وارد، وللماء مورود.

{فَأَدْلَى دَلْوَهُ}

فأرسلها إلى الجب ليستخرج الماء منه؛ فتعلق بها يوسف، فلما خرج فرح الوارد وقال: {يَابُشْرَى هَذَا غُلَامٌ} يقال: أدلى دلوه يدليها في البئر، إذا أرسلها فيها يملأها، فإذا نزعها وأخرجها ملأي. قيل: دَلَا الدلو يدلوها، من باب عدا. والدَّلو: التي يستقى بها تؤنث وتذكر.

{وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً}

أي أخفي

الوارد وأصحابه أمره عن باقي الرفقة؛ مخافة أن يشاركوهم فيه إذا علموا خبره، وقالوا لهم: قد دفعه إلينا أهل هذا الماء بضاعة لنبيعه لهم بمصر. من الإسرار، ضد الإعلان. والبضاعة: القطعة من المال تتخذ للتجارة؛ من البَضع وهو القطع، وأصلهُ جملة من اللحم تُبضع أي تقطع. ولما علم اخوة يوسف بأمره أتوا الوارد وأصحابه وقالوا: إنه عبد آبق منا، فاشتروه منهم بثمن ناقص زها فيه لكونه معيبا.

.20

وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (20)

{وَشَرَوْهُ}

باعه إخوته، أو السيارة.

{بَخْسٍ}

أي نقص بمعنى ناقص أو منقوص؛ مصدر بَخَسه يبخَسه بخساً، نقصه أو عابه.

.21

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21)

{أَكْرِمِي مَثْوَاهُ}

ولما اشترى العزيزُ– الذي كان على خزائن مصر من قبل ملكها يومئذ – يوسف من السيارة قال لزوجته زليخا: اجعلي منزله ومقامه عندنا حَسَنا مرضيا (آية 151 آل عمران].

{غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ}

لا يقهره شيء، ولا يدفعه عنه أحد.

.22

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22)

{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ}

منتهي شدتَه وقوته، وذلك بتمام خلقه واستكمال عقله [آية 152 الأنعام]. وفي سنّه التي بلغ فيها أشده أقوال.

{آتَيْنَاهُ حُكْمًا}

أي حكمةً، وهي الإصابة في القول والعمل، أو هي النبوة.

{وَعِلْمًا}

أي فقها في الدين. أو علم تعبير الرؤيا.

.23

وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23)

{وَرَاوَدَتْهُ .. }

المراوده مفاعلة من الرويد، وهو الرفق والتَّمحُّل، وتعديتها بـ (عن) لتضمنها معنى المخادعة. أي دَعته امرأة العزيز إلى نفسها، وفعلت معه فعل المخادع لصاحبه عن شيء لا يريد أن يخرجه من يَده، وهو يحتال أن يأخذه منه؛ فكان منها الطلب، وكان منه الإباء خوفا من الله تعالى. وقيل: إن المفاعلة من جانب واحد؛ على حد قولهم: مماطلة المدين، ومداواة المريض، ونظائرهما.

{هَيْتَ لَكَ}

اسم فعل بمعنى هَلُم، أي تعال وأقبل وأسرع ونحوه، ويدلُ على الحث والإقبال على الشئ. وقيل: هي لفظة معرَّبة، أو من الألفاظ التي اتفقت فيها اللغات. واللام في (لَك) لتبيين المخاطب؛ كما في: سَقْيّا لك، ورَعْيّا لك، وهي مُتعلقة بمحذوف؛ كأنها تقول: أقول لك، أو الخطاب لك.

{قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ}

أعوذ بالله معاذا مما تريدين مني! أي أعتصم بالله وأستجير به، وألتجئ إليه التجاءً في دفع ذلك عنّي. وهو منصوب على المصدر بفعل محذوف.

.24

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24)

{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا .. }

الهمُّ: المقاربة من الفعل من غير دخول فيه. ولا خلاف في أن هَمَّها كان بالمعصية، وكان عَزْما وجزما، ولا في أن يوسف عليه السلام لم يأت بفاحشة، وأن الله برأه منها وأنطق المرأة ببراءته، وأن همَّه عليه السلام كان مجرد خاطرة قلب بمقتضى الطبيعة البشرية، من غير جَزْم وعزم. وذلك لا يَدخل

تحت التكليف، ولا يخل بمقام النبوة، كالصائم يرى الماء البارد في اليوم الحار فتميل نفسه إليه ولكن يمنعه منه دينه، فلا يؤاخذ – بهذا الميل.

وقوله تعالى: {لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ} أي لولا مشاهدته البرهان الإلهي على شناعة المعصية لجرى على موجب ميله الجِبِلّي، لكنه لمشاهدته البرهان استمر على ما هو عليه من الطهارة وإباء المعصية. ولذا قيل: الهَمُّ همَّان: هم ثابت وهو ما كان معه عزم وعقد ورضا، مثل هم امرأة العزيز. وهمٌّ عارض، وهو الخَطْرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم؛ مثل هم يوسف. وقد عصمه الله وصرف عنه السوء والفحشاء؛ كيف وهو من عباد الله المخلصين؟.

وقيل: إنه عليه السلام هم بدفعها عن نفسه بالقوة وكاد، لولا أن أراه الله أنه لو فعل ذلك لفعلت معه ما يوجب هلاكه؛ فكان في الامتناع عنه صون نفسِه من الهلاك، فربما تعلقت به فتمزق ثوبه من قدام، وكان في علم الله أن الشاهد يشهد بأن تمزيقه من الأمام دليل جنايته، وتمزيقه من الخلف دليل جنايتها وبراءته. فلا جرم لم يشتغل بدفعها بالقوة وفَر عنها هاربا، حتى صارت الشهادة حجة له على براءته. فلم يقع منه همٌّ بالفاحشة، وإنما وقع منه الهم بدفع امرأة العزيز عن نفسه، ولم يحصل الدفع بالفعل لرؤيته برهان ربه. وفي البحر: أنه لم يقع منه هم ألبتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان، وهو نظير قولك: قارفتَ الذنب لولا أن عصمك الله. وجواب (لولا) محذوف لدلالة ما قبله عليه؛ أي لولا أن رأي البرهان لهمَّ بها، أي أن الهم كان يوجد لو لم ير برهان ربه، لكنه رآه فانتفي الهمُّ

{الْمُخْلَصِينَ}

المختارين لطاعته أو لرسالته.

.25

وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (25)

{وَاسْتَبَقَا الْبَابَ}

تسابقا إليه، يقصد هو الفرار من الفاحشة، وتقصد هي منعه منه لتقضي حاجتها منه، والتسابق والمسابقة بمعنى واحد.

{وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ}

شقَته؛ من القد وهو القطع والشق، وأكثر ما يستعمل فيما كان طولا، وهو المراد هنا، لأنها جذبته من وراء، فانخرق القميص إلى أسفله.

{وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا}

وجدا زوجها.

.26

قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26)

{وَشَهِدَ شَاهِدٌ}

صبي في المهد أنطقه الله ببراءته.

.27

وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (27)

.28

فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28)

.29

يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (29)

.30

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (30)

{قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا}

أصاب حبها إياه شَغَاف قلبها، حتى غلب عليه وتمكن منه. والشغاف: سُويداء القلب، أو حِجابُه وغلافُه الذي هو فيه. يقال: شَغَفَ الهوى

قلبه شغَفًا من باب نفع – بلغ شغافَه. والاسم الشَّغف و (حُبًّا) تمييز محوَل عن الفاعل، والأصل: شغفها حبُّها إياه.

.31

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31)

{فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ}

باغتيابهن إياها وسوء مقالتهن فيها. وسمى ذلك مكرا لشبهه به في الإخفاء.

{وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً .. }

هيأت لهن في مجلسها ما يتكِن عليه من النمارق والوسائد؛ اسم مفعول، من الأتكاء وهو الميل إلى أحد الشقين في الجلوس كعادة المترفين. وأحضرت لهنَّ طعاما يقطع بالسكين عند أكله، وآتت كل واحدة منهن سكينا، فلما رأين يوسف {أَكْبَرْنَهُ}

أي أعظمنه، ودهشن عند رؤيته من فرط جماله. يقال: أكبر الشيء، رآه كبيرا وعظُم عنده. وكبَّر الشيء: جعله كبيرا؛ من الكبر بمعنى العِظم.

{وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ}

خدشنها وحززْنها بما في أيديهن من السكاكين؛ ولم يشعرن لافتتانهنَّ به. يقال إذا خدش الإنسان يد صاحبه: قطع يده.

{حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا}

معاذ الله أن يكون هذا بشرا! أو جانب يوسف ما قُرف به لله؛ أي لأجل مخافة الله ومراقبته. والمراد تنزيهه وبُعده؛ كأنه صار في جانب ما اتهم به لما رأوه من آثار العصمة وجلال النبوة عليه. ف (حاش) فعل ماض، واللام في (لله) للتعليل. وقيل: هو اسم فعل بمعنى برئ الله من كل سوء. أو تنزيها لله سبحانه عن صفات التقصير والعجز عن خلق مثله؛ وفيه معنى التعجب من قدرته تعالى مثل هذا الصنيع البديع.

.32

قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ (32)

{فَاسْتَعْصَمَ}

فامتنع امتناعا بليغاً، وتحفظ تحفظا شديدا عما طلبه منه؛ من العِصمة وهي المنع. يقال: عصمه الطعام، منعه من الجوع. وعَصَم القِربة: شدها بالعصام. واعتصم بالله: امتنع بلطفه من المعصية.

.33

قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (33)

{أَصْبُ إِلَيْهِنَّ}

أمِل إليهن وأمالِئهُنَّ على ما يُردن مني بحكم الميل الطبيعي والشهوة البشرية؛ من الصَّبوة، وهي الميل إلى الهوى. يقال: صبا يصبُو صُبوا وصَبوة، إذا مال؛ ومنه الصَّبا للريح المعروفة، لميل النفوس إليها لطيب نسيمها ورَوْحها.

.34

فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (34)

.35

ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (35)

.36

وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (36)

{أَعْصِرُ خَمْرًا}

عنبا يؤول لخمر أسقية الملك.

.37

قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37)

{لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ .. }

وعدهما بإخبارهما بكل طعام يأتيهما قبل إتيانه بطريق الكشف بنور النبوة، لأجل أن يعلما صدقه فيمتثلا دعاءه لهما إلى التوحيد، وهذه معجزة له كمعجزة عيسى حيث قال: {وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ} [49 آل عمران].

{ذَلِكُمَا}

التأويل والاخبار بما يأتي.

.38

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (38)

.39

يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39)

.40

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (40)

{الدِّينُ الْقَيِّمُ}

المستقيم، أو الثابت بالبراهين.

.41

يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (41)

.42

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (42)

{فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ .. }

أنسى الشيطان ذلك الناجي ذكر يوسف عند سيده

{بِضْعَ سِنِينَ}

البِضْعُ – بالكسر وبفتح –: ما بين الثلاث إلى التسع أو السَّبع؛ من البَضْع بمعنى القطع والشق. يقال: بضعت الشيء، أي قطعته.

.43

وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (43)

{يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ}

مهزولة والعَجَف – بفتحتين: ذهاب السِّمن وهو أعجف وهي عَجْفاء. وقد عَجُف – كفرِح وكرُم –: ذَهب سمنه.

{إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ}

أي إن كنتم تعبرون الرؤيا، أي تعلمون تعبيرها علمًا مستمرا؛ من العبور وهو المجاوزة. يقال: عبر الرؤيا يَعْبُرُها عَبْرا وعبارة وعبَّرها: فسرها وأوّلها؛ أي ذكر عاقبتها وآخر أمرها. وعَبَرت النهر عَبْرا وعبورا، إذا قطعته وجاوزته، واللام لتقوية الفعل بعدها.

.44

قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (44)

{أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ}

أي

هذه تخاليط أحلام ومنامات باطلة. جمع ضِغث، وأصله ما جمع من أخلاط النبات وحُزم كالحزمة من الكلأ، استعير لما تجمعه القوة المتخيلة من أحاديث النفس ووساوس الشيطان في المنام. والأحلام جمع حُلم. وهو ما يراه النائم مما ليس بحَسَن.

.45

وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (45)

{وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ}

تذكر بعد حين طويل من الزمن ما سبق له مع يوسف في السجن. وأصله اذتكرَ – بوزن افتعل – من الذكر، ودخله الإبدال. والأمة هنا: الطائفة من الزمن [آية 104 آل عمران].

.46

يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (46)

.47

قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47)

{دَأَبًا}

أي على عادتكم المستمرة في الزراعة. مصدر دأبَ على الشيء يدْأب دأباً ودأباً، أي داوم عليه ولازمه. وحاصل تعبيره: أنه أوّلَ البقرات السمان والسُّنبلات الخضر بسنين مخصبة، والعجاف واليابسات بسنين مجدبة، وابتلاع العجاف السمان بأكل ما جُمع في السنين المخصبة في السنين المُجدبة.

.48

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (48)

{تُحْصِنُونَ}

تحرزونه وتخبئونه من البذر للزراعة؛ من الإحصان، وهو جعل الشيء في الحِصْن كالأحراز. يقال: أحصن الشيء، جعله في الحصن، وهو الموضع الحصين الذي لا يوصل إلى جوفه.

.49

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (49)

{فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ}

يُمْطرون؛ من الغيث وهو المطر. يقال: غاث الله البلاد غيثا، أنزل بها المطر. وغاث الغيث الأرض يغيثها، أصابها. أو يغاثون؛ من الغوث وهو زوال الهم والكرب. يقال: أغاثه الله إغاثة، أعانه ونصره فهو مغيث. واستغاثني فأغثته إغاثة ومَغوثة. والاسم الغَوث والغِياث.

{وَفِيهِ يَعْصِرُونَ}

ما شأنه أن يعصر من نحو العنب والزيتون والقصب والسِّمسم للانتفاع بما يخرج منها؛

وذلك لخصبه.

.50

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (50)

{مَا بَالُ النِّسْوَةِ}

أي ما حالهن. والبال: الحال التي يُكتَرَث بها؛ ومنه: ما بالَيْت بكذا، أي ما اكترثت به.

.51

قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51)

{قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ}

ولما أخبر الرسول الملك بذلك جمعهن وقال لهنَّ: ما كان شأنُكُن وأمرُكن إذ قلتن ليوسف ما قلتن!؟ مصدر خَطَب يخطب؛ ومنه: هذا خطبٌ يسير، وخطب جلل، وجمعه خطوب، وخصه بعضهم بما له خَطر، وأصله الأمرُ العظيم الذي يكثر فيه التخاطب ويُخطب له.

{حَاشَ لِلَّهِ}

معاذ الله أن يعمل سوءًا! أو تنزيهاً لله تعالى عن أن يعجز عن خلق بشر عفيف كيوسف.

{الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ}

انكشف الحق وتبين بعد خفاء. وأصله حَصَّ؛ كما قيل: كبكبَ في كبَّ. من الحَص وهو استئصال شعر الرأس بحلق أو مرض.

.52

ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52)

{ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي}

هو من كلام يوسف عليه السلام. وقيل: هو من كلام امرأة العزيز.

.53

وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (53)

.54

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54)

{مَكِينٌ}

متمكن نافذُ القول لِعظم منزلتك. اسم فاعل من مَكن مكانة، إذا عَظُم وارتفع. يقال: مكنتُه من الشيء، جعلت له عليه سلطان وقدرة، فتمكن منه واستمكن، أي قدر عليه.

.55

قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55)

{إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}

حفيظ للخزائن، عليم بوجوه مصالحها. أو حفيظٌ لما تستودعني، عليمٌ بما توليني.

.56

وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (56)

{يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ}

يتخذ من أرض مصر منزلا وموطنا ينزله حيث يشاء. يقال: بوأه منزلا وفي منزل، أنزله.

.57

وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (57)

.58

وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (58)

.59

وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (59)

{جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ}

هيّأ لهم ما هم في حاجة إليه من الطعام، وأوْقر ركائبهم به.

وأصل الجهاز – بالفتح – والكسر لغة قليلة –: ما يحتاج إليه المسافر من زاد و متاع. يقال: جهزت المسافر تجهيزاً، هيأت له جهازه؛ ومنه جهاز العروس وجهاز الميت.

.60

فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (60)

.61

قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (61)

.62

وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (62)

{اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ}

البِضاعة في الأصل: قطعة وافرة من المال تُقتنى للتجارة. والمراد بها هنا: أثمان الطعام الذي اكتالوه من مصر.

والحال: الأوعية التي تحمل فيها الطعام وغيره. جمعُ رحل، وأصله ما يوضع على البعير للركوب.

{لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا}

لكي يعرفوها.

{إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ}

رجعوا إليهم

{لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}

لتَحملُهم معرفتهم إياها على الرجوع إلينا.

.63

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَاأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (63)

.64

قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (64)

.65

وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَاأَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (65)

{مَا نَبْغِي}

أيْ أيَّ شيء نطلب من إحسان الملك الذي وصفناه لك وراء ما فعل؛ من البغاء وهو الطلب.

{وَنَمِيرُ أَهْلَنَا}

نجلب لهم الميرة، وهي الطعام يجلبه الإنسان من بلد إلى بلد. يقال: مارَ عياله يَميرهم ميْرًا، وأمارهم وامتارَ لهم، بمعنى جلب لهم طعاما، وهو ميَّار. وهو معطوف على محذوف، أي نستعين بها ونمير أهلنا.

.66

قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (66)

{مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ}

ميثاق وعهدا مؤكدا باليمين، وجَمْعه مواثيق ومياثيق.

{لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ}

أي إلا أن تهلكوا جميعا. تقول العرب: أحيط بفلان، إذا هلك أو قارب الهلاك وأصله من إحاطة العدو، واستعمل في الهلاك؛ لأن من أحاط به العدو يهلك غالبا. أو إلا أن تُغلبوا عليه فلا تطيقوا الإتيان به.

{وَكِيلٌ}

مطلع رقيب.

.67

وَقَالَ يَابَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (67)

{لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ ... }

نهاهم عن الدخول من باب واحد، وأمرهم بالدخول من أبواب متفرقة؛

أخذا بالسبب العادي في اتقاء الحسد. وأرشدهم إلى التوكل على الله مع ذلك؛ لأنه لا حُكم إلا له تعالى، ولا يدفع قضاءه شيء إلا أن يكون شيء قد قدره الله تعالى سبباً لمنع شيء آخر. فكل من التوكل والأخذ بالأسباب مطلوب من العبد، إلا أنه حين الأخذ بالأسباب يجزم بأن الحكم لله وحده في كل الأمور، وما الأسباب إلا أمور عادية يخلق الله عندها ما يريد، أو يمنع عندها ما يريد منعه، والله فعّال لما يريد. وقد أخبر الله تعالى أن امتثالهم أمر أبيهم ما كان يغني عنهم من الله شيئا لو سبق في قضائه إصابتهم بالعين؛ ولكن شفقة يعقوب حملته على وصيتهم بما ذكر؛ دَفعا للخطرة التي تسبق إلى النفس، وهو يعلم أن ذلك لا تأثير له إلا بإذن الله.

.68

وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (68)

{وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ}

بأن الحذر لا يدفع القدر.

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}

سر القدر، وأنه لا يندفع بالحَذَر.

.69

وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (69)

{آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ}

ضمهُ إلى نفسه وأنزله معه في منزله. يقال: آواه إذا ضمه، وأويت منزلي و إلى منزلي، نزلته، وتأوت الطير وتآوت: تجمعت.

{فَلَا تَبْتَئِسْ}

فلا تحزن بشيء فعلوه بنا فيما مضى، افتعالٌ من البؤس وهو الشدة والضرر، يقال: بَئِس – كسمع – بُؤسا وبئوسا؛ اشتدت حاجته، وابتأس يبتئس ابتئاساً؛ ومنه المبتئس، أي الكاره الحزين.

.70

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (70)

{السِّقَايَةَ}

هي إناء كان يشرب به الملك، و يكيل به الطعام للممتارين، لِعزة ما يُكال به في ذلك الوقت، وهو الصاع والصُّواع،

{أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ}

نادى مناد وأعْلم مُعلم، من التأذين وهو الإعلام.

{أَيَّتُهَا الْعِيرُ}

هي في الأصل: الإبل التي تحمل الميرة، والمراد هنا أصحابها، وقيل: العير قافلة الحمير، ثم أطلقت على كل قافلة.

.71

قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ (71)

.72

قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (72)

{نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ}

صاعه، وهما لغتان معناها الةُ الكيل، وتقدم أنه هو السقاية. والصُّواع يُؤنث باعتبار السقاية، ويُذكّر باعتبار الصاع.

{وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ}

كفيلٌ أؤديه إليه. وأصل الزعيم: القائم بأمر القوم، وهو الكفيل والحَميل والضّمين والقبيل.

.73

قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (73)

.74

قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (74)

.75

قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (75)

{جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ}

أي جزاء سرقته: استرقاقُ من وجد في رحله سَنَة. وكان ذلك شريعة يعقوب في حُكم السارق.

.76

فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (76)

{كِدْنَا لِيُوسُفَ}

دبّرنا لأجل تحصيل غرضه تلك المقدمات. وأصله الاحتيال والمكر، يستعمل في المحمود وفي المذموم، وهو هنا من الأول. واللام في (ليوسف) للتعليل.

{فِي دِينِ الْمَلِكِ}

أي في حُكمه؛ إذ جزاؤه فيه مضاعفة الغُرم لا الاسترقاق. فألهمه الله تعالى أن يسأل إخوته عن الحُكم فيجيبوا بسنتهم وطريقتهم، وذلك قوله {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}.

.77

قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (77)

{إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ}

يعنون شقيقه يوسف عليه السلام. فقد رُوى أنه دخل كنيسة فوجد تمثالا من ذهب يعبدونه فأخذه ودفَنَه، وأنه كان لجده أبي أمه صنم من ذهب وفضة فكسره وألقاه على الطريق، فعيَّره إخوته بذلك، وليس شيء من ذلك بسرقة، وإنما هو مَثلُها في الظاهر.

.78

قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (78)

.79

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ (79)

{مَعَاذَ اللَّهِ}

أستجير بالله استجارة من أن نأخذ بريئا بغير برئ. والأصل: ندعوك عائذين أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده.

.80

فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (80)

{فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ ... }

فلما يئسوا من يوسف أن يجيبهم إلى ما سألوه يأساً كاملا، انفردوا عن الناس يتناجون ويتشاورون فيها يقولونه لأبيهم في شأن بنيامين. يقالُ: خَلَص يَخْلُص خلوصا وخالصة، صار خالصاً. والخالص الصّافي. والنَّجيُّ: مَنْ تَسارُّه، ويطلق على جماعة القوم يُناجي بعضهم بعضا.

{وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ}

أي ومن قبل هذا قصرتم في أمر يوسف

ولم تحفظوا عهد أبيكم فيه. و (ما) زائدة.

.81

ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَاأَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (81)

82

وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (82)

.83

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (83)

{بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ .. }

بل زَينت لكم أنفُسكم أمراً أردتموه؛ فصبري صبر جميل! لا شكوى معه لغير الله تعالى.

.84

وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاأَسَفَا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (84)

{يَاأَسَفَا}

يا حُزني عليه والأسفُ: شدة الحزن على ما فات. يقال: أسِف على كذا يأسف أسفا، حزن أشد الحُزن؛ كأنه يقول: يا أسفا هَلُم فهذا أوانك، وألفه بدل من ياء المتكلم.

{فَهُوَ كَظِيمٌ}

مكظوم ممتلئ من الحزن، ممسك عليه لا يَبثُّه. يقال: كظمتُ الغيظ أكظمُه كظماً وكُظوماً، أمسكت على ما في نفسك منه على غيظ أو صفح.

.85

قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (85)

{تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ}

أي لا تزال تذكره تفجعاً عليه! قال الكسائي: فتأت وفتئت أفعل كذا، أي مازلت. وقال الفراء: إن (لا) مضمرة، أي لا تفتأ، وإنما أضمرت لأنه لا يلتبس بالإثبات. فإن القسم إذا لم يكن معه علامة الإثبات – وهي اللام ونون التوكيد – كان على النفي؛ لأنه لو كان مثبتاً لزم أن يكون بهما عند البصريين، أو بأحدهما عند الكوفين؛ فلما وجدناه خالية منها علمنا أن القسم على النفي، أي أن جوابه منفي لا مثبت.

{حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا}

مُشرفاً على الهلاك لطول مرضك. وهو في الأصل مصدر حَرِض – من باب تعب – أشرف على الهلاك، فهو حَرِضٌ. ولكونه كذلك في الأصل يستوي فيه المذكر والمؤنث، والواحد والجمع.

.86

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (86)

{أَشْكُو بَثِّي}

همِّي الذي انطوت عليه نفسي! وأصله: التفريق و إثارة الشيء؛ كبث الريح التراب؛ واستعمل في الغم الذي لا يطيق صاحبه الصبر عليه.

.87

يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (87)

{فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ}

أي تحسسوا خبرا من أخبارهما، أو تحسسوا عنهما. والتّحَسُس: التعرف، وأصله طلب الخبر بالحاسة، واستعمل في التعرُّف للزومه له.

{وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ}

ولا تقنطوا من فرج الله وتنفيسه. وأصل معنى الرَّوح: التَّنفس. يقال: أراح الإنسان إذا تنفس، ثم استعير للفرج.

.88

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (88)

{الضُّرُّ}

الهزال من شدة الجوع.

{وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ}

مدفوعةٍ يردُّها كل من يراها لرداءتها. يقال: زَجاه، ساقه ودفعه؛ كزجَّاه وأزجاه. والريحُ تُزجي السحاب: تسوقه سوقا رفيقا. وكانت بضاعتهم من متاع الأعراب صوفا وسمنا. أو دراهم زُيُوفا؛ مردودة لغش فيها.

.89

قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (89)

.90

قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90)

.91

قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (91)

{آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا}

اختارك وفضلك علينا.

.92

قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (92)

{لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ}

لا تأنيب ولا لوم عليكم اليوم. يقال: ثَرَبه يثربه، وثَربه وعليه وأثربه، إذا بكَّته بفعله وعدد عليه ذنوبه. قيل: أصله من الثَرْب، وهو شحْم رقيق يُغشى الكرش والأمعاء.

.93

اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (93)

{اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا .. }

أي اذهبوا بقميصي هذا، مشيرا إلى القميص الذي كان عليه حينئذ، وقد علم بالوحي أن إلقاءه على وجه أبيه يرد إليه بصره؛ وهذا من باب خرق العادة. وقيل: إن يوسف لما علمَ أن أباه قد عرا بصره ما عراه من كثرة البكاء عليه

وضيق القلب، بعث إليه قميصه ليجد ريحه فيزول بكاؤه، ويفرح قلبه فرحة شديدا، فعند ذلك يزول الضعف ويقوى البصر.

{يَأْتِ بَصِيرًا}

يصير بصيرا من شدة السرور.

.94

وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (94)

{وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ}

خرجت من عَريش مصر قاصدة مكان يعقوب عليه السلام قرب بيت المقدس.

{قَالَ أَبُوهُمْ}

يعقوب عليه السلام لمن حضره من ذوي قرابته

{إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ}

أي إني لاشُمُّ ريحه! لولا تفنيد كم إياي لصدقتموني! وقد أشمه الله ما عَبَق من القميص من ريح يوسف من مسيرة أيام، وهي معجزة ظاهرة. قال مالك: قد أوصل ريحه من أوصل عرش بلقيس قبل أن يرتد إلى سلمان طرفه.

والتَفنيد: النسبة إلى الفَنَد، وهو الكذب أو الخطأ في القول والرأي، أو الخرفُ و إنكار العقل من هَرَم أو مرض.

.95

قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (95)

{إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ}

أي لفي ذهابك عن طريق الصواب قدماً بالإفراط في محبة يوسف والتَّوقُّع للقائه.

.96

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (96)

.97

قَالُوا يَاأَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (97)

.98

قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (98)

.99

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (99)

{آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ}

ضمهما إليه واعتنقهما، والمراد بهما أبوه وخالته، لأن أمه قد توفيت قبل ذلك.

.100

وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100)

{وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ}

أي على سرير الملك، {وَخَرُّوا} أي أبواه وإخوته {لَهُ} أي لأجله {سُجَّدًا} أي الله تعالى. وقيل: خَروا جميعا ليوسف ساجدين على الجباه؛ وكان ذلك جائزا في شريعة يعقوب، وجارية مجرى التحية والتكرمة. وقيل: إنه كان بايماء الرءُوس.

{هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ .. }

أي هذا السجود تصديق الرؤيا التي رأيتها في الصغر. وكان بين الرؤيا وظهور تأويلها أربعون سنه؛ في قول الأكثرين.

{الْبَدْوِ}

البادية.

{نَزَغَ الشَّيْطَانُ .. }

أفسد وأغرى. وأصله من نزع الرائِض الدابة: إذا نخسها وحملها على الجري. وإلى هنا انتهت القصة، وفيها عبرٌ ومعجزات وعجائب.

.101

رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (101)

{رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي .. }

ولما أتم الله النعمة على يوسف قابلها بالثناء عليه تعالى، ثم سأله حُسن العاقبة، والخاتمة الصالحة.

{فَاطِرَ}

يا مبدع ومخترع.

.102

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (102)

{ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ .. }

أي ما ذكر من قصة يوسف وإخوته، من أخبار الغيب التي لا سبيل لك إلى العلم بها إلا من طريق الوحي؛ لأنك لم تقرأها في كتب، ولم ترْوِها عن علماء، ولم تسافر إلى غير بلدك، ولم تكن مع إخوة يوسف حين اعتزموا الكيد له، ودبروا ما دبروا من الأمر. فنزل القرآن بهذه القصة الطويلة على أحسن ترتيب وأفصح عبارة، وأصدقُ بيان.

{أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ}

عزموا على

الكيد ليوسف.

.103

وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (103)

.104

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (104)

.105

وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (105)

{وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ}

أي وكم من آية [آية 146 آل عمران] تسليةٌ للرسول صلى الله عليه وسلم، وتقرير لكون الإعراض عن التأمل في الآيات، والجحود للحقائق شأن الكفار دائما، ومنهم قريش واليهود الذين سألوا عن قصة يوسف تعنيتاً وتعجيزا، فلما نزلت كاملة وافية لم يُسْلِموا، واستمروا على جحودهم وتكذيبهم، وذلك من فرط الجهل والعناد؛ مع أن هؤلاء الذين كفروا بالله لو تأملوا في الآيات النفسية والآفاقية لآمنوا به، وأخلصوا له العبادة وحده؛ ولكن أكثرهم حين تقرَعهم الحجج، وتُلجئهم الآيات البينات إلى الإقرار بوجود الإله، وبأنه خالق كل شيء – يؤمنون به، ثم يخلطون إيمانهم بالشرك في العبادة؛ فيعبدون من دون الله الأصنام وغير الأصنام ضلالا وكفرا، وذلك قوله تعالى:

.106

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (106)

{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} . وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنهم يُقِرون أن الله خالقهم فذلك إيمانهم، وهم يعبدون غيره فذلك شركهم.

.107

أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (107)

{أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ}

نائبة تغشاهم وتُجَلِّلهم والمراد بها عقوبة الدنيا. والغاشية: كل ما يغطى الشيء و يستره؛ ومنه غاشية السَّرج.

{بَغْتَةً}

فجأة.

.108

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108)

.109

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ (109)

.110

حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (110)

{حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ .. }

أي وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا فتراخى نصرهم، حتى إذا يئسوا من إيمان أمَمِهم يأساً شديد، وظن أمَمُهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروا به من العذاب ولم يَصْدُقوا، جاءهم نصرنا. وقرئ {كُذِّبوا} بالتشديد؛ أي حتى إذا يئس الرسل من إيمان من كذبهم من أممهم، وظنوا أن أتباعهم الذين آمنوا بهم كذبوهم لطول البلاء وتأخر النصر– جاءهم نصرنا. يقال: كَذَبه – بالتخفيف، لم يَصْدقْه فقال له الكذب. وكذَّبه – بالتشديد – تكذيباً وكِذَّاباً: جعله كاذباً وقال له كذبت، أو أخبر أنه كاذب.

{وَظَنُّوا}

توهم الرسل أو حدثتهم أنفسهم.

{بَأْسُنَا}

عذابنا.

.111

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111)

{عِبْرَةٌ}

عظة وتذكرة.

{مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى}

ما كان

هذا القرآن حديثا يُختلق

{وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ}

من الكتب السماوية

{وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ}

أي وتبيين كل شيء من أصول الدين؛ إذ ما من أمر ديني إلا وهو يستند إلى القرآن بالذات أو بالواسطة، أو مما يحتاج إليه العباد في أمور دينهم ودنياهم؛ على نحو ما بيناه في قوله تعالى: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}. والله أعلم.

سورة الرعد

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (1)

.2

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (2)

{اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ}

بيَّن الله تعالى في هذه الآية والآيتين بعدها عشرة أدلة من العالم العُلوي والسُّفلي على كمال قدرته وعظيم حكمته: خلقهُ السماوات مرتفعة بغير عمد. وتسخيرُه الشمس والقمر لمنافع الخلق. وخلقُه الأرض صالحة للاستقرار عليها. وخلقُه الجبال فيها لتثبيتها، والأنهار لتسقي الزرع. وخلقُه زوجين اثنين من كل نوع من الثمرات. ومعاقبتُه بين الليل والنهار. وخلقُه بقاعاً في الأرض متلاصقة مع اختلافها في الطبيعة والخواص. وخلقُه جناتٍ من الأعناب للتفكه.

وخلقُه أنواع الحبوب المختلفة للغذاء. وخلقُه النخيل صنواناً، وغير صنوان، وجميعُها تسقى بماء واحد لا تفاوت فيه، مع اختلاف الثمار والحبوب في اللون والطعم والرائحة والشكل والخواص.

{بِغَيْرِ عَمَدٍ}

أي بغير دعائم؛ اسمُ جمعٍ مفردُه عماد. يقال: عَمْدت الحائط أعْمِدُه عمدا وأعمدته، إذا دعمْته؛ فانعَمد واستند.

{تَرَوْنَهَا}

أي رفع السماوات مرئية لكم بدون دعائمَ تدعَمُها. والجملة في محل نصبٍ حالٌ من السماوات.

{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}

[آية 54 الأعراف].

{يُدَبِّرُ الْأَمْرَ}

يقضي ويقدر ويتصرف في جميع

العوالم على أكمل الوجوه.

.3

وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (3)

{مَدَّ الْأَرْضَ}

بسطها طولا وعرضا إلى مالا يُدرِك البصرُ منتهاه، لإمكان الاستقرار عليها والمَدُّ البسْطُ. ولا تنافي بين المد وكُروية الأرض، لأن الأول بحسب رؤية العين، والثاني بحسب الحقيقة.

{رَوَاسِيَ}

جبالاً ثوابت راسخات في أحيازها تُمسكها عن الاضطراب؛ من الرَّسو وهو ثبات الأجسام الثقيلة. يقال: رسا الشيءُ يرسُو رَسْوا ورُسُوًّا، ثبت: كأرسى. وأرسيتُ الوتد في الأرض: أثبته.

{زَوْجَيْنِ}

نوعين وضربين.

{يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ}

يجعل الليل غاشياً للنهار وساترا له؛ أي يأتي به بدله فيصير الجوُّ مظلماً بعد ما كان مضيئاً [آية 54 الأعراف].

.4

وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (4)

{قِطَعٌ}

بقاع مختلفة الطبائع والصفات. {وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ .. }

صفة لنخيل، وهو جمع صِنْو. والصنْوُ: الفرع الذي يجمعه وآخر أصل واحد؛ فإذا خرج نخلتان أو ثلاث من أصل واحد فكل واحدة منهن صِنْو. والاثنتان صِنوانِ (بكسر النون)، والجمع صنوانٌ (بضم النون). وأصله المثل؛ ومنه قيل لعم الرجل: صِنْو أبيه، أي مثله؛ فأطلق على كل غصن صنو لمماثلته للآخر في التفرع من ذلك الأصل.

{الْأُكُلِ}

– بضمتين وضم فسكون –: اسم لما يؤكل من التمر والحَب؛ وإنما اقتصر على الأكل لكونه أعظم المنافع. قال مجاهد: هذا كمثل بني آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد.

.5

وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (5)

{أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ}

أي أولئك المنكرون لقدرته تعالى على البعث هم الكافرون بربهم.

{وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ}

وهم أصحاب النار المخلدون فيها. جمعُ غُل، وهو طوق من حديد تُشد به اليد إلى العُنُق؛ من الغَلل، وأصله تَدَرُّع الشيء وتوسطه. ومنه قيل للماء الجاري بين الشجر: غلل؛ أي ذلك شأنهم في الآخرة. وقيل: هو تمثيل لحالهم في الدنيا – من حيث إباؤهم الإيمان وعدم التفاتهم إلى الحق – بحال من في أعناقهم أغلالٌ فلا يستطيعون معها التفاتا.

.6

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (6)

{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ .. }

كان صلى الله عليه وسلم يهددهم بعذاب الدنيا وبعذاب الآخرة؛ فكانوا يستعجلونه في نزوله؛ طعنا في

خبره واستهزاء به، فنزلت الآية. والاستعجال: طلب الأمر قبل مجيء وقته. {وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ}

العقوبات المنَكّلات. جمع مَثُلة، وهي العقوبة الفاضحة التي تنزل بالإنسان فيُجعل مثالا يرتدع غيره به. وسُمِّيت مثلات لمماثلتها الأفعال المعاقب عليها في السُّوء.

{مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ}

ستر وإمهال.

.7

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (7)

.8

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (8)

{اللَّهُ يَعْلَمُ .. }

بيانٌ لما يدل على كمال علمه وقدرته تعالى وعظم سلطانه، وعلى حكمته في قضائه وقدره.

{وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ}

أي يعلم ما تنقصه الأرحام وما تزداده في البِنْيَة وفي المدة وفي العدد. يقال: غاض الشيء وغاضه غيره، نحو نقصَ ونقصه غيره، فيستعمل لازماً ومتعديا، وكذا أزداد.

{وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ}

أي وكل شيء عنده تعالى بقدر وحَدٍّ لايجاوزه ولا ينقصُ عنه، قال تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49)} [القمر] فيعلم كميته وكيفيته وزمنه ومكانه وسائر أحواله، ويعلم ما غاب عن الحواس وما يشاهد بها، أو السر والعلانية.

.9

عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (9)

{الْكَبِيرُ}

العظيم الذي كل شيء دونه.

{الْمُتَعَالِ}

المستعلي على كل شيء في ذاته وصفاته وأفعاله.

.10

سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (10)

{وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ}

أي ومن هو ذاهب في سَرْبه وطريقه، ظاهرا بالنهار يبصره كل أحد. يقال: سَرَب في الأرض يَسْرُب سَرَبا وسُرُوبا، أي ذهب في سِربه – بسكون الراء مع فتح السين وكسرها – أي طريقه. والمرادُ: أنه يستوي في علمه تعالى السر والجهر، والخفي والظاهر.

.11

لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (11)

{لَهُ مُعَقِّبَاتٌ}

للمذكور ممن أسرَّ القول أو جهر به؛ ملائكة يتعاقبون عليه بالليل والنهار؛ لحفظه وكلاءته، ولكتابة أقواله وأعماله؛ من التعقيب، وهو أن يؤتى بشيء بعد آخر. يقال: عقب الفرس في عَدْوه، أي جرى بعد جَرْيه، وعقبه تعقيبا: جاء عقبه. و (معقبات) جمع معقبة بمعنى مُعَقب، أي ملك معقِّب؛ والتاء للمبالغة، كما في علَّامة أو بمعنى جماعة معقبة.

{مِنْ أَمْرِ اللَّهِ}

بسبب أمره تعالى وإعانته، وهذا ما لم يكن هناك قدر، فإذا كان خلُوا عنه، فـ (من) بمعنى باء السببية.

{إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ}

أي قد جرت السنة الإلهيةُ بأنه تعالى لا يبدل ما بقوم من نعمة وعافية وخير بضده؛ حتى يعتدوا فيبدلوا أحوالهم؛ من جميل إلى قبيح، ومن صلاح إلى فساد، ومن طاعة إلى عصيان؛ فإذا أراد أن ينزل بهم نقمته وجزاءه فلا راد له، ولا معقب لحكمه.

{وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ}

وليٌ ناصر، يَلي أمورهم ويدفع السوء عنهم؛ من الولاية وهي النُصرة وتوَلِّي الأمر. يقال: وَلِيَ على الشيء ولاية فهو وال.

.12

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (12)

{هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ .. }

ذكر خمسة أنواع من الظواهر الكونية، جعل فيها شبَها بالنَّعم وشبها بالنَّقم، وكلها دلائل على عِظم قدرته تعالى وبديع صنعته، الموجبين لإفراده بالعبادة.

{خَوْفًا}

من الصواعق

{وَطَمَعًا}

في الغيث.

{وَيُنْشِئُ السَّحَابَ}

الغيم المنسحب في الهواء.

{الثِّقَالَ}

بالماء. جمع ثقيلة، أي مثقلة به.

.13

وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (13)

{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ}

تسبيحُه متلبسا بحمده؛ دلالتُه على كمال قدرته أوضح دلالة؛ قال تعالى: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} [آيه 44 الاسراء].

{شَدِيدُ الْمِحَالِ}

المِحالُ: الكيد والمكر، والتدبير والقوة، والعذاب والعقاب، والإهلاك والعداوة؛ كالمُماحلة. يقال: مَحل به – مثلثةَ الحاء – مَحْلاً ومِحَالا، إذا كاده وعرَّضه للهلاك؛ أي شديد المُماحلة والمكايدة لأعدائه. وفيه من التهديد لهم ما لا يخفي.

.14

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (14)

{لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ}

لله الدعوة الحق (كلمة التوحيد).

{وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ .. }

أي والأصنام التي يعبدونها من دون الله لا تستجيب لهم بشيء مما يطلبونه منها؛ إلا كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه من بعيد؛ ليطلبه ويدعوه

{لِيَبْلُغَ فَاهُ}

بنفسه، من غير أن يؤخذ بشيء كاناء ونحوه.

{وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ}

لكونه جمادا لا يشعر بعطشه، ولا ببسط كفيه إليه ولا بدعوته له؛ فكذلك هذه الأصنام جماداتٌ لا تُحِس بعبادتهم، ولا تستطيع إجابتهم بشيء.

.15

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (15)

{وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}

أي أن جميع من فيها من الملائكة والثَّقلين خاضعون لعظمته، منقادون لأحكامه إيجادا وإعداما، شاءُوا أو أبَوْا؛ من غير مداخلة حُكم غيره. يستوي في ذلك مؤمنهم وكافرهم، إلا أن المؤمن خاضع بذاته وبظاهره، والكافر خاضع بذاته متمردٌ بظاهره. وتنقاد له تعالى ظلالُ من له منهم ظِلٌّ؛ فهي تحت قَهره ومشيئته في الامتداد والتقلص، والفَيء والزوال؛ إذ الحركة والسكون بيده تعالى، والمُتحركُ والساكن في قبضته. فالمراد من السجود: الخضوع والانقياد.

والظلال: جمع ظل، وهو الخيال الذي يظهر للجرم. والغُدُوُّ

والغداة: البُكْرَة، أو من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. والآصال: جمع أصيل وهو العَشي، وهو ما بين العصر وغروب الشمس.

{ظِلَالُهُمْ}

تنقاد لأمره تعالى وتخضع.

.16

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (16)

{أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ}

ه أي بل أجعلوا! والاستفهام للإنكار والمعنى أنهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله، حتى يتشابه خلقُهم بخلق الله، فيقولون: هؤلاء خلقوا كخلق الله! واستحقوا بذلك العبادة كما استحقها سبحانه، ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على شيء؛ فكيف يصنعون ذلك!؟

.17

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (17)

{أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً}

ضرب الله مَثَلين للحق: هما الماء الصَّافي، والجوهر الصافي اللذان ينتفع بهما. ومثلين للباطل: هما زبدُ الماء، وزَبد الجوهر، اللذان لا نفع فيها.

{فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا}

فسالت المياه في الأودية بمقدارها الذي عيَّنه الله تعالى، واقتضته حكمته في نفع الناس أو بمقدارها قلة وكثرة بحسب صغر الأودية وكِبَرها. والأودية: جمع واد، وهو الموضع الذي يسيل فيه الماء بكثرة، ويطلق على الفُرجة بين الجبلين.

{فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ}

اي فَحَمَل الماءُ السائلُ في الأودية

{زَبَدًا}

وهو ما يعلو على وجه الماء عند اشتداد حركته ويُسمى الغثاء، وما يعلو على القِدر عند الغليان كالرغوة ويُسمى الوضَر والخبث.

{رَابِيًا}

عاليا مرتفعا فوق الماء، طافيا عليه. وهنا تمَّ المثل الأول، ثم ابتدأ في الثاني فقال:

{وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ}

أي ومن الذي يفعلون عليه الإيقاد في النار كالذهب والفضة والنحاس والرصاص وغيرها من المعادن.

{ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ}

أي لأجل اتخاذه حلية للزينة والتجمُّل كالأولَيْن

{أَوْ مَتَاعٍ}

أو لأجل اتخاذه متاعا يُرتفق به كالآخرين.

{زَبَدٌ مِثْلُهُ}

أي مثل ذلك الزَّبد في كونه رابياً فوقه، فقوله (زَبَدٌ) مبتدأ مؤخر خبره (مما يوقدون).

{كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ}

أي يضرب مَثَلهما للناس للاعتبار.

{فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً}

فأما الزبد من كلٍّ من السيل ومما يوقدون عليه في النار فيذهب مرميًّا به مطروحا. يقال: جفأ الماء بالزبد، إذا قذفه ورمى به، وجَفأت القدر: رمت بزَبدها عند الغليان، وأجفأت به وأجفاته.

18.

لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (18)

{لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا .. }

بيانٌ لمآل حال كل من أهل الحق والباطل، بعد بيان شأن كل منهما حالا ومآلاً.

{الْحُسْنَى}

أي المثوبةُ الحسنى.

{سُوءُ الْحِسَابِ}

الحساب السيئ، وهو المناقشة المشار إليها في حديث: (من نوقش الحساب عُذِّب) (متفق عليه).

{وَبِئْسَ الْمِهَادُ}

وبئسَ الفراش الذي مهدوه لأنفسهم مهادُهم.

.19

أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (19)

.20

الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (20)

{الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ}

بدل من (أولي الألباب). وجملة ما وصفوا به ثمانية أوصاف جليلة وهي: (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) وآخرها: وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ.

.21

وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (21)

.22

وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (22)

{وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ}

أي يدفعون بالعمل الصالح السيئ من الأعمال، فيجازون الإساءة بالإحسان. أو يتبعون السيئة الحسنة فتمحُوها.

يقال: دَرأه دَرْءًا، دفعه. ودرأ السَّيل واندرأ: اندفع.

{أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ}

العُقْبى والعُقب: الجزاء؛ ومنه: أعقبه أي جازاه. والمراد بـ (عُقبى الدار: الجنه.

.23

جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23)

{جَنَّاتُ عَدْنٍ}

بدل من عقبى الدار.

.24

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (24)

.25

وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (25)

{وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ .. }

بيان لأحوال الأشقياء بعد بيان أحوال السعداء. وجملة أوصافهم الجامعة ثلاثة: نقضهم للعهد، قطعهم ما أمر الله به أن يوصل، إفسادهم في الأرض.

{سُوءُ الدَّارِ}

عاقبتها السيئة وهي النار.

.26

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (26)

{وَيَقْدِرُ}

أي يضيق، ضد يَبْسط بمعنى يوسع. يقال: قَدَر – كضرب ونصر – أي قَتَّر وضيق. وقدر الله الرزق يقدِره –بكسر الدال – ضيَّقه. ففتْحُ أبواب الرزق في الدنيا لا تعلُّق له بالكفر والإيمان، بل هو منوط بمشيئة الله تعالى؛ فقد يضيق على المؤمن امتحانا لصبره وتكفيرا الذنوبه، ويوسع على الكافر

استدراجا له.

{مَتَاعٌ}

شيء قليل ذاهب زائل.

.27

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (27)

{أَنَابَ}

رجع إليه وأقبل عليه؛ من الإنابة بمعنى الرُّجوع إلى نوبة الخير.

.28

الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28)

.29

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (29)

{طُوبَى لَهُمْ}

عيشٌ طيب لهم في الاخرة. مصدرٌ كبُشرى وَزُلفى من الطِّيب، وأصله طُيْبى، قلبت الياء واوا لوقوعها ساكنة إثرَ ضمة، كما قلبت في مُوقِن ومُوسِر من اليقين واليُسر. وقيل: طوبى اسم لشجرة في الجنة.

{وَحُسْنُ مَآبٍ}

مرجعٍ ومنقلب؛ من الأوْب. وهو الرجوع. يقال: آب يئوب أوْبا و اياباً ومَآبا، إذا رجع.

.30

كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (30)

{وَإِلَيْهِ مَتَابِ}

أي إليه وحده مرجعي ومرجعُكم با فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم، ويجازيكم على كفركم وعصيانكم. يقال: تاب إلى الله تَوْبا وتوبة ومتاباً، اذا رجع عن المعصية.

.31

وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (31)

{وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا}

نزلت في نَفَر من المشركين غلوا في كفرهم وتمادوا في ضلالهم، حتى اقترحوا على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسير لهم بالقرآن جبال مكة ليتفسحوا في أرضها، ويفجر لهم فيها الأنهار والعيون ليزرعوها ويتخذوا فيها البساتين، ويحي لهم الموتى ليخبروهم بصدقه. وجواب (لو) محذوف، أي ما آمنوا به – أي بالقرآن – إذا فُعلت به هذه الأفاعيل العجيبة.

{بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا}

أي بل الله قادر على الإتيان بما اقترحوا من الآيات، ولكن إرادته لم تتعلق بذلك، وهو الحكيم الخبير؛ لعلمه بعتوهم ونفورهم من الحق.

{أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا}

أي أغَفَلَ الذين آمنوا فلم يقطعوا أطماعهم في إيمان كفار قريش مهما نزلت من الآيات، أو أغفلوا عن كون الأمر جميعا لله فلم يعلموا. واستعمال يئس بمعنى علم حقيقة في لغة، وقيل مجاز، لتضمن اليأس معنى العلم، فإن اليائس من الشيء عالم بأنه لا يكون، كما استعمل الرجاء في معنى الخوف، والنسيانُ في معنى الترك مجازاً لتضمّن ذلك.

{قَارِعَةٌ}

بلية وداهيه تقرَعُهم، أي تهلكهم وتستأصلهم؛ من القرع وهو ضرب الشيء بالشيء بقوَّة. وجمعها قوارع.

.32

وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (32)

{فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا}

أمهلتهم؛ من الإملاء وهو أن يترك ملاوَةً من الزمان في أمن ودعة.

.33

أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (33)

{أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ}

أفمن هو رقيب على كل نفس، حفيظ عليها، عالم بما عملت من خير أو شر فجازيها به؛ كمن ليس كذلك؟ والاستفهام انكاري، وجوابه: ليس كذلك.

{أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ}

أي بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول، بسبب ظن باطل لا حقيقة له في نفس الأمر!.

.34

لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (34)

{وَاقٍ}

حافظ يَعصِمُهم من العذاب. اسم فاعل من الوقاية، وهي الصيانة والحفظ. وفعله من باب ضرب.

.35

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (35)

{أُكُلُهَا دَائِمٌ}

ما يؤكل فيها لا انقطاع الأنواعه.

{وَظِلُّهَا}

دائم لا يزول.

.36

وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ (36)

{وَإِلَيْهِ مَآبِ}

إلى الله وحده مرجعي للجزاء.

.37

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ (37)

.38

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (38)

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ... }

عابُوا الرسول صلى الله عليه وسلم بكثرة الزواج فنزل: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا}، وبعدم إجابة مقترحاتهم فنزل:

{وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} ، وبعدم نزول ما خوّفهم به من العذاب فنزل:

{لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ} ، وبنسخ الأحكام الثابتة في الشرائع السابقة فنزل: {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ} والأجل: مدة الشيء. والمرادُ به أزمنة الموجودات، فلكل موجود زمان يوجد فيه محدودٌ، لا يزاد عليه ولا ينقص. لا فرق في ذلك بين الأرزاق والآجال، والأحكام والشرائع، وإتيان

المعجزات ونزول القرآن وغيره. والكتابُ: ما كتب فيه أزمنة المقدرات، وهو صحف الملائكة أو اللوح المحفوظ.

فتأخر نزول العذاب بهم إنما هو لعدم حلول وقته المقدر له؛ قال تعالى: {وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (4)} [الحجر].

.39

يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (39)

{يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ}

المَحو: إذهاب أثر الكتابة. والإثباتُ: التدوين في الكتاب، فيمحو الله ما يشاء ويثبت في صحف الملائكة، إذ هي القابلة للمحو والإثبات، أو بوقوعها فيه – وذلك حسب تقتضيه المشيئة والحكمة الإلهية؛ فَيَنسَخ ما يشاء نسخه من الأحكام، لاقتضاء الحكمة ذلك. (ويثبت) أي يُبقي ما يشاء منها غير منسوخ. أو يثبت منها ما يشاء بتبديل المنسوخ بغيره، أو ببقاء الحكم غير منسوخ، أو بإنشاء حُكم ابتداءً.

{وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}

أمُّ كل شيء: أصله، وهو الذي لا يتغير ولا يتبدل، ولا يقع فيه محو ولا إثبات. والمراد به في القول المشهور: اللوحُ المحفوظُ الذي أثبت فيه جميع أحوال الخلق إلى يوم القيامة. والكتاب الذي يقع فيه المَحو والإثبات هو صحف الملائكة دونه. وفي قول آخر: العلم الأزلي الذي لا يكون شيء إلا على وفق ما فيه، ومحالٌ عليه التغيير والتبديل، والكتاب الذي يقع فيه المحو والإثبات هو اللوحُ المحفوظ.

.40

وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (40)

.41

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (41)

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ ... }

أي أأنكروا نزول ما وعدناهم، أوشكُّوا ولم يروا أنا نفتح أرضهم من جوانبها ونلحقها بدار الإسلام! أو أولم يروا هلاك من قبلهم وخراب ديارهم كقوم عاد و ثمود! فكيف يأمنون حلول ذلك: بهم!. ولا معقب لحكمه لا راد ولا مبطل له.

.42

وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ (42)

.43

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (43)

والله أعلم

سورة إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (1)

{لِتُخْرِجَ النَّاسَ .. }

أي بدعائك إياهم إلى اتباع ما تضمنه الكتاب من التوحيد وغيره، من ظلمات الكفر والضلالة والجهل، إلى نور الإيمان والعلم. وفي جَمْع و (الظلمات) وإفراد (النور) إشارة إلى أن الكفر طُرق كثيرة، وأما الإيمان فطريق واحد.

{بِإِذْنِ رَبِّهِمْ}

بتيسيره وتوفيقه لهم أو بأمره.

{إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}

الصِّراط: الطريق، استعير للهُدى. والعزيزُ: هو الذي لا يغلبه غالب. والحميد: هو المحمود بكل لسان، المُمجَّد في كل مكان.

.2

اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (2)

{وَوَيْلٌ}

هلاك [آية 79 البقرة] وهو وعيدٌ للكافرين.

.3

الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (3)

{الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا .. }

يختارونها ويؤثرون لذائذها على الآخرة ونعيمها.

{وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا}

يطلبون لسبيل الله اعوجاجة وزَيْغاً عن الحق لموافقة أهوائهم، أو يطلبونها معوجة غير مستقيمة. [آية 99 آل عمران].

.4

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (4)

.5

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (5)

{بِأَيَّامِ اللَّهِ}

أي بنعمائه وبلائه.

{صَبَّارٍ}

كثير الصبر على البلاء. والصبرُ: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرعُ فعلاً أو تركاً. يُقال: صَبَرَه عن كذا يَصبِرُه، إذا حبسه.

{شَكُورٍ}

كثير الشكر على النَّعماء. والشكرُ: عرفان الإحسان ونَشره. وأصله من شَكِرَت الناقه – كفرح – امتلأ ضرعها. ومنه أشْكَر: امتلأ

.6

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (6)

{يَسُومُونَكُمْ}

يبغون لكم [آيه 49 البقرة].

{يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ}

يستبقون بناتكم للخدمه.

{بَلَاءٌ}

ابتلاء بالنعم والنقم.

.7

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (7)

{تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ}

أعلم إعلاماً لا تبقى معه شُبهةٌ، لدلالة صيغة التفعل على المبالغة في الإعلام.

.8

وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (8)

.9

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (9)

{فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ}

عضوا على أناملهم غيظ وحَنَقا. أو وضعوا أيديهم على أفواههم؛ إشارة منهم إلى الرسل: أنِ اسكتوا.

{وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ}

أي بما جئتم به من المعجزات والبينات.

{وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ}

من الإيمان والتوحيد

{مُرِيبٍ}

موقعٍ في الرِّيبة. أو ذي ريبة [اية 62 هود].

.10

قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (10)

{فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}

مُبدِعِهما ومبْدِعِ ما فيهما على أحكم نظام، دون احتذاء مثال سابق [آية 14 الأنعام].

{بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ}

بحجة ظاهرة على صدقكم، تتسلط بقوتها على نفوسنا وتجذبها إلى اليقين. من السلاطة وهي التَمَكُّن من القهر.

يقال: سلّطته فتسلّط.

.11

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (11)

.12

وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (12)

.13

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (13)

.14

وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (14)

{مَقَامِي}

قيامي عليه و مُراقبتي له. أو مكان وقوفه بين يديَّ للحساب.

.15

وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (15)

{وَاسْتَفْتَحُوا}

استنصروا الله على أعدائهم: من الفَتح بمعنى النصر، أو طلبوا من الله الحُكم بينهم وبين أعدائهم؛ من الفَتْح بمعنى الحكم بين الخصمين، والسين والتاء للطلب.

{جَبَّارٍ}

متعظم في نفسه، متكبِّر على أقرانه: يَجْبُرُ نقيصته بادعاء منزلة من التعالي لا يستحقها.

{عَنِيدٍ}

مُعاندٍ للحق، مُباهٍ بما عنده؛ من العند بمعنى المَيْل. يقال: عَند عن الطريق – كنَصَر وضرب وكَرُم – عُنُودا، مال. وعَنَد: خالف الحق؛ ومنه العاند، للبعير يَحُور عن الطريق ويَعدِل.

.16

مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (16)

{مَاءٍ صَدِيدٍ}

هو ما يسيل من أجساد أهل النار. وأصل الصَّديد: ماءُ الجرح الرقيق، وهو بدل من (ماء).

.17

يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (17)

{يَتَجَرَّعُهُ}

يتكلف بلعَه مرة بعد أخرى، لمرارته وحرارته مع غلبة العطش عليه. والجرْع: البلع. وفعله كسَمِع ومَنَع.

{وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ}

أي ولا يُقارب أن يُسيغه فضلا عن الإساغة؛ بل يغص به فيشربه بعد عناء جَرْعة غِبَّ جرعة. والسَّوْغُ: انحدار الشراب في الحلق بسهولة وقبول نفس. يقال: ساغ الشرابُ سَوْغاً وسَواغاً، إذا كان سهل المدخل.

.18

مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (18)

{مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ... }

شبَّه ما يعمله الكافرون في الدنيا من أعمال البِر والخير في حبوطها وذهابها هباء منثورا في الآخرة؛ لابتنائها على غير أساس من الإيمان والعلم بالله – بِرَماد أسرعت به الريح الشديدة الهُبوب ففرقته؛ فلم يبق له أثر. و (عاصف) شديد الريح.

.19

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (19)

.20

وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (20)

.21

وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ (21)

{وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا}

خرجوا من قبورهم يوم القيامة، وظهروا في الفضاء للجزاء على أعمالهم. وأصل البروز: الظهور؛ مأخوذ من البَرَاز، وهو الفضاء الواسع، ثم استُعير لمجتمع الناس يوم القيامة

{سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا .. }

أي مستوٍ علينا الجزعُ والصبر. والجَزَعُ: حُزن يصرف الإنسان عما هو بصدده. يقال: جَزِع يجْزَع جزَعاً وجُزوعاً، إذا ضَعُف عن حمل ما

نزل به ولم يجد صبرا.

{مُغْنُونَ عَنَّا}

دافعون عنا.

{مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ}

محيدٍ ومهربٍ من العذاب. يقال: حاص عنه يحيص حَيصا ومَحيصاً، إذا عدل عنه وحاد على جهة الفِرار.

.22

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (22)

{سُلْطَانٍ}

تسلط أو حجة.

{مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ}

مغيثكم ومُنقذِكم مما أنتم فيه من العذاب.

{وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ}

بمغيثي مما أنا فيه منه. يقال: صرَخ يصْرُخ صَرْخاً وصُرَاخا، إذا استغاث، فهو صارخ وصريخ، أي مستغيث طالب للنُصرة والمعاونة، وذاك مُصرِخٌ أي مغيث. واستصرختُه فأصرخني: استغثتُ به فأغاثني؛ فهو صريخ ومُصرِخ، أي مغيث، من الصُّراخ وهو الصياح الشديد عند الفزع أو المصيبة.

.23

وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (23)

.24

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24)

{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا}

أي لكلمتي الإيمان والكفر، أو لمعرفة الله تعالى ومحبته وطاعته، وضد ذلك.

{كَلِمَةً طَيِّبَةً}

كلمة التوحيد والإسلام.

{أَصْلُهَا ثَابِتٌ}

ضارب بعروقه في الأرض.

{وَفَرْعُهَا}

أي أعلاها.

.25

تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25)

{أُكُلَهَا}

ثمرها الذي يؤكل.

.26

وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26)

{كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ}

كلمة الكفر والضلال.

{اجْتُثَّتْ}

اقتلعت جُثتها، أي شخصها وذاتُها.

{مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ}

لقرب عُروقها من سطح الأرض. يقال: اجتثثْت الشيء اجتثاثا، إذا اقتلعته واستأصلته. وهو افتعال من لفظ الجُثَّة وهي شخص الشيء.

.27

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (27)

{فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}

في مُدة الحياة الدنيا وفي القبر عند السؤال. وقيل: في الحياة الدنيا وفي يوم القيامة.

.28

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (28)

{دَارَ الْبَوَارِ}

دار الهلاك. ويطلق البَوار أيضا على الكساد. يقال: بار المتاعُ بَوَارا، كَسَد. والكاسد في حكم الهالك.

.29

جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (29)

{يَصْلَوْنَهَا}

يدخلونها. أو يقاسون حرها.

.30

وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (30)

{أَنْدَادًا}

أمثالا في التسمية أو في العبادة؛ وهي الأصنام والأوثان.

.31

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ (31)

{وَلَا خِلَالٌ}

ولا مُخالة، أي لا موادة في يوم القيامة بين الناس تنفع في تدارك ما فات. مصدر خاللت. أو جمع خَليل أو خُلَّة بمعنى الصداقة؛ كقِلة وقلال.

.32

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (32)

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ .. }

ذكر لهذا الموصول سبع صلات: أولها – خلق السماوات، وآخرها {وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ}. وهي تشتمل على عشرة أدلة على وحدانيته تعالى وعلمه وقدرته: خلقُ السماوات، وخلق الأرض، وإنزال المطر من السماء، وإخراج الثمرات به، وتسخير الفلك في البحار، وتسخير الأنهار، وتسخير الشمس، وتسخير القمر دائبين، وتسخير الليل والنهار للتمكين من السعي للكسب، وإعطاء ما يحتاج إليه الناس في معاشهم.

.33

وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (33)

{دَائِبَيْنِ}

دائمين في إصلاح ما يُصلحان من الأبدان والنبات وغيرهما. أو دائمين في السير في مدارهما بغير اختلال، لا يَفْتران عن ذلك ما دامت الدنيا؛ من الدَأب – بسكون الهمزة وفتحها – وهو العادة المستمرة على حالة واحدة.

آية 11 آل عمران].

.34

وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34)

{لَا تُحْصُوهَا}

لا تطيقوا عدها لعدم تناهيها.

.35

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35)

{وَاجْنُبْنِي ... }

أبعِدْني وبَنِيَّ عن عبادة الأصنام؛ من جَنَبْته عن كذا: أبعدتُه عنه. وجنَّبته – بالتشديد – مبالغة.

.36

رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (36)

.37

رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37)

{مِنْ ذُرِّيَّتِي}

أي بعضِهم، وهو ابنهُ إسماعيل عليه السلام الذي رُزق به من السيدة هاجر، وأوحيَ إليه أن بنقلهما إلى مكة عند المكان الذي سيبني فيه البيت المحرم.

{تَهْوِي إِلَيْهِمْ}

تُسرع إليهم شوقا ووِدادا. يقال: هَوَى يهوي هويا، إذا أسرع في السير. أو تريدهم، كما تقول: رأيت فلانا يهوِي نحوك، أي يريدك.

.38

رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (38)

.39

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (39)

{إِسْمَاعِيلَ}

من السيدة هاجر

{وَإِسْحَاقَ}

من السيدة

سارة. وإسماعيل أسَنُّ من أخيه، وبينها ثلاث عشرة سنة، على ما قيل.

.40

رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (40)

.41

رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (41)

{اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ}

طلب المغفرة لوالديه قبل أن يتبين له أن والده عدو الله، وكانت أمه مؤمنة، ثم لما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، ونُهِيَ عن الاستغفار له.

.42

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42)

{تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ}

ترتفع فيه أبصار أهل الموقف، فلا تطرف أجفائهم. من هول ما يَرونه. يقال: شَخَص بصرُه شخص فهو شاخص، إذا فتح عينيه وجعل لا يَطرِف، وشَخَص شُخُوصاً: ارتفع.

.43

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (43)

{مُهْطِعِينَ}

مسرعين إلى الداعي بذلة واستكانة، كإسراع الأسير والخائف. يقال: أهطع في عدوه يُهطع إهطاعاً، إذا أسرع.

{مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ}

رافعيها إلى السماء مع إدامة النَّظر: بأبصارهم إلى ما بين أيديهم من غير التفات إلى شيء. يقال: أقنع رأسه، إذا نصبه ورفعه، أو لم يلتفت يمينا وشمالا، بل جعل طرْفه موازياً.

{لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ}

أي: لا ترجع إليهم أجفانهم التي يكون فيها الطَّرف، أي التحريك.

{وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ}

وقلوبهم فارغة خالية عن الفهم، لا تعي شيئا، ولا تعقل من شدة الخوف والدهشة.

.44

وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (44)

.45

وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (45)

.46

وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (46)

.47

فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (47)

.48

يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (48)

{يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ}

ظرف للانتقام. وتبديلُ الأرض والسموات في ذلك اليوم: تغييرُ صفاتهما وهيئاتهما عما كانتا عليه في الدنيا، يقال: بدّلت الحلقة خاتماً، إذا غيرت شكلها.

{وَبَرَزُوا لِلَّهِ}

خرجوا من أجداثهم ليستوفوا جزاءهم (آية 21 من هذه السورة].

.49

وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (49)

{مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ}

المقرَّن: من جُمع مع غيره في قَرَن، وهو الوثاق. والأصفادُ: جمع صَفد، وهو القيد الذي يوضع في الرجل، أو الغُل الذي تُضمُّ به اليد والرجل إلى العنُق؛ أي قُرِن بعضهم مع بعض، وضُم كلٌّ لمشاركه في كفره. أو قُرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأغلال.

.50

سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ (50)

{سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ}

أي تطلى جلودُهم بالقَطِران، وهو ما تُهنأ به الإبلُ الجَرْبى، وهو حارٌّ نَتِن شديد الاشتعال بالنار؛ حتى يكون الطِّلاء كالسرابيل – أي القمصان – ليجتمع لهم لذع القطران وكراهيةُ لونه ونَتْن ريحه، وإسراعُ النار في جلودهم.

{وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ}

تعلوها وتحيط بها النار التي تسعَّر بأجسادهم المُسَربلة بالقطران؛ من الغَشي وهو التغطية.

.50

لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (51)

.52

هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (52)

{بَلَاغٌ لِلنَّاسِ}

كفاية في العظه والتذكير. والله أعلم.

سورة الحجر

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ (1)

{تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ}

(تلك): إشارة إلى آيات هذه السُّورة. أي تلك آياتٌ من الكتاب الكامل، ومن قرآن عظيم الشأن، بيّن في حِكَمِه وأحكامه، وفي هدايته وإعجازه؛ فأقبِلوا عليها، ولا تقابلوها بالتكذيب والإعراض.

.2

رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (2)

{رُبَمَا يَوَدُّ .. }

أي يتمنى الذين كفروا بالقرآن عند رؤيتهم في الآخرة رحمة الله لِعصاة المؤمنين حين يخرجهم من النار

{لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ}

مثلهم، منقادين لأحكامه، حين لا يُجديهم التمني. و (رُبَّ) حرف يستعمل في التقليل وفي التَّكثير؛ وقد تزاد بعدها {ما} النافية وتخفف باؤها وتُشدَّد. وحَمَلها كثير من المفسرين هنا على التقليل بالنسبة إلى زمان ذهاب عقولهم من شدة الدهشة، فإن أهوال القيامة تُذهلهم فيُبهتُون، فإذا وجدت منهم إفاقةٌ في وقت ما تمنوْا هذه الأمنية.

.3

ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (3)

{ذَرْهُمْ .. }

خَلِّهم وشأنَهم، ينعموا بدنياهم، وتُلههم آمالهم الكاذبة من أخراهم

{فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}

سوءَ عقباهم.

.4

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (4)

{وَلَهَا كِتَابٌ}

أجل مقدر مكتوب في اللوح.

.5

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (5)

.6

وَقَالُوا يَاأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (6)

.7

لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (7)

{لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ}

هلا تأتينا بالملائكة يشهدون لك ويَعْضدونك في الإنذار

{إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}

في ادّعائك ما ادعيت، وهو كقوله تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ} [الانعام:8]، {لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ} [هود:12]، {لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا} [الفرقان:7]، {لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ} [الفرقان:21]. وقد أجابهم الله تعالى بقوله: {مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ}.

.8

مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ (8)

{مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ}

أي إلا تنزيلاً ملتبساً: بالحق؛ أي بالوجه الذي تقتضيه الحكمة والمصلحة، وجرت به السُّنة الإلهية. ولا حكمة ولا مصلحة لكم في تَنزلهم إليكم كما اقترحتم، لا بصورهم الحقيقية لأنكم تهلكون عند رؤيتها، ولا: بصُور بشرية لأن ذلك لا يزيدكم إلا لَبْسا؛ كما قال تعالى: {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ} [الانعام:9]، بل في ذلك مضرةٌ بكم؛ لأنه لا يكون مع ذلك إلا استئصالكم في الحال إن لم تؤمنوا وتصدقوا، كما جرت بذلك سنة الله في القرون الخالية، وأنتم غير أهل الإيمان والتصديق.

{مُنْظَرِينَ}

أي مؤخَّرين مُمهلين،. بل يُعجل لهم العذابُ من الإنظار بمعنى التأخير والإمهال.

.9

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)

{الذِّكْرَ}

القرآن.

{وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}

أي من كل ما يقدح فيه؛ كالتحريف والتبديل والزيادة والنقصان، أو حافظون له بالإعجاز؛ فلن يقدر أحد على معارضته، أو بقيام طائفة من الأمة بحفظه والذب عنه إلى آخر الدهر.

.10

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ (10)

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا}

رسلاً

{مِنْ قَبْلِكَ}

في الفِرَق الأولين، يدعونهم إلى ما تدعو إليه، فما قابلوهم إلا بالاستهزاء بهم وبما جاءوا به من الكتب، فلست بدعاً من الرسل،: فتسلَّ بمن سبقك. والشِّيعُ: جمع شيعة، وهي الفِرقة المتفقة على طريقة ومذهب؛ من شاعه إذا تبعه.

.11

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (11)

.12

كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (12)

{كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ}

أي كما سلكنا كتب الرسل السابقين في قلوب أولئك المستهزئين مستهزا بها غير مقبولة – نسلك الذكر الذي أنزلناه إليك في قلوب المجرمين أهل مكة مستهزَأ به غير

مقبول؛ لكونهم جميعا من أهل الخذلان الذين ليس لهم استعداد لقبول الحق، والسَّلْك: مصدر سَلَك – من باب نصر– وهو إدخال الشيء في الشيء كإدخال الخيط في المخيط.

.13

لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (13)

{لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ}

أي بالذكر. والجملة حال من مفعول (نسلكه) أي نسلكه غير مؤمن به. أو بيان للجملة السابقة.

{سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ}

أي سنة الله وعادتُه فيهم، وهي الإهلاك للتكذيب. وهو وعيد لأهل مكة.

.14

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (14)

{وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ .. }

أي ولو فتحنا لكفار مكة المعاندين بابا من السماء

{فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ}

أي يصعدون، فينظرون إلى ملكوت السموات وما فيها من الملائكة والعجائب.

{يَعْرُجُونَ}

من العُروج وهو الذهاب في صعود. وفعله من باب دخل؛ ومنه المعراج والمعارج.

.15

لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (15)

{لَقَالُوا}

لفرط عنادهم وجحودهم

{إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا}

أي سُدَّت ومُنعت من الإبصار، وما نرى إلا تخييلاً لا حقيقة له. و {سُكِّرَتْ} من السَّكْر – بفتح فسكون – وهو سدُّ الباب أو النَّهر. يقال: سَكَرْت النهر أسْكُره سَكْرا، سددته، والتشديد للمبالغة.

{بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ}

في عقولنا بسحرٍ صَنعه محمد. و {مَسْحُورُونَ} أي مصروفون بالسحر عن إدراك عقولنا للحقيقة. والسِّحر: الخداع وتخييل مالا حقيقة له، أو ما لَطُف مأخذه ودق. وفعله كمنع، والفاعل ساحر، والمفعول مسحور [آية 102 البقرة].

.16

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (16)

{جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا}

اشتملت هذه الآية وما بعدها إلى آية 27 على أربعة عشر دليلا على قدرة الخالق وبداعة صنعه وتعالى حكمته، مما يوجب الإيمان به وبوحدانيته، وإفراده بالعبادة، ومقابلة نعمه بالشكران بدل الكفران. وه {جَعَلْنَا} أي خلقنا

وأبدعنا فيها منازل وطرقاً تسير فيها الكواكب، وهي الاثنا عشر بُرجاً المشهورة. وقيل: البروجُ الكواكبُ نفسها. جمعُ بُرج، وهو في الأصل القصْر والحِصْن، واستعمل فيما ذُكر على سبيل التشبيه.

.17

وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (17)

{وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ}

منعناه من التعرض لها والوقوف على ما فيها في الجملة. أو من دخولها والاختلاط بأهلها. {رَجِيمٍ} مرجومٍ مطرود عن الخير؛ من الرّجْم بمعنى اللعن والطرد؛ فإن من يُطرد يُرجم بالحجارة.

.18

إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ (18)

{اسْتَرَقَ السَّمْعَ}

خطف المسموع من الملأ الأعلى.

{فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ}

لحقه وأدركه شهاب يحول بينه وبين الاستراق. وهو الشعلة الساطعة من النار المنفصلة من الكواكب، التي تُرى في السماء ليلاً كأنها كوكب ينقض بأقصى سرعة. وجمعُه شُهب، وأصلها من الشُّهْبة وهي بياض مختلط بسواد، وهو كقوله تعالى: {إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ} [الصافات:10].

{مُبِينٌ}

أي ظاهر للمبصرين.

والمنعُ الشديد من استراق السمع كان من زمن البعثة، ويشهد له قوله تعالى: {وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (8) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (9) [الجن]. وقيل: المنعُ من مولده صلى الله عليه وسلم.

.19

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (19)

{وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا}

بسطناها للاستقرار عليها.

{وَأَلْقَيْنَا}

وضعنا

{فِيهَا رَوَاسِيَ}

جبالا ثوابت [آية 3 سورة الرعد].

{مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ}

أي مقدر بمقدار معيَّن حسبما تقتضيه الحكمة، كما قال تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49) [القمر].

.20

وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (20)

{مَعَايِشَ}

[آية 10 الأعراف]،

{وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ}

أي وجعلنا لكم فيها من العبيد والخَوَل والدّواب والأنعام من لستم له برازقين، وإنما المتكفل برزقهم خالقهم رب العالمين. وعبر به (مَن) تغليبا للعقلاء.

.21

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (21)

{خَزَائِنُهُ}

جمع خزانة، وهي في الأصل: المكان الذي – تُخزنُ فيه نفائس الأموال للحفظ. والكلام تمثيلٌ لإفادة أن مقدوراته تعالى التي لا تحصى – في كونها محجوبة عن الخلق، مصونة عن الوصول إليها مع وفور رغبتهم فيها، وكونها متهيّئة للإيجاد والتكوين؛ بحيث متى تعلقت إرادته تعالى بوجودها وجدت بلا إبطاء – شبيهة بنفائس الأموال المخزونة للحفظ، المعدِّة للتصرف فيها بإرادة مالكها. {وَمَا نُنَزِّلُهُ}

وما نوجد شيئا من تلك المقدورات إلا بمقدار معين تقتضيه الحكمة، وتستدعيه المشيئة.

.22

وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (22)

{وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ}

حوامل، جمع لاقح بمعنى: حامل؛ لحملها الماء والتراب بمرورها عليها، وحملها السحاب وسوقه واستدرارِه. وهي مُلَقِحة تُلقح السحاب بما تمجه فيها من بخار الماء، وتلقح الشجر بنقل الجراثيم الحية من ذكوره إلى إناثه.

.23

وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (23)

{وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ}

لزوال مِلْك كلِّ مالك عما ملك، وبقاء جميع ذلك لنا.

.24

وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (24)

.25

وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (25)

.26

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (26)

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ .. }

بيانٌ لأطوار خلق آدم أبي البشر: ابتدأ الله خلقه من تراب مُفرَّق الأجزاء، ثم بله بالماء وتركه حتى اسود وتغير ريحه، ثم صور فيه تمثال إنسان أجوف، فَجف ويبس، حتى إذا نُقِر سُمعت له صلصلة، فغيَّره طورا بعد طور، حتى نَفخ فيه من روحه؛ فتبارك الله أحسن الخالقين!

{صَلْصَالٍ}

طين يابس غير مطبوخ، له صلصلة وصوت إذا نُقر، كما يصوت الحديد؛ فإذا طبخ بالنار فهو الفخار.

{حَمَإٍ}

طين أسودَ مُتغير.

{مَسْنُونٍ}

مصوَّر؛ من سنَّ الشيء صوَّره. وعلى هذه الأطوار تُخرَّج الآيات الواردة في أطواره الطينية، كآية: {خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ .. } [آل عمران:59] وآية: {بَشَرًا مِنْ طِينٍ} [ص:71] وهذه الآية.

.27

وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (27)

{مِنْ نَارِ السَّمُومِ}

السموم: الريح الحارة التي تقتل. وسُمِّيت سموماً لأنها لشدة لطافتها وقوة حرارتها تنفذُ في مسام البدن. وقيل: هي نار لا دُخان لها تنفذ في المسام.

.28

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28)

.29

فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29)

{سَوَّيْتُهُ}

سوّيت خلقه وصورته بالصورة الإنسانية.

{وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي}

أي أفضت عليه ما به حياته، وهو الروح الذي هو من أمري.

{سَاجِدِينَ}

سجود تحية لا سجود عبادة.

.30

فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (30)

.31

إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (31)

{أَبَى}

امتنع تكبرا.

.32

قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (32)

{مَا لَكَ}

أيُّ غرض لك أو ما عذرك.

.33

قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (33)

.34

قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (34)

{رَجِيمٌ}

مطرود من الرحمة أو مرجوم بالشهب.

.35

وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (35)

{اللَّعْنَةَ}

الإبعاد على سبيل السخط.

.36

قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (36)

{فَأَنْظِرْنِي}

أخِّرني إلى يوم البعث، من الأنظار بمعنى التأخير والإمهال. طلب ألا يموت أبدا؛ فأخِّر إلى يوم النفخة الأولى فقط، ثم يموت عندها.

.37

قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (37)

.38

إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (38)

{الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ}

وقت النفخة الأولى.

.39

قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39)

{وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ}

لأحملهم على الغواية والضلال.

.40

إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (40)

{الْمُخْلَصِينَ}

هم الذين أخلصتهم بتوفيقك لطاعتك. وقرئ بكسر اللام؛ أي الذين أخلصوا العبادة لك، ولم يشركوا معك فيها أحدا.

.41

قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (41)

{قَالَ}

الله تعالى

{هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ}

أي تخليص المخلَصين من أعوانه حقٌّ على أن أراعيه.

{مُسْتَقِيمٌ}

لا عدول عنه.

.42

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (42)

{سُلْطَانٌ}

تسلط وقدرة على الإغواء.

.43

وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (43)

{وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ .. }

الضمير لـ (من

اتبعك) أو لـ (الغاوين).

.44

لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (44)

{لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ}

أي لجهنم سبعة أطباق بعضها فوق بعض، وكلُّ طبق يسمى دَرَكا، ينزلها الغاوُون بحسب تفاوت مراتبهم في الغواية والمتابعة.

{جُزْءٌ مَقْسُومٌ}

فريق معيَّن من الأتباع الغاوين مفرَزٌ من غيره؛ من القَسْم، وهو إفرازُ النصيب. يقال: قسمت كذا قَسْما وقِسمة، فرزته. وقسَمه يقسِمه وقسَّمه: جزأه. وقَسَم الدهر القوم: فرقهم؛ كقسَّمهم.

.45

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (45)

.46

ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (46)

.47

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (47)

{مِنْ غِلٍّ}

حِقد وضغينة. وأصله من الغِلالة، وهي ما يُلبس بين الثوبين: الشِّعار والدِّثار. أو من الغَلَل، وهو الماء المتخلل بين الشجر. وهو إشارة إلى أنهم يُنْشأون في الآخرة نشأة أخرى صالحة غير النشأة الدنيوية.

.48

لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (48)

{نَصَبٌ}

إعياء وتعب. يقال: نَصِب ينصَب، أعْيا. ونَصِب الرجلُ؛ ومنه عيش ناصبٌ: فيه كد وجهد.

.49

نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (49)

.50

وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (50)

.51

وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (51)

{ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ}

هم الملائكة الذين نزلوا عنده ضيوفا بِصُوَر آدمية وبشروه بالولد، ثمَّ أخبروه بأنهم أرسلوا لإهلاك قوم لوط.

والضيفُ: يُطلق على الواحد والجمع، وهو في الأصل مصدرُ ضافه، أي أماله.

.52

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (52)

{وَجِلُونَ}

ه خائفون لدخولهم بغير إذن، وفي غيرِ وقت دخول الضيف، وامتناعهم من أكل طعامه؛ من الوَجَل، وهو استشعار الخوف [آية 2 الأنفال].

.53

قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (53)

.54

قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (54)

.55

قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (55)

{الْقَانِطِينَ}

الآيسين من خَرْق العادة لك، من القُنوط، وهو اليأس من الخير.

.56

قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (56)

.57

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (57)

{فَمَا خَطْبُكُمْ}

ما شأنكم الذي أرسلتم لأجله سوى هذه البشارة [آية 51 يوسف].

.58

قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (58)

.59

إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (59)

.60

إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (60)

{إِلَّا امْرَأَتَهُ}

استثناء من الضمير في {لَمُنَجُّوهُمْ}.

{قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ}

علمنا أو قضينا أنها من الباقين في العذاب؛ من التقدير بمعنى الحُكم. وإسنادُ الملائكة الفعل إلى أنفسهم مجازٌ، على حد قول خاصة المَلِك: نحن فعلنا؛ وإن كانوا فعلوه بأمر الملك.

{الْغَابِرِينَ}

من غَبَر بمعنى بَقِيَ [آية 83 الأعراف].

.61

فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (61)

.62

قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (62)

{قَوْمٌ مُنْكَرُونَ}

أنكركم ولا أعرفكم.

.63

قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (63)

{بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ}

أي بالعذاب الذي كانوا يشكون أنه نازل بهم ويُكذِّبونك فيه.

.64

وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (64)

.65

فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (65)

{فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ .. }

سِرْ بهم في طائفة من الليل، أو ظلمة آخره [آية 81 سورة هود].

{بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ}

بطائفة منه أو من آخره.

{وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ}

كُنْ على أثرهم؛ لتطَّلع عليهم وعلى أحوالهم.

.66

وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (66)

{وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ}

أوحينا إليه.

{أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ}

أي آخرهم [آية 45 الأنعام].

{مُصْبِحِينَ}

أي داخلين في الصباح، من أصبح التّامة، وصيغةُ أفعل تأتي للدخول في الشيء؛ نحو أنجَدَ وأتْهَم: أي دخل في نجد وفي تهامة.

.67

وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (67)

.68

قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (68)

.69

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ (69)

{وَلَا تُخْزُونِ}

لا تذِلُّوني بالتعرُّض بالسوء لهم [آية 78 هود].

.70

قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (70)

{عَنِ الْعَالَمِينَ}

عن اجارة أو ضيافة أحد منهم.

.71

قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (71)

{هَؤُلَاءِ بَنَاتِي}

يريد نساءهم، أو بناته حقيقة؛ فباشِروهُنَّ بالعقد المشروع [آية 78 هود].

.72

لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (72)

{لَعَمْرُكَ}

قسم من الله تعالى بحياة محمد صلى الله عليه وسلم، أو من الملائكة بحياة لُوط عليه السلام. والعَمْر– بفتح العين – : لغة في العُمر بضمها – ومعناهما: مدة حياة الإنسان وبقائه؛ والتُزِم الفتح في القسم. و (عَمْر) مبتدأ خبره محذوف وجوبا، تقديره: قَسمي

أو يميني، أو نحوه.

{إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ .. }

غَوايتهم. أو شِدّة غُلمتهم التي أزالت عقولهم، وتمييزهم بين القبيح والحسن.

{يَعْمَهُونَ}

يترددون حياري [آية 15 البقرة].

.73

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (73)

{فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ}

صَيْحة السماء، وكلُّ شيء أهلك به قوم فهو صيحة وصاعقة [آية 67 هود].

{مُشْرِقِينَ}

أي داخلين في وقت

الشروق. فكان ابتداء العذاب عند الصبح، وانتهاؤه وقت الشروق.

.74

فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (74)

{مِنْ سِجِّيلٍ}

طين متحجر [آية 82 هود]

.75

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (75)

{لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ}

للمتفكرين، المتفرسين الذين يتثَبَّتون في نظرهم حتى يعرفوا حقائق الأشياء بسماتها. تَفَعُّلٌ من الوَسم، وأصله التثبتُ والتفكُّر، مأخوة من الوَسْم وهو التأثير بحديدة محماة في جلد البعير أو غيره.

.76

وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ (76)

{وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ}

وإن قُرى قومِ لوطٍ المُهلَكة لفي طريق مُعْلم واضح يراه كل مجتاز به إلى الشام، كما قال تعالى: {وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (137) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (138)} [الصافات].

.77

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (77)

.78

وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (78)

{أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ}

أصحاب الغَيضة، وهي الشجر الملتفُّ. والمراد بها: البقعة الكثيفة الأشجار التي كانت فيها مساكنهم قرب مدينَ قريةِ شعيب عليه السلام. وكانوا مع كفرهم يقطعون الطريق، وينقصون المكيال والميزان فأهلكهم الله [آية 85 الأعراف]

.79

فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ (79)

{وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ}

أي وإن قرى قوم لوط ومساكن قوم شعيب لبطريق واضح يأتمُّون به في سفرهم، ويهتدون به إلى الموضع الذي يريدونه.

.80

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (80)

{أَصْحَابُ الْحِجْرِ}

هم ثمودُ قومُ صالح عليه السلام. والحِجْرُ: واد بين الشام والمدينة، كانوا يسكنونه وله آثار باقية. والحجرُ في الأصل: كلُّ ما أحيط به الحجارة.

.81

وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (81)

.82

وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ (82)

.83

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (83)

{مُصْبِحِينَ}

داخلين في وقت الصباح.

.84

فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (84)

.85

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (85)

.86

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (86)

.87

وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (87)

{وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي}

أي أنزلنا عليك سبعاً من المثاني: هي فاتحة الكتاب، وآياتها سبعة، آخرها {غير المغضوب عليهم} إن لم تُعَدُّ البسملة آية منها، فإن عُدَّت آية منها فالآية السابعة {صراط الذين أنعمت عليهم} إلى آخرها. وسُميت المثانيَ لأنها تُثنى في كل صلاة بقراءتها، أو لأنها أُثنيَ بها على الله؛ إذ جمعت الحمد والتوحيد ومُلْكه يوم الدين. والمثاني: جمع ثَنيٍ ومِثَناة –بفتح الميم وكسرها، من تثَنى الشيء ثنيا: إذا رد بعضه على بعض؛ فهي بمعنى طاقات الشيء التي يعطف بعضها على بعض.

{وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} معطوف على سبعة من عطف الكل على جزئه.

.88

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (88)

{لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ .. }

أي لا تطمح نفسُك إلى ما متَّعْنا به

{أَزْوَاجًا مِنْهُمْ}

أصنافا من الكفار من متاع الدنيا وزينتها؛ فإنه مستحقرٌ بالنسبة لما آتيناك من عندنا.

{وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ}

تواضع وألن جانبك.

.89

وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (89)

.90

كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (90)

{كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ}

أي ولقد أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب المقتَسِمين.

.91

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (91)

{الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ}

الذين جعلوا القرآن أجزاء وأعضاء لفرط عنادهم، فجعلوا ما يوافق كتابهم حقا، وما يخالفه باطلا، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه. فقوله: {كَمَا أَنْزَلْنَا} متعلق بقوله: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ} لأنه في معنى أنزلنا عليك. و {عِضِينَ} أي أجزاء وأعضاء متفرقة؛ من عضَّيت الشيء تعضية، أي فرقته وجعلته أجزاء، كل فرقة عِضَة، بوزن عِزَة. وأصلها عِضوة كعِزوة. أو جعلوه أكاذيب فأكثروا البَهْت والكذب عليه. جمع عِضة بمعنى الكذب والبهتان؛ من العَضْه، وهو أن يقول الإنسان في غيره ما ليس فيه. يقال: عَضَه عَضَها، رماه بالكذب. وقد أعْضهتَ: أي جئت بالبهتان.

92.

فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92)

93.

عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)

94.

فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (94)

{فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ}

أظهره واجْهَرْ به. يقال: صدع بالحجَّة، إذا تكلم بها جهارا. أو افرق بين الحق والباطل؛ من الصدع بمعنى الشق والفَرْق. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفيا بالدعوة، حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه معلنين بها لا يبالون بالمشركين، كما قال تعالى: {وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}.

95.

إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (95)

{إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ}

تولينا إهلاكهم، مِن كفيت فلان المئونة: إذا توليتها له ولم تُحوجه إليها.

96.

الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (96)

97.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (97)

98.

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (98)

{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ}

فافزع إلى الله تعالى فيما أنابك من ضيق الصدر بالتسبيح والتحميد، يكفك ويكشف الغَمَّ عنك.

.99

وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (99)

{الْيَقِينُ}

أي الموت.

والله أعلم.

سورة النحل

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (1)

{أَتَى أَمْرُ اللَّهِ .. }

قَرُب ودنا ما وَعَد الله به نبيه صلى الله عليه وسلم، من النصر على الأعداء، والانتقام منهم بالقتل والسبي واستئصال الأموال، والاستيلاء على المنازل والديار. أو قَرُب مجيءُ يوم القيامة الذي فيه عذاب المنكرين. وأُبرزَ المتوقَّعُ في صورة الواقع لتحقُّقه ولصدق المخبر به.

{فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ}

أي الأمر فإنه واقع لا محالة. وكان الكفار يستعجلون الموعودَ به استهزاء.

{سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}

تنَزَه وتعاظم بذاته وصفاته عن إشراكهم المؤدِّي إلى صدور تلك الأباطيل عنهم. أو عن أن يكون له شريكٌ فيدفع ما أراد الله بهم. وكانوا يقولون: إن صح مجيءُ يوم القيامة فإن الأصنام تشفع لنا فيه.

.2

يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (2)

{يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ}

بالوَحي، أي الموحَى به الذي من جملته التوحيد، كما في قوله تعالى: {يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} [غافر:15]؛ وإطلاق الرُّوح عليه مجاز؛ لأن – بالوَحي تحيا القلوب الميّتةُ بداء الجهل والضلال، كما أن بالروح حياة الأبدان. والمرادُ بالملائكة: جبريلُ عليه السلام رسول الوحي ومن معه من حفظة الوحي. وقيل: جبريل خاصةً، والواحدُ يسمَّى باسم الجمع إذا كان رئيسا عظيماً.

.3

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (3)

{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ .. }

شروع في بيان أدلة التوحيد، و اتّصاف ذاته العليَّة بصفات الجلال والإكرام، والتنبيه على أن كل واحد منها كان في صرف المشركين عما هم فيه من الشرك. والمراد بالسماوات والأرض العالم العُلوي والسُّفليُّ. وخلْقُها بالحق: إيجادُها متلبساً بما يَحِق له بمقتضى الحكمة البالغة.

.4

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (4)

{خَلَقَ الْإِنْسَانَ .. }

أي هذا النوع غيرَ الفَرْد الأول منه وهو آدم عليه السلام

{مِنْ نُطْفَةٍ}

أي من مَني، وأصلُها الماء الصَّافي أو قليل الماء الذي يبقى في الدلو أو القربة؛ كالنُّطافة. وجْمُعها نُطَفٌ ونطاف. يقال: نطفَت القربة – من باب قتل وضرب– إذا قطرت؛ مِن النَّطف بمعنى السيلان والتقاطُر.

{فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ}

مُخاصم ومُجادل في البَعث مع خلْقِه من نطفة مهينة؛ ينكر على خالقه القدرة عليه و يقول: { ... مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78)} [يس].

{مُبِينٌ}

بين الخصومة ظاهرها. يقال: خَصِم الرجل يَخْصَم – من باب تَعِب – إذا أحكم الخصومة، فهو خَصِم وخصيمٌ.

.5

وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5)

{وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا}

بعد أن ذكر خلق السموات والأرض ثم خلْقَ الإنسان، ذكر ما ينتفع به الإنسان، وبدأ بذكر الحيوان المنتفع به وهو الأنعام: الإبل والبقر والغنم.

{لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ}

الدفءُ: السُخونة؛ ويقابله حِدَّة البرد. ويطلق على ما يُدفيءْ من الأصواف والأوبار. وعلى نتاج الإبل وألبانها وما يُنتفع به منها. يُقال: دَفِيءَ الرجل – من باب طَرِب – فهو دَفِيءٌ –كتَعِب – ودَفان وهي دفأي؛ كغضبان وغضبى.

.6

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6)

{وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ}

زينة وعظمة ووجاهة عند الناس

{حِينَ تُرِيحُونَ}

حين تردُّونها بالعشي من مسارحها إلى مراحها. يقال: أراحَ الماشية يريحها إراحة. إذا ردها إلى المراح: وهو منزلها الذي تأوي إليه وتروح عشِية.

{وَحِينَ تَسْرَحُونَ}

حين تخرجونها غُدوة من مراحها إلى مسارحها ومراعيها. يقال: سَرحت الماشية أسرحها سرحاً وسُروحا، أي أخرجتها بالغداة إلى المرعى؛ وسرحتْ هي وسرّح فلان ماشيته يُسرّحها تسريحا: إذا أخرجها للمرعى غُدوة.

.7

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (7)

{وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ .. }

أي وتحمل الإبلُ أحوالكم الثقيلة إلى بلد لم تكونوا بالغيه بها إلا بمشقة أنفسكم وعنائها، أو إلا بذهاب نصف أنفسِكم، أي نصف قوتكم. والأثقال: جمع ثِقْل. وهو ما يُثقل الإنسان حملُه من متاع وغيره. والشِّق–بالكسر–: المشقة. ومن كل شيء: نِصفه. وقرئَ الشين بمعنى المشقة أيضا. وقيل: المفتوح المصدر، والمكسورُ الاسمُ.

.8

وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8)

{وَالْخَيْلَ .. }

ثم ذكر أنواع أخرى من الحيوان المنتفع به.

{وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}

ويخلق لكم غير ذلك أشياء ترتفقون بها، وتنتفعون بثمراتها في الدنيا، لا تعلمونها الآن ولا تخطر لكم ببال، وستعلمونها حين يجيء الوقت المقدر لخلقها؛ والله عليم خبير.

.9

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (9)

{وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ}

بيان طريق الهدي بِنَصب الدلائل عليه وإرسال الرُسل، وإنزال الكتب لدعوة الناس إليه. والسبيل: الطريق. والقَصْد منه: هو المستقيمُ الذي لا اعوجاج فيه وهو الإسلام. يقال: سبيلٌ قصدٌ وقاصدٌ، أي مستقيم؛ كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالكُ ولا يعدل عنه، فهو نحو: طريق سائرٌ.

{وَمِنْهَا جَائِرٌ}

أي ومن جنس السبيل سبيلٌ معوجٌّ منحرف عن الحق: و هو ملَل الكفر ونِحَل أهل الأهواء الضالة، من الجَوْر ضد العدل وضد القَصْد.

.10

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (10)

{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ .. }

شروع في ذكر أنواع أخرى من

النِّعم على الإنسان والحيوان.

{وَمِنْهُ شَجَرٌ}

أي ومن الماء ينبت شجر وهو ما ترعاه الماشية.

{فِيهِ تُسِيمُونَ}

أي تَرْعون دوابكم يقال: أسام فلان ابلَه يُسيمها اسامة، إذا أخرجها إلى المَرْعى: وسامت هي تسوم سَوْما: إذا رعَت حيث شاءت. وأصل السَّوم: الإبعاد في المرعى.

.11

يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (11)

.12

وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (12)

{وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ .. }

بيانٌ لأنواع أخرى سماوية وأرضية مما خُلق لنفع الإنسان.

{وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ}

بتدبيره الجاري على وَفق مشيئته تعالى. والجملة مبتدا وخبر، والجار والمجرور متعلق بالخبر.

.13

وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (13)

{وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ}

معطوف على {وَالنُّجُومُ} أي وما خلق لأجلكم في الأرض من حيوانٍ ونبات و معادنَ، حال كونه {مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ}

أي أصنافه وأنواعه في الخِلقة والهيئة، والخواصِ والمنافع.

.14

وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (14)

{وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ .. }

بيان لنوع آخر مما خلق للانتفاع به وهو البحار.

{تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ}

من البحر الملح خاصة.

{حِلْيَةً}

بالكسر: ما يتحلى به نساؤكم ويَتَزَيَّن به كاللؤلؤ والمرجان. وجمعها حَلّي وحُلى. أما جمع الحَلْي – بفتح فسكون فهو حُليّ.

{وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ}

جواريَ في البحر، تشق الماء شقاً. يقال: مَخَرت السفينة تَمْخَر وتَمخُرُ مَخراً ومُخُورا، إذا جرت تشق الماء بمقدَّمها.

وأصل المَخْر: الشق. يقال: مخر الماء الأرض، إذا شقها.

.15

وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (15)

{رَوَاسِيَ .. }

جبالا ثوابت.

{أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ}

كراهة أن تميدَ، أو لئلا تميد؛ اي تميل بكم وتضطرب. يقال: مادت السفينة تميدُ ميداً، إذا تحركت ومالت. ومادت الأغصان:

تمايلت.

.16

وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (16)

{وَعَلَامَاتٍ}

معالم الطرق تهتدون إليها.

.17

أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (17)

{أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ}

من هذه الآية إلى آية 29، ومن آية 33 إلى آية 39 في مُحاجة عبدة الأصنام ومنكري البعث، بعد بيان دلائل القدرة الباهرة والوحدانية، وخلق هذه النّعم الوافرة التي يتقلب فيها العباد. أي: أفمن يخلق هذه المخلوقات البديعة وغيرها كمن لا يخلق شيئا! فكيف تعبدون من لا يستحق العبادة، وتتركون عبادة من يستحقها وهو الله وحده!؟.

.18

وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (18)

{لَا تُحْصُوهَا}

لا تطيقوا حصرها لعدم تناهيها.

.19

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (19)

.20

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (20)

.21

أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (21)

.22

إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (22)

.23

لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (23)

{لَا جَرَمَ}

حق وثبت أن الله يعلم [آية 22 هود].

.24

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (24)

{أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}

أباطيلُهم وتُرّهاتُهم. جمع أسطورة، كأعاجيب وأعجوبة [آية 25 الأنعام].

.25

لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (25)

{لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ .. }

آثامَ ضلالهم كاملة، ويحملوا معها آثام إضلالهم لأتباعهم؛ فضاعف لهم العذاب على الضلال والإضلال.

{بِغَيْرِ عِلْمٍ}

أي من المضِلين بما يستحقونه من العقاب الشديد على الإضلال، بل يُقدمون عليه جهلاً منهم بما يستحقُّونه منه.

.26

قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (26)

{الْقَوَاعِدِ}

الدعائم والعمد، أو الأساس.

.27

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (27)

{تُشَاقُّونَ فِيهِمْ}

تُخاصمون المؤمنين في شأنهم، وتزعمون أنهم شركاء حقا.

{إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ}

أي الذل والهوان يوم القيامة

{وَالسُّوءَ}

أي العذاب {عَلَى الْكَافِرِينَ} وأبدل منهم: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ} [الاية اللاحقة] أي توفتهم. وعبر بالمضارع حكاية للحالة الماضية.

.28

الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (28)

{الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ}

توفتهم، وعبر بالمضارع حكاية للحالة الماضية.

{فَأَلْقَوُا السَّلَمَ}

فاستسلموا لأمره تعالى وانقادوا حين رأوْا عذاب الآخرة، وجحدوا ما كان منهم في الدنيا من الشرك والعصيان، وقالوا كاذبين: {مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ} وهو- كما قالوا -: { .. وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (23)} [الانعام]. فرد الله أو الذين أوتوا العلم عليهم بقولهم: {بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}

فيجازيكم عليه؛ ولا ولايجديكم نفعا إنكاركم له!.

.29

فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (29)

{فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ}

أي فَلَبِئس مقام المتعاظمين، عن الإيمان بالله: جَهَنّم.

.30

وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (30)

{حَسَنَةٌ}

أي مثوبة حسنة جزاء إحسانهم.

.31

جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (31)

.32

الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32)

{طَيِّبِينَ}

طاهرين من دنس الشرك والمعاصي.

{ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}

هو نظير قوله تعالى: {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (72)} [الزخرف]. أي بسبب أعمالكم الصالحة؛ وسببيّتُها عادية، والسبب الحقيقي فضل الله ورحمته بقبولها وجعلها سبباً.

.33

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (33)

{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ}

[البقرة:210،الأنعام:197].

{أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ}

أي القيامةُ التي فيها عذابهم، أو العذاب المستأصل لهم في الدنيا.

.34

فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (34)

{حَاقَ بِهِمْ}

أحاط أو نزل بهم.

.35

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (35)

{وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا}

هو كقوله تعالى: {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا} [الأنعام:148].

.36

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (36)

{وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}

[البقرة:256،النساء:51].

{حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ}

وجبت عليه بالقضاء السابق حتى مات، مُصِرا على الكفر.

.37

إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (37)

{إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ}

أي إن تطلب بجُهدك هداهم لم تقدر عليه، فإن الله لا يهدى من يخلُق فيه الضلالة بسوء اختياره، وفساد استعداده.

يقال: حَرَص عليه – ضرب وسمع –، إذا اجتهد.

والاسمُ الحِرص؛ بالكسر.

.38

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (38)

{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ}

أكَّدوا الأيمان وشددوها بأقصى وسعهم [آية 53 المائدة].

.39

لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (39)

.40

إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (40)

{إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ}

أي إنما إيجادنا لشيء عند تعلق مشيئتنا به أن نوجده في أسرع ما يكون [آية 117 البقرة]. والآيةُ لتقرير إمكان البعث. وقيل: لبيان كيفية التكوين مطلقا؛ ومنه التكوين في الإعادة.

.41

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41)

{هَاجَرُوا فِي اللَّهِ}

أي في سبيل الله ابتغاء مرضاته وإعلاء لكلمته.

{لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً}

لنُنزِلنَّهم في الدنيا دارا حسنة وهي المدينة [آية 74 الأعراف].

.42

الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (42)

.43

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43)

.44

بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (44)

{بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ}

أي أرسلناهم بالمعجزات للدلالة على صدقهم، وبالكتب لبيان الشرائع والتكاليف. يقال: زَبَرت الكتابَ – من باب نصر وضَرَب– أي كتبته كتابة عظيمة. والزُّبر: جمع زَبور بمعنى مزبور: وهو الكتاب.

{لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ}

من الأحكام والشرائع وأحوال القرون الماضية، وأسرار القرآن وعلومه – بيانا شافيا وافياً، فكانت السُّنن مفسِّرة للقرآن.

.45

أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (45)

{أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ}

يُهلكهم بالخَسف وهو التغييب في الأرض، أو تغييب الأرض بهم. يقالُ: خسف الله به الأرض خسوفا، غيّبه فيها. وخَسَف هو في الأرض وخُسِف به.

.46

أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (46)

{أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ}

أي يصيبَهم العذاب في أسفارهم. والأخذُ في الأصل: حوْزُ الشيء وتحصيله، والمراد به: القهر والإهلاك. والتقلبُ: الحركة إقبالاً وإدباراً، والمراد الأسفار.

{بِمُعْجِزِينَ}

فائتين من عذاب الله بالهرب.

.47

أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (47)

{أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ}

على مخافةٍ وحذر من أن يهلكوا كمن هلك قبلهم. أو من الهلاك لظهور أماراته. أو على تَنَقِص شيئا فشيئا في الأموال والأنفس والثمرات حتى يُهلكهم جميعا. يقال: تخوفته إذا تنقصته.

.48

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (48)

{أَوَلَمْ يَرَوْا .. }

أي أعَموا ولم يروا ما خلق الله من الأشياء ذوات الظلال – كالجبال: والأشجار ونحوها – تنتقل ظلالها وترجع من جانب إلى جانب فتكون أول النهار على حال، وآخره على حال، أو تكون قبل الزوال على حال، وأثناءه على حال، وبعده على حال، منقادةٌ في كل ذلك لله، جارية على ما أراده لها من امتداد وتقلص، غير ممتنعة عليه سبحانه فيما سخرها له؛ وهو المراد: بسجودها. والتَّفيُّؤُ: تفعُّل: من فاء يفيء إذا رجع. وفاء لازم ويعدى بالهمزة، كأفاءه الله؛ وبالتّضعيف نحو فيا الله الظلَّ فتفيأ. فتفيُّؤ الظلال: رجوعها بعد انتصاف النهار؛ فلا يكون إلا بالعشي، والظل يكون بالغداة، وقيل مطلقا

{سُجَّدًا لِلَّهِ}

منقادة لحكمه وتسخيره تعالى.

{وَهُمْ دَاخِرُونَ}

أي وهذه الأشياء ذوات الظِّلال أذلاءُ منقادون لحكمه تعالى. يقال: دَخَر يدْخر دُخُرا، ودَخِر يدخَر دَخَرا: صَغُر وذل. وأدْخره فدَخر: أذله فذَل وجُمعت جمع العقلاء لوصفها بصفتهم، وهي الانقياد والطاعة.

.49

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (49)

{وَلِلَّهِ يَسْجُدُ}

سجود المؤمنين والملائكةِ لله تعالى سجودُ طاعة وعبادة، وسجود غيرهم سجود خضوع وتسخير؛ بمعنى أنها لا تستطيع أن تستعصي على ما يريده منها.

.50

يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (50)

.51

وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (51)

{فَارْهَبُونِ}

أي إن رَهبتم شيئا فايَّايَ ارهبوا، أي خافوا؛ من الرهبة وهي خوف معه تحرز.

.52

وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (52)

{وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا}

ولهُ العبادةُ أو الطاعة والانقياد دائما. أو واجباً لازما. يقال: وصبَ الشيء يصِب وصُوبا، دام وثبت، كأوصب.

ووصب على الأمر: واظب عليه. ووصب الدَّيْن: وجب و (واصبا) حال من الضمير في (لَهُ).

.53

وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (53)

{فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ}

ترفعون أصواتكم بالتضرُّعِ في كشفه. يقال: جأر يجأر جَأْرا وجُوارا،

رَفع صوتهُ بالدعاء وتضرعَ واستغاث. وأصلُه صياح الوحش.

.54

ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (54)

.55

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (55)

.56

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ (56)

{وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ}

أي لآلهتهم التي ليس من شأنها العلم؛ لكونها جمادات لا تحس ولا تشعر.

{تَفْتَرُونَ}

تَكْذبونه على الله.

.57

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (57)

.58

وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58)

{وَهُوَ كَظِيمٌ}

مملوءٌ غيظاً وغماً [آية 134 آل عمران، 84 يوسف].

.59

يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (59)

{يَتَوَارَى}

يستخف ويتغيب

{عَلَى هُونٍ}

على هوان وذل.

{أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ}

يخفيه فيه. والمرادُ: أنه يئده ويدفنه حيا حتى يموت. أو يهلكه مطلقا، وكانوا يفعلون ببناتهم ذلك. من الدَّس. وهو إخفاء الشيء في الشيء، وبابُه ردَّ.

.60

لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (60)

{مَثَلُ السَّوْءِ}

ه أي صفة السَّوْء التي هي كالمَثَل في القبح والسوء. وهي كراهة الإناث ووأدهُنَّ خشية الإملاق أو العار [آية 98 التوبة].

.61

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (61)

.62

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ (62)

{لَا جَرَمَ}

أي حقَّ وثبت {أَنَّ لَهُمُ النَّارَ} [أية 22 هود].

{وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ}

مقدَّمون يُعجَّل بهم إلى النار. يقال: أفرطته إلى كذا، وهو مُعدى بالهمزة؛ من فَرَط إلى كذا تقدم إليه. أو منسيُّون مُتركون في النار أبدا، من أفرطت فلانا خلفي: تركته ونسيته.

.63

تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (63)

.64

وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (64)

.65

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (65)

.66

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (66)

{لَعِبْرَةً}

لَعِظةً؛ من

العبور [آية 13 آل عمران].

{مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ}

هو الأشياء المأكولة المنهَضمة بعض الانهضام في الكرش؛ فإذا خرجت من الكرش سُمِّيت رَوثاً.

.67

وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (67)

{وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ}

أي ومن ثمراتها ثمرٌ {تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا}

أي خمرا {وَرِزْقًا حَسَنًا}

وهو نحو الزبيب والتمر والدبس والخل، والسَّكر كالسُّكر: مصدر سُمي به الخمر. وقد كانت حين الامتنان بها حلالاً، إذ السُّورة مكية، والتحريم في سورة المائدة وهي آخر السُّوَر نزولاً بالمدينة [آية 90]. وفي الآية إشارة إلى عدم حُسنها لمقابلتها بالرزق الحسن.

.68

وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68)

{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ .. }

لما ذكر الله تعالى من دلائل قدرته وبديع صنعته إخراج اللبن من بين فَرْث ودمٍ وإخراج السَّكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب، ذكر في هذه الآية إخراج العسل – وهو شفاء للناس – من طائر ضعيف وهو النّحل.

{بُيُوتًا}

أوكارا تبنيها لتعسل فيها.

{وَمِمَّا يَعْرِشُونَ}

أي يبنون للنحل من الخلايا. يقالُ: عَرَش يَعْرِش ويعرُش، أي بنى عريشا. كأعرش وعرَّش؛ من العَرش وهو سقف البيت. ومنه عرشت الكَرْم وعَرَّشته، إذا جعلت له كهيئة السقف لرفعه عن الأرض. والمراد: أنه تعالى الهم النحل أن تتَخذ بيوتاً من الشمع الذي تمُج فيه العسل شيئا فشيئا، في كهوف الجبال وفي متجوف الأشجار، وفي الخلايا التي يبنيها الناس لذلك. ولولا هذا الإلهام لم تأوِ إلى هذه الأماكن ولم تمج فيها العسل. وفي بنائها هذه البيوت الدقيقة المحكمة البديعة؛ من مسدسات متساوية الأضلاع لا خلل فيها ولا تفاوت؛ وفي غدوّها لأقتطاف الأزاهير والثمار، ورواحها إلى خلياتها من مسافات بعيدة دون أن تخطئها، وفي تنصيب أمة النحل في الخلايا مَلِكة عليها نافذة الحكم والسلطان، وإقامة حاجب على كل خلية يحرُسها، ولا يمكن غير أهلها من الدخول فيها؛ مع صغر حجم النحلة وضعف بنيتها، ودأبها على العمل بنظام دقيق – أدلة متضافرة على كمال قدرة مَبدعها، وبداعة صُنع ملهمها. وكم في هذه المخلوقات الصغيرة من عجائب ودلائل كالنمل والعنكبوت والذباب: { .. إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (73) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (74)} [الحج].

.69

ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69)

{سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا}

مذللة، ذللها الله تعالى وسهلها لك. جمع ذَلول، وهو حالٌ من (سُبل) أي الطرق التي هداها إليها وهي راجعة إلى خلاياها وبيوتها.

{شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ}

تَبعاً لاختلاف سن النحل صغرا وكبرا، ولاختلاف المرعي.

{فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ}

أي في العسل شفاء للمرضى الذين يَنجع العسل في أمراضهم، وذلك من نعمه تعالى، إذ خلق الداء والدواء، وسَنَّ التداوي لعباده.

.70

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (70)

{أَرْذَلِ الْعُمُرِ}

أخسّه وأحقره، وهو وقت الهَرَم الذي تنقص فيه القوى وتضعف، ويكون حال الإنسان فيه كحالته وقت الطفولة، من ضَعف العقل والقوة , وهو كقوله تعالى: {وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ (68)} [يس]. وليس لذلك سنٌ معينة على الصحيح.

.71

وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (71)

{وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ}

مثلٌ ضربه الله للذين جعلوا له شركاء. فقال لهم: إنكم لا ترضون أن تُسوُّوا بينكم وبين مماليككم فيما أنعمتُ به عليكم من الأرزاق، ولا أن تجعلوهم فيه شركاء، فكيف رَضيتم أن تجعلوا عبيدي شركاء لي في ملكي وسلطاني!

.72

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (72)

{وَحَفَدَةً}

أي أولادَ أولادٍ. أو أعوانا وخَدَما، يحفدون في مصالحكم ويعينونكم. يقال: حَفَد يَحفِدُ حَفدا وحفودا، إذا أسرع في الخدمة والطاعة؛ ومنه: (وإليك نسعى ونَحْفِد) أي نسرع إلى طاعتك.

.73

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (73)

.74

فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (74)

{فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ}

جمعُ مثل – بالسكون –. أي فلا تجعلوا له أمثالا وأكفاء: فهو كقوله تعالى: { .. فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22)} [البقرة]. أو جمع مَثَل – بالتَّحريك –: أي فلا تُشبهوه بخلقه ولا تُشركوا به أحدا.

.75

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (75)

{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا}

أي مثلُكم في إشراككم بالله الأوثان. كمثل من سوَّى بين عبد مملوك عاجز عن التَّرف في أي شيء، وبين حُرٍ كريم قد رزقه الله مالا طيبا كثيرا فهو يتصرف فيه كما يشاء. فهل يستوي العبدُ والحرُ الموصوفان بهذه الصفات، مع أنهما مشتركان في البشرية والمخلوقية لله تعالى!؟ وأن ما ينفقه الحر لا دخل له في إيجاده ولا تملُّكه وإنما أعطاه الله إياه؛ فإذا لم يستويا مع ذلك فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون معه الأصنام!؟ والأوّل مثل للصنَم. والثاني مَثَل الله العلي الاعلى.

.76

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (76)

{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ}

أي ومثل هؤلاء في إشراكهم بالله هذه الأوثان – مثلُ من سوَّى بين رجلين: أحدهما
أخرس أصمُّ لا يَفهَم ولا يُفهِم ولا يقدر على شيء، وهو عيال على من يلي أمره ويعولُه، حينما يرسله لأمر لا يأتي بِنُجح ولا يكفي لِمُهِم والآخرُ منطيقٌ فَهِمٌ ذو رشد ورأي، يكفي الناس في مهماتهم وينفعهم، يحثهم على العدل، وهو في نفسه على صراط مستقيم وسيرة صالحة، ولا يتوجه لغرض إلا ويبلغه بأقرب سَعيٍ.

{أَبْكَمُ}

أي وُلد أخرس.

{كَلٌّ}

ثقلٌ وعيالٌ على غيره. أو ثقيلٌ لا خير فيه؛ وجمعه كُلُول.

.77

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (77)

{كَلَمْحِ الْبَصَرِ}

أي وما شأن السَّاعة في سُرعة مجيئها إلا كفتح العين. يقال: لمحتُ الشيء ألمَحُه لَمْحاً، نظرت إليه باختلاس البصر. ولَمَحه لَمَحاً ولَمحانا: إذا نظره بسرعة، أو كرَجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها.

{أَوْ هُوَ أَقْرَبُ}

أي بل هو أقرب من ذلك وأسرعُ. والمقصود: تمثيل سرعة المجيء على وجه المبالغة.

.78

وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (78)

{وَالْأَفْئِدَةَ}

جمع فؤاد، وهو وسط القلب. والفؤادُ من القلب كالقلب من الصدر.

.79

أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (79)

.80

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (80)

{يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ}

تجدونها خفيفه الحمل وقت سفركم، ووقت نزولكم وإقامتكم في مسيركم. يقال ظعَن يظعَن ظعنا وظَعَنا، سار.

{وَمِنْ أَصْوَافِهَا}

أي وجعل لكم من أصوافها

{وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا}

متاعا كثيرا لبيوتكم من الفَرش والأكسية ونحوها، من أثَّ يَئِثُّ – مثلثة الهمزة – أثاثةً وأثاثا، إذا كثر وتكاثف.

{وَمَتَاعًا}

وشيئا تنتفعون به في المتجر والمعاش [آية 36 البقرة]. وقيل: الأثاثُ والمتاع شي واحد، وجمع بينها لاختلاف لفظهما.

.81

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (81)

{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا}

أي ما تستظلُّون به من شدة الحر، من الغمام والجبال والأشجار ونحوها.

{وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا}

أماكن تستكنُّون فيها، وهي الكهوف والغيرانُ والأسراب. أو حصوناً ومعاقل تسترون فيها. جمع كِن وهو وقاء كل شي ء وسِتره. يقال: كنَّه وكنَّته، ستره. ويجمع أيضا على اكِنَّة.

{سَرَابِيلَ}

قُمُصاً وثيابا من القطن والصوف والكتان ونحو ذلك.

{تَقِيكُمُ الْحَرَّ}

أي والبرد؛ ففيه اكتفاء لدلالة الكلام عليه. وخُص الحر بالذكر لأهميته عندهم؛ إذ هو أكثر نكاية من البرد.

{وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ}

أي في حَربكم، وهي الدروع ونحوها والبأس: شدّةُ الحرب.

.82

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (82)

.83

يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (83)

.84

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (84)

{وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ}

الاستعتاب: طلبك إلى المسيء الرجوع عن إساءته. والعُتبى: رجوعه عنها إلى ما يُرضيك. وأصل الكلمة من العتب، وهو لومُك صاحبك على إساءة كانت منه إليك؛ فإذا ذَكَّر كل منهما صاحبه بما فَرَط منه كان عتابا ومعاتباً. أي لا يطلب منهم العُتبى. أي الرجوع عما أغضب الله تعالى منهم إلى ما يرضيه؛ إذ الدار الآخرة دار جزاء لا دار عمل وتكليفٍ.

.85

وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (85)

{يُنْظَرُونَ}

يمهلون ويؤخرون.

.86

وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (86)

{فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ}

أي قال الذين اتخذهم الكفار شركاء لله وعبدوهم من دونه {إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ} في زعمكم أننا شركاءُ لله، مبطلون في عبادتكم إيّانا من دونه.

.87

وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (87)

{وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ}

أي الاستسلام والانقيادَ لحكمه في ذلك اليوم، بعد أن كانوا في الدنيا متكبرين عن حُكمه تعالى، ولم تغن عنهم الهتُم شيئا.

.88

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (88)

{زِدْنَاهُمْ عَذَابًا .. }

فلهم عذابان: عذاب على الكفر وعذابٌ على الصد عن سبيل الله.

.89

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (89)

.90

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (90)

{يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ}

العدلُ: كلمة جامعة لمعنى المُماثلة والمساواة والاستقامة والتوسُّط، شاملة للعدْل بين العبد وربِّه؛ بايثار حقه تعالى على حظ نفسه،

وتقديم رضاه على هواه، وامتثال أوامره واجتناب منهياته. وللعَدْل بين العبد ونفسه، بمنعها ما فيه هلاكها وفسادُها.

وللعدل بين العبد والخلق؛ بالإنصاف من نفسه، وبذل النصيحة وترك الخيانة والإساءة إليهم، والصبر على الأذى.

ويتحقق العدل بالتوسط في كل الأمور، بين طرفي الإفراط والتفريط؛ اعتقادا كالتّوحيد المتوسط بين التعطيل والتّشريك. وعملا كالتعبُّد بأداء الواجبات المتوسِّط بين البطالة والترهُّب، وخُلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير. وبالعدل الإلهي قامت السماوات والأرض. والعدل خاصة هذه الأمة، كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} [البقرة:143] أي عدولاً خيارا.

{وَالْإِحْسَانِ}

يُطلق الإحسان على إتقان العمل واكماله، وعلى إيصال النفع إلى الخلق. وهو مَصْدر أحسنَ يُحسن إحسانا؛ فيقال: أحسنت كذا، أي أتقنته وأكملته. وأحسنت إلى فلان: أي أوصلت إليه ما ينتفع به؛ وكلاهما مأمور به شرعا.

{وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ}

أي ما عَظُم قبحه من الذنوب؛ قولا أو فعلا.

{وَالْمُنْكَرِ}

أي ما أنكره الشرعُ، وهو يعمُّ جميع الذنوب والمعاصي.

{وَالْبَغْيِ}

أي التطاول على الناس بالظلم والعدوان.

.91

وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (91)

{وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ}

نزلت في الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الأيمان المؤكدة لها ومنها مبايعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم على الإسلام. وتوكيد اليمين: توثيقها.

{وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا}

أي شاهد رقيبا أو ضامنا. والجملة حال من فاعل {تَنْقُضُوا}.

.92

وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (92)

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ}

مَثَلٌ ضرب لناقض العهود بعد توثيقها. أي ولا تكونوا فيما تُقدِمون عليه من النَّقض كمن أنحتْ على غَزلها بعد إحكامه وإبرامه فنقضته.

{قُوَّةٍ}

إبرام وإحكام.

{أَنْكَاثًا}

حماقه منها جمعُ نِكثٍ وهو ما نقض ليغزل ثانيا. وفعله من باب قتل.

{تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ}

أي

لا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها، متخذين أيمانكم وسيلة للغدر والخيانة، أو للفساد بينكم. والدَّخل: العيْبُ؛ واستعمل فيما يدخل الشيء وليس منه، ثم كنّي به عن الغدر أو الفساد والعداوة المستبطِنة.

{أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ}

أي لأجل وجدانكم جماعة أخرى

{هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ}

أكثر عددا وأعز نفرا من التي عاهدتموها – وكانت قريش تفعل ذلك؛ بل عليكم الوفاء بالعهد وإن قل من عاهدتموهم عن أولئك. و {أَرْبَى}: أزيد عددا وأقوى. يقال: رَبا الشيء يربُو، إذا كثر

{يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ}

يختبركم به هل توفون بعهدكم.

.93

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (93)

.94

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (94)

{وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ .. }

تصريح بالنهي عن اتخاذ الأيمان دخلاً. بعد النهي الضِّمني عنه في الآية السابقة، حيث وقع قيدا لقوله: {وَلَا تَكُونُوا} – مبالغة في قُبْح المنهي عنه. وتمهيدا لقوله تعالى: {فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا} ورسوخها عن محجة الإسلام. وهو مثل يُضرب لكل من وقع في بلية ومحنة بعد عافية ونعمة.

.95

وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (95)

.96

مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (96)

{مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ}

أي ما عندكم من متاع الدنيا ونعيمها يَنقضي ويفنى. يقال: نَفِد الشيء يَنْفد نفاداً ونَفدا ونُفودا. ذهب وفَنِي، ضد بَقِي.

{وَمَا عِنْدَ اللَّهِ}

في الآخرة

{بَاقٍ}

لا يزول ولا يفنى.

.97

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)

{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا .. }

ترغيب للمؤمنين في الإتيان بكل ما كان من شرائع الإسلام.

{حَيَاةً طَيِّبَةً}

في الآخرة، أو في القبر، أو في الدنيا، بالقناعة والرضا بما قسم الله له وقدّره. وذلك شأن كامل الإيمان.

.98

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (98)

{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ .. }

أي فإذا أردت قراءة القرآن فاسأل الله أن يعيذك من وساوس الشيطان؛ حتى لا يصرف قلبك عن التأمل فيه، ولا يُلقي فيه الشُّبه والشكوك، ولا يزين لك الانصراف عنه.

.99

إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99)

{سُلْطَانٌ}

تسلط وولاية.

.100

إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (100)

{يَتَوَلَّوْنَهُ}

يتخذونه وليا مطاعا.

.101

وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (101)

{وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً .. }

رَدٌّ لقول المشركين: إن محمدا يسخَر بأصحابه، يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا، ما هو إلا مفتر يَتقوَّل من تلقاء نفسه. أي وإذا نسخنا آية بآية أخرى.

{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ}

أي بما هو أصلح لخلقه. وبما يُغَيِّر ويبدل من أحكامه؛ فلعل ما يكون مصلحة في وقت؛ يصير مفسدة بعده فينَسَخه. ومالا يكون مصلحة حينئذ، يكون مصلحة الآن فيثبته

مكانه.

{قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ}

تختلقهُ من عندك؛ قال تعالى: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (106)} [البقرة]. ويُبعِدُ حمل الآية على الآية التكوينية صريح هذه الآية وما بعدها، وما وقع في القرآن من نسخ بعض الأحكام إلى بدلٍ وإلى غير بدل.

.102

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (102)

{رُوحُ الْقُدُسِ}

جبريل عليه السلام [آية 87 البقرة].

.103

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (103)

{لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ .. }

أي لغة الذي يُميلون قولهم عن الاستقامة إليه، فيُضيفون إليه أنه يعلِّم النبي صلى الله عليه وسلم – لغةٌ أعجمية غير عربيَّة، وهذا القرآن عربي مبين، أعجزكم بفصاحته وبلاغته، وأنتم أهل اللسن والبيان؛ فكيف يقدر من هو أعجميٌّ على مثله! وأين فصاحة القرآن من عُجمته! والإلحاد: الميل. يقالُ: لَحد وألحد، إذا مال عن القصد؛ ومنه لحد القبر لأنه حفرة مائلة عن وسطه، والمُلحِد لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها. والأعجميُّ منسوب إلى الأعجم وهو الذي لا يُفصح في كلامه، سواء أكان من العرب أم من العجم؛ زيدت فيه ياء النسب توكيدا.

.104

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104)

.105

إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (105)

.106

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (106)

{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ}

مبتدا خبره محذوف؛ تقديرُه: فعليه غضب من الله.

.107

ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (107)

{اسْتَحَبُّوا}

اختاروا وآثروا.

.108

أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (108)

{طَبَعَ}

ختم.

.109

لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (109)

{لَا جَرَمَ}

حقَّ وثبت. أو لا محالة [آية 22 هود].

.110

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (110)

{إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا}

أي إنه لهم لا عليهم؛

بمعنى أنه ناصرُهم لاخاذلهم.

{فُتِنُوا}

عذِّبوا لأجل أن يرتدوا عن الإسلام؛ من الفَتن [آية 102 البقرة].

.111

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (111)

.112

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112)

{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً}

جعل الله قرية موصوفةً بهذه الصفات مثلا لكل قوم أنعمَ الله عليهم بهذه النِّعم فأبطرتهم. وكفروا بالله فانتقم منهم. ويدخل في هؤلاء دخولا أوليا أهل مكة. والمراد بالقرية: أهلُها.

{آمِنَةً}

لايُغار عليهم

{مُطْمَئِنَّةً}

قارَّة بأهلها لا يحتاجون للنُّجعة كما يحتاج سائر العرب.

{رَغَدًا}

واسعا.

{فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ}

فأذاقها الله ما غشيها من صنوف البلاء بسبب صنيعهم؛ وهكذا أهل مكة.

.113

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (113)

.114

فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (114)

.115

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (115)

{الدَّمَ}

المسفوح وهو السائل.

{وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ}

أي الخنزير بجميع أجزائه.

{وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ .. }

[آية 173 البقرة، المائدة:3].

{اضْطُرَّ}

دعته الضرورة إلى التناول منه.

{غَيْرَ بَاغٍ}

غير طالب للمحرم للذة أو استئثار

{وَلَا عَادٍ}

ولا متجاوز ما يسد الرمق.

.116

وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (116)

.117

مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (117)

.118

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (118)

.119

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (119)

{ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ}

بعد أن هدد المشركين على أنواع من قبائحهم كانكار البعث والنبوة، وكون القرآن من عند الله، وتحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله –

بين أن كل ذلك لا يمنع من قبول توبتهم وغفران ذنوبهم إذا تابوا وأصلحوا.

{بِجَهَالَةٍ}

جاهلين بالله وبعقابه، أو غير متدبرين في العواقب لغلبة الشهوات عليهم.

.120

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120)

{كَانَ أُمَّةً قَانِتًا}

أي كان أمةً وحده؛ إذ كان عنده من الخير ما كان عند أمة بأسرها. أو كان منفردا بالإيمان في وقته مدة ما، والناس كلهم كفار.

{قَانِتًا}

مطيعا لله خاضعا له؛ من القنوت وهو الطاعة مع الخضوع.

{حَنِيفًا}

مائلا عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق.

.121

شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (121)

{اجْتَبَاهُ}

اختاره واصطفاه للنبوة [179 آل عمران].

.122

وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (122)

.123

ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (123)

{مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ}

شريعته وهي التوحيد، وهي الإسلام الحنيف المعبَّرُ عنه آنفاً بالصراط المستقيم.

.124

إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (124)

.125

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (125)

.126

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (126)

.127

وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (127)

{فِي ضَيْقٍ}

أي في ضيق صدر وحرج. قُريء بفتح الضاد وكسرها، وهما لغتان في المصدر. يقال: ضاق الشي يضيق ضَيْقا وضِيقا، خلافُ اتسع، فهو ضيّق. وضاق صدره: حَرِج؛ فهو ضيق أيضا، والاسم الضِيق.

.128

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (128)

والله أعلم.

سورة الإسراء

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1)

{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى}

اسم مصدر لـ (سَبَّح)، منصوبة بفعل مُضمر تقديره: سبّحت الله

سُبحانا أي تسبيحاً، بمعنى نَزّهتُه تنزيها، وباعدتُه تبعيدا من كل سوء. وفيه معنى التعجب من باهر قدرته في إسرائه بعبده. والإسراء: السير بالليل خاصة، مصدر أسْرَيت.

{بِعَبْدِهِ}

أي بمحمد صلى الله عليه وسلم.

{لَيْلًا}

أي في جزء قليل من الليل. وفائدة ذكره مع أن الإسراء لا يكون إلا ليلاً: الإشارة بتنكيره إلى تقليل مدة السير.

وكان الإسراء يقظة بالجسد والروح.

{مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى}

في السنة الثانية عشرة من البعثة في قول والمشهور أنه كان في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب. وعُرِج به صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة إلى السماء، وفيها فرضت الصلوات الخمس. وكان عروجه بالجسد والروح أيضا، وذلك من المعجزات، والله على كل شيء قدير.

{لِنُرِيَهُ .. }

لنرفعه إلى السماء فنريه.

.2

وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (2)

{وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ .. }

فمُحمد صلى الله عليه وسلم أسريَ به، وكلمه الله تعالى ليلة الإسراء حين عرج به إلى السماء، وأعطيَ القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم. موسى عليه السلام سار إلى الطور، وناجاه الله، وأعطاه التوراة وهي هدي لبني إسرائيل.

{أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا}

أي لئلا تتخذوا ربًّا غيري تكون إليه أموركم وتفوضونها إليه. والمرادُ: النهي عن الإشراك بالله تعالى.

.3

ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (3)

{ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}

منصوب على الاختصاص. والمراد: حملهم على التوحيد بذكر إنعامه عليهم في ضمن إنعامه على آبائهم من قبل؛ حين لم يكن لهم وكيل سواه تعالى.

{إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}

أي إن نوحاً عليه السلام كان عبدا كثير الشكر لله تعالى على نعمه؛ من الشكر، وأصله الامتلاء. يقال: عين شَكْرى: أي ممتلئة، ثم استعير للامتلاء من ذكر المنعم بالثناء وإظهار نعمه.

.4

وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (4)

{وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ .. }

أوحينا إليهم بمعنى أعلمناهم وأخبرناهم في التوراة بما سيقع منهم من الفساد مرتين في أرض الشام. قيل: الأولى – تغيير التوراة وعدم العمل بها، وحبسُ إرمياء وجرحُه: إذ بشرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم. والأخرى – قتل زكريا

ويحيى عليهما السلام. وقال الجُبّائي: إنه تعالى لم يُبَيّن ذلك فلا يُقطع فيه بخبر، وقوله تعالى: {لَتُفْسِدُنَّ} جواب قسم محذوف.

{وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا}

أي لتَتَكبَّرن عن طاعة الله أولتغلبن الناس بالظلم والعدوان، وتُفرطنَّ في ذلك إفراطا مجاوزا للحد.

.5

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (5)

{وَعْدُ أُولَاهُمَا}

العقاب الموعود على أولاهما.

{أُولِي بَأْسٍ}

ذوي قوة وبطشٍ في الحروب. والبأس: الشدَّة والمكروه.

{فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ}

توسَّطوها وترددوا بينها، ذاهبين وجائين لقتلكم؛ من الجوس وهو طلب الشيء باستقصاء، والتردد خلال الدور والبيوت في الغارة والطَّوف فيها. يقال: جاس يجوس جَوْسا

وجَوْسانا: أي فتش ونَقب

{خِلَالَ الدِّيَارِ}

ما حوالي جُدُرها وما بين بيوتها.

.6

ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (6)

{الْكَرَّةَ}

الدَّولة والغَلَبة. والكرَّة: المرةُ من الشيء؛ وأصلها الكرُّ وهو الرجوع مصدر كرّ يَكُر: أي رجع، واستعمال الكرة في الدولة والغلبة مجاز شائع؛ كما يقال: تراجع الأمر.

{أَكْثَرَ نَفِيرًا}

أي أكثر من أعدائكم نافرا. والنَّفير والتنافر: من يَنفِر مع الرجل من عشيرته للذهاب إلى العدو.

.7

إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (7)

{لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ .. }

أي بعثناهم ليجعلوا آثار المَساءة والكآبة بادية في وجوهكم وليدخلوا بيت المقدس بالسيف والقهر والإذلال

{وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا .. }

ليُدمروا ويهلكوا ما استولوا عليه تدميرا؛ من التَّبر وهو الإهلاك [آية 139 الأعراف].

.8

عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (8)

{وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا}

أي وإن عدتم إلى الإفساد عُدنا إلى العقوبة كما فعلتم وفعلنا من قبل وقد عادوا بتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم فعاد الله بتسليطه عليهم؛ فَقَتل قُرَيظة وأجْلى بني النَّضير، وضرب الجزية على الباقين.

{حَصِيرًا}

مَحْبسا وسِجْنا يُحبسون ويُسجنون فيه، مِن الحَصْر بمعنى التضييق.

.9

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9)

{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}

مقابل لقوله تعالى: {وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} أي أن القرآن يدعو الإنسان إلى الخير الذي لا خير فوقه من الأجر العظيم – ويُحذّر من الشر الذي لا شرَّ وراءه من العذاب الأليم.

.10

وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (10)

.11

وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (11)

{وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ}

أي أن بعض أفرادِ الإنسان – وهو الكافر – يدعو لنفسه بما هو الشَّر من العذاب الأليم بلسانه، أو بأعماله السيئة المُفضِية إليه – دعاءٌ كدعائه بالخير لو فرض أنه دعا به.

{وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا}

في دعائه بالشر متسرعا في طلب ما يضره، متعامياً عن ضررها؛ من العَجلة وهي طلب الشيء قبل أوانه.

.12

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا (12)

{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ}

بيان لبعض الدلائل الآفاقية التي تدل على قدرته تعالى. أي خلقنا المَلَوْين بهيئاتهما وتعاقبهما واختلافهما في الطول والقصر على وتيرة عجيبة – آيتين دالّين على أن لهما صانعا قادرا حكيما، وعلى ما هَدى إليه القرآن من الإسلام والتوحيد.

{فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ}

أي الآية التي هي الليل أي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه، مظلما لا يظهر فيه شيء.

{وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً}

أي جعلنا الآية التي هي النهار مضيئة، أو مُبْصرا فيها. من قولهم: أبصر النهار، إذا أضاء وصار بحالة يُبصر فيها.

.13

وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (13)

{وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ .. }

وألزمنا كل إنسان مكلَّف عمله الصّادر منه باختياره، حسبما قدرناه له من خير وشر؛ كأنه طار إليه من عُش الغيب ووكر القَدَر، فلازمه ملازمة لافكاك منها. وكانوا يتفاءلون بزجر الطير، وينسبون إليه الخير والشر؛ فاستُعير الطائر لما يشبه ذلك من قدر الله وعمل العبد، لأنه سبب للخير والشر.

{وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا}

هو صحيفة عمله.

.14

اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (14)

{حَسِيبًا}

محاسِبا كجليس بمعنى مجالس. أو حاسبا وعادًّا عليه؛ كصريم بمعنى صارم. يقال: حَسَب عليه كذا يحسبُهُ، عدَّه عليه.

.15

مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (15)

{وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ}

أي لا تحمل نفسٌ آثمةٌ إثم نفس أخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية من وزرها، وإنما تحمل كل منهما إثم ما باشرته أو تسببت فيه. [آية 164 الأنعام].

.16

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (16)

{وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ .. }

أي وإذا دنا وقت تعلق إرادتنا بإهلاك أهل قرية بعذاب الاستئصال لما اقترفوه من الظُلم والمعاصي – أمَرنا بالطاعة مُتنعّميها وجَباريها وقادتها فَفسقوا فيها وتمردوا. وهو من باب قولهم: أمَرتُه فعصاني. من الترّفة [آية 16 هود]. وخُصوا بالذكر مع توجه الأمر بالطاعة إلى الكل: لأنهم أئمة الفسق ورؤساء الضلال، وغيرهم تبع لهم. أو المعنى: وإذا دنا ذلك الوقت أفضنا عليهم النّعم المبطرة لهم وصببناها عليهم وكأننا أمرناهم بالفسق ففسَقوا فيها وعصوا. وقيل (أمَرْنا) بمعني كَثَّرنا كآمَرْنا، وبها قريء. وقُريء (أمَّرْنا) بتشديد الميم: أي كَثرناهم أو جعلناهم أمراء مسلطين.

{فَدَمَّرْنَاهَا}

فاستأصلناها بالهلاك، لأن غير المترف يتبع المترف في فسقه

عادة، من التدمير وهو إدخال الهلاك على الشيء مع طمس الأثر.

.17

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (17)

{الْقُرُونِ}

الأمم المكذبة.

.18

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (18)

{يَصْلَاهَا}

يدخلها. من صَلَيْت الرجل النار، أدخلته فيها. وصَلَيت الشاة: شَوَيتها.

{مَدْحُورًا}

مطرودا مبعدا من رحمة الله [آية 18 الأعراف].

.19

وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (19)

.20

كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (20)

{كُلًّا نُمِدُّ}

أي نزيد كلاً من الفريقين مرة بعد أخرى فتزيد المعجل لهم من العطايا العاجلة، وتزيد المشكور لهم من العطايا الآجلة. يقال: أمدَّ الجيش بالجند، إذا زاده وقواه.

{مَحْظُورًا}

ممنوعا عن أحد ممن يُريد إعطاءه، مؤمنا كان أو كافرا، تفضلا منه تعالى، من الحظر بمعنى الحَجْر. يقال: حَظره يَحْظُرُه فهو محظور، أي ممنوع.

.21

انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (21)

.22

لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا (22)

{لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ .. }

لما بيَّن سبحانه أن سعادة الآخرة منوطة بإرادتها وبأن يسعى الإنسانُ لها سعيها، وبأن يكون مؤمنا – فصَّل ذلك بذكر ست وعشرين نوعا من أنواع التكاليف:

1.التوحيد بقوله: {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ}.

3،2 – الأمر بعبادة الله والنهي عن عبادة غيره بقوله: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ}.

4 – {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}.

5 – {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ}.

6 – {وَلَا تَنْهَرْهُمَا}.

7 – {وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا}.

8 – {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ}.

9 – {وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا}.

10. {وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ}.

11 – {وَالْمِسْكِينَ}.

12 – {وَابْنَ السَّبِيلِ}.

13 – {وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا}.

14 – {فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا}.

15 – {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ}.

16 – {وَلَا تَبْسُطْهَا .. }.

17 – {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ}.

18 – {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا}.

19 – {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ}.

20. {فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ}.

21 – {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ}.

22. {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ}.

23. {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ}.

24. {وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ}.

25 – {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ}.

26 – {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا}.

{مَخْذُولًا}

غير منصور ولا معان من الله.

23.

وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23)

{وَقَضَى رَبُّكَ}

أمَرَ وألزمَ وحَكمَ.

{فَلَا تَقُلْ لَهُمَا}

لا تقل لهما: أنا أتضجر وأقلق من كل فعل لكما تضجُرا. وأفٍ: اسم فعل مضارع هو اتضجَّر. والنهي عن ذلك يدل على النهي عن سائر أنواع الأذى بدلالة النص

{وَلَا تَنْهَرْهُمَا}

و لا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك، والنّهْرُ: الزَّجْر بمغالطة. يقال: نَهره وانتهره بمعنى. والمرادُ من النّهي الأول: المنع من إظهار الضجر منهما مطلقا، ومن الثاني: المنع من إظهار المخالفة في القول على سبيل الرد والتكذيب.

{قَوْلًا كَرِيمًا}

حسنا جميلا لينا.

.24

وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (24)

{وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ .. }

ألِنْ جانبك متذللاً لهما من مبالغتك في الرّحمة بهما.

.25

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا (25)

{لِلْأَوَّابِينَ}

الرّجَّاعين إليه تعالى بالتوبة مما فرط منهم. جمع أوَّاب، بمعنى كثير الأوبة والرجوع إلى طاعة الله. يقال: آب يئوب. أي رجع.

.26

وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (26)

{وَآتِ ذَا الْقُرْبَى}

أعط ذوي قُرباك حقوقهم من صلة الرَّحِم، والمودة والمعاضدة، والزيارة وحسن المعاشرة، والمؤالفة على السراء والضراء، ونحو ذلك.

.27

إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (27)

.28

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (28)

.29

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (29)

{مَغْلُولَةً}

مقبوضة عن الإنفاق في سبيل الخير. وأصل الغُل: الطوق الذي يجعل في العنق وتضمُّ به اليدُ إليه كُنّي به عما ذكر.

{تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ}

كناية عن التبذير والإسراف.

{مَحْسُورًا}

منقطعا بك، لاشيء عندك بسبب الإسراف و إتلاف المال؛ من حَسَره السيْر يحسِرُه ويحسُرُه، إذا أثر فيه أثرا بليغا. ويقال: بعيرٌ محسور، إذا ذهبت قوته فلا انبعاث به. نُهوا عن البخل والإسراف، وهو حث على التوسط والاعتدال في إنفاق المال.

.30

إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (30)

{وَيَقْدِرُ}

يُضَيِّق ويقتر على حسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية.

.31

وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (31)

{وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ}

أي خوف فاقة وفقر. وهو نَهيٌ للموسرين، كما نهي المعسرين بقوله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ}

[الانعام:151]. والمرادُ النهي عن وأد البنات لذلك؛ لما فيه من سوء الظن بالله تعالى. يقال: أملق الرجلُ، افتقر. وأصله من أملق الرجل بمعنى لم يبق له إلا الملَق–محركة– وهو ما استوى من الأرض، بمعنى أنه قاعٌ لا نبات فيه.

{إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا}

إثماً – وزْنا ومعنى – مصدر خطيءَ خِطْأً، كأثم إثما. وقرئ (خَطأ وخِطاء) وهما لغة في (خِطْأ). كبيرا عظيما فاحشاً.

.32

وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (32)

.33

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (33)

{سُلْطَانًا}

تسلطا على القاتل بالقصاص أو الدية.

.34

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (34)

{يَبْلُغَ أَشُدَّهُ}

قوته. أي زمن قوته واشتداده؛ بحيث يمكنه بسبب عقله ورشده القيام بمصالح ماله، فتزول الولاية عنه فيه [آية 152 سورة الأنعام].

.35

وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (35)

{بِالْقِسْطَاسِ}

بالميزان، أو بالعدل. وفيه لغتان: كسر القاف وضمُّها، وهو لفظ معرب.

{وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}

مآلاً وعاقبة؛ لما يترتب عليه من الثواب في الآخرة: من الأَوْل وهو الرجوع. [آية 59 سورة النساء].

.36

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36)

{وَلَا تَقْفُ}

لا تَتَبْع ما لا علم لك به من قول أو فعل، ويندرج في ذلك شهادة الزور والكذب، وأن تقول للناس وفي الناس مالا علم لك به، وترميهم بالباطل. يقال: قفوتُه أقْفُوه. وقُفْته أقُوفُه وقَفَّيتُه. إذا اتبعت أثره. وأصل القَفْو: العَضْه والبهْتُ والقذف بالباطل.

.37

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (37)

{وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا}

فخرا وكبرا وخُيَلاء والمَرَح في الأصل؛ شدة الفرح والتوسُّع فيه. والمذموم منه أن يكون متلبِّساً بكِبر وخُيَلاء، وتجاوز للقدر. وفعله من باب فرح وتقييد النهي بقوله: {فِي الْأَرْضِ} للتذكر بالمبدأ والمعاد المانعين من الكِبْر والخُيَلاء، وللتمهيد للتعليل الآتي.

.38

كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (38)

{كَانَ سَيِّئُهُ .. }

أي السيئ منه وهو المنهيات الاثنتا عشرة

{عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا}

أي وأمّا حسنه وهو المأمورات فهو مرضيّ عند الله محمود.

.39

ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (39)

{ذَٰلِكَ}

أي المتقدم من التكاليف والأحكام المحكمة التي لا يتطرَّق إليها النَّسخ والنقض المذكورة في الآيات الثماني عشرة: من آية 22 إلى هذه الآية.

{مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ}

. وعن ابن عباس: أن التوراة كلَّها في هذه الآيات.

{مَدْحُورًا}

أي مطرودا مبعدا من رحمة الله تعالى.

.40

أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (40)

{أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ}

أفضلكم ربكم فَخَصَّكم؟

.41

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (41)

{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ}

بيَّنا فيه أحسن بيان ضروبًا من الأمثال والمواعظ والقصص والأخبار والأحكام؛ من التَّصريف. وهو كثرة صَرْف الشيء من حالة إلى أخرى، ومن أمر إلى آخر.

{وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا}

أي وما يزيدهم ذلك التصريفُ والتذكيرُ إلا تباعُدا وشرودا عن الحق. وغفلة عن الاعتبار. يقال: نَفَرت الدابة تنفِر وتنفُر نُفورا ونِفاراً فهي نافر ونفور، جَزِعت وتباعدت. ونَفَر الظَّبيُ نَفْرا ونفراناً: شرد.

.42

قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (42)

{لَابْتَغَوْا}

لطلبوا

{سَبِيلًا}

بالمبالغة والممانعة.

.43

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (43)

.44

تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (44)

{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ}

تَسبيحُ هذه الكائنات الله تعالى هو دلالتُها بإمكانها وحدوثها وتغير شئونها وبديع صنعها، على وجود مبدعها ووحدته وقدرته، وتنزُّهه عن لوازم الإمكان والحدوث كما يدل الأثر على المؤثر. فهي دلالة بلسان الحال لا يفقهها إلا ذوو البصائر. أما الكافرون فلا يفقهون هذا التسبيح؛ لفرط جهلهم وانطماس بصائرهم وكثافة حُجُبهم، والله تعالى لم يعاجلهم بالعقوبة حلما منه. وهو غفور لذنوبهم إذا تابوا إليه وأنابوا. وقيل: تسبيحُها بلسان المقال، وقد خلق الله فيها القدرة على ذلك ولم يَرْتض الإمام هذا القول، وقيل: تسبيح العقلاء بلسان المقال، وتسبيح غيرهم بلسان الحال.

.45

وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (45)

{وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ... }

بعد أن بين سبحانه عدم فقه هؤلاء الكافرين الجاحدين للبَعْث دلالة المحدثات على صانعها وعلى وحدانيته وقدرته، مثَلهم – في جهلهم بشئونه صلى الله عليه وسلم وبصدق رسالته، وفَرْط نبوّ قلوبهم عن فهم القرآن الكريم، ومَجِّ أسماعهم له – بمن أقيم حجاب سائر بينه وبين مخاطبه، وجعلت على قلبه أغطيةٌ تحول دون فهم كلامه، وصُمَّت آذانه

صَمما ثقيلا يمنع من سماعه؛ فهو لا يرى ولا يفقه ولا يسمع.

{مَسْتُورًا}

أي ساترا لك عنهم. ومفعولُ يَرِد بمعنى فاعل؛ كميمون بمعنى يامن.

.46

وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (46)

{أَكِنَّةً}

أي أغطية جمعُ كِنان وهي ما يتغشاهم من خذلان الله لهم في فهم ما يتلى عليهم.

{وَقْرًا}

أي صَمما وثقلا.

.47

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (47)

{نَحْنُ أَعْلَمُ ... }

نزلت تهديدا للمشركين على استهزائهم

بالقرآن وبالرسول صلى الله عليه وسلم وتكذيبهما، وعلى تناجيهم فيما بينهم بقولهم: ساحر، و شاعر، أو كاهن، أو مجنون، وتسلية له صلى الله عليه وسلم؛ أي نحن أعلم بما يستمعون القرآن متلبسين به من اللَّغو والاستهزاء والتكذيب حين استماعهم إليك، وحين تَنَاجيهم بما ذكر، و {إِذْ} في قوله {إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى}: ظرف لقوله {أَعْلَمُ}.

{نَجْوَى}

مصدر بمعنى التَّناجي والمسارة في الحديث. وقد جُعِلوا عين النَّجوى مبالغة، على حد: قومٌ عدلٌ، وقومٌ رضا. جمع نَجيّ كقتيل وقتلى؛ أي متناجون في أمرك.

{مَسْحُورًا}

قد خبله السحر فاختلط عقله؛ وهو كما قالوا في حقه: {إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ} [المؤمنون:25]. اسم مفعول، من سَحَره يَسحَرُه سِحرا: وهو الأخذة وكل ما لطف مأخذه ودقَّ.

.48

انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (48)

.49

وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (49)

{أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا}

أي أنُبعثُ خَلقا جديدا إذا صرنا عظاما نَخِرة

{وَرُفَاتًا}

تُرابا أو أجزاء متفتتة!؟ والرُّفات: ما تكسَّر وبَلِيَ من كل شيء؛ كالفتات. يقال: رفَت الشيء يَرفِته ويرفتُه، كسره ودقَه.

.50

قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (50)

.51

أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (51)

{يَكْبُرُ}

يعظم عن قبول الحياة كالسماوات.

{الَّذِي فَطَرَكُمْ}

أي الذي أبدعكم من غير مثال هو الذي يعيدكم بعد الموت بقدرته التي لا يتعاظمها شيء.

{فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ}

سيحرّكونها نحوك تعجبا، واستهزاء. يقال: نَغَض رأسه يَنغُض ويَنْغض نَغضاً ونُغوضا، إذا تحرك واضطرب. وأنغض رأسه: حركه بارتفاع وانخفاض؛ كالمتعجب من الشيء.

.52

يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (52)

{فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ}

أي منقادين لبَعْثه انقياد الحامدين له.

.53

وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (53)

{وَقُلْ لِعِبَادِي .. }

أمَرَ المؤمنين أن يقولوا عند محاورة المشركين الكلمة التي هي أحسنُ وأقرب إلى استمالتهم للإيمان، حتى لا يلجُّوا في العناد. وهو كقوله تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [العنكبوت:46] كأن تقولوا لهم: {رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ .. } [الاسراء:54].

{يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ}

يُفسد ويُهيّج الشَّر بينهم. يقال: نزَغَه يَنْزَغه، طعن فيه واغتابه. ونزَغَ بينهم: أفسد وأغْرى ووسوس.

.54

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (54)

{وَكِيلًا}

موكولا إليك أمرهم.

.55

وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (55)

{زَبُورًا}

كتابا فيه تحميد وتمجيد ومواعظ.

.56

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (56)

{تَحْوِيلًا}

نَقْله إلى غيركم ممن لم يعبدهم.

.57

أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (57)

{الَّذِينَ يَدْعُونَ}

أي الذين اتخذهم الكفار آلهة من العقلاء؛ كالملائكة وبعض الإنس والجن.

{الْوَسِيلَةَ}

القربة بالطاعة والعبادة.

.58

وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (58)

.59

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (59)

{وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ .. }

وما كان سبب تركنا إرسال الآيات التي اقترحها المشركون إلا علمنا بأنهم سَيكذّبون بها كما كذّب بأمثالها الأولون؛ فيستوجبون مِثلهم عذاب الاستئصال على ما جرت به السنة الإلهية. وقد قَضَيْنا بامهال المكذبين من هذه الأمة لِحكم نعلمها.

{مُبْصِرَةً}

آية بيّنة واضحة.

{فَظَلَمُوا بِهَا}

أي فظلموا أنفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقرها.

.60

وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (60)

{إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ}

فهم في قبضة قدرته، ومنهم كفار مكة فسيهلكهم.

{وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا .. }

وهي ما عاينه صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء من العجائب السماوية والأرضية. وأطلق على ذلك رُؤْيا مع أنه كان يقظة؛ لأن الرؤيا تطلق حقيقة على رؤيا المنام ورُؤية اليقظة ليلاً، أو على سبيل التشبيه بالرؤيا، لما فيها من العجائب، أو لوقوعها ليلا وسرعة تقضّيها كأنها منام. وقد كانت سبب افتتانِ الضعفاء من المسلمين

{وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ}

أي وما جعلنا الشجرة التي جاء القرآن بلعْن آكليها – وهي شجرة الزَّقوم – إلا فتنة لبعض الناس: حيث كذبوا خلق شجرة في النار.

{طُغْيَانًا}

تجاوزا للحد في كفرهم وتمردا.

.61

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (61)

.62

قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (62)

{أَرَأَيْتَكَ هَذَا .. }

أخبرني عن هذا الذي كرّمته عليّ! لم كرمته علي وأنا أكرمُ منه [آية 40 الأنعام].

{لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ}

لأستولي عليهم استيلاء قويا، ولأقودهم حيث شئت؛ من قولهم: حَنَكَ الدابة يحْنُكها ويَحنِكها وأحنكها، إذا جعل في حَنَكها الرسن ليقودها به. أو لأستأصلنهم بالإغواء، من قولهم: احتنك الجرادُ الأرض، إذ أكل نباتها وأتي عليه.

.63

قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (63)

.64

وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (64)

{وَاسْتَفْزِزْ}

استَخِفَّ أو أزعِج. يقال: استفَزّه. إذا استخفه فخدعه وأوقعه فيما أراده منه. واستفزَّني فلان أزعجني.

{بِصَوْتِكَ}

أي بدعائك إياهم إلى معصية الله تعالى.

{وَأَجْلِبْ}

عليهم أي صِح عليهم وسُقهم؛ من الجَلَبة بمعنى الصياح. يقال: جَلَب على فرسه وأجلب: إذا صاح به من خلفه واستحثَه للسبق. أو أجْمع عليهم خيلك ورَجِلك. يقال: أجلبَ على العدو بخيله، أي جمع عليه الخيل.

{بِخَيْلِكَ}

أي بفُرسانك الراكبين على الخيل.

{وَرَجِلِكَ}

أي وبجندك المشاة. يقال: فلان يمشي رَجِلا، أين غير راكب. والمراد: تمثيل تسلطه عليهم بالإغواء والإضلال بقائد جند يفعل ذلك بعدوّه للتمكن منه وإهلاكه.

{إِلَّا غُرُورًا}

أي إلا وعداً باطلا خادعا، وأصل الغرور: تزيين الباطل بما يوهم أنه حق. يقال: غَرَّ فلان، إذا أصاب غِرَّته – أين غفلته – ونال منه ما يريد، وغَرَّه يَغُرُّه غرورا: خدعه، وأصله من الغُر وهو الأثر الظاهر من الشيء؛ ومنه: غُرَّة الفرس.

.65

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (65)

{عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ}

تسلطٌ وقدرة على إغوائهم.

.66

رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (66)

{يُزْجِي}

يسوق ويدفعُ برفق. يقال: أزجى الإبل ساقها برفق. والريحُ تُزجي السحاب: تسوقه سَوْقا رفيقا.

.67

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (67)

{إِلَّا إِيَّاهُ}

استثناءٌ منقطع إذا أريد بـ {مَنْ تَدْعُونَ} آلهتُم، ومتصل إذا أريد به آلهتهم والله تعالى.

.68

أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (68)

{أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ}

يغور ويغيب بكم تحت الثرى.

{حَاصِبًا}

ريحا شديدة كرميكم بالحصباء، وهي الحجارةُ

الصغار، واحدتها حصَبة. يقال: حَصَب فلان فلانا، إذا رماه بها.

.69

أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (69)

{قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ}

ريحاً شديدة تَقصِف لشدتها ما مرَّت به من الأشجار وغيرها فتحطمه وتدقُّه؛ من قولهم: قصف فلان ظهر فلان، إذا كسره. أو ريح لها قصيف، أي صوت شديد؛ كأنها تتقصف أي تتكسر.

{تَبِيعًا}

مطالبا يطالبنا بما فعلنا انتصارا لكم، ودركاً للثأر من جهتنا، فعيلٌ بمعنى فاعل أي تابع، بمعنى مطالب بالثأر، ويقال لكل من طالب بثأر أو غيرهُ: تابعٌ وتبيع.

.70

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (70)

.71

يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (71)

{يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ}

أي بنبيِّهم، أو بكتاب أعمالهم؛ فيقال: يا أتباع موسى، ويا أتباع عيسى، ويا أتباع محمد. أو يا أصحابَ كتاب الخير، ويا أصحاب كتاب الشر.

{فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ}

أي أعُطي صحائف أعماله بيمينه تشريف وبشارة.

{وَلَا يُظْلَمُونَ}

من أجورهم

{فَتِيلًا}

أي قدر فتيل، وهو الخيط الرَّقيق الذي في الحز الكائن في ظهر النواة طولا. وهو كنايةٌ عن أنهم لا ينقصون أي شيء من ثوابهم.

.72

وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا (72)

وأما الذين يؤتون كتبهم بشمالهم فهم الذين عناهم الله تعالى بقوله:

{وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ}

أي في الدنيا

{أَعْمَى}

البصيرة

{فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى}

لا يهتدى إلى سبيل النجاة

{وَأَضَلُّ سَبِيلًا}

منه في الدنيا؛ لاستحالة تداركه ما فات.

.73

وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (73)

{وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ .. }

(إن) مخفَّفة من الثقيلة، واسمُها ضمير الشأن،

و {كَادُوا}

قاربوا، أي إن الشأن قاربوا في ظنهم الباطل ليصرفونَك بفتنتهم عما أوحينا إليك. والآية مكية، نزلت فيها عرضه كفار قريش عليه صلى الله عليه وسلم. من جعل آية الرحمة آية عذاب و بالعكس، وقيل مدنية، نزلت في وفد ثقيف.

{لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا}

لتختلق وتتقول علينا.

.74

وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (74)

{وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ .. }

أي ولولا تثبيتنا اياك على الحق بالعصمة لقاربت أن تميل إليهم شيئا من الميل فيما اقترحوه عليك بقوة خَدْعهم وشدة احتيالهم؛ لكن الله تعالى ثَبتك تثبيتاً، فَمَنعك بالعصمة من أن تقارب الميل، فضلا عن الميل نفسه إليهم. و {لَوْلَا} حرف يدل على امتناع الجواب لوجود الشرط؛ أي امتناع القرب من الركون لوجود التثبيت، وإذا امتنع القرب منه امتنع هو بالضرورة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله معصوما، ولكن هذا تعريفٌ للأمة لئلا يركن أحد منهم

إلى المشركين في شيء من أحكام الله تعالى وشرائعه.

{تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ}

تميل إليهم.

.75

إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (75)

{لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ .. }

أي عذابا مضاعا في الحياة الدنيا، وعذابا مضاعفا في الممات. والمرادُ به: ما يشمل العذاب في القَبر والعذاب بعد البعث. أو ضِعف العذاب المعجَّل للعصاة في الدنيا، وضعف العذاب المؤجل لهم بعد الموت. وضعف الشيء: مثلُه [آية 38 الأعراف].

.76

وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (76)

{وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ}

أي وإن الشأن قاربوا ليُزعجُونك بعداوتهم ومكرهم ليخرجوك من مكة، ولو أخرجوك لاستُؤصلوا على بكرة أبيهم، ولم يخرجوه بل هاجر بأمر ربه، أخبره الله تعالى بذلك قبل الهجرة. والآية مكية، وقيل مدنيَّة. قال في لباب التأويل: إن الأول أليق بالآية؛ لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة، والسورة مكية. [راجع في معنى الاستفزاز آية 64 من هذه السورة].

.77

سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (77)

{تَحْوِيلًا}

تغييرا وتبديلا.

.78

أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (78)

{أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ}

أي بعد زوالها وهو ميلها عن وسط السماء لجهة الغَرب. يقال: دَلَكت الشمس تدلُك، أي مالت وانتقلت من وسط السماء إلى ما يليه. ومادَّةُ (دَلك) تدل على التحول والانتقال.

{إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ}

أي شدة ظُلمته. يقال: غسق الليل وأغسَقَ، وظَلِم وأظلم، ودَجا وأدجى، وغبسَ وأغبَس، وغَبِش وأغبش، بمعنى. وأصلُ معنى الغسق: السَّيلان يقال: غَسَقت العين –كضَرب وسَمِع – أي سال دمعها، فكأن الظلمة تنصبّ على العالم وتسيل عليهم. والمراد بالصلاة التي تقام من بعد الدلوك إلى الغسق؛ صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء.

{وَقُرْآنَ الْفَجْرِ}

أي وأقم قراءة الفجر أي صلاته، وسُمِّيت قرآنا لأن القراءة ركنُها، من تسمية الشيء باسم جزئه، كتسمية الصلاة ركوعا وسجودا وقنوتا.

.79

وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (79)

{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ}

أي وتيقظ من نومك في بعض الليل فتهجَّد بالقرآن، أي بالصلاة.

{نَافِلَةً لَكَ}

فريضة زائدة على الصلوات الخمس خاصة بك دون أمَّتك، بناءً على أن فرض التهجُّد لم ينسخ في حقه صلى الله عليه وسلم، أو فضيلة وزيادة درجات، بناء على أنه مندوب في حقه، وأن الوجوب منسوخٌ في حقه كما نُسخ في حق أمّته. والتهجُّد: الصلاة بعد القيام من النوم ليلا، وقيل: الاستيقاظ من النوم ليلا للصلاة، من الهجود، وهو النوم ليلا. ثم استعملت صيغة (تهجّد) في إزالته، كتأثم وتُحرّج في إزالة الحرج والإثم.

{مَقَامًا مَحْمُودًا}

هو مقام الشفاعة العظمى في فصل القضاء، أو مقامُ الشفاعة لأمته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة.

.80

وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (80)

{مُدْخَلَ صِدْقٍ}

إدخالا مَرْضِيّا جيدا في كل ما أدخل فيه من أمر أو مكان. فهو مصدر بمعنى الإدخال: كالمجرى والمرسى، وإضافته من إضافة الموصوف لصفته [آية 3 يونس].

{سُلْطَانًا نَصِيرًا}

قهرا وعِزًّا تنصر به الإسلام.

.81

وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (81)

{جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ}

أي جاء الإسلام أو الدين الحق، وزالَ واضمحل بمجيئه الشِّرك. يقال: زهَقَت نفسه تزْهق زُهوقاً، خرجت من الأسف على الشيء، وزهقَ السهم: جاوز المرْمى إلى ما وراءه.

.82

وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (82)

{وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ .. }

أي لا يزيد القرآن المكذبين به إلا هلاكا، فكلَّما نزلت آية تَجَدَّد تكذيبهم وكفرهم بها فازدادوا هلاكا. والخسارُ والخسارة: الهلاك والضلال.

{خَسَارًا}

هلاكا بسبب كفرهم به.

.83

وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (83)

{وَنَأَى بِجَانِبِهِ .. }

بَعُد منَّا بنفسه تكبُرا وتعاظما؛ كأن لم تنله نعمة منا، من النأْي وهو البُعد، والجانِبُ: النفس. يقال: جاء من جانب فلان كذا، أي منه، وهو كناية؛ كما يعبَّر بالمقام والمجلس عن صاحبه.

{يَئُوسًا}

شديد اليأس من رحمتنا.

.84

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (84)

{كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ}

أي كل واحد من المُعْرِض والمقبل، أو من المؤمن والكافر يعمل على طريقته ومذهبه الذي يشاكل حاله ويُشابهه في الهدى والضلال، والحُسْن والقبح. من قولهم: طريقٌ ذو شواكِل، أي طرق تتشعَّب منه، مأخوذة من الشَّكل – بالفتح – وهو المِثل والنَّظير، يقالُ: لست على شكلي ولا شاكلتي.

.85

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85)

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ}

سأل اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كُنه الرُّوح تعنتا وامتحانا، فأُمِر أن يُجيبهم بأنه مما استأثر الله بعلمه. وعن عبد الله بن بُريدة: أن الله تعالى لم يُطلع على الروح مَلَكا مقربًا ولا نبيا مرسلا: بدليل هذه الآية.

.86

وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (86)

{وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ .. }

الآية امتنان من الله تعالى بابقاء القرآن أي إلى قرب قيام الساعة.

{ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا}

أي من يتعهَّد باسترداده بعد

إذهابه؛ كما يلتزم الوكيل ذلك فيما يوكَل فيه.

.87

إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (87)

.88

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88)

{لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ .. }

أي لا يقدرون على الإتيان بمثله في بلاغته وحسن نظمه، وتأليفه وأسلوبه البديع، ولو تعاونوا جميعا على ذلك. وقد عجز فصحاء العرب – وهم أئمة البيان وفرسانُ البلاغة وذوو اللسن في الخطب – عن معارضته بعد التحدي. فكان غيرهم أعجز! وتتابعت القرون وتضافر الأعداء فلم يستطع أحد أن يأتي بمثله؛ فكان ذلك آية من آيات الله، ودليلا على أنه من وحي الله، وليس من كلام البشر.

{ظَهِيرًا}

أي مُعينا؛ ومنه: أظهره الله على عدوِّه، وأعانه. واستظهر به: استعان.

.89

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (89)

{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا .. }

أي كرّرنا ورددنا البينات والعبر في القرآن بأساليب مختلفة، وأتينا فيه من البدائع ما يشبه في حسنه وغرابته الأمثال؛ ليهتديَ الناس بهديه، فأبى أكثرهم إلا جحودا للحق، وحين قرعتهم حُججُه وألقوا بأيديهم عجزا، اقترحوا واحدا من هذه الأمور الستة التي اشتملت عليها الآيات، تعنتا واستخفافا وإمعانا في التكذيب.

{فَأَبَى}

فلم يرض.

{كُفُورًا}

أي جحودا؛ من الكفر وهو السَّتر والتغطية.

.90

وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (90)

{يَنْبُوعًا}

أي عَينا لا ينضب ماؤها ولا يغور، من يَنْبع الماء من العين: ينبع – بتثليث الباء فيهما – خرج.

.91

أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (91)

{فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ}

أي تشقِّقها. والمراد: فتجريها.

.92

أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (92)

{كِسَفًا}

أي قِطَعا. جَمعُ كِسْفة. يقال: كسَفْت الثوب، قطعته.

{قَبِيلًا}

أي مقابلة وعِيانا، أو كفيلا بما تدعيه شاهدا بصحته.

.93

أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (93)

{مِنْ زُخْرُفٍ}

أي ذَهب، وأصلُه الزينة، وإطلاقه على الذهب لأن الزينة به أعجب.

{تَرْقَى فِي السَّمَاءِ}

تَصعد في معارجها. يقال: رَقِيَ يرقى رَقْيا ورُقِيّا، صَعِد.

.94

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (94)

.95

قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (95)

.96

قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (96)

.97

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (97)

{وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. }

أي نبعثهم يوم القيامة منكبين على وجوههم، إهانة لهم وتعذيبا، إما مَشيا وإما سَحْبا عليها. وجائزٌ أن يكون الأمران في حَالَيْن قبل دخولهم النار، وأما فيها فيسحبون على وجوههم ويقال لَهم: { .. ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (48)} [القمر].

{عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا}

فلا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون. وهذا هو شأنهم في بعض المواقف يوم القيامة.

{خَبَتْ}

سكن لَهَبُها، وصار عليها خباءٌ من رماد، أي غشاء. وقيل: سكنت وطُفِئَت أي ذهب لَهَبُها.

{سَعِيرًا}

لهبا وتوقدا.

.98

ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (98)

{وَرُفَاتًا}

ترابا أو أجزاء مُتفتتةٌ [آية 49 هذه السورة].

.99

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (99)

{أَوَلَمْ يَرَوْا}

جواب عن استبعادهم قدرته تعالى على الإعادة في اليوم الآخر.

.100

قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا (100)

{قَتُورًا}

مبالغا في القتير والبخل. يقال: قَتَرَ يقتُرُ ويَقتِرن وأقتر وقتر: قلل. وفلان مُقتر: أي فقير. وأصله من القُتار، وهو الدُّخان من الشواء والعود ونحوهما.

.101

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَامُوسَى مَسْحُورًا (101)

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ}

وهي في رواية عن ابن عباس: العصا واليد والطُوفان والجرّاد والقُمَّل والضفادع والدم والجدبُ، أي في بواديهم والنقص من الثمرات، أي في مزارعهم.

{مَسْحُورًا}

سُحرتَ فَخُولط عقلك واختل، وادَّعيت ما ادَّعيت [آية 47 هذه السورة].

.102

قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (102)

{بَصَائِرَ}

بينات تُبَصِّر من يشهدها بصدقي.

{مَثْبُورًا}

مُهلَكا؛ من ثَبَر الله الكافر يَثْبُره ثبورا: أهلكه. أو مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر؛ من قولهم: ما ثَبَرك عن هذا؟ أي ما منعك وصرفك عنه.

.103

فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا (103)

{أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ}

يُزعجهم أو يستخفَهم ويخرجهم من أرض مصر. [آية 64 هذه السورة].

.104

وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (104)

{لَفِيفًا}

مختلطين أنتم وهم. واللفيف: اسم جمع لا واحد له من لفظه. ومعناه: الجماعة من قبائل شتَّى.

.105

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (105)

{وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ}

أي وما أنزلنا القرآن إلا ملتَبِسا بالحكمة الإلهية التي اقتضت انزاله، وما نزل إلا مُلتبسا بالحق؛ أي العقائد والأحكام، ونحوها مما اشتمل عليه. أو ما أردنا بإنزال القرآن إلا تقريره للحق، فلما أردنا ذلك وقع وحصل كما أردنا.

.106

وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (106)

{فَرَقْنَاهُ}

فصَّلنا، أو فرقنا فيه بين الحق والباطل. أو أنزلناه مُنَجَّما على تفريق. وقرِيءَ: بالتشديد، أي أنزلناه مفرَّقا لا جملةً.

{لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ}

أي على تَؤدة وتأن وترتيل في التلاوة؛ ليفهموه ويتيسر لهم حفظه. والمُكث: التلبُّث في المكان والإقامة مع الانتظار.

{وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا}

أي على حسب الحوادث والمصالح.

.107

قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (107)

{يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ}

يسقطون بسرعة على وجوههم ساجدين تعظيما لله تعالى وشكرا له لإنجاز وعده ببعثتك. يقال: خَرَّ لله ساجدا يَخِرُّ خُرورا، أي سقط. والآية في مؤمني أهل الكتاب.

.108

وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (108)

.109

وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (109)

.110

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (110)

{وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ}

أي بقراءتها حتى لا يسمعها المشركون فيسبوا القرآن ومُنزِلَه.

{وَلَا تُخَافِتْ بِهَا}

حتى لا يَسمعها من خلفك. والمخافته: إسرار الحديث لا يسمعه المتكلم، وهي ضد المجاهرة به. يقال: خفت الرجُل بصوته: إذا لم يرفعه. وخافت بقراءته مخافتة: إذا لم يرفع صوته بها، وقيل: الصلاه الدعاء.

{سَبِيلًا}

طريقاً وسطاً.

.111

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (111)

{وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً}

عظمه تعظيما عن أن يكون له ولد أو شريك، أو ناصر معين.

والله أعلم.

سورة الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1)

{وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا}

أي لم يجعل فيه شيئا من العِوج بنوع من أنواع الاختلال والاختلافِ، لا في اللفظ ولا في المعنى. والعِوَج: الانحراف عن الاستقامة [آية 99 آل عمران].

.2

قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2)

{قَيِّمًا}

أي مستقيما معتدلاً، لا إفراط فيما اشتمل عليه من التكاليف حتى يشق على العباد، ولا تفريط فيه بإهمال ما هم في حاجة إليه؛ حتى يحتاج إلى كتاب آخر. أو قيِّما بمصالح العباد، متكفلا بها وببيانها لهم؛ لاشتماله على ما ينتظم به المعاش والمعاد.

{لِيُنْذِرَ بَأْسًا .. }

لينذر الذين كفروا عذابا شديدا في الآخرة. وأصل البَأس: الشدة في الحرب.

.3

مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (3)

.4

وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (4)

.5

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (5)

{كَبُرَتْ كَلِمَةً}

أي عَظُمت في الشَناعة والقبح تلك الكلمة التي تفوهوا بها دون تعقل وفهم، وهي قولهم: (اتخذ الله ولدا). و (كَبُرَ): فعل ماض؛ لإنشاء الذم، وفاعله ضميرٌ مفَسر بالنكرة بعده المنصوبة على التمييز، والمَخصوص بالذم محذوف. أي كَبُرت هي، أي المقالة التي قالوها كلمةً خارجة من أفواههم تلك المقالة الشنعاءُ.

.6

فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (6)

{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ}

قاتِلٌ نفسك حزنا وغضبا لإعراضهم عن الإيمان وتكذيبهم بالقرآن، والمرادُ: لا يكن منك ذلك. يقال: بخع نفسه بخعاً و بخوعا، قتلها من شدة الوجد أو الغَيْظ. وأصل البَخْع: أن تبلغ بالذبح البِخاع – بكسر أوله – وهو عرق في الصُّلب يجري في عظم الرقبة، وذلك أقصى حد الذبح.

{أَسَفًا}

مفعول لأجله.

.7

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (7)

{إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ .. }

تعليلٌ للنهي المقصود من كلمة الترجي، تسلية له صلى الله عليه وسلم وتسكينا لأسفه؛ لأنه تعالى مختبرٌ لأعمالهم ومجازيهم عليها. فكأنه تعالى يقول له: لا تحزن فإني منتقم لك منهم.

{لِنَبْلُوَهُمْ}

لنختبرهم بما خلقنا من هذه الزينة

{أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}

أي أتْبَعُ لأمرنا ونهينا، وأعْمَلُ بطاعتنا، وأبعدُ من الاغترار بزينة الدنيا، أي لنعاملهم معاملة المختبر، من الابتلاء بمعنى

الاختبار [آية 49 البقرة].

.8

وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (8)

{وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ}

أي وإنا لَمُصَيرون عند انقضاء الدنيا {مَا عَلَيْهَا}

مما جعلناه زينة لها {صَعِيدًا}

تُرابا {جُرُزًا}

لا نبات فيه. يقال: أرضٌ جُرُز؟، لا تُنبت، أو أُكِلَ نباتُها، أو لم يصبها مطر. وجُرِزت الأرض: إذا ذهب نباتها بقحط أو جراد، وهو كناية عن إفناء متاع الدنيا، ويعقب ذلك الجزاء على الأعمال، فلا يَحْزنك أمرهم فانا سنجازيهم على ما عملوا يوم الحساب.

.9

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (9)

{أَمْ حَسِبْتَ}

بل أظننت. {الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ}

الكَهْف: النَّقب المُتَسِع في الجبل: فإن لم يكن فيه سَعة فهو غار. وجمعه كُهوف وأكْهُف. والمراد: الكهف الذي اتخذه هؤلاء الفتية بمدينة أفسوس أو طَرسوس. [أفسوس: بلد بثغر طرطوس، وطرطوس: مدينةٌ شهيرة بآسيا الصغرى]. {وَالرَّقِيمِ}

: لوحٌ رُقمت فيه أسماء أهل الكهف وقصَتُهم. أو ما تمسكوا به من شرع عيسى عليه السلام؛ فهو مصدر بمعنى المَرقوم أي المكتوب. أو هو اسم للوادي الذي كانوا فيه.

.10

إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10)

{إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ .. }

التجأوا إلى الكهف واتخذوه مأوى لهم. يعبدون الله وحده فيه؛ فرارا بدينهم من قومهم الذين كانوا يعبدون غير الله، ومِنْ مَلِكِهم الذي كان يأمرهم بذلك واسمه دقيانوس. يقال: أوَى إلى منزله يأوي أُوِيا، نزله بنفسه وسَكَنه. والفتيةُ: جمع فتى وهو الطريُّ من الشباب. {وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا}

الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة على الإيمان والطاعة {رَشَدًا}

اهتداءً إلى الطريق الحق، وسَدَادا إلى العمل الذي تحبُّ. والرَّشد والرُّشد: ضدُّ الغي والضلال. يقال: رشِد يَرْشَد، ورشَد يَرشُد – رُشداً ورَشَدا ورشادا: اهتدى.

.11

فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (11)

{فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ}

أنمناهم إنامة ثقيلة.

.12

ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (12)

{بَعَثْنَاهُمْ}

أيقظناهم من نومهم. {أَمَدًا}

مدة وعدد سنين أو غاية.

.13

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13)

.14

وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (14)

{وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ}

قويناها بالصبرِ والتَّثبيت على الحق، حين وقفوا بين يدي مِلِكهم الجبار؛ موقف صدق وعزم، وأعلنوا: التوحيد بنوعيه: توحيد الرُّبوبية. وتوحيد الألوهية؛ نَبذا لما دعاهم إليه من عبادة الأوثان. وأصلُ الرَّبط: الشَّدّ. يقال: ربطتُ الدابة، شددتُها برباط. واستعماله فيما ذكر مجاز؛ كما في قولهم: هو رابط الجأش: إذا كان قلبه لا يَفْرَق ولا يفزع عند الحرب والشدة. {قُلْنَا إِذًا}

أي

إن دعونا غيره تعالى

{شَطَطًا}

أي قولاً هو عين الشطط والبعد المفرط عن الحق. والشَطَط: مصدر بمعنى مجاوزة القدر في كل شيء، وصف به القولُ مبالغة، ثم اقتصر على الوصف مبالغة على المبالغة. يقال: شط يَشِط ويَشُط شططا وشُطوطا: بَعُدَ.

16.

وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (16)

{مِرْفَقًا}

ما ترتفقون وتنتفعون به من الأشياء. وقرئ (مَرْفِقا) بفتح الميم وكسر الفاء بهذا المعنى. وفي الآية امتداح الهجرة لسلامة الدين.

17.

وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (17)

{وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ}

تعدِل وتَميل {عَنْ كَهْفِهِمْ} من الزَّور بمعنى الميل، ومنه: زاره إذا مَال إليه. والأزوارُ: المائل الزَّور أي الصدر، وازْوَرَّ عن الشيء ازورارا، وتزاور عنه تَزاوُرا: عَدَل وانحرف. وأصله: تتزاورُ، فحُذفت إحدى التاءين تخفيفا.

{ذَاتَ الْيَمِينِ}

جهة يمين الكَهْف، أي يمين الداخل فيه هو

{وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ}

تتركهم وتعدل عنهم. يقال: قَرض المكان، عدل عنه وتنكَّبه، أو تقطعهم بمعنى تتجاوزهم وتتركهم؛ من القرض بمعنى القَطْع. يقال: قَرض المكان يقرضُه، أي قطعه.

{وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ}

أي في متّسَع منه وهو وسَطه. والفَجْوة: ساحة الدّار: مأخوذة من الفَجَا وهو تباعد ما بين الفخذَين. يقال: رجل أفجى، وامرأةٌ فجواء. والمراد: أن الشمس تميل عنهم طالعةٌ وغاربة، لا تبلغهم لتؤْذيهم بحرّها، وتغير ألوانهم، وتُبلى ثيابهم، وهم في وسط الكهف بحيث ينالهم رَوْح الهواء، ولا يؤذيهم كربُ الغار ولا حَرُّ الشمس.

{ذَلِكَ}

أي ما ذكر من هذه الأوضاع والحالات

{مِنْ آيَاتِ اللَّهِ}

الدالة على قدرته، وعجيب صنعته.

.18

وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (18)

{بِالْوَصِيدِ}

أي برَحبَة الكهف، أو بعتبة الباب، كأنه يحفظه عليهم. وجمعه وصائد ووُصد.

{رُعْبًا}

أي خوفا وفزعا. مصدر رَعَبه يَرْعبُه، أي خوّفه، فهو مرعُوب ورعيبٌ.

.19

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (19)

{بَعَثْنَاهُمْ}

أيقظناهم من موتتهم الطويلة.

{فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ}

بدراهمكم المضروبة.

{أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا}

أي أيُّ أطعمة المدينة أحل وأطهر، أو أجود أو أكثر بركة

{وَلْيَتَلَطَّفْ}

وليتكلف اللطف في الاستخفاء دخولا وخروجا

{وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا}

لا يخبرنّ أحدا بأمركم خشية تعذيبكم.

.20

إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (20)

{إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ}

أي يَطَّلعُوا عليكم، أو يَظفَروا بكم. وأصل معنى: (ظَهرَ): صار على ظهر الأرض، ولما كان ما عليها مشاهدا متمكنا منه، استعمل تارة في الإطلاع، وأخرى في الظَّفر والغلَبة، و عُدّي بعلى.

.21

وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (21)

{وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ}

أي كما أنمناهم وبعثناهم هذا البعث الخاصَّ، أطلعنا الناس عليهم.

{إِذْ يَتَنَازَعُونَ}

ظرفٌ لـ (أعثرنا): أي يتنازع المؤمنون والكافرون في أمرهم.

.22

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (22)

{سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ .. }

سيختلف الناس في عدة أصحاب الكهف، فحكى الله تعالى عنهم ثلاثة أقوال لا غير، فدَلّ على أنه لا قائل برابع؛ وأتبع القولين الأولَيْن – وهما لغير المؤمنين – بقوله: {رَجْمًا بِالْغَيْبِ} أي قوة بلا علم ولا اطلاع، فدل على بُعدهما عن الصواب. وحكى الثالث – وهو للمؤمنين – وأعقبه بقوله: {وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ}، فدل على أنه الواقع في نفس الأمر وإنما استفيد منه التقرير، لأن الكلام قد تمَّ عند قوله: {وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ} ثم عطف عليه قوله: {وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ} والثامن لا يكون ثامنا إلا بعد سابع؛ فكأنه قيل: هم سبعة وثامنهم كلبهم.

{رَجْمًا بِالْغَيْبِ}

أي يرمون رَمْيا بالخبر الغائب عنهم، الذي لا مُطَّلع لهم عليه ويأتُون به. والرَّجم في الأصل: الرَّميُ بالرجم، وهو الحجارة الصغيرة، استعير للتكلم بما لا علم به، ولا اطلاع عليه لخفائه؛ تشبيهاً له بالرمي بالحجارة التي لا تصيب المرمى.

{قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ}

أي أقوى وأقدم في العلم بها. وفيه إرشادٌ إلى أن الأفضل في مثل هذا ردُّ العلم إليه تعالى، وعدم الخوض فيه؛ فإذا أطلعنا الله على أمره قلنا به، وإلا وقفنا، وثبوتُ الأعلمية له تعالى لا ينافي علم قليل من الناس به؛ وهو قوله تعالى: {مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ} أي ما يعلم عدتهم إلا قليل من الناس، والأكثرون لا يعلمونها.

{وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا}

{فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ}

أي فلا تجادل في شأن أصحاب الكهف أحدا من الخائضين فيه

{إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا}

واضحا بذكر ما قصصنا عليك من شأنهم ولا تزد عليه. يقال: ماراه مِراء، جادله.

{وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا}

فإن فيما أوحينا إليك لمندوحة عن غيره.

.23

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23)

{وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ .. }

أي لا تقول أفعل غدا إلا متلبسا بقول: إن شاء الله. نزلت إرشادا له صلى الله عليه وسلم حين سألته قريش عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين فقال: (ائتوني غدا أُخبركُم) ولم يقل إن شاء الله. فأبطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه.

.24

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (24)

{وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ}

أي إذا نسيت تعليق القولُ بالمشيئة، ثم ذكرتَ أنك لم تعلقه بها فائت بها؛ أي ما دمت في مجلس الذكر – كما رويَ عن الحسن – أو ما لم تأخذ في كلام آخر.

.25

وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (25)

.26

قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (26)

{قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا}

أي بالزمن الذي لبثوه في كهفهم ممن اختلفوا فيه. وقد أخبر أنه ثلاثمائة سنة وتسع سنين قمرية، فهو الحق الصحيح الذي لاشك فيه، وهو إحدى معجزاته صلى الله عليه وسلم.

{أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ}

صيغتا تعجُّب؛ أي ما أبصره وما أسمعه تعالى. والمراد: الإخبار بأنه تعالى لا يغيب عن بصره وسمعه شيء. وذُكر بصيغة التعجُّب للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج عما عليه إدراك المبصرين والسامعين، إذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت عنده لطيفٌ وكثيفٌ، وصغير وكبير، وخفي وجلي.

.27

وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (27)

{وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا}

ملجأً تعدل إليه وتميل عند المام مُلِمّة؛ من الالتحاد بمعنى الميل. يقال: ألحد، مال وعدل. والتحد إلى كذا: مال إليه.

.28

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28)

{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ}

نزلت في شأن فقراء الصحابة وضعفائهم؛ كعمَّار وصُهَيب وبلال وأضرابهم. حين طلب سادة قريش من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يُنحيهُم عن مجلسه وقالوا: لونَحَّيت هؤلاء لجالسناك واتبعناك؛ أي أحبس نفسك وثَبتها. يقال: صَبَرتُ زيدا أصْبِره صبرا – أي حبسته.

{مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ}

أي يعبدونه بذكره، وحمده وتَهليله وتسبيحه وتكبيره، أو بتلاوة القرآن.

{بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ}

أي في طَرَفي النهار، وهو كناية عن دوام العبادة.

{وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ}

أي لا تصرف عيناك النَّظر عنهم إلى هؤلاء المتغطرسين المستكبرين. يقال: عداه عن الأمر عَدْوانا، صرفه وشغله.

{مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ}

جعلناه غافلا ساهيا.

{وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}

أي إفراطا وإسرافا، أو ضياعا وهلاكا، أو مجاوزا فيه الحدّ.

.29

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (29)

{أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا}

السُّرادق: كل ما أحاط بشيء من حائط أو مِضرب أو خباء، أو كل بيت من كُرسُف أي قطن، أو الحجرة التي تكون حول الفسطاط تمنع من الوصول إليه، وجمعه سُرادقات.

{يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ}

هو ماءٌ غليظ كدُردِيّ الزيت، أو هو دُرديُّه وعكرُه، أو ما أذيب من معادن الأرض أو من النحاس فانْماع و تَموّج بالغليان حتى بلغ أقصى الغاية في الحرارة، أو هو القَطِران الرقيق.

{وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا}

متَّكأ، من الارتفاق وهو الاتكاء على مرفق اليد، وأطلق عليها مرتفق مشاكلة لقوله بعد: {وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا} وإلا فلا ارتفاق لأهل النار.

.30

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (30)

.31

أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (31)

{جَنَّاتُ عَدْنٍ}

جنات إقامة واستقرار.

{مِنْ سُنْدُسٍ}

ما رقَّ من الحرير.

{وَإِسْتَبْرَقٍ}

ما غلظ منه وثَخُن

{مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ}

جمع أريكة، وهي كل منا يتوكأ عليه من سرير أو مِنَصة أو فراش، أو هي السرير في الحَجَلة، وهي بيت كالقُبة يزين للعروس بالثياب والستور والأسرة، ويكون له أزرار كبار.

.32

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (32)

{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا .. }

أي اضرب مثلا للمؤمنين الذين يَدعون ربهم بالغداة والعشي مع مكابدة مشاق الفقر، وللكافرين المستكبرين على الله مع تقلُبهم في نعمه تعالى

{جَنَّتَيْنِ}

بستانين.

{وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ}

جعلنا النّخل محيطا بكل منها.

.33

كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (33)

{آتَتْ أُكُلَهَا}

ثمرها، وهو ما يُؤكل من ثمر النخل والكرم وصنوف الزرع.

{وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا}

أي ولم تنقص منه شيئا من النقص في سائر السِّنين، وهو كناية عن تمامها ونموها دائما.

{وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا}

شققنا وأجرينا وسطهما.

.34

وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34)

{وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ .. }

أي وكان لصاحب الجَنّتين؛ أموال كثيرة أخرى غيرهما. جمع ثَمَرة، وهو يجمع على ثمار وجمعه ثُمُر.

{وَهُوَ يُحَاوِرُهُ}

أن يراجعه الكلام. يقال: تحاوَرُوا إذا تراجعوا الكلام بينهم.

{وَأَعَزُّ نَفَرًا}

أي عشيرة، أو حَشَما وأعوانا. والنَّفر: من ينفِرُ مع الرجل من قومه وعشيرته لقتال عدوه.

.35

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35)

{مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ}

تهلك وتفنى. يقال: باد يَبيد بَيْدا و بيوداً، إذا هلك.

.36

وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36)

{خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا}

مَرجعا وعاقبة. اسمُ مكان؛ من الانقلاب بمعنى الرجوع والانصراف عن الشيء إلى غيره. أقسم أنه إذا فُرض بعث في الآخرة ليجد فيها خيرا من جنته التي في الدنيا.

.37

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37)

.38

لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38)

{لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ}

أي لكنْ أنا أقول: هو الله ربي.

.39

وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (39)

{وَلَوْلَا}

كلمةُ تحضيض كَ (هلا)، وإذا دخلت على الماضي أفادت التوبيخ. أي هلا قلت – عند دخولك جنتك وإعجابك بها – ما أراه بها من الحُسن والنضارة هو ما شاءهُ الله تعالى؟ فرددتَ الأمر إلى المشيئة الإلهية؟

.40

فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40)

{وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا}

عذاباً

{مِنَ السَّمَاءِ}

كالصواعق والسَّموم. أو مراميَ من عذابه، إمّا بَردا وإما حجارة، وإما غيرهما مما يشاء.

{فَتُصْبِحَ صَعِيدًا}

ترابا أو أرضا

{زَلَقًا}

لا نبات فيها. أو مُزلِقة لا تثبت عليها قدم. والمراد أنها تصبح عديمة النَفع حتى منفعة المشي عليها. يقال: مكان زَلَقٌ، أي دحَضْ؛ وهو في الأصل مصدر زَلَقت رجلُه تَزلق زلقا، ومعناه الزلل في المشي لوحل ونحوه.

.41

أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41)

{أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا}

غائرا ذاهبا في الأرض؛ مصدرٌ وصف به للمبالغة وهو بمعنى الفاعل. يقالُ: غار الماء يَغور غَورا وغُئورا، أي سَفَل في الأرض وذهب فيها.

.42

وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42)

{وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ}

أهلكت أثماره وأفنيت كلها، مأخوذٌ من إحاطة العدو بالإنسان، وهي استدارته به من جميع جوانبه؛ ومنه {إلا أن يُحاط بِكُم} [يوسف:66]

{يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ}

كناية عن الندم والتحسر.

{خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا}

[آية 259 البقرة].

.43

وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (43)

.44

هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (44)

{الْوَلَايَةُ لِلَّهِ}

النصرة له تعالى وحده.

{وَخَيْرٌ عُقْبًا}

أي وهو تعالى خير عاقبة لمن والاه. والعُقْب والعُقُب: العاقبة. يقال: عاقبةُ أمره كذا وعُقباه وعُقُبه، أي آخره وما يصير إليه منتهاه.

.45

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (45)

{فَأَصْبَحَ هَشِيمًا}

يابساً متفتتا بعد البهجة والنضارة؛ من الهَشم وهو كَسر الشيء اليابس؛ ومنه هَشم الثريد يهشمه: كسره وثَرده.

{تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ}

تفرقه وتنسفه. يقال: ذَرت الريح الشيء تذروه وذَروا وتذرية، أطارته وأذهبته.

.46

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (46)

{وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ}

الطاعات وأعمال الحسنات.

.47

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (47)

{وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً}

ظاهرة للأعين، من غير شيء يَسترها من جبل أو شجر أو بنيان. يقال: بَرَز بروزا، خرج إلى البَرَاز – أي الفضاء – وظهر بعد الخفاء.

{وَحَشَرْنَاهُمْ}

جمعناهم إلى الموقف من كل صوب.

{فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا}

فلم نترك منهم أحدا دُون أن نبعثَه من قبره حياً.

.48

وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (48)

{مَوْعِدًا}

وقتا لإنجازنا الوعد بالبعث والجزاء.

.49

وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49)

{وَوُضِعَ الْكِتَابُ}

صحائف أعمال العباد.

{مُشْفِقِينَ}

خائفين وجلين.

{لَا يُغَادِرُ}

لا يترك ولا يبقي.

{أَحْصَاهَا}

عدها وضبطها وأثبتها.

{يَاوَيْلَتَنَا}

نداءٌ لهَلَكتهم؛ كأنهم يقولون: ياهلاكنا أقبل، فهذا أوانك! والويلةُ: الهلاك وحلول الشر والقبح والحَسْرة.

.50

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (50)

{اسْجُدُوا لِآدَمَ}

سجود تحية وتعظيم لا عبادة.

{فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ}

خرج عن طاعته [آية 26 البقرة].

.51

مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (51)

{وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا}

أعوانا وأنصارا في شأن من شئوني. يقال: فلان يعْضُد فلاناً، إذا كان يقويه ويُعينه. والعضُدُ في الأصل: ما بين المِرْفق إلى الكَتِف، ويستعار للمُعين والناصر فيقال: فلان عضُدي؛ ومنه {سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ} [القصص:35] لأن اليدَ قوامُها العضُد.

.52

وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا (52)

{وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا}

وجعلنا بين الدَّاعين والمدعوِّين مَهْلَكا يشتركون فيه وهو جهنم. اسم مكان من وبَقَ وُبوقا –كَوَثب وثوبا –، أو وبِقَ وبَقا – كفرح فرحا –: إذا هلك.

.53

وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (53)

{فظَنُّوا}

أي علموا.

{مُوَاقِعُوهَا}

واقعون فيها أو داخلون فيها.

{وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا}

أي معدلا عنها، ومكانا ينصرفون إليه.

.54

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (54)

{صَرَّفْنَا}

كررنا بأساليب مختلفة.

{كُلِّ مَثَلٍ}

معنى غريب بديع كالمثل في غرابته.

.55

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (55)

{وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا .. }

أي وما منع كفار مكة من الإيمان بالله ونَبْذِ الشرك، ومن الاستغفار مما فرط منهم من الآثام إلا تقدير الله إتيانَهم ما جرت به سنتُه في الأمم المكذِّبة السابقة من الهلاك الدُّنيوي أو العذاب الأخروي، أو إرادته تعالى ذلك، بناءً على ما عَلِم سبحانه من سوء استعدادهم وخُبْث نفوسهم؛ فـ (أنْ) وما بعدها في تأويل مصدر فاعلُ (منع)، بتقدير مضاف وهو: تقديرُ أو إرادة. وفي الآية إنذار لهم بأن شأنهم وعاقبة أمرهم شأن الأولين المكذبين.

{سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ}

عذاب الاستئصال إذا لم يؤمنوا.

{أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا}

أي صنوفا وألواناً، أو عِيانا ومُقابَلة.

.56

وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا (56)

{لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ}

ليزيلوا أو يبطلوا الحق بجدالهم؛ من إدحاض القَدَم، وهو زلاقها. يقالُ: أدْحض قدمه، أي أزلقها وأزلها عن موضعها. والدَّحْض: الطين الذي يزلق فيه.

{هُزُوًا}

استهزاء وسخرية.

.57

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (57)

{أَكِنَّةً}

أغطية.

{وَقْرًا}

أي ثقلاً وصمما [آية 25 الأنعام]. والآية فيمن علم الله أنهم يموتون على الكفر من مشركي مكة.

.58

وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا (58)

{مَوْئِلًا}

ملجأ يلجأون

إليه. يقال: وأل إليه يَئِل وَأْلا و وُءولاً – بوزن وُعولا – لجأ.

.59

وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (59)

{لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا}

لهلاكهم ميقاتا وأجلاً معينا، لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون.

.60

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60)

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى}

شروع في قصة موسى الكليم عليه: السلام.

{لِفَتَاهُ}

يوشع بن نون. وقيل: إنه ابن أخت موسى عليه السلام.

{مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ}

أي قرب ملتقاهما مما يَلي المشرق، وهما على ما يظهر البحر الأحمر، والبحر الأبيض.

{أَمْضِيَ حُقُبًا}

أي أسير دهراً طويلا: جمعُه أحقاب، وفي معناه الحِقبة من الدهر وجمعها حِقَب – كسِدْرة وسِدَر –، والحُقبة وجمعها حُقَب، كغُرفة وغُرَف.

.61

فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61)

{مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا .. }

أي المكان الذي وعد موسى أن يجتمع فيه بالخضر عليه السلام، و (بين) ظرف أضيف إلى البحرين على الاتساع.

{سَرَبًا}

مَسلكا ومَذهبا، كالسَرب في الأرض. والسَّرب: النَفق والحفير تَحت الأرض، والقناة يدخل منها الماء البستان.

.62

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (62)

{نَصَبًا}

تعبا و إعياء.

.63

قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63)

{أَرَأَيْتَ}

أخبرني، أو تنبه وتذكر.

{أَوَيْنَا}

التجأنا.

{وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا}

أي سبيلاً يُعجب منه، أو اتخاذاً عجبا وهو كون مسلكه كالطَّاق والسَّرب.

.64

قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (64)

{ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ}

أي ذلك الذي ذكرت من أمر الحُوت هو الذي كنا نطلبه ونلتمسه، من حيث إنه أمارة على الفوز بالمطلوب من البُغاء بمعنى الطلب.

{فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا}

فرجعا في طريقهما الذي سلكاه يتبعان آثارهما اتباعا حتى انتهيا إلى مَدْخل الحوت. يقال: قصَّ أثره قَصًّا قَصَصا، تَتبعه.

.65

فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65)

{فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا}

هو الخَضِر، وهو نبي عند الجمهور. واختلف في حياته؛

فذهب جمع من الأئمة إلى أنه ليس بحي اليوم: منهم البخاري وإبراهيم الحربي وعلي بن موسى الرضا وأبو يعلى وشيخ الإسلام ابن تيمية. وذهب آخرون إلى أنه حي وسيموت آخر الزمان. وقال ابن القيم: إن الأحاديث التي يُذكر فيها حياته كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد.

.66

قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66)

{مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا}

علما ذا رشد أصيبُ به الخير في ديني.

.67

قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67)

.68

وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68)

{تُحِطْ بِهِ خُبْرًا}

علما. يقال: خَبَرَ الأمر يَخْبُرُه، عَلِمه، والاسم الخُبْر، وهو العلم بالشيء؛ ومنه الخبير، أي العالم.

.69

قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69)

.70

قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70)

.71

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71)

{شَيْئًا إِمْرًا}

عظيما مُنكرا. والإمر: الداهية، وأصله كل شيء شديد كثير؛ ومنه قيل للقوم: قد أمِرُوا، إذا كَثُروا واشتد أمرهم. وأمْر إمرٌ: منكر عجيب.

.72

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72)

.73

قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (73)

{وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا}

لا تكلِّفني من أمري مشَقة في صحبتي إياك. يقال: أرهقه طُغيانا، أغشاه إياه وألحق ذلك به. وأرهقه عُسرا: كلّفه إياه. والإرهاق: أن يُحمل الإنسان على ما لا يطيقه.

.74

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (74)

{شَيْئًا نُكْرًا}

منكرا عظيما. يقال: نَكُر الأمر، أي صعب واشتد. وعن قتادة: النُكْر أشدُّ من الإمر.

.75

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (75)

.76

قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (76)

{قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا}

أي قد بلغت إلى الغاية التي تُعذر بسببها في فراقي حيث خالفتك مرارا.

.77

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (77)

{فَأَبَوْا}

فامتنعوا.

{يَنْقَضَّ}

ينهدم ويسقط بسرعة.

.78

قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (78)

{بِتَأْوِيلِ}

بمآل وعاقبة.

.79

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (79)

{وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ}

من دأبه تعقُّب السُّفن الصالحة للاستيلاء عليها. ومن تعقب الشيء وتبعه يقال: إنه وراءه بحثا واستقصاء، سواء أتاه من الأمام أو من الخلف. قال الزجاج: وراء يكون لخلف وقدام، ومعناها: ما توارى عنك، أي ما استتر عنك، وليس من الأضداد كما زعم بعض أهل اللغة. اهـ. وهو مما يستأنس به لما قلنا.

{غَصْبًا}

استلابا بغير حق.

.80

وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80)

{فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا}

يُوقعهما لو بقيَ حيا في الطغيان والكفر لشدة محبتهما له، وقد أعلمه الله أنه طُبع كافرا [آية 73: هذه السورة].

.81

فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (81)

{مِنْهُ زَكَاةً}

أي طهارة من الذنوب والأخلاق الرديئة.

{وَأَقْرَبَ رُحْمًا}

أي رحمة عليهما وبِراً بهما.

.82

وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (82)

{يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا}

قوتهما وشدتهما وكمال عقلهما.

.83

وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (83)

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ}

هو عبدٌ صالحٌ ملَّكه الله الأرض، وأعطاه العلم والحكمة والسلطان. وقيل: نبيٌّ؛ كما يشهد له ظاهر قوله تعالى: {قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ}. وسُمِّيَ ذا القرنين لبلوغه المشرق والمغرب، فكأنه حاز قَرني الدنيا، وليس هو الإسكندر المَقْدُوني تلميذ أرسطو، بل كان قبله بقرون.

.84

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84)

{مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا}

أي علما أو طريقا يوصله إليه.

.85

فَأَتْبَعَ سَبَبًا (85)

{فَأَتْبَعَ سَبَبًا}

سلك طريقا أفضى به إلى المغرب. يقالُ: اتْبَعَ واتَّبَع بمعنى واحد وهو السَّير.

.86

حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (86)

{حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ}

أي منتهي الأرض المعمورة في زمنه من جهة المغرب. وكذا يقال في قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ .. }.

{وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ}

أي رآها في نظره عند غروبها كأنها تغرب في عين مظلمة و إن لم تكن كذلك في الحقيقة، كما أن راكب البحر يراها كأنها تطلع من البحر وتغيب فيه إذا لم يَره الشَّط، والذي في أرضٍ ملساء واسعة يراها كأنها تطلع من الأرض وتغيب فيها. و {حَمِئَةٍ} أي ذات حمأة وهي الطين الأسود: من حَمِئت البئر

تحمأ حَمَأً: صارت فيها الحمأة. وقُرِيء (حامية) أي حارة، اسم فاعل مِن حَمِيَ يَحْمى حَمْيا.

.87

قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (87)

{عَذَابًا نُكْرًا}

منكرا فظيعا، وهو عذاب جهنم.

.88

وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (88)

.89

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (89)

.90

حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (90)

{لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا}

أي لم نجعل لهم من دون الشمس ما يستترون به من البناء أو من البناء واللباس؛ فهم قوم عراة يسكنون الأسراب والكهوف في نهاية المعمورة من جهة المشرق.

.91

كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (91)

{خُبْرًا}

علما شاملا.

.92

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (92)

.93

حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (93)

{بَيْنَ السَّدَّيْنِ}

الجبلين، وسُمّيَ الجبل سدًّا لأنه سدَّ فجاً من الأرض، قيل: إنهما فيما يقرب من عرض تسعين درجة من جهة الشمال.

.94

قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94)

{يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ}

قبيلتين من ذرية يافث بن نوح.

{خَرْجًا}

وقريء (خراجا) ومعناهما الجُعْل من المال. وقيل: الخرجُ المصدر. أطلق على الخراج وهو اسم لما يُخرج من الأموال.

{عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا}

حاجزاً يمنعهم من الوصول إلينا، والإفساد في أرضنا.

.95

قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95)

{رَدْمًا}

حاجزاً حصينا وجدارا متينا. وهو أوْثق من السد وأحكم، يقال: ثوبٌ مُرَدَّم، أي فيه رقاعٌ فوق رقاع، وسَحاب مُرَدَّم: أي متكاثِف بعضه فوق بعض.

.96

آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (96)

{آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ}

قِطَعه العظيمة. جمع زُبْرة – كغرفة – وهي القطعة الكبيرة من الحديد. وأصلُ الزَّبر: الاجتماع؛ ومنه زُبْرة الأسد، لما اجتمع من الشعر على كاهله. وزَبَرْت الكتاب: أي كتبته وجمعت حروفه.

{بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ}

جانبي الجبلين؛ وأصل الصَّدف الميلُ في خُف البعير إلى الجانب الوَحْشي. وسُمي
كل واحد من الجانبين صدَفا لكونه مصادِفا ومقابلاً للآخر. من قولك: صادفت الرجل أي لاقيته؛ ولذا لا يقال للمُفرد صَدَف حتى يصادفه الآخر، فهو من الأسماء المتضايفة كالزَّوج والشَّفع.

{قِطْرًا}

نحاسا مذابا، أو رَصاصا مُذابا. وأصله من القَطر؛ لأنه إذا أذيب قَطر كما يقطر الماء.

.97

فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (97)

{أَنْ يَظْهَرُوهُ}

يعلُو ظهره ويَرقَوْا عليه لِملاسته وارتفاعه.

{نَقْبًا}

خرقا لصلابته وثَخانته.

.98

قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (98)

{جَعَلَهُ دَكَّاءَ}

أرضا مستوية، أو مثل دَكَّاء وهي الناقة لا سنام لها. وقريء (دَكا) أي مدكوكا مسوًّى بالأرض.

{وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا}

تذييل من ذي القرنين، وهو آخر ما حُكي من قصته.

.99

وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (99)

{يَمُوجُ}

يختلط ويضطرب.

{نُفِخَ فِي الصُّورِ}

نفخة البعث.

.100

وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (100)

.101

الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (101)

{غِطَاءٍ}

غشاء غليظ وستر كثيف.

.102

أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (102)

{نُزُلًا}

شيئا لضيافتهم. وأصلُه: المنزلُ وما يهيأ للضيف من الزاد تَكرمة له. وفي التعبير عن جهنم بالنُّزل تهكُّم واستهزاء بهم.

.103

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103)

.104

الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104)

.105

أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (105)

{وَزْنًا}

مقدارا و اعتباراً لحبوط أعمالهم.

.106

ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (106)

.107

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (107)

{جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ}

أفضل الجنة. وهو معنى قولهم: انه وسط الجنة وربْوتُها وأعلاها وأرفعها، وهو لفظ عربي يُجمع على فراديس. وقيل مُعَّرب، ومعناه: البستان الذي يجمع ما في البساتين.

{نُزُلًا}

ذكرَ في مقابلة ذلك النُّزل المعد للكافرين.

.108

خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (108)

{لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا}

تحولا، لكونها أطيب المنازل وأعلاها. مصدرٌ سماعيٌّ لِتحَول كالعِوج والصِّغر. يقال: حال من مكانه حِوَلاً.

.109

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (109)

{مِدَادًا}

هو المادة التي يُكتب بها.

{لِكَلِمَاتِ رَبِّي}

معلوماته وحكمته تعالى.

{لَنَفِدَ الْبَحْرُ}

فَنِيَ وفرغَ. يقال: نَفِدَ يَنفد نَفادا ونَفَدا، فَنِيَ وذهب؛ ومنه: أنفده واستنفده، أي أفناه.

{مَدَدًا}

عونا وزيادة.

.110

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110)

والله أعلم.

سُورة مَرْيَم

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

كهيعص (1)

.2

ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2)

{ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ}

خبرُ مبتدا محذوف، أي المتلوُّ عليك ذكر ... الخ.

.3

إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (3)

{نِدَاءً خَفِيًّا}

دعاء مستورا لم يسمعه أحد.

.4

قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4)

{وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي}

ضَعُف من الكبر. وقرىء (وهن) بالحركات الثلاث: من الوَهْنُ وهو الضعف. وخُص العظم بالذكر لأنه عمود البدن وبه قِوامُه، فإذا وهن تداعي البدنُ كله. وأفرد لأن المراد به الجنس.

{وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ}

أي بدعائي إياك فيما مضى من عمري

{رَبِّ شَقِيًّا}

خائبا، بل كنت سعيدا بإجابته، فأسعِدني الآن بإجابته.

.5

وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5)

{خِفْتُ الْمَوَالِيَ .. }

أي بَني عمي وعَصَبَتي، وكانوا شرار بني اسرائيل؛ فخاف ألا يُحسنوا خلافته من بعد موته في أمته ويُبدلوا عليهم دينهم، جمعُ مَوْلًى، وهو العاصب.

{فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا .. }

ابنا مَرْضيّا عندك.

.6

يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (6)

{يَرِثُنِي}

في العلم،

{وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ}

النبوة، بمعنى أنه يَصلُح لها. والوليُّ: يُطلق على النَّصير والمعين.

{رَضِيًّا}

مَرْضِيًّا عندك قولا وفعلا.

.7

يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (7)

{لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا}

شريكاً في الاسم؛ حيث لم يُسَمّ أحدٌ قبله بيحيى، أو شبيها في صفاته وأحواله.

.8

قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (8)

{أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ}

كيف؟ أو من أين يحدُث لي غلام!؟ استفهام تعجُّبٍ وسرور بهذا الأمر العجيب.

{بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا}

أي بلغت بسبب الكبر حاله لا سبيل إلى إصلاحها ومداواتها؛ وهي اليُبْس والصلابة في المفاصل والعظام. يقال: عتا الشيخُ يَعتو عِتِيًّا، كَبِر وَوَلى وأصله عُتُووٌ، قلبت الواو الثانية ياء وأدغمت، ثم كسرت التاء ثم العين إتباعا لها. وقُرِيءَ (عُتِيًّا).

.9

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (9)

.10

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (10)

{آيَةً}

علامة على تحقق المسئول لأشكرك.

{أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ}

أي لا تستطيع تكليمَهم بلسانك

{ثَلَاثَ لَيَالٍ}

مع أيامهن.

{سَوِيًّا}

أي حال كونك سَوِيَّ الخَلْق سليم الحواس، لا علة بك من خَرَس أو مرض.

.11

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (11)

{مِنَ الْمِحْرَابِ .. }

من المصلَّى، أو من الغرفة [آية 37 آل عمران].

{فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ}

أشار إليهم

{أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}

أي صلوا لله تعالى طرفي النهار. أو نزِّهوه فيهما، وهو كقوله تعالى: { ... وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (41)} [ال عمران].

.12

يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (12)

{وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ}

فَهْمَ التوراة والعبادة، أو النبوة.

.13

وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (13)

{وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا}

ﻫ أي وأعطيناه من عندنا رحمةً عظيمةً عليه، أو رحمة في قلبه وتعطُّفا على الناس.

{وَزَكَاةً}

بركة ونَماء، أو طهارة من الذنوب؛ أي جعلناه مباركًا نفّاعاً معلماً للخير

{تَقِيًّا}

مطيعاً مجتنباً للمعاصي.

.14

وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (14)

{وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ}

كثير البر والإحسان إليهما.

{وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا}

مستكبرا متعالياً

{عَصِيًّا}

ذا عصيان ومخالفة لربه.

.15

وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (15)

.16

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16)

{انْتَبَذَتْ .. }

اعتزلتْ وانفردت للتَّخلّي للعبادة. افتعالٌ من النَّبذ، وهو طرح الشيء وإلقاؤه كأنها ألقت بنفسها إلى جانب، معتزلة عن الناس في مكان إلى شرقيِّ بيت المَقْدس أو شرقي دارها، متخذة من دونهم ساترا.

.17

فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17)

{حِجَابًا}

سترا.

{فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا}

أي جبريل عليه السلام [آية 87 البقرة] ليبشرها بالغلام ولينفخ فيها فتحمل به، والإضافة للتشريف؛ كبيت الله.

{فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا}

أي في صورة إنسان معتدِلِ الخَلق كامل البِنية؛ لتستأنس بكلامه ولا تنفِر منه، ولو بدا لها في الصُّورة المَلَكية لنَفرت منه ولم تستطع مكالمته. يقال: رجل سويٌ، إذا استوت أخلاقه وخِلْقتُه عن الإفراط والتفريط.

.18

قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18)

{إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا}

أي إن كان يُرجى منك تقوى الله فإني عائذ به منك، وهو كقول القائل: إن كنت مؤمنا فلا تظلمني.

.19

قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19)

{غُلَامًا زَكِيًّا}

مزكى مطهرا بالخلقة.

.20

قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20)

{وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا}

فاجرة تبغي الرجال، أو يبغيها الرجالُ للفجور بها. يقال: بغت الأمة تبغي بَغْياً؛ فهي بغيٌّ وبَغُو، إذا عهرت. والبغيُّ: الأمة أو الحرة الفاجرة.

.21

قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21)

.22

فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22)

{مَكَانًا قَصِيًّا}

بعيدا من أهلها وراء الجبل. يقالُ: قصا عنه قَصْوا وقصُوًّا، بَعُد فهو قصيٌّ. وهو بمكان قصي: أي بعيد.

.23

فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (23)

{فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ}

ألجأها. يقالُ: أجأْته إلى كذا، بمعنى ألجأته واضطررته إليه؛ وهو تعْديةُ (جاء) بالهمز. والمخاض: وجع الولادة، يقال: مخضت المرأة تَمْخَض. إذا أخذها الطلق. والجِذع: ما بين العروق ومتشعب الأغصان من الشجرة.

{وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا}

شيئا متروكاً مطرَحاً. وكل شيء نُسِيَ وترك ولم يُطلب فهو نَسيٌ ونِسي، و (منسيا) تأكيد.

.24

فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24)

{فَنَادَاهَا}

جبريل أو عيسى عليهما السلام.

{قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا}

انساناً رفيع القَدْر، والمراد به عيسى عليه السلام؛ من السَّرو بمعنى الرِّفعة. يقال: سَرُو الرجل يَسْرو – كشرُف يَشْرُف – فهو سَري. أو جعل قُربك جدولا صغيرا كان قد انقطع ماؤه ثم جرى وامتلا، وسُمِّي (سريا) من سرى يسرِي؛ لأن الماء يسري فيه.

.25

وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25)

{رُطَبًا}

هو نضيج البُسر.

{جَنِيًّا}

مُجنيًّا، أي صالح للاجتناء.

.26

فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26)

{وَقَرِّي عَيْنًا}

طيبي نفسا بالولد، وارفُضي عنك ما أحزنك؛ أمرٌ من قَرَّت عينُه تَقِر – بالكسر والفتح – قَرَّة وقُرْة وقروراً: إذا رأت ما كانت

متشوقة إليه. مأخوذة من القرار بمعنى الاستقرار أي السكون؛ ولأن العين إذا رأته سكنت إليه ولم تنظر إلى غيره.

.27

فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27)

{شَيْئًا فَرِيًّا}

عظيما أو عجيباً، أو مصنوعاً مختلقاً؛ يقال: فلان يَفْري الفَرِي، إذا كان يأتي بالعجب في عمله. والفريُّ: الأمر المُختلق المصنوع.

.28

يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28)

{يَاأُخْتَ هَارُونَ}

هو كقولهم: يا أخا العرب، ويا أخا تميم. وهارون: قيل هو أخُ موسى عليه السلام، وكانت من نسله. وقيل: هو رجل صالح في بني إسرائيل.

.29

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29)

{مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ}

أي كيف نكلِّم من لم يزل في المهد صبيا؟ [آية 46 آل عمران] وقد تكلم، فوصف نفسه بثماني صفات، أولها – العبودية لله عز وجل، وآخرها– تأمينُ الله له في أخوفِ المقامات. وكل هذه الصفات تقتضى تبرئة أمِّه.

.30

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30)

{اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ}

سبق في قضائه إيتائي الكتاب، وكذا يقال فيما بعده.

.31

وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31)

.32

وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32)

{وَبَرًّا بِوَالِدَتِي}

باراً بها مُحسنا مُكْرِما.

.33

وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33)

.34

ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34)

{قَوْلَ الْحَقِّ}

أي حال كون عيسى كلمةَ الله، بمعنى أنه خلق بكلمة (كُن) من غير أب.

{يَمْتَرُونَ}

أي يختصمون ويختلفون. يقال: ماريت فلاناً: إذا جادلته وخاصمته آية 147 البقرة].

.35

مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35)

{سُبْحَانَهُ}

تنزيها لله عن اتخاد الولد؛ من التَّسبيح بمعنى التنزيه عن النقائص.

{إِذَا قَضَى أَمْرًا}

أي أراده [آية 117 البقرة].

.36

وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (36)

.37

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (37)

{فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ .. }

فقال فريق منهم: هو ابنُ الله، وقال فريق إنه هو الله، وقال

فريق ثالث: إنه ثالث ثلاثة [راجع مزاعم هذه الفرق في تفسير الالوسي الآية 171 من سورة النساء].والثلاثة: الله وعيسى ومريم؛ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا؟.

.38

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (38)

{أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ}

صيغتا تعجُّب، لفظهما لفظ الأمر ومعناهما التَّعجيب، أي حَمْل المخاطب على التعجب، وفاعلُهما الضمير المجرور بالباء وهي زائدة فيهما لزوما، كما زيدت جوازا في فاعل (كفى بالله شهيدا) [النساء:79]. والمعنى: ما أسمعهم وما أبصرهم في ذلك اليوم، لما يخلع قلوبَهم ويسوّد وجوههم، وقد كانوا في الدنيا صُمًّا وعُميانا.

.39

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (39)

{يَوْمَ الْحَسْرَةِ}

الندامة الشديدة على ما فات.

.40

إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (40)

.41

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41)

.42

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42)

.43

يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43)

{صِرَاطًا سَوِيًّا}

مستقيما لا اعوجاج فيه، وفيه النجاة لك من غضب الله ونقمته.

.44

يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44)

{لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ}

إذْ أنَّ عبادة الأصنام عبادة له، لأنه هو الذي يُسوِّلها ويُغْري بها.

{عَصِيًّا}

كثير العصيان.

.45

يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45)

{وَلِيًّا}

قريناً تليه ويليك في العذاب.

.46

قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَاإِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46)

{وَاهْجُرْنِي}

أي فاحذرني واتركني

{مَلِيًّا}

أي دهر طويلا، من المَلاوة – بتثليث الميم – وهي البُرهة الطويلة من الدَّهر، والمرادُ: أبدَ الدَّهر.

.47

قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47)

{كَانَ بِي حَفِيًّا}

بارًّا ملطفاً؛ فيجيب دعائي لك. يقال: حَفِيَ به حفاوة، اعتنى به و بالغ في إكرامه؛ فهو حافٍ وحَفِيٌّ.

.48

وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48)

{شَقِيًّا}

خائبا ضائع السعي.

.49

فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (49)

.50

وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (50)

{لِسَانَ صِدْقٍ}

ثناء حسنا في أهل كل دين.

.51

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (51)

{كَانَ مُخْلَصًا}

أخلصه الله تعالى له واصطفاه. وقريء بكسر اللام، أي أخلص عبادته لله.

.52

وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (52)

{وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا}

مُناجيا تقريب مكانة وتشريف إسماعه كلامنا؛ من المناجاة وهي المُسارّة بالكلام.

.53

وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (53)

.54

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (54)

.55

وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (55)

.56

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (56)

.57

وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (57)

.58

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (58)

{وَاجْتَبَيْنَا}

اصطفينا واخترنا للرسالة والوَحْي: من الاجتباء بمعنى الأختيار.

{خَرُّوا سُجَّدًا}

ساجدين و باكين، خضوعاً وخشوعاً وخوفاً وحذرا، وتعظيماً وتمجيدا الله تعالى، جمع ساجد.

{وَبُكِيًّا} وباكٍ وأصله بُكُويٌ، فقلبت الواوُ ياءً وأدغمت، وحُرّكت الكاف بالكسر لمناسبة الياء.

.59

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (59)

{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ}

عَقِبُ سوء. والمشهور استعمالُ الخَلْف – بالسكون في الشر كما هنا، وبالفتح في الخير؛ فيقال: خَلَف صالح.

{غَيًّا}

ضلالاً وخسرانا؛ أي جزاء غيّ وهو العذاب في الآخرة [البقرة: آية 256].

.60

إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (60)

.61

جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (61)

{إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا}

أي كان موعوده وهو الجنّة آتيا عباده الذين وعدهم بها في الدنيا. وهي غائبةٌ عنهم غيرُ حاضرة. ف (مَأْتِيًّا) اسم مفعول بمعنى فاعل.

.62

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (62)

{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا}

أي فضولاً من الكلام لا نَفع فيه، أو: باطلاً وقبيحاً منه.

{بُكْرَةً وَعَشِيًّا}

أي في مقدار طَرَفي النهار في الدنيا. والمرادُ: دوام الرزق فيها وعدمُ انقطاعه.

.63

تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (63)

.64

وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (64)

{وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ}

نزلت لمّا احتبس الوحيُ عنه صلى الله عليه وسلم أياماً، حين سُئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والرُّوح، وشق ذلك عليه، ثم نزل الوحي بعد أيام، فقال صلى الله عليه وسلم لجبريل: (أبطأتَ عليَّ حتى ساءني واشتقت إليك) فقال له جبريل: (إني كنت أشوقَ، ولكني عبد مأمورٌ إذا بُعثت نزلت، وإذا حُبست احتبستُ) فأنزل الله الآية.

.65

رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (65)

{هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا}

نظيراً أو شبيها يستحق العبادة لربوبيته وألوهيته، وكمال تنزهه عن النقائص، واتصافه بصفاته الجليلة.

.66

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (66)

{وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ .. }

نزلت في الوليد بن المُغيرة، أو ابَيّ بن خلف أو العاص بن وائل، فهو من العام الذي أريد به الخصوص. وقيل: المراد جنسُ منكري البعث.

.67

أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (67)

.68

فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (68)

{جثيًّا}

باركين على الرُّكب عجزا عن القيام؛ لما يصيبهم من هَوْل الموقف وشدته. يقال: جَثا يجثُو ويجثِي جُثُوًّا وجثِيًا، جلس على ركبتيه، فهو جاثٍ وجمعه جثِيّ وجُثِيّ، وبهما قُرِيء. وأصله جُثُوو بواوين، قلبت الثانية ياءً ثم الأولى كذلك وأدغمت في الياء، ثم كُسرت الثاءُ لمناسبة الياء، والجيمُ إتباعا لم بعدها. أو أصله جُثُوي.

.69

ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (69)

{لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ .. }

ثم لنخرجَنَّ من كل طائفة تشايعت على الكفر والباطل – الذين هم أشدُّ نُبوًّا عن طاعة الله وعصيانا، إلى أن يحاط بهم، فإذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب، نقدِّم أولاهم فأولاهم بالعذاب. والشِّيعة في الأصل: الجماعة المتعاونون على أمر من الأمور. يقال: تشايع القوم، إذا تعاونوا.

{عِتيًّا}

أي نبوًّا عن الطاعة وعصياناً. يقال: عتَا عِتيا وعُتِيا وعُتُوًّا، استكبر وجاوز الحد؛ فهو عاتٍ وعَتِي.

.70

ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا (70)

{ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ}

أي بالأشدِّ كفرا، الذين {هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا}

أي مقاساة لحرها، أو دخولا فيها. يقال: صلِيَ النار وبها –كَرضيَ – صُلِيًّا وصِلِيًّا و صَلاء، قاسى حرها؛ كَتصلّاها، ويقال: صَلَى اللحم يصليه صَلْياً، شواه وألقاه في النار للإحراق، وأصلاه النار، وصلاه إياها وفيها وعليها: أدخله إياها وأثواه فيها. وأصلُ صِلِيٍ: صُلوى. قلبت الواو ياء وادغمت وكسرت اللام لمناسبة الياء.

.71

وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (71)

{وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا .. }

أي داخلها، مسلماً كان أو كافرا؛ فتكون برداً وسلاماً على المؤمنين، ثم ينجي الله الذين اتقوا. أو واصلها بالمرور على الصراط المنصوب على مَتنها من غير دخول فيها. والخطابُ خاص بالذين سَبَقت لهم الحُسنى، أو يراد بالورود: الإشرافُ والاطلاع والقُرب، فإنهم حين يحضرون للحساب يكونون بقرب جهنم، فيرونها وينظرون إليها ثم ينجِّي الله الذين اتقوا مما نظروا إليه، ويُصار بهم إلى الجنة، ويذر الظالمين في النار جثِيّا.

.72

ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (72)

.73

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (73)

{وَأَحْسَنُ نَدِيًّا}

مَجْلساً ومُجتمعا؛ يفاخرون فقراء المؤمنين بالمال والجاه العريض، والنَّدِيُّ والنادِي والنَّدوَة والمُنْتدى: مجلس القوم ومجتمعهم حيث ينتدُون. يقال: ندوْت القوم اندُوهم نَدْواً، إذا جمعتهم في مجلس للانتداء؛ ومنه؛ دار النَّدوة.

.74

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا (74)

{قَرْنٍ}

أمة.

{أَثَاثًا}

متاعاً

{وَرِئْيًا}

منظرا ومَرْءًا في العين، من الرُّؤية، كالطحن بمعنى المطحون.

.75

قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا (75)

{فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ}

فلْيمهله وليُمْلِ له في العمر والسَّعة، ليزداد طغيانا وضلالاً.

{وَأَضْعَفُ جُنْدًا}

أقل أعوانا وأنصارا.

.76

وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا (76)

{وَخَيْرٌ مَرَدًّا}

أي مرجعاً وعاقبةً.

.77

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (77)

{أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا .. }

نزلت في العاص بن وائل، وكان من المشركين المنكرين للبعث. وقال ما قال استهزاءً وسخريةً. وقيل في الوليد ابن المغيرة، وكان كذلك.

.78

أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (78)

{أَطَّلَعَ الْغَيْبَ}

أعَلِم الغيب (استفهام).

.79

كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (79)

{كَلَّا}

حرْفُ رَدْع وَزْجر عن التفوه بهذه العظيمة النَّكراء، أي لم يكن ذلك!.

{وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ}

نزيده فوق عذاب كفره عذاباً في جهنم على ذلك؛ من المَدّ، وأكثر ما يستعمل في المكروه. كما أن الإمداد أكثرُ ما يستعمل في المحبوب.

.80

وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (80)

.81

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (81)

{عِزًّا}

شُفَعاءً وأنصارا يتعززون بهم.

.82

كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (82)

{وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا}

أعداءً مخالفين لهم. يقال: ضده في الخصومة – من باب ردّ – غلبه ومنعه برفق. وضادّه خالفه.

.83

أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (83)

{تَؤُزُّهُمْ أَزًّا}

تُحرِّكهم تحريكاً قويا، وتُغريهم إغراء شديدا بالمعاصي حتى يواقعوها. يقال: أزَّ الشيء يَئِزُّه ويئُزُّه ازًّا، حركه شديدا. وأزّه يؤُزُّه ازًّا، أغراه وهيجه. وأزّه: حَثَّه. والأزُّ والأزيز والهَزُّ والهَزيز: بمعنى التهييج وشدة الإزعاج. وأصله من ازّت القِدْر تؤُز وتَئز أزًّا وأزيرا: اشتد غليانُها.

.84

فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (84)

.85

يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (85)

{وَفْدًا}

رُكبانا على نجائب، جمع وافدٍ. يقال: وفدَ إليه وعليه يَفِد وَفْدا ووُفودا، قدِم وورَد. والوَفْد: هم الذين يَفِدون على الملوك مستنجزين الحوائج.

.86

وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (86)

{وِرْدًا}

عطاشاً. والورْد: الجماعة يردون الماء، ولا يَرِدُون إلا للعطش.

.87

لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (87)

{لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ}

جملة مستأنَفَة؛ أي لا يملك الناس في ذلك اليوم أن يشفعوا في غيرهم ولا أن يشفع غيرهم فيهم؛ إلا من اتصف منهم بما يستأهل معه أن يشفع، أو إلا من أذن له الرحمن فيها؛ كقوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (109)} [طه].

{عَهْدًا}

أي أمرا؛ من قولهم: عَهِد الأمير إلى فلان بكذا، إذا أمره به. ويقالُ: أخذت الإذن بكذا اتخذته.

.88

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88)

.89

لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89)

{شَيْئًا إِدًّا}

فظيعاً مُنْكرا. والإِدُّ والإِدَّةُ – بكسرهما–: العَجَب والأثر الفظيع، والداهية والمُنْكر؛ كالأَدّ بالفتح. وأدَّته الداهيه تؤدُّه وتَئِدُّه: دَهتْهُ.

.90

تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90)

{يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ}

يتشقّقن منه قطعاً؛ من التّفْطير. يُقال: فَطَره يفطُرُه ويفطِرُه، شقه، فانفَطر وتَفطّر.

{وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا}

أي تَسقط مهدودة، يقال: هدَّ الحائط يَهُدُّه هَدًّا، إذا هدمه.

.91

أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91)

{أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا}

أي من أجل أن نسبُوا للرحمن ولداً.

.92

وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (92)

.93

إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (93)

.94

لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94)

.95

وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (95)

.96

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (96)

{سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}

مودَّة ومحبة في القلوب لإيمانهم وعملهم الصالح. وقيل في الآخرة، إذ يكونون إخوانا على سرر متقابلين. يقال: ودِدْته

ووددْتُه أوَدّه، أحببته.

.97

فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (97)

{قَوْمًا لُدًّا}

ذَوي لَدَد وشدة في الخصومة بالباطل؛ وهم أهل مكة. جمع ألدّ، وهو – الخصم الشديد التَّأبِّي [البقرة: آية 240].

.98

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (98)

{قَرْنٍ}

أمة.

{هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ}

أي هل تجد أحدا منهم. يقال: أحَسَّ الرجل الشيء إحساساً، علم به: أي لا تعلم منهم أحدا لعدم وجوده.

{تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا}

صوْتاً خفيا. وأصلُ الرِّكز: الخفاء. يقال: رَكَز الرُّمح يَرْكِزُه، ويَركُزُه، غرزه في الأرض؛ ومنه الرِّكاز للمال المدفون.

والمرادُ: أنه استأصلهم؛ فلا عين لهم ولا أثر؟ فكذلك عاقبة مشركي مكة.

والله أعلم.

سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

طه (1)

{طه}

لفظ استأثر الله بعلمه أو اسم للسورة. أو للرسول صلى الله عليه وسلم.

.2

مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2)

{لِتَشْقَى}

لتتعنَّى وتتعب من فَرْط تأسُّفك على كفرهم به؛ بل لتبلغ وتذكر وقد فعلت، فلا عليك إن لم يؤمنوا بعد ذلك.

وأصل الشقاء في اللغة: العناء.

.3

إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (3)

{لِمَنْ يَخْشَى}

أي لمن شأنُه أن يخشى الله ويتأثر بالإنذار. وخُصَّ الخاشي بالذكر مع أن القرآن تذكرة للناس كافة لأنه هو الذي ينتفع به، وغيرُه بمنزلة العدم.

.4

تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى (4)

.5

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5)

{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}

أي استواء يليق بكماله تعالى؛ بلا كَيْف ولا تشبيهٍ ولا تمثيلٍ [آية 54 الأعراف].

.6

لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6)

{وَمَا تَحْتَ الثَّرَى}

الثرى: الترابُ النّديّ. يقال: ثَرِيت الأرض– كرضِيت – ثَرى فهي ثَرِيَّة؛ إذا نَدِيت ولانت بعد الجُدُوبة واليُبْس. والمراد: ما وراه الثرى وهو تخوم الأرض إلى نهايتها. وخُصَّ بالذكر مع دخوله في قوله: (وما في الأرض) لزيادة التقرير، ثم بيّن تعالى إحاطة علمه بجميع الأشياء اثر بيانِ إحاطة قدرته وشمولها لجميع الكائنات بقوله: {وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ}.

.7

وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7)

{وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ}

أي ترفع صوتك بالذكر

أو الدعاء

{فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى}

أي ويعلم أخفي من السِّر. والسِّرُ: ما حدّث الإنسان به غيره في خفاء، والأخفي منه: خواطُره النّفسيَّة التي لا يُحدِّث بها غيره.

.8

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (8)

.9

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9)

{وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى}

استئناف لتقرير أمرُ التَّوحيد الذي إليه انتهي مساق الحديث، وبيان أنه أمر مستمر جاءت به جميع الرسالات السماوية ودعا إليه كل رسول.

.10

إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10)

{إِذْ رَأَى .. }

وهو قادم من مَدْين إلى مصر ومعه زوجُه بنت شعيب عليه السلام.

{إِنِّي آنَسْتُ}

أبصَرْت ابصارا بيناً لا شبهة فيه.

{لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ}

بجَذْوَة من النار، وهي الشعلة التي تأخذها من النار في طرف عُود و نحوه.

{أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى}

أي أجد عندها هادية يدلني على الطريق، وكانت الليلة مظلمة. أو على الماء؛ فإنه قد ضلَّ طريقه. مصدر سُمِّي به الفاعل مبالغة.

.11

فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى (11)

{فَلَمَّا أَتَاهَا}

أي النار التي آنسها، وكانت في شجرة. قيل: إنها لم تكن نارا، بل كانت نورا من نور الرب تبارك وتعالى.

{نُودِيَ}

من حضرة رب العالمين: {يَامُوسَى} وهذا أول المكالمة بين الله تعالى وبينه في هذه الواقعة، وآخرُها قوله تعالى: {إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48)} [ايه 48 من هذه السورة] وقد سمع الصوتَ من جميع الجهات وبجميع الأعضاء؛ فعرف أنه نداء رب العالمين.

.12

إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12)

{الْمُقَدَّسِ}

المطهر أو المبارك.

{طُوًى}

اسم للوادي المقدَّس؛ أي المُطهَّر أو المبارك.

.13

وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13)

.14

إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14)

.15

إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15)

{أَكَادُ أُخْفِيهَا}

أقرب أن أسترها من نفسي، فكيف أظهركم عليها! أو فكيف يعلمها مخلوق! جرى الخطاب على ما تعارفه العرب إذا بالغ أحدهم في اخفاء شيء أن يقول: كِدتُ أخفيه من نفسي! أو أقرب أن أخفيها ولا أظهرها بقولى إنها آتية– ولولا أن في الإخبار بذلك من اللطف وقطع الأعذار مالا يخفي لما فعلت! وقوله: {لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى} متعلق {آتِيَةٌ} وجملة {أَكَادُ أُخْفِيهَا} معترضة بينهما.

.16

فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (16)

{فَتَرْدَى}

فتهلك إن أنت انصددت عن ذكرها ومراقبتها والتأهب لها. يقال: رَدِيَ –كرضي – ردى، هَلَك. وأرداه غيره: أهلكه؛ ومنه تَرَدَّى في

البئر: أي سقط فيها.

.17

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى (17)

.18

قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18)

{أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا}

أتحامل عليها في المشي ونحوه.

{وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي}

أضرب بها الشجر اليابس ليسقط ورقه فترعاه غَنمي. يقال: هَش الشجرة بالعصا يهُشُّها ويَهِشُّها هشًّا، إذا تخبطها ليتساقط ورقُها.

{وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى}

حاجات ومنافع أخرى غير ذلك. مفردُها مأربة – مثلثة الراء – من قولهم: لا أرَبَ لي في كذا، أي لا حاجة لي فيه.

.19

قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَى (19)

.20

فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (20)

{حَيَّةٌ تَسْعَى}

تمشي بسرعة وخفة.

.21

قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (21)

{سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى}

أي إلى هيئتها الأولى التي كانت عليها قبل أن نصيّرها حية تسعى. فِعلة من السير، تقال للهيئة والحالة الواقعة فيه، ثم استُعملت في مطلق الهيئة والحالة التي يكون عليها الشيء.

.22

وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (22)

{وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ}

أي واضمم يدك اليمنى إلى عَضُد اليسرى بأن تجعلها تحته عند الإبط، وذلك بعد أن دخلها من طوق مِدْرَعتِك.

والجناحُ: العضد، وأصله جناح الطائر، وسمِّي بذلك لأنه يجنحه أي يُميله عند الطيران، ثُم تُوسِّع فيه فأطلق على العضد.

{بَيْضَاءَ}

نيرة مشرقة.

{مِنْ غَيْرِ سُوءٍ}

أي من غير عَيْب. والسُّوء: الرداءة والقبح في كل شيء، وكُنِّي به عن البرص لشدة قُبحه.

{آيَةً أُخْرَى}

معجزة أخرى غير العصا.

.23

لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (23)

.24

اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24)

{إِنَّهُ طَغَى}

جاوز الحد في العُتُّو والتَّمرُّد على ربه حتى ادّعى الرُّبوبيَّة (آية 256].

.25

قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25)

.26

وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26)

.27

وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27)

.28

يَفْقَهُوا قَوْلِي (28)

.29

وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29)

{وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا}

مُعينا وظهيرا في ابلاغ رسالتك؛ من المُوازرة وهي المعاونة. يقال: وازرت فلانا موازرةً، أعنته على أمره. أو من الوَزر وهو الملجأ وأصله الجبل يتحصَّن به.

.30

هَارُونَ أَخِي (30)

.31

اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31)

{اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي}

قوِّ به ظهري. يقال: أزرَ فلانٌ فلانا، إذا أعانه وشدّ ظهره. وآزره: أعانه وقَوّاه، وأصله من شد الإزار.

.32

وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32)

{وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي}

اجعله شريكي في أمر الرسالة لنتعاون على أدائها.

.33

كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33)

.34

وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34)

.35

إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (35)

.36

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَى (36)

{قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ}

أعطيتَ مسئُولَكَ، فعل بمعنى مفعول، كالأكل بمعنى المأكول.

.37

وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37)

{وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى}

ذكر الله من المِنن على موسى بغير سؤال ثمانياً: الأولى –

قوله: {إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ ... (38)} إلى قوله: {وَعَدُوٌّ لَهُ .. (39)}.

والثانية – قوله: {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي .. (39)}.

والثالثة – قوله: { .. وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39)} إلى قوله: {مَنْ يَكْفُلُهُ .. (40)}.

والرابعة – قوله: {فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ .. (40)} إلى قوله: {وَلَا تَحْزَنَ .. (40)}.

والخامسة – قوله: {وَقَتَلْتَ نَفْسًا .. (40)}.

والسادسة – قوله: {وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا .. (40)}

والسابعة – قوله: {فَلَبِثْتَ .. (40)}.الى قولهُ {يَامُوسَى (40)}.

والثامنة – قوله: {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (41)}.

.38

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38)

.39

أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39)

{فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ}

فألقيه واطرحيه في نهر النيل.

{وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}

أي ليفعل بك الصنيعة والإحسان، وتُربَّى بالحُنو والشفقة، وأنا مراعيك كما يراعى الإنسان الشيء بعينه إذا اعتنى به. يقال: صنعتُ الفرس صَنْعا وصَنعة، إذا أحسنت إليه وقُمت بعلفه وتسمينه؛ وهو استعارة تمثيلية للحفظ والصَّون.

.40

إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَامُوسَى (40)

{عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ}

على امرأة تضمّه إلى نفسها فتحفظه وتُرضعُه وتربيه. يقال: كَفَله وكفّله، إذا عاله، والكافل العائل.

{كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا}

أي تُسَرّ برجوعك إليها بعد أن قذفتك في اليم [آية 26 مريم].

{وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا}

أي ابتليناك ابتلاء بالمِحَن؛ فخلصناك منها مرة بعد أخرى. والفُتون: مصدر كالقعود والجلوس. أو فتناك فتونا وضروبة من الابتلاء؛ جمع فَتْن.

{فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ}

قرية شعيب عليه السلام، واقعة حول خليج العقبة عند نهايته الشمالية، وشمال الحجاز وجنوب فلسطين، على ثماني مراحل من مصر.

{ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ}

أي وَفْق الوقت الذي قدّرناه لتكليمك و استنبائك بلا تقدم ولا تأخر عنه. تقول العرب: جاء فلان على قَدَر، إذا جاء لميقات الحاجة إليه، وكانت سِنّه إذ ذاك أربعين سنة.

.41

وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (41)

{وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي}

جعلتك محل صنيعتي و احساني؛ لتبليغ رسالتي وإقامة حُجّتي. افتعال من الصُّنع بمعنى الصَّنيعة وهي الإحسان. وقيل: هو تمثيل لما خوّله الله تعالى من جلائل النعم؛ بتقريب المِلك من يراه أهلا للتقريب؛ فيصطنعه بالكرامة ويجعله من خواصه وندمائه.

.42

اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42)

{وَلَا تَنِيَا}

لا تَضْعُفا ولا تفترا. يقال: وَنَى في الأمر وعن الأمر ينى ونياً، إذا فَتَرَ وضَعُف.

{فِي ذِكْرِي}

في تبليغ رسالتي، أو في ذِكْرى بما يليق بي من الصفات الجليلة عند تبليغ رسالتي، والدعاء إلى عبادتي.

.43

اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43)

.44

فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44)

.45

قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45)

{إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا}

أي نخشى أن يُعاجلَنا

بالعقوبة، ولا يصبر إلى إتمام الدعوة وإظهار المعجزة. يقال: فَرَطَ عليه يَفْرُط، عَجِل عليه وآذاه.

{أَوْ أَنْ يَطْغَى}

أي يزداد طغيانا فيقول في شأنك مالا ينبغي لفَرْط جراءته.

.46

قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46)

{إِنَّنِي مَعَكُمَا}

حافظكما وناصركما.

.47

فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47)

.48

إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48)

.49

قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى (49)

.50

قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)

{أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ}

أي وهب كل شيء من الأشياء الأمرَ اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع المطابِقَ له؛ كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار، والأذُن الشكل الذي يوافق الاستماع، وهكذا. و {خَلْقَهُ} مصدر بمعنى اسم المفعول: مفعول ثان لـ (أعطى).

{ثُمَّ هَدَى}

أي دل بذلك على وجوده وقدرته وتفضله.

.51

قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51)

{فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى}

البالُ في الأصل: الفكر، ثم أطلق على الحال التي يُعتنى بها. أي ما حالُ الأمم الخالية التي عبدت غير ما تدعو لعبادته، مثل قوم نوح وعاد و ثمود الذين عبدوا الأوثان. فأجابه موسى بأن العلم بأحوالهم لا تعلق له بمنصب الرسالة، وأن علمها عند علاّم الغيوب الذي أحاط بكل شيء علما، فيجازيهم على كفرهم وضلالهم.

.52

قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52)

{لَا يَضِلُّ رَبِّي}

لا يغيب عن علمه شيء ما.

.53

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53)

{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ .. }

ابتداءُ كلام منه تعالى بعد انتهاء كلام موسى عليه السلام بقوله {وَلَا يَنْسَى}. وقيل: هو من كلام موسى عليه السلام.

{مَهْدًا}

فرشا، وهو والمِهادُ في الأصل؛ ما يمهد للصبي (آية 206 البقرة].

{سُبُلًا}

طرقا تسلكونها لقضاء مآربكم.

{أَزْوَاجًا}

أصنافا أو ضروبا.

{مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى}

مختلف المنافع والألوان والطعوم والروائح جمعُ شَتيت بمعنى متفرق، وألفه للتأنيث.

.54

كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (54)

{وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ}

ارعوها فيما خلقناه لها من هذه

النباتات. يقالُ: رعت الدَّابة تَرعى رَعْيا ورعاية، ورعاها صاحبها إذا أسامها وسرحها وأراحها.

{لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى}

أي لذوي العقول السليمة يدركون بها أن ذلك الخلق العظيم، والنظام البديع لا يكون إلا من رب قادر حكيم.

جمع نُهْية، سُمّى العقل بها لنهيه عن القبائح.

.55

مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55)

{نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى}

مرة أخرى يوم البعث، بتأليف أجزائكم المتفرقة، وردّ الأرواح من مقرها إليها، وإخراجكم إلى المَحْشر. عدَّد الله عليهم هذه النعم تذكيرا و إرشادا ليؤمنوا به. والتَّارة: مُفرد تارات وتير؛ وهي في الأصل: اسم للتّور الواحد وهو الجريان، ثم أطلق على كل فعلة من الفعلات المتجددة؛ تارة. ويقال: أتاره، أعاده مرة بعد مرة.

.56

وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (56)

{وَأَبَى}

أمتنع عن الإيمان والطاعة.

.57

قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَامُوسَى (57)

.58

فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (58)

{مَكَانًا سُوًى}

محلاً نَصَفا عدْلا بيننا وبينك. يقال: مكانٌ سُوّي وسِوّي وسواءٌ، أي عدل ووسط، يستوي طرفاه بالنسبة للفريقين.

.59

قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (59)

{مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ}

يوم عيد كان لهم في كل عام. أو يومُ سُوق كانوا يتزينون فيه.

.60

فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (60)

{فَجَمَعَ كَيْدَهُ}

مكرَهُ، وذلك بجمع سَحَرته.

.61

قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (61)

{وَيْلَكُمْ}

دعاء عليهم بالهلاك.

{فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ}

فيستأصلكم ويُبييدكم بعذاب عظيم؛ من الإسحات، وأصلُه استقصاءُ الحَلْق للشعر، ثم استعمل في الإهلاك والاستئصال مطلقا. يقال: أسحت مالَه اسحات، استأصله وأفسده؛ كسّحَتَه سَحْتا.

.62

فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (62)

{وَأَسَرُّوا النَّجْوَى}

بالغوا في إخفاء ما يتسارُّون به عن موسى وأخيه. والنَّجوى: المُسارة في الحديث.

.63

قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (63)

{قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ}

أي قالوا بطريق التَّناجي والإسرار ما استقر عليه رأيهم من أنَّ موسى وهارون ساحران. و (إنْ) مخففة مهملة عن العمل، واللام فارقة. و (هذان) مبتدأ خبره (ساحران).

{وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى}

أي بمذهبكم ودينكم الذي هو أمثل المذاهب وأفضلها؛ من قولهم: فلانٌ حَسَنُ الطريقة؛ أي المذهب. أو بِمُلْككم الذي أنتم فيه، وعيشكم الذي تنعمون به.

.64

فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (64)

{فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ}

فأحْكِموا كيدكم واعزموا عليه، ولا تجعلوه متفرقا. يقال: أجمعتُ الرأي وأزمَعْته وعزمت عليه بمعنى.

{وَقَدْ أَفْلَحَ .. }

فاز بالمطلوب من طلب العلو والغَلَب وسَعى سعيه.

.65

قَالُوا يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65)

{يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ}

أي تطرح ما معك قبلنا. والإلقاء في الأصل؛ طرحُ الشيء حيث تلقاه أي تراه، ثم تُعورف في كل طَرْح.

.66

قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (66)

.67

فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (67)

{فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً}

الإيجاسُ؛ الإخفاء والإضمار، والخِيفَة: الخوف أي أخفي موسى في نفسه شيئا من الخوف من مفاجأة ذلك بمقتضى الجبلة البشرية عند رؤية الأمر المَهُول، ولكن الله ثَبّته وقال له: {لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى} {وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا}.

.68

قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (68)

.69

وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69)

{تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا}

أي تبتلع بسرعة مامَوَّهُوا به. يقال: لَقِفه يَلْقَفُه لقفا ولَقفانا، تناوله بسرعة وحِذْق باليد أو الفم.

.70

فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (70)

.71

قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (71)

.72

قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72)

{وَالَّذِي فَطَرَنَا}

أي ولن نُؤْثِركَ على الذي أبدعنا وأوجدنا، أو هو قسمٌ بالله. وفعله من باب نصر.

.73

إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (73)

.74

إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (74)

.75

وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (75)

.76

جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (76)

{تزكَّى}

تطهر من دنس الشرك والكفر.

.77

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (77)

{أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي}

أي سِرْ بهم أول الليل من أرض مصر إلى خليج السويس [آية 1 الإسراء].

{يَبَسًا}

أي يابسا لا طين فيه ولا ماء. واليَبَس: المكان إذا كان فيه ماء وذهب.

{لَا تَخَافُ دَرَكًا}

أي لا تخشى أن يدركك فرعون وجنوده من ورائك. والدَّركُ – مُحَرَّكة –: اللحاق، يقال: أدركه لحقه.

{وَلَا تَخْشَى}

الغرق من الأمام.

.78

فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (78)

{فغَشِيَهُمْ}

علاهم وغمرهم.

.79

وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (79)

.80

يَابَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى (80)

{الْمَنَّ وَالسَّلْوَى}

[البقرة: 57].

.81

كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (81)

{وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ}

تتعدوا حدود الله فيما رزقناكم بأن تكفروا به؛ من الطغيان وهو تجاوز الحد في العصيان [البقرة 256].

{فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي}

فيجب عليكم عقابي. يقال: حلَّ أمر الله عليه يَحِل حلالا، وجب. وقُرِيء بضم الحاء، أي فينزل عليكم. يقال: حلَّ يحلُّ حُلولاً، نزل.

{فَقَدْ هَوَى}

أي هَلك: وأصله السقوط من عُلْو. يقال: هوَى يَهْوِي هَوِيًّا و هُويًّا و هَوَيانا، سقط إلى أسفل. ثم استُعمل في الهلاك للزومه له.

.82

وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (82)

.83

وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَامُوسَى (83)

{وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ}

أُمر موسى عليه السلام بحضور الميقات مع قوم مخصوصين؛ وهم النُّقباء السَّبعون الذين اختارهم الله من بني إسرائيل ليذهبوا معه إلى الطور لأجل أن يأخذوا التوراة، فسار بهم موسى ثم عَجِل من بينهم مشوقا إلى ربه، وخلّفهم وراءه وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل، فقال تعالى: {وَمَا أَعْجَلَكَ} أيْ أيُّ شيء عجل بك عنهم فتقدمت عليهم. يقال: أعجله و عجّله تعجيلاً، استَحثه: من العَجَلة وهي طلب الشيء وتحريه قبل أوانه.

.84

قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (84)

.85

قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (85)

{قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ}

أي ابتلينا القوم الذين خلفتهم مع هارون – وهم غير النقباء السبعين – بعبادة العجل؛ إلا قليلا منهم حيث أطاعوا موسى السامريَّ فيما دعاهم إليه، وكان من عظمائهم، من قبيلة تعرف بالسامرة، وكان منافقا. والفِتنةُ: الابتلاء والاختبار [البقرة:102].

.86

فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَاقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (86)

{أَسِفًا}

حزينا على ما صنع قومه. أو شديدُ الغضب. والأسَف: الحزن والغَضَب معا، وقد يطلق على كل واحد منهما على الانفراد.

{أَنْ يَحِلَّ}

أي يجب {عَلَيْكُمْ غَضَبٌ}.

{مَوْعِدِي}

وعْدكم لي الثبات على ديني.

.87

قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87)

{مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا}

أي بقدرتنا وطاقتنا ورغبتنا. يقال: مَلَكه يَمْلِكه مِلْكاً – بتثليث الميم – احتواه قادرا على الاستبداد به. {حُمِّلْنَا أَوْزَارًا}

أي أثقالاً وأحمالاً، جمع وِزْر وهو الثقل.

{مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ}

أي من حلي الْقِبط.

{فَقَذَفْنَاهَا}

فطرحناها في النار

{فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ}

ما معه من الحلى. وقيل: ما معه من الحلي ومن التراب الذي وقع عليه حافر فرس جبريل عليه السلام.

.88

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (88)

{فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ}

[الأعراف:148].

.89

أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (89)

.90

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90)

.91

قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (91)

.92

قَالَ يَاهَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92)

.93

أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (93)

.94

قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94)

.95

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَاسَامِرِيُّ (95)

{فَمَا خَطْبُكَ}

فما شأنُكَ وما الأمر العظيم الذي حملك على ما صنعت؟ [آية 51 يوسف].

.96

قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (96)

{قَالَ بَصُرْتُ .. }

علمت بالبصيرة ما لم يعلموا به. يقال: بَصُر بالشيء يَبْصر – كَكَرُم وفرح – أي عَلِمه،

{فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ}

رُوِيَ أن السامريَّ رأي جبريل عليه السلام راكبا على فرس حين جاء إلى موسى ليذهب به إلى الميقات؛ ولم يره أحد غيره من قوم موسى، ورأى الفرسَ وضعت حافرها على شيء اخضر؛ فعلم أن للتراب الذي تضع عليه الفرسُ حافرها شأناً، فأخذ منه كفة وألقاها في الحَلْي المذاب. وخُصَّ بالرؤية ابتلاءً
ليقضيَ الله أما كان مفعولا. وعِلْمه بأن له شأنا يجوز أن يكون لما شاهده من اخضرار الأرض، وأن يكون باخبار موسى عليه السلام فيما مضى.

{فَنَبَذْتُهَا}

ألقيتها في الحلي المذاب.

{سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي}

زَيّنت وحسَنت. يقال: سولت له الأمر تسويلاً، إذا صورته له بالصورة التي تستَهويه و تحسّنه لديه.

.97

قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (97)

{لَا مِسَاسَ}

أي لا أَمِسُّ ولا أُمَسُّ طول الحياة. مصدرُ ماسَّ؛ كقتال من قاتل. والمرادُ: أنه لا يخالط أحدا ولا يخالطه أحد.

{ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا}

لَنذرينَّة في البحر تَذرية، حتى لا يبقى منه عين ولا أثر. يقالُ: نسف الطعام يَنْسفه بالمِنْسف، إذا ذراه فطير عنه قُشورِه وتُرابه.

.98

إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (98)

.99

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (99)

100

مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (100)

{وِزْرًا}

عقوبة ثقيلة على إعراضه.

.101

خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (101)

.102

يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (102)

{زُرْقًا}

زرق العيون من شدّة الهَوْل، أو عُمْيا، لأن العين إذا ذهب نورُها ازرق ناظرها: قال تعالى: {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا .. } [الاسراء:97]، أو عِطاشا، لأن العطش الشديد بغيْر سواد العين فيجعله كالأزرق، قال تعالى: {وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (86)} [مريم:86]، ولا منافاة بين ذلك كما هو ظاهر.

.103

يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (103)

{يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ}

يتهامسون بينهم لشدة هول الموقف؛ من المخافتة وهي إسرارُ المنطق، كالتَّخافت والخَفْت.

.104

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (104)

{أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً}

أعدلُهم وأفضلهم رأْيا ومذهباً.

.105

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105)

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ}

سأل كفارُ قريش النبيَّ صلى الله عليه وسلم عما يفعل الله يوم القيامة بالجبال سؤال استهزاء؛ لإنكارهم البعث.

{فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا}

يقلعها من أصولها ثم يجعلها كالرّمل، ثم يُصيّرها كالصوف المنفوش، ثم تذروها الرياح، ثم يصيّرها كالهباء المنثور.

.106

فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106)

{فَيَذَرُهَا}

فيترك الأرض التي كانت عليها الجبال

{قَاعًا} أرضا لا نبات فيها ولا بناء

{صَفْصَفًا}

مستوية ملساء؛ كأنَّ أجزاءها صفٌّ واحد من كل جهة. وعن ابن عباس ومجاهد: القاعُ والصفصف بمعنى واحد، وهو المُستوى الذي لا نبات فيه.

.107

لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (107)

{لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا}

أي لا ترى في الأرض مكانا منخفضا

{وَلَا أَمْتًا}

أي مكانا مرتفعا؛ لخلوها من الأودية والرَّوابي، بل تراها مستوية.

.108

يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (108)

{لَا عِوَجَ لَهُ}

لا يعوج له مدعو ولا يزيغ عنده

{هَمْسًا}

صوتاً خفيّاً خافتاً، هو صوت خَفْق الأقدام في سيرهم إلى المحشر. يقال: هَمَس الكلام يَهْمِسُه هَمْسا، إذا أخفاه.

.109

يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (109)

.110

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (110)

.111

وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (111)

{وَعَنَتِ الْوُجُوهُ}

أي ذلَّ الناس وخضعوا الله تعالى في ذلك اليوم خضوع العُنَاة، أي الأسارى.

{لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ}

[البقرة:255].

{حَمَلَ ظُلْمًا} شركاً وكفراً.

.112

وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (112)

{وَلَا هَضْمًا}

ولا يخاف انتقاصاً من حقه. يقال: هَضَمه حقه، نقصه.

.113

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (113)

{وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا}

أي ومثل إنزال الآيات المشتملة على ذكر القصص المتقدمة المُنبئة عما سيقع من أحوال القيامة وأهوالها– أنزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة.

{عَرَبِيًّا}

مبينا

{وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ}

أي كررنا الوعيد فيه

{لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}

الكفر والمعاصي.

{أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا}

اعتباراً مؤدياً إلى الاتِّقاء؛ لكنهم لم يلتفتوا لذلك ونَسوه، كما لم يلتفت أبوهم آدم إلى النَّهي، ونسي العهد إليه.

.114

فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114)

{أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ}

أن يفرغ ويتم إليك.

.115

وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115)

{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ}

أي وصيناه ألا يقرب هذه الشجرة

{فَنَسِيَ}

العهد. ولم يشتغل بحفظه حتى غَفَل عنه.

{وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا}

ثباتَ قدم في الأمور. أو صبراً عن أكل الشجرة.

.116

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116)

{أَبَى}

امتنع عن السجود استكبارا.

.117

فَقُلْنَا يَاآدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117)

{فَتَشْقَى}

فتتعب بمتاعب الدنيا.

.118

إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118)

{إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى}

أي ألا يصيبك فيها شيء من الجُوع والعُرْي والظما. والعُريُ: خلاف الُّلبس. يقال: عَرِيَ من ثيابه يَعْرى عُرْيا وعُرْيةً، إذا تجرد من اللباس.

.119

وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (119)

{وَلَا تَضْحَى}

أي لا يصيبك حَرُّ شمس الضُّحى لانتفائها فيها. يقال: ضَحَا -. كَسَعى ورَضِيَ - ضَحْوا وضُحِيّا، أصابته الشمس.

.120

فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120)

{فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ}

الوَسْوسة: الخَطْرَة الرديئة. وأصلها من الوسواس وهو صوْت الحَلْى والهَمْس الخَفِيّ؛ أي أنهي إليه الوسوسة.

{لَا يَبْلَى}

لا يزولُ ولا يفنى.

.121

فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121)

{فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا}

[الأعراف:22].

{وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ}

أخذا يلصقان ويلزقان.

{وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ}

خالف نَهْيه، ولكنه كان متأوِّلا، إذ اعتقد أن النَهْي عن شجرة معينة لا عن النوع كله، وتسميةُ ذلك عصيانا لعلو مَنْصبه عليه السلام. وقد قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

{فَغَوَى}

أي فضَّل عن مطلوبه، وهو الخلود في الجنة، وحاد عنه ولم يظفر به. يقالُ: غَوَى يَغوى غَيّا، وغَوِيَ غواية، ضَلّ. أو فسد عليه عيشه بنزوله إلى الدنيا. والغيُّ: الفساد.

.122

ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122)

{اجْتَبَاهُ}

اصطفاه للنبوة وقَرَّبه.

.123

قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123)

{فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ}

أي ما أبعثه بهداية الخلق من رسول أو كتاب.

.124

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)

{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي}

عن الهدى، الذاكِر لي والداعِي إليّ

{فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا}

ضيقة شديدة. والضَّنْك: ضيقُ العيش، وكل ما ضاق فهو ضَنْك؛ يستوي فيه الواحد والأكثر والمذكَّر والمؤنث، يقال: ضَنُك يَضْنُك ضَنْكا وضَنَاكة وضُنوكة، ضاق.

.125

قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125)

.126

قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126)

.127

وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (127)

.128

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (128)

{أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ}

أغفلوا فلم يبين الله لهم كم أهلكَ أمماً غابرة لتكذيبها الرسل؛ ليتعِظوا ويَعتبروا ويُنيبوا الى ربهم. وأصلُ معنى (يَهدِي) يدلُّ على الهُدَى.

{كَمْ أَهْلَكْنَا}

كثرة إهلاكنا الأمم الماضية.

{لِأُولِي النُّهَى}

لذوي العقول والبصائر.

.129

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى (129)

{لَكَانَ لِزَامًا}

لكان عقابُهم على جناياتهم لازم لهم في الدنيا، كما فُعل بالأمم السابقة. مصدر لازمه إذا لم يفارقه. وأجَلٌ مسمى معطوف على (كلمة) أي ولولا العبرة بتأخير العذاب عنهم، والأجل المسمى لأعمارهم ما تأخر عذابهم أصلاً.

.130

فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (130)

{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ}

صلِّ متلبسا بحمد ربك

{قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ}

أي قبل صلاة الفجر

{وَقَبْلَ غُرُوبِهَا}

اي صلاة العصر.

{وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ}

أي فصلِّ المغرب والعشاء

{وَأَطْرَافَ النَّهَارِ}

أي وصلِّ في أطراف النهار الظهر أي في طرفي نصفيه، يعني في الوقت الذي يجمع الطرفين وهو وقت الزوال؛ إذ هو نهاية النصف الأول وبداية النصف الثاني. وقيل: المراد: بالتسبيح التنزيه عن السوء والثناء على الله بالجميل في هذه الأوقات.

.131

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (131)

{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ}

نهي عن الإعجاب بالدنيا وزينتها والرغبة فيها والتَعْلق الشديد بها؛ بحيث يلهية ذلك عن النظر إلى الأخرى، وتكون هي الشغل الشاغل له. والخطابُ له صلى الله عليه وسلم والمراد أمَّته، لأنه صلى الله عليه وسلم كان أزهد الناس فيها؛ وأبعدهم عن التطلع لزخارفها وأعلق بما عند الله من كل أحد.

{أَزْوَاجًا}

أصناف من الكفار.

{زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}

زينَتها وبهجتها؛ مفعولٌ ثان لـ {مَتَّعْنَا}

لتضمينه معنى أعْطَينا

{لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ}

لنعاملهم معاملة من يختبرهم به، أو لنعذبهم في الآخرة بسببه.

.132

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132)

.133

وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى (133)

{أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى}

أي أجهلوا ولم يكفهم اشتمالُ القرآن على بيان ما في الصحف الأولى وهي الكتب الإلهيَّة؛ في كونه معجزة حتى طلبوا غيرها؟ فالبينة: القرآن، والصحف الأولى: ما سبقه من الكتب السماوية.

.134

وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى (134)

{مِنْ قَبْلِهِ}

من قبل الإثبات بالبينة.

{نَذِلَّ}

أي بالهوان والعذاب في الدنيا

{وَنَخْزَى}

بالافتضاح والعذاب في الآخرة.

.135

قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى (135)

{مُتَرَبِّصٌ}

منتظر مآله.

{الصِّرَاطِ السَّوِيِّ}

الطريق المستقيم وهو الإسلام.

{وَمَنِ اهْتَدَى}

من الضلالة.

والله أعلم.

سورة الانبياء

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (1)

{اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ .. }

قَرُب الزمن الذي يحاسب فيه المشركون على إنكارهم البعث وهو زمن قيام الساعة: إذ هو آت لا محالة، وكل آت قريب.

{وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ}

تامَّةٍ عنه، وجهالةٍ عامة بالإيمان والحساب والجزاء، وسائر ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

{مُعْرِضُونَ}

عن الدلائل والآيات والنُّذر.

.2

مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (2)

{مُحْدَثٍ}

أي مُحْدث تنزيلُه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو لفظ القرآن؛ فقد كان ينزل به جبريل عليه السلام آيةٌ آية، وسورةٌ سورة في وقت بعد وقت. أمّا معناه وهو الكلام النفسيُّ فقديمٌ غيرُ محدث.

.3

لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (3)

{لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ}

غافلة عنه، لا تتأمل في آياته ولا تُفكر في حِكَمه. يقال: لهيَ عنه –كَرضيَ – وَلَهَا –كَدَعا – لُهيّا ولِهيَانا، سلا وغفل وترك ذِكره، وهو حال من فاعل {اسْتَمَعُوهُ} أو {يَلْعَبُونَ}.

{وَأَسَرُّوا النَّجْوَى .. }

بالغوا في إخفاء تناجيهم بما يَهْدِمون به أمر القرآن حتى لا يفطن أحد إلى أنهم يتناجوْن؛ مبالغة في إِحكام التَّدبير السيء. والنّجوى: المسارّةُ

بالحديث؛ وقالوا: {هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} فكيف تصدقونه في دعوى الرسالة! والرسولُ لا يكون إلا مَلَكا!

{أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ}

أي أجهلتم أنه ساحر فتَحضرون عنده وتقبلون منه

{وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ}

أي تعاينون سِحره!؟ وقد قالوا ذلك لزعمهم أن كلَّ ما يظهر على يد البَشَر من الخوارق فهو من قبيل السحر.

.4

قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (4)

.5

بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ (5)

{بَلْ قَالُوا}

في القرآن هو

{أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ}

أخلاط كأخلاط الأحلام، وأباطيل لا حقيقة لها [آية 44 يوسف].

{بَلِ افْتَرَاهُ}

اختلقه من تلقاء نفسه بل هو شاعر وما جاء به شعر؛ يُخَيِّل مالا حقيقة له.

.6

مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (6)

.7

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (7)

{وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا .. } ردٌّ لقولهم: {هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ}.

.8

وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (8)

{وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا .. }

أي وما جعلنا الرسل الذين أرسلناهم قبلك أجسادا لا يتغذون بالأغذية – أي ملائكة– ولكن جعلناهم مثلك أجسادا تتغذى. والجسدُ: مصدر جَسِد الدم يَجْسَد، التصق. وأطلق على الجسم المركب لالتصاق أجزائه بعضها ببعض، ويطلق على الواحد المذكَّر وغيره؛ ولذلك أُفرد. وقيل: أفرد لإرادة الجنس، وهو ردٌّ لقولهم: {مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ} [الفرقان:7].

.9

ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (9)

.10

لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (10)

{فِيهِ ذِكْرُكُمْ}

فيه موعظتكم، أو فيه شرفكم وصيتكم.

.11

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (11)

{وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ}

أهلكنا أهلها. وأصل القَصْم: كسر الشيء حتى يبين وينفصل. يقال: قصم ظهره يَقْصِمه فانقصم، أي كَسَرهُ فانكسر واستعمل في الإهلاك مجازا. ومنه قيل للداهية المُهْلكة: قاصمةُ الظَّهر.

.12

فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (12)

{أَحَسُّوا بَأْسَنَا .. }

عاينوا عذابنا الشديد. وأصلُ الإحساس: الإدراك بالحاسة [آل عمران:52]. والبأس: الشدةُ والمكروه.

{إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ}

يهربون مسرعين من قريتهم. وأصلُ الرَّكضِ: ضربُ الدابة بالرجل لحثها على العَدْو، ومنه {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ}

[ص:42] وكُنِيَّ

به عن الهرب السريع.

.13

لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (13)

{مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ}

مانُعِّمتم فيه من العَيْش الهنيء، والنّعم الوافرة التي كانت سبب بَطَرِكم؛ من التُّرفة [هود:116]. وقيل ذلك لهم استهزاء.

.14

قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (14)

{يَاوَيْلَنَا}

يا هلاكَنا [المائدة:31].

.15

فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (15)

{جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ}

أي كالنبات المحصود بالمناجل، وكالنار الخامدة في الهلاك والاستئصال. فعِيلٌ بمعنى مفعول. يستوي فيه الواحد وغيره، وفعله من بابي نصر وضرب. و {خَامِدِينَ}

من خَمدت النار تخْمُد وتخمِدُ خَمْدا وخُمودا: سكن لهيبُها.

.16

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (16)

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ .. }

ما خلقنا هذه المخلوقات البديعة الصنع، المحكمة التدبير، خالية من الحكم والمصالح؛ بل خلقناها لحكم بالغة مستتبعةٍ غايات جليلة ومنافعَ عظيمة.

.17

لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ (17)

{لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا}

اللَّهوُ: الترويحُ عن النفس بما تتشاغل به عن الجد، وهو قريب من العبث الباطل؛ وهو محال عليه تعالى، وهو من تعليق المحال على المحال. ومنه اتخاذُ الصاحبة والولد، أي لو أردنا اتخاذ اللهو لكان ذلك من جهة إرادتنا، لكن ذلك مستحيل استحاله ذاتية فيستحيل أن نريده. يقال: لهوتُ به ألهُو لَهواً، وتلهيت به: أولعْت به.

.18

بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (18)

{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ}

أي بل شأنُنا أن نُغَلِّب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من جملته اللهو.

{فَيَدْمَغُهُ}

فيمحقه ويُهلكه. وأصل الدَّمغ: كسر الدماغ. يقال: دَمَغه يَدْمَغه، إذا شجه حتى بلغت الشجة الدماغ، واسمُها الدامغة. و إذا بلغت الشّجَه ذلك لم ينتظر للمشجوج بعدها حياة.

{فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ}

ذاهب هالك، يقال: زَهَق الشيء يزهق زهوقاً، بطل وهلك؛ فهو زاهق وزهوق.

{وَلَكُمُ الْوَيْلُ}

العذاب والعقاب

{مِمَّا تَصِفُونَ}

الله تعالى به مما لا يليق بشأنه الجليل.

.19

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (19)

{وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ}

لا يكِلّون ولا يتْعَبُون؛ مأخوذ من الحسير: وهو البعير المنقطع بالإعياء والتعب. يقال: حسر البعيرُ يَحْسُره ويَحسِره، أي ساقه حتى أعياه؛ كأحسره. واستحْسَرتْ: أعْيت وكلّت؛ يَتعدى ولا يتعدى. وحسرَ البصرُ يَحسِر حسورا، كَلَّ وانقطع من طُول مدى و نحوه.

.20

يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (20)

{لَا يَفْتُرُونَ}

لا يسكنون عن نشاطهم في تنزيه الله تعالى وتعظيمه وطاعته. فذلك سجيَّة فيهم. يقال: فَتَرَ يفتُرُ ويفتِر فُتورا وفُتارا، سَكن بعد حِدّة، ولان بعد شدَّة. وفَتَرَ الماء: سكَن حرُّه؛ فهو فاتر.

.21

أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (21)

{أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً}

أي بل اتخذوا آلهة من أجزاء الأرض وهي الأصنام والأوثان؟ والاستفهام للإنكار والتوبيخ.

{هُمْ يُنْشِرُونَ}

أي أهم يبعثون الموتى من قبورهم؟ كلا!؛من أنشر الله الميت فنَشَر: أي أحياه فَحييَ وقُرئ بفتح الياء وضم الشين من نَشَرَ، وهو وأنشر بمعنى أحيا. وقد يجيء نشر لازما فيقال: نشر الموتى نشورا – من باب قعد–حيُوا.

.22

لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22)

{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا}

أي إن هذا النّظام المحكم المستمر، والأتساق البديع الدائم، والارتباط بين أجزاء العالم العُلوي والسُّفْلى. والآثارَ الكونية المترتبة على ذلك – لا يمكن أن يصدر إلا عن صانع قادر، حكيم مدبر، منفرد بالايجاد والإبداع والتدبير، لا شريك له في فعله، ولا مُعَقِّب لحكمه ولا رادَّ لأمره، إذ أن تعدُّد الآلهة يلزمه التَنازعُ والتغالب بينهم في الأفعال، والتصادم في الإرادات؛ فيختلُّ النظام، ويضطرب الأمر ويَخْرب العالم. ولما كان المُشاهد غير ذلك، دلَّ على وحدة

الاله المتصرف المدبِّر القدير. ألا تَرى أنه لو فُرض تعدُّد الإله، وأراد أحدُهما حركة كوكب وأراد الآخرُ سكونه؛ فلا جائز أن يقع مرادهما معا للزوم اجتماع الضدّين، ولا جائز أن يمتنع مرادهما معا لأنه لا مانع من وجود مراد أحدهما الا وجود مراد الآخر، وإذا وقع مراد أحدهما دون الآخر فهو الإله القادر، والآخر عاجزُ فلا يكون إلهاً.

{فَسُبْحَانَ اللَّهِ}

فتنزيهاً لله وتبرئه له من أن يكون له شريك في الألوهية.

.23

لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (23)

{لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ}

في عباده من إعزاز و اذلال، وهدايةٍ وإضلال، وإسعاد واشقاء؛ لأنه الربُّ المالك المتصرف، والخلق يُسألون يوم القيامة عما عملوا لأنهم عبيد، وقد أعطاهم نور العقل ليستدلوا ويَرْشدُوا، ويميزوا بين الحق والباطل، فأبصر قومٌ وعَمِيَ آخرون؛ وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

.24

أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (24)

.25

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)

.26

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (26)

{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا}

يعنُون من الملائكة؛ حيث قال الزاعمون: هن بناتُ الله.

{سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ}

أي: بل هم عباد مخلوقون له تعالى، مقرَّبون عنده. وقد وصفهم الله في هذه الآية بسبع صفات و {عِبَادٌ}

جمع عَبْد، والعبودية لله تعالى: إظهار التذلُّل والخضوع له سبحانه. ومُكْرم: اسم مفعول من أكرم. و إكرام الله للعبد: إحسانه إليه وإنعامه عليه.

.27

لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (27)

{لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ}

لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به، ولا يقولون شيئا حتى يقوله.

.28

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (28)

{وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ}

أي وهم من خوف الله

وعقابه حَذِرُون أن يخالفوا أمره ونهيه. يقال: أشفق منه، أي حَذِره.

.29

وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (29)

.30

أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (30)

{أَوَلَمْ يَرَ .. }

في هذه الآية والآيتين بعدها ستَّةُ أدلة على التوحيد وكمال القدرة؛ أي ألم يتفكروا ويعلموا. والمراد: التمكُّنُ منه بالنظر العقلي.

{أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا .. }

ملتصقتين ليس بينهما انفصال ففصلنا بينهما. والرَّتق: مصدر بمعنى الضم والالتئام. يقال: رَتَق الفتقَ يرتُقُه رَتقا ورتوقا، إذا شدّه. ورَتقْت الشيء فارتتق، أي التأم. والفتقُ: ضد الرَّتْق، وهو الفصل بين المتصلين. يقال: فَتق الشيء يفتقه، شقَّه. وعن ابن عباس: كانتا ملتصقتين فرفع الله السماء ووضع الأرض. وعن الحسن وقتادة: كانتا جميعا ففصل الله بينهما بالهواء. وقيل: كانتا معدومتين فأوجدناهما. واستعمال الرتق والفتق في ذلك مجاز.

{وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ}

خلقنا من الماء كل شيء حيٍ، أي متصف بالحياة الحقيقية وهو الحيوان، أو كل شيء نامٍ فيدخل النبات، ويرادُ من الحياة ما يشمل النُّمو. وهذا العامُّ مخصوص بما سوى الملائكة والجن مما هو حي.

.31

وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (31)

{وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ}

جبالا ثوابت

{أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ}

أي كراهة أن تتحرك وتضطرب بهم اضطرابا لا يعقبه تثبيت. [النحل:15].

{وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا}

أي جعلنا في الأرض مسالك طرقاً واسعة للسابلة؛ جمعُ فجٍ وهو الطريق الواسع. والسُّبل: جمع سبيل وهو الطريق، بدلٌ من (فجاجا).

.32

وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (32)

{سَقْفًا مَحْفُوظًا}

مصوناً من الوقوع أو التغير.

.33

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (33)

{كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}

أي كل واحد من الشمس والقمر يسير في فلكه بسرعة؛ كالسابح في الماء: من السَّبْح وهو المَرُّ السريع في الماء أو الهواء، وأُتِيَ بضمير جمع العقلاء لكون السِّباحة المستندة إليها من فعل العقلاء؛ كقوله تعالى: { ... رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4)} [يوسف]. {قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11)} [فصلت].

.34

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (34)

{وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ .. }

نزلت حين قال الأعداء: {نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (30)} [الطور] بغضاً له.

.35

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (35)

{وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ}

نختبركم: أي تعاملكم معاملة المختبر بما تحبون وما تكرهون، لأجل إظهار شكركم وصبركم {فِتْنَةً}

أي ابتلاءً واختبارا مصدر مؤكد لـ {نَبْلُوكُمْ}

من غير لفظه.

.36

وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ (36)

.37

خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (37)

{خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ}

العَجَل: طلب الشيء وتحرّيه قبل أوانه. وفعله من باب طَرَب. والمرادُ: أن جنس الإنسان خُلِق مجبولاً مطبوعاً على العجَلة والتَّسُّرع. فيستعجل كثيرا من الأشياء وقد تكون مضرة به. ومن ذلك استعجالهم العذاب الذي أوعدوا به – {مَتَى هَذَا الْوَعْدُ} جهلاً منهم وغفلة عن شأنه.

.38

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (38)

.39

لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (39)

ثمَّ بين الله تعالى شدة ما يحصل لهم منه [من استعجالهم العذاب] بقوله: {وْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ .. }

أي لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال.

.40

بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (40)

{بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً}

بل: تأتيهم الساعة الموعود بها و بعذابهم فيها مفاجأة من غير شعور بمجيئها، مصدر بَغَتهُ كمنَعَه؛ ومنه؛ المباغتة: أي المفاجأة.

{فَتَبْهَتُهُمْ}

تدهشهم وتُحيرهم والفعل كعَلِم ونَصَر وكَرُم وزُهِيَ [البقرة:258].

{وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ}

يمهلون لتوبة أو معذرة. وهو تهديدٌ ووعيد.

.41

وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (41)

{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ .. }

تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم.

{فَحَاقَ}

أحاط أو نزل بهم. يقال: حاق به الشيءُ يحيق، أحاط به.

.42

قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ (42)

{مَنْ يَكْلَؤُكُمْ}

يَحْفَظُكم ويحرسكم. يقال: كلأه كَلأً وكلاءةً وكلاء، حَرَسه وحفظه. واكتلأت منه: احترست. والاستفهام للتقريع والتنبيه للمستهزئين كي لا يغترُّوا بما يتقلَّبون فيه من النعم، وبالإمهال والمطاولة.

.43

أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ (43)

{لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ}

أي أن هؤلاء الآلهة لا يستطيعون أن ينصروا أنفسهم، ويدفعوا عنها ما ينزل بها

{وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ}

بنصر وتأييد؛ فهم في غاية العجز. أو ولاهُمْ منا يجارون. تقول العرب: أنا لك صاحبٌ من فلان وجار، بمعنى مجيرك ومانعك منه، وأصْحب فلان فلان: أجاره ومنعه. فكيف يتوهمون فيها النصر!.

.44

بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ (44)

{أَفَلَا يَرَوْنَ .. }

هذه الآية مدنية وإن كانت السورة مكيَّة، أي أعمِيَ المستهزئون فلا يرون أنا نأتي أرضهم فننقُصُها من أطرافها بتسليط المسلمين عليها وانتزاعها من أيديهم!؟

{أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ}

استفهام بمعنى الإنكار، معناه: بل نحن الغالبون وهم المغلوبون.

.45

قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ (45)

.46

وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (46)

{وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ .. }

أصابهم شيء قليل من العذاب أو طَرَف منه. وفي هذا التعبير ثلاث مبالغات: ذكر المَسّ الذي يكفي في تحققه إيصال ما. وما في النَّفْح من النزارة والقلة، يقال: نَفَحه بعطية، رَضخه وأعطاه يسيرا. والبناء الدَّال على المرة، وهي لأقل ما يُطلق عليه الاسم. والمراد: بيان سرعة تأثرهم بأقل شيء من العذاب الذي كانوا يستعجلونه استهزاءً، وأنه إذا نالهم جزعوا ونادوا بالويل والثُّبور.

.47

وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (47)

{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ .. }

بيان للعدل الإلهيّ يوم القيامة في الجزاء على ما سلف من الأعمال، وأنه تعالى لا يظلم أحدا شيئا مما له أو عليه؛ فلا ينقص من إحسان المحسن شيء ما، ولا يزاد في إساءة المسيء شيء ما. والقِسْط: العَدْل. والموازين: ما توزن به صحائف الأعمال.

{وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ}

أي وإن كان العمل قد بلغ من القلة والحقارة وزن حبَّة من خَرْدل – وهي مَثَل في الصِّغر – {أَتَيْنَا بِهَا} جئنا بصحيفته في الموازين.

.48

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ (48)

.49

الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (49)

{مُشْفِقُونَ}

خائفون حذرون.

.50

وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (50)

.51

وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51)

{وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ}

هدايته الكاملة إلى وجوه الصلاح في الدين والدنيا من قبل استنبائه؛ ترشيحا لِمَنْصب النبوة والدعوة إلى الحق؛ كما هو شأننا فيمن نصطفيه لذلك من عبادنا.

.52

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52)

{مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ .. }

الأصنام، وعبر عنها بالتماثيل

تحقيرا لها، فإن التمثال هو الشيء المصنوع من رخام أو نُحاس أو خشب أو معدن أو نحو ذلك، على هيئة مخلوق من مخلوقات الله تعالى كالإنسان والحيوان والكواكب. يقال: مثَّلت الشيء بالشيء، أي شبهته به.

{أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ}

أي أنتم لأجلها عاكفون على عبادتها، أو ملازمون لها ومقبلون عليها؛ وأنتم قد صنعتموها بأيديكم؟

.53

قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53)

.54

قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (54)

.55

قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (55)

.56

قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (56)

{فَطَرَهُنَّ}

خَلَقَهنَّ وأبْدَعَهنَّ.

.57

وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57)

.58

فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58)

{فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا}

فجعلن الأصنام قطعاً وكِسراً، واحده جذاذةٌ؛ من الجَذ وهو القطع والكسر. تقول: جذذت الشيء، أي قطعته وكَسرته.

.59

قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59)

.60

قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60)

.61

قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61)

{عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ}

ظاهرا بمرأى من الناس.

.62

قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ (62)

.63

قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63)

{بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ}

قصد باسناد الفعل إلى كبيرهم – ومعلوم عجزُه عنه بداهةً – اثباته لنفسه بأسلوب تعريضي تهكميّ؛ إلزاما لهم بالحجة.

.64

فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64)

.65

ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (65)

{نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ}

انقلبوا من الفكرة المستقيمة الصالحة، في تظليم أنفسهم بعبادة ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه فضلا عن غيره – إلى ما كانوا عليه من الكفر، وعبادة الأوثان؛ فأخذوا في المجادلة بالباطل وقالوا: {لَقَدْ عَلِمْتَ مَا

هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ} فكيف نسألهم!؟ فعل مبني للمجهول؛ من النَّكس وهو قلب الشيء من حال إلى حال، وأصله قلب الشيء بحيث يصير أعلاه أسفله.

.66

قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66)

.67

أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (67)

{أُفٍّ لَكُمْ}

اسم فعل بمعنى أتضجر. ضَجِر إبراهيم عليه السلام من إصرارهم على الباطل بعد وضوح الحق وانقطاع العُذر؛ فتأفف بهم، وأصله صوت المتضجِر من استقذار الشيء [الإسراء:23] واللام لبيان المتضجَّر لأجله.

.68

قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (68)

.69

قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69)

.70

وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (70)

.71

وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71)

{وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا .. }

أخرجناه ومعه زوجه سارة وابنُ أخيه أو ابنُ عمّه لوط من العراق إلى الشام، فنزل إبراهيم بفلسطين، ونزل لوط بالمؤتفكة. فبُعث نبيا إلى أهلها وما قَرُب منها.

{إِلَى الْأَرْضِ}

منتهيا إلى أرض الشام.

.72

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (72)

{وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً}

عطِيَة منّا زيادة على ما سأل؛ إذ دعا ربه في إسحاق فزيد يعقوب بن اسحاق من غير دعاء، من نَفَله إذا أعطاه.

.73

وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (73)

.74

وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (74)

{آتَيْنَاهُ حُكْمًا}

حكمةً أو نبوةً، أو فصل القضاء بالحق بين الخصوم

{وَعِلْمًا}

فقها في الدين وما ينبغي علمه.

{كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ}

فساد وفعل مكروه [التوبة:98].

.75

وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (75)

.76

وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76)

.77

وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (77)

.78

وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78)

{فِي الْحَرْثِ}

أي الزرع، وكان كَرْماً قد تدلت عناقيدُه

{إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ}

تفرقت وانتشرت فيه ليلا بلا راع فرعَته وأفسدته. يقال: نَفَشت ألغنم والإبلُ، أي رَعَت ليلاً بلا راع؛ من باب نصر وضَرَب وسمِع، والنَّفش اسم منه.

.79

فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79)

{فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ .. }

ففهمنا سليمان الحكمة، وكان داودُ قد حَكَم بإعطاء صاحب الحَرْث رقاب الغنم في حرثه، فرأى سليمان أن تُدفع الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بثمراتها، ويُدفع الحرث إلى صاحب الغنم ليقوم عليه، فإذا عاد إلى ما كان

عليه في السنة المقبلة رد كلُّ واحد منهما ما لِصاحبه إليه. فرجع داود إلى حكم سليمان عليهما السلام.

{يُسَبِّحْنَ}

يُقَدِّسْن الله تعالى وهو من المعجزات، كما سبحَ الحصا في كفة الرسول صلى الله عليه وسلم وسَمِعه الناس معجزة له، وهو كقوله تعالى: {يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ .. } [سبأ:10].

.80

وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (80)

{وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ}

أي عَمَل الدُروع بِإلانة الحديد له. واللُبوس الدَّرع. وأصل الَّلبُوس والِّلباس والِّلبس والمَلبس -كَمَقْعد ومِنبر - كل ما يُلبس.

{لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ}

لتجعلكم في حرز من الإصابة بآلة الحرب من عدوكم. يقال: أحْصَنه وحصَّنه، جعله في حرز ومكان منيع.

.81

وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (81)

{وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً}

أي وسَخَّرنا لسليمان الرّيح، شديدة الهبوب. يقال: عصفت الريح تَعصِف، اشتدت؛ فهي عاصفٌ وعاصفةٌ وعَصوف، سُمّيتْ بذلك لتحطيمها ما تمر عليه فتجعله كالعصف وهو التَّبْن.

.82

وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (82)

{يَغُوصُونَ لَهُ}

في البحار لاستخراج نفائسها.

{لَهُمْ حَافِظِينَ}

من الزيغ عن أمره أو الإفساد.

.83

وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83)

{أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ}

هو ما يُصيب النَّفس من المرض والهُزال ونحوهما.

.84

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (84)

.85

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (85)

{وَذَا الْكِفْلِ}

هو إلياس أو زكريا أو يُوشع بن نون. وقيل: إنه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيًّا.

.86

وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (86)

.87

وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87)

{وَذَا النُّونِ}

أي أذكر صاحب النُّون وهو يونس بن متى عليه السلام. والنُّون: الحوت: وجمعه نينان وأنوان. وقيل له ذو النون لابتلاع الحوت له.

{إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا}

غضبان على قومه من أجل ربّه؛ لكفرهم أوّل أمرهم. وقد فارقهم بدون أن يأمره الله تعالى بفراقهم.

{فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ}

أي أن لن نقضي عليه بعقوبة، أو أن لن نضيق عليه؛ عقابا له على ترك قومه من غير أمرنا. يقال: قَدرت عليه الشيء أقْدُره وأقدِره قَدْرا وقَدَرا، ضيقته عليه. ومنه: {فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ} [الفجر:16] أي ضيّقه عليه، {اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} [الرعد:26].

{فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ}

ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر، وظلمة الليل.

.88

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)

.89

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (89)

.90

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (90)

{وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا}

راغبين في نِعَمِنا، وراهبين من نِقمِنا. مصدران بمعنى اسم الفاعل، منصوبان على الحال، وفعلها من باب طرب.

{خَاشِعِينَ}

متواضعين خاضعين، لا يستكبرون عن دعائنا.

.91

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (91)

{وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا .. }

حَفِظت فرجها من النكاح الحلال والحرام؛ يعني مَرْيَم بنت عمران عليها السلام. {مِنْ رُوحِنَا}

أي من جهة رُوحنا وهو جبريل عليه السلام؛ أمرناه فنفخ في جيب درعها فأحدثنا بذلك عيسى عليه السلام.

{وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ}

دلالة لهم على كمال قدرتنا؛ إذْ خلقنا ولدا من غير أب.

.92

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (92)

{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ}

أي إن ملة التوحيد والإسلام، وهي دين جميع الأنبياء عليهم السلام – دينُكم الذي يجب أن تحافظوا على حدوده وتراعُوا سائر حقوقه.

{أُمَّةً وَاحِدَةً}

ديناً واحدا متفقا عليه من جميع الأنبياء. منصوب على الحال من {أُمَّتُكُمْ}.

.93

وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ (93)

{وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ}

جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعها وتفرقوا فيه شيعاً. والمراد بهم: المعاندون الجاحدون.

.94

فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (94)

.95

وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (95)

{وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ}

أي وممتنع على أهل قرية {أَهْلَكْنَاهَا} لِفرط طغيانهم وتمردُّهم {أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} في الآخرة للجزاء.

.96

حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (96)

{حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ}

حتى هنا: ابتدائية، وما بعدها غاية لما يدل عليه ما قبلها، فكأنه قيل: بل يستمرُّون على هلاكهم حتى تقوم الساعة فيرجعوا إلينا ويقولوا: يا وَيْلنا قد كنا في الدنيا في غفلة تامة من أمر البعث والجزاء، بل كنا ظالمين بتكذيب الآيات والنذر.

{وَهُمْ}

أي يأجوج ومأجوج.

{مِنْ كُلِّ حَدَبٍ}

مرتفع من الأرض كجبل أو أكمة.

{يَنْسِلُونَ}

يُسرعون في السَّير مشاة إلى المحشر كنَسَلان الذئاب؛ من النَّسل وهو مقاربة الخطو مع الإسراع. يقال: نَسَل في مشيته يَنْسُل ويَنْسِل نَسْلاً ونَسَلاناً، اسرع.

.97

وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَاوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (97)

{وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ}

وهو ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء، معطوف على {فُتِحَتْ}.

{فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا}

مرتفعة الأجفان لا تكاد تطرف من شدة الهول. يقال: شَخَص بصر فلان يشخص شُخُوصا فهو شاخص، إذا فتح عينيه وجعل لا يَطْرف؛ جواب قوله: {إِذَا فُتِحَتْ} و {هِيَ} ضمير الشأن مبتدأ، و {شَاخِصَةٌ} خبر مقدم، و {أَبْصَارُ} مبتدأ مؤخر، والجملة خبر {هِيَ}.

.98

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (98)

{إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ}

إنكم– أيها الكفار – والأصنام والطواغيت التي تعبدونها من دون الله وقود جهنم، وحَصَب النار؛ ما يُرمى فيها وتهيج به. يقال: حَصَبه يَحْصِبُه، إذا رماه بالحصباء، وهي صغارُ الحجارة.

{حَصَبُ جَهَنَّمَ}

حطبها ووقودها الذي به تهيج.

{لَهَا وَارِدُونَ}

فيها داخلون.

.99

لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (99)

.100

لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (100)

{لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ}

تنفس شديد يخرج من أقصى أجوافهم. [هود:106].

{لَا يَسْمَعُونَ}

شيئا ما لشدة الهَوْل، أو لشدة الزَّفير.

.101

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (101)

.102

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ (102)

{لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا}

أي حسيسَ النار، وهو صوتُها الذي يُحس من حركة تلهُّبها إذا نزلوا منازلهم في الجنة. وأصل الحَسيس: الصوت تسمعه من شيء يمرُّ قريبا منك.

.103

لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (103)

{لَا يَحْزُنُهُمُ}

يقال: حَزَنه الأمر حُزْنا، جعله حزينا كأحزنه.

{الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ}

وهو أهوال يوم القيامة، أو نَفخةُ البعث. مصدر فَزَع – كَفَرِح ومنع – وهو انقباضٌ ونفارٌ يعتري الإنسان من الشيء المخيف.

.104

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (104)

{يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ}

أي اذكر لهم

هذا اليوم. والطَّيُّ: ضِدُّ النَشْر. والسِّجل: الصحيفة التي يُكتب فيها، والكُتُب: بمعنى المكتوبات، أي ما يكتب في الصحف من المعاني الكثيرة، واللام بمعنى على؛ كما في قوله تعالى: {وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103)} [الصافات]. أي يوم نطوي السماء طيًّا مثل طي الصحيفة على ما فيها من المكتوبات. وفي هذا التشبيه إيماء إلى أن ذلك من أهون ما تتناوله يَد القدرة الإلهية.

.105

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (105)

{كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ}

أي المزبور وهو المكتوب؛ من قولهم: زبَرْتُ الكتاب، أي كتبته. والمراد به: الجنسُ؛ فيشمل جميع الكتب المُنَزلة على الرسل عليهم السلام.

{مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ}

أي أمِّ الكتاب الذي كتب فيه الأشياء قبل ذلك، وهو اللوح المحفوظ. وقيل: الذّكرُ العلم، وهو المراد بأمِّ الكتاب.

.106

إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (106)

{لَبَلَاغًا}

كفاية، أو وصولا إلى البغية.

.107

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (107)

.108

قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (108)

.109

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ (109)

{آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ}

أعلمتكم ما أُمِرت به حال كونكم جميعا مستوين في العلم به، لا أخصُّ أحدا منكم دون أحد، والهمزة فيه للثقل؛ من أذِن بمعنى عَلِم، وقد كثُر استعماله في إجرائه مُجْرَى الإنذار؛ ومنه في قراءة {فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [البقرة:279].

{وَإِنْ أَدْرِي}

وما أدري وما أعلم.

.110

إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (110)

.111

وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (111)

.112

قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (112)

والله أعلم

سُورةُ الحجِّ

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1)

{إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ}

من أمارات الساعة ما يَحْدُث في الأرض من الزلزلة الشديدة، التي أخبر الله عنها بأنها شيء عظيم الأهوال، ويعقُبها طلوع الشمس من مغربها. والزَّلْزَلة: التحريك الشديد، والإزعاج العنيف، مصدرُ زَلزَل الله الأرض زلزلة وزلزالا؛ حركها. وقيل: هذه الزلزلة كناية عن أهوال يوم القيامة.

.2

يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (2)

{تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ}

تَنسى وتترك كل امرأة الطفل الذي ألقمته ثديها من شدة كربها ودهشتها، من الأهوال، وهو شُغْل يورِث حُزناً ونسيانا، وفعله كمنَعَ. والمُرْضِعةُ: المباشِرَة للإرضاع بالفعل. تقول: أرضعت المرأة فهي مُرضع، إذا كان ولد تُرضعه، فإن وصفتها بإرضاع ولدها بالفعل قلت: مُرضِعة.

{وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا}

ولدها قبل تمامه

من شدة الهول.

{سُكَارَى}

أي كالسكارى لما شاهدوا من سلطنة الجبروت

{وَمَا هُمْ بِسُكَارَى}

على التحقيق؛ جمع سَكر وسَكْران.

.3

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (3)

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ .. }

يُنازع ويخاصِم، من الجدال وهو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة. وأصلُه من جَدَلت الحبل: أي أحكمت فتله؛ كأن المتجادلين يفتل كلُّ منهما صاحبه عن رأيه. نزلت في النَّضر بن الحارث. {وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ}

متمرِّد متجردٍ للفساد، مُعَرى من الخير، [النساء:117].

.4

كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (4)

{تَوَلَّاهُ}

اتخذه وليّا وتبعه.

.5

يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5)

{يَاأَيُّهَا النَّاسُ .. }

لما ذكر تعالى من يُجادل في قدرته بغير علم وكان جدالهم في البَعْث – ذَكر دليلين واضحين على صحته: أحدهما في نفس الإنسان وابتداء خلقه وتطوُّره في أطواره السبعة، وهي: التُّراب، والنُّطفة، والعلقةُ، والمُضغةُ، والاخراج طِفلاً، وبلوغ الأشُد، والتَّوفي، أو الرّدُ إلى أرذَلِ العمر. والثاني في الأرض التي يشاهد تنقلها من حال إلى حال؛ فإذا اعتبر العاقل ذلك تبين له جوازُ البعث عقلا، فإذا وَرَد الشرع بوقوعه وجَبَ التصديق به لا محالة.

{مِنْ نُطْفَةٍ}

من مَنيٍّ. [النحل:4].

{مِنْ عَلَقَةٍ}

قطعة من الدَّم – جامدة يتحول إليها المَني، وجمعها عَلَق.

{مِنْ مُضْغَةٍ}

قطعة قليلة من اللحم تتحول إليها العَلَقة.

{مُخَلَّقَةٍ}

مستبينة الخلق مصورة.

{لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ}

كمال عقولكم، ونهاية قواكم [الأنعام:152].

{أَرْذَلِ الْعُمُرِ}

أخَسَّه وأدْوَنِه، وهو مِثْل زمن الطفولة الأولى.

{وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً}

يابسة لا نبات فيها. يقال: هَمَدت الأرض تَهْمُد هُمُودا، يَبَست و درست. وهَمَد الثوب بليَ.

{اهْتَزَّتْ}

تحركت في رأي العين بسبب حركة النبات. يقالُ: هَزَّ الشيء – من باب ردَّ– فاهتز، حركه فتحرك.

{وَرَبَتْ}

زادت وانتفخت لما يتداخلها من الماء والنّبات. يقال: ربا الشيءُ يرْبُو رَبْواً، زاد ونَما؛ ومنه الرِّبا و الرَّبْوَة.

{بَهِيجٍ}

نَضِر حسن المَنْظر، من بَهُج – كظرُف – بَهاجة وبَهْجَة أي حَسُن.

.6

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6)

{ذَلِكَ}

أي ذلك المذكور من خلق الإنسان وإحياء النبات شاهد {بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ}.

.7

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (7)

.8

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (8)

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ .. }

هذه الآية واردةٌ في شأن المتبوعين. والآية الثالثة من هذه السورة واردة في شأن أتباعهم.

.9

ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (9)

{ثَانِيَ عِطْفِهِ .. }

لاويَ جانبه، أي متكبِّرا شموخاً، معرضا عن الحق؛ من الثَّني وهو الليُّ. يقال: ثنى الشيء – كسعى ورَمَى – ردَّ بعضه على بعض فتَثَّنى. وانثنى انعطف. والعِطفُ: الجانب. ويقال: هو ينظر في عِطْفَيه، أي مُعْجَب بنفسه. وثَنى عَنى عِطفَه: أعْرض.

{خِزْيٌ}

ذُلٌّ وهوان بالذكر القبيح.

.10

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (10)

{وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}

[آل عمران:182].

.11

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (11)

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ .. }

على طَرَف من الدين، لا ثبات له ولا استقرار؛ كالذي يكون على طَرَف الجيش، فإن أحسَّ بِظَفَر قَرّ، وإلا فَرّ. وحرفُ كل شيء: طَرَفه وحَدّه؛ ومنه حَرْف الجبل. وهو مَثَل لاضطرابه في أمر دينه وتزلزل قدمه فيه.

{وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ}

ابتلاءٌ بالشُّرور والآلام في النفس أو الأهل أو المال.

.12

يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (12)

{يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ}

أي يعبد من دونه تعالى.

{مَا لَا يَضُرُّهُ}

ترك عبادته له في الدنيا

{وَمَا لَا يَنْفَعُهُ}

عبادتُه له في الآخرة وهو الأصنام.

.13

يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ (13)

{لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ}

أي يقول الكافر يوم القيامة برفْع صوتٍ وصُراخ حين يرى تضرُّره بمعبوده ودخوله النار بسببه، ولا يرى أثرا مما كان يتوقعه منه من نفع أو دفع ضر: واللهِ لبئس الذي يتخذ ناصرا، ولبئس الذي يُعاشر ويخالط!!.

.14

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (14)

.15

مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (15)

{مَنْ كَانَ}

من الكفار

{يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ}

أي ينصر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم

{فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ}

أي فليَمددْ حبلاً

{إِلَى السَّمَاءِ}

إلى سقف بيته

{ثُمَّ لْيَقْطَعْ}

أي

لِيَخْتَنقْ به، من قَطَع، اذا اختنق وأصله قَطَعَ نَفسه؛ وهو كناية عن الاختناق.

{فَلْيَنْظُرْ}

أي فليقدِّر في نفسه النَّظر

{هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ}

أي الذي يغيظه من النصر.

.16

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ (16)

.17

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (17)

{وَالصَّابِئِينَ}

[البقرة:62].

{وَالْمَجُوسَ}

هم عَبَدةُ الشمس أو القمر أو النار. أو القائلون بأن للعالم أصلين: النور والظُّلمة.

{وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا}

هم عبدةُ الأصنام والأوثان.

.18

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (18)

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ}

[الرعد:15].

{وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ}

حق له الثواب، وهم المنقادون لله تعالى ظاهراً وباطناً.

{وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ}

وهم المُتمردون على الله تعالى الجاحدون لنعمه.

.19

هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (19)

{هَذَانِ خَصْمَانِ}

أي فريق المؤمنين وفريق لكافرين خصمان في شأنه عز وجل.

{الْحَمِيمُ}

الماء البالغ غاية الحرارة. أو هو النُّحاس المذاب.

.20

يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (20)

{يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ}

يذاب به ما في بطونهم من الشُّحوم والأحشاء. يقال: صَهَر الشَّحم يَصهرُه فانصهر، أذابه فذاب؛ فهو صهير. أو يُصْهر بمعني ينضج.

.21

وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (21)

{وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ}

مطارقُ تضرب بها خزنة النار رءوسهم إذا أرادوا الخروج منها؛ جمع مِقْمَعة، وهي آلة تستعمل في القَمع عن الشيء والزَّجر عنه. يقالُ: قمعه يَقْمَعُه، وأقمعه، إذا ضربه بها، وقَهَره وذله.

.22

كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (22)

.23

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (23)

.24

وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ (24)

{صِرَاطِ الْحَمِيدِ}

الإسلام الذي ارتضاه لعباده ديناً.

.25

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (25)

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ .. }

خبر (إنَّ) محذوف لدلالة آخر الآية عليه، بعد قوله {وَالْبَادِ} تقديره: نُذيقُهُم من عذاب أليم.

{وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}

أي وعن المسجد الحرام. والمرادُ به مكَّه؛ عُبِّر به عنها لأنه المقصود الأهم منها.

{الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ .. }

مطلقا بلا فرق بين مِكيّ وآفاقي.

{سَوَاءً الْعَاكِفُ}

المقيم فيه. يقال: عكف يعْكُف ويعكِف عَكفا وعُكوفا، لزم المكان وأقام فيه.

{وَالْبَادِ}

أي الطارئ عليه وهو الآفاقِي. وأصله من يكون في البادية ومَسكَنُه المضارب والخيام، وينتجع المناجع ولا يقيم في مكان و {سَوَاءً} مفعول ثان لـ (جعلنا)، و {الْعَاكِفُ} فاعل لـ {سَوَاءً} بمعنى مستو.

{وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ}

أي ومن يُرِد فيه مراد ما عادلاً عن القصد والاستقامة، فيشمل سائر الآثام، لما فيها من الميل عن الحق إلى الباطل، ومنه كما في السنن: احتكارُ الطعام في الحرم، ومنه: دخولُه بغير إحرام؛ كما رُوي عن عطاء، يقال: ألحدَ في دين الله، أي حاد عنه وعدل،

{بِظُلْمٍ}

أي بغير حق، وهو تأكيد لما قبله، والباء فيهما للملابسة. وقيل: الأولى زائدة، وأُيِّد بقراءة (ومن يُرِد الحادَهُ بِظُلم) أي الحادا فيه بظلم. والآية نزلت في المشركين حين صدوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه عام الحُديْبية عن

المسجد الحرام، فكره صلى الله عليه وسلم أن يقاتلهم وكان مُحرما بعمرة، فصالحوه على أن يعود في العام القابل لقضاء العُمرة.

.26

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26)

{وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ}

جعلنا مكان البيت – أي الكعبة المشرفة – مباءةً له عليه السلام؛ أي مرجعا يرجع إليه للعمارة والعبادة [آل عمران:121].

{وَطَهِّرْ بَيْتِيَ}

من الأرجاس الحِسية والمعنوية الشاملة للكفر والبِدع والضلالات.

.27

وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27)

{وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ}

ناد فيهم وأعلمهم.

{يَأْتُوكَ رِجَالًا}

مُشاة على أرجلهم؛ جمعُ راجل أو رَجْل، يقالُ: رجل رجل، فهو رجل وراجل: إذا لم يكن له ظهر يركبه.

{وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ}

أي وركبانا على كل بعير مهزول أنهكه بُعد الشقة، يُطلق على الذَّكر والأنثى، وهو اسم فاعل من ضمَرَ يَضمُر ضمورا، وضَمُر ضُمْرا، فهو ضامرٌ فيهما.

{يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ}

صفه لـ (كُل). والجمع باعتبار المعنى؛ كأنه قيل: وركبانا على ضوامر من كل طريق بعيد. والفجُّ في الأصل: شُقّةٌ يكتنفها جبلان، ويستعمل في الطريق الواسع. والمراد هنا: مطلق الطريق، وجمعه فجاج. و {عَمِيقٍ} أي بعيد؛ من العُمْق. وأصلهُ البُعد سفلاً؛ ومنه بئر عميقة. وفعله ككَرُم وسَمِع.

.28

لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (28)

{لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ}

عظيمة دينيّة ودنيوية.

{وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ}

أي يذكروه بالحمد والثناء عند إعداد الهدايا، وعند الذبح والنحر وغير ذلك.

{فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ}

هي عشر ذي الحجة على ما ذهب إليه جمهور المفسرين، وقيل: هي أيام النحر، أو يوم العيد وأيام التشريق.

{بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ}

الإبل والبقر والضأن والمعز.

{وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ}

هو الذي أصابه بُؤس؛ أي شِدَّة ومكروه.

.29

ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (29)

{ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ}

أي يزيلوا عنهم أدرانَهم والمراد به: الخروجُ من الإحرام بالحلق أو القص، وقلم الأظفار والاستحداد، ولبس الثياب ونحو ذلك. والتَّفثُ: الوَسَخ والقذر من طول الشعر والأظفار والشعث. يقال: تفِث يَتفثُ تفثا فهو تَفِث، إذا ترك الأدهان والاستحداد ونحوهما فعلاه الوسخ. والقَضاء في الأصل: القَطْع والفَصْل؛ أريد به الإزالة مجازا.

{وَلْيَطَّوَّفُوا}

طواف الإفاضة. وهو طواف الزيارة الذي هو من أركان الحج، وبه تمام التحلُّل من الإحرام.

.30

ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (30)

{وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ}

أي ما أمر الله باحترامه. وهو جميع التَّكاليف في مناسك الحج وغيرها. وتعظيمُها بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه.

{فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ}

أي فاجتنبوا القَذَر الذي هو الأوثان، وهي التماثيل التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى.

{قَوْلَ الزُّورِ}

قول الباطل والكذب القبيح.

.31

حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (31)

{حُنَفَاءَ}

مائلين عن سائر الأديان الباطلة إلى الدين الحق.

{فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ}

تَستلبه جوارحُ الطير وتذهب به. والخَطْف الاختلاس بسرعة.

{أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ}

أي تُسقطه وتَقذِفه. يُقالُ: هَوَى يَهْوى هُوِيًّا، سقط إلى أسْفل.

{سَحِيقٍ}

بعيد: من السُّحق. يقال: سَحُق الشيء –كبُعُد– فهو سحيق، أي بعيد. وأسحقه الله: أبعده.

.32

ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (32)

{وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ}

جمع شعيرة. وهي كلُّ شيء لله تعالى فيه أمْرٌ أشْعَر به وأعْلم. وشعائر الله: أعلامُ دينه في الحج، أو الأعمال التي أمر بها فيه عند هذه الأعلام [البقرة: 158] ومنها البُدن التي تُهدَى للبيت المعظم. وتعظيمُ شعائر الله: إمتثالُ ما أمر به عندها، وأداءُ أعمال المناسك على الوجه المشروع. ومن المفسرين من فسّر الشعائر هنا بالبُدن الهدايا؛ بقرينة ما بعده. وتعظيمها: اختيارُها

حِسانا سماناً.

.33

لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (33)

{لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ}

أي لكم في تلك الشعائر منافع بالأجر والثواب الحاصل بتعظيمها.

{إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى}

وهو انقضاء أيام الحج.

{ثُمَّ مَحِلُّهَا}

أي مَحِل الناس منها – أي من إحرامهم – مُنْتَهِ

{إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ}

بطواف الزيارة بعد أداء تلك الشعائر.

.34

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (34)

{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا}

أي إراقة دمٍ وذبح قربان. أي شَرَعنا لكل أمة مؤمنة أن يَنسُكوا لله تعالى، أي يذبحوا لوجهه تقرُّبا إليه. ويطلق المنسك – بالفتح – على موضع إراقة الدم أو زمانها. وقُرئ بكسر السين بمعنى الموضع.

{وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ}

المتواضعين لله تعالى، أو المطمئنين من الإخبات وهو في الأصل نزول الخَبْت، أي المطمئن من الأرض، وجمعه أخبات وخُبُوت. ثم استعمل استعمال اللِّين والتواضع.

.35

الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (35)

{وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}

خافت وحَذِرت مخالفته تعالى [الأنفال:2].

.36

وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (36)

{وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ}

البُدن: جمعُ بَدنة، وهي الإبل. أو الإبل والبقر المهداة إلى البيت المعظم. وسمِّيت بُدْنا لعظم أبدانها وضخامتها، وكانوا يُسَمنونها ثم يهدونها إلى البيت؛ وهي من أعلام دينه تعالى في الحج.

و {صَوَافَّ}

جمع صافَّة، أي قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن؛ من صَفّ يَصف. وقرئ: (صوافن) جمع صافنة؛ من صَفن الرجل يَصْفن، إذا صفَّ قدميه.

{وَجَبَتْ جُنُوبُهَا}

سقطت جنوبُها على الأرض بعد النَّحر؛ وهو كناية عن موتها. يقال: وجبت الشمس تجب وجبا ووُجوبا، غابت. ووَجب الجدارُ: سَقَط. وظاهرهُ يؤيد كون المراد من البُدن الإبل خاصة.

{وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ}

هو السائل، من القُنوع وهو السؤالُ والتذلُّل. يقال: قَنَع يَقْنِع، إذا سأل؛ فهو قانع وقَنيع.

{وَالْمُعْتَرَّ}

هو الذي يتعرض لك لتُعطيَه ولا يسأل. يقال: عرّه يَعُرُّه عرّا، وعراه واعتراه واعتره: إذا أتاه طالبا معروفه من غير مسألة.

.37

لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (37)

.38

إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (38)

{إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا}

بشارة للمؤمنين بالنَّصر

لتثبيت قلوبهم.

{خَوَّانٍ كَفُورٍ}

خائن للأمانات، جاحد للنعم.

.39

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39)

{أُذِنَ}

أي في القتال.

.40

الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40)

{وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ .. }

تحريض على القتال المأذون فيه، بإفادة أن الله تعالى أجرى بذلك عادته في الأمم الغابرة؛ لينتظم به الأمر، وتقوم الشرائع، وتُصانَ المتعبَّدات من الهدم. فلولا دفع الله المشركين بالمؤمنين بالإذن لهم في الجهاد لهُدمت في زمن موسى المعابد، وفي زمن عيسى الصوامعُ والبيعُ، وفي زمن نبينا عليه الصلاة والسلام المساجد، والذين دفُع بهم المشركون في زمن موسى وعيسى عليهما السلام إنما هم المؤمنون من أتباعهم الذين لم يُحرّفوا ولم يبدلوا، واستمرُّوا على الحق.

{صَوَامِعُ}

معابد للرهبان؛ جمع صَوْمعة، وهي البناء المرتفع المحدَّد الطرف. يقالُ: صَمَع الثريدة: أي رفع رأسها وحدّده.

{وَبِيَعٌ}

كنائسُ للنصارى؛ جمع بيعَة ولا تختص بالرهبان.

{وَصَلَوَاتٌ}

كنائس لليهود.

.41

الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (41)

.42

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (42)

.43

وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (43)

.44

وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (44)

{وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ}

قوم شعيب عليه السلام.

{فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ .. }

أمهلتهم بالعقوبة، ولم أعاجلْهم بها؛ من الإملاء بمعنى الإمهال.

{نَكِيرِ}

أي إنكاري عليهم بالعذاب والهلاك. مصدر من نَكَّرْت عليه وأنكرت، إذا فعلت فعلا يَردَعُه. وهو وعيدٌ للمكذبين لرسوله صلى الله عليه وسلم.

.45

فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (45)

{فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ .. }

فكثير من القرى أهلكناها [آل عمران:146].

{فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا}

خالية من أهلها لهلاكهم [البقرة:259].

{وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ}

مهجورة لهلاك أهلها؛ من بأرْت الأرض أبْأَرُها بأْراً: حفرتها، فهي مبئورة.

{وَقَصْرٍ مَشِيدٍ}

مُجَصَّص بالشيد وهو الجِص، أخليناه من ساكنيه بإهلاكهم. يقال: شاد البناء يَشيدُه، طلاه بالشِّيد.

.46

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)

.47

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (47)

.48

وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (48)

{أَمْلَيْتُ لَهَا}

أمهلتها.

.49

قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (49)

.50

فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (50)

.51

وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (51)

{مُعَاجِزِينَ}

مسابقين للمؤمنين، أي معارضين لهم؛ فكلما طلب المؤمنون إظهار الحقّ طلب هؤلاء إبطاله. يقال: عاجزه فأعجزه، أي سابقه فسبقه؛ لأن كل واحد منهما يطلب إعجاز الآخر عن اللحاق به.

.52

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (52)

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ .. }

المرادُ بالرسول: من بُعث بكتاب. وبالنبيّ: من بُعث بغير كتاب. أو بالأول: من بعث بشرع جديد. وبالثاني: من بُعث لتقرير شرعٍ من قبله. والمرادُ بالتمني: القراءةُ والتلاوةُ، وأصله نهايةُ التقدير؛ على ما قال أبو مسلم. وأطلق على القراءة لأن التالي يقدر الحروف ويتصورها فيذكرها شيئا فشيئا. والمعنى على ما ذكره العلامة الآلوسي: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى} أي تلا على قومه الآيَاتِ المرسلَ بها للدعوة إلى التوحيد، ونَبْذِ ما هم عليه من الشرك.

{أَلْقَى الشَّيْطَانُ}

شُبَهاً وتخيلات باطلة، واحتمالات فاسدة

{فِي أُمْنِيَّتِهِ}

في هذه الآيات المتلوه لإغوائهم، وحملهم على مجادلته بالباطل، وقد قال: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82)} [ص]، كما قال تعالى: {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ .. } [الانعام:121]، وقال سبحانه: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ... } [الانعام:112].وهذا كقولهم عند سماع آية {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ... } [المائدة:3]: إن محمداً يُحِلُّ ذبيحة نفسه ويُحِّرم ذبيحة الله تعالى، وقولهم عند سماع آية {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (98)} [الانبياء:98]: إنَّ عيسى والملائكة عُبدوا من دون الله، ونحو ذلك.

{فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ}

أي يزيله من بعض القلوب بانزال ما يُبطله حتى لا يبقى فيها أثرٌ للشّك والزَّيغ فتؤمن بما جاء به الرسول

{ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ}

يأتي بها محكمة مثبتة لا تقبل الرّد؛ فلا يتطرق إلى قلوبهم شك فيها.

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}

وذلك

الإحكام {لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (53)}.

.53

لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (53)

{لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ}

من تلك الشُّبه

{فِتْنَةً}

ابتلاء

{لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}

وهم المنافقون

{وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ}

وهم المجاهرون بالكفر من أهل العناد والجُحود.

{وَإِنَّ الظَّالِمِينَ}

وهم هؤلاء جميعا

{لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ}

أي خلاف شديد و مُشاقّةٍ تامّة لله ولرسوله.

.54

وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (54)

{وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ}

الذين أزال الله عن قلوبهم الشك والزَّيغ، وحبب إليهم الإيمان وكرّه إليهم الكفر والفُسوق والعِصيان.

{أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ}

أي إنَّ ما جاء به المرسلون هو الحق من عند الله

{فَيُؤْمِنُوا بِهِ}

فيُثَّبت الله بذلك إيمانهم ويزيدهم منه

{فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ}

فتخضع وتسكُن وتتطمئن.

{وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}

إلى طريق الحق الذي يَدْحَض الباطل ويَدْمَغه. وقد ذكر كثيرٌ من المفسرين في تفسير هذه الآيات قصة الغرانيق المشهورة، وهي من وضع الزنادقة كما قال محمد بن إسحاق. وقال البَيْهقي: إنها غير ثابتة من جهة النقل؛ ثم طعن

في رُواتها. وقال القاضي عياض في الشفاء: يكفيك في تَوهين هذا الحديث أنه لم يُخرّجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسَند صحيح سليم متصل. وهو مما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرّخون المولعون بكل غريب؛ المتلقون من الصحف كل صحيح وسقيم. وشَنَّع عليهم الإمام أبو منصور الماتريدي وقال: إن حضرة الرسالة بريئة من مثل هذه الرواية اهـ. والغرانيقُ: الأصنام، وهي في الأصل: الذكور من طير الماء، واحدها غِرْنَوْق وغِرنيق، فشبهوها بالطيور التي تعلو وترتفع في السماء لزعمهم أنها تشفع لهم.

.55

وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ (55)

{فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ}

شك وقلق من القرآن.

{حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً}

أي حتى تأتيهم ساعة الحشر لموقف الحساب فجأة؛ فيصيروا إلى العذاب الدائم.

{أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ}

أي لا مِثْلَ له في عظمة وشدته. أو لا يوم بعده وهو يوم القيامة.

.56

الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (56)

.57

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (57)

.58

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (58)

.59

لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (59)

{لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا}

أي إدخالاً؛ من أدخل يُدْخل، وهو مصدرٌ ميميٌ للفعل الذي قبله، والمفعولُ به محذوفٌ، أي ليُدخلهم الجنة إدخالا

{يَرْضَوْنَهُ}

أو هو اسم مكان أريد به الجنة، فيكون مفعولا ثانيا.

.60

ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (60)

{ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ}

ظُلِم بمعاودة العقاب.

.61

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (61)

{يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ .. }

يُدخِل الليل في النهار

فيزيد النهارُ، ويُدخل النهار في الليل فيزيد الليلُ [آل عمران:27].

.62

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (62)

{هُوَ الْعَلِيُّ}

العالي على جميع الأشياء بقدرته؛ وكل شيء دونه

{الْكَبِيرُ}

العظيم الذي لا شيء أعظم منه سبحانه؛ وكلُّ شيء دونه.

.63

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (63)

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ .. }

ذكر الله في هذه الآية والآيات الثلاث بعدها ستَّة أدلة على قدرته تعالى، أولها – إنزالُ الماء الناشئ عنه اخضرار الأرض بالنبات. ثانيها – قوله {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} ومن جملته خلقُ المطر والنبات لمنفعة الحيوان مع استغنائه تعالى عن ذلك. ثالثُها – تسخير ما في الأرض، للإنسان كالأحجار والمعادن والنار والحيوان. رابعُها – تسخير الفُلك بالجري في البحار، ولولا ذلك لكانت تغوص أو تقف. خامِسُها – إمساك السماء أن تقع على الأرض إلا بمشيئَته تعالى. سادسُها – الإحياءُ ثم الإماتة ثم الإحياء.

.64

لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (64)

.65

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (65)

.66

وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (66)

.67

لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ (67)

{لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا}

بيانٌ للنعم التكليفية إثر بيان النِّعم الكونية؛ أي ولكل أهل مِلةٍ وشَرْعٍ – وإن نُسخ – جعلنا شريعة؛ وهو كقوله تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا .. } [المائدة:48]. وقيل: المَنْسك المكانُ المعَّين، أو الزمانُ المعيَّن لأداء الطاعات. فالأُمَّة التي كانت من مَبْعث موسى إلى مبعث عيسى عليهما السلام منْسَكُها التَّوراة. والتي من مَبْعث عيسى إلى مبعث نبيّنا عليهما السلام مَنْسكُها الإنجيل. والتي من مبعث نبيِّنا صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة مَنْسكُها القرآنُ الكريمُ لا

غير. والمراد من الآية: زجرُ معاصريه صلى الله عليه وسلم من أهل الأديان الأخرى عن مخالفته وعصيانه.

.68

وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (68)

.69

اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (69)

.70

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (70)

.71

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (71)

{سُلْطَانًا}

حجة وبرهانا.

.72

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (72)

{الْمُنْكَرَ}

الأمر المستقبح من العبوس والتجهم.

{يَكَادُونَ يَسْطُونَ}

يبطِشُون

{بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا}

من القرآن لشدة تكرُّههم سماعه. والسَّطوة: شدّةُ البطش. يقال: سطا به وعليه يسطو سطْوًا وسطْوَةً، إذا بطش به.

.73

يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (73)

{ضُرِبَ مَثَلٌ .. }

أي بيَّن الله تعالى لما يُعبَد من دونه حالة هي في الغرابة كالمَثَل.

.74

مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (74)

{مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}

ما عظّموه حقَّ تعظيمه. أو ما عرفوه حق معرفته؛ حيث أشركوا به العاجزين عن خلق الذبابة وما لا يقدرون على الانتصاف منها إذا سلبتهم شيئا على ضعفها.

.75

اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (75)

.76

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (76)

.77

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (77)

.78

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (78)

{اجْتَبَاكُمْ}

اختاركم للذب عن دينه، واصطفاكم لحرب أعدائه والجهاد في سبيله.

{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}

أي لم يجعل الله في دينه الذي تعبّدكم به ضِيقا لا مخرج لكم مما ابتُليتم به؛ بل وسّع عليكم، فجعل التوبة في بعضٍ مخرجا، والكفارة في بعضٍ مخرجا، والقِصاص كذلك. وشرَع اليُسْر في كل شيء، ومنه الرُّخص المشروعةُ.

{مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ}

أي وسَّع دينكم تَوْسِعة ملة أبيكم؛ منصوب على المصدرية بفعلٍ دلَّ عليه ما قبله من نَفي الحَرَج بعد حذف مضاف {هُوَ} أي الله تعالى.

{سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ}

أي من قبل نزول القرآن في الكتب السابقة.

{وَفِي هَذَا}

أي في القرآن.

{هُوَ مَوْلَاكُمْ}

ناصركم ومتولّي أموركم.

{فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ}

الله تعالى. مَنْ تولاه لم يَضِع، ومن نصره لم يُخْذل.

والله أعلم.

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1)

{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}

أي تحقق فوزهم بمطلوبهم في الآخرة، ونجاتهم فيها مما يكرهون. والفلاحُ: الظَّفر بالمرام وإدراكُ البُغية، أو البقاءُ في الخير. وقد وصفهم الله بست صفات في الآيات التالية.

.2

الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2)

{الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}

أي متذللون الله تعالى بطاعته، والقيام فيها بما أمرهم به، مع خوف القلب وسكون الجوارح.

.3

وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3)

{وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ}

أي عن الباطل أو عن كل قبيح من الكلام. أو عمّا لا يُعْتدُّ به من الأقوال والأفعال.

{مُعْرِضُونَ}

في جميع أوقاتهم.

.4

وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4)

{وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ}

أي لأجل تزكية نفوسهم

{فَاعِلُونَ}

الخير؛ وهو كما قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14)} [الاعلى:14]. {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9)} [الشمس].

.5

وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5)

{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ}

ممسكون لا يرسلونها على أحد.

.6

إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6)

{إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ}

الحرائر

{أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ}

من الإماء. وهو وصف لهم بكمال العِفة.

.7

فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7)

{فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ}

أي فمن طلب خلاف ذلك الذي أحللناه لهم

{فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ}

المعتدون المتجاوزون حدود الله تعالى.

ويدخل في ذلك الزنا واللّواط والسحاق، ومواقعة البهائم والاستمناء باليد؛ كما ذهب إليه الجمهور. يقال: ابتغيتُ الشيءَ وتَبغيتُه وبَغيته، إذا طَلَبْتُه. ويقالُ: عدا الأمر وعن الأمر يعدوه عدْواً، جاوزه وتركه كتعداه فهو عادٍ.

.8

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8)

{وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ}

أي والذين هم قائمون بحفظ ما أُتُمنوا عليه، مُوفون بما عاقدوا الله والناس عليه، كالتكاليف الشرعية والأموال المودعة، والأيمان والنذور والعقود ونحوها. والرَّعْيُ: الحفظ. يقال: رَعيْتُه حفِظته. ورعى الأمير رعيته رعاية: حَفِظها. والأمانة والعهدُ في الأصل مصدران أريد بها ما ذكر.

.9

وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9)

.10

أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10)

.11

الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (11)

{الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ}

أعلى الجنات، أو أفضلها [الكهف:107]. رُوي أنه صلى الله عليه وسلم قال: (ما منكم من أحدٍ إلا وله منزلان منزلٌ في الجنة ومنزلٌ في النار فإذا مات فدخل النار وَرِثَ أهل الجنة منزله).

.12

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12)

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ .. }

في هذه الآية وما بعدها إلى آية 22 أربعةُ أنواع من الأدلة على قدرته تعالى على البعث: الأوّل – تقلب الإنسان في أطوار تسعة. والثاني – خلقُ السماوات السبع. والثالثُ – إنزال الماء الذي به الحياة بقدر. والرابعُ – خلق الأنعام ومنافعها للإنسان. والسُّلالة: ما سُلّ من الشيء واستخرج منه. يقال: سللت الشيء من الشيء، استخرجتُه منه: فانسل. {مِنْ طِينٍ} متعلق بـ (سلالة) بمعنى مسلولة منه. و (مِنْ) في الموضعين ابتدائية. والمرادُ: أن نوعِ الإنسانِ خلق مما ذكر؛ باعتبار خلق أصله منه وهو آدم عليه السلام؛ فيكون كلُّ إنسان مخلوقا من ذلك خلق إجمالياً في ضمن خَلْقِه.

.13

ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13)

{ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً}

أي ثم خلقنا نوع الإنسان باعتبار أفراده المغايرةِ لأدم عليه السلام من مِنِيٍّ يُمنى [الحج:5].

{فِي قَرَارٍ مَكِينٍ} أي في مستقرٍّ متمكن وهو الرَّحم.

.14

ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)

{عَلَقَةً}

أي دماً جامدا.

{مُضْغَةً}

قطعة لحم بقدر ما يمضغ.

{ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ}

مبايناً للخلق الأول بنفخ الروح فيه بعد هذه الأطوار التي كان فيها جمادا؛ فصار إنسانا ذا قُوى وحواس

{فَتَبَارَكَ اللَّهُ}

كثُر خيره وإحسانُه [الأعراف:54].

{أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}

أي أتقن الصانعين صنعاً. والخَلق في الأصل: التقديرُ المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء، وفي إيجاد الشيء من الشيء بطريق الاستحالة. والأوّلُ لا يكون إلا الله تعالى، والثاني يُسند إلى الله تعالى ويُسند إلى الخلق؛ قال تعالى: {خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [النساء:1]، {وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي} [المائدة:110]. والمراد به هنا: التقدير وفي معناه تفسيرُه بالصُّنع.

15.

ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15)

16.

ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (16)

17.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (17)

{سَبْعَ طَرَائِقَ}

سبعَ سماوات بعضهن فوق بعض. والعربُ تسميّ كل شيء فوق شيء طريقة، بمعنى مطروقة؛ من طَرق النّعل: إذا وضع طاقاتِه بعضها فوق بعض؛ وهو كقوله تعالى: {سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا} [الملك:3].

18.

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (18)

{مَاءً بِقَدَرٍ}

أي تقدير لائق؛ لاستجلاب المنافع ودفع المضار. أو بمقدار ما علمناه من حاجات الناس ومصالحهم؛ ومنه: {وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (21)} [الحجر].

19.

فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (19)

20.

وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ (20)

{وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ}

أي وأنشأنا لكم شجرة تخرج من الجبل المعروف بهذا الاسم وهو جبل المناجاة.

{تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ}

تنبت ملتبسة بالدُّهن ومصحوبة به؛ كما تقول: خرج فلان بسلاحه. والدُّهن: عصارةُ كل شيء ذي دَسَم، والمرادُ به هنا: زيتُ الزَّيتون. وقرئ (تُنْبِت) بضم التاء؛ من أنبت بمعنى نَبت. أو من أنبت المتعدّي بالهمزة؛ كأنبت الله الزّرع، والتقدير: تُنبت جَناها مصحوبا بالدُّهن.

{وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ}

أي و بادام للآكلين. والصِّبغ والصِّباغ – بالكسر فيهما –: الإدام لأنه يَصبُغ الخبز. وأصل الصِّبغ: ما يلون به الثوبُ؛ فكان الزيت إداما يؤندم به كما كان دُهنا يدهن به ويُسرج منه. والتغايُر بين المعطوف والمعطوف عليه باعتبار الصفات لا باعتبار الذات.

.21

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (21)

{وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً}

العِبْرة: اسم من الاعتبار، وهو الحالةُ التي يُتوصَّل بها من معرفة المُشاهد إلى معرفة ما ليس بمشاهد، أي وإن لكم في الأنعام الآية تعتبرون بها فتعرفون أيادِيَ الله عندكم وقدرته على ما يشاء؛ وخصَّها بالذكر أن العِبرة فيها أظهر.

.22

وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (22)

{وَعَلَيْهَا}

وعلى الإبل منها.

.23

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (23)

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا}

في هذه الآية وما بعدها إلى آية 50 خمسُ قصص: قصَّتا نوحٍ وهودٍ، وقصةُ أمم أخرى بعدهم كقوم صالح ولوط وشعيب، وقصة موسى وهارون، وقصةُ عيسى وأمّه عليهم السلام.

.24

فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (24)

{فَقَالَ الْمَلَأُ}

أي أشراف القوم. وقد دلَّسُوا على أتباعهم بخمس شُبَه: الأولى – قولُهم:

{مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} والثانية – {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً}. والثالثة – {مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ}.والرابعة – {إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ}. والخامسةُ – {فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ} ولم يتعرض لردها لظهور فسادها.

{أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ}

أي يطلب الفضل والسيادة عليكم فيكون متبوعاً وأنتم له تَبَع؛ من التَّفضل بمعنى طَلَب الفضل.

.25

إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (25)

{بِهِ جِنَّةٌ}

أي جنون. أو جِنٌّ يخبلونه فيقول ما لا يدري.

{فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ}

فانتظروه لعله يفيق مما اعتراه من الجِنَّة، أو إلى أن يموت.

.26

قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (26)

.27

فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (27)

{اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا}

بمرأى منا ومَنْظَر. أو بحفظنا لك عن أن يُفسدها عليك قومُك.

{وَوَحْيِنَا}

أمرنا وتعليمنا إياك صنعتها.

{وَفَارَ التَّنُّورُ}

[هود:40].

{فَاسْلُكْ فِيهَا}

فأَدْخِل في الفُلْك.

.28

فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (28)

.29

وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (29)

{مُنْزَلًا مُبَارَكًا}

بضم الميم وفتح الزاي؛ أي إنزالا؛ أو مكان إنزال مباركاً. وقُرِئ {مَنْزِلاً} بفتح الميم وكسر الزاي أي مكان نزول مباركاً. والمراد بالبركة هنا: النجاةُ من الغَرَق وكثرة النَّسل، وتتابع الخيرات بعد الانجاء.

.30

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (30)

{لَمُبْتَلِينَ}

لَمُخْتَبِرين بالنِّقم والنِّعم.

.31

ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (31)

{قَرْنًا آخَرِينَ}

قوماً غيرهم. والقَرنُ: القوم المجتمعون في زمان واحد، وهُم عادٌ على ما رجحه أكثر المفسرين؛ وقيل ثمود.

.32

فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (32)

.33

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (33)

{وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ}

أثاروا شُبهتَيْن: إحداهما قولُهم: {مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ}. والثانية قولهم: {أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ}، وبَنوْا عليهما انكار البعث والطعن في رسالته بقولهم: {إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا}.

{وَأَتْرَفْنَاهُمْ}

نعّمناهم بما وسعنا عليهم من نِعَم الدنيا حتى بطروا [هود:116]

.34

وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (34)

.35

أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ (35)

.36

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (36)

{هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ}

اسمُ فعلٍ ماضٍ بمعنى بعد: أي بَعُد بَعُد ما توعدون به من الخروج من القبور، والثانية تأكيد لفظيٌّ لها، واللام زائدة في الفاعل.

.37

إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (37)

.38

إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (38)

.39

قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (39)

.40

قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (40)

.41

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (41)

{فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ}

صيحةُ جبريل عليه السلام، صاح بهم مع الريح العاتية فهلكوا عن آخرهم. وقد أهلك الله عادا قوم هود بالصيْحة وبالرّيح العاتية. وذكر أحدهما في الآية للإشارة إلى أنه لو انفرد لكفي في تدميرهم.

{فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً}

فصيّرناهم هلكى هامدين كغُثاء السَّيل، وهو الرَّميمُ الهامد الذي يحمله السيل من ورق الشجر والعيدان اليابسة البالية مخالطاً لزبده. يقال: غثا الوادي يغثو غَثْوا فهو غاثٍ، إذا كثر غُثاؤه.

{فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}

فهلاكا لهم [هود:44].

.42

ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (42)

{قُرُونًا آخَرِينَ}

أُمماً أُخرى.

.43

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (43)

.44

ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (44)

{أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى}

متواترين؛ أي متتابعين واحدا إثر واحد مع فَصْل ومُهْلة. مصدرٌ كدعوى، وألفُه للتأنيث. وأصلُه: وَتْرى فَقُلبت الواو تاء؛ من المواترة وهي التتابع مع تَراخ وفَتْرة. وهو منصوب على الحال من {رُسُلَنَا}.

{وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ}

أي جعلنا الأمم المكذبة مثلا يَتحدث بهن الناس تعجبا وتلهياً، جمع أُحدُوثة كأعجوبة، ولا يقال ذلك إلا في الشر. والمرادُ: أنهم أهلكوا ولم يبق بين الناس إلا أخبارُهم يتلهَّوْن بها كالأعاجيب.

{فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ}

فهلاكا لهم لعدم إيمانهم.

.45

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (45)

{وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ}

برهان

بَيّن مظهر للحق.

.46

إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (46)

.47

فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (47)

{وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ}

خادمون.

.48

فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (48)

.49

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (49)

.50

وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (50)

{وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ}

أسكناهما وأنزلناهما في رَبْوة: أي أوصلناهما إليها، فكانت مسكنهما. والرَّبْوةُ: المكان المرتفع، وهي دمشق أو بيت المقدس، أو الرَّملة من فلسطين، أو مصر.

{ذَاتِ قَرَارٍ}

يستقر بها من يأوي إليها لما فيها من الثمار والزروع

{وَمَعِينٍ}

أي ماء جارٍ ظاهرٍ للعيون. اسم مفعول؛ من عانه إذا أدركه وأبصره بعينه؛ فالميم زائدة، وأصله مَعْيُون كمبيوع، ثم دخله الإعلال.

.51

يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (51)

.52

وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (52)

{وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً}

جملة مستأنفة. وقرئ بفتح همزة (إنَّ) بتقدير واعلموا [الأنبياء:92]. والمراد: أن شريعة الأنبياء جميعا هي شريعة الإسلام، لا تختلف في التوحيد ولا في العقائد المبنيّة عليه وإن اختلفت في الأحكام الفرعية.

{وَأَنَا رَبُّكُمْ}

لا شريك لي في الربوبية

{فَاتَّقُونِ}

فخافوا عقابي في مخالفة أمري.

.53

فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (53)

{فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ}

أي قطّعُوا أمر دينهم وجعلوه أديانا مختلفةً مع أنه واحد في الأصل.

{زُبُرًا}

قِطعا، فصاروا طوائفَ وأحزابا شتَّى، جمعُ زُبْرة – كغرفة– بمعنى قطعة؛ أي طائفة من الناس.

.54

فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ (54)

{فَذَرْهُمْ}

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم؛ أي اترك كفار مكة

{فِي غَمْرَتِهِمْ}

أي جهالتهم وضلالتهم. والغَمْرَة في الأصل: الماءُ الذي يَغْمُرُ القامة ويسترها، ثم استُعير لما ذُكر.

.55

أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (55)

{أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ .. }

أي أيظنون أن الذي نعطيهم إياه ونجعله مَددا لهم في الدنيا من مال وأولاد، نسارع لَهم به فيما فيه خيرهم وإكرامهم!؟ والاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

.56

نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (56)

{بَلْ لَا يَشْعُرُونَ}

أنه استدراج لهم عاقبتُه الهلاك.

.57

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (57)

{مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ}

أي من خشية عقابه حَذِرون خائفون.

.58

وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58)

.59

وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (59)

.60

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60)

{يُؤْتُونَ مَا آتَوْا}

يعطون ما أعطوا من الصدقات وقلوبهم وجلة و خائفة من ألا يقبل منهم ذلك الإيتاء، وألا يقع على الوجه اللائق [الأنفال:2].

{أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ}

أي لأنهم إليه

{رَاجِعُونَ}

يومَ

القيامة؛ فيؤاخِذ كلَّ إنسان بما عَمِل.

.61

أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (61)

{وَهُمْ لَهَا}

أي لأجلها

{سَابِقُونَ}

غيرَهُم. أوْ وهُمْ إليها سابقون. يقال: سبقت له وإليه بمعنى.

.62

وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (62)

{وُسْعَهَا}

قدر طاقتها من الأعمال.

.63

بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (63)

{غَمْرَةٍ}

جهالة وغفلة وغطاء.

.64

حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (64)

{حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ}

أي حتى إذا عاقبنا أهل النّعمة والبَطَر منهم [هود:116].

{بِالْعَذَابِ}

أي الجَدْب والقَحْط الذي أصابهم بمكة سبع سنين حين دعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم. أو القتل والأسر يومَ بَدْر.

{إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ}

يصرخون ويستغيثون بربّهم. والجُؤَار: الصُّراخُ مطلقاً، أو باستغاثة. يقال: جأَر الثور يجأر، إذا صاح. وجأر الداعي إلى الله تعالى: ضجَّ ورفع صوته. وقيل: المرادُ بالعذاب عذاب الآخرة. وتخصيص المُتْرَفين بذلك للإشارة إلى أن ما كانوا فيه من المتعة في الدنيا لم ينفعهم يوم القيامة، وإلا فغيرُهم كذلك؛ فيقال لهم: {لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ}.

.65

لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ (65)

{لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ}

أي يوم العذاب

{إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ}

أي لا ينالكم منا نصرةٌ تنجيكم مما أنتم فيه.

.66

قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ (66)

{عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ}

ترجعون وراء كم، مولّين عن الآيات معرضين عن سماعها أشدَّ الإعراض؛ فضلاً عن تصديقها والعمل بها [الأنفال:48].

.67

مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (67)

{مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ}

أي متكبرين على المسلمين بالبيت الحرام أو بالحَرَم؛ والباء للسببية. وسوَّغ هذا الإضمار شهرتهم بالتعاظم بالبيت والحرم، وبقولهم: لا يظهر علينا أحد لأننا أهله.

{سَامِرًا}

أي تَسْمُرون بالليل حولَ البيت. وكان عامّةُ سمرهم ذكرَ القرآن والطعن فيه بأنه شِعر أو سِحر أو أساطير. اسم جمع كحَاجّ. يقال: سَمَر فلانٌ يَسْمر، إذا تحدث ليلاً. وأصل السَّمر: ظلُّ القمر: وسُمِيَّ بذلك لسمرته، وقيل: سوادُ الليل، ثم أطلق على الحديث بالليل.

{تَهْجُرُونَ}

تهذون بالباطل من القول في القرآن. يقال: هَجَر يَهْجُرُ هَجْرا وهُجْرا فهو هاجر. إذا هَذى وتكلم بغير معقول لمرض أو لغيره. و

{مُسْتَكْبِرِينَ}

{سَامِرًا} و {تَهْجُرُونَ} أحوال ثلاثة مترادفة على الواو في {تَنْكِصُونَ} أو متداخلة.

.68

أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (68)

{أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ}

أي أَفَعَلوا ما فعلوا مما سبق، فلم يتدبّروا القرآن ويعلموا أنه مُعْجزٌ ودليل على صدق الرسالة فيؤمنوا به!؟

{أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ}

أي بل أجاءهم من الكتاب ما لم يأت أسلافَهم حتى استبعدوه وخاضوا فيه بما خاضوا من الكفر والضلال! مع أن مجيء الرسل بالكتب مما لا مساغ لجحوده!.

.69

أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (69)

{أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ}

بل ألم يعرفوه صلى الله عليه وسلم بالأمانة والصدق وحسن الخُلُق! وقد كانوا قبل مبعثه يسمُّونه الصادق الأمين؛ فكيف يكذبونه في رسالته!؟

.70

أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (70)

{أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ}

أي بل أيقولون به جنون، وقد كانوا يعرفون أنه أرجحُ النّاس عقلاً، وأثقبهم رأيا!

{بَلْ جاءَهُمْ بِالْحَقِّ}

أي ليس الأمر كما زعموا في حق القرآنِ والرَّسول، بل جاءهم بالصدق الثابت الذي لا محيد عنه. وهو التوحيدُ ودين الإسلام الذي تضمنه القرآن.

.71

وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (71)

{بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ}

أي بالقرآن الذي فيه ذكرهم وشرفهم.

.72

أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (72)

{أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا}

أم يزعمون أنك تسألهم على تبليغ الرسالة أجراً وجُعلا، فَنَكصوا على أعقابهم مستكبرين!؟ والخَرْج والخراج: الإتاوة. وجمع الخُرْج: أخراجٌ. وجمعُ الخَراج: أخْرِجة وأخاريج.

.73

وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (73)

.74

وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (74)

{عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ}

لعادلون عن هذا الصراط المستقيم، وهو الإسلام والتوحيد. يقال: نَكَب عن كذا يَنْكُب نَكْباً ونُكُوبا، ونَكِب يَنْكَب نَكبا، إذا عَدَل، كنكَّب عنه وتَنَكَّب.

.75

وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (75)

{لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}

لَتمادَوْا في عُتُوِّهم وجرأتهم على الله تعالى عامهين متردِّدين في الضلال، من اللجاج، وهو التمادي والعناد في تعاطي الفعل المزجور عنه. يقال: لَجَّ في الأمر يَلَجّ ويَلَّجُّ لَجاً ولجاجاً ولجاجة، إذا لازمهُ وواظبه؛ ومنه اللَّجَةُ بالفتح – لكثرة الأصوات. ولُجَّةُ البَحْرُ– بالضم – لتردد أمواجه. والعمهُ: التَّرددُ في الأمر تحيّرا.

.76

وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (76)

{فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ}

فما خَضَعُوا لربهم وانقادوا له وأطاعوه. واستكان: أي انتقل من كَوْن إلى كون، ثم غلب استعماله في الانتقال من كَوْن الكبر إلى كَوْن الخضوع.

{وَمَا يَتَضَرَّعُونَ}

وما يتذللون له تعالى بالدعاء.

.77

حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (77)

{إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ}

ساكتون من شدة الحَيْرة. أو آيسُون من كل خير. يقال: أبلس الرجل إبْلاساً، سكت. وأبلس: أيِسَ [الأنعام:44].

.78

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (78)

79

وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (79)

{ذَرَأَكُمْ}

خَلَقكم وبَثَكم

{فِي الْأَرْضِ}

بالتناسل.

.80

وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (80)

.81

بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ (81)

.82

قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (82)

.83

لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (83)

{أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}

ما سطّروه في كتبهم من الأحاديث الملفقة والأخبار الكاذبة. جمع أسطورة كأحدوثة.

.84

قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (84)

{قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ .. }

أي قل لهم إلزاما للحُجّة على أنه تعالى قادر على البَعْث، وأنه هو الذي يستحق أن يعبد وحده، وقد ألزمهم بثلاث حُجَج.

.85

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (85)

.86

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (86)

.87

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (87)

.88

قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (88)

{مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ}

مِلْك كل شيء، أو خزائنه.

{وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ}

يُغيث من يشاء و يمنعه مما يشاء؛ ولا يُغيث أحدٌ منه أحدا ولا يمنعه منه فيدفع عنه عذابه وعقابه. يقال: أجَرْتُ فلاناً على فلان، إذا أغثته منه ومنعته؛ وعُدِّيَ بعلى لتضمينه معنى النّصر.

.89

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (89)

{فَأَنَّى تُسْحَرُونَ}

فكيف تُخدعون وتُصرفون عن الرشد والحقّ مع علمكم به، إلى ما أنتم عليه من الغيّ؛ فإن من لا يكون مسحورا مختلَّ العقل لا يكون كذلك! من سَحَر –كمَنَع – بمعنى خَدَع أو أتى عمل السحر. والمسحورُ: المخدوع أو من تأثر بعمل السِّحر.

.90

بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (90)

.91

مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (91)

.92

عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (92)

.93

قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ (93)

{إِمَّا تُرِيَنِّي .. }

أي إن تُريَنّي ما يوعدون به من العذاب، فلا تجعلني قريناً لهم فيه فأهلِك مثلهم.

.94

رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (94)

.95

وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (95)

.96

ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (96)

{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ}

إرشاد له صلى الله عليه وسلم إلى ما يليق بمنصبه الرفيع مِن حسن الخُلق والمكارم. وكان من دأبه صلى الله عليه وسلم مقابلةُ السيئة بالحسنة، والعفوُ عمن أساء إليه.

.97

وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (97)

{أَعُوذُ بِكَ .. }

أستجير بك من وساوس الشياطين وما يخطرونه بالقلب، مما يُغري بالمعاصي والشرور، وألجأ إليك في دفعها. يقال: عاذ به واستعاذ، لجأ إليه. وهو عياذُه: أي مَلْجَؤه.

{هَمَزَاتِ}

جمع همزة، وهي: النَّخسة والغَمزة والدفعة بيد أو غيرها. يقال: همزه يَهمزُه ويهمِزه، إذا نَخَسه ودفعه و غَمزه؛ ومنه المِهْماز وهو حديدة في مؤخر خُفّ الرائض يَحُثُّ بها الدابة على المشي.

.98

وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (98)

.99

حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99)

.100

لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100)

{كَلَّا}

كلمةُ ردْعٍ وزجر عن طلب الرجعة إلى الدنيا.

{بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}

أي حاجز بينهم وبين الرَّجعة إلى الدنيا إلى يوم البعث. وهو إقناط لهم من الرجعة، وتهديد لهم بعذاب القبر إلى يوم البعث. وأصله الحاجِزُ والحاجب بين الشيئين أن يصل أحدُهما إلى الآخر.

.101

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (101)

{نُفِخَ فِي الصُّورِ}

هو القَرْن الذي ينفخ فيه نفخة الصَّعق ونفخة البعث. والمرادُ هنا: النفخة الثانية. أي إذا نفخ في الصُّور نفخة النشور فلا تنفعهم أنسابهم شيئا؛ لِعظَم الهول واشتغال كل بنفسه، ولا يسألُ أحدٌ أحداً كما هو الشأن في الدنيا. وقيل: المراد النفخة الأولى.

.102

فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (102)

.103

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (103)

.104

تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (104)

{تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ}

يحرقها لهب النار. يقال: لفحته النار والسَّموم بحرّها تلفَحُه لفْحاً ولَفحانا، أحرقته.

{وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ}

متقلصُو الشِّفاه عن الأسنان من أثر ذلك اللفْح؛ من الكُلُوح وهو أن تتقلص الشَّفتان وتتشمرا عن الاسنان.

يقالُ: كَلَح يَكْلح كُلوحاً و كُلَاحاً، كتكلّح. وقولهم: ما أقْبَحَ

كَلَحَته؛ يراد به الفَم وما حواليْه.

.105

أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (105)

.106

قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (106)

{غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا}

مَلَكتْنا لذاتُنا وأهواؤنا التي بها شقاؤنا. والشّقوة والشَّقاوة: ضدُّ السعادة. مصدر شَقِيَ؛ كَرضِيَ.

.107

رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (107)

.108

قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (108)

{اخْسَئُوا فِيهَا}

انْزجروا انزجار الكلاب إذا زُجرت. أو امكُثُوا فيها صاغرين أذلاء. [البقرة:65].

.109

إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (109)

.110

فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (110)

{فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا}

هُزءًا، ومنهم بلال وعمار وأضرابُهما من الضعفاء. مصدر بكسر السين وضمّها، كعِصي وعُصِيٍ؛ من سَخِر – كفَرِح – زيدت فيه ياء النسب للمبالغة في قوة الفعل. وفي المختار: سخر منه وبه، وهَزئ منه و به بمعنى. والاسمُ السُّخرية والسُّخريُّ – بضم السّين وكسرها – وبهما قرئ.

.111

إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (111)

.112

قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (112)

.113

قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (113)

{فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ}

الحاسبين الذين يُحصُون أعداد الأشياء؛ وهم الملائكة.

.114

قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (114)

.115

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115)

.116

فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (116)

{فَتَعَالَى اللَّهُ}

ارتفع بعظمته وتنزه عن العبث.

.117

وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (117)

.118

وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (118)

والله أعلم.

سُورَةُ النُّور

بسم الله الرحمن الرحيم

اشتملت هذه السورة على أحكام العفاف والستر؛ وهما قوام المجتمع الصالح، وبدونها يَنحطُّ الإنسان إلى درك الحيوان. رُوِي أنه صلى الله عليه وسلم قال:

علِّموا رجالكم سُورة المائدة وعلِّموا نساءكم سورة النور) [رواه البيهقي].

.1

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (1)

{سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا}

أي هذه سورةٌ. والسُّورة: آيات من القرآن مسرودةٌ، لها بَدءٌ وختام؛ وجمعُها سُوَر، مأخوذة من سُور البلد. وأصلُها المنزلة الرفيعة، أو كلُّ منزلة من البناء، وسُمِّيت بها سورة القرآن لرفعتها، أو لأنها درجة إلى غيرها.

{وَفَرَضْنَاهَا}

أوجبنا ما فيها من الأحكام ايجاباً قطعيًّا. أو ألزمناكم العمل بها من الفَرض بمعنى القطع، وأصله: قطْعُ الشيء الصلب والتأثير فيه، وأطلق على الإيجاب القطع للأحكام مجازاً.

.2

الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (2)

{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي .. }

أي مَن زَنت ومَن زنى؛ فاجلدوا أيها الحكام كل واحد منهما مائة جَلْدَة، مُحصنا كان أو غير مُحْصن [يتحقق الاحصان بالاسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول. والتفصيل في كتب الفقه]. وقد نُسخ الحكم في حق المحصَن قطعاً بحكم الرَّجم الذي أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله في زمنه مراراً؛ فيكون مِن نسخ الكتاب بالسُّنة القطعية. ويكفي في تعيين الناسخ ما ذكر من أمره وفعله صلى الله عليه وسلم؛ وقد أجمع عليه الصحابة وسلف الأمة والأئمة. وفي حديث عمر رضي الله عنه – كما في صحيح البخاري –: خشِيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائلٌ لانجد الرجم في كتاب الله تعالى فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله عز وجل، ألا وإنّ الرجم حق على من زنى وقد أُحصن إذا قامت البينةُ، أو كان الحَبَلَ أو الاعتراف. على أنه قد رُوي من طرق متعددة أن آية الرَّجم كانت مكتوبة؛ فنُسخت تلاوتُها وبقي حكمها معمولا به. وقد نُسخ بحكم الرجم حكمُ إمساكِ الزانيات المتزوجات في البيوت – كما ذهب إليه الجمهور في تفسير آية 15 من النساء – لإحصانهن. كما نُسخ بحكم الجلد حكم الأذى لمن يأتي الفاحشة من الرجال والنساء وهو غير محصن [آية 16 من النساء}.

{وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ}

رحمةٌ ورقةُ قلبٍ

{فِي دِينِ اللَّهِ}

في إقامة حدّه الذي شرعه تعالى إذا رُفع إليكم؛ تحملكم على تعطيله بشفاعة أو بغيرها. يقال: رأف به – مثلثة – رأفةً ورآفة ورأفاً، إذا رَحِمَه.

.3

الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (3)

{الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً .. }

نزلت لزجر المؤمنين عن نكاح الزّانيات بعد زجرهم عن الزنا. أي أن الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنا لا يرغبُ غالبا في نكاح الصوالح من النساء اللائي على خلاف صفته، وإنما يرغب في نكاح فاسقة خبيثة مثله أو مشركة. والفاسقةُ الخبيثةُ المسافحة كذلك، لا ترغب غالبا في نكاح الصُلحاء من الرجال بل تنفر منهم. وانما ترغب فيمن هو من شكلها من الفَسَقة والمشركين؛ لأن المشاكلة علةُ الأُلفة، والمخالفة سببٌ للنُفرة، وهو كقولهم: لا يفعل الخير إلا تقي، فإنه جار مجرى الغالب، وقد يفعله من ليس بتقي. وحُرِّم ذلك النكاح على المؤمنين تَحْرِيم تنزيه، وعُبِّر عنه بالتحريم مبالغة في الزَّجر، أو حُرِّم عليهم باعتبار ما في ضمن عقده من المفاسد، كالتعرض للتّهمة والتَّسبُّب لسوء القالة، والطعن في النسب وغير ذلك، فلا تكون الحُرمة راجعةٌ إلى نفس العقد ليكون عقد نكاح الزواني والزانيات باطلا للإجماع

على صحته. وأما نكاحُ المشرك والمشركة، فإن كانت الآية نزلت قبل تحريمه – وقد حُرِّم بعد الحديبية – فالأمر ظاهر. وإن كانت نزلت بعده فتكون حرمته مستندة إلى أدلة أخرى. واختار العلامة الآلوسي: أن الآية لتقبيح أمر الزاني أشد تقبيح؛ ببيان أنه بعد أن رضي بالزنا لا يليق به من حيث الزنا أن ينكح العفيفة المؤمنة، وإنما يليق به أن ينكح زانية مثله، أو مشركة هي أسوأ حالا وأقبح أفعالاً منه. وكذلك الزّانية بعد أن رضيت بالزنا والتَّقحُّب، لا يليق أن ينكحها من حيث إنها زانية إلا من هو على شاكلتها وهو الزاني. أو من هو أسوأ حالا منها وهو المشرك. ولا يشكل على هذا التفسير صحة نكاح الزاني المسلم الزانية المسلمة، وكذلك العفيفة المسلمة، وصحة نكاح الزانية المسلمة الزاني المسلم، وكذلك العفيف المسلم. كما لا يشكل عليه بطلان نكاح المشركة والمشرك؛ لأن ذلك ليس من اللياقة وعدم اللياقة ليس من حيث الزنا بل من حثية أخرى يعلمها الشارع. وجعل المشار إليه في قوله: {وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} – الزنا المفهوم مما تقدم، ويجوز أن يكون نكاح الزانية. ويرادُ بالتحريم المنع، و بالمؤمنين: الكاملون في الإيمان. ومعنى منعهم من نكاح الزواني: جعل نفوسهم أبية عن الميل إليه؛ فلا يَليق ذلك بهم. والآية على التفسيرين خبرٌ لا نهيٌ، والنكاح فيها بمعنى العقد.

.4

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (4)

{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ .. }

أي يقذفون النساء العفيفات بالفاحشة، ويلحق الرجال بالنساء في هذا الحكم اتفاقا. مبتدأٌ أخبر عنه بثلاث جُملٌ – قوله: {فَاجْلِدُوهُمْ}، وقوله: ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا و، وقولهُ: {وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}. واتفقوا على رجوع الإستثناء الآتي إلى الجملة الأخيرة؛ فلا يزول عنهم اسم الفِسْق إلا بالتوبة والإصلاح. وعلى عدم رجوعه إلى الأولى؛ فيُجلد القاذف وإن تاب. واختلفوا في رجوعه إلى الثانية؛ فعند جمهور الأمة يرجع إليها أيضا، فلا تُقبل شهادتهم في أي شيء أبدا، أي ما داموا مصرّين على عدم التوبة، إلا إذا تابوا وحسُنت حالتُهم. وعند أبي حنيفة لا يرجع الاستثناء إليها؛ فلا تُقبل منهم شهادة أبدا، أيْ طول الحياة وإن تابوا وأصلَحُوا. والخلاف في هذا مفرّعٌ على الخلاف في عود الاستثناء الواقع بعد جمل متعاطفة، هل يعود إلى الكل، أو إلى الأخيرة فقط. وتفصيلُ الأدلة في الفقه والأصول.

.5

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5)

.6

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (6)

.7

وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (7)

{أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ}

أي حالّةٌ عليه. واللعْنُ: الطّرد والإبعاد على سبيل السّخط، وفعله كمَنَع؛ ومنه المُلاعنةُ واللعان بين الزوجين.

.8

وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (8)

{وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ}

يَدفع عنها العذاب الدنيويَّ وهو الحبسُ أو الحد؛ من الدّرْء وهو الدّفع.

.9

وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (9)

{أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا}

خُصَّ الغضبُ بجانب المرأة للتغليظ عليها؛ لأن النساء كثيرا ما يستعملن اللعن، فَرُبما يَتَجرأن على التفوُّه به لسقوط وقعه على قلوبهن [أي لا يتأثرن كثيرا بهذا التهديد] بخلاف غضبه تعالى.

.10

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (10)

.11

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11)

{إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ}

بعد أن بين الله تعالى قبح الزنا وحدَّه، وحكمُ قذف المحصنات وحدَّه، ذكر في ست عشرة آية قصة الإفك على الصِّديقة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وتوعد الذي تولّى كبرهُ بالعذاب العظيم، وبرأها الله مما افتروه. والإفكُ: الكذبُ. يقال: أفك – كضَربَ وعَلِم – أفْكاً وإفكا، وأفَكا، أي كَذَب. وكانت القصة سنة ستٍ في غزوة بني المصطلق بعد نزول آية الحجاب.

{عُصْبَةٌ مِنْكُمْ}

جماعة منكم. والعصبة: العشرة فما زاد إلى الأربعين [يوسف:8].

{وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ}

أي تحمّل معظمه وقام بإشاعته وهو رئيس المنافقين: عبدُ الله بنُ أبيّ بن سَلُول.

.12

لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (12)

{لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ}

لولا: حرف تحضيض بمعنى هلا. والخطاب للمؤمنين دون من تولى كِبْره منهم. وقد زجروا بتسعة زواجر، آخرها في آية 21.

.13

لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (13)

.14

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (14)

{فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ}

أي بسبب ما خضتم فيه من حديث الإفك. يقال: أفاض في الحديث وخاض فيه وأخذ فيه واندفع، بمعنى. وأصله من قولهم: أفاض الإناء، إذا ملأه حتى فاض.

.15

إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15)

{وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا}

تظنونه سهلاً لاتبعة له.

.16

وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (16)

{سُبْحَانَكَ}

أصلُ معناه التَّنزيه لله من كل نقص، ثم كثر حتى استعمل في كل متعجَّب منه [البقرة:32]. والمراد هنا: التعجُّب من عظم

هذا الأمر ومن تفوه به.

{هَذَا بُهْتَانٌ}

أي كَذِب يبهت ويحيّر سامعه لفظاعته.

{عَظِيمٌ}

لا يُقدر قدره لعظمة المبهوت عليه. يقالُ: بهته يبْهتُه بَهْتاً وبَهَتا وبُهْتاناً، قال عليه ما لم يَفعل. والبَهْتُ– بفتح الباء –: الانقطاع والحَيْرة. وبالضم: الكذِب والباطلُ الذي يُتحيّر منه.

.17

يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (17)

.18

وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (18)

.19

إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (19)

.20

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (20)

.21

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (21)

{لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ}

طرقه ومسالكه ووساوسه؛ بالإصغاء إلى حديث الإفك والخوض فيه. جمعُ خُطْوَة، وهي في الأصل اسم لما بين القدمين.

{بِالْفَحْشَاءِ}

ما عظم قبحه من الذنوب.

{وَالْمُنْكَرِ}

ما يُنكره الشرع ويكرهه الله.

{مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا}

أي ما ظهر من دنس هذا الذنب أحد منكم إلى آخر الدهر.

.22

وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (22)

{وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ .. }

لا يحِلف أولو الزيادة في الدين والسعة في المال منكم على عدم الإحسان لمن هم موضع له. نزلت في الصّديق – رضي الله عنه – حين حَلف ألا يُنفق على مِسطَح – وهو من ذوى رَحِمه– بعد أن خاض مع الخائضين في حديث الإفك، ونزل القرآن ببراءة الصديقة. يقال: آلى وائتلَى يأتلي، أي حلف؛ من الأَلِيَّة وهي اليمين، وجمعها ألايَا.

{وَالسَّعَةِ}

الغنى.

{أَنْ يُؤْتُوا}

أي كراهة أن يؤتوا.

.23

إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (23)

{الْمُحْصَنَاتِ}

العفائف، وكذلك المحصَنُون.

.24

يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24)

.25

يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (25)

{دِينَهُمُ الْحَقَّ}

جزاءهم الثابِتَ عليهم؛ أي المقطوع بحصوله لهم.

.26

الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (26)

{الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ .. }

تقرير للسنَّة الإلهية فيما بين الناس من إلف الشَّكل لِشكله، وانجذاب كل قبيل إلى قبيله. أي الخبيثاتُ من النساء مختصات بالخبيثين من الرجال، والخبيثون منهم مختصون بالخبيثات منهنّ. وإذ كان رسول الله صلى الله عليه – وسلم أطيب الطيبين تبَّين كون الصّديقة من أطيب الطيبات بالضرورة، واتضح بطلانُ ما رُميَت به افتراء، كما قال تعالى: {أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ} والإشارة إلى أهل بيت النُّبوَّة: رجالا ونساءً، وتدخل فيهم الصديقة دخولا أوْليّاً بقرينة سياق الآية. أي أولئك مُنزهون مما يقوله أهلُ الإفك في حقهم من الأكاذيب الباطلة. وحسْبُ عائشة – رضي الله عنها – فضلا تبرئة الله لها في هذه الآية.

.27

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (27)

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا .. .}

بعد أن بين الله الزواجر عن الزّنا وعن قذف العفائف به، شرع في تفصيل الزواجر عما عسى أن يؤدّي إلى أحدهما من مخالطة الرجال للنساء، ودخولهم عليهن في أوقات الخلوات، وتعليم الناس الآداب القويمة، فنهاهم أن يدخلوا بيوتا غير بيوتهم حتى يستأذنوا ممن يملك الإذن بالدخول فيها، ويسلموا على أهلها ولو كانوا من محارمهم.

والأكثرون على تقديم السلام على الاستئذان.

{تَسْتَأْنِسُوا}

أي تستأذنوا؛ من الاستئناس بمعنى الاستعلام والاستكشاف؛ من آنس الشيء إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً.

والمستأنسُ: مستعلم للحال مُستكشف أنه هل يُراد دخوله أولا.

.28

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (28)

{أَزْكَى لَكُمْ}

أطهر لكم من دنس الريبة والدناءة.

.29

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (29)

{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ}

هو بمنزلة الاستثناء من قوله: (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) أي ليس عليكم إثم في أن تدخلوا بغير استئذان بيوتا غير معدة لسكنى طائفة مخصوصة فقط، بل معدَّ لينتفع بها من يحتاج إليها من غير أن يتخذها مسكناً؛ كالرّباطات والفنادق والحوانيت والحمّامات وغيرها حين تكون بهذه الحالة.

{فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ}

أي فيها حقُّ تمتُّع لكم؛ كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الأمتعة والبيع والشراء والاغتسال، ونحو ذلك مما يليق بحال هذه البيوت وداخليها، فلا بأس من دخولها بغير استئذان ممن دخلها قبلُ، أو ممن يتولّى أمرَها.

.30

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30)

{يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ}

يكُفُّوا من نظرهم إلى ما يَحْرم النظر إليه. والغض: إطباق الجفن على الجفن بحيث يمنع الرؤية. يقال: غَضَّ الرجل صوته وطَرْفه، ومِنْ صوته ومِنْ طرفه غَضًّا، خفضه؛ ومنه: غَضَّ من فلان غَضا وغضاضة، إذا انتقصه، وكذلك القول في {يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ}.

{يَغُضُّوا}

جواب (قُل) لتضمُّنه معنى حرف الشرط، كأنه قيل: إن تقل لهم غُضوا يَغضُّوا.

{وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ}

عمّا لا يحل لهم من الزنا واللواطة والكشف والإبداء.

.31

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (31)

{وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ}

عما لا يحلّ لهن من الزنا والسحاق والإبداء.

{وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ}

الزِّينة: ما يُتزيَّنُ به؛ كالخلخال والخضاب في الرِّجل، والسِّوار في المعصم، والقُرْط في الأُذن، والقلادة في العُنق، والوشاح في الصدر، والإكليل في الرأس، ونحو ذلك. فلا يجوز للمرأة إظهارها حال ملابستِها لمواضعها، ولا يجوز للأجنبي النظرُ إليها كذلك؛ والنهي عن إظهار الزينة حال ملابستها لمواضعها يستلزم النهيَ عن إظهار مواضعها بفحوى الخطاب.

{إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا}

أي ما جرت العاده بظهوره؛ كالخاتم في الإصبع، والكُحل في العين، والخضاب في الكَفّ ونحو ذلك، فإنه يجوز للمرأة إظهارُه. وقيل: المرادُ بالزّينة مواضعها من البدن؛ فيحرُم إظهارُها، وكذلك النظرُ إليها، إلا ما استُثني لدفع الحرج وهو الوجه والكفان، أو هما والقَدَمان.

{وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ}

بيان لكيفية اخفاء بعض مواضع الزينة بعد النّهي عن إبدائها، أي ولِيُلقين خُمرهنّ على جيوبهن. والخُمُر: جمع خِمار، وهو ما تغطي به المرأة رأسها، وتُسمَّى المِقْنَعة. وأصلُه من الخَمْر وهو السَّتر، والجُيُوب: جمع جيب، وهو فتح في أعلى القميص يبدو منه بعض الجسد؛ وأصله من الجيْب بمعنى القطع. تقول: جبْت القميص أجُوبُه وأجيبه، إذا قوّرت جَيبه. والمراد بالجيب هنا: محلُّه وهو العُنق. أُمِرَ النساء بستر شعورهنّ وأعناقهن ونحورهن وصدورهن بخمرهن عن الأجانب؛ لئلا يُرى منهن شيء من ذلك.

{وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ .. }

نُهيَ النساء في هذه

الآية عن إبداء مواضع الزينة الخفية لكل أحد، إلا من استُثنِيَ فيها، وهم اثنا عشر نوعا: الأزواجُ لأنهم المقصودون بالزينة، ولأن كل بدن الزوجة حلال لهم. والمحارم السبعة المذكورون؛ لاحتياج النساء لمخالطتهم، وأمن الفتنة من قِبلهم لَمَا رَكز في الطباع من النفرة من

مماسَّة القرائب، ويُلحق بهم الأعمام والأخوالُ والمحارم من الرضاع. والتاسعُ – ما ذكره الله تعالى بقوله:

{أَوْ نِسَائِهِنَّ}

أي المختصات بهن بالصُحبة والخدمة من الحرائر، مسلمات كن أو غير مسلمات؛ كما اختاره الإمام الرازي، وما رُويَ عن السَّلف من منع تكشُّف المسلمات للكافرات محمولٌ على الاستحباب.

والعاشر – قوله تعالى: {أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ}

أي من الإماء. وأما العبيدُ فهم كالأجانب، لأنهم فحولٌ ليسوا أزواجا ولا محارم، والشهوة متحققة فيهم لجواز النكاح في الجملة.

والحادي عشر – قولُه تعالى: {أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ}

وهم الرجال الذين لا حاجة لهم بالنساء ولا يعرفون شيئا من أمورهن؛ بحيث لا تحدّثهم أنفسهم بفاحشة ولا يصفونهن للأجانب. والإربة: الحاجةُ، يقالُ: أرِب الرجل إلى الشيء يأرَبُ أرَباً وإرْبَة ومأرُبةً، إذا احتاج إليه.

والثاني عشر – قوله تعالى: {أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ}

أي الأطفال الذين لم يعرفوا ما العورة ولم يميزوا بينها وبين غيرها و من قولهم: ظَهر على الشيء، إذا اطلع عليه. أو الذين لم يبلغوا حد الشّهوة والقدرة على الجماع، من قولهم: ظهر على فلان، إذا قَويَ علية وغلبه.

{وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ}

نُهيَ النساء عن أن يَضْرِبنَ بأرجُلِهن في الأرض ليسمع صوت خلاخلهن مَن يسمعه من الرجال، فيدعوه ذلك إلى التَّطلع والمَيْل إليهن، وذلك سداً لذريعة الفساد. وفي حُكمه إبداءُ ما يخفين من زينتهن بأي وسيلة كانت. وأمَّا صوتُهن فليس بعورة؛ كما في مُعْتبرات كتب الشافعية، فلا يحرُم سماعه، إلا إن خُشيت منه فتنة أو التذاذٌ، وذهب الحنفيةُ إلى أنه عورة.

.32

وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32)

{وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى}

جمعُ أيِّم، وهو كلُّ ذكَر لا أُنثى معهُ، وكلُّ أُنثى لا ذكَرَ معها، بِكراً أو ثَيباً؛ والأمر للأولياء والسادة وهو للنَّدب عند الجمهور. يقال: آم يئِيم فهو أُيِّم؛ أي زَوّجوا من لا زوج له من الأحرار والحرائر، ومن كان فيه صلاحٌ وخير من عبيدكم وإمائكم. والمراد من الإنكاح: المعاونةُ والتوسط في النكاح والتمكين منه.

.33

وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (33)

{وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ}

أي يطلبون المكاتبة منكم ليصيروا أحرارا. وهي معاقدة بين السّيد

وعبده، يقول فيها السيد لعبده: إذا أدّيْت إليّ كذا من المال فأنت حر لوجه الله، ويقبل العبد ذلك، فإذا أدّى ما شُرط عَتَق.

{فَكَاتِبُوهُمْ}

أي يندب لكم مكاتبهم كما طلبوا؛ مسارعة إلى تحريرهم

{إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا}

أي أمانة وقدرة على الكسب.

{وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ .. }

أمْرٌ للموالى بإعانة المكاتبين بشيء مما أعطاهم الله على سبيل الاستحباب.

{وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ .. }

الفتيات: الإماء , وكلٌّ من الفتى والفتاة كُنية مشهورة عن العبد والأمة مطلقا. والبغاءُ: زنا المرأة خاصّة. مصدرُ بَغَت المرأة تبغي بِغاءً: فَجَرَت، وهي بَغِيٌّ وهنَّ بغايا. والتّحصُنُ: التصوُّنُ عن الزنا والتعفف عنه. وكان بعض الجاهليين يُكره إماءه على الزنا ابتغاء كسب المال أو الولد. وكان لرأس المنافقين جَوارٍ يكرههن عليه؛ فاشتكى بعضهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إكراهَه لهنّ على الزِّنا؛ وهنّ يأْبَينه ويَستعْففنَ عنه في الإسلام؛ فنزلت الآية بالنهي عن إكراههن على الزنا.

{إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا}

تعفُّفا عنه. وليست إرادتُهن التحصن شرطا في النهي عن الإكراه، ولكن لما كان سببُ النزول ما ذُكر خرج النّهيُ على صفة السبب؛ وفيه من التشنيع عليهم والتقبيح لصنيعهم ما فيه. كأنَّه قيل: كيف يقع منكم إكراههن على البغاء وهن إماء يُردن العِفة ويأبَيْن الفاحشة؟! ألستم أحقَّ بحملهن على العِفة إذا أردن البغاء. وقيل: إن هذا الشرط خرج مخرج الغالب؛ لأن الغالب أن الإكراه لا يكون إلا عند إرادة التحصُّن، فلا يلزم منه جواز الإكراه عند عدم إرادة التحصن.

{وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ}

على البغاء {فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ} أي كونهن مكرهات عليه {غَفُورٌ رَحِيمٌ} لهُنَّ لا لَهُم.

.34

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (34)

.35

اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35)

{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}

أي الله نورُ العالمِ كلِّه، عُلْويّه وسفليّه، بمعنى منوِّره بالآيات التَّكوينية والتَّنزيليّة الدالة على وجوده ووحدانيته وسائر صفاته، والهادية إلى الحق وإلى ما به صلاح المعاش والمعاد. أو اللهُ موجدُ العالم كله أو مدبرُ الأمر فيه وحده. أو منوِّره بالشمس والقمر والكواكب؛ فقد جعل الشمس ضياء والقمر نورا. والضياءُ والنور قد شاع إطلاق كل واحد منهما على الآخر؛ وناط بهذا النور مصالح خلقه ومعايشهم، حتى أبصروا وعملوا، ولولاه لظَلّوا في عماء وظلمة وخمود.

{مَثَلُ نُورِهِ}

أي صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة

{كَمِشْكَاةٍ}

كصفة مشكاة وهي الكُوّة غيرُ النافذة؛ وهي أجمع للضوء الذي يكون فيها من مصباح أو غيره.

{فِيهَا مِصْبَاحٌ}

سِراجٌ ضخمٌ ثاقبٌ.

{الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ}

في قنديل من الزجاج الصَّافي الأزهر.

{كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ}

شديد الإنارة؛ نسبة إلى الدُّر في صفائه

وإشراقه وحُسنه.

{يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ}

أي من زيت شجرة.

{مُبَارَكَةٍ}

كثيرة المنافع. وهو إدام ودهان، ودباغ ووقود، وليس فيها شيء إلا وفيه منفعة.

{لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ}

أي ليست شرقية فقط، ولا غربية فقط بل هي شرقية وغربية، ضاحية للشمس طول النهار تصيبها عند طلوعها وعند غروبها؛ وذلك أحسن لزيتها.

{يَكَادُ زَيْتُهَا}

من شدة صفائه وإنارته

{يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ}

وقد شبه في الآية نور الله بمعنى أدلته وآياته سبحانه – من حيث دلالتها على الحق والهدى، وعلى ما ينفع الخلق في الحياتين – بنور المِشكاة التي فيها زجاجة صافية، وفي تلك الزجاجة مصباح يتَّقد بزيت بلغ الغاية في الصفاء والرقة والإشراق، حتى يكاد يضيء بنفسه من غير أن تمسه النار.

{نُورٌ عَلَى نُورٍ}

أي هو نور عظيم على نور. فنورٌ الله مُتضاعف لا حَدَّ لتضاعُفه، لا كالنور المُمثل به، فإن لتضاعفه حَدًّا معيَّنا محدودا مهما كان إشراقه وإضاءتُه.

{يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ}

العظيم الشأن

{مَنْ يَشَاءُ}

هدايته من عباده. بتوفيقهم لفَهْم آياته الدالة على صفاته وحكمته، وفَهم كتبه وشرائعه، وأسرار مخلوقاته الدَّالة على الخير وسعادة الداريْن.

.36

فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (36)

{فِي بُيُوتٍ}

متعلق بـ {يُسَبِّحُ} والمراد بها المساجد كلُّها

{أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ}

أي أمَر الله أن يُعظم قدرها بصيانتها عن دخول أجُنُب والحائض والنفساء، وعن تلوينها وإدخال نجاسات فيها، وعن كل ما فيه إثم ومعصية أو امتهانها.

{يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا .. }

يُنزهه تعالى فيها، ويقدسه عما لا يليق به في ذاته وصفاته وأفعاله؛ فلا يذكر فيها إلا بما هو شأنه عز وجل. وقيل: المراد من التسبيح الصلاةُ. وفاعل (يسبح) قوله: (رجال) و (فيها) تأكيد لقوله: (في بُيُوت).

{بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ}

[الرعد:15].

.37

رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37)

.38

لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (38)

{بِغَيْرِ حِسَابٍ}

[البقرة:212].

.39

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39)

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا}

بيان لحال الكافرين بضرب مثلين لأعمالهم، بعد بيان حال المؤمنين ومآل أمرهم.

{أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ}

هو الشُّعاع الذي يُرى وسط النهار عند اشتداد الحر في الفلوات الواسعة؛ كأنه ماء سارب وهو ليس بشيء، ويسمى الآل.

{بِقِيعَةٍ}

جمع قاع، وهو ما انبسط من الأرض واتسع ولم يكن فيه نبت، وفيه يتراءى السَّراب.

{يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ}

الذي اشتدت حاجته إلى الماء {مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} مما حَسِبة وظَنّه. شُبّه ما يعمله الكافرُ من أنواع البر في الدنيا

التي يظنها نافعةً له عند الله ومنجية له من عقابه – من حيث حُبُوطها ومحو أثرها في الآخرة، وخَيْبَةُ أمله فيها – بسراب يراه الظمآن في الفلاة وهو أشدُّ ما يكون حاجة إلى الماء فيحسبه ماء؛ فيأتيه فلا يجده شيئا فيخيب أملُه ويتحسر.

{وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ}

أي وجد حُكمه تعالى وقضاءه

{فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ}

أعطاه وافيا كاملا جزاء كفره , أما أجورُهم عليها فيوفَّوْنَها في الدنيا فقط.

.40

أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (40)

{أَوْ كَظُلُمَاتٍ}

أي أعمالهم الحسنة في الدنيا من حيث خُلوها عن نور الحق كظلمات

{فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ}

عميق كثير الماء

{يَغْشَاهُ}

يعلوه ويغطيه {مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ} آخر {مِنْ فَوْقِهِ} أي من فوق هذا الموج الأعلى {سَحَابٌ} قائم.

{ظُلُمَاتٌ}

هذه ظلمات متراكمة {بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ} ظلمة السحاب فوق ظلمة المَوْج فوق ظلمة البحر.

{إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ}

من ابتُليَ بها {لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا} من تراكم الظلمات؛ أي لم يقرُب من رؤيتها فضلا عن أن يراها. وقيل: (أو) للتنويع، فشُبهت أعمالهم الحسنه بالسَّراب، والسيئة بالظلمات.

{وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ}

أي من لم يشأ سبحانه أن يهديَه لِنوره في الدنيا فما له من هداية فيها من أحد.

.41

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (41)

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ .. }

أي ألم تعلم، بمعنى قد علمت علما يقيناً بالوَحْي أو بالمكاشفة أو الاستدلال: أنَّ جميع الكائنات من العقلاء وغيرهم، تنزّهه في ذاته وصفاته وأفعاله، عن كل ما لا يليق بشأنه العظيم؛ حتى الطير صافات – بدلالتها بلسان الحال على وجوده وكمال قدرته، وأنه ليس كمثله شيء. (والطير) معطوف على (مَنْ).

{صَافَّاتٍ}

باسطات أجْنِحتها في الهواء، من الصَّف وهو جعل الشيء على خط مستقيم. وخُصت هذه الحالة بالذكر لكونها أغرب أحوالها؛ فإن استقرارها في الهواء مُسَبِّحة من دون تحريك لأجنحتها ولا استقرار على الأرض من أبدع صنع الله تعالى. وفي الآية تقريع للكفار حيث جعلوا من الجمادات التي من شأنها التسبيحُ لله تعالى شركاء له يعبدونها كعبادته.

.42

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (42)

.43

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (43)

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ}

دليل من الآثار العلوية على كمال قدرته تعالى وانفراده بالخلق والتدبير.

{يُزْجِي سَحَابًا}

يسوقه سَوْقا رفيقا إلى حيث يريد. يقال: زجَى الشيءَ يَزْجيه تَزجيةً، دفعه برفق؛ كزجّاه وأزْجاه.

{ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا}

مُترا كما بعضه فوق بعض. يقال: رَكَم الشيء
يركُمُه رَكْما، إذا جمعه وألقى بعضه على بعض. وتراكم وارتكم الشيء: اجتمع. والرُّكام: الرمل المتراكم.

{الْوَدْقَ}

أي المطر. وهو في الأصل مصدر ودَقَ السحاب يَدِق ودقًا، إذا نزل منه المطر.

{خِلَالِهِ}

أي فُتوقه ومخارجه جمع خَلل؛ كجبال وجبل.

{سَنَا بَرْقِهِ}

أي شدّةُ ضوء برق السحاب ولمعانه. يقال. سَنا يسنُو سَنا، أي أضاء.

.44

يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (44)

{يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ}

دليل آخر زَمنيٌّ إثْر الدليل العُلْوي.

.45

وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (45)

{وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ}

دليل ثالث من عجائب خلق الحيوان وبديع صنعته.

.46

لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (46)

.47

وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (47)

{وَيَقُولُونَ آمَنَّا .. }

نزلت في المنافقين.

.48

وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (48)

.49

وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (49)

{يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ}

منقادين لحكمه طائعين. يقال: أذعن لفلان، انقاد ولم يستعص، وأسرع في طاعته.

.50

أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (50)

{أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ .. }

ترديدٌ لأسباب إعراضهم عن حكمه صلى الله عليه وسلم؛ أي أسبَبُ إعراضهم عن التحاكم إليه أنهم مرضى القلوب بالنفاق! أم سَبَبه أنهم ارتابوا في نُبوّته مع ظهور حقّيتها! أم سببه أنهم يخافون أن يحيف الله ورسوله عليهم! ثم أضرب عن سببية هذه الثلاثة بأنه ليس شيء من ذلك سببا، وإنما سببُه أنهم يريدون أن يظلِموا صاحب الحق، ولا يتأتى لهم ذلك مع أنقيادهم لحكمه صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لا يحكم إلا بالحق.

{يَحِيفَ}

يجور؛ من: الحيف وهو الميل إلى أحد الجانبين. يقال: حاف في قضائه، مال. وتحيفتُ الشيء: أخذتُه من جوانبه.

.51

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (51)

.52

وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (52)

.53

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (53)

{جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ}

أي مجتهدين فيها [المائدة:53].

{طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ}

أي هذه طاعة باللسان لا بالجنان، معروفة عنكم وهي دأبكم فإنكم تكذبون وتحلفون وتقولون مالا تفعلون.

.54

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (54)

{مَا حُمِّلَ}

ما أُمِر به من

التبليغ.

{مَا حُمِّلْتُمْ}

ما أمُرتُم به من الطاعة والانقياد.

.55

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55)

.56

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (56)

.57

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ (57)

{مُعْجِزِينَ}

فائتين من عذابنا بالهرب.

.58

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (58)

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا .. }

أمر الله المؤمنين أن يمنعوا مماليكهم – عبيداً وإماءً – وصبيانهم الذين لم يبلغوا الحلم – ذكورا وإناثا – من الدخول عليهم في مضاجعهم بغير إذن في هذه الأوقات الثلاثة، خشية أن يطّلعوا على عوراتهم. و خُصت بالذكر لكونها الأوقات التي تغلب فيها الخلوة بالأهل والتَّجَردُ من الثياب، والأمر للاستحباب، وقيل للوجوب.

و {الْحُلُمَ}

بضمتين: الاحتلام المعروف في النوم.

{ثَلَاثَ مَرَّاتٍ}

أي في ثلاثة أوقات في اليوم والليلة؛ منصوب على الظرفية للاستئذان.

{تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ}

تخلعونها وتطرحونها.

{ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ}

أي هي أوقاتُ ثلاثِ عورات كائنة لكم. جمعُ عَوْرة، وهي في الأصل شقٌ في الشيء، ثم غلب في الخلل الواقع فيما يهم حفظه ويتعيّن ستره، وهو السَّوءة.

.59

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (59)

.60

وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (60)

{وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ .. }

أي العجائز اللواتي قعدن عن الولد أو عن الحيض، أو عن الاستمتاع لكبرهن، ولم يبق لهن مطمعٌ في الأزواج. جمعُ قاعد، بغير تاء لاختصاصها بالنساء،

ولولاه لوجبت التاء؛ كما في قاعدة من القعود بمعنى الجلوس.

{فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ}

حَرجٌ أو إثم

{أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ}

ينزعن عنهن ثيابهن الظّاهرة التي لا يُفضي نزعُها إلى كشف العورة، كالقناع الذي يكون فوق الخمار، والجلباب والرداء الذي يكون فوق الثياب؛ حال كونهن:

{غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ}

أي غير مظْهِرات زينةً مما أُمرن بإخفائها في قوله تعالى: {وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ} أو غيرَ قاصدات بالوَضْع التَّبرج، وهو إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال. رُخِصّ لهنّ في هذا التَّخفف من التستر دفعاً للحرج عنهن، على أن استعفافهن عنه خيرٌ لهنّ.

.61

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (61)

{لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ .. }

أي إثم. والحَرَج في الأصل: مجتمعُ الشَّجر، ثم أطلق على الضِّيق وعلى الإثم. أي لا إثم على هذه الطوائف الثلاث في القعود عن الجهاد وغيره مما ترخص لهم فيه لما قام به من الأعذار. ولا إثم على من ذكروا بعدهم في الآية في الأكل من البيوت المذكورة.

{وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ}

حَرَج

{أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ}

أي من البيوت التي فيها أزواجُكم وعيالُكم؛ فيدخل فيها بيوتُ الأولاد.

{أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ}

أي أو البيوت التي تملكون التصرف فيها بإذن أربابها، كما إذا كنتم وكلاء عنهم أو خازنين عندهم، فيباح لكم الأكل منها بالمعروف. ومفاتح جمع مِفتَح، وهو آلة الفتح. ومِلكها: كناية عن كون الشيء تحت يد الشخص وتصرُّفه.

{أَوْ صَدِيقِكُمْ}

أي أو بيوت أصدقائكم وإن لم يكن بينكم وبينهم قرابة، فيجوز الأكل من بيوت الأحَدَ عشر صِنفا المذكورة وإن لم يحضروا، إذا على رضاهم به بصريح اللفظ، أو بالقرينة وإن كانت ضعيفة، كما قاله الجلال.

{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا}

مجتمعين

{أَوْ أَشْتَاتًا}

متفرقين. وقد كان بعضهم يتحرج أن يأكل وحده حتى يجد له أكيلا؛ كبني ليث بن عمرو بن كنانة، فنزلت الآية.

جمعُ شَت. يقال: شَت الأمر يَشِتُّ شتًّا وشتاتا، تفرق. وأمر

شَت: متفرق.

{فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا}

من هذه البيوت التي رُخّص لكم في الدخول فيها

{فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ}

أي على أهلها الذين هم بمنزلة أنفسكم

{تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ}

أي حيُّوهم تحيةً مشروعةً من لَدنه تعالى

{طَيِّبَةً}

تطيب بها نفوسهم وتطمئن. ومعنى التحيّة في الأصل: أن تقول: حيّاك الله! أي أعطاك الحياة، ثمُ عُمم لكل دعاء.

.62

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (62)

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}

نزلت في المنافقين الذين كان يعرّض بهم النبي صلى الله عليه وسلم في مجالسه وخطبه، وكانوا إذا جلسوا في مجلسه ينظرون إلى الصحابة، فإن رأوهم غافلين عنهم خرجوا خفية واستتارا من غير استئذان. فأخبر الله تعالى أن المؤمنين الكاملين إذا كانوا مع نبيهم في طاعة يجتمعون عليها – كالجمعة والعيدين والجهاد – أو تشاور في أمر جليل؛ لم ينصرفوا عنه حتى يستأذنوه ويأذَن لهم، وجعل ذلك علامة على كمال الإيمان، وفارقا بين الإخلاص والنفاق. وهذا الأدب الإسلامي من الآداب العامة في أمثال هذه المجتمعات.

.63

لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (63)

{لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ .. }

أي لا تقيسوا دعاءه عليه الصلاة والسلام إياكم على دعاء بعضكم بعضا في حال من الأحوال، وأمر من الأمور التي من جملتها المساهلةُ فيه والرجوع عن مجلسه بغير استئذان؛ فإن ذلك من المحرمات. وقيل: المعنى لا تجعلوا نداء الرسول صلى الله عليه وسلم وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه أو كنيته. فلا تقولوا: يا محمد، ولا يا أبا القاسم، بل نادره وخاطبوه بالتوقير وقولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، مع تواضع وخفض صوت. قال السيوطي: في هذا النهي تحريم ندائه صلى الله عليه وسلم باسمه والظاهر استمرار ذلك بعد وفاته إلى الآن اهـ. فليتَّق الله وليتأدب بالأدب القويم أقوام في هذا العصر درجوا على ذكر اسمه الشريف مجرداً دون وصفه بالرسالة أو النبوة، ودون الصلاة والسلام عليه في كتبهم وخطبهم وأحاديثهم؛ ومنهم من يتَّسم بسِمة العلماء. ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم!

{قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا}

أي يخرجون من الجماعة قليلا قليلا في خفية مُتلاوذين، يستتر بعضهم ببعض حتى يخرجوا جميعا، وكان المنافقون يفعلون ذلك في خطبه صلى الله عليه وسلم. والتَّسلل والانسلالُ: الخروجُ والانطلاق في استخفاء. واللواذ: من الملاوذة، وهي أن

تستتر بشيء مخافة من يراك. أو هو: الرَّوغان من شيء إلى شيء في خفية.

{يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ}

يُعرضون عنه أو يصدون. والمخالفةُ: أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو فعله!

{فِتْنَةٌ}

بلاء ومحنة في الدنيا.

.64

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (64)

والله أعلم.

سُورَةُ الفُرْقَانِ

بسم الله الرحمن الرحيم

اشتملت هذه السُّورة على التوحيد، لأنه المقصِد الأسنى. وعلى شأن النبوة، لأنها الواسطة بين الله تعالى وخلقه. وعلى أحوال المعاد، لأنه الخاتمة. وعلى حكاية أباطيل الكافرين المتعلِّقة بالقرآن و بالرسول صلى الله عليه وسلم وإبطالها.

.1

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (1)

{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ}

أي تعالى على كل شيء وتعاظم [الأعراف:54]؛ {الْفُرْقَانَ}

أي القرآن، لفرقه بين الحق والباطل.

.2

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (2)

{فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا}

فهيّأه لما أراد به من الخصائص والأفعال اللائقة به، تهيئة بديعة بحكمته وَفق إرادته.

.3

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (3)

{وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً}

أصناما، وقد وصفها الله بسبع صفات، آخرها قوله: {وَلَا نُشُورًا}.

{وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا .. }

لا يقدرون على إماتة الأحياء، ولا على إحياء الموتى في الدنيا، ولا على بعثهم في الآخرة.

.4

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (4)

{إِفْكٌ افْتَرَاهُ .. }

كذب وبهتان اختلقه وتخرَّصه من تلقاء نفسه [النور:11].

{وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ}

على افترائه

{قَوْمٌ آخَرُونَ}

من أهل الكتاب والقائلون صناديدُ المشركين؛ كالنضر بن الحارث وأشياعه.

{ظُلْمًا وَزُورًا}

أي بظلم عظيم، وكذبٍ فظيع انحرفوا به عن جادة الحق والإنصاف. والزُّور في الأصل؛ تحسين الباطل، مأخوه من الزَّوَر وهو المَيْل في الزَّوْر. وأطلق على الكذب زُورٌ ما فيه من الميل عن الصدق – والانحراف عن الحق.

.5

وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (5)

{أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}

أكاذيبهم وأباطيلهم التي سطّروها في كتبهم.

{اكْتَتَبَهَا}

أي أمر غيره بكتابتها له، أو جمعها.

{فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ}

أي تُلقى عليه بعد اكتتابها ليحفظها

{بُكْرَةً وَأَصِيلًا}

غُدوة وعشِيا. ومرادُهم أنها تُملى عليه خُفْية.

.6

قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (6)

{يَعْلَمُ السِّرَّ}

يعلم كل ما يغيب ويخفي.

.7

وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (7)

{وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ}

اشتمل قولهم على ست قبائح، آخرُها قولهم: {إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا}. وقد ردّ الله تعالى عليها إجمالا في البعض وتفصيلا في البعض.

.8

أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (8)

{أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ}

أو ينزل عليه من السماء مالٌ عظيمٌ يغنيه عن التماس المعاش بالأسواق كسائر الناس. وأصل الكَنز: جعل المال بعضه على بعض وحفظُه؛ من كَنَز التمر في الوعاء: حفظه.

{أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ .. }

بستان ذو شجر يُدِر عليه الخير، وسُمِّي جنة لستره الأرض بأشجاره؛ من الجَنِّ وهو سَتر الشيء عن الحاسّة.

{مَسْحُورًا}

مغلوباً على عقله بالسحر. والسحرُ عندهم معروف بتأثيره في العقول.

.9

انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (9)

.10

تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا (10)

{إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ}

أي إن شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما اقترحوه من الجنة؛ بأن يعجِّل لك فيها مثل ما وعدك في الآخرة من الجنّات والقصور المشيَّدة.

.11

بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (11)

{بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ}

انتقالٌ من حكاية جناياتهم السابقة المتعلقة بأمر التوحيد والنبوَّة، إلى حكاية نوعٍ آخر من جناياتهم متعلق بأمر المعاد، وما يترتب عليه من فنون العذاب لكفرهم وجحودهم.

{سَعِيرًا}

نارا عظيمة شديدة الاشتعال.

.12

إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (12)

{إِذَا رَأَتْهُمْ}

أي قابلتهم تلك النارُ المستعرة، وهي جهنم

{سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا}

أي صوت غليان وفوران شديد. والتَّغيُّظ في الأصل: إظهار الغَيْظ، وهو شدة الغضب الكامن في القلب.

{وَزَفِيرًا}

هو في الأصل: ترديدُ النَّفَس من شدة الغَم حتى تنتفخ منه الضلوع؛ فإذا اشتد كان له صوتٌ يُسمع.

.13

وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (13)

{مُقَرَّنِينَ}

قد قُرنت أيديهم إلى أعناقهم بالأغلال. أو مقرَّنين في السلاسل والأصفاد، بعضهم مع بعض. أو مع الشياطين الذين أضلوهم.

{دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا}

هلاكا، فقالوا واثُبُوراهُ! يقال: ثَبَر يثبُر ثُبُوراً، وثبره الله: أهلكه هلاكاً لا ينتعش.

.14

لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (14)

15

قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (15)

.16

لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا (16)

{وَعْدًا مَسْئُولًا}

جديرا بأن يسأل ويُطلب لعِظم شأنه.

.17

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (17)

{وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}

من الملائكة وعُزير وعيسى، وسائر العقلاء المعبودين الذين لم يقع منهم ضلال لأولئك الجهلة العابدين. وإطلاق و (ما) على العقلاء حقيقة أو مجاز.

.18

قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (18)

{سُبْحَانَكَ}

تنزيها لك وتبرئةً مما زعمه المشركون من الأنداد لك.

{مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا .. }

أي ما استقام لنا ونحن عبادُك المطيعون لك أن نَتخذ متجاوزين إيَّاك –أولياء نعبدهم؛ فكيف يُتصور أن نحمل غيرنا على أن يتخذ ولياً يعبده من دونك؟!

{نَسُوا الذِّكْرَ}

أي غفلوا عن ذكرك والإيمان بك. أو عن التذكر لآيات ألوهيتك ووحدتك.

{وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا}

هَلْكى، غلب عليهم الشقاءُ والخِذْلان. جمعُ بائر، من البوار وهو الهلاك. وأصله فرط الكساد. يقال: بارت السّوق، إذا خلت من المشترين، وبار الطعامُ: إذا لم يكن له طالب. وأُطلق على الهلاك لكون البائر كالهالك.

.19

فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا (19)

{فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا}

فما تملكون دَفعاً للعذاب عن أنفسكم قبل حُلوله. وأصل الصَّرف: ردُّ الشيء من حالة إلى أخرى.

{وَلَا نَصْرًا}

من أي جهة بعد حُلوله.

.20

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (20)

{وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً}

ابتلاء وامتحانا. كلُّ واحدٍ مختبرٌ بضده، فالأغنياء امتحان للفقراء؛ ليظهر هل يصبرون؟ والفقراء امتحان للأغنياء: لِيظْهَر هل يشكرون؟ وهو تسلية له صلى الله عليه وسلم عن قولهم: {أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ}.

.21

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (21)

{لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا .. }

كناية عن إنكارهم البعث والحشر. أو لا يؤمّلون لقاء جزائنا بالخير؛ لإنكارهم ذلك.

{وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا}

جاوزوا الحد في الظلم والطغيان تجاوزا بالغا. مصدرُ عَتا يعتو عُتُوًّا وعُتِيا.

.22

يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا (22)

{لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ}

أي يقول لهم الملائكة ذلك يوم القيامة.

{وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا}

أي ويقول الملائكة للمجرمين: حَراما مُحَرَّما

عليكم البشرى في هذا اليوم. والحَجْر – بالكسر وبفتح –: الحرام، وأصله المنع. و (مَحْجورا) صفة مؤكدة للمعنى؛ كما في: موتٌ مائت. أو يقول المجرمون حين يرون الملائكة: حِجْرا مَحجورا؛ أي حراماً مُحرما عليكم التعرض لنا. وكان الرجل في الجاهلية يقولُ ذلك إذا لقى من يخافه في شهر حرام أو في الحرم فيأمن شره؛ فقالوها يوم القيامة ظانين أنها تنفعهم فيه كما كانت تنفعهم في الدنيا.

.23

وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (23)

{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ .. }

وعَمَدنا إلى ما عمله الكافرون في الدنيا من أعمال الخير والبرُّ؛ كصلة رحم وإغاثة ملهوف وقِرَي ضيف مع كفرهم وجحودهم، فجعلناه يوم القيامة باطلا لا ثواب له ولا جدْوَى؛ كالهباءُ المنثور. والهباءُ: ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيها بالغبار، والمنثور: المتفرق الذاهب كل مذهب، الذي لا يتاتى جَمعه. شُبّهت به هذه الأعمال يوم القيامة مع الكفر في عدم الجدوى، وتقدم أنهم يجازون بها في الدنيا. وهو مثل قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ} [النور:39] وقوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ} [ابراهيم:18].

.24

أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا (24)

{وَأَحْسَنُ مَقِيلًا}

منزلاً مأوى للاسترواح. والمَقيلُ في الأصل: مكان القيلولة، وهي الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن هناك نوم؛ ومنه { .. أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (4)} [الاعراف]. والمرادُ: أنهم في أقصى ما يكون من حسن المقيل.

.25

وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (25)

{وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ}

واذكر يوم تتفتح السماءُ عن الغمام. وهو سحابٌ أبيض رقيق مثل الضباب. فالباءُ بمعنى عن، كقوله تعالى: {يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ} [ق:44]. وهو مثل: انشقت الأرض عن النبات؛ أي ارتفعت تربتها عنه عند طلوعه.

.26

الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (26)

.27

وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27)

{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ}

واذكر يوم يندم الظالم لنفسه – الذي فارق طريق الرسول صلى الله عليه وسلم والحق الذي جاء به، وسلك طريق الباطل متبعاً هواه – أشدَّ الندم حيث لا ينفعه ندمٌ ولا أسفٌ. وعَضُّ اليدين والأنامل وأكل البنان ونحوها؛ كنايات عن شدة الغيظ والحسرة لحصولها عندها غالبا؛ وذلك شأن كل ظالم. ويدخل في ذلك عُقْبة بن أبي مُعَيْط وغيره من الأشقياء، وقد أطاع في الكفر خليله أُبَيَّ بن خلف، وهو المكنى عنه بفلان في الآية التالية.

{سَبِيلًا}

طريقا إلى الهدى أو إلى النجاة.

.28

يَاوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28)

{يَاوَيْلَتَا}

دعاءٌ بالوَيْل والثُبور [المائدة:31].

.29

لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (29)

{لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا}

كثير الخذلان لمن يواليه.

.30

وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (30)

{اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا}

متروكاً فلم يؤمنوا به ولم يَرفعوا إليه رأساً، ولم يتاثروا بوَعْده و وعيده؛ من الهجر بمعنى التَّرك، نظيرُ قوله تعالى: {وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ .. } [الانعام:26] أي يصدون ويَبْعدون عنه. أو قالوا فيه هُجرا وباطلاً من القبول؛ كما قال تعالى: {مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (67)} [المؤمنون].

.31

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (31)

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا}

تسلية له صلى الله عليه وسلم؛ أي كما جعلنا قومك يُعادونك ويكذّبونك جعلنا {جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ}.

.32

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (32)

{كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ}

لمّا قال المشركون: هلا أُنزل القرآن على محمد – صلى الله عليه وسلم – دَفْعة واحدة غير مُفَرق كما أنزلت الكتب السابقة! – ردَّ الله تعالى عليهم بقوله (كذلك) أي تنزيلاً مثل ذلك التنزيل الذي اقترحتهم خلافُه، نزَّلناه فجعلناه مفرقاً مُنجما؛ لنُقويَ به قلبك وقلوب المؤمنين بتيسير حفظه وضبطه وفهم معانيه، والوقوف على تفاصيل ما رُوعيَ فيه من الحكم والمصالح، وتجدُّد عجز الطاعنين فيه وغير ذلك.

{وَرَتَّلْنَاهُ}

فرقناه آيةً بعد آية، كما قال تعالى: {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ} [هود:1]، أو قرأناه عليك بلسان جبريل شيئاً فشيئاً على تُؤَدة وتمهُّل، من قولهم: ثَغر مُرتل؛ أي مفلج الأسنان غير متلاصقها.

.33

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (33)

{وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ .. .}

أي بكلام عجيب هو مَثَلٌ في البطلان؛ يُريدون به القدح في رسالتك ويجابهونك به.

{وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}

أي وبما هو أحسن معنى من مَثَلهم.

.34

الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا (34)

.35

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (35)

.36

فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (36)

{فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا}

أهلكناهم أشد الإهلاك.

.37

وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (37)

{وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً}

علامةٌ ظاهرةٌ على قدرتنا، يعتبر بها من شاهدها أو سمعها.

.38

وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (38)

{وَأَصْحَابَ الرَّسِّ}

الرّسُّ: بئرٌ كانت لبقيَّةٍ من ثمود؛ وأصحابُها قوم كذبوا نبيهم ورسُّوه أي دسُّوه في البئر؛ فأهلكهم الله كما أهلك القرونَ السابقة.

{وَقُرُونًا}

أممًا.

.39

وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (39)

{وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا}

أهلكنا إهلاكاً هائلا، لعدم تأثرهم بما ضربنا من الأمثال، ولِتماديهم في الكفر والطغيان. والتَّتبيرُ: التَّفتيت. وكلُّ شيء فَتتَّه وكسرته فقد تبَّرته. ومنه التِّبر: لِفُتات الذهب والفضة.

.40

وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (40)

{أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ}

أي رُميت بالحجارة من السماء فهلكت. وهي سَدوم، أعظم قرى قوم لوط، وكذلك أُهلكت سائر قراهم. والسَّوْء – بالفتح –: مصدر ساءه، أي فَعَل به ما يَكْرَه. والسُّوء – بالضم –: اسمٌ منه.

{لَا يَرْجُونَ نُشُورًا}

أي لا يتوقعون بعثا أصلا.

.41

وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (41)

{هُزُوًا}

مهزوءًا به.

.42

إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (42)

.43

أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (43)

{أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ .. }

أخبرني! من جعل هواه إلهاً لنفسه معرضا عن استماع الحجة الباهرة.

{أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا}

حفيظا وكفيلا حتى ترده إلى الإيمان، وتخرجه من هذا الضّلال! [الأنعام:40].

.44

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (44)

.45

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (45)

{أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ}

ألم تنظر إلى صُنع ربّك فتعلم

{كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ}

وقد اشتملت هذه الآية والآيات التسع بعدها على ستَّة أدلة محسوسة على توحيده تعالى، وانفراده بالإيجاد والقدرة الباهرة والصنع العجيب -: الظِّلال بَسطا وقبضا، والليل والنهار راحة ونشورا، والرياح بُشرا، والأمطار حياة ومرج البحرين العذب والملح، وخلق الإنسان من نطفة مهينة وتناسلُه.

.46

ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (46)

.47

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (47)

{ ... وَالنَّوْمَ سُبَاتًا}

أي قطْعا لأعمالكم. أو راحةً لأبدانكم. والسُّبات كما قال الزَّجَّاج -: أن ينقطع عن الحركة والرُّوح في بدنه: من السبت وهو القطع، أو الراحة والسكون.

{وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا}

ذا نشور، ينتشر فيه الناس لطلب المعاش؛ وهو كقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (11)} [النبأ].

.48

وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (48)

{بُشْرًا}

مُبَشِّرات بالغَيْث.

.49

لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (49)

.50

وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (50)

{وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ .. }

أي صَّرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة، والأوقات المتغايرة،

وعلى الصفات المتفاوتة، فنزيد منه في بعض البلدان، وننقص منه في بعضٍ آخر منها على حسب الحاجة. أو ولقد كررنا هذا القول بين الناس في القرآن وما سبقه من الكتب، وهو ذكر إنشاء السحاب وإنزال المطر؛ ليعتبروا ويذعنوا بكمال قدرتنا، فأبى أكثرهم إلا كفران النعمة وجحودَها

{كُفُورًا}

جحودا وكفراناً بالنعمة.

.51

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (51)

.52

فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (52)

.53

وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا (53)

{مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ .. }

أرسل البحرين؛ العذب والملح في مجاريها متجاورين؛ كما ترسل الخيلُ في المرج. يقالُ: مَرَج الدابة يَمْرجها، أرسلها ترعى. أو خلطهما فأمرج أحدهما في الآخر وأفاضه فيه؛ من المَرْج وأصله الخلط. يقال: مَرِج أمرهم يَمْرَج، اختلط؛ ومنه قيل؛ للمرعى: مَرْج لاجتماع أخلاط من الدواب فيه.

{عَذْبٌ فُرَاتٌ}

شديد العذوبة، مائلٌ إلى الحلاوة وهو ماء الأنهار. وسُمِّيَّ فراتاً لأنه يَفْرُت العطش، أي يقطعه ويكسره.

{مِلْحٌ أُجَاجٌ}

شديد الملوحة والمرارة، وهو ماء البحار. وسُمِّيَّ أجاجا من الأجيج وهو تلهب النار، لأن شربه يزيد العطش.

{بَرْزَخًا}

حاجزاً عظيما من الأرض، يمنع بغي أحدهما على الآخر؛ لحفظ حياة الإنسان والنبات، كما قال تعالى: {بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20) }[الرحمن].

{وَحِجْرًا مَحْجُورًا}

أي وجعل كل واحد منها حراماً محرماً على الآخر أن يفسده. والمراد: لزوم كل منها صفته: فلا ينقلب العَذْب في مكانه ملحاً، ولا المِلحُ في مكانه عذباً.

.54

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (54)

{فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا}

أي جعل من جنس البشر ذوي نسب: ذكوراً يُنسب إليهم، وذوات صِهر: إناثا يُصاهَر بهن؛ كقوله تعالى: {فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (39)} [القيامه].والصِّهر: يطلق على قرابات النساء ذوي المحارم وذوات المحارم؛ كالأبوين والإخوة وأولادهم، والأعمام والأخوال والخالات، فهؤلاء أصهار زوج المرأة، وعلى من كان من قِبَلِ الزوج من ذوي قرابته المحارم؛ فَهُم أصهار المرأة أيضا.

.55

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا (55)

{وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا}

مُعيناً للشيطان على

معصية الله بالشرك والعدواة. والظهير: المُعين.

.56

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (56)

.57

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (57)

.58

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (58)

{وَسَبِّحْ}

نزِّهْه تعالى على جميع النقائص.

{بِحَمْدِهِ}

مُثْنيا عليه بأوصاف الكمال.

.59

الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا (59)

{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}

[الأعراف:54].

.60

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا (60)

{وَزَادَهُمْ نُفُورًا}

تباعدا عن الإيمان.

.61

تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (61)

{تَبَارَكَ الَّذِي .. }

[الأعراف:54].

{بُرُوجًا}

منازل رفيعة، اثني عشر منزلا للكواكب السيّارة. وأصلها القُصور العالية؛ و سُمّيت بها هذه المنازل لعلوها وارتفاعها.

.62

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (62)

{جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً}

يَخْلُف كل منهما الآخر. والخِلْفةُ: كلُّ شيء؛ ومنه خِلفة النبات وهو ورق يخرج بعد الورق الأول في الصيف.

.63

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63)

{يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا}

مشْياً ليناً رفيقا. أو يمشون هيّنين في تُؤدة وسكينة ووقار وحسنُ سَمْت. والهون: مصدر بمعنى اللين، والرِّفق، صفة لمصدر محذوف، أو حال من ضمير (يمشون).

{قَالُوا سَلَامًا}

أي تَسلُّماً منكم ومتاركة، لا خير بيننا وبينكم ولا شر، فيتحمّلون ما ينالهم من أذى الجهلاء والسُّفهاء.

.64

وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64)

.65

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65)

{إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا}

لازماً دائما غير مفارق في حق الكفار، وغيرَ دائم في حق عُصاةِ المؤمنين. والغرامُ: الولوع بالشيء والشرُّ الدائم والهلاك. يقال: فلان مُغرم بكذا، أي لازمٌ له مولع به؛ ومنه الغريمُ لملازمته.

.66

إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (66)

.67

وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (67)

{وَلَمْ يَقْتُرُوا .. }

لم يضيّقوا تضييقَ الشحيح؛ من قتر بمعنى ضيق. يقال: قَتَر يَقْتِر ويَقْتُر قترا وقتورا. وقتر وأقتر: ضيق في النفقة.

{وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}

وسَطًا بين شَيئين. والقوام: الشيء بين الشيئين.

وقوامُ الرجل: قامته وحسن طوله.

.68

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68)

{يَلْقَ أَثَامًا}

جزاء الإثم وهو العقوبة، يقال: أثَمه الله يأثِمُه إثما وأثاما، جازاه جزاء الإثم، فهو مأثوم، أي مجزِيٌّ جزاءَ إثمِهِ.

.69

يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69)

{وَيَخْلُدْ فِيهِ}

لضمّه معصيته إلى كفره.

.70

إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70)

.71

وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (71)

.72

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (72)

{لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ .. }

لا يحضرون الباطل، شركا أو كذبا أو غيرهما. وأصل الزّور: تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته؛ حتى يُخَيَّل أنه خلاف ماهو به.

{وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ}

أي بكل ما يجب أن يلغى ويُطرح من قول أو فعل لا خير فيه

{مَرُّوا كِرَامًا}

معرضين عنه منكرين له، لا يرضونه ولا يمالِئون عليه ولا يجالسون أهله. يقال: تَكَرَّم فلان عما يشينه، أي تَنَزّه وأكرم نفسه عنه.

.73

وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (73)

{لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا}

لم يسقطوا عليها صُمًّا وعميانا، بل أكبُّوا عليها سامعين مبصرين بآذان واعية، وعيونٍ راعيةٍ، منتفعين بها.

.74

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74)

{قُرَّةَ أَعْيُنٍ}

ما تَقِرُّ به أعيُننا، أي ما تُسَرُّ وتفرح به [مريم:26].

{إِمَامًا}

قدوة وحجة أو أئمة.

.75

أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (75)

{يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ}

أعلى منازل الجنة وأفضلها.

.76

خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (76)

.77

قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (77)

{مَا يَعْبَأُ بِكُمْ .. }

أيْ أيَّ اعتداد يعتدّ بكم ربي، لولا عبادتكم له تعالى: يقال: ما عَبَأْت به، أي ما عددتُه من هَمِيِّ وما يكون عبئا عَلَيّ؛ كما تقول: ما اكترثتُ له، أي ما عَدَدتُه من كوارثي ومما يُهمني.

{دُعَاؤُكُمْ}

عبادتكم له تعالى. ثم خاطب الكافرين من عباده بقوله:

{فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ}

جزاء التَّكذيب

{لِزَامًا}

عذابا دائما ملازماً لكم، مصدر لازم، كقاتل قتالا. والمراد به هنا: اسم الفاعل.

والله أعلم.

سُورَةُ الشُّعَرَاء

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

طسم (1)

.2

تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (2)

.3

لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (3)

{لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ}

قاتلُها ومهلكها من شدة الوجد لاستمرارهم على جحود ما جئت به. أي ارحمها وأشْفِق عليها [الكهف:6].

.4

إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (4)

{فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ}

أي فتظل جماعاتُهم أو رؤساؤهم خاضعين لها منقادين. يقال: جاءني عُنق من الناس – بضمّ فسكون وبضمّتين –، أي جماعة منهم، أو رؤساؤهم والمقدمون فيهم. وقيل لهم أعناق كما قيل وجوهٌ وصدورٌ. أو الأعناقُ جمع عنق وهو

العضو المعروف. والمعنى: فتظل أعناقهم خاضعين لها من الذلة. والأصل: فظلوا لها خاضعين؛ فأُقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع، وترك الجمع بعد الإقحام على أصله. وقيل: عوملت معاملة العقلاء، فأخبر عنها بجمع من يعقل لما أسند إليها ما يكون من فعل العقلاء وهو الخضوع.

.5

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (5)

{مُحْدَثٍ}

محدَثٍ تنزيله، ومتجدد انباؤهم به.

.6

فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (6)

.7

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (7)

{أَوَلَمْ يَرَوْا .. }

بيانٌ لإعراضهم عن الآيات التكوينية بعد إعراضهم عن الآيات التنزيلية. أي أأصَرُّوا على كفرهم وتكذيبهم، ولم ينظروا في عجائب الأرض الزاجرة لهم عن ذلك، والداعية إلى الإيمان بالله تعالى!

{زَوْجٍ كَرِيمٍ}

صنفٍ حسنٍ كثير المنافع. وأصلُ الكَرَم: الشَرفُ والفضل، وهو في كل شيء بحسبه.

.8

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (8)

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً .. }

أي إن في ذُكر من الإنبات لدليلا على أن مُثْبتها قادر على إحياء الموتى.

{وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ}

مع عظم الآيات الموجبة للإيمان لفرط تماديهم في الضلال. و (كان) زائدة كما ذهب إليه سيبويه. وكررت هاتان الآيتان في هذه السورة ثماني مرات: الأولى – هذه. والباقيات عقب قصص موسى وإبراهيم وقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط وقوم شعيب عليهم السلام؛ لتنبيه كفار مكة إلى أن في كل قصة منها عبرة توجب عليهم الإيمان، وتزجرهم عن التكذيب والعصيان.

.9

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (9)

.10

وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10)

.11

قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (11)

.12

قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (12)

.13

وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (13)

.14

وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (14)

.15

قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (15)

{كَلَّا}

حرفُ رَدْع وزَجر عن خوف القتل. أي كلا لن يقتلك قوم فرعون! وهو وعد منه تعالى بدفع بَلِيَّة الأعداء عنه.

{إِنَّا مَعَكُمْ مُستَمِعُونَ}

نسمع ما تقولون وما يقال لكم؛ فننصركم ونخذل عدوكم. أو الخطاب الموسى وهارون ومن يتبعهما.

.16

فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16)

.17

أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (17)

.18

قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (18)

.19

وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (19)

{وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ .. }

قَتلك القبطي حين وكزتَه.

{وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ}

أي الجاحدين لِلنعمة التي سَلفت منا إليك من التربية والإحسان.

.20

قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (20)

{فَعَلْتُهَا إِذًا}

أي إذ ذاك،

{وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ}

أي الجاهلين أن هذه الوكزة تبلغ القتل؛ لأني لم أتعمده، وإنما قصدت بها مجرَّد التأديب فأدّت إليه. ويقال لمن جهل شيئا وذهب عن معرفته: ضالّ.

.21

فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (21)

.22

وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (22)

{أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ}

اتّخذتهم لك عبيدا، فكان ذلك سبباً في وجودي عندك، فهو نعمة ظاهرا ونقمة باطنة. يقال: عبّدته وأعبدته، إذا اتخذته عبدا.

.23

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23)

.24

قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (24)

{إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ}

أي إن كنتم موقنين بشيء من الأشياء. فهذا أوْلى بالإيقان، لظهوره ووضوح دليله.

.25

قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (25)

.26

قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (26)

.27

قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27)

.28

قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (28)

.29

قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29)

.30

قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30)

{أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ}

أي أتجعلُني من المسجونين أن

اتخذتُ إلها غيرك ولو جئتُك بشيء يتبين به صدقي فيما دعوتك إليه؟؟ يريد به المعجزة.

.31

قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (31)

.32

فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (32)

.33

وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (33)

{وَنَزَعَ يَدَهُ .. }

أخرج يدَه من جَيْبه بعد أن أدخلها فيه.

{هِيَ بَيْضَاءُ}

بياضاً نورانيًّا، لها شعاع يكاد يَغشَى الأبصار.

.34

قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34)

{لِلْمَلَإِ}

وجوه القوم وسادتهم.

.35

يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (35)

.36

قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (36)

{أَرْجِهْ وَأَخَاهُ}

أخِّر أمرهما ولا تَعجل بعقوبتهما.

{وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ}

رجالاً يجمعون لك أمهر السَّحرة من أقاصي البلاد [الأعراف:111].

.37

يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (37)

.38

فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (38)

.39

وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (39)

{هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ}

حثٌّ على الاجتماع واستعجالٌ له.

.40

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (40)

.41

فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (41)

.42

قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (42)

.43

قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (43)

.44

فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (44)

{بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ}

بقوته وعظمته.

.45

فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (45)

{تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ}

تبتلع بسرعة ما يمَوِّهون ويزوِّرون به من المخاييل والخُدَع الباطلة. [الأعراف:117].

.46

فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (46)

.47

قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47)

.48

رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (48)

.49

قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (49)

.50

قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (50)

{قَالُوا لَا ضَيْرَ}

لا ضرر علينا فيها يلحقنا من عذاب الدنيا لإيماننا. مصدر ضارَه الأمر يَضُره ويَضِيره ضَيْرا وضَوْرا، أي ضرَّه.

.51

إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (51)

.52

وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (52)

{أَسْرِ بِعِبَادِي}

سِرْ بهم ليلا، أو في أوّل الليل إلى البحر الأحمر من أرض مصر [الإسراء:1].

{إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ}

يتبعكم فرعون وجنوده.

.53

فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (53)

{حَاشِرِينَ}

جامعين للعساكر ليتبعُوهم.

.54

إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54)

{لَشِرْذِمَةٌ}

طائفةٌ قليلةٌ من الناس بالنسبة إلى كثرة جيشه. أو هي السِّفلة منهم. وجمعُها شراذِم؛ ومنه ثياب شراذم، أي أخلاقٌ منقطعةٌ.

.55

وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (55)

.56

وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (56)

{وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ}

وانا لجمْعٌ من عادتنا الحذر والاحتراز والأخذ بالحزم في الأمور. وقُرئ (حَذِرون) وهما بمعنى واحد، كما قال أبو عبيدة. يقالُ: حَذِر حَذراً – من باب تَعِب – واحترز، بمعنى استعد وتأهب، فهو حاذر وحذر، والاسم منه الحِذْر. وقال الزَّجاج: الحاذرُ المستعدُّ، والحَذِرُ المتيقْظُ.

.57

فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (57)

.58

وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (58)

.59

كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (59)

.60

فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (60)

{فَأَتْبَعُوهُمْ}

فلحقوهم. تقول: أتْبَعْتُه، أي تَبِعْته؛ وذلك إذا كان سبقك فلحقته.

{مُشْرِقِينَ}

داخلين في وقت الشروق؛ من أشرق، أي دخل في وقت الشروق كأصبح وامسى.

.61

فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61)

{تَرَاءَى الْجَمْعَانِ}

رأي كل منهما الآخر.

.62

قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62)

.63

فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63)

{فَانْفَلَقَ}

انشق اثني عشر فِرقا.

.64

وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (64)

{وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ}

وقَرْبنا هنالك فرعونَ وقومه من قوم موسى حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم في البحر؛ من الزَّلف وهو القُربَة.

يقال: أزلفه أي قَرّبه.

.65

وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (65)

.66

ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (66)

.67

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (67)

.68

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (68)

.69

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (69)

.70

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (70)

.71

قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (71)

{فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ}

أي نظل لأجلها مقبلين على عبادتها.

.72

قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (72)

.73

أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (73)

.74

قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (74)

.75

قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (75)

{أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ}

أتأمَلتم فعلِمتم أي شيء تعبدونه أنتم وآباؤكم الأقدمون!.

.76

أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (76)

.77

فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (77)

.78

الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78)

.79

وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79)

.80

وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80)

.81

وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81)

.82

وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82)

.83

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83)

{هَبْ لِي حُكْمًا}

كمالاً في العلم والعمل، أستعد به للقيام بأعباء الرسالة.

.84

وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (84)

{وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ .. }

ثناء حسنا وذكراً

جميلا، وصيتاً وقبولاً في الأمم الآخرين، باقيا إلى يوم القيامة.

.85

وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (85)

.86

وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (86)

.87

وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (87)

{وَلَا تُخْزِنِي}

لا تفضحني ولا تذلني بعقابك.

.88

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88)

.89

إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (89)

{بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}

بريء من مرض النفاق والكفر.

.90

وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (90)

{وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ}

أُدْنيت وقُربت للذين اتَقَوا عِقاب الله في الآخرة بطاعتهم إياه في الدنيا، بحيث يشاهدونها من الموقف فيبتهجون بأنهم من أهلها.

.91

وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (91)

{وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ}

جُعلت بارزة ظاهرة للضالين عن طريق الحق؛ بحيث يَرونها من الموقف فيوقنون أنهم مواقعوها فيتَحسرون؛ من البروز وهو الظهور، وأصله من البَراز وهو الأرض الفضاء الواسعة. والغاوُون: جمعُ غاو أي ضال. يقال: غَوَى يَغوي غيًّا وغَوايةً، ضلَّ؛ فهو غاو وغَوٍ.

.92

وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (92)

.93

مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (93)

.94

فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (94)

{فَكُبْكِبُوا فِيهَا}

ألقُوا فيها على رءُوسهم مرة بعد مرة إلى أن استقرُّوا في قَعرها، من الكَبْكَبة وهي الإلقاء على الوجه مرة بعد أخرى.

.95

وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (95)

.96

قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (96)

.97

تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (97)

.98

إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (98)

{نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ}

نجعلكم وإياه سواء في استحقاق العبادة وأنتم أعجز الخلق.

.99

وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (99)

.100

فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (100)

.101

وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (101)

{وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ}

يهتمّ بنا؛ من الاحتام وهو الاهتمام. أو من الحامّة وهي الخاصة، والمرادُ: الصديق الخالص.

.102

فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (102)

{فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً .. }

رجعة إلى الدنيا فنؤمن بالله.

.103

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (103)

.104

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (104)

.105

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105)

.106

إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (106)

.107

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (107)

.108

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (108)

.109

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (109)

.110

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (110)

.111

قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (111)

{وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ}

أي وقد اتبعك الأقلون جاها

ومالاً. أو سِفلةُ الناس أصحاب الصناعات الدنيئة.

.112

قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (112)

.113

إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (113)

.114

وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (114)

.115

إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (115)

.116

قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَانُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (116)

.117

قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (117)

.118

فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (118)

{فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا}

فاحكم بيني وبينهم حُكماً من عندك تهلك به المبُطل، وتنتقم به ممن كفر بك، وجحد توحيدك وكذب رسولك [الأعراف:89].

.119

فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (119)

{فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ}

الموقر المملوء بالناس والدواب والمتاع.

.120

ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (120)

.121

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (121)

.122

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (122)

.123

كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (123)

.124

إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (124)

.125

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (125)

.126

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (126)

.127

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (127)

.128

أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (128)

{أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ}

بكسر الراء – جمع ريعة، وهي المكان المرتفع من الأرض. أو الطريق أو الوادي أو الجبل، استعير الريع للزيادة والارتفاع.

{آيَةً}

أي بناءً شامخاً، كأنه علم.

{تَعْبَثُونَ}

ببنائها إذا لم تكونوا محتاجين إليها، وإنما بنيتموها للتفاخر بها. وقيل (آية) أي بُرْج حمام. وكانوا يبنون البروج في كل ريع للّهو بالحمام. والعَبَثُ: فعل ما لا فائدة فيه، وفعله من باب طرب.

.129

وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (129)

{وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ}

وتعملون حياضاً وبركاً تجمعون فيها مياه الأمطار كالصهاريج؛ واحده مَصنَعةٌ. والمصانع أيضا: المباني من القصور والحصون.

.130

وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (130)

.131

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (131)

.132

وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (132)

{أَمَدَّكُمْ}

أنعمَ عليكم.

.133

أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (133)

.134

وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (134)

.135

إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (135)

.136

قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (136)

.137

إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (137)

{إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ}

أي ما هذا الذي نحن عليه إلا عبادة الأولين من قبلنا التي

درجوا عليها، من اعتقاد أنه لا بعث بعد الموت ولا حساب. وقريءَ (إلا خَلْقُ) بمعنى الاختلاق والكذب، أي ما هذا الذي جئتنا به إلا اختلاق الأولين وكذبهم.

.138

وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (138)

.139

فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (139)

.140

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (140)

.141

كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (141)

.142

إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (142)

.143

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (143)

.144

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (144)

.145

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (145)

.146

أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (146)

.147

فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147)

.148

وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (148)

{وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ}

الطلعُ: اسم من الطلوع وهو الظهور. وأصلُه ثمرُ النخل في أول ما يطلع، وهو بعد التلقيح يُسمَّى خَلالا ثم بَلحا ثم بُسْرا ثم رطبا ثُم تمراً. والهَضيم: اليانعُ النضيج، أو الرّطب اللين، أو المذنِّب، أو المُتهشِّم الذي إذا مُس تفتت، أو الداخل بعضُه في بعض، وهو وصف للطلع المراد به الثَمر مجازا لأوْله إليه. والمقصودُ: الامتنان عليهم بأجود ما يكون عليه ثمر النخل.

.149

وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (149)

{وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا}

النّحت: البَرْيُ. يقال: نَحَته نحتا، إذا براه. والنُّحاتةُ: البُراية.

{فَارِهِينَ}

حاذقين بنحتها؛ من فَرُه – كَكرم – فَرَاهةً وفراهِيَةً، أي حَذَق: فهو فارهٌ بيّن الفروهة، وجمعها فُرَّهٌ. وقرئ (فرهين) بمعنى (فارهين).ويل: بمعنى أشرين بطرين: من فَره – كفرح – أي أشِر وبَطِر: فهو فَرِه.

.150

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (150)

.151

وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151)

.152

الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (152)

.153

قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (153)

{إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ}

أي الذين سُحِروا كثيرا حتى غَلَب على عقولهم السّحر.

.154

مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (154)

.155

قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (155)

{لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ}

أي لها نصيبٌ من الماء ولكم نصيب منه، ليس لكم أن تشربوا في يومها، ولا لها أن تشرب في يومكم الذي هو نصيبكم وفيه دليل مشروعية قسمة المُهيأة في الماء وغيره.

.156

وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (156)

.157

فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (157)

.158

فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (158)

.159

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (159)

.160

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (160)

.161

إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (161)

.162

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (162)

.163

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (163)

.164

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (164)

.165

أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (165)

.166

وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (166)

{أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ}

متعدُّون في الظلم، متجاوزون ما أحله الله لكم إلى ما حرمه عليكم؛ جمع عاد. يقال: عدا في الأمر يعدو، جاوز الحد وظلم.

.167

قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (167)

.168

قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (168)

{مِنَ الْقَالِينَ}

المُبغضين أشدَّ البغض المنكرين فعله؛ جمع قال. يقال: قَلَيْته – من باب رَمَى – قِلى وقِلاء، أبغضته. والقِلَى: أبلغ البُغض؛ كأنه يقلى الفؤاد والكبد ويشويها.

.169

رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (169)

.170

فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (170)

.171

إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (171)

{إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ}

أي في الباقين في العذاب بعد سلامة من خرج؛ وهي امرأته. وقد هلكت فيمن هلك من قومها لرضاها بمعصيتهم.

.172

ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (172)

{دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ}

أهلكناهم أشد إهلاك.

.173

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (173)

{وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا}

حجارة من سجّيل [الأعراف:84].

.174

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (174)

.175

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (175)

.176

كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (176)

{كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ}

الأيكةُ: الغَيضةُ تنبت السِّدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر؛ كما ذكره الخليل. وهي قربُ مَدين، وأصحابها قوم نزلوا بها، وأُرسل إليهم شعيب عليه السلام كما أُرسل إلى أهل مدين فكذبوه فأُهلكوا بالظُّلَّة [الاعراف:85، الحجر:78].

.177

إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (177)

.178

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (178)

.179

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (179)

.180

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (180)

.181

أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (181)

{وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ}

النَّاقصين لحقوق الناس في الكيل والوزن. يقال: خَسَر الشيء – من باب ضرب – نقصه. وأخسره مثله.

.182

وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (182)

{وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ}

بالميزان السَّوي الذي لا بَخس فيه على من وزنتم له.

.183

وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (183)

{وَلَا تَبْخَسُوا}

لا تنقصوا.

{وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}

لا تفسدوا فيها أشد الإفساد بالقتل والغارة وقطع الطريق ونحو ذلك؛ وكانوا يفعلون ذلك [البقرة:60].

.184

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (184)

{وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ}

الجِبلةُ: الأُمّة من الخلق، والجماعة من الناس؛ ومنه قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (62)} [يس]. أي واتقوا الذي خلق الخلائق والأمم الماضية الذين كانوا على خَلْقة وطبيعة عظيمة؛ كأنها الجبال قوة وصلابة، لا سيما عاد الذين قالوا: {مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً} [فصلت:15]. فأخذهم الله أخْذَ عزيز مقتدر حين عتوا عن أمره وأنتم أضعف منهم حالا! وأهونُ شيء عليه أن يأخذكم كما أخذهم. وتُطلق الجبِلة على الخِلقة والطبيعة، أي وذوي الجبلة الأولين.

.185

قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (185)

{إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ}

[آية 153 من هذه السورة].

.186

وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (186)

187

فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (187)

{فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ}

قِطعَ عذاب من السماء؛ جمعُ كِسفة وهي القطعة من الشيء. وقرئ (كِسْفا) بكسر فسكون بمعناه؛ وهي جمع كِسْفة أيضا.

.188

قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (188)

.189

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (189)

{فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ}

وهي سحابة أظلتهم يوماً فوجدوا لها برداً ونسيماً بعد أن سُلِّط عليهم الحر أياما، فاجتمعوا تحتها فألهبها الله عليهم ناراً، ورجت بهم الأرض فاحترقوا جميعا.

.190

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (190)

.191

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (191)

.192

وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192)

.193

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193)

{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ}

هو رُوح القُدس الأمينُ على الوحي: جبريل عليه السلام.

.194

عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194)

.195

بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195)

.196

وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (196)

{وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ}

أي وإنَّ نَعْتَ القران والإخبار عنه بأنه صدق وحق، وأنه من عند الله، وأنه ينزل على محمّد صلى الله عليه وسلم لَمُثّبت في كتب الأنبياء السابقين: جمعُ زبور [آل عمران:184].

.197

أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (197)

.198

وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (198)

{وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ}

أي ولو نزلنا القرآنَ على رجل من الأعجمين لا يقدر على التكلم بالعربية، ولا يُتصور اتهامه باكتسابه واختراعه لعجمته – بهذا النظم الرائق المعجِز؛ فقرأه عليهم قراءة صحيحة خارقة للعادة – لكفروا به، ولتمحَّلوا لجحودهم عذرا ولسمّوه سحرة. جمعُ أعجم، وهو الذي لا يُفصح وفي لسانه عجمة وان كان عربي النَّسب أو جمع أعجمي، إلا أنه حذف منه ياء النسب تخفيفا؛ كأشعرين جمعُ أشعرى [النحل:103].

.199

فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (199)

.200

كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (200)

{كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ}

أي على مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر بالقرآن والتكذيب له، وضعناه ومكَّناه في قلوب المجرمين، فكيفما فُعل بهم وصُنع، وعلى أي وجهٍ دُبِّر أمرهم فلا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من جحوده وإنكاره.

.201

لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (201)

وقوله: {لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ}

توضيح لما قبله: أي أنهم لا يزالون على جحوده والتكذيب به: حتى يعاينوا الوعيد، وعندئذ لا ينفعهم الإيمان به.

.202

فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (202)

{فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً}

فجأةً من غير تَوقُّع وانتظار.

.203

فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (203)

{هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ}

ممهلون لِنؤمن؟ كَلاَّ.

.204

أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (204)

.205

أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205)

{أَفَرَأَيْتَ}

أخبرني

{إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ}

طوالا، بطول العمر وطيب العيش.

.206

ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206)

{ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ}

من العذاب.

.207

مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (207)

{مَا أَغْنَى عَنْهُمْ}

أيْ أيُّ شيء أغنى عنهم

{مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ}

أي تمتُّعهم ذلك التمتع

[الأنعام:40].

.208

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ (208)

.209

ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ (209)

.210

وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (210)

{وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ}

كما يزعم المشركون أن لمحمد صلى الله عليه وسلم تابعا من الجن يخبره كما تُخْبرُ الكهنة. وأن القرآن ما ألقاه إليه.

.211

وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (211)

.212

إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (212)

.213

فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213)

{فَلَا تَدْعُ .. }

الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمقصود أمّتُه.

.214

وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214)

{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}

جهرا. ولما نزلت صَعِد صلى الله عليه وسلم على الصفا وأنذرهم كما أُمر.

.215

وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215)

{وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ}

ألِن جانبك وتواضع.

.216

فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (216)

.217

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217)

.218

الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (218)

.219

وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (219)

{وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ}

أي ويرى سبحانه تغيّرك من حالٍ كالجلوس والسجود، إلى حال كالقيام فيما بين المصلين إذا أممتهم.

.220

إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (220)

.221

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (221)

.222

تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (222)

{أَفَّاكٍ أَثِيمٍ}

كذّابٍ كثير الإثم، كالكهنة والمتنبئين.

.223

يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (223)

.224

وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224)

{وَالشُّعَرَاءُ}

أي شعراءُ الكفار الذين كانوا يهجون الرسول صلى الله عليه وسلم ويقولون فيه الكذب والباطل، وكذلك من على شاكلتهم من الشعراء الذين يخوضون في الباطل ويكذبون ويمزّقون الأعراض، وينشرون المثالب ويقدحون في الأنساب، ويُفرطون في المدْح والقدح –

{يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ}

أي غواة الناس؛ فيروون أشعارهم ويستحسنون قبائحهم ويُحسنون إليهم.

.225

أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225)

{يَهِيمُونَ}

يخوضون ويذهبون كل مذهب.

.226

وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226)

.227

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (227)

والله أعلم.

سُورةُ النَّملِ

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (1)

{تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ .. }

بين الله أن آيات هذه السورة من القرآن المنزل والكتاب المبين: هُدى وبشرى للمؤمنين؛ وعَطفُ

الكتاب على القرآن كعطف احدي الصفتين على الأخرى. ووصف المؤمنين بثلاث صفات جامعة بين خيري الدنيا والآخرة، ثم بين بعدها سوء عاقبة الكافرين.

.2

هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (2)

{هُدًى}

هادٍ من الضلالة.

.3

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (3)

.4

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (4)

{زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ}

حببَنا إليهم أعمالهم السيئة بما ركبنا فيهم من الشَّهوات حتى رأوها حسنة وسهلنا عليهم وسائلها ومباديها.

{فَهُمْ يَعْمَهُونَ}

أي يَعْمَون عن الرشد، أو هم في تيه الضلال يترددون [البقرة:15].

.5

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (5)

.6

وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (6)

.7

إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (7)

{إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ}

اشتملت هذه السّورة على خمس قصص: قصة موسى، وقصة النَّمل، وقصة بلقيس [بكسر الباء وكسر القاف؛ ملكة سبأ]، وقصة صالح، وقصة لوط. ثم على خمسة أدلة على التوحيد و إبطال الشرك، ثم على التنديد بمنكري البعث، ثم على اليوم الآخر وما يصيب المشركين فيه من الهول والعذاب، ثم على الأمر بعبادة الله وحده.

{آنَسْتُ نَارًا}

يقال: آنس الشيء، أبصره وعلمه وأحس به.

{بِشِهَابٍ قَبَسٍ}

بشُعلة نار مقبوسة: أي مأخوذة من أصلها. والشِّهاب في الأصل: كلُّ أبيض ذي نور نحو الكوكب والعُود المُوقَد. والقَبَس: ما يُقبس من النار في رأس عود أو قصبة ونحوها، وهو بدل من (شهاب)، أو صفة له على تأويله بالمقبوس. وقرئ بالإضافة وهي بمعنى من؛ كما في خاتَّم فضة.

{لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ}

رجاء أن تستدفئوا بها من البرد. والاصطلاء: الدُنُوُّ من النار لتسخين البدن، وهو الدفء. يقال: اصطلى يصطلي، إذا استدفأ، والطاء فيه مبدل من تاء الافتعال.

.8

فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (8)

{بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا}

قُدِّس وطُهِّر واختير للرسالة من في مكان النار، وهو موسى عليه السلام ومن حول مكانها، وهم الملائكة الحاضرون. والمكان: هو البُقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى: {مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ} [القصص:30]. وهو تحيةٌ من الله تعالى لموسى؛ كما حيّا إبراهيم عليهما السلام على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه بقولهم: {رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (73)} [هود]. وأصل البَرَكة: – ثبوت الخير الإلهي في الشيء. والخير هنا: تكليم الله موسى وإرساله وإظهار المعجزات له. والنّار: النور؛ كما روي عن الحبر رضي الله عنه.

{وَسُبْحَانَ اللَّهِ}

نزّه الله نفسه عن كل سوء ونقص و مماثلة للحوادث، وهو من تتمة النداء، وخبرٌ منه تعالى لموسى بالّتنزيه؛ لئلا يتوهم من سماع كلامه تعالى التشبيه بما للبشر.

.9

يَامُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (9)

.10

وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (10)

{تَهْتَزُّ}

تتحرك بشدة واضطراب.

{كَأَنَّهَا جَانٌّ}

أي كأنها في شدة حركتها واضطرابها مع عظم جُثَتِّها: حيةٌ صغيرة سريعة الحركة. وقال الطبري: الجان الحيةُ العظيمة.

{وَلَمْ يُعَقِّبْ}

أي لم يرجع على عَقِبه؛ من عقب المقاتل: إذا كرَّ بعد الفرار.

.11

إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (11)

.12

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (12)

{وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ}

أي أدخل يدك اليمنى في طَوق قميصك – وهو مدخل الرأس منه المفتوح إلى الصدر – وضعها تحت عَضدك الأيسر؛ وكان الذي عليه يومئذ مِدْرَعة من صوف لا كُمَّ لها.

{تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ}

أي داء بَرَص [طه:22].

{فِي تِسْعِ آيَاتٍ}

أي آية معدودة من جملة تسع آيات [الإسراء:101].

.13

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (13)

{جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً}

واضحة بينه. و إسنادُ الإبصار إلى الآيات مجاز، من الإسناد إلى السبب. والمبصرُ حقيقة هم المتأملون فيها، وهم إنما يُبصرونها بسبب تأملهم فيها.

.14

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (14)

{ظُلْمًا}

للآيات حيث أنزلوها عن منزلتها الرفيعة وسمَّوْها سحرا.

{وَعُلُوًّا}

أي ترفُّعًا واستكبارا عن الإيمان بها.

.15

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15)

.16

وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (16)

{عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ}

فَهْمَ ما يريده كل طائر إذا صوَّت، وهو إحدى معجزاته عليه السلام.

.17

وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (17)

{فَهُمْ يُوزَعُونَ}

أي تُحبس أوائلهم وتُمنَعُ من السير حتى يَلحقهم أواخرهم؛ فيكونون مجتمعين لا يتخلف منهم أحد. وذلك للكثرة العظيمة؛ من الوزع وهو الكفُّ والمنع. يقال: وزَعَه عن الظلم وزْعا –كوضَعه وضْعاً –، أي كفه عنه فاتزع؛ أي فانكف، ومنه قولهم: لابد للناس من وازع: أي سلطان يكفُّهم. والوازع في الحرب: من يدبِّر أمور الجيش، ويردُّ من شَذَّ منهم.

.18

حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18)

{لَا يَحْطِمَنَّكُمْ}

أي لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنكم جنودُ سليمانَ؛ على حدِّ: لا

أرَيك ههنا: أي لا تحضرُ هنا بحيث أراك. والمراد من الحَطْم: الإهلاك، وأصله كسر الشيء: يقال: حَطَمَه يَحْطمُه، كَسَره، فانحطم وتحطّم. وقد علمت النمّلة أن الآتي هو سليمانُ بطريق الإلهام؛ كما علم الضبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تكلم معه وشهِد له بالرسالة، ونطقت معجزة له عليه السلام.

.19

فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19)

{أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ}

ألهمني شكر نعمتك بالنبوة والملك والعلم: من الوَزع وهو الكفُّ والمنع. أي كفّني عما يؤدي إلى كفران النعمة بأن تلهمني ما به تقييدها من الشكر. أو اجعلني أزَعُ شكر نعمتك، أي أكفُّه وأرتبطُه بحيث لا ينفلتُ عنّي حتى لا أنفك شاكرا لك. وهو مجازٌ عن ملازمة الشكر والمداومة عليه. أو رغبني ووفقني إلى شكر نعمتك؛ من أوْزعه بالشيء، أغراه، فأُوزع به فهو مُوزَع أي مغرّي به.

.20

وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20)

.21

لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (21)

{بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ}

بحجة تبين عذره في غيابه.

.22

فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22)

{أَحَطْتُ}

أي بطريق الإلهام.

{مِنْ سَبَإٍ}

هو في الأصل اسمٌ لسَبَأ بن يشجب بن يعرُب بن قحطان، ثم صار اسماً لحَيّ من الناس سُمُّوا باسم أبيهم. أو اسم للقبيلة، أو لمدينة تعرف بِمأرب باليمن بينها وبين صنعاء مسيرةُ ثلاث ليال. وعلى الأوّل هو اسمٌ مصروفٌ، وعلى الثاني ممنوعٌ من الصَّرف للعَلَمية والتأنيث.

.23

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23)

{امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ}

هي بلقيس بنت شراحيل من نسل يَعْرُب بن قحطان، وكان أبوها ملك اليمن كلها، وكانوا مجوساً يعبدون الشمس.

{وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ}

هو سرير الملك المشار إليه في قوله تعالى: {أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا}.

.24

وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24)

.25

أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25)

{أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ .. }

أي وزين لهم الشيطان أعمالهم لأجل ألا يسجدوا لله عزّ وجل.

{يُخْرِجُ الْخَبْءَ}

يظهر الشيء المخبوء {فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} كائنا ما كان؛ من غيثٍ في السماء، ونباتٍ في الأرض، وأسرارٍ في الكائنات، وخواص في الموجودات؛ يهدي إليها من يشاء من عباده، أفرادا وأمة على تعاقب العصور. والخبءُ في الأصل: مصدر خَبَأت الشيء أخْبؤه خَبَأً، أي سترته. ثم أطلق على الشيء المخبوء؛ كإطلاق الخلق على المخلوق في قوله تعالى: {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ} [لقمان:11].

.26

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (26)

.27

قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27)

.28

اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28)

{تَوَلَّ عَنْهُمْ}

تنَحَّ عنهم قليلاً.

.29

قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29)

{يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ}

الملأ: أشراف القوم. {كِتَابٌ كَرِيمٌ}

مكرَّم معظَّم لكونه مختوماً. وفي الأثر: كرامةُ الكتاب خَتْمُه. وذكرت لهم ما تضمنه.

.30

إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30)

.31

أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31)

{أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ}

ألا تتكبروا عَلَيَّ.

.32

قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (32)

.33

قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33)

{وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ}

أصحابُ نجدة وشجاعة وبلاء في الحرب.

.34

قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (34)

{إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا}

أي إذا دخلوها عَنْوة في حرب خرّبوها وأتلفوها.

.35

وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35)

.36

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36)

.37

ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (37)

{ارْجِعْ إِلَيْهِمْ}

أي إلى بلقِيس وقومِها بما أتَيْتَ من الهدية.

{لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا}

لا قدرة لهم على مقابلتها ومقاومتها. وأصل القِبَل: المقابلة: فجُعل مجازا أو كناية عن القدرة.

{وَهُمْ صَاغِرُونَ}

ذليلون بالأسر والاستعباد.

.38

قَالَ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38)

{أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا}

وكان بين سبأ وبيت المَقدس – حيث مُلك سليمان – مسيرة شهرين؛ وقد طلب سلمان عليه السلام إحضار عرشها ليريها القدرة الإلهية، وبعض ما خصه الله من العجائب، ويشهدها دلائل النبوة والصدق.

{يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ}

مستسلمين طائعين، وقد وقع ذلك كما يدل عليه قوله تعالى: { ... وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44)} [نفس السورة].

.39

قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39)

{قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ}

أي ماردٌ قويٌّ من الشياطين. وقد سُخّروا لسليمان عليه السلام تسخيرا الهيّا، كما يسَخَّر الإنسان للإنسان، ويقال للشديد إذا كان فيه خُبثٌ ودهاء: عِفريتٌ وعِفرٌ وعفريةٌ وعُفاريَةٌ.

.40

قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40)

{قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ}

هو رجل من صُلحاء بني اسرائيل، آتاه الله من لدنه علماً؛ اسمهُ آصف بن برخيا وكان وزير سليمان عليه السلام. وقيل: هو سليمان نفسه، قال ذلك للعفريت؛ للدلالة على شرف العلم وفضله، وأن هذه الكرامة كانت بسببه.

{أَنَا آتِيكَ بِهِ .. }

هو تمثيلٌ لسرعة الإتيان به على نحو خارق للعادة في أقل مسافة.

{طَرْفُكَ}

نظرك، أو جفن عينك بعد فتحه.

{لِيَبْلُوَنِي}

ليختبرني ويمتحنني.

{أَأَشْكُرُ}

نعماءه {أَمْ أَكْفُرُ}

أترك شكرها.

.41

قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41)

{قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا}

أي قال سليمان. وقد أُتِيَ له بالعرش: غيّروه عما كان عليه من الهيئة والشكل – إلى حالٍ تُنْكِره إذا رأته؛ من التنكير ضده التعريف، وهو جعل الشيء بحيث لا يعرف.

.42

فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (42)

{وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا .. }

هو من كلام سليمان – على الأرجح –، وآخرهُ: {مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ}؛ قاله ثناء على الله تعالى وتَحدُّثا بنعمه. أي أنها وإن هُديت إلى العلم بجلال الله وقدرته، وصدق الرسالة والمعجزة وإلى الإسلام؛ لكنّا أوتينا العلم من قبل أن تُؤْتَى هي العلم، وكنا مسلمين من قبل أن تُسلم، والجملة معطوفة على مقدَّر، أي فقد أصابت في الجواب وعرفتِ الحقّ، وأوتينا العلم من قبلها.

.43

وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (43)

.44

قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44)

{ادْخُلِي الصَّرْحَ}

أي صَرْحَ القصر. والصّرحُ: الصّحنُ والسّاحه. يقالُ هذهِ صرحةُ الدّار؛ أي ساحتها وعَرصَتُها. وكان قد صُنِع مستوياً أملس، واتُّخِذ بلاطه من زجاج صاف كالبلور – يرى ما يجري تحته من الماء.

{فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً}

ظَنته ماء غزيرا كالبحر.

{إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ}

أي مُمَلَّس؛ من قولهم: شجرة مرداء، إذا لم يكن عليها ورق. والتمريد في البناء: التمليس والتسوية؛ ومنه الأمرد لملاسة وجهه ونعومته لعدم وجود الشعر به.

{مِنْ قَوَارِيرَ}

من زجاج لا يحجب ما وراءه؛ جمع قارورة.

.45

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (45)

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ}

أي إلى القبيلة، وتسمَّى عادا الثانية. وأما عاد الاولى فهم قوم هود. وبينها على ما قيل نحو مائة عام.

.46

قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (46)

.47

قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (47)

{قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ}

أي قال الكافرون من قومه لجهلهم: أصابنا الشؤم والنحس بك وبمن معك في دينك؛ حيث توالت علينا الشدائد منذ جئت بما جئت به. وكان العربُ أكثر الناس طيرةً، فإذا أراد أحدهم سفرا مثلا زجر طائراً فإذا طار يَمنة تيامن، وإذا طار يسرةً تشاءم: فنسبوا الخير والشر إلى الطائر، وأستُعير لما كان سببا لهما، وهو قَدَر الله أو عمل العبد الذي هو سبب الرحمة أو النَّقمة. وفي القرطبي: ولا شيء أضرُّ بالرأي، ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطِّيَرَة، ومن ظنَّ أن خُوار بقرة، أو نَعيب غراب يرد قضاء أو يدفع مقدورا فقد جَهِل. فلما قالوا ذلك {قَالَ} لهم صالح:

{طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ}

أي سبب ما يصيبكم من الشر قَدَرُ الله، أو عملكم السِّيىء مكتوب عليكم عنده تعالى.

{بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ}

تُختبرون بتعاقب السَّراء والضراء، لتتنبهوا إلى أن ما يَنالكم من حسنة فبفضل الله، وما يصيبكم من سيئة فبشؤم أعمالكم، أو يَفتِنكم الشيطان بوسوسته إليكم الطِّيَرة.

.48

وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (48)

{وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ}

وهي الحِجر.

{تِسْعَةُ رَهْطٍ}

تسعة أشخاص من رؤسائهم؛ وهم الذين سَعَوْا في عقر الناقة [هود:92].

.49

قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (49)

{قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ}

أي قال بعضهم لبعض: أحلفوا بالله

{لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ}

لنأتيته بغتةً في الليل فنقتله هو ومن آمن معه؛ من البيات وهو مباغتة العدو ليلاً. يقال: بيَّت القومُ العدوَّ، إذا أوقعوا به ليلا.

{مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ}

ما حضرنا هلاكهم، أي وهلاكه، مصدرٌ كمَرْجع، من هَلك الثُّلاثي. وقرئ بضم الميم وفتح اللام، أي إهلاكهم وإهلاكه، من أهلك الرُّباعي.

.50

وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (50)

{وَمَكَرْنَا مَكْرًا}

دبرنا لصالح ومن آمن معه تَدبيراً محموداً، وهو نجاتهم ومجازاةُ

المتآمرين عليهم من قومهم؛ بالإهلاك والتدمير على غِرَّة وغَفلةٍ.

.51

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (51)

{دَمَّرْنَاهُمْ}

أهلكناهم.

.52

فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (52)

{خَاوِيَةً}

خالية خربة أو ساقطة مهدمة.

.53

وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (53)

.54

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (54)

{وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ}

لا تبالون إظهارها مجانة.

.55

أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (55)

.56

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (56)

{أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ}

أي لوط وأهلَه، كما يراد من بني آدم؛ آدم و بنوه. أو المرادُ بآل لوط: من اتَّبع دينَه، ويُعلم منه إخراجه بالأوْلى.

{يَتَطَهَّرُونَ}

يَتنزهون ويتباعدون عن أفعالنا. قال ذلك على سبيل الاستهزاء.

.57

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ (57)

{قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ}

قدّرنا كونها من الباقين في العذاب [الأعراف:83].

.58

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (58)

{مَطَرًا}

حجارة من السماء مهلكة.

.59

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (59)

{آللَّهُ خَيْرٌ}

الألفُ منقلبةٌ عن همزة الاستفهام، أي آلله الذي ذُكرت شئونه العظيمة خيرٌ، أم الذي يُشركونه به من الأصنام!؟ أو أعبادةُ الله خير أم عبادة ما يشركونه؟.

.60

أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60)

{أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ... }

في هذه الآية والآيات الأربع التالية خمسة أدلة على انفراده تعالى بالخلق والإيجاد، والتصرف والتدبير؛ فلا إله غيره، ولا يستحق العبادة سواه. وقد عقب كل دليل بقوله: أإله مع الله "! أي أغيره يقرن به سبحانه! ويجعل شريك له في العبادة؛ مع تفرده تعالى: بالخلق والتكوين؟! والإنكار للتوبيخ والتَبْكيت.

{حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ}

بساتين ذات نظر حسن، ورونق يَسرُّ الناظرين، جمع حديقة. وهي في الأصل البستان الذي عليه حائط؛ من أحدق بالشيء: إذا أحاط به، فإن لم يكن مَحْوطاً فليس بحديقة؛ ثم توسع فيها فاستعملت في كل بستان وإن لم يكن مَحُوطا بحائط.

{بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ}

أي يعدلون عمداً عن الحق الواضح وهو التوحيد،

إلى الباطل البين وهو الشرك، من العدول بمعنى الانحراف. أو يساوون بالله تعالى غيره من آلهتهم؛ من العدل بمعنى المساواة.

.61

أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (61)

{الْأَرْضَ قَرَارًا}

مستقرا بالدَّحْو والتسوية.

{وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ}

جبالا ثوابتَ تُمسكها من التحرك والاضطراب.

{وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا}

فاصلا من الأرض بين العَذْب والمِلح، حتى لا يَبغي أحدهما على الآخر.

.62

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (62)

.63

أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (63)

{يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا}

مُبَشِّرات بالغيث [الأعراف:57].

{رَحْمَتِهِ}

المطر الذي به تحيا الأرض.

.64

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (64)

{هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ}

حجتكم على أن معه تعالى إلها آخر، أو أن صانعاً يصنع صنعه.

.65

قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (65)

{قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ .. }

سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة وألحُّوا عليه في السؤال؛ فنزلت الآية. أي لا يعلم أحد ممن في السموات والأرض الغيب إلا الله، أي لكن الله وحده يعلمه، فما لكم تطلبون مني علم الغيب!.

.66

بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ (66)

{بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ}

التَّدارُكُ: الاضمحلال والفناء، وأصله التتابعُ والتَّلاحُق. يقال: تدارك بنو فلان، إذا تتابعوا في الهلاك، و (في) بمعنى الباء، أي بل تتابع علمهم في شئون الآخرة التي منها البعث، حتى اضمحل وفنى، ولم يبق لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعاً؛ مع توافر أسبابه ومباديه من الدلائل. والمراد: أن أسباب علمهم بها مع توافرها قد – تساقطت عن درجة اعتبارهم؛ فأُجريَ ذلك مُجرى تابعها في الانقطاع.

{بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا}

أي بل هم في شكٍ عظيم من نفس الآخرة وتحققها، فضلا

عما سيقع فيها.

{بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ}

عُميٌ عن دلائلها، أو عن كل ما يوصّل إلى الحق ومنها هذه الدلائل.

.67

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ (67)

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا}

وهم منكرو البعث.

.68

لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (68)

{أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}

أباطيلُهم التي سطروها في كتبهم.

.69

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (69)

.70

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (70)

{فِي ضَيْقٍ}

حَرج وضِيق صدر.

.71

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (71)

.72

قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (72)

{عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ}

الرَّدِف: ما تبع الشيء ولحِقه. يقال: رَدِفتُ فلانا وردِفتُ له، أي صِرتُ له ردفاً، يتعدَّى بنفسه وباللام، كما في نَصَحه ونَصَح له، وشَكَره وشكر له. أي عسى أن يكون لَحقكم ووصل إليكم بعضُ العذاب الذي تستعجلون حلولَهُ.

.73

وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (73)

.74

وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (74)

{مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ}

ما تخفي وتستر من الأسرار.

.75

وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (75)

{غَائِبَةٍ}

شيء يغيب ويخفي عن الخلق.

.76

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (76)

.77

وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (77)

.78

إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (78)

.79

فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (79)

.80

إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (80)

.81

وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (81)

.82

وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (82)

{وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ}

أي دنا وقوعُ ما نطقت به الآيات الكريمة من مجيء الساعة وأهوالها.

{أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ}

في آخر الزمان، وهي من أشراط الساعة الكبرى، والله أعلى بحقيقتها. والدَّابة لغة: اسم لما دب من الحيوان، مُمَيّزه وغيرُ مميّزة.

{تُكَلِّمُهُمْ}

تخبرهم

{أَنَّ النَّاسَ}

المنكرين للبعث

{كَانُوا بِآيَاتِنَا}

أي بالآيات؛ المنزَّلة من عند الله بمجيء الساعة لا محالة

{لَا يُوقِنُونَ}

بصدقها، وها هي ذي قد أصبحت بأهوالها منهم قاب قوسْين أو أدْنى.

.83

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (83)

{وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا}

بيانٌ لطرف من أهوال يوم

القيامة. أي واذكر يومَ نجمع من كل أمة جماعة كثيرةً مكذبة بآياتنا، وهم الرؤساء والقادة. وأصلُ الفَوْج: الجماعه المارة بسرعةٍ، ثم أطلق على كل جماعة وإن لم يكن مرورٌ ولا إسراع، وجمعه أفواج.

{فَهُمْ يُوزَعُونَ}

[آية 17 من هذه السورة].

.84

حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (84)

.85

وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ (85)

.86

أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (86)

.87

وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ (87)

{وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ}

واذكر هذا اليوم العظيم الشأن. والصُّور: القرن الذي ينفخ فيه نفخة الصعق والبعث، قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (68)} [الزمر]. ونحن نؤمن بالصُّور و نفوض علم حقيقته إلى علام الغيوب. والمراد هنا: النّفخةُ الثانية. والفزعُ الحاصل فيها؛ هو الرعب الذي يصيب الناس من مشاهدة الأمور الهائلة في ذلك اليوم.

{فَفَزِعَ}

خاف خوفاً يستتبع الموت.

{وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ}

أذِلاء صاغرين. يقال: دَخَر الشخصُ –كَمنع وفَرِحَ – دخَراً ودُخُورا، صَغُر وذلَّ. وأدخرته بالهمز للتَّعدية. والدّاخر: الصاغِرُ الراغم.

.88

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (88)

{مَرَّ السَّحَابِ}

أي تمرّ في الجوّ مرَّ السحب التي تسيرها الرياح سيرا حثيثا.

.89

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (89)

.90

وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (90)

{فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ}

أُلقوا بسبب شِركهم في النار على وجوههم منكوسين.

يقال: كبّه وأكبّه، إذا نَكسه وقلبه على وجهه. و كُبْكبوا: إذا فُعل ذلك بهم مرة بعد أخرى؛ قال تعالى: {فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (94)} [الشعراء].

.91

إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (91)

.92

وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ (92)

.93

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (93)

والله أعلم.

سُورةُ القَصَصِ

بسم الله الرحمن الرحيم

وتُسمى سورةَ موسَى

.1

طسم (1)

.2

تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (2)

.3

نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (3)

.4

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (4)

{عَلَا فِي الْأَرْضِ}

استكبر وتجبر في أرض مصر، وجاوز الحد في العدوان حتى ادعى الربوبية، من العُلو وهو الارتفاع.

{وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا}

أي فِرقا وأصنافا في أنواع الخِدْمة والتسخير في الأعمال الشاقة [الأنعام:65].

{وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ}

يستبقى بناتهم للخدمة.

.5

وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5)

.6

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (6)

{وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ}

نُسَلِّطهم عليها يتصرفون فيها كيف شاءوا. وأصل التمكين: أن تجعل للشيء مكانا يتَمَّكن فيه، ثم استعير للتسليط وإطلاق الأمر، وشاع حتى صار حقيقة لغوية فيه.

{يَحْذَرُونَ}

يخافون من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود من بني إسرائيل، من الحَذَر وهو الاحتراز من الأمر المخيف.

يقال: حَذِره – من باب عَلِم – اذا احترز منه.

.7

وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7)

{وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى}

أي ألهمناها، ولم تكن نبيّة بالإجماع.

.8

فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8)

{لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا}

ليصير الأمر إلى ذلك، فاللام لامُ الصيرورة والعاقبة. والحَزْن– بالتحريك وبضم فسكون– نقيض السرور، وفعله كفرحَ. وحَزَنه الأمر وأحزنه: جعله حزينا.

{كَانُوا خَاطِئِينَ}

مذنبين آثمين.

.9

وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9)

{قُرَّتُ عَيْنٍ}

أي هو قرة عين

{لِي وَلَكَ}

وهو كناية عن السرور به [مريم:26].

.10

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10)

{فَارِغًا}

خاليا من الفكر في شيء سوى ابنها موسى الذي وقع في يد العدو.

{إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ}

أي لتصرِّح بأنه ابنها من شدة وجدها عليه؛ من بَدَا يبدو بَدْوا وبَداء: ظهر ظهورا بينا.

{لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا}

ثبتناه وقويناه بالهامها الصبر، وبما أنزلنا فيه من السكينة. وأصلُ الرَّبط: الشدُّ للتقوية؛ ومنه رابط الجأش: لقويّ القلب.

.11

وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (11)

{قُصِّيهِ}

اتبعي أثره وتتبَّعي خبره. يقال: قص أثره يقصُّه واقتصّه وتقصصه. تتبَّعه؛ ومنه القصص للأخبار المتتبعة.

{فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ}

فأبصرته عن بُعد أو من مكانٍ بعيدٍ.

.12

وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (12)

{يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ}

يقومون بتربيته لأجلكم.

.13

فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (13)

{تَقَرَّ عَيْنُهَا}

تسر وتفرح بولدها.

.14

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (14)

{بَلَغَ أَشُدَّهُ}

نهاية قوته ونموّه

{وَاسْتَوَى}

أي وتم استحكامُه وكمُل عقله، من الاستواء، وهو اعتدال العقل وكمالُه. والأغلب أن يكون ذلك – في سن الأربعين.

{حُكْمًا}

نُبوَّةً.

.15

وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (15)

{وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ}

هي مصرُ، أو مَنْفُ، أو عين شمس من بلاد القطر المصري.

{فَوَكَزَهُ مُوسَى .. }

ضربه بيده مضمومة أصابعُها في صدره وهو لا يريد قَتله، وإنما قصد دفعه فكانت فيه نفسُه. والوَكزُ: الضرب بجَمعِ الكف.

.16

قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (16)

.17

قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ (17)

{ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ}

مُعينا لمن أوقع غيره في جُرم.

.18

فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (18)

{يَتَرَقَّبُ .. }

يَترصد

الأخبار هل وقفوا على ما كان منه، يقال: ترقبه وارتقبه انتظره ورَصَده.

{يَسْتَصْرِخُهُ}

يستغيث به من قبطي آخر بصوت مرتفع؛ من الصُّراخ وهو رفع الصَّوت؛ لأن المستغيث يصرخ رافعا صوته في طلب الغَوْث.

{لَغَوِيٌّ مُبِينٌ}

ضالٌّ بَيْن الضلالة لتسبُّبك في قتل رجل.

.19

فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَامُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (19)

{يَبْطِشَ}

يأخذ بقوة وعنف.

{قَالَ يَامُوسَى}

القائل هو الإسرائيلي الذي استصرخ موسى حيث توهم إرادته البطش به دون القبطى من قول موسى له: {إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ} وقيل: القائل هو القبطي حيث فهم من قول موسى للإسرائيلي: {إِنَّكَ لَغَوِيٌّ} أنه هو الذي قتل القبطيَّ بالأمس.

.20

وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (20)

{وَجَاءَ رَجُلٌ .. }

هو مؤمن آل فرعون

{يَسْعَى}

يسرع في المشي.

{إِنَّ الْمَلَأَ}

وجوه القوم وكبراءهم.

{يَأْتَمِرُونَ بِكَ}

يأمر بعضهم بعضا بقتلك. أو يتشاورون في شأنك ليقتلوك؛ وسُمّيَ التَّشاورُ ائتماراً لأن كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر.

.21

فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (21)

.22

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (22)

{تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ}

قَّصَد ما يحاذي جهتها.

{تِلْقَاءَ}

اسم مصدر في الأصل منصوب على الظَّرفية. يقال: دارُه تلقاء دار فلان، إذا كانت محاذية لها. و (مَدْين): قرية شعيب عليه السلام، ولم تكن في سلطان فرعون وملكه، وبينها وبين مصر مسيرة ثماني ليال.

{سَوَاءَ السَّبِيلِ}

الطريق الوسط الذي فيه النجاة.

.23

وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23)

{أُمَّةً مِنَ النَّاسِ}

جماعة كثيرة منهم.

{يَسْقُونَ}

مواشيهم.

{تَذُودَانِ}

تطردان أغنامها عن الماء؛ حتى يفرغ الناس وتخلوا لهما البئر؛ من الذود بمعنى الطرد والدفع.

{قَالَ مَا خَطْبُكُمَا}

ما شأنكما لا تسقيان مع الناس؟! والخطب: الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب.

{قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ}

أي حتى يَصرف الرعاة مواشيهم بَعدَ ريّها عن الماء عجزا

عن مساجلتهم؛ من أصدر الرباعي. وقُرئ بفتح أوله؛ من صَدَر الثلاثي. والصَّدَر عن الشيء: الرجوع والانصراف عنه؛ ضد الورود. يقال: صَدَر عنه يَصْدِر ويَصْدُر صدرا، رجع، والاسم بالتحريك. والرِّعاء: جمع الرَّعي وهو الحفظ.

.24

فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24)

.25

فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (25)

{تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ}

مع استحياء، قد سترت وجهها بثوبها. والاستحياءُ والحياء: الحِشمة والانقباضُ والانزواء. يقال: استحيَيته واستحيَيْت منه. واستحياه واستحيا منه.

.26

قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (26)

.27

قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27)

{عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي}

نفسك

{ثَمَانِيَ حِجَجٍ}

أي في ثماني سنين، أي على أن تكون لي فيها أجيرا؛ من أجرته أي كنت له أجيرًا؛ مثل أبَوْتُه: أي كنت له أبا. أو على أن تثيبني رعيَ ثماني حِججٍ؛ أي تجعله ثوابي وأجرى على الإنكاح، يعني بذلك المهر؛ من أجره الله على ما فعل، أي أثابه، والمفعول الثاني (ثَمَانِيَ حِجَجٍ) بتقدير المضاف المذكور؛ لأن العمل هو الذي وقع ثوابا لا نفس الزمان.

.28

قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (28)

.29

فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (29)

{آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا}

أبصرها وأحسّها من الجهة التي تلي جبل الطُّور؛ وقد ظنّها نارا وهي من نور الله، من الإيناس وهو الإبصار بالعْين الذي لا شُبهة فيه.

أو {أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ}

أي عود من الخشب في رأسه نار، وهي القبس.

{لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ}

تستدفئون بها من البَرد [النمل:7].

.30

فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (30)

{مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ}

جانبه الذي عن يمين موسى؛ وجمعه شُطْآن وشواطى.

{فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ}

البُقْعة: القطعةُ من الأرض على غير هيئة التي إلى جانبها؛ وجمعها بُقع وبقاع. ووصفت بـ (المباركة) لما وقع فيها من التعليم والرسالة. وظهر فيها من الآيات والمعجزات.

{مِنَ الشَّجَرَةِ}

أي من ناحيتها.

.31

وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (31)

{تَهْتَزُّ}

تتحرك بشدة وأضطراب.

{كَأَنَّهَا جَانٌّ}

حيةٌ في سرعة حركتها وخفتها.

{وَلَّى مُدْبِرًا}

هاربا خوفاً منها.

{وَلَمْ يُعَقِّبْ}

لم يرجع على عقبه [النمل:10].

.32

اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (32)

{اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ}

[النمل:12]

{بَيْضَاءَ}

لها شعاع يغلب شعاع الشمس.

{غَيْرِ سُوءٍ}

غير داء برص ونحوه.

{وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ}

أي إذا هالك أمرُ يدك وما تراه من شعاعها فأدخلها في جيبك تعد إلى حالتها الأولى. أو إذا فَزِعت عند معاينة الحية، فاضمم يدك إلى صدرك يذهب عنك الفزع. والجَناحُ: اليدُ. والرَّهْب – بفتح فسكون، وقرئ بفتحتين وبضم فسكون –: الخوف والفزع.

.33

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (33)

.34

وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (34)

{رِدْءًا}

عَوْنا. يقال: ردأْته على عدوه وأرْدأْته، أعنته عليه. وردأْت الحائط: دعمته بخشبة لئلا يسقط.

.35

قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ (35)

{سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ}

سنقوّيك به ونُعينك. وشَدُّ العضد كناية عن تقويته؛ لأن اليَد تشتد بشِدة العضْد – وهو من المرفق إلى الكتِف – والجملةُ تقوى بشدّة اليّد

على مزوالة الأمور.

{سُلْطَانًا}

حجة أو تسلطاً وغلبة.

.36

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (36)

{سِحْرٌ مُفْتَرًى}

مختلقٌ. أو سحر تعلمته ثم افتريته على الله تعالى كذبا.

.37

وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (37)

{عَاقِبَةُ الدَّارِ}

أي عاقبةُ الدنيا وهي الجنة.

.38

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38)

{مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي}

أراد بنفي علمه بإله غيره نفي وجوده؛ لزعمه أنه لو كان موجودا لعَلِمه، وهو لم يعلمْه فكان غير موجود.

{فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا}

بناءً عاليا كالقصر: من صَرَح الشيءَ وصَرَّحَه: إذا بينه وأظهره.

{لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى}

أراد به التهكم بموسى؛ كأنه نسب إليه القول بأن اله في السماء فقال لوزيره: ابْنِ لي صرحاً أصعَد فيه لعلِّي أراه؛ تهكما بموسى.

{وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ}

في إثباته إلها غيري، وأراد بالظن اليقين، فلا يُنافي ما ادعاه أولاً من اليقين بعدم وجود اله غيره. وكذا طلبُه بناء الصَّرح رجاء الأطلاع على إله موسى؛ لا ينافي يقينه بعدم وجوده؛ لأنه على سبيل التهكُّم والسُّخرية.

.39

وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (39)

.40

فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (40)

{فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ}

ألقيناهم وأغرقناهم في البحر.

.41

وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ (41)

{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً}

قُدْوة في الضلال والكفر، يتبعهم غيرُهم فيه؛ فيكون عليهم وزرُهم ووِزرُ أتباعهم.

.42

وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (42)

{لَعْنَةً}

طرداً و إبعاداً عن الرحمة.

{مِنَ الْمَقْبُوحِينَ}

المطرودين المبعَدين؛ جمعُ مقبوح، قبحَه الله؛ أي نَحّاه وأبعده عن كل خير. أو من المشوَّهين في الخِلقة بسواد الوجوه وزرقة العيون.

.43

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (43)

{الْقُرُونَ الْأُولَى}

الأمم الماضية المكذبة.

{بَصَائِرَ لِلنَّاسِ}

أنواراً لقلوبهم تبصر بها الحقائق.

.44

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (44)

{قَضَيْنَا}

عَهِدنا.

.45

وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (45)

{وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ .. }

أي وما كنتَ مقيماً في أهل مدين وقت تلاوتك على أهل مكَّة قصة موسى وشعيب؛ حتى تنقلها إليهم بطريق المشاهدة. وإنما أتتك بطريق الوَحْي،

فإخبارك بها إنما هو عن وَحْي إلهي، ورسالة ربانية. والضميرُ في قوله: {تَتْلُو عَلَيْهِمْ} لأهل مكة، والجملة حالية.

.46

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (46)

{لِتُنْذِرَ قَوْمًا .. }

أي لتنذرهم العقاب الذي أتاهم من نذير قبلك: أي على لسانه وبواسطته. و (ما) اسمٌ موصول مفعول ثان {لِتُنْذِرَ}، و {مِنْ نَذِيرٍ} متعلّقٌ بـ {أَتَاهُمْ}. وهذا القولُ في تفسير الآية جار على ظواهر القرآن قال تعالى: { ... وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (24)} [فاطر]، { ... أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (19)} [المائده]، وقيل: القومُ هم العرب المعاصرون له صلى الله عليه وسلم، إذ لا يتصور إنذاره لمن سلفهم. و (ما) نافية، أي لم يأتهم نذير قبلك. فإذا قيل: إنهم قد أتاهم نذير لأنهم من ذرية إسماعيل وقد بعث إلى العرب وذراريهم لعدم انقطاع رسالته بموته؛ فيجب عليهم العملُ بها إلى أن يبعث إليهم رسول آخر. يقال: إن المُراد من عدم إتيان نذير إليهم أنه لم تأتهم ولم تصل إليهم دعوة رسول قبْله على حقيقتها. ولاشك أن أحكام رسالة إسماعيل قد اندرست؛ لتطاول الأمد بين بعثته وبعثة نبينا صلى الله عليه وسلم، ولم يقف الأكثرون في أغلب هذه الأوقات المتطاولة على حقيقتها، فجعل ذلك بمنزلة عدم إتيان النذير لهؤلاء المعاصرين. ولا يُحمل لفظ القوم على العرب عامَّة، لا مع إبقاء عدم الإتيان على ظاهره لمنافاته لقوله: {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (24)} [فاطر] وقد أرسل إليهم إسماعيل، ولا مع تأويله بما ذُكر للقطع ببلوغ دعوة إسماعيل إلى العرب بعده في الجملة وفي بعض الأزمنة.

.47

وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (47)

{وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ .. }

(لولا) الأولى: امتناعية، تدلُ على: امتناع الجواب لوجود الشرط، وجوابها محذوف تقديره: لما أرسلناك إليهم رسولا. و (لولا) الثانية: تحضيضية، وجوابها قوله: {فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ}. وحاصل معنى الآية: أنه أرسل رسوله إليهم ليبطل تعللهم عند حلول العذاب بهم بسبب كفرهم بقولهم: {لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}؛ وهو كقوله تعالى: { .. وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (15)} [الاسراء]. ومعناها التركيبي: لولا إصابة المصيبة لهم بما اكتسبوا من الكفر المُسَّبُ عنها قولهم المذكور لما أرسلناك إليهم رسولا، فجُعلت الإصابة سببا للإرسال؛

باعتبار ترتب القول المذكور عليها، ولذا أدخلت عليها (لولا)، وعُطف القولُ عليها بالفاء المفيدة للسببية.

.48

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ (48)

{قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا}

أي قال كفارُ مكة: ما أوتي موسى ومحمد سحران تعاونا بتصديق كل منها الآخر، وإنا بكل واحد من الكتابين كافرون. وقرئ (ساحران) أي موسى ومحمد عليها الصلاة والسلام.

.49

قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (49)

.50

فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50)

.51

وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (51)

{وَصَّلْنَا لَهُمُ القَوْلَ}

أنزلنا عليهم القرآن إنزالا متواصلاً متتابعا؛ ليكون ذلك أقرب إلى الذكر والتذكير، فإنهم يطّلعون كل يوم على جديد. أو جعلناه متتابعا في الأنواع: وعدا ووعيدا، وقصصا ومواعظ، ونصائح وأحكاما، إرادة أن يَتّعظوا فيتعلموا. وأصلُه من التوصيل، وهو ضمُّ قطع الحبل بعضها إلى بعض.

.52

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (52)

{هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ}

المرادُ بهم مؤمنو أهل الكتاب.

.53

وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (53)

.54

أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (54)

{وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ}

أي يدفعون السيئة والأذى من الكفار بالاحتمال والصَّفح والحلِم؛ من الدَّرْء وهو الدفع.

.55

وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (55)

{وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ}

أي السبَّ والشّتم من الكفار

{أَعْرَضُوا عَنْهُ}

تكرُّماً وتنزُّها. واللَّغو في الأصل: السَّقَطُ وما لا يُعتدّ به من كلام وغيره؛ كاللغا واللغْوَي.

{سَلَامٌ عَلَيْكُمْ}

سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم.

.56

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (56)

{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ .. }

نزلت في حرصه صلى الله عليه وسلم على إيمان عَمِّه أبي طالب.

.57

وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (57)

{وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى .. }

أي قال أهل مكة للرسول صلى الله عليه وسلم: إننا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب أن يتخطفونا من أرضنا ويخرجونا من بلادنا.

{نُتَخَطَّفْ}

ننتزع بسرعة. والتّخطُّفُ: الانتزاع بسرعة. ومرادهم: التعلُّل في عدم اتباع الرسول بالخوف من اجتماع العرب على حربهم، ولا طاقة لهم بهم، فرد الله عليهم بقوله: {أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا} يأمنون فيه على أنفسهم وأموالهم.

{يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ}

يُحمل إليه و يُجمع فيه من كل جهة ثَمراتُ أشياء كثيرة. يقال: جَبى الماء في الحوض، جمعه فيه. والاستفهام للتقرير؛ والمقصودُ أنا فعلنا ذلك معهم وهم مشركون،

فكيف نعرّضهم للتَّخطف إذا آمنوا؟

.58

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (58)

{وَكَمْ أَهْلَكْنَا}

كثيرا أهلكنا.

{بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا}

كفرت نِعمَة معيشتها الرّافهة الآمنة؛ فلم تقم بحق شكرها. أو تمردت وطغت في معيشتها، وهو تهديد لكفار مكة. والبَطَر: الأشَرُ وقلَّةُ احتمال النّعمة والطغيان بها، وفعله كفرح.

.59

وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (59)

{وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى}

بيان للسُّنة الإلهية، وأنه تعالى قد مضت سُنتُهُ ألا يعذب قوما قبل الإنذار إليهم؛ إلزاما للحجة، وقطعاً للمعذرة، حتى لا يقولوا: { ... لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (47)}؛ وهو كقوله تعالى: { .. وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (15) [الاسراء].

.60

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ (60)

.61

أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61)

{مِنَ الْمُحْضَرِينَ}

المشهَدين عذابَ اللهِ وأليمَ عقابه، جمع مُحْضر، اسم مفعول من أحضره، وأغلب ما يُستعمل الإحضارُ في العذاب.

.62

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (62)

.63

قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (63)

{قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ}

ثبت عليهم مقتضاه وتحقق، وهو قوله تعالى: { .. لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119)} [هود، السجدة:13]، ونحوه من آيات الوعيد. والقائلون هم الشياطين، أو رؤساء الكفر الذين اتخذهم اتباعهم شركاء لله؛ بأن أطاعوهم في كل أمر.

{أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا}

أغويناهم بطريق الوسوسة والتسويل، لا بالإكراه والإلجاء؛ فغَوُوا باختيارهم غَيًّا مثل غَيِّنا باختيارنا، فنحن وهم في ذلك سواء.

.64

وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (64)

{لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ}

أي لو أنهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحِيَل، يدفعون به العذاب عنهم لدفعوه به، أو لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين لما رأوا العذاب.

.65

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (65)

.66

فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ (66)

{فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ}

خفيت واشتبهت عليهم الحجج.

.67

فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (67)

.68

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (68)

{وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ}

تجهيل للمشركين في اختيارهم

الشركاء واصطفائهم إيّاهم آلهةً وشفعاء؛ أي وربُّك يخلق ما يشاء خلقه

{وَيَخْتَارُ}

أي وهو سبحانه يصطفي ما يشاء اصطفاءه؛ فيصطفي مما يخلقه شفعاء ويختارهم للشفاعة، ويفضل بعض مخلوقاته على بعض بما يشاء.

{مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ}

أي ما استقام لهؤلاء المشركين أن يصطفوا ما شاءوا، ويفضِّلوا بعض مخلوقاته على بعض! فيجعلوا منها شفعاءَ وشركاء لله! فليس لهم إلا اتباع اصطفائه تعالى؛ وهو سبحانه لم يصطف شركاءهم الذين اصطفوهم للعبادة والشفاعة على الوجه الذي اصطفوهم عليه. والخيَرَة: الاختيار. وجملة {مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ} مؤكدة لما قبلها. أفاده الآلوسي.

.69

وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (69)

{مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ}

ما تضمر من الباطل والعداوة.

.70

وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (70)

.71

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (71)

{أَرَأَيْتُمْ}

أخبروني [الأنعام:40]. وفي هذه الآية واللتيْن بعدها دلائلُ على كمال القدرة الإلهية، موجبة للتوحيد في العبادة.

{سَرْمَدًا}

أي دائما لا ينقطع. والسَّرْمدُ: دوام الزمان من ليل أو نهار.

.72

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (72)

.73

وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (73)

.74

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (74)

.75

وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (75)

{يَفْتَرُونَ}

يختلقونه من الباطل في الدنيا.

.76

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76)

{فَبَغَى عَلَيْهِمْ}

طلبَ الفضل عليهم، وأن يكونوا تحت أمره لقوته وغناه.

{مَفَاتِحَهُ}

جمع مِفْتح، وهو ما يُفتح به الباب. أو المفاتحُ: الخزائن، جمع مَفْتح.

{لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ}

أي لتُثْقِل المفاتح العُصبة وتُميلهم من ثقلها فلا يستطيعون حملها؛

والباء للتعدية. يقالُ: ناء به الحمل. أثقله وأماله و كما يقال: ذهب به وأذهبه بمعنى. والعصبة: الجماعة التي يتعصّب بعضهم لبعض، وخُصت في العُرف بالعشرة إلى الأربعين.

{لَا تَفْرَحْ}

لا تبْطَرْ ولا تأْشَر بكثرة المال.

.77

وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77)

{وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا}

ولا تترك نصيبَك من الطيبات التي أحلها الله لك.

.78

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (78)

{مِنَ الْقُرُونِ}

من الأمم.

{وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ}

لا يسألون سؤال استعتاب كما قال تعالى: { ... ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (84)} [النحل]، {وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (36)} [المرسلات]، ولكنهم يُسألون سؤال توبيخ، كما قال تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)} [الحجر].

.79

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (79)

{فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ}

أي في زينةٍ بَهرت الأنظار: حتى تمنَّى الناظرون إليه أن يكون لهم مثلُها. وهي مظاهر الغنى الفاحش، والترف الزائد.

.80

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (80)

{وَيْلَكُمْ}

كلمةٌ أصلها الدعاء بالهلاك. منصوبةٌ بمقدَّر؛ أي ألزمكم الله الويل. ثم استعملت في الزجر والبَعْثِ على ترك ما لا يُرضِي.

{وَلَا يُلَقَّاهَا}

ولا يلَّقى هذه المثوبة؛ أي لا يوفق للعمل بها أو لا يلقى هذه الكلمة التي تكلم بها الأحبار، أي لا

يفهمها {إِلَّا الصَّابِرُونَ} يقال: تلقاه أي استقبله: والضميرُ راجع – على الثاني – لمقالة الذين أوتوا العلم.

.81

فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (81)

{فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ}

غَيْبناهُما فيها. يقالُ: خَسَفت الأرض تخسِفُ، وانخسفت وخسفها الله. وخَسَف به، وخسف هو؛ أي غاب.

.82

وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (82)

{وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ}

(ويْ): اسم فعل بمعنى أعجب؛ وتكون للتَحسُّر والتَّنْدم. وكان المُتندمُ من العرب المظهر لندمه يقول: ويْ؟ وقد تدخل على (كأنَّ) المشدّدة – كما في الأية، والمخَفْفة، والقياسْ كتابتها مفصولة، وكُتبت متَّصلة بالكاف لكثرة الاستعمال. وقيل: (ويكأنَّ) كلمة واحدة بمعنى ألم ترَ.

{وَيَقْدِرُ}

يُضَيِّق.

{وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ}

ألم تر الشأن لا يفلح.

.83

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83)

.84

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (84)

.85

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (85)

{لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ}

إلى بلدك الذي نشأت فيه وهو مكة. و سُمّي بلدُ الرجل الذي كان فيه معاداً، لأنه – عادة – بتصرَّف في البلاد ثم يعود إليه. و أنها نزلت بالجُحْفَة بعد أن خرج النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا من مكة واشتاق إليها.

.86

وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ (86)

{فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ}

مُعِينا لهم على دينهم. والخطابُ فيه وفي بعده للنبي صلى الله عليه وسلم، والمقصود أُمْتُه.

.87

وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (87)

.88

وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (88)

والله أعلم

سُورَةُ العَنْكَبُوت

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

الم (1)

.2

أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2)

{أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا .. }

رُوِيَ أنها نزلت في أناس من الصحابة قد جَزِعوا، أو جزع أهلهم من أذى المشركين لهم. أي أظنَّ الناس أن يتركوا على ما هم عليه لقولهم: آمنّا بالله!؟ غير ممتحنين بمشاق التكاليف؛كالمهاجرة والمجاهدة ووظائف الطاعات، وبِفنون المصاب في الأنفس والأموال؛ ليتميز المخلِص من المنافق، وقَوِيُّ الإيمان من ضعيفه، والصابر من الجزوع، فيعامَل كل بما يقتضيه حالُه. يقال: حَسِبه يحسِبُه مَحسِبة وحِسْبَانا، ظنّه.

والاستفهامُ للتقريع والإنكار، وجملة: {أَنْ يُتْرَكُوا} سَدَّت مسَدِّ مفعولي (حَسِب)، و {أَنْ يَقُولُوا} أي لأن يقولوا متعلق بقوله (يُتْرَكوا).

{وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ}

أي لا يُمتَحنون ويُخْتبرون؛ في موضع الحال من ضمير (يُتْرَكُوا).

.3

وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3)

{وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}

من أتباع الأنبياء بضروب الفتن وفنون المحن فصبروا؛ فما لهم لا يصبِرون مثلهم؟ والجملةُ حال من (النّاس): أي أحسبوا ذلك وقد علموا أن سَنّة الله تعالى على خلافه!

{فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا}

في الإيمان.

{وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}

فيه، أي فليكافئنَّ – كُلًّا بما عمل؛ ولترتب المكافأة على العلم أقيمَ السبب مقامَ المسبب. أو فليُظهرنَّ الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلوماً، لأنه تعالى عالم بهم قبل الاختبار.

.4

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (4)

{أَنْ يَسْبِقُونَا}

يُعجزونا فلا نقدر على مجازاتهم على أعمالهم السيِّئة. وأصل السَّبق: الفَوْت، ثم أريد منه ما ذُكر.

.5

مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (5)

{مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ}

أي يخافه لما وراءه من الحساب والجزاء، أو يتوقع ملاقاة جزائه، أو حُكمه يوم القيامة، أو يأمل ملاقاة ثوابه– فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا. ودليلُ هذا الجواب قوله تعالى: {فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ} أي فأن – الوقت الذي عيّنه الله لذلك {لَآتٍ} لا محالة.

.6

وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (6)

.7

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (7)

{لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ}

لنُغطينَّها عنهم بالمغفرة لهم؛ من التكفير وهو ستر الشيء وتغطيته.

.8

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8)

{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ}

أمرناه.

{حُسْنًا}

أي إيصاءً حُسنا أي ذا حُسن؛ فهو وصف لمَصْدر محذوف. أو أن يفعل حسناً؛ فهو مفعول لفعل محذوف. والمراد: البرُّ بهما والعطف عليهما، والإحسان إليهما والطاعة لهما في المعروف.

.9

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ (9)

.10

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (10)

{جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ}

أي ما يصيبه من أذاهم

{كَعَذَابِ اللَّهِ}

في الآخرة، فَجزِع منه ولم يصبر عليه، وأطاعهم فيما يريدون منه

فكفر بالله، كما يطيع الله من يخاف عذابَه فيؤمن به. نزلت في المنافقين.

.11

وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ (11)

.12

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (12)

{خَطَايَاكُمْ}

أوزاركم.

.13

وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (13)

{وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ}

أوزارهم وذنوبهم التي ارتكبوها بأنفسهم

{وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ}

وأوزارا مع أوزارهم، وهي أوزار من أضلوهم من الأتباع، وهو كقوله تعالى: {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (25)} [النحل].

.14

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (14)

{فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ}

أي الماء الكثير الذي طاف بهم وعلاهم فغَرِقوا [الأعراف:133].

.15

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (15)

.16

وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (16)

.17

إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (17)

{أَوْثَانًا}

تماثيل وأصناماً مصنوعةً بأيديكم من حجارة أو غيرها، جمع وثَن. وقد حُرِّم بالإجماع صنع التماثيل لذي الرُّوح واتخاذُها؛ سداً لذريعة الشرك والغواية.

{وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا}

وتكذبون كذبا؛ حيث تسمونها آلهة، وتجعلونها لله شركاء، وتزعمون أنها لكم عند الله شفعاء. أو تنحتونها وتصنعونها بأيديكم للإفك والكذب؛ واللام المقدَّرة لام العاقبة. والإفكُ: الكذب، وكل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه.

.18

وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (18)

.19

أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (19)

{أَوَلَمْ يَرَوْا}

احتجاج على منكري البَعْث، واستدلال على القدرة عليه بأدلة واضحة جلية. أي ألم ينظروا ويعلموا كيفية خَلْقِ الله تعالى الخلق ابتداءً من مادة – كالنُّطفة والتراب – ومن غير مادة؛ ليستدِلُّوا بذلك على قدرته على الإعادة وهي أهون عليه؟. والاستفهام للإنكار وتقرير الرؤية، أي قد علموا ذلك. وقوله: {ثُمَّ يُعِيدُهُ} أي ثم هو يعيده، وهو إخبار منه تعالى بالإعادة.

.20

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20)

{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ .. }

أي قل لمنكري البعث: سيحُوا في الأرض

وتتبعوا أحوال الخلق، فانظروا كيف خلقهم ابتداء على أطوار مختلفة، وطبائع متغايرة، وأخلاق شتى. والكيفية في هذه الآية باعتبار بدء الخلق على أطوار مختلفة. وفي الآية السابقة باعتبار بدء الخلق من مادة وغيرها.

{ثُمَّ اللَّهُ}

الذي أنشأ النشأة الأولى وأوجد الخلق من العدم

{يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ}

بعد الموت، فكما لم يتعذر عليه إنشاؤهم مُبْدِئاً لا يتعذر عليه إنشاؤهم مُعيداً بعد الموت.

.21

يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (21)

{وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ}

ترجعون وتُردُّون؛ من القَلْب وهو صرف الشيء عن وجه إلى وجه آخر.

.22

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (22)

{بِمُعْجِزِينَ}

فائتين من عذابه بالهرب.

.23

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (23)

.24

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (24)

.25

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (25)

{مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ}

أي لِلتَّودُّد بينكم، والتُّواصل لاجتماعكم على عبادتها، واتفاقكم عليها، وللخشية من ذهاب المودة في بينكم إن تركتم عبادتها. منصوبٌ على أنه مفعول له.

{وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ}

منزلكم الذي تأوون إليه.

.26

فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (26)

{فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ}

وهو أولُ مَنْ آمن به.

.27

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (27)

.28

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (28)

.29

أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (29)

{وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ}

بالقتل ونَهب الأموال. أو تعترضون السّابلة بفعل الفاحشة.

{نَادِيكُمُ}

مجلسكم الذي تجتمعون فيه.

.30

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (30)

.31

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (31)

{أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ}

قرية سُدوم. وهي أكبرُ قُرى قوم لوط، وأوّل بلد ظهرت فيه هذه الفاحشة، على ما قيل.

.32

قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (32)

{الْغَابِرِينَ}

الباقين في العذاب.

.33

وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (33)

{سِيءَ بِهِمْ}

اعترته المساءة والغم بسبب مجيء الرسل، مخافة أن يتعرض لهم قومه بسوء، كما هي عادتهم مع الغرباء وقد ظنهم من البشر.

{وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا}

نفِدَت طاقته [هود:77].

.34

إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (34)

{رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ}

عذابا منها، حجارة أو نارا، أو أمراً بالخَسْف، وسُمي بذلك لأنه يُقلق المُعَذَّب ويزعجه؛ من قولهم: ارتجز، أي ارتَجسَ واضطرب.

.35

وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (35)

{آيَةً بَيِّنَةً}

هي آثار ديارها الخربة.

.36

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (36)

{وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}

لا تفسدوا فيها إفساداً، من العُتو وهو أشدّ الفساد.

.37

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (37)

{فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ}

أي الزَلْزلة الشديدة التي رَجَفت منها قلوبهم؛ بسبب صيْحة جبريل عليه السلام

{فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ}

باركين على الرُّكَب من شدة الهول مَيتين. وأصلُه من جَثم الطائر: إذا وقع على صدره، أو لَصِق بالأرض.

.38

وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (38)

{وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ}

عقلاء متمكنين من التدبر.

.39

وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (39)

{وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ}

فائتين من عذابنا.

.40

فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (40)

{أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا}

ريحاً عاصفةً تحصبهم بالحجارة، وهم قوم لوط.

{أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ}

صوت من السماء مهلك مرجف.

.41

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41)

{مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ .. }

أي مَثَل هؤلاء في اتخاذهم الأصنام آلهة يعبدونها ويعتمدون عليها، ويرجون نفعَها وشفاعتها؛ كمثلِ العنكبوت في اتخادها بيتاً واهيا من نسجها لا يغني عنها في حرٍّ ولا قَرّ، ولا في مطر ولا أذى. والعنكبوت: دويبة معروفة تنسجُ نسجا رفيعا مهلهلا في الهواء، وتطلق على الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث؛ والغالب في استعمالها التأنيث، والواو والتاء زائدتان؛ كما في طاغوت. وجمعها عناكب وعناكيب.

.42

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (42)

.43

وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (43)

.44

خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (44)

.45

اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (45)

{إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}

أي من شأنها إذا أديت كما أمر الله بالوقوف بين يديه بغايةِ الذلةِ والخضوع، ونهاية التعظيم والخشوع أن تكون مانعة لفاعلها من الفحشاء والمنكر.

{وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ}

أي من كل شيء، أو لذِكر الله تعالى ايا كم أكبر من ذكركم اياه. أو لذكرُ العبد الله تعالى أكبر من سائر أعماله؛ وهو أفضل الطاعات.

.46

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (46)

{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}

شروعٌ في:

إرشاد المؤمنين إلى أمثل الطرق في محاجّة أهل الكتاب، أي لا تُحاجُّوهم إلا بالطريقة التي هي أحسنُ الطرق وأنفعُها؛ وهي أن تكون بالرِّفق واللِّين، لا بالإغلاظ والمخاشنة؛ فإنها يحملان على المعاندة، ويَصُدّان عن اتباع الحق.

{إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ}

بالإفراط في الاعتداء والعناد، ولم ينفع فيهمُ الرفق – فأغلِظوا لهم. والآية – على الصحيح – غير منسوخة.

.47

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (47)

.48

وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (48)

.49

بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (49)

.50

وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (50)

.51

أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (51)

.52

قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (52)

.53

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (53)

{أَجَلٌ مُسَمًّى}

هو يوم القيامة.

{بَغْتَةً}

فجأة.

.54

يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (54)

.55

يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (55)

{يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ}

يجللهم العذاب كالغِشاء المحيط؛ وهو عذاب الآخرة. و (يَوْم) ظرف لمحذوف تقديره: يكون من الأهوال ما لا يحيط به الوصف.

.56

يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (56)

.57

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (57)

.58

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (58)

{لَنُبَوِّئَنَّهُمْ .. }

للننزلنَّهم على وجه الإقامة قصورا عالية بهية من الجنة. يقال: بوّأت له منزلا، سوَّيته وهيّأته.

{غُرَفًا}

منازل رفيعة عالية.

.59

الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (59)

.60

وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (60)

{وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ}

كم من دابة [آل عمران: 146].

.61

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (61)

{فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ}

فكيف يُصرفون عن الإقرار بتفرُّده تعالى في الألوهية، مع إقرارهم بتفرده سبحانه في الخلق والتسخير؟

[المائدة:75].

.62

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (62)

{وَيَقْدِرُ لَهُ}

يضيّق

عليه، من قَدَرت عليه الشيء ضيّقته، كأنما جعلته بقَدَر.

.63

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (63)

.64

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (64)

{إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ}

اللهْو: اشتغالُ الإنسان بما لا يعنيه ولا يهمُّه، أو هو الاستمتاع بملذات الدنيا. واللَّعِب: العَبَث، وهو فعلٌ لا يُقصد به مقصدٌ صحيح. أي أنّ الحياة الدنيا في سرعة تقضّيها ليست إلا كالشيء الذي يَلهو ويلعب به الصِّبيانُ، يجتمعون عليه ويبتهجون به زمناً ثم ينصرفون عنه.

{وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ}

لهيَ دارُ الحياة الدائمة، التي لا يعقُبُها موتٌ ولا يعتريها انقضاء. والحَيَوان: مصدرُ حي، سُمّي به ذو الحياة، وأطلق هنا على نفس الحياة الحقة.

.65

فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (65)

{الدِّينَ}

العبادة والطاعة.

.66

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (66)

.67

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (67)

{وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ}

يُخْتَلَسُون من حولهم قتلاً وسبْيا، إذ كانت العرب حول الحرم في تغاوُرٍ وتناهُب، وأهل مكة آمنون؛ من الخطف وهو الأخذ بسرعة.

.68

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (68)

{مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ}

مستقر ومكان إقامة لهم. يقال: ثوى بالمكان، أي أقام به طويلا والاستفهام للتقرير.

.69

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69)

{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا}

أي من أجلنا ولوجهنا خالصا.

{وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}

بالنصر والمعونة والتوفيق لسُبُل الخير.

والله أعلم.

سُورَةُ الرُّومِ

.1

الم (1)

.2

غُلِبَتِ الرُّومُ (2)

{غُلِبَتِ الرُّومُ}

احتربت الفرس والرُّوم فيما بين أذْرِعات وبُصرى من أرض الرّوم يومئذ، وهما أقربُ أراضيهما بالنسبة إلى مكة. وكان ذلك قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل بسنة. فظهر الفرس على الروم، فلما بلغ الخبر مكة شق على

المؤمنين؛ لأن الفرس مجوس لا يدينون بكتاب، والرومُ أهل كتاب. وفرح المشركون وقالوا: أنتم والنصارى أهل كتاب، ونحن والفرس أميون، وقد ظهر إخواننا على إخوانكم، ولنظهرنَّ نحن عليكم؛ فنزلت الآية وفيها: أن الرومَ سيغْلِبون الفرس في بضع سنين. والبضع: ما بين الثلاث إلى العشرة.

.3

فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3)

{غَلَبِهِمْ}

كونهم مغلوبين.

.4

فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4)

{بِضْعِ}

والبضع: ما بين الثلاث إلى العشرة.

{وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ} {بِنَصْرِ اللَّهِ}

بإظهار صدقهم فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم، وبتغليب من له كتابٌ على من لا كتاب له، وغيْظِ الشّامِتِين من المشركين. ثم بعد سبع سنين وقعت الحرب الثانية بينها؛ فظهر الروم على الفرس – كما أخبر الله تعالى – حتى بلغوا المدائن من بلاد الفرس؛ وكانت في السنة الثانية من الهجرة يوم بدر – على القول الأول – أو في السادسة عام الحديبية – على القول الثاني – ففرح المؤمنون. وكان ذلك من الآيات الباهرة الشاهدة بصدق النبوة. ومن دلائل إعجاز القرآن؛ لما فيه من الأخبار بالغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

.5

بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5)

{بِنَصْرِ اللَّهِ}

[الآية السابقة].

.6

وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (6)

{وَعْدَ اللَّهِ}

أي وعد الله المؤمنين وعدا بالنصر والفرح

{لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ}

أيّا كان مما يتعلق بالدنيا والآخرة.

.7

يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (7)

{يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .. }

بيان لسبب جهلهم بشئونه تعالى، وهو قصر تفكيرهم على ما يظهر من شئون الدنيا ويَلَذُ لهم منها؛ دون أن يفكروا فيما وراءها من المقاصد العليا التي هي السعادة الحقةُ، وكيف ينعمون بها ويحصلون عليها {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (64)} [العنكبوت]!.

.8

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (8)

{أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ .. }

أي أقصروا النَّظر على ظاهر من الحياة الدنيا؟ ولم يُحْدثوا التفكر في قلوبهم فيعلموا أنه تعالى ما خلق هذه العوالم إلا بالحق الثابت الذي يحق ثبوته؛ لإبتنائه على الحِكَم البالغة!

{وَأَجَلٍ مُسَمًّى}

أي وبأجل معيَّن قدّرة الله تعالى أزلاً لبقائها، لا بُدَّ أن تنتهي إليه وتفنى عنده، وهو وقتُ قيام الساعة وتبدل الأرض غير الأرض والسموات. والأجلُ: يطلق على المُدة المضروبة للشيء، وعلى غاية وقت الحياة.

.9

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (9)

{وَأَثَارُوا الْأَرْضَ}

قلبوها للزراعة، واستنباط المياه واستخراج المعادن منها ونحوها، وغير ذلك.

.10

ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (10)

{ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ}

أي ثم كانت العقوبةُ السَّيئة وهي العذاب في جهنم عاقبة الذين عملوا السيئات.

{السُّوأَى}

: تأنيث الأسْوأ وهي العقوبة المتناهية في السوء (النار)، كالحُسنى تأنيث الأحسن. وقرئ (عاقبةُ) بالرفع على أنها اسم كان، وخبرها {السُّوأَى}.

{أَنْ كَذَّبُوا}

بأن كذّبوا؛ والباء للسببية. أو لأنْ كذَّبوا.

.11

اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (11)

.12

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (12)

{يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ}

يسكتون وتنقَطع حجتهم. وأصْلُ الإبلاس: الحزن الناشئ من شدة اليأس، وأطلق على ما ذكر مجازا، للزومه للحزن غالبا [الأنعام:44].

.13

وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (13)

.14

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (14)

.15

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (15)

{فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ}

هي في الأصل: الأرض التي بها ماء ونبات، ولها رَوْنق ونضارة، أو هي البُستان الحَسْن النَضِر. والمرادُ بها الجنة.

{يُحْبَرُونَ}

يُسَرُّونَ، أو يَنْعَمون، أو يُكرمُون. والحَبْر والحَبرةُ والحُبُور: السرورُ والنَّعمة.

.16

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (16)

{فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ}

أي لا يغيبون عنه أبداً؛ من الحضور ضدَّ الغياب.

.17

فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (17)

{فَسُبْحَانَ اللَّهِ .. }

فنَزِّهوا الله تنزيهاً عما لا يليق به، وصِفوه بصفات الكمال. وهو بإطلاقه يتناول التنزيه بالقلوب والألسنة والجوارح في هذه الأوقات المذكورة؛ لما في كلٍّ منها من النِّعم المتجدّدة، ولظهور آثار القدرة والرّحمة فيها. وقيل: التسبيحُ الصلاةُ.

{حِينَ تُمْسُونَ}

صلاة المغرب والعشاء،

{وَحِينَ تُصْبِحُونَ}

صلاة الصبح.

.18

وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (18)

{وَعَشِيًّا}

صلاة العصر،

{وَحِينَ تُظْهِرُونَ}

صلاة الظهر. واختار الرازي الأول، وهو يتضمن الصلاة، لكونها أفضل أعمال الأركان التي هي من أنواع التنزيه المأمور به.

.19

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (19)

{يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ .. }

[آل عمران:27].

{وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ}

أي ومثل ذلك الإخراج البديع

العجيب، تُخرجون من قبوركم للحساب والجزاء يوم القيامة. وهو نوع تفصيل لقوله تعالى: {اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (11)} [الروم] فالإبداء والإعادة يتساويان في قدرة من هو قادر على إخراج الحي من الميت وعكسه.

.20

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (20)

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ}

اشتملت الآيات من 20 إلى 25 التي بدئت بلفظ {وَمِنْ آيَاتِهِ} على اثني عشر دليلا على وحدانيته تعالى وانفراده بالخلق، وقدرته على البَعْث: خَلْق الإنسان من مادة التراب وصيرورته بعد تقلبه في أطوار التكوين بشراً سويّا صالحا للاستخلاف في عمارة الأرض. وجعْلَه ذكورا وإناثا للائتلاف والتزاوج والتناسل؛ حتى يبقى النَّوع الإنسانيُّ إلى الأمد المقدر له. وخَلْقُ السموات مزّيَنة بالكواكب للاهتداء بها في ظلمات الليل، وبالشّمس التي سخر ضوءها وحرارتها لحياة الحيوان والنبات، وبالقمر لِنعلم عدد السنين والحساب. وخلق الأرض التي نستوى على ظهورها وما فيها من جبال وأنهار وبحار وخيرات عظيمة. واختلافُ الألسنة واللغات. واختلافُ الألوان والصِفات مع كون الأصل واحداً؛ للتَّمايُز وإمكان التعارف والتفاهم. وجعل الليل مناما لراحة الأبدان والقوى. وجعل النهار معاشاً لابتغاء الرزق الذي به القوت والبقاء. وإراءةُ البرق المبشِّر بالمطر ليطمع الإنسان في فضله تعالى، والمنذرِ بالصواعق ليخاف بطشه وانتقامَه. وإنزال المطر من السماء لإحياء موات الأرض بالنبات والري للإنسان والحيوان. وقيام السموات. وقيامُ الأرض واستمساكها وبقاؤهما بقدرته تعالى وتدبيره. ثم ذكر في آية 46 المبدوءة بقوله: {وَمِنْ آيَاتِهِ} دليلا آخر، وهو إرسال الرياح مبشرات بالرحمة، ومنتفَعا بها في البر والبحر. وكل ذلك ليعلم الإنسان أن بَعْث من في القبور إذا نفخ الصُّور أمر هين يسير على من هو على كل شيء قدير؛ سبحانه! جلَّ شأنه وعزَّ سلطانه!

{تَنْتَشِرُونَ}

تتصرفون فيما هو قوام معاشِكم، وتتقلبون في الأرض في أسفاركم ابتغاء رزقِكم.

.21

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21)

{لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا}

لتَميلوا إليها وتألفوها.

.22

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (22)

{وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ}

أي لغاتكم ولهجاتكم، أو أصواتكم وأنغامكم؛ فلا يكاد يُسمع منطقان متساويان من كل وجه.

{وَأَلْوَانِكُمْ}

أي ألوان أجسامكم، أو تخطيطات أعضائكم وهيئاتها وحُلاها؛

بحيث وقع التَّمايز بين الأشخاص، حتى إن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابها والأمور الملابسة لهما في التخليق، يختلفان لا محالة في شيء من ذلك وإن كانا في غاية التَّشابه.

.23

وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (23)

.24

وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (24)

.25

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (25)

.26

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (26)

{قَانِتُونَ}

مطيعون طاعةَ انقياد، لا يمتنعون عليه في شيء يريد فعله بهم، وإن عصاه بعضهم في العبادة.

.27

وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (27)

{وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ}

أي البَعْث أسهل عليه تعالى من البَدْء والأسهلية على طريق التمثيل والتقريب؛ بما هو معروف عند الناس من أن إعادة الشيء من مادته الأولى أسهل من ابتدائه؛ ولله المَثَل الأعلى! فلا يقاس على خلقه في ذلك! فإن كل الممكنات بالنسبة إلى قدرته سواء.

{وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى}

الوصفُ الأعلى في الكمال والجلال.

.28

ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (28)

{هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ .. }

أي إنكم لا ترضوْن أن يشارككم فيما رزقناكم من الأموال ونحوها مماليككم، وهم أمثالكم في البشرية غير مخلوقين لكم. فكيف تشركون به سبحانه في المعبودية – التي هي من خصائصه تعالى – مخلوقه! بل مصنوع مخلوقِه حيث تصنعونه بأيديكم ثم تعبدونه من دونه، وجملة {فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ} في موضع الجواب للاستفهام الإنكاري؛ أي فأنتم وهم مستوُون في التصرُّف فيه!؟ وقوله {تَخَافُونَهُمْ} خبرٌ ثانٍ لـ (أنتم)، وقوله {كَخِيفَتِكُمْ} صفة لمصدر محذوف، أي خيفةً كائنة مثل خيفتكم مَن هو من نوعكم. أي تخافون أن تستبدُّوا بالتصرف فيه بدون رأيهم كخيفتكم من الأحرار المساهمين لكم.

.29

بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (29)

.30

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30)

{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ}

أقبل على الدين إقبالا كاملا غير ملتفت إلى سواه واثبُت عليه.

{حَنِيفًا}

مائلاً إلى الحق معرضا عن كل باطل [البقرة:135]. والخطابُ له صلى الله عليه وسلم والمرادُ هو وأمّتُه.

{فِطْرَتَ اللَّهِ}

أي الزموا فطرة الله بالجَرْي على موجبها، وعدم الإخلال به باتّباع الهوى ووساوس الشيطان، والفِطرةُ، قابليةُ الدِّين الحق والتهيُّؤ لإدراكه، أو هي دين الإسلام والتوحيد.

{لِخَلْقِ اللَّهِ}

لدينه

الذي فطرهم عليه. ومعنى فَطرِ الناس عليه: أن الله خلقهم قابلين له، غير نابين عنه، منساقين إليه إذا خُلُّوا وأنفسهم، دون أن تعترضهم الأهواء والوساوس.

{ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ}

أي الدِّين المأمور بإقامة الوجه له: هو الدِّين المستوي الذي لا اعوجاج فيه، ولا انحراف عن الحق بحال، وهو دين الإسلام.

.31

مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31)

{مُنِيبِينَ إِلَيْهِ}

راجعين إليه تعالى بالتوبة وإخلاص العمل. يقال: أناب إلى الله إنابة، رجع؛ حالٌ من فاعل الزموا المقدَّرة. وقوله: {وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا} معطوفٌ على الزموا.

.32

مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (32)

{وَكَانُوا شِيَعًا}

فرقا مختلفة في الدِّين، تشايع كلُّ فرقة كبيرها الذي أضلَّها.

.33

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (33)

.34

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (34)

.35

أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (35)

{سُلْطَانًا}

كتاباً أو حجة.

.36

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (36)

{فَرِحُوا بِهَا}

بطروا وأشِروا.

{يَقْنَطُونَ}

ييئسون من رحمة الله، بخلاف المؤمن فإنه يشكر ربَّه عند النعمة، و يرجوه عند الشدّة.

.37

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (37)

{وَيَقْدِرُ}

أي يضيِّقه على من يشاء أن يضيَّقه، ولله في ذلك الحِكمُ البالغة.

.38

فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (38)

{فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ}

أحسن إليه بالصدقة والصلة والبر تقرُّبا إلى الله تعالى.

.39

وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (39)

{وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا}

المرادُ به هنا: العطيةُ يُعطيها الرجل لأخيه بطلب المكافأة منه بأفضل منها، ليزيد في أموال الناس، فإن ذلك لا يُبارك فيه في حكمه تعالى.

{وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ}

أي صدقة تطوع، ولم تُحمل على المفروضة؛ لأن السورة مكية، والزكاة لم تفرض الا في السنة الثانية من الهجرة.

{تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ}

ذوو الأضعاف من الحسنات، من أضعف: إذا صار ذا ضِعْف؛

كأقوى وأيْسر، أي صار ذا قوة ويَسار.

.40

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (40)

.41

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41)

{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ .. }

كالجَدْب والمُوتان والغلاء الشديد، وكثرة الحرْق والغرق وإخفاق الصيادين والغاصّة، ومحو البركات من كل شيء، وقلة المنافع في الجملة، وكثرة المضار وتسلط الأعداء، ونحو ذلك مما أصاب الناس بسبب معاصيهم عقابا لهم حتى

يتوبوا إليه تعالى. يقال: فسد –كنَصَر وكَرُم – فسادا، ضدُّ صَلُح؛ ومنه المفسدةُ، ضدُّ المصلحة وهي كلمة جامعة لكل ما ذُكر ونحوه.

.42

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (42)

.43

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (43)

{لَا مَرَدَّ لَهُ}

لا يقدر أحد على رده.

{يَصَّدَّعُونَ}

يتفرقون فريقين: فريقٌ في الجنة وفريق في السعير: من التصدع وهو التفرُّق. يقال: صدعته صَدْعاً – من باب نفع – شققته فانصدع. وصدعت القوم صدْعاً فتصدعوا، أي فرقتهم فتفرقوا. وأصله (يتصدعون) فقلبت تاؤه صادا وأُدغمت.

.44

مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (44)

{فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ}

أي يوطِّئون لأنفسهم منازل في الجنة؛ كما يوطِّئ الرجلُ لنفسه فراشة لئلا يصيبه في مضجعه ما ينغِّص عليه رقاده أو يؤذيه. مأخوذ من مهّد فراشه: إذا وطّأه.

.45

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (45)

.46

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (46)

.47

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (47)

.48

اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (48)

{فَتُثِيرُ سَحَابًا}

تهيجه وتنشره وتحرّكه، من الثَوْر وهو

الهَيجان.

{وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا}

قطعاً.

{فَتَرَى الْوَدْقَ}

المطر. يقال: ودَق – كوعد – قطَر [النور:43].

{يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ}

فُرجه وَوَسطه.

.49

وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (49)

{لَمُبْلِسِينَ}

ساكتين من شدة الحزن آيسين [آية 12 من هذه السورة].

.50

فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (50)

{فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ}

المترتبة على إنزال المطَر؛ من النبات والأشجار وأنواع الثمار – نظر اعتبارَ واستبصار لتستدل بها على قدرة الله تعالى على البعث.

.51

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (51)

{فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا}

أي رأوا النبات الذي أصابته الريح مصفرًّا بعد خضرته ونضارته.

.52

فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (52)

.53

وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (53)

.54

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (54)

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ .. }

استدلالٌ آخرُ على كمال قدرته تعالى بخلق الإنسان على أطوار مختلفة. أي بدأكم على ضعف وهو حال الطفولة

{ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً}

وهي قوة الشباب.

{ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا}

عند الكِبَرَ والهَرَم

{وَشَيْبَةً}

هي تمام الضعف ونهاية الكِبر. مصدرٌ كالشّيْب.

.55

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (55)

{كَانُوا يُؤْفَكُونَ}

يصرفون عن الحق في الدنيا بإنكار البعث [المائدة:75].

.56

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (56)

{فِي كِتَابِ اللَّهِ}

أي في حُكم الله. أو في سابق علمه وقضائه.

.57

فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (57)

{وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ}

لا يُطلب منهم استرضاء الله تعالى وإزالةُ غضبه عليهم بالتوبة والطاعة. حيث حقّت عليهم كلمةُ العذاب؛ من الاستعتاب: وهو طلب العُتبى. أي الرجوع إلى ما يُرضي الله تعالى من التوبة والعمل الصالح؛ لانقطاع التكليف في ذلك اليوم. والعُتْبى: اسمٌ من

الإعتاب بمعنى إزالة العَتْب؛ كالعطاء والاستعطاء [النحل 84].

.58

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (58)

.59

كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (59)

.60

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (60)

{وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ .. }

لا يحملنّك على الخفّة والقلق. أولا يستفزنّك عن دينك وما أنت عليه. يقال: أستخف فلان فلانا، أي استجهله حتى حمله على اتباعه في الضلال.

والله أعلم.

سُورَةُ لُقْمَانَ

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

الم (1)

.2

تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (2)

{الْكِتَابِ الْحَكِيمِ}

أي ذي الحكمة. أو الحكيم مُنزِله.

.3

هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (3)

.4

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4)

{يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ .. }

[البقرة:1].

.5

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)

.6

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (6)

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ}

نزلت في النَّضر بن الحارث: اشترى قَيْنَة فكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قَيْنته فيقول: أطعميه واسْقيه وغَنيه؛ ويقول: هذا خير مما يدعوك إليه محمد [صلى الله عليه وسلم] من الصلاة والصيام، وأن تقاتل بين يديه! وقيل: كان يخرج إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم فيرويها ويحدِّث بها قريشا ويقول لهم: إن محمدا يحدّثكم بأحاديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم و اسفنديار والأكاسرة؛ فيستملحون حديثه ويتركون سماع القرآن، وكان قصده بذلك صدَّ الناس عن الإسلام، جهلا منه بالحق، أو بما يرتكب من الوِزْر، أي ومن الناس من يقصد الإغواء والصد عن سبيل الله والهزءَ بها با فيتوسّل إلى ذلك بما يستهوي عقول الناس ويجذب قلوبهم، ويُلهيهم عن الحق والهُدى حتى يَضِلوا السبيل. ولكل قومٍ وزمانٍ أُلهِيات يَعرِفها الغواةُ المضللون. والاشتراء على حقيقته، أو بمعنى الاختيار والإيثار على القرآن. وإضافة (لهو) إلى (الحديث)

بمعنى مِن.

{هُزُوًا}

سخرية – مهزواً بها.

.7

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (7)

{وَلَّى مُسْتَكْبِرًا}

أعرض متكبرا عن تدبرها.

{وَقْرًا}

صمماً مانعاً من السماع.

.8

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (8)

.9

خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (9)

{وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا}

أي وعدهم الله ذلك وَعْداً، وحقَّه حقا، فهما مصدران مؤكّدان.

.10

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (10)

{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ}

استشهادٌ على عِزته سبحانه التي هي كمال قدرته، وتمهيد لقاعدة التوحيد وتقريره. وإبطالٌ لأمر الشرك وتقريع لأهله.

{بِغَيْرِ عَمَدٍ}

بغير دعائم [الرعد:2].

{رَوَاسِيَ}

جبالاً ثوابت راسخات.

{أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ}

أي لئلا تتحرك وتضطرب بكم [النحل:15].

{وَبَثَّ فِيهَا}

نَشَر وفرَّق. يقال: بَثَّه – من باب رَدَّ – وأبَثَّه بمعنى؛ أي نَشَره. وبثَّ الريح التراب: فرَّقه وأثاره.

{زَوْجٍ كَرِيمٍ}

صِنْف حسن كثير المنافع.

.11

هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (11)

.12

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (12)

{آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ}

أي العقلَ والفهمَ، أو الإصابة في القول والعمل، أو نوراً في القلب يدرك به الحقائق؛ كنور البصر الذي تدرك به المبصرات، وكان رجلاً صالحاً حكيما ولم يكن نبيا. قيل: إنه من بلاد النُّوبة، أو من السودان، أو من الحبشة، وكان نجارا. والله أعلم بحقيقة أمره.

.13

وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13)

{وَهُوَ يَعِظُهُ}

الوَعظُ: زجرٌ مقترن بتخويف. وقال الخَليل: هو التذكير بالخير فيما يَرِقْ له القلب. وقد وعظ ابنَه بعشر مواعظ.

.14

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14)

{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ}

كلامٌ مستأنف، اعترُض به على نهج الاستطراد في أثناء وصيّة لقمان لابنه، مؤكِدٌ لما اشتملت عليه من النهي عن الشرك، أي أمرناه أن يبرّهما ويحسن إليهما، ويطيعَ أمرهما في المعروف.

{حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ}

أي ضَعفاً متزايداً بازدياد ثِقل الحَمل إلى مدة الطلق. أو ضَعْفا متتابعا، وهو ضَعْف الحمل، وضَعف الوضع، وضعف النّفاس. مفعول مطلق لفعل محذوف، أي تَهِنُ وهْنا. وفِعله كَوَعد وورث وكَرُم. وقرئ (وَهَنا)، بالتحريك.

{وَفِصَالُهُ}

فطامه عن الرضاع.

{أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ}

أي وصّيناه بشكرنا وشكر والديه، و (أنْ) تفسيرية.

.15

وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15)

{وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}

أي في أمور الدنيا التي لا تتعلق بالدِّين ما دمت حيًّا، صحاباً معروفاً يرتضيه الشرع، ويقتضيه الكَرَم والمروءة.

{مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ}

أي رجع إلى التوحيد والإخلاص مطيعاً.

.16

يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (16)

{يَابُنَيَّ إِنَّهَا}

أي الخَصلة من الإساءة والإحسان.

{مِثْقَالَ حَبَّةٍ}

وزن أصغر شيء.

.17

يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17)

.18

وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18)

{وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ}

لا تُمِل صفحة وجهك عن الناس، ولا تُعرض عنهم كما يفعل أهل الكبر. يقال: صعّر خدَّه وصاعره، أما له عن النظر إلى الناس تهاوناً وتكبُّراً. والصَّعَرُ في الأصل: داء يصيب البعير فيَلوي منه عنقه، كُنى به عن التكبُّر واحتقار الناس.

{وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا}

فَرَحا وبطرا واختيالاً. مصدرُ مَرِح – كَفرِح – فهو مَرِح ومِرِّيح؛ وقع حالا مبالغة، أو تَمرح مَرَحا؛ على أنه – مفعول مطلق لفعل محذوف، – والجملة في موضع الحال. وقرئ – (مَرِحاً) بكسر الراء.

{إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ}

مُتكبر يختال في مشيته؛ ومنه الخُيَلاء والمخيلةُ والخال بمعنى الكِبْر.

{فَخُورٍ}

كثير المباهاة بنحو المال والجاه. يقال: فَخَر – كمنع – فهو فاخرٌ وفخور، إذا تمدح بالخصال تطاولا على الناس.

.19

وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (19)

{وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ}

اعتدل فيه، وتوسط بين البطء والإسراع، من القَصْد وهو العدلُ واستقامة الطريق، وضدُّ الإفراط، كالاقتصاد.

{وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ}

أُنقص فيه وأقصر، ولا ترفعه فوق الحاجة. يقال: غض فلان من فلان، نقصه ووضع من قَدْره. وغض من طرفه غضًّا وغضاضا وغضاضة: خَفضهُ وأحتمل المكروه.

.20

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (20)

{أَلَمْ تَرَوْا .. }

خطاب للمشركين، وتوبيخ لهم على الإصرار على الشِّرك مع مشاهدتهم دلائل التوحيد.

{سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}

جعل ما فيهما مسَخَّرا لكم بحيث تنتفعون به.

{وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ}

أوسعها وأتمّها. يقال: سَبَغتِ النِّعمة سُبوغاً – من باب قعد – اتسعت. وأسبغها الله: أفاضها وأتمّها. والنِّعمةُ: ما ينتفع به ويُستلذُّ وتُحمدُ عاقبتُه. أو هي المنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير.

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ .. }

[الحج:3] نزلت في النَّضر بن الحارث، وأبيّ بن خلف– وكانا يجادلان النبيَّ صلى الله عليه وسلم في التوحيد والصفات.

.21

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (21)

.22

وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (22)

{وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ}

يفوّض جميع أموره إليه تعالى ويُقبل عليه بكُلّيته.

{وَهُوَ مُحْسِنٌ}

في أعماله

{فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}

أي تعلَّق أقوى تعلُّق بأوثق الأسباب. شُبّه المتوكل على الله في جميع أموره، المحسنُ في أعماله – من ترقَّى في جبل شاهق، أو تدلى منه فاستمسك بأوثق عُروة من حبل متين مأمون انقطاعُه. والعُرْوة من الثّوب: مدخل زره. والوُثْقى: تأنيث الأوثق؛ من وَثُق – ككرم – أخذ بالوثيقة في أمره: أي بالثقة، ومنه الوثيق أي المحكم.

.23

وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (23)

.24

نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ (24)

{عَذَابٍ غَلِيظٍ}

شديد ثقيل (عذاب النار).

.25

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (25)

.26

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (26)

.27

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (27)

{وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ .. }

أي ولو أن أشجار الأرض كلها أقلام، والبحرُ المحيط يمدّه – بعد نفادِه – سبعة أبحر، وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلماته تعالى ما نفدت كلماتُه؛ ونَفِدت الأقلام والمداد.

{يَمُدُّهُ}

يزيده

{سَبْعَةُ أَبْحُرٍ}

أي أبحرٌ كثيرة، لا خصوص العدد المذكور. وكلماتُه: كلماتُ علمه وحكمته تعالى. أو مقدوراتُه وعجائبُه تعالى.

{مَا نَفِدَتْ}

ما فرغت وما فنيت.

{كَلِمَاتُ اللَّهِ}

مقدوراته وعجائبه أو معلوماته.

.28

مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (28)

.29

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (29)

{يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ}

يُدخل كل واحد منها في الآخر [عمران:27]. وفي الآية من الدلالة على القدرة الباهرة على البعث ما يوجب الإيمان به؛ كما في الآية التالية.

.30

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (30)

{الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}

العالي على جميع خلقه بالقَهْر، الكبير عن أن يكون له شريك، أو عن أن يتصف بما لا يليق بجلاله وكماله.

.31

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (31)

.32

وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (32)

{غَشِيَهُمْ مَوْجٌ}

علاهم وغطاهم موجٌ

{كَالظُّلَلِ}

جمعُ ظُلة – كغُرْفة وغرف. وهي ما أظلَّ من سحاب أو جبل أو غيرهما. وقيل: هي السحابة تظِل. وأكثرُ ما تقال فيها يُستوْخَم ويُكْره.

{مُقْتَصِدٌ}

سالِكٌ القصد؛ أي الطريق المستقيم لا يعدل عنه إلى غيره، وهو الوفاء في البرِّ بما عاهد الله عليه في البحر، وهو التوحيد والطاعة. وأصلُه استقامةُ الطريق، ثم أطلق على ما ذُكر مبالغة.

{خَتَّارٍ}

غدار لنقضه العهد الفطرِيّ، من الخَتْر وهو الغدر والخديعة، أو أشدُّهما، كالخُتُور. وفعله كضَرَبَ ونَصَر.

.33

يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (33)

{لَا يَجْزِي}

لا يَقْضي والدٌ عن ولده شيئا؛ من جزى بمعنى قضى.

{الْغَرُورُ}

هو كلُّ مايَغُرُّ الإنسان ويخدعه من نحو مال وجاه، وشهوةٍ وشيطان وهو أخبث الغارّين، نعوذ بالله منه.

.34

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (34)

{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ .. }

هذه الأمور الخمسة من المغيَّبات، قد استأثر الله تعالى بعلمها اليقيني على وجه الإحاطة والشمول، لأحوال كل منها وتفصيله على الوجه الأتم المطابق للواقع، فلم يُطلع عليها مَلَكا مقرباً ولا نبياً مرسلا على هذا النحو من العلم. فلا يُنافي أن يُطلع بعض أصفيائه وخواصه على أحدها لا على هذا النحو، ففي الصحيح عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ وكَّلَ بالرَّحِمِ مَلَكًا، يقولُ: يا رَبِّ نُطْفَةٌ؟ يا رَبِّ عَلَقَةٌ؟ يا رَبِّ مُضْغَةٌ؟ فإذا أرادَ أنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قالَ: أذَكَرٌ أمْ أُنْثَى، شَقِيٌّ أمْ سَعِيدٌ، فَما الرِّزْقُ فما الأجَلُ، فيُكْتَبُ في بَطْنِ أُمِّهِ.) فحينئذ يعلم بذلك الملكُ ومن شاء الله تعالى من خلقه. وليست المغيَّباتُ محصورةً في الخمسة، بل كلُّ غيب لا يعلمه إلا الله على

النحو المذكور. وما يُخْبِر به المنجّم والطبيب وعلماءُ المراصد من الأمور التي لم تتكشف بعد؛ فمبناه ظنٌّ لا يقين ببعض الأحوال الجزئية – ينبني على أمارات أو حساب قد يصيب وقد يُخطئ.

والله أعلم.

سُورَةُ السَّجْدَةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

الم (1)

.2

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2)

{تَنْزِيلُ الْكِتَابِ .. }

مبتدأ خبره {مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ}. وجملة {لَا رَيْبَ فِيهِ} أي في كونه مُنزَّلا منه تعالى معتَرضةٌ بينهما، أو حالٌ من (الكتاب).

.3

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (3)

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ}

أي بل أيقولون: اختلق القرآن وافتعاله من تلقاء نفسه! فـ (أَمْ) مُنْقَطِعةٌ، بمعنى بل التي للإضراب، وهمزة الاستفهام؛ إنكارا لقولهم وتعجبا منه لظهور عجز بلغائهم عن معارضته. والافتراء: الاختلاق. يقال: افترى الكذب أي اختلقه. وأصلُه من الفَرْي بمعنى قطع الجلد؛ وأكثرُ ما يكون للإفساد.

{بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ}

بدليل إعجازه؛ فليس الأمر كما قالوا تعنُّتاً أو جهلاً.

{لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ}

[القصص:46].

.4

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (4)

{اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}

أي استواء يليق به سبحانه بلا كيف ولا تمثيل [البقرة:29،الأعراف:54].

{مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ}

ليس لكم إذا جاوزتم رضاه وليّ أي ناصر ينصرُكم إن أراد بكم ضرًّا، ولا شفيع يشفع لكم عنده. وأصلُ الشفاعة: الانضمام إلى آخَرَ ناصراً له سائلا عنه؛ وأكثرُ ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حُرمةً ومرتبةً إلى من هو أدنى.

.5

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (5)

{يُدَبِّرُ الْأَمْرَ .. }

التَّدبير الأحكامُ والإتقان؛ وهو هنا إرادة الأشياء على هذا النحو. والأمر: الشَأن. والمرادُ شئون الدنيا كلُّها. والجارّان متعلقان به،

{ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ}

والعُروج: الارتفاع والصيرورة إليه تعالى.

{فِي يَوْمٍ}

: يوم القيامة، ويتفاوت طوله بحسب اختلاف الشدة، فيعادل في حالة ألف سنة من سني الدنيا، وفي حالة خمسين ألفا منها. أي يُحكم الله شئون الدنيا كلها السماوِّية والأرضية إلى أن تقوم الساعة. أي يُريدها محكمة متقنة حسبما تقتضيه الحكمة، ثم تصير كلها إليه في يوم القيامة، وهو اليوم الذي لا حُكم فيه لسواه ولا مُلكَ لغيره { .. لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (16)} [غافر] ليَحْكُم فيما شأنه أن يحكم فيه بما يريد، ثم وصف هذا اليوم بما يفيد الشِّدةَ – وعِظَم الهول، وأنه إذا قيل بأيام الدنيا كان كألف سنة منها وقد يكون كخمسين ألفاً، واذا كانت صيرورة الأمر كله إليه يوم القيامة، فكيف يكون للمشركين فيه من دون الله وليٌّ أو شفيع!؟

.6

ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (6)

.7

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7)

{أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ}

أحكم وأتقنَ كلَّ شيء خلَقه – أي أوْجده مُحكما مُتْقَنا على وفق ما أراده سبحانه، واقتضته الحكمة واستدعته المصلحة. وقُرئ (خَلْقَه)، أي أحسن خلق كل شيء؛ فهو بَدل اشتمال منه.

{وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ}

أي خَلْق آدم من طين، فصار على أحسن صورة وأبدع شكل.

.8

ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8)

{مِنْ سُلَالَةٍ}

خلاصة [المؤمنون:12].

{مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ}

مُمتهن، لا يُعتنى به وهو المني. والمهين: الحقير والضعيف والقليل.

.9

ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (9)

{سَوَّاهُ}

قوَّمه بتصوير أعضائه وتكميلها.

{مِنْ رُوحِهِ}

تم إضافتها إليه تعالى للتشريف؛ كبيت الله.

.10

وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (10)

{وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ .. }

أي وقال منكرو البعث: أئذا ذهبنا وغبنا في الأرض، وصِرنا ترابًا بعد الموت، نُخلق بعد ذلك خلقا جديدا! من قولهم: ضلَّ الماء في اللبن، إذا غاب.

.11

قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (11)

{قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ}

يستوفي نفوسكم ولا يبقي أحدا منكم.

{الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ}

أي بِقبض أرواحِكم

{ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}

تصيرون إليه أحياءً بالبعث والنشور للحساب والجزاء. وأصل التَّوفي: أخذُ الشيء وافيا تاماً. يقال: توفَّاه الله، أي استوفَى رُوحه وقبضه. وتوفيتُ مالي: استوفيته. والتفعُّل والاستفعال يلتقيان؛ تقول: تقضيته واستقضيته، وتعجلته واستعجلته.

.12

وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (12)

{وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ}

مُطرقوها من الخزي والحياء والنَّدم في موقف الحساب من النَّكس وهو قلبُ الشيء على رأسه؛ كالتَّنكيس. وفعله من: باب نصر. وجواب (لو) محذوف، أي لرأيت العجب.

{إِنَّا مُوقِنُونَ}

أي بالبعث والحساب الآن.

.13

وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (13)

{وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا}

أي لو شئنا إيتاء كل نفس رشدها وتوفيقها إلى الإيمان لآتيناها ايَّاه.

{وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي}

أي ثبت وتحقَّق قولي:

{لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}

وهم الذين سبق في علمنا أنهم يؤثرون الضلال على الهدى لفساد استعدادهم؛ فلم نشأ إعطاءهم الهدى وأنتم منهم، وإنما شئنا إعطاءه للأبرار الذين علمنا أنهم يختارون الهدى على الضّلال؛ لنقاء نفوسهم وكمال استعدادهم، ومشيئتنا لأفعال العباد منوطة باختيارهم ايّاها المعلوم لنا أزلاً.

{مِنَ الْجِنَّةِ}

أي من الجن، وسُمُّوا جنًّا لاستتارهم عن الأنظار؛ من الجَنْ وهو الستر. قال تعالى: {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ} [الاعراف:27].

.14

فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (14)

{إِنَّا نَسِينَاكُمْ}

تركناكم في العذاب غير مُلتفَتٍ إليكم كالشيء المنسِيّ؛ جزاء نسيانكم لقاء هذا اليوم.

.15

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (15)

{خَرُّوا سُجَّدًا}

سقطوا ساجدين لله تعالى؛ تواضعاً له وخشوعا وخوفا من عذابه. قال أبو حيّان: هذه السَجدةُ من عزائم سجود القرآن.

.16

تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (16)

{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ}

تتنحَّى وترتفع جنوبهم عن فراش النّوم للعبادة. والتَّجافي: التَّنحي إلى جهة فوق. وأصلُه من جفا السّرج عن فرسه، إذا رفعه. كأجفاه. ويقال: تجافى عن مكانه إذا لم يلزمه. والجُنوب: جمع جّنْب، وأصله الجارحةُ المعروفة أريد به الشخص. والمضَاجع: جمع مضجع وهو مكان الاتكاء للنوم. والمرادُ: هجرهم النوم وقيامهم ليلا للتَّهجُّد والعبادة.

.17

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (17)

{مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ}

أي مما تُسر به قلوبُهم [مريم:26].

.18

أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (18)

.19

أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (19)

{فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى}

أي الجنّات التي يأوون إليها ويسكنون.

{نُزُلًا}

ثوابا، أو ضيافة. وأصله ما يُهيأُ للضيف النازل من الطعام والشراب والصِّلة، ثم عمَّ كلَّ عطاء.

{بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

أي بسببه. وكونُ العمل سببا إنما هو بمحض فضل الله تعالى.

.20

وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (20)

{وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ}

منزلهم ومسكنُهم.

.21

وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21)

{مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى}

أي الأقرب. وهو عذابُ الدنيا؛ كالأسقام والمصائب والجَدْب.

.22

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (22)

.23

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (23)

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ}

التوراة

{فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ}

شك

{مِنْ لِقَائِهِ}

أي لقاء موسى الكتاب بقبول ورضا وتحمُّلٍ لشدائد الدعوة به، فكن مثله في ذلك.

.24

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (24)

.25

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (25)

.26

أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (26)

{أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ}

أي أغفلوا!. ولم يُبَيِّن لهم مآل أمرهم، أو طريق الحق كثرةُ من أهلكنا من الأمم السابقة المعروفة لهم بسبب كفرهم، فكذلك هم يُهْلكون؛ من الهداية وهو الدلالة الموصلة للمطلوب.

{كَمْ أَهْلَكْنَا .. }

كثرة إهلاكنا الأمم قبلهم.

{الْقُرُونِ}

الأمم الخالية. وجملة

{يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ}

حال من الضمير في {لَهُمْ}.

.27

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (27)

{أَوَلَمْ يَرَوْا}

أي أعَمُوا ولم يشاهدوا

{أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ}

أي اليابسة التي جرُز نباتُها وقطع إما لعدم الماء أو لرعْيه. [الكهف:8].

.28

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (28)

{مَتَى هَذَا الْفَتْحُ}

أي الفصلُ في الخصومة بيننا وبينكم. والفتحُ: القضاءُ والحكمُ. [الأعراف:89]. قال المشركون ذلك استهزاءً وتكذيبا.

.29

قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (29)

{يَوْمَ الْفَتْحِ}

أي يوم القيامة.

{لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ}

أي لا ينفع الذين ماتوا على الكفر إيمانهم في ذلك اليوم.

{وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ}

أي يمهلون في العذاب.

.30

فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ (30)

والله أعلم.

سُورةُ الأحْزابِ

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (1)

{اتَّقِ اللَّهَ}

دُمْ على التقوى. أو ازدد منها؛ وهو صلى الله عليه وسلم أتقى المتقين.

{وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ}

ودُم على عدم إطاعتهم فيما يطلبونه منك من رفض ذكر آلهتِهم، وأنْ تقول إنها تشفع وتنفع. وهو تخصيص بعد تعميم: لاقتضاء المقام الاهتمام به.

.2

وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (2)

.3

وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (3)

{وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا}

حافظا متوليًا كل أمورِك.

.4

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (4)

{مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ}

مَثل ضربه الله للمُظاهر من امرأته، والمُتَبَنِّي ولد غيره تمهيدا لما بعده، أي كما لم يخلق الله للإنسان قلبين في جوفه، لم يجعل المرأة الواحدة زوجا للرجل وأمًّا له، والمرءَ دَعِيًّا لرجل وابنا له.

{وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ}

بتحريمهن على أنفسكم تحريما مؤبدا. يقال: ظاهر من امرأته وتظهَّر وظهَّر، إذا قال لها أنت على كَظَهْر أمِّي: يريد به تحريمها عليه كأمّه. وقد ردَّ الله تعالى عليهم في سورة المجادلة بقوله: {الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (2)} [المجادلة].

{وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ}

جمعُ دعِيّ، وهو الذي يُدعى ابنًا لغير أبيه. وكان الرجل يتبنى ولدَ غيره، ويجرى عليه أحكام البنوة النَّسبية، ومنها حرمة تزوجه بمطلقته، كما تحرم زوجة الابن النَّسبي على أبيه. فأبطل الله بذلك حكم هذا الظهار وأبطل التَّبني.

{ذَلِكُمْ}

أي ما ذُكر منهما

{قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ}

أي مجرد قول باللسان لا يحكي الواقع.

{وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ}

أي القول الثابت المحقَّق

{وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ}

يُرشد إلى سبيل الحق.

.5

ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (5)

{ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ}

انسبوهم لآبائهم النَّسبيين دون غيرهم. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تبنى قبل البعثة زيد ابن حارثة بعد أن أعتقه، فما كان

يُدعى إلا زيد بن محمد، فلا نزلت الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنت زيد بن حارثة ابن شراحيل).

{هُوَ أَقْسَطُ}

أعدل.

{فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ}

لتنسبُوهم إليه، {فَإِخْوَانُكُمْ} إخوانكم

{فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ}

أي أولياؤكم فيه؛ فادعوهم بالأخوة والمؤْلوِية، وقولوا للواحد منهم: أخي ومولاي. ولذا قيل لسالم بعد نزول الآية: سالم مؤلى أبي حذيفة، وكان قد تبنّاه قبل.

.6

النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (6)

{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ}

أي أحقُّ بهم من أنفسهم في الطاعة، فإذا دعاهم إلى أمر، ودعتهم نفوسهم إلى خلافه وجب أن يُؤْثِروا ما دعاهم إليه على ما دعتهم أنفسهم إليه؛ لأنه لمزيد شفقته عليهم ونُصحِه لهم لا يدعوهم إلا إلى ما فيه نجاتُهم، ونفوسهم كثيرا ما تدعوهم إلى ما فيه هلاكهم.

{وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ}

أي كأمهاتهم في وجوب تعظيمهن، وحُرمةِ نكاحهن بعده صلى الله عليه وسلم حُرمةٌ مؤبّده. وأما فيما عدا ذلك من النظر إليهن والخلوة بهن وإرثهن ونحو ذلك فهن فيه كالأجنبيات؛ ولذا لم يتعدّ التحريم إلى بناتهن.

{وَأُولُو الْأَرْحَامِ}

أي ذوو القرابات مطلقا؛ عصَبة وغير عصَبة

{بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ}

في الإرث

{فِي كِتَابِ اللَّهِ}

أي فيما أنزله الله في كتابه، وهو آية المواريث في سورة النساء [الآيات: 176،12،11].

{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ}

بيانٌ لأولي الأرحام. وكان بالمدينة توارث بين المهاجرين والأنصار بالهجرة والمؤاخاة – كما تقدم في آية 72 من الأنفال – ثم نسخ بأية 75 – منها وأكد النسخ بهذه الآية، وجعل التوارث بحق القرابة.

{إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا}

أي لكن إذا أوْصيتم إلى من توادُّونهم من هؤلاء بشيء من أموالكم كان ذلك جائزاً؛ فيكون لهم بحكم الوصية لا الميراث.

.7

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (7)

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ .. }

أي واذكر وقتَ أخذِنا من جميع اللنَّبِيِّين العهد الوثيق بتبليغ الرسالات وإقامة الدين الحق، أو بتصديق بعضهم بعضا في أصول الشرائع. وخُص خمسة منهم بالذكر، وهم أولو العزم من الرسل لفضلهم على سائرهم وقدم ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم لمزيد فضله عليهم وعلى سائر النبيين، صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين.

{مِيثَاقًا غَلِيظًا}

عهداً وثيقا قويا على الوفاء.

.8

لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (8)

.9

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (9)

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا .. }

بيانٌ لمزيد فضله تعالى على المؤمنين في صرفه أعداءهم عنهم وهزمه ايّاهم حين تحزَّبوا عليهم، وذلك في شوال سنة خمس أو أربع من

الهجرة. وتُسمى غَزْوة الأحزاب وغَزْوة الخندق.

{إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ}

وهم قريش وبنو أسد وغَطَفان وبنو عامر وبنو سليم وقريظة والنَّضير، وكانوا زُهاء اثني عشر ألفا. ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بإقبالهم أمر بحفر خندق حول المدينة بإشارة سلمان الفارسي.

{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا}

هي ريح الصَّبا وكانت شديدة البرودة.

{وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا}

هم الملائكة، ولم يقاتلوا في هذه الغزوة، وإنما ألقوا الرعب في قلوب المشركين.

.10

إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10)

{وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ}

مالت عن سَنَنِها حَيرةً ودهشة، شاخصة لا تلتفت إلى شيء إلا إلى عدوها. يقال: زاغ يزيغ زيها وزيغانا، مال. وزاغ البصرُ: كلَّ؛ وكلالُه من استدامة شخوصه من شدة الهَوْل.

{وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ}

نَبتْ عن أماكِنِها من الصدور، حتى بلغت الحلاقيم. وهو كنايةٌ عن شدة اضطراب القلوب ووجيبها من عظم الفزع والخوف.

{وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا}

أي الظنونَ المختلفة. ظنّ المنافقون أن المسلمين يُستأصلون، وأيقن المؤمنون حقًّا أنّ وعد الله حقٌّ وأنهم هم المنصورون.

.11

هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (11)

{هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ}

أي في ذلك المكان الدّحضِ اختبر الله المؤمنين بالخوف والجوع وشدّة الحصار، ليتبين المخلصون من المنافقين.

{وَزُلْزِلُوا}

اضطربوا كثيرا من شدة الفزع.

.12

وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (12)

{وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}

هم المُنافقون. والعطف لتغايُر الصفات.

{غُرُورًا}

باطلاً من القول. يقالُ: غَرَّه غَرًّا وغُرُورا وغِرَّة، خدعه وأطمعه بالباطل، فاغتر هو. وكان القائلون بهذه المقالة نحو سبعين رجلا من المنافقين.

.13

وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَاأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (13)

{يَثْرِبَ}

اسم المدينة المنورة قديما.

{لَا مُقَامَ لَكُمْ}

أي لا إقامة أو لا مكان إقامة لكم ههنا

{فَارْجِعُوا}

إلى بيوتكم بالمدينة.

{وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ}

هم بنو حارثة بن الحارث وبنو سَلِمة.

{إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ}

خالية ضائعة غيرُ حصينة. يقال: دارٌ ذاتُ عَوْرَةٍ، ودار مُعْوِرَة: إذا كان يسهل دخولُها. وكل مكان ليس بممنوع ولا مَسْتور فهو عورة. والعورةُ في الأصل: الخلَل في البناء ونحوه.

{فِرَارًا}

هربا من القتال مع المؤمنين.

.14

وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (14)

{مِنْ أَقْطَارِهَا}

جوانبها ونواحيها.

{سُئِلُوا الْفِتْنَةَ}

أي طُلب منهم مُقاتلةُ المسلمين.

{لَآتَوْهَا}

أي لأعطوْها وفعلوها.

{وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا}

أي ما تأخَّروا بالفتنة إلا

زمانا يسيرا قدر ما يأخذون أسلحتهم. والتَّلَبُّثُ: الإبطاء والتأخر؛ وهو تمثيل لإسراعهم إلى القتال وهم في أشد حال إذا ما دُعُوا إلى مقاتلة المسلمين، لفَرْط كراهتهم لهم، فضلا عن تعلُّلهم باختلال البيوت مع سلامتها.

.15

وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (15)

{لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ}

لا يفِرون ولا ينهزمون؛ كنى عن ذلك بتولِّي الأدبار، لأنَّ المنهزم الفارَّ يولِّي ظهره من فَرَّ منه.

.16

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (16)

.17

قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (17)

{يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ}

يمنعكم من قدره تعالى.

.18

قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (18)

{قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ}

المثبطين عن القتال، الصّارفين الناس عن نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم طائفة – من المنافقين كانوا يُخَذِّلون المسلمين، من العوْق وهو المنع. والصَّرفُ والتَّثبيط؛ كالتَّعويق والاعتياق. يقال: عاقه يعوقه عَوْقا، وعوَّقه واعتاقه: صرفه عن الوجه الذي يريده.

{وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا}

تعالوْا إلى ما نحن فيه من الإقامة والأمن والدَّعة، ولا تشهدوا مع محمد قتالا، فإنا نخاف عليكم الهلاك. اسم فعل أمر [الأنعام:150].

{وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ}

الحرب والقتال

{إِلَّا قَلِيلًا}

أي إلا إتيانا قليلا حين لا يجدون منه بُدًّا، فيأتون رياءً وسُمعة لا احتسابا عند الله تعالى.

.19

أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (19)

{أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ}

بُخلاء عليكم بالنُّصرة والنفقة في سبيل الله والمعاونة في حفر الخَنْدق وبكل ما فيه منفعة لكم. جمع شَحيح؛ من الشُّح وهو البخل مع الحرص، منصوب على الحال من ضمير (يَأْتُون).

{فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ}

من جهة العدو أو منه صلى الله عليه وسلم

{رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ}

خوفا من القتال أو منك

{تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ}

بأحداقهم يمينا وشمالا دون أن تَطرِف.

{كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ}

أي كدوران عيني الذي تغشاه سكرات الموت؛ لذهوله وشدة خَوْفه.

{سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ}

أي بَسِطوا فيكم ألسنتهم الذرِبَة بالأذى والسب والتنقيض: يقال: سلق البيض وغيره يَسلُقُه، أغلاه بالنار إغلاءةً خفيفة، وسَلَقه بالكلام: آذاه به. وأصلُ السَّلق: بسط العضو ومَدُّه للقهر، يداً كان أو لسانا. و (حِدادٍ): أي ماضية صارمة تؤثر تأثير الحديد. يقال: حدَّ السكين وأحدّها وحدَّدها، مسحها بحجر أو مِبْرد؛ فهي حديد.

{أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ}

بخلاء حريصين على الغنيمة، يشاحُّون المؤمنين عند قسمتها.

.20

يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (20)

{يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ}

يتمنَّى المنافقون إذا فُرِض رجوع الأحزاب للقتال مرةً أخرى، أن يكونوا غُيّبا عنكم في البادية مع الأعراب حذرا من القتل؛ لشدة خوفهم وجبنهم. يقالُ: بدا القوم بدًا، خرجوا إلى البادية. وقوم بُدًى وبُدًّا: بادون. والأعرابُ: جمع أعرابيّ وهم أهل البادية، كما أن العرب جمع عربي وهم أهل الحاضرة.

.21

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21)

{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}

أي خَصلةٌ حسنةٌ من حقها أن يؤْتسى ويُقتدى بها، وهي الثقة بالله والثبات في الشدائد، والصبر على المكاره والقتال بنفسه، أو قدوة صالحة؛ بمعنى المؤتسى به أي المقتدى به. وقرئ بكسر الهمزة. والخطاب للمؤمنين الخُلَّص.

.23

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (23)

{فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ}

أدَّى نذرَه، ووفَّى بعهده مع الله حتى استشهد في سبيله. والنَّحْبُ: النَّذر. وقضاؤه: الوفاء به. يقال: نَحَب – كنصر – إذا نذر. وقيل {قَضَى نَحْبَهُ}: أي مات على ما هو عليه من الصِّدق والوفاء.

.24

لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (24)

{لِيَجْزِيَ اللَّهُ .. }

أي ابتلاهم الله برؤية ذلك الخَطْب ليجزي.

{وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ}

أي في الآخرة فإن شاء أن يموتوا على نفاقهم

{أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ}

أي يوفِّقهم للتوبة، أو يقبل توبتهم إذا تابوا فلا يعذبهم فيها.

.25

وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (25)

.26

وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (26)

{وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ .. }

وأنزل يهودَ قريظة الذين عاونوا الأحزاب على قتال المسلمين، ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم غدرا وخيانة.

{مِنْ صَيَاصِيهِمْ}

أي من حصونهم. جمع صِيصِيَّة وهي كل ما يُتحصَّن

به؛ ومنه قيل لقرن الثَّور والظَّبي وشوكةِ الديك التي في رجله صِيَّصية؛ لتحصُّنها بها. وكان ذلك إثر غزوة الخَنْدق في آخر ذي القعدة. وقد حاصرهم الرسولُ صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلةً، ثم طلبوا حينَ اشتد البلاء عليهم أن ينزلوا على حُكم سعد بن معاذ ورضى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم فيهم أن تقتل الرجالُ وتُقسم الأموالُ، تُسبى الذَّراريُّ والنساء، فكبَّر النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرْقِعة). فكان القتلى منهم على ما قيل ستمائة أو سبعمائة مُقاتل.

{الرُّعْبَ}

الخوف الشديد.

.27

وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (27)

{وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا}

أي وأورثكم أرضا لم تطئُوها بعد بقصد القتال وهي خيبر، وهي مدينة كبيرة محصَّنة، بينها وبين المدينة أربع مراحل، وكان فتحها في شهر المحرم من السنة السابعة. وتفصيل هذه الغزوات في السِّيرة.

.28

يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (28)

{قُلْ لِأَزْوَاجِكَ .. }

طلب أزواجُ النبي صلى الله عليه وسلم – وهن تِسعٌ – السَّعة في النفقة وثياباً للزينة. فأُمر أن يخيرهُنَّ بين التسريح بإحسان ليَنلنَ الدنيا، وبين الصبر على ضيق الحال ليظفَرْن في الآخرة بالحسنى، فاخترْنَ – رضي الله عنهن – الله ورسوله والدار الآخرة. وقد كافأهن الله على ذلك بحُرمة الزيادة عليهن، وحرمة استبدالهن بقوله: {لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا (52)} [الاحزاب].

{أُمَتِّعْكُنَّ}

أُعطكنَّ مُتعة الطلاق، وهي مستحبةٌ للمطلقات المدخول بهن اللاتي سُميَ لَهنَّ مهر؛ وهي حق على المتقين [آية 236 البقرة].

{وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا}

أطلقكُنَّ طلاقاً خالياً من الضِرار أو من الخصومة، وهو التسريحُ بإحسان.

.29

وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (29)

.30

يَانِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (30)

{يَانِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ .. }

وَعظٌ لنسائه صلى الله عليه وسلم مع عصمة الله لهن وطهارتهن من كل سوء. أن من يأت منكن بمعصية ظاهرة القبح يضاعف عقابها؛ فإن المعصية من رفيع الشأن أشدُّ قبحاً، فناسب أن يضاعف جزاؤها. والجملة الشَّرطيَّة لا تقتضي وقوع الشرط؛ كما في قوله تعالى: { .. لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (65)} [الزمر].

.31

وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (31)

{وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ}

أي تخضع وتُطع.

.32

يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (32)

{يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ .. }

أدبٌ أدَّب الله به نساء نبيه صلى الله عليه وسلم، وهنَّ في مكان القدوة لسائر النساء، ومِنْ حَمَلة هدي النبوّة للأمة. أي لستُن كجماعة واحدة من جماعات النساء؛ فإذا تُقُصِّيت أمةُ النساء جماعة جماعة لم توجد جماعةً منهن تعدلكنَّ في الفضل والسابقة

{إِنِ اتَّقَيْتُنَّ}

الله عز وجل كما أمركُنَّ. أي إن دُمتُنَّ على ما أنتنَّ عليه من التقوى؛ وهو شرطٌ لنفي المثليَّة.

{فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ}

لا ترقُّقن الكلام ولا تُلنه إذا خاطبتن الرجال. والعرب تَعُدُّ من محاسن خصال النساء – جاهلية وإسلاما – تنزية خطابهن عن ذلك لغير الزوج من الرجال.

{وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا}

حسنا محمودا بعيدا عن الرِّيبة والأطماع.

.33

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (33)

{وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ}

الزمْنَها، فلا تخرجن لغير حاجة مشروعة. ومثلُهن في ذلك سائر نساء المؤمنين، والحكمة فيه: أن ينصرفْن إلى رعاية شئون بيوتهن، وتوفير وسائل الحياة المنزلية التي هي من خصائصهن ولا يحسنها الرجال، وإلى تربية الأولاد في عهد الطفولة وهي من شأنهن. وقد جرت السُّنة الإلهية بأنَّ أمر الزوجين قسمةٌ بينهما، فللرجال أعمال من خصائصهم لا يحسنها النساء، وللنساء أعمالٌ من خصائصهن لا يحسنها الرجال، فإذا تعدي فريق عمله اختل النظام في البيت والمعيشة. ومما يباح خروجهن لأجله: الحج، والصلاة في المسجد، وزيارة الوالدين، وعيادة المريض، وتعزية الأقارب، والعلاج ونحو ذلك؛ بشروطه التي منها التستُّر وعدم التبذُّل.

و {قَرْنَ} وقُرِئ (قِرْنَ) بكسر القاف، كلاهما من القرار بمعنى السكون. يقال: قرَّ بالمكان يَقِر – بالفتح والكسر – إذا أقام فيه وثبت. والأمر من الأول قَرْن، وأصلُه: اقروْنَ – بفتح الراء الأولى –. ومن الثاني قِرْن، وأصله: اقْرِرن – بكسر الراء الأولى.

{وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى}

أي إذا خرجتنَّ لحاجة فيحرُم أن تُبْدي إحداكنَّ من زينتها ما أوجب الله عليها ستره؛ كالشعر والعُنُق والصدر والذراعين والساقين، مما شأنه أن يثير النظر إليه شهوة الرجال. ومن التبرُّج في بعض الروايات: المِشْيَة بتكسُّر وحركات مثيرة؛ كما كان يفعل نساء الجاهلية الأولى. مأخوذٌ من البرَج وهو سعة العين وحسنها. و (الأولى) بمعنى المتقدمة. يقال لكل متقدم ومتقدمة: أوّلُ وأُولى، أو هي بمثابة قولهم: الجاهليّةُ الجَهْلاء.

{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ}

تعليل لما تقدم من الأوامر والنواهي. والرِّجس: الإثمُ والذنب، والقَذَر والنقائص. والمراد هنا: ذهاب كل ذلك عنهم. و (ال) فيه للاستغراق، ويحتمل أن تكون للجنس.

{أَهْلَ الْبَيْتِ}

هم نساؤه صلى الله عليه وسلم بقرينة السياق.

.34

وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (34)

{وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ}

أي اعملن بما ينزل في بيوتكن من القرآن الجامع بين كونه آيات بينات دالة على صدق النُّبوة، وكونه حكمة مشتملة على فنون العلوم والشرائع، والحكم والمواعظ والآداب والفضائل، وفي الآية إشارة إلى أنهُنَّ – وقد خُصِصن بنزول الوحي في بيوتهن دون سائر الناس – أحق بهذه الذكرى من سواهُنَّ.

.35

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (35)

{وَالْقَانِتِينَ}

المطيعين الخاضعين لله.

.36

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (36)

{وَمَا كَانَ}

أي ما صحّ

{لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ}

والمراد: أنه لا يحل لأي مؤمن ولا لأي مؤمنةٍ

{إِذَا قَضَى}

أي أراد

{اللَّهُ وَرَسُولُهُ}

أي أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر {الله} للإشعار بأن ما يفعله صلى الله عليه وسلم إنما يفعله بأمر الله تعالى؛ لأنه لا ينطق عن الهوى.

{أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}

أي أن يختاروا من أمورهم ما شاءوا؛ بل يجب عليهم أن يذعنوا لأمره صلى الله عليه وسلم ويجعلوا رأيهم تابعاً لرأيه في كل شيء. نزلت في زينب بنت جحش الأسدية ابنة أميمة بنت عبد المطلب عمّةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذلك أنه خطبها صلى الله عليه وسلم لمولاه وحبِّه زيد بن حارثة، وقال لها: (إني أُريد أن أزوجك زيد بن حارثة وقد رضيتُه لك) فأبتْ واستنكفتْ منه وقالت: يا رسول الله، أنا خير منه حَسَبا! ووافقها أخوها عبد الله، فلما نزلت الآية رضيا وسلّما. فأنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم زيداً؛ ودخل بها ومكثت عنده نحو سنة، وكانت حديدة الطبع، تُخشن له القول وتُسمعه ما يكره، وتفخر عليه بحسبها، فشكاها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ورغب في فراقها فقال له: {أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ} [الآية التالية] في أمرها. ولا تطلقها ضِرارا وتعلُّلاً بحدَّتِها وتكَبُّرها.

.37

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (37)

{وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ}

وهو ما أوْحَى الله إليك أنَّ زيدا سيطلِّقها وتكون إحدى نسائك بتزويج الله إيّاها لك؛ لكيلا يكون على المؤمنين حَرج في التزوج بمطلقات أدعيائهم بعد انقضاء عدتهن. فلم يخبره صلى الله عليه وسلم بذلك استحياءً من أن يقول: إن التي معك ستكون زوجتي، ومن أن يقول الناس: إنه يتزوج مطلَّقة ابنه: فعاتبه الله على إخفاء ذلك

{وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ}

أي تستحي من قولهم. والله وحده أحقُّ أن تخشاه. أي تستحي منه في كل أمر؛ فتفعل ما أباحه لك وأذن لك فيه، وتُبديه ولا تخفيه. فهو عتابٌ على ترك الأوْلَى به صلى الله عليه وسلم.

{فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا}

أي حاجةٌ، وطابت عنها نفسُه، وطلقها وانقضت عدتها

{زَوَّجْنَاكَهَا}

جعلناها زوجة لك بلا عقد ومهر وشهود

{لِكَيْ لَا يَكُونَ .. }

وهو من خصوصياته صلى الله عليه وسلم. وكان ذلك في سنة خمس من الهجرة. وكانت سنّها خمسا وثلاثين سنة، وكانت صوَّامة قوَّامةٌ محسنة.

{أَدْعِيَائِهِمْ}

من تبنوهم (قبل نسخ التبني).

.38

مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (38)

{مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ}

أي قسَمَ له وقدَّر، من قولهم: فرض له في الديوان كذا. أو فيما أحلّ الله له وأمَرَه به من تزوجِ زينبَ التي طلقها دعيُّه زيد بن حارثة رضي الله عنه.

{سُنَّةَ اللَّهِ}

أي سنَّ الله ذلك سُنَّة.

{خَلَوْا مِنْ قَبْلُ}

مضوا من قبلك من الأنبياء.

{قَدَرًا مَقْدُورًا}

واقعاً لا محالة. والقَدرُ: إيجاد الأشياء على قَدْر مخصوص من الوجوه التي تقتضيها الحكمة والمصلحة. ويقابله القضاءُ، وهو الإرادة الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه؛ وقد يستعمل كل منها بمعنى الآخر. والأظهر أنه هنا بمعنى القضاء، و {مَقْدُورًا} وصف مؤكِّد؛ كما في قولهم: ظلٌّ ظليل، ويوم أيَوْم.

.39

الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (39)

{حَسِيبًا}

مُحاسبا على عزائم القُلوب وأفعال الجوارح فلا ينبغي أن يُخشى غيرُه.

.40

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (40)

{مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ}

أبوَّةٌ حقيقية تترتب عليها أحكامها من الإرث والنَّفقة وحُرمة المصاهرة. وزيدٌ من رجالهم، فليس النبيُّ أبا له فلا يحرم عليه التزوُّج بمطلَّقته.

{وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}

أي أنهم به خُتموا: فهو كالخاتم والطابع لهم. ختم الله به النبوَّة فطبع عليها؛ فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة. وقرئ بكسر التاء، بمعنى أنه خَتَمهم أي جاء آخرهم. وقيل: الخاتَم – بكسر التاء وفتحها – بمعنى واحد؛ مثل طابع وطابَع. والمراد على القراءتين: أنه صلى الله عليه وسلم آخر أنبياء الله ورسله؛ فلا نبيَّ ولا رسول بعده إلى قيام الساعة؛ فمن زَعم النبوة بعده فهو كذّاب أفّاك، وكافرٌ بكتاب الله وسنة رسوله، ولذا أفتيْنا بكفر طائفة القاديانية، أتباع المفتون غلام أحمد القادياني الزّاعِم هو وأتباعه أنه نبيٌّ يوحَى إليه، وأنه لا تجوز مناكحتهم ولا دفنهم في مقابر

المسلمين. وكذلك أفتى الآلوسيُّ بكفر البابية، وهم عصابة من غلاة الشيعة لهم عقائد مكفرة.

.41

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41)

.42

وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (42)

{وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}

نَزِّهوه عما لا يليق به في وقت البُكرة والأصيل، أي أول النهار وآخره. وتخصيصُهما بالذكر ليس لقصر التسبيح عليهما دون سائر الأوقات، بل لإنافة فضلهما على سائرها. وقيل: المرادُ من التسبيح فيها صلاةُ الغداة وصلاة العصر.

.43

هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (43)

.44

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (44)

{تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ}

أي تحية المؤمنين من الله تعالي يوم لقائهم له عند الموت أو عند البعث أو عند دخول الجنة: هي التسليم عليهم على لسان ملائكته، الدَّال على السلامة من كل مكروه وآفة.

.45

يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45)

.46

وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (46)

.47

وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (47)

.48

وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (48)

.49

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (49)

{فَمَتِّعُوهُنَّ}

فأعطوهن المُتعة المعروفة وجوبا إن لم يكن لهنَّ مهر مُسمَّى، واستحبابا إن كان قد سُمِّيَ لهنَّ مهر مع نصفه. ويجوز أن يراد بالمُتعة العطاء؛ فيعم نصف المهر المسمى الواجب للمطلقة قبل المَسيس، والمتعةَ الواجبةَ للمطلقة قبل

المَسيس التي لم يسم لها مهر، ويكون الأمر للوجوب لا غير [راجع آيات 28 من هذه السورة: 236، 237 من البقرة].

{وَسَرِّحُوهُنَّ}

أخرجوهن من منازلكم لعدم وجوب العدة عليهن.

{سَرَاحًا جَمِيلًا}

إخراجاً عارياً عن أذى ومنع واجب.

.50

يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (50)

{أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ}

أعطيت مهورهن، وهن نساؤه اللاتي في عصمته؛ كعائشة وحفصة رضي الله عنهما. وأُطلق على المهر أجر لمقابلته الاستمتاع الدائم بالبُضع وغيره مّما يحلُّ الانتفاع به من الزوجة، كما يقابلُ الأجر المنفعة.

{وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ}

أي من السَّبِي؛ كصفيَّة بنت حُيي بن أخْطب، من سَبْي خيبر. وجُوَيرية بنت الحارث، من سَبي بني المُصطلِق.

{وَبَنَاتِ عَمِّكَ}

.. أي قراباتِك من جهة الأب، وقراباتك من جهة الأم. وهنَّ نساء قريش ونساء بني زُهرة.

{اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ}

أي حصلت منهنّ الهجرة وإن لم تقترن بهجرته صلى الله عليه وسلم. وتقييدُ إحلال الأزواج بايتاء المهور، والمملوكات بكونهن ممّا أفاء الله عليه. والقرابات بكونهن مهاجرات – للإرشاد إلى ما هو الأفضل له صلى الله عليه وسلم؛ لا لتوقف الحل عليه.

{وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ... }

أي وأحللنا لك امرأة مؤمنة إن ملَّكتك المُتعة بها بأي عبارة كانت بلا مهر وأنت تريد ذلك؛ فتكون إرادتك قبولاً. ومِمَّن وهبن أنفسهن له صلى الله عليه وسلم خولة بنت حكيم. وقيل: لم تكن عنده صلى الله عليه وسلم امرأة إلا بعقد نكاح أو ملك يمين. وحِلُّ الواهبة نفسها له مَهْر من خصائصه صلى الله عليه وسلم، فلا تحلُّ لغيره إلا بمَهر؛ كما قال تعالى:

{خَالِصَةً لَكَ}

أي خلَص لك إحلالُ الواهبة خالصة، أي خلوصا بلا مَهْر؛ فهي مصدر كالعافية.

{مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ}

فلابد في الإحلال لهم من مهر المثل.

{قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ}

أي في حق أزواجهم من شرائط العقد وحقوقه؛ فلا يجوز لهم الإخلال به، ولا الإقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم فيما خصه الله به توسعة عليه وتكريما له. فلا يجوز لهم التزوُّج إلا بعقد ومهر وشهود، ولا تجوز لهم الزيادة على أربع.

.51

تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (51)

{تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ... }

بيان للتَّوسعة عليه صلى الله عليه وسلم في تَرْك القَسم بين نسائه، وأنه لم يفرض عليه كما فرض على أمّته؛ فخُص بجعل الأمر إليه؛ إن شاء أن يقسِم بينهن قَسَم، وإن شاء أن يترك القَسم ترك. ولكنه مع هذا كان يقسِم بينهن إلى أن مات – عَدا سودة التي وهبت ليلتها لعائشة – تطييباً لنفوسهنَّ، وصوْناً لهنَّ عما تؤدي إليه الغَيْرة مما لا ينبغي من القول. وقيل: كان القَسْم واجبا عليه ثم نُسخ وجوبه بهذه الآية. و

{تُرْجِي}

تؤخر المضاجعة أي تتركها.

و {وَتُؤْوِي}

أي تضم وتضاجع. وقيل: الآيةُ في الطلاق، أي تطلِّق من تشاء منهن وتُمسِك من تشاء. وقيل في الأمرين؛ لإطلاق الإرجاء والإيواء.

{وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ}

أي طلبت إيواء من اجتنبتها.

{فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ}

في ذلك.

{ذَلِكَ}

أي تفويض الأمر من الله تعالى إلى مشيئتك.

{أَدْنَىٰ}

أقرب

إلى {أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ}

ويرضين عن طيب نفس بما تصنع معهن؛ فإذا سوَّيت بينهن وجَدْن ذلك تفضُّلاً منك، وإذا رجَّحت بعضهن علِمْن أنه بحُكم الله تعالى وإذنه لك فيه، ولا حق لهن قِبلك؛ فتطمئنُّ نفوسهن به.

.52

لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا (52)

{لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ}

أي من بعد التِّسع اللاتي في عصمتك اليوم، وهن اللاتي اخْترنك.

{وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ}

بأن تطلِّق واحدة منهنَّ وتَنْكِح بدلها أخرى، فحُرِّم عليه الزيادة عليهن والاستبدال بهن؛ مكافأة لهن على اختياره صلى الله عليه وسلم. والآية مُحكمه، وقيل: منسوخة بآية {تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ}؛ بناءً على أن معناها: تُطلِّق من تشاء و تمسك من تشاء؛ وأنها متأخرة في النزول عن هذه الآية وإن كانت متقدمة في التلاوة. وقيل: بآية {إِنَّا أَحْلَلْنَا}. وعن عائشة وأمِّ – سَلَمة: ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أُحِل له أن يتزوّج من النساء ماشاء. ولكن لم يقع منه صلى الله عليه وسلم زيادةٌ ولا استبدال، لتكون المنّة له عليهن.

{رَقِيبًا}

حفيظاً ومطلعاً.

.53

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (53)

{لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ .. }

نزلت في أناس كانوا يتحيّنون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فيدخلون بيته قبل الطعام، ويمكثون منتظرين نضجه، ثم يأكلون ولا يخرجون، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأذَّى بهم. أي لا تدخلوا بيوت النبي إلا وقت أن يُؤذن لكم إلى طعام – أي تُدْعَوا إليه – ولا تدخلوها إلا غير منتظرين نُضْجه وإدراكه. فالنهيُ مخصوص

بمن دخل من غير دعوة، ومكث منتظرا للطعام من غير حاجة، فلا تُفيد الآية النهي عن الدخول بإذن لغير طعام، ولا عن المكث بعد الطعام لمهمٍّ آخر. و (غير ناظرين) حال من ضمير (تدخلوا) " و

(إناه) أي نُضْجه و بلوغه. يقال: أنى ألطعام يأنى أنياً وانى– كقلى يقلي – إذا نضجَ وبلغ.

{وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ}

أي إلى الطعام، وهو يتضمن الإذن بالدخول.

{فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ}

أي أكلتم الطعام. يقال: طَعِمَ يَطْعَمُ طَعْما، ذاق وأكل.

{فَانْتَشِرُوا}

فتفرقوا ولا تمكثوا في البيت.

{وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ}

أي ولا تَدْخُلُوها مستأنسين الحديث بعضِكم بعضا. والظَّاهر –كما قال الألوسي – حُرمةُ المُكْث على المدعو للطعام بعد أن يطعم إذا كان في ذلك أذًى لرب البيت، وليس ما ذُكر مختصًّا بالمخاطبين، ولا بالمكث في بيت النبي صلى الله عليه وسلم؛ بل هو حكم وأدب عام.

{وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ}

إذا طلبتم من نسائه

صلى الله عليه وسلم

{مَتَاعًا}

شيئا يُتَمتَّع به من الماعون ونحوه. ومثلُه العلم والفُتْيا.

{فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ}

أي سِتر بينكم وبينهنَّ.

{ذَلِكُمْ}

أي السؤال من وراء حجاب

{أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ}

من الرِّيَب وخواطر السوء. وكان نزولُ آية الحجاب في شهر ذي القعدة من السنة الخامسة من الهجرة. وحكم نساء المؤمنين في ذلك حكم نسائه صلى الله عليه وسلم.

{وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ}

أي تَفْعَلوا فعلا يؤذيه نحو اللبْث في بيته. والاستئناس فيه بالحديث الذي كنتم تفعلونه، ومكالمة نسائه من دون حجاب.

{وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا}

أي من بعد وفاته أو فراقه، لأنهن أمَّهات المؤمنين، ولا يحلُّ للأولاد نكاح الأمهات.

{إِنَّ ذَلِكُمْ}

أي إيذاءه ونكاح أزواجه من بعده.

{كَانَ عِنْدَ اللَّهِ}

ذَنبًا.

{عَظِيمًا}

جسيماً.

.54

إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (54)

.55

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (55)

{لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ .. }

استئناف لبيان من لا يجب عليهن – وكذا على غيرهن من النساء – الاحتجاب عنهم، ولم يُذكر العمُّ والخال لأنها بمنزلة الوالدين.

.55

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (56)

{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ}

المراد بالصلاة هنا العطفُ، وهو من الله الرحمةُ، ومن الملائكة الاستغفار، ومن الناس الدعاء.

{وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}

قولوا: السلام عليك أيها النبي ونحوه. والسّلام: مصدرٌ بمعنى السلامة؛ أي السلامة من النقائص والآفات لك، أي ملازمة لك. ولتضمنُّه معنى الثناء عُدِّي بعلى.

.57

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (57)

.58

وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (58)

{بُهْتَانًا}

فعلا شنيعاً، أو كذبا فظيعا.

.59

يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (59)

{يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ}

يُسْدِلنَ الجلابيب عليهن حتى يسترن أجسامهن من رءوسهنَّ إلى أقدامهن. والإدناءُ: التقريبُ، ولتضمُّنه معنى السّدل أو الإرخاء عُدِّي بعلى. والجلابيبُ: جمعُ جلباب، وهو ثوب يستر جميع البدن يعرف بالملاءة أو المِلحفة.

.60

لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (60)

{لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ}

عن نفاقهم.

{وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}

هم المنافقون، والعطفُ التغاير الصفات مع اتحاد الذّات.

{وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ}

هم المنافقون؛ والعطفُ لما ذُكر. وقيل: هم مَنْ حول المدينة من اليهود وكانوا يَنْشرون أخبار السُّوء عن سرايا المسلمين، ويلفقون الأكاذيب الضارة بالمسلمين ويذيعونها؛ من الإرجاف وهو إشاعةُ الكذب والباطل للاغتمّام به. وأصلُه التَّحريك الشديد؛ مأخوذٌ من الرجفة التي هي الزلزلة، وُصفت به الأخبار الكاذبة لكونها في نفسها متزلزلة غير ثابتة. أو لإحداثها الاضطراب في قلوب المصدِّقين.

{لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ}

لنسلطنك عليهم.

.61

مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (61)

{أَيْنَمَا ثُقِفُوا}

أينما وُجدوا وظفر بهم

{أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا}

وقد انتهى المنافقون عمَّا هو المقصود بالنَّهي وهو الإيذاء فلم يُقَّتلوا. أما اليهود فلم ينتهوا ووقع القتل والإجلاء لهم.

.62

سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (62)

.63

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (63)

.64

إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (64)

.65

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (65)

.66

يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (66)

.67

وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (67)

.68

رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (68)

{رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ}

عذابَيْن يُضاعِف كل واحد منهما الآخر؛ عذاباً على ضلالهم في أنفسهم، وعذابا على إضلالهم لنا.

.69

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (69)

{وَجِيهًا}

ذا جاه وقدر مستجاب الدعوة.

.70

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70)

{وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا}

صواباً أو صدقاً، أو قاصدا إلى الحق؛ من سدد سهمه يُسدِّده، إذا وجهه للغرض المَرْمِيّ ولم يعدل به عن سَمْته.
والمراد من الأمر به: النهي عن ضده؛ ومنه ما قاله المنافقون في شأنه صلى الله عليه وسلم وزيدٍ وزينب.

.71

يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71)

.72

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72)

{عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ .. }

هي التكاليف والفرائض. أو كلُّ ما يُؤتَمن عليه من أمر ونهي، وشأن دين ودنيا. وسُمِّيت أمانة لأنها حقوق أودعها الله المكلفين وائتمنهم عليها، وأوجب عليهم مراعاتها والمحافظة عليها، وأداها من غير إخلال بشيء منها. ونقل القرطبي عن القفّال وغيره: أن العَرْض في الآية ضربُ مَثل، أي أن هذه الأجرام على عظمها لو كانت بحيث يجوز تكليفُها لثقل
عليها تقلدُ الشرائع و لما فيها من العقاب والثواب. أي أن التكليف أمر حقّه أن تعجز عنه السموات والأرض والجبال، وقد حمله الإنسان وهو ظلوم جهولٌ لو عقل، وفي القرآن من ضرب الأمثال كثير.

{فَأَبَيْنَ}

امتنعن.

{وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا}

خفن من الخيانة فيها. وقيل: الآية من المجاز: أي أنا إذا قايسنا ثِقل الأمانة بقوة السموات والأرض والجبال، رأينا أنها لا تطيقها، وأنها لو تكلمت لأبت وأشفقتْ؛ فعُبر عن هذا بعرض الأمانة، كما تقول: عرضت الحِمْل على البعير فأباه؛ وأنت تريد قايست قوته بثقل الحِمل فرأيت أنها تقصر عنه.

.73

لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (73)

{لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ .. }

اللامُ للعاقبة، أي لتكون عاقبة الحمل أن يعذب الله من لم يَرعَ الأمانة ولم يقم بحقها، ويقبل توبة من أطاعه وراعى حقها، وأناب إليه تعالى في أموره.

والله أعلم.

سُورَةُ سَبَأ

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (1)

{وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ}

أي والحمد لله الذي له خاصة الحمد في الآخرة على ما أنعم به على المؤمنين فيها؛ يقولون إذا دخلوا الجنَّة: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ} [الزمر:74]، {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ} [فاطر:34]، {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} [الاعراف:43].

.2

يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (2)

{يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ}

أي كلَّ ما يدخل فيها، كمطر وكنوز ودفائن وأموات.

{وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا}

أي كل ما يخرج منها: كنبات وحيوان وغيرهما.

{وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ}

من مطر وبَرَد، وصواعق، وبركات وملائكة، وكتب ونحوها.

{وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا}

أي ما يصعد فيها من الملائكة والأعمال، والأرواح والدعاء، والطير والبخار ونحوها؛ من العروج وهو الذهاب في صعود. والسّماء: جهة العُلوِّ مطلقا.

.3

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (3)

{لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ}

أنكروا قيام الساعة فأمر صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم:

{بَلَى}

أي ليس الأمر إلا إتيانها. وهي حرف جواب لرد النّفي؛ فتفيد إثبات المنفِي قبلها. ثم أكد ذلك بقوله: {وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ}.

{لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ}

لا يغيب عن علمه وزن أصغر نمله. يقال: عَزَب الشيء يعزُبُ ويَعْزِب، إذا غاب وبعُد. والمراد: أنه لا يغيب عن علمه شيء ما مهما دقَّ وصَغُر.

.4

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4)

.5

وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (5)

{وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا}

بالقَدح فيها وصدِّ الناس عن الإيمان بها

{مُعَاجِزِينَ}

أي مسابقين؛ يحسبون أنهم يفوتوننا فلا نقدر عليهم. يقال: عاجزه وأعجزه، إذا غالبه وسبقه.

{لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ}

أي من سئ العذاب وأشده.

{أَلِيمٌ}

أي مؤلم موجع. وصفةٌ لـ (عذاب). وقرئ بالجر صفة لـ (رِجْزٍ).

.6

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (6)

.7

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (7)

{يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ .. }

أي يحدثكم أنكم – إذا مِتُّم وفُرّقت أجسامكم في الأرض كل تفريق، وصرتم رُفاتاً وعظاماً، أو فُرّقت في كل مكان، من القبور وبطون الطين والسّباع والبحار ونحوها – تُبعثون وتحاسبُون!. قالوا ذلك أستهزاء وتعجُبًا. وتمزيق الشيء: تخريقُه وجعْلُه قطعاً قطعاً. يقال: ثوب مَزيقٌ وممزوق ومتمزِّق وممزَّق، أي مقطَّع مخرَّق.

.8

أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ (8)

{أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ}

الهمزة للاستفهام كما في: (أطَّلع الغَيْب) أي أختَلق على الله كذبا فيما نسبه إليه من أمر البعث! أم به جنون فهو يتكلم بما لا يدري!

{بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ .. }

أي ليس الأمر كما زعموا: بل هم في غاية الضلال عن الفهم وفيما يؤدي إليه ذلك من العذاب. ثم هدّدهم على ما اجترءوا عليه، وذكَّرهم بما يشاهدونه من أدلة القدرة فقال:

.9

أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (9)

{أَفَلَمْ يَرَوْا .. }

أي أعمُوا فلم ينظروا.

{نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ}

كما فعلنا بقارون.

{أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا}

قطعاً

{مِنَ السَّمَاءِ}

تُهلكهم؛ كما أسقطناها على أصحاب الأيكة لتكذيبهم وجحودهم

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ}

راجع إلى الله تعالى بالتوبة.

.10

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (10)

{يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ}

أي وقلنا: يا جبال رجّعي وردّدي معه التسبيح إذا سبح لله تعالى؛ قال تعالى: {إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (18)} [ص:18]. يقال: أوّبَ تأويباً، إذا رجّع. وأصله آب أوْبا بمعنى رَجَعَ، فيُعدَّى بالتضعيف.

{وَالطَّيْرَ}

أي وآتيناه الطير، بمعنى سخرناها له تُؤَوِّب معه.

{وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ}

صيّرناه ليّنا في يده كالعجين؛ يُشكّله كما يشاء، من غير إدخال نار ولا طَرْق بمطرقة.

.11

أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (11)

{أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ}

أي ألنّاهُ له لعمل دروع واسعات. والسابِغَةُ: الدِّرعُ الواسعة. يقال: سبغَت الدرع، وسَبَغ الشيءُ سبوغا: طال إلى الأرض واتّسع.

{وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ}

أي أحْكِم نسج الدُّروع بحيث تُدخل الحَلَق بعضها في بعض؛ من التقدير، وهو هنا: التفكير في تسوية الأمر وتهيئته. والسَّرد: نسجُ الدروع. يقال: سَرَد الدّرع سَرْدا – من باب نصر – نسجها. وقيل: السَّرد اسم جامع للدروع وسائر الحَلَق.

.12

وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12)

{غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ}

جرْيها في الغُدوة وهي من أول النهار إلى الزَّوال مسيرة شهر. وفي الرَّواح وهو من الزوال إلى الغروب كذلك، أي ما تقطعه في هذه المدة يقطع عادة في شهر.

{وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ}

وهو النحاس المذاب، من قَطَر يقْطُر قَطْرا وقَطرانا: إذا سال. أسالَه له فنَبع كما ينبع الماء من العين.

{وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا}

أي يَعدل من الجن عما أمرناه به من طاعة سلمان

{نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ}

في الآخرة. يقال: زاغ عن الأمر يزيغ زَيغاً، إذا عدل عنه.

.13

يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13)

{مِنْ مَحَارِيبَ}

أي قصور و مساجد. جمعُ محراب، وهو كل موضع مرتفع. ويطلق على مكان وقوف الإمام في المسجد، وعلى الغرفة التي يصعد إليها بدرج، وعلى أشرُفِ بيوت الدار.

{وَتَمَاثِيلَ}

أي صُور للملائكة والأنبياء والصالحين من زُجاج أو نُحاس أو رخام، تقام في المساجد، ليراها النّاس فيعبدوا الله تعالى وحده مثل عبادتهم.

وكان اتخاذها في شريعته جائزاً أما في شريعتنا فمحرّم؛ سدا لذريعة التشبه بمتخذي الأصنام.

{وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ}

أي قصاعٍ كبار كالحياض العظام. جمعُ جَفِنة وهي أعظم القصاع. وجابية وهي الحوض الضخم الذي يُجبى فيه الماء للإبل أي يجمع؛ ومنه جبيت الخراج جباية، والماءَ في الحوض جَبْيا: جمعتُه.

{وَقُدُورٍ}

هي ما يطبخ فيها الطعام من فَخَار أو نُحاس أو غيره.

{رَاسِيَاتٍ}

أي ثابتات و على الأثافي [الأثافي: جمع أثفية – بضم الهمزة وتكسر –: الحجر يوضع عليه القدر.]، لا تُحمل ولا تُحرك لضخامتها وعظمها.

{اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ}

اعملوا يا آل داود بطاعة الله.

{شُكْرًا}

له تعالى على ما خصكم به من النعم، وعلى سائر النعم التي عمّكم بها مع سائر خلقه. وحقيقة الشكر: الاعتراف بالنعمة للمُنعم، والثناءُ عليه لإنعامه، واستعمال النعم في طاعته، و (شكرا) مفعول لأجله.

.14

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14)

{دَابَّةُ الْأَرْضِ}

أي الدّابة التي تفعل الأرْض وهو أكل الخشب، وتسمى الأرَضة وسُرفة وسُوسَة الخشب. يقال: أرَضت الدابة الخَشَب أرْضا – من باب ضرب – أكلته؛ وإضافة دائبة إليه من إضافة الشيء إلى فعله. {تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ .. }

أي عَصَاه التي كان يتوكأ عليها. وسُمّيت مِنْسَأَةً لأنه يزجر بها ويُساق، وتؤخَّر بها الغنم وتدفع إذا جاوزت المرعى؛ من نَسَأ البعير – كمنع – إذا زجره وساقه، أو أخّره ودفعه؛ كنَسأه وأنسأه. وقد أكلت الأرَضةُ شيئا منها فسقط، فعلمت الجنُّ علما بيّنا كذب من يزعم منهم علم الغيب؛ وإلا العلموا بموته في حينه، فلم يلبثوا بعده في هذه الأعمال الشاقة.

.15

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15)

{لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ}

هو في الأصل اسمُ رجلٍ، وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود، وهو أول ملوك اليمن، وكان لهُ عشرةُ أولاد: تيامَن منهم بعد السَّيْل ستة، وهم: الأزدُ وكندةُ ومَذْحِج والأشعريُون وأنمار وحِمير. وتشاءم منهم بعده أربعة، وهم: عاملةُ وغسان ولخْم وجُذام. والمراد به هنا: الحَيُّ أو القبيلة المسماة باسمه؛ فيصرف على الأوّل، ويُترك صرفه على الثاني، وبها قرئ ومسكنُهم: مَأْرب – بوزن مَنْزل – باليَمن على مسيرة ثلاث ليال من صنعاء، ويُطلق عليها سبأ. وهي مدينة بلقيس.

{آيَةٌ}

علامة دالة على قدرته تعالى وإحسانه ووجوب شكره. أو دالة على أن من بَطِر النّعمة، ولم يقم بحق شكرها سلبه الله إياها و وبدله بها بؤسا وشقاءً، فليتعظ بذلك من كفر بالله وغمِط نعمهُ؛ ككفار مكة.

{جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ}

طائفتان من البساتين طائفة عن يمين بلدهم، وطائفة عن شماله ينعم الناس بثمارها ويستترون بظلالها.

{بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ}

زكية مستلذة.

.16

فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (16)

{فَأَعْرَضُوا}

عن الشكر أو كذبوا أنبياءهم.

{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ}

العَرِمِ: اسم الوادي الذي كان يأتي السَّيل منه، وقيل: المطر الشديد. وقيل: السَّيلُ الذي لا يطاق. وإضافة (سيل) إليه من إضافة الموصوف إلى الصفة مع التجريد. أي أرسلنا عليهم السَّيل الذي لا يطاق. وقيل: العّرِم جمع لا واحد له، أو واحده عرمة، وهو الأحباس والسُّدود تبنى في أوساط الأودية لحجز السيول. وكانت السيول تأتي المدينة من الأودية، فَبُنِيَ سد عظيم لحجزها وللانتفاع بها في ريِّ أراضيها على الدوام، فأخصبت ونمت الزروع وكثرت الأموال، فبطِرُوا معيشتهم وأعرضوا وأهملوا – لشدّة ترَفِهم – إصلاحه فتصدع بناؤه، ولم يقو على مقاومة السيل بعد. فلما جاء اجتاح أراضيهم واكتسح أموالهم، ومزقهم شر ممزق؛ فتشتتوا في البلاد. وضُرب بهم المثل، فقيل: ذهبوا أيدِي سبأ، وتفرقوا أيادي سَبَا، واليد: الطريق، أي فرقتهم طرقهم التي سلكوها كما تفرق أهل سبأ في مذاهب شتى. فلحق كل فرع بجهة، ومنهم غسان لَحِقَ بالشام، والأوس والخَزْرج بيثرب، والأزدُ بعُمان، وخزاعة بتهامة، وآل خزيمة بالعراق.

{أُكُلٍ}

ثمر

و {خَمْطٍ}

بدل منه، وهو ثم الأراك، أو هو نبت لا يمكن أكله، أي ثم نبت مر.

{وَأَثْلٍ}

هو ضرب من الطَّرفا، أو هو السَّمْر، وهو نوع من العِضاه مفردُه سَمُرة.

{سِدْرٍ}

هو الضَّال، وهو نوع من السِّدر لا ينتفع به ولا يصلح ورقه للغَسُول، وله ثمرة عَفصَة لا تؤكل. أي أن ثمار أراضيهم التي كانت طيبة نافعة أصبحت بعد التبديل على العكس من ذلك؛ جزاء إعراضهم بطرا وكفرا.

.17

ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (17)

.18

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (18)

{الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا}

قرى الشام

{قُرًى ظَاهِرَةً}

متواصلة بحيث يظهر لمن في بعضها ما في مقابلته من الأخرى.

{وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ}

جعلنا نسبة بعضها إلى بعض على مقدار معيَّن من السير كميل أو مرحلة، فلا مشقة يتحملونها في أسفارهم.

.19

فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (19)

{بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا}

طلبوا بطراً وطغياناً أن يجعل الله بينهم وبين الشام مكان تلك القرى العامرة مفاوز وصحاري متباعدة الأقطار؛ فأجابهم إلى ما طلبوا.

{فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ}

صيّرناهم أحاديث، يتلهَّى الناس بأخبارهم، ويضربون بهم المثل، فيقولون: تفرقوا أيدي سبا.

{وَمَزَّقْنَاهُمْ}

فرقناهم في البلاد.

.20

وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (20)

{وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ}

أي حقق عليهم إبليس بطاعتهم له وعصيانهم

ربهم ما كان يظنه ظنًّا، من أنهم بإغوائه إياهم يتبعونه ويطيعونه في معصية الله. وقُرئ (صدَق) بالتخفيف، أي صَدَق في ظنه بمعنى أصاب فيه.

.21

وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (21)

{سُلْطَانٍ}

تسلط واستيلاء بالوسوسة والإغواء.

.22

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (22)

{قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ}

فيما يهمُّكم من أموركم لعلهم يستجيبون لكم. والأمر للتَّوبيخ والتَّعجيز.

{لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ .. }

أي لا يملكون شيئا ما من خير أو شر، أو نفع أو ضر في أمر من الأمور؛ فكيف يكونون آلهةً تُعبد!؟ والجملة مستأنفةٌ في موقع الجواب عما قبلها.

{وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ}

أي ليس له تعالى من هؤلاء الآلهة الباطلة مُعينٌ يعينه في تدبير أمر من أمور السموات والأرض.

.23

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (23)

{وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ}

تعالى

{إِلَّا لِمَنْ}

أي لشافع

{أَذِنَ لَهُ}

من النبيين والملائكة – و نحوهم من المستأهلين لمقام الشفاعة عنده – في الشفاعة لمن يستحقها. وظاهر أن الكفار لا يستحقونها، وأن الأصنام ليست أهلا لها، ونظيره قوله تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة:255]. وقوله تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الانبياء:28]. وهو تكذيب لقولهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

{حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ}

أي كُشِف عنها الفَزَع. والتَّضعيف هنا للسَّلب؛ كما في: قَّردت البعير: إذا أزلت قُراده. ومنه التَّمريض. والفَزعُ: انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف، و (حتَّى) غاية لما فُهِم مما قبلها من أنَّ ثَم انتظارا وترقُبا من الراجين للشفاعة والشفعاء، هل يؤذن لهم أو لا يؤذَن لهم، والكلُّ في فَزَع وخوف في ذلك الموقف الرهيب. فكأنه قيل: يتربصون ويتوقفون ملياً فزعين، حتى إذا كُشِف الفزع وأزيل عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة من رب

العزة في إطلاق الإذن، تباشروا بذلك فسأل بعضهم بعضا: {قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ} أي القول الحقَّ، وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى.

.24

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (24)

{إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}

بعد أن عُرف مما تقدم من هو على الهدى ومن هو على الضلال، أخبرهم الله بأنهم على الضلال على جهة الإنصاف في الحجة، فهو كقول المتبصر في الحجة لصاحبه: أحدنا كاذبٌ، وقد عرف أنه الصادق المصيب، وصاحبَه الكاذبُ المخطئ، ومثله في الإنصاف بكلام أبلغ وأسلوب أرفع: قوله تعالى: {قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (25)}.

.25

قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (25)

{قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا}

أي كسبنا {وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ}.

.26

قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (26)

{ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ}

أي يحكم بالعدل، فيثيب المطيع ويعاقب العاصى.

{وَهُوَ الْفَتَّاحُ}

أي الحاكم في كل أمر بالحق

{الْعَلِيمُ}

في ما يتعلق بحكمه من المصالح.

.27

قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (27)

{كَلَّا}

ردع لهم عن زعم الشرك.

.28

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (28)

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ}

أي إلّا إلى الناس جميعا. وأصله من الكَفّ بمعنى المنع، وأريد به العموم لما فيه من المنع من الخروج. واشتهر فيه حتى قُطع فيه النظر عن معنى المنع بالكلية.

.29

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (29)

.30

قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ (30)

.31

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (31)

{وَلَوْ تَرَى .. }

أي ولو ترى حال الظالمين وقت وقوفهم للحساب راجعاً بعضهم إلى بعض القول لرأيت حالة فظيعة.

{مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ}

أي محبوسون عنده تعالى في موقف الحساب.

.32

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (32)

.33

وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (33)

{بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}

بل صدَّنا مكركم بنا في الليل والنهار، وأضيف المكرُ إليهما لوقوعه فيهما. والمكْرُ في الأصل: الاحتيالُ والخديعة. يقال: مكَر به يمكُر؛ فهو ماكِرٌ ومكَّار.

{وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا}

أشباها ونظراء وأمثالا نعبدها من دونه تعالى، جمعُ نِدّ.

{وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ}

أي أخفُوا الندم على ما كان منهم في الدنيا من الضلال والإضلال بالنسبة للمستكبرين، ومن الضلال فقط بالنسبة للمستضعفين لما عاينوا العذاب وهالتهم شدّتُه، أو أظهروا الندم عندئذ. وأسَرَّ من الأضداد، تأتي بمعنى الإخفاء والإبداء، وهمزتُها تصلح للإثبات والسّلب. فمعنى اسَرَّه: جعله سرا أو أزال سِره. ونظيره: أشكَيْتُ.

{وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ}

أي القيود

{فِي أَعْنَاقِ}

المستكبرين والمستضعفين

{الَّذِينَ كَفَرُوا}

جزاء ما كانوا يعملون.

.34

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (34)

{قَالَ مُتْرَفُوهَا}

أغنياؤها ورؤساؤها وجبابرتها المُتسعُون في النِّعم فيها، البطرون بها.

.35

وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (35)

.36

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (36)

{وَيَقْدِرُ}

يقتر و يُضيق الرزق على من يشاء أن يُقتَرَ عليه، ضدُّ يبسط. والأمرُ في كليهما على حسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية.

.37

وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (37)

{تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى}

أي قُرْبَى. منصوب على المصدرية من معنى العامل، والتقدير: تقرّبكم قُربى.

{لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ}

أي إن يجازيهم الله الضعف، مصدر مضاف لمفعوله، أوْ لهم الجزاء المضاعف؛ من إضافة الموصوف إلى الصّفة.

{فِي الْغُرُفَاتِ}

المنازل الرفيعة في الجنة.

.38

وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (38)

{مُعَاجِزِينَ}

زاعمين سبْقَهم لنا، وعدم قدرتنا عليهم.

{فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ}

أي في جهنم يُحضرهم الزبانية فيها.

.39

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (39)

{وَيَقْدِرُ لَهُ}

يضيقه على من يشاء بحكمته.

.40

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (40)

.41

قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (41)

{أَنْتَ وَلِيُّنَا}

أنت الذي نواليه.

{يَعْبُدُونَ الْجِنَّ}

أي الشياطين، حيث كانوا يطيعونهم فيما يُسوّلون لهم من عبادة غيره تعالى.

.42

فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (42)

.43

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (43)

{مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى}

أي ما هذا القرآن إلا كذب في نفسه، مفترى على الله من حيث نسبته إليه؛ فـ (مفترى) تأسيس لا تأكيد.

.44

وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (44)

{وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا .. }

أي لم نأتهم بكتب تدل على صحة الشرك ليُعذروا فيه؛ ولم نرسل إليهم قبلك نذيرا يدعوهم إلى الشرك، ويخوّفهم العقاب على تركه. وفي هذا من التهكُّم والتجهيل لهم ما لا يخفي.

.45

وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (45)

{مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ}

عشر ما أعطيناهم من النعم.

{فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ}

فكيف كان إنكاري عليهم بالتدمير والإهلاك؛ فليحذر هؤلاء من مثله. وأصل النَّكير: تغييرُ المنكر؛ أي إزالته بالعقوبة في الدنيا، إذ هي التي يحصل فيها تغييره.

.46

قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (46)

{إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ}

أي إنما آمركم وأوصيكم بخَصلة واحدة. أو أحذّركم سوء عاقبة ما أنت فيه بكلمة واحدة. هي:

{أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى}

أي تجتهدوا في الأمر بإخلاص الوجه الله تعالى. متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا

{ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا}

في أمر محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته وما جاء به، فيتعاضد الاثنان في التفكُّر والتأمل في أمره، وينظر الواحد في أمره بعَدْل ونَصَفة؛ فعند ذلك تعلمون أنه على الحق.

{مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ}

من جنون و خَبَل، حتى يتصدَّى لهذا الأمر العظيم من تلقاء نفسه، غير مبال بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه، بل هو من تعلمونه أرجح الناس عقلا، وأصدقهم قوة، وأفضلهم علما، وأحسنهم عملا، وأجمعهم للكمالات البشرية؛ فما جاءكم به إنما هو وحي يوحى إليه من الله تعالى، وما هو إلا رسولٌ بشير ونذير.

.47

قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (47)

.48

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (48)

{يَقْذِفُ بِالْحَقِّ}

أي يُلقي الوحي إلى أنبيائه بسبب الحق أو متلبساً به. أو يقذف الباطل بالحق؛ كما قال تعالى: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (18)} [الانبياء]. أو يقضي ويحكم بالحق؛ بتضمين (يقذف) معني يقضي.

.49

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (49)

{قُلْ جَاءَ الْحَقُّ}

أي الإسلام والتوحيد، أو القرآن.

{وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ}

أي ذهب الباطل – وهو الشرك والكفر – ولم يبق له إبداء ولا إعادة، وهو كناية عن ذهابه واضمحلاله بالمرة، فإن الإبداء

فعل الأمر ابتداء، والإعادة فعله ثانيا، ولا يخلو الحيُّ عنهما فعدمهما كناية عن هلاكه، كما يقال: فلانٌ لا يأكل ولا يشرب، كناية عن هلاكه.

.50

قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (50)

.51

وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (51)

{وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا}

أي لو ترى إذا اعتراهم فزع وهلع في الآخرة عند البعث ومعاينة العذاب لرأيت أمرا هائلا.

{فَلَا فَوْتَ}

فلا نجاة ولا مهرب لهم يومئذ من عذاب الله.

{وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ}

أي من موقف الحساب إلى النار.

.52

وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (52)

{وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ}

أي ومن أين لهم في الآخرة تناوُلُ الإيمان والتوبةُ من الكفر؛ وقد كان ذلك قريبا منهم في الدنيا فضيّعوه! وكيف يقدرون على الظفر به في الآخرة وهي بعيدة من الدنيا! والتَّناوُش: التَّناوُل يقال: ناشه ينوشه نوشاً تناوله؛ ومنه: تناوشوا بالرماح. أي تناول بعضهم بعضا بها.

.53

وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (53)

{وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ}

أي وكانوا يرجُمون بالظَّن ويتكلمون بما لم يظهر لهم؛ فينسبون إليه تعالى الشريك ويقولون: لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار. ويقولون في القرآن: سحر وشعر وأساطير الأولين. وفي الرسول: ساحر شاعر كاهن مجنون.

{مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ}

من جهة بعيدة عن أمر من تكلموا في شأنه وعن الحق والصّدق. والعربُ تقول لكل من تكلم بما لا يحقه: هو يَقذِف ويَرْجم بالغيب.

.54

وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ (54)

{وَحِيلَ}

في الآخرة

{بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ}

، وهو الإيمان المقبول والتّوبة المنجّية.

{كَمَا فُعِلَ}

في الآخرة

{بِأَشْيَاعِهِمْ}

أمثالهم ونظرائهم من كفار الأمم الماضية الذين كانوا

{مِنْ قَبْلُ}

أي من قبلهم: فقد حيل بينهم وبين ما يشتهون من ذلك في الآخرة. والأشياعُ: جمعُ شِيَع، وشَيَعٌ جمع شيعة.

وشيعة الرجل: أتباعه وأنصاره [الأنعام:65].

{إِنَّهُمْ كَانُوا}

جميعا على نمط واحد

{فِي شَكٍّ}

أي من أمر الدِّين والتوحيد والرسل والبعث

{فِي شَكٍّ}

موقع في الرِّيبة؛ من أرابه: إذا أوقعه في الرِّيبة والتُّهمة.

والله أعلم.

سُورَةُ فاطِر

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1)

{فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}

وجدهما على غير مثال يُحتذى [الأنعام:14]. والمراد بهما: العالمُ بأسره.

{جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا}

أي إلى الأنبياء. يبلِّغونهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا الصادقة، أو إلى العباد بنعمه أو نِقَمه.

{أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ}

ذوي أجنحة عديدة: فلبعضها في كل جانب اثنان، ولبعضها ثلاثة، ولبعضها أربعة. والمراد: كثرة الأجنحةِ لا الحصر؛ فلا ينافي الزيادة في بعضها عن ذلك. (مَثْنَى) اسمٌ معدولٌ به عن اثنين اثنين، ممنوعٌ من الصَّرْف. وكذلك يقال في (ثُلاث ورُباع).

{يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ}

أي في خلق كل ما يريد خلقه

{مَا يَشَاءُ}

كل ما يشاء أن يزيدَه من الأمور التي لا يحيط بها الوصف؛ ومن ذلك أجنحة الملائكة فيزيد فيها ما يشاء. وكذلك ينقص في الخلق ما يشاء؛ والكلُّ جار على مقتضي الحكمة والتدبير.

.2

مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (2)

{مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ}

أي ما يرسل الله للناس رحمة، أيَّ رحمةٍ كانت، مطراً أو رزقاً أو نعمةً، أو أمْنا أو علما أو حكمة، أو نحو ذلك.

{فَلَا مُمْسِكَ لَهَا}

فلا أحد يقدر على منعها.

.3

يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (3)

{اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ}

أي اذكروا بألسنتكم وقلوبكم ما أنعم الله به عليكم من النَّعم التي عدّدناها في الآيتين السّابقتين وغيرها، واحفظوها بمعرفة حقها والإقرار بها، وطاعة مُوليها وتخصيصِه بالعبادة. ثم بين وحدة المنعِم بقوله:

{هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ}

لكم ولغيركم!؟ أي لا خالق غيرُه سبحانه! وهو استفهام تقرير وتوبيخ أو إنكار.

{يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}

رزقاً حسنا فيه بقاؤكم. والجملة مستأنفة، أو صفة لـ (خالق).

{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}

جملة مستأنَفة لتقرير التغير المستفاد مما قبله.

{فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ}

فكيف تصرفون عن توحيد خالقكم ورازقكم إلى الشّرك في عبادته!؟ من الأَفْك – بالفتح –[المائدة:158]، أو فكيف يقع منكم التكذيب بتوحيده؛ من

الإفك – بالكسر– وهو الكذب، وهو راجع إلى الأول لأنه قول مصروف عن الصدق.

.4

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (4)

.5

يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (5)

{فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ}

فلا تخدعنَّكُم ولا تُلهيَنَّكم بالزخارف.

{وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ}

بسبب حلمه وإمهاله

{الْغَرُورُ}

أي المبالغُ في الغرور والخداع، وهو الشيطان بما يُمَنِّيكم من الأماني الكاذبة.

.6

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (6)

.7

الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (7)

.8

أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (8)

{أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ}

أي أفمن زَيَّن له الشيطان أو نفسه وهواه عمله القبيح فرآه حسناً؛ كمن لم يُزَينْ له؟ لا يستويان، و (من) موصولة مبتدأ والخبرُ محذوفٌ لدلالة الكلام عليه. وقد صرح بالجزأين في نظير هذه الآية من قوله تعالى: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ} [محمد:14].

{فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ}

أي لا تمض نفسك؛ بمعنى: لا تَهْلك ولا تمتْ أسفا عليهم، وندماً على عدم إيمانهم. [البقرة:167]، و (عليهم) متعلق به (حسرات). ونظيرُ هذه الآية قوله تعالى: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (3)} [الشعراء].

.9

وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (9)

{وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ}

مبتدا وخبر.

{فَتُثِيرُ سَحَابًا}

تحركه وتُزعجه من مكانه، أو تجمعه وتجيء به.

{كَذَلِكَ النُّشُورُ}

أي مثلُ إحياء الاموات الذي تشاهدونه – إحياء الأموات للحساب في كمال الاختصاص بالقدرة الإلهية؛ من نشر [الأنبياء:21].

.10

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (10)

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ}

أي الشرف والمَنعة؛ من قولهم: أرض عَزَاز، أي صُلبةً قوية. أي من كان يريد العزة التي لا ذلة معها فليعتزُ بالله تعالى.

{فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا}

في الدنيا والآخرة، دون ما عبدوه من الأوثان وغيرها، ومن اعتز بالله أعزه الله، ومن أعتزّ بالعبيد أذله الله. وكان المشركون يتعزّزون بالأصنام، كما قال تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (81)}

[مريم:81].والمنافقون يتعزّزون بالمشركين؛ كما قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (139)} [النساء].

{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ}

هو كلُّ كلام هو ذكر الله تعالى، أو هو لله سبحانه؛ كالأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر والنصيحة والعلم النافع. وصعودُهُ إليه: قبوله والرضا به، أو صعودُ صحائفه. أي إليه تعالى لا إلى غيره يصعد الكلم الطيب؛ أي يُقْبل عنده ويكون مرضِيًّا، أو تُرفع الصحف التي هو فيها فيجازي الله يوم القيامة أصحابها بالحسنى. وهو بيانٌ لطريق تحصيل العزة وحثٍّ على سلوك سبيلها.

{وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}

أي يرفعه الله ويقبله من المؤمنين؛ فالفاعل ضمير عائد إلى الله، والضمير المنصوب عائدة إلى العمل.

{وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ}

أي يبطل ويَفسد فلا ينفعهم؛ من البوار [ابراهيم:28]. والمشارُ إليهم هم صناديد قريش الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار النَّدوة.

11.

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (11)

{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ}

دليل آخر على صحة البعث والنشور وكمال القدرة عليه.

{ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ}

هي المني [النحل:4].

{أَزْوَاجًا}

ذكورا وإناثاً.

{وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ}

أي ما يُمدُّ في عمر أحد

{وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ}

أي من عُمر أحد آخر [الضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى الْجِنْسِ] (تفسير ابن كثير)

{إِلَّا فِي كِتَابٍ}

عنده تعالى؛ أي في اللوح المحفوظ، أو في الصحيفة، أو في العلم الأزلي، أو بقضائه تعالى. وعن ابن عباس رضي الله عنها في تفسير الآية: ليس أحدٌ قُضيَ له طول العمر الا وهو بالغ ما قُدّر له من العمر، وإنما ينتهي إلى الكتاب الذي قدر له لا زاد عليه، وليس أحد قُضيَ له أنه قصير العمر ببالغ العمر – أي الذي بلغه الأول – ولكن ينتهي إلى الكتاب الذي قدر له.

12.

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12)

{وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ}

مثل للمؤمن والكافر. فالبحرُ العذب: مثل للمؤمن، والبحر المِلح: مثل للكافر. وكما أنّ البحرين – وإن اشتركا في بعض الفوائد – لا يتساويان فيها هو المقصود بالذات من كل منهما. كذلك المؤمن والكافر – وإن اشتركا في بعض الصفات كالشجاعة والسخاء والأمانة – لا يتساويان في الخاصية العظمى؛ البقاء الأول على الفطرة الأصلية ومعاندة الآخر لها.

{هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ}

[الفرقان: 53].

{سَائِغٌ شَرَابُهُ}

سهلٌ انحدارُه في الحلق لعذوبته

{أُجَاجٌ}

[الفرقان: 53].

{وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا}

أي اللؤلؤ والأصداف والمرجان، وهي إنما تُستخرج من المِلح خاصة. وما يفيده ظاهر الآية من أنها تُستخرج من كل من العذب والملح غيرُ مراد؛ بل الكلام جرى على نمط قوله تعالى: {وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (73)} [القصص]. وقول القائل: لو رأيت الحَسنَ والحجاج لرأيت خيرا وشراً؛ فالأول للأول، والثاني للثاني. وهنا الأوّل وهو اللحم الطريُّ من البَحريْن، والثاني وهو الحلية من الثاني وهو الملح.

{وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ}

شواقٌّ للماء بصدورها.

يجريها الله مقبلة ومدبرة بريح واحدة. [النحل:14].

.13

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (13)

{يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ .. }

يُدخل أحدهما في الآخر [آل عمران:27].

{لِأَجَلٍ مُسَمًّى}

مقدر لفنائها (يوم القيامة)

{ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ}

أي ذلكم العظيم الشأن، المتّصف بالصفات المتقدمة – من أوّل السورة إلى هنا – هو الله وهو ربّكم، وهو الذي له التصرف المطلق في العالم كله.

{مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ}

ما يملكون قشرة نواة فما فوقها، ولا يقدرون على شيء. والقِطْمير: القِشرة البيضاء الرقيقة الملتفة على النواة، أو هو النكتة في ظهر النواة؛ يضرب مثلا للشيء الدنيء الطّفيف.

.14

إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (14)

.15

يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15)

.16

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (16)

.17

وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (17)

.18

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (18)

{وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}

ولا تحمل نفس آثمة إثمَ نفس أخرى، وإنما تحمل كلُّ نفس إثم الفعل الذي باشرته أو تسببت فيه.

{وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا .. }

الحِمل – بالكسر: ما وضع على الظهر أو الرأس؛ أي وإن تطلب نفس مُثقلة بالذنوب من يحمل عنها ذنوبها التي أثقلتها ليخفف عنها لا تجد من يستجيب لها ولو كان من أقربائها.

{وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ}

مَن تطهر من دنس الكفر والذنوب بالإيمان والتوبة والعمل الصالح فإنما يتطهر لنفسه؛ وإليها يعود الأجر والثواب. وهو حث على تزكية النفس وتطهيرها.

.19

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (19)

{وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ}

: مُثِّل الكافر في هذه الآية بالأعمى في عدم اهتدائه، والمؤمن بالبصير في اهتدائه.

.20

وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (20)

مُثِّل الكفر بالظلمات، والإيمان بالنُّور، ومستقرهما في الآخرة {وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (21)} بالظل والحرور.

.21

وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (21)

{الْحَرُورُ}

: الريحُ الحارةُ بالليل؛ كالسَّموم بالنهار. وقيل: الحَرور يكون ليلا ونهارا، والسَّموم لا يكون إلا بالنَّهار، والمرادُ به [الحرور]: النار، كما أن المراد بالظِّل: الجنةُ.

.22

وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (22)

{وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ}

مُثِّل العلماء بالله بالأحياء، والجاهلون بالله بالأموات، وزيادة (لا) في المواضع الثلاثة [الآيات:20،21] التي أولها (ولا الظلمات) التأكيد نفي الاستواء.

.23

إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (23)

.24

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (24)

{وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ}

أي ما من أمّةٍ ماضية إلا مضى فيها نذير من الأنبياء. والعربُ أمة قد بُعث إليهم إسماعيلُ عليه السلام، كما بُعث موسى وعيسى إلى بني إسرائيل [القصص:46،السجدة:3].

.25

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (25)

{وَبِالزُّبُرِ}

أي بالكتب المُنزَّلة من عند الله. جمع زبور وهو المكتوب؛ كَصُحف ابراهيم و موسى.

{وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ}

أي التوراة والإنجيل المُنزَّلَيْن؛ وهو من عطف الخاص على العام.

.26

ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (26)

{فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ}

أي إنكارى عليهم بحلول عقوبتي بهم.

.27

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (27)

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ}

خطاب لكل من يصلح له بتقرير دليل من أدلة القدرة الباهرة، والصَّنعة البديعة يوجب الإيمان بالله، ويَدْفع في صدور المكذبين؛ بعد أن ذكر أخذه تعالى لهم عقوبة على التكذيب والجحود، وهو اختلاف ألوان الثَمرات والجبال، والناس والدواب والأنعام اختلافا بينا.

{وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ .. }

هو أي ذوو طرائقَ وخُطوطٍ تخالف لونَ الجبل؛ بيضٍ وحمرٍ وسود .. جمعُ جُدَّة، وهي الطريقة في السماء والجبل، وأصلها الخُطَّة التي في ظهر الحمار تخالف لونه.

{مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا}

أي أصنافها بالشدة والضعف.

{وَغَرَابِيبُ سُودٌ}

جمع غربيب، وهو الذي أبعد في السواد وأغربَ فيه. و (سودٌ) بدل من (غرابيب)، وهي معطوفة على (بيض)، وقيلَ: معطوفة على (جُدد). أي ومن الجبال مخطط ذو جُدد، ومنها ما هو على لَوْن واحد وهو السّواد الشديد، والمراد: أنها مختلفة الألوان كثيرا.

.28

وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28)

{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}

أي إنما يخافه تعالى بالغيب العالمون به، وبما يليق به من الصفات الجليلة والأفعال الجميلة؛ لأن مدار الخشية معرفة المَخشيّ، والعلم بصفاته وأفعاله. أما الجاهلون به تعالى فلا يخشونه ولا يخافون عقابه. وهذه الآية مكملة لقوله تعالى: {إِنَّمَا تُنْذِرُ

الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ} [فاطر:18] بتعيين من يخشاه من الناس، بعد بيان اختلاف طبقاتهم ومراتبهم في الصفات.

.29

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (29)

{يَرْجُونَ تِجَارَةً}

أي معاملةً مع الله تعالى لنيل الربح وهو الثواب،

{لَنْ تَبُورَ}

أي تكْسُد [أية 10 من هذه السورة] والجملة خبر (إنَّ).

.30

لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (30)

{شَكُورٌ}

أي مجازيهم على طاعاتهم أوفي الجزاء.

.31

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (31)

.32

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32)

{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ .. }

أي ثم جعلنا القرآن الذي أوحينا اليك؛ ميراثاً منك لأمَّتك – التي اصطفيناها على سائر الأمم، وجعلناها أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس – ينتفعون به، ويفهمون ما فيه من العلوم والأحكام والمواعظ والأمثال؛ بالذات كالعلماء الراسخين، أو بالواسطة كغيرهم، و (ثمّ) للتراخي الزماني. والمراد بـ (الذين اصطفينا) أمّة الإجابة. وفي التعبير بالاصطفاء تنويةٌ بفضلها على سائر الأمم. ثم قسمها الله تعالى إلى ثلاثة أنواع: أشار إلى الأول بقوله تعالى:

{فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ}

بارتكاب صغائر الذنوب المؤدِّي إلى نقصانه من الثواب. وقيل الظالمُ: مَنْ رجحت سيئاته على حسناته.

وإلى الثاني بقوله:

{وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ}

معتدلٌ في أمر الدين، لا يميل إلى إفراط ولا إلى تفريط. [وقيلَ] والمقتصِدٌ: من استوت حسناته و سيئاته.

وإلى الثالث بقوله:

{وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ}

بإذن الله، وهو السابق لغيره في أمور الدين. [وقيل] والسابقُ: من رجحت حسناته على سيئاته.

وكلُّهم من أهل الجنة.

{ذَلِكَ}

أي توريث الكتاب لمن أصطفيناه.

.33

جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (33)

{يَدْخُلُونَهَا}

الضمير راجعٌ للأنواع الثلاثة.

.34

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34)

{وَقَالُوا}

أي ويقولون عند دخولهم الجنة. وعبر بصيغة الماضي للدلالة على تحقُّقه.

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ}

أي جنس الحَزن الشاملَ لجميع أحزان الدين والدنيا والآخرة. والحَزَن والحُزن: ضدُّ الفرح.

.35

الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (35)

{دَارَ الْمُقَامَةِ}

دار

الإقامة الدائمة (الجنة).

{لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ}

لا يصيبنا فيها تعب ولا مشقة وعناء. يقال: نَصِب – كفرح – إذا تعب وأعيا.

{وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ}

إعياءٌ من التَّعب، وكلالٌ من النَّصب. يقال: لَغَب لَغْبا ولُغُوبا ولَغوبًا – كمَنَع وسَمِع وكَرُم – أعيا أشدَّ الإعياء.

.36

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (36)

.37

وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37)

{وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا}

يستغيثون و يضجون في النار رافعين أصواتهم. إفتعال من الصُّراخ وهو الصياح بجَهد ومشقة، ويستعمل كثيرا في الاستغاثة؛ لجهد المستغيث صوته. والصارخُ: المستغيث. وأصلُه يصْرخون؛ فأُبدلت التاء طاء لقرب مخرجها من الصاد لمّا ثقلت.

{أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ}

أي ألم نمهلكم ونعمِّركم العمر الذي يتمكن من التذكر فيه من أراد التذكُّر!.

.38

إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (38)

.39

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (39)

{جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ}

خلفاء في أرضه. وملّككم منافعها ومقاليد التصرف فيها؛ لتشكروه بالتوحيد والطاعة. أو جعلكم خلَفاً لمن سبقكم من الأمم الذين كذبوا الرسل فهلكوا، فلم تتعظوا بحالهم وما حل بهم من الهلاك، جمعُ خليفة.

{إِلَّا مَقْتًا}

أي أشدَّ البغض والاحتقار والغضب.

{إِلَّا خَسَارًا}

هلاكاً وخُسرانا في الآخرة.

.40

قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (40)

{أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ}

أي أخبروني عن حال شركائكم! أروني أيَّ جُزء خلقوا من الأرض حتى يستحقوا الألوهية والشِّركة!؟ ورأى بصريّةٌ تتعدّى بالهمزة إلى مفعولين: أوّلهما (شركاء كم)، والثاني الجمله الاستفهامية بعدها؛ والاستفهام إنكاري فيه وفي الموضعين بعده. و (اروني) أي أخبروني تأكيد (أرأيتُمْ).

{أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ}

أي بل الهُم شِركةٌ مع الله في خلق السماوات حتى يستحقوا ما زعمتم

فيهم؟ {أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا}

أي بل آتيناهم كتاباً بالشركة؟ {فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ}

أي حجة ظاهرة منه؟ {إِلَّا غُرُورًا}

أي وعداً باطلا. وهو قولُهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

.41

إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (41)

.42

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (42)

{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ}

غاية اجتهادهم في تغليظها [المائدة:53].

{نُفُورًا}

تباعدا عن الحق والهدى.

.43

اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (43)

{اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ}

بدل من: (نُفُورا). أو مفعول لأجله.

{وَمَكْرَ السَّيِّئِ}

معطوف على (استكبارا). وأصل التركيب: وأنْ مكروا المكر السئ، فأقيم المصدر مقام أنْ والفعل وأضيف إلى ما كان صفة له. ومكرُهم: شركهُم بالله، أو كيدهم للنبي صلى الله عليه وسلم.

{وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ}

أي لا يُحيط مكروه ذلك المكر إلا بأهله الماكرين؛ من الحَوق وهو الإحاطة. يقالُ: حاق به كذا؛ أي أحاط به. أو لا يصيب ولا ينزل إلا بهم.

{فَهَلْ يَنْظُرُونَ}

فما ينتظرون.

{سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ}

سنة الله فيهم بتعذيبهم لتكذيبهم.

.44

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (44)

.45

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (45)

والله أعلم

سورةُ يس~

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

يس (1)

{يس}

من المتشابه الذي استأثر: الله بعلمه. وقيل: اسبم للسورة، أو للقرآن، أو للرسول صلى الله عليه وسلم.

.2

وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (2)

{وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ}

قسم منه تعالى بكتابه المحكم ي وجوابه: {إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (4)}

.3

إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3)

.4

عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (4)

{عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}

أي على طريقة مستقيمة. واعلم أن الأقسام الواقعة في القرآن وإن

وردت في صورة تأكيد المحلوف عليه، إلا أن المقصودَ الأصليَّ بها تعظيم المقسم به؛ لما فيه من الدلالة على اتصافه تعالى بصفات الكمال، أو على أفعاله العجيبة، أو على قدرته الباهرة. فيكون المقصود من الحلِف الاستدلال به على عِظَم المحلوف عليه، وهو هنا عِظَمُ شأن الرسالة. كأنه قيل: إن من أنزل القرآن – وهو ما هو في عظم شأنه – هو الذي أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم، ومثل ذلك يقال في الأقسام التي في السُّور الآتية.

.5

تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (5)

.6

لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (6)

{لِتُنْذِرَ قَوْمًا}

وهم قريش المعاصرون له صلى الله عليه وسلم.

{مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ}

أي لتخوّفهم العذاب الذي أنذر به آباؤهم الأبعدون على لسان إسماعيل عليه السلام.

{فَهُمْ غَافِلُونَ}

أي لأنهم غافلون عنه [القصص:46،السجدة:3،فاطر:24].

.7

لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (7)

{لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ}

أي والله لقد ثبت وتحقق الحكم أزلاً بالعذاب

{عَلَى أَكْثَرِهِمْ}

أي أكثر المنذَرين، وهم كفار مكة

{فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}

بإنذارك إيّاهم؛ لسبق علمنا بسوء اختيارهم الموجب لإصرارهم الاختياريّ على الكفر وموتهم عليه.

.8

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (8)

{إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا}

قيوداً عظيمةً. والغُلُّ –بالضم –: ما تُشدّ به اليد إلى العنق للتعذيب والتشديد.

{فَهِيَ}

أي الأغلال واصلةٌ إلى

{الْأَذْقَانِ}

جمع ذَقَن وهو أسفل اللحْيين.

{فَهُمْ مُقْمَحُونَ}

رافعون رؤوسهم مع غض أبصارهم، لا يستطيعون أن يطأطئوها لوصول الأغلال إلى أذقانهم؛ من الأقماح، وهو رفعُ الرأس وغض البصر. يقال: أقمَحه الغُلُّ، إذا ترك رأسه مرفوعا من ضيقه. وهو تمثيل لحال هؤلاء المصرّين على الكفر – الشامخين برءوسهم عن اتّباع الرسول: في عدم التفاتهم إلى الحق، وعطف أعناقهم نحوه، وطأطأة رؤوسهم إليه – بحال أولئك المغلولين.

.9

وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (9)

{وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا}

عظيما. والسَّد: الحاجِزُ بين الشيئين.

{وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ}

جعلنا على أبصارهم غِشاوة؛ أي غطاء

{فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ}

لا يقدرون على إبصار شيء بسبب ذلك. وهو تمثيل آخر الحال هؤلاء – في حبسهم في حظيرة الجهالات، ومنعهم عن النظر في الدلائل والآيات؛ لسوء اختيارهم وفساد استعدادهم – بحال من أحاطت بهم سدود فحجبتهم عن الإبصار.

.10

وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (10)

.11

إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (11)

{إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ}

أي إنما تنذر إنذاراً نافعا مستتبعا أثره من علم الله أنه اتبع القرآن، متأملا فيه عاملا به وهم الأقلون. أما هؤلاء المستكبرون فلا ينفع فيهم الإنذار؛ بل

وجوده وعدمه بالنسبة إليهم سواءٌ.

.12

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (12)

{إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى}

ترغيبٌ وترهيبٌ لفريقي المنتفعين بالإنذار والمصرين على الكفر.

{وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ}

نحصي ما أسلفوا في حياتهم من أعمال صالحة أو فاسدة، وما تركوه بعدهم من أثر حسن أو سيئ، فنجازيهم على ما قدموا وما أخّروا.

{وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ}

بيناه في أصل عظيم يقتدى به، مظهر لما كان وما يكون إلى يوم القيامة؛ وهو اللوح المحفوظ.

.13

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (13)

{أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ}

هي أنطاكية من أرض الرُّوم، وكان أصحابَها من: عبدة الأوثان.

{الْمُرْسَلُونَ}

أصحاب عيسى عليه السلام من الحواريّين، أرسلهم إليهم بأمره تعالى حين رُفع إلى السماء.

.14

إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (14)

{فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ}

فقوَّينا الرسالة بثالث؛ من التَّعزيز وهو التقوية. يقال: تعزّز لحمُ الناقة إذا صَلُب. وعزّز المطر الأرض، إذا لبَّدها وشدَّها.

.15

قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (15)

.16

قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (16)

.17

وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (17)

.18

قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (18)

{إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ}

تشاءمنا بكم، فما أصابنا من بلاء فإنما هو بسببكم [النمل:47].

.19

قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (19)

{طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ}

شؤمكم معكم، وهو استدامتكم على الكفر، أو سببُه منكم لا منّا، وهو سوء: عقيدتكم وأعمالكم.

{أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ}

أئن وُعظتم وخُوّفتم سوء عاقبة أعمالكم تطيَّرتم؟.

.20

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20)

{يَسْعَى}

يعدو ويسرع في مشيته حرصا على نصح قومه.

.21

اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (21)

.22

وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22)

{فَطَرَنِي}

أوْجدَني

وخلقني بعد العَدم بقدرته.

.23

أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (23)

{لَا تُغْنِ عَنِّي}

لا تدفع عني.

.24

إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (24)

.25

إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (25)

.26

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26)

{قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ}

بشّرته ملائكة الموت عند قتل أعدائه له بدخول الجنة في الآخرة، أو بدخول روحه فيها وطوافه بها؛ كأرواح الشهداء.

.27

بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (27)

.28

وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (28)

.29

إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (29)

{إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً}

ما كانت هَلْكتهم إلا بصيحة واحدة من السماء، صاح بها جبريلُ عليه السلام

{فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ}

أي كالنار الخامدة التي استحالت رَمادًا [الانبياء:15].

.30

يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (30)

{يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ}

يا غمًّا وتندم على العباد المكذبين، أو منهم على أنفسهم في استهزائهم بالرسل [البقرة:167].

.31

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (31)

.32

وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (32)

{وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ}

أي ما كل المخلوقات إلا مجموعون لدينا يوم القيامة في المحشر، محضرون للجزاء والحساب.

.33

وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (33)

{وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ .. }

اشتملت هذه الآية وما بعدها إلى آية 44 على ثلاثة أدلّة على القدرة على البعث، وعلى ما يوجب الإقرار له تعالى بالوحدانية وإفراده بالعبادة: أولها – دليل أرضيٌّ بَرّيٌّ. والثاني – دليل سماويٌّ. والثالث – دليل أرضيٌّ بَحريٌّ. ثم ذكر ثلاثة أدلة أخرى على ذلك في آيات 66 – 68 مشاهدة في جسم الإنسان وقُواه: أوّلها – الإبقاء على حاسة بصره، والثاني – الإبقاء على صورته الإنسانية، والثالث – تنكيس قواه وردُّه إلى أرذل عمره إذا عُمِّر. ثم ذكر دليلاً سابعاً في آيات 71 – 73 مشاهَداً في خلق الأنعام ومنافعها. ثم ذكر دليلاً ثامنا في آية 77 مشاهدا في أطوار خلق الإنسان. ثم ذكر دليلا تاسعا في آية 80 مشاهدا في خلق الضدِّ من ضدّه، فكيف مع تواتر هذه الدلائل ينكرون قدرته على أن يخلق مثلهم! وهو الخلاق العليم، الذي لا يتعاظم ولا يستعصي على قدرته شيء في ملكوته!؟.

.34

وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34)

{وَفَجَّرْنَا فِيهَا}

شققنا في الأرض.

.35

لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (35)

{وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ}

أي لم يعملوا الثمر وإنما الفاعل له هو الله تعالى وحده؛ والجملةُ حاليّة. أو ليأكلوا مما عمِلته أيديهم، وصنعوه بقواهم كالعصير والدِّبس وغيرهما.

.36

سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (36)

{سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ}

أي أسبّح سبحانه؛ أي أنزّهه تعالى عما لا يليق به مما فعلوه. تنزيهًا خاصا به، حقيقًا بشأنه عز وجل. والمرادُ بالأزواج: أنواعُ المخلوقات وأصنافُها. يقال: زوج لكل واحد من القرينين، من الذكر والأنثى في الحيوان المتزاوج، ولكل قرينين فيه وفي غيره، ولكل ما يقترن بآخرَ مماثلاً له أو مضادًّا. وقيل: المراد بالأزواج خصوصُ الذكر والأنثى من الحيوان والنّبات.

.37

وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (37)

{وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ}

أي نَنزع عنه النهار الذي هو كاللباس الساتر فتظهر الظُّلمة، أو نُخرج منه النهار إخراجا لا يبقى معه أثر من ضوْئه [التوبة:5]، والمراد: إزالة ضوء النهار من مكان الليل وموضعِ ظلمته ليظهر الليل.

{فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ}

أي داخلون في الظلام.

.38

وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38)

{وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا}

أي وآية لهم الشمس تسير مسرعة إلى مكان استقرارها كل يوم في رأي العين، وهو أفق الغرب خاصة، أو إلى مكان استقرارها، وهو الحد المعيَّن الذي تنتهي إليه من فلكها في آخر السنة؛ فهي تجرى دائما، كلما انتهت من دورة استأنفت أخرى لتبلغه. شُبّه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره؛ من حَيْث إن في كل منهما انتهاء إلى موضع مُعيَّن، وإن كان، للمسافر قرارٌ بعد ذلك والشمس لا قرار لها بعده، بل تستأنف الحركة منه كما بدأت.

.39

وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (39)

{وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ}

أي قدرنا سيره في منازل، ينزل كل ليلة في منزل لا يتخطَّاه، ولا يتقاصر عنه، على تقدير مستو من ليلة المستهلُ إلى الثمانية والعشرين. ثم يستتر ليلتين إن كان الشهر تامًّا، وليلة إن نقص يوما، فإذا كان في آخر منازله دق وتقوَّس

{حَتَّى عَادَ}

أي صار في رأي العين

{كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ}

أي العتيق اليابس، وهو عود العِذق ما بين الشماريخ إلى منبته من النخلة، والعِذق: القِنُو من النخل وهو كالعنقود من العنب، والشماريخ: جمع شِمراخ وشمرُوخ، وهو العِثكال الذي عليه البُسر. وسميَّ عرجونا من الانعراج وهو الانعطاف، شبه القمر به في دقته وتقوُّسه واصفراره.

.40

لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (40)

{لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ}

أي لا يصح لها أن تدرك القمر في مسيره فتجتمع معه في الليل؛ لأنه تعالى حدد لكل منها وقتا معيّنا يظهر فيه سلطانه، فلا يدخل أحدهما في سلطان الآخر، بل يتعاقبان، وإلّا لاختلّ تكون النبات وتدبير عيش الإنسان والحيوان.

{وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ}

أي ولا آية الليل – وهي القمر – تسبق آية النهار – وهي الشمس، بحيث يظهر سلطانه في وقت ظهور سلطانها.

{وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}

يدُورون. حكى ابن حزم وابن الجوزي وغيرُهما الإجماع على أن السماوات كُروية مستديرةٌ؛ استدلالاً بهذه الآية. وخالف في ذلك جماعة من أهل الجدَل.

.41

وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (41)

{حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ}

أي أولادهم صغارا وكبارا في السفن المملوءة دون أن يلحقهم أذى وتمكينًا للكبار منهم من وسائل العيش، وأهمها التجارات.

.42

وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (42)

.43

وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ (43)

{فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ}

فلا مُغيثَ لهم، أو فلا إغاثة لهم من الغَرَق، وعلى الثاني هو مصدر كالصُّراخ تُجُوّز به عن الإغاثة؛ لأن المستغيث ينادي من يستغيث به فَيصْرخ المغيث له ويقول: جاءك الغَوث والعَون.

.44

إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (44)

.45

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (45)

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ}

أي لأهل مكة

{اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ}

أي مثل عذاب الأمم الماضية

{وَمَا خَلْفَكُمْ}

أي عذاب الآخرة. أو اتَّقوا ما يوجبهما – أعرضوا عن ذلك إعراضاً؛ وحُذف الجواب للعلم به مما بعده.

.46

وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (46)

.47

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (47)

.48

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (48)

{وَيَقُولُونَ}

استهزاءً وتكذيباً

{مَتَى هَذَا الْوَعْدُ}

أي متى يكون البعث الذي تقولونه؟! فأجابهم الله تعالى بقوله: {مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (49)}.

.49

مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (49)

{مَا يَنْظُرُونَ}

أي ما ينتظرون

{إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً}

هي نفخة الصَّعْق التي يموتُ بها أهل الأرض

{تَأْخُذُهُمْ}

تَقْهرهم

{وَهُمْ يَخِصِّمُونَ}

يتخاصمون ويتنازعون فيما انهمكوا فيه من شئون الدنيا، غافلين عن الآخرة.

.50

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (50)

.51

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51)

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ}

نفخة البعث

{فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ}

اي القبور، جمع جَدَث.

{إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ}

يخرجون مسرعين [الأنبياء:96].

.52

قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (52)

.53

إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (53)

{مُحْضَرُونَ}

للحساب.

.54

فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (54)

.55

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (55)

{إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ}

أي يقال للكفار ذلك؛ زيادة لحسرتهم. والشُّغل:. الشأن الذي يصدُّ الإنسان ويشغلُه عما سواه من شئونه؛ لكونه أهمَّ عنده من غيره. أي هم في شغُل بما هم فيه من النعيم عن كل ما يخطر بالبال.

{فَاكِهُونَ}

متلذذون فِي النّعمة؛ منَ الفَكَاهة بالفتح–: وهي طيب العيش والنشاط. يقال: فَكِه الرجل فكهًا وفكاهة فهو فَكِه وفاكِهٌ؛ إذا كان طيب العيش فرحا ذا نشاط من التنعُّم.

.56

هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (56)

{عَلَى الْأَرَائِكِ}

على السُّرر: في الحِجَال [الكهف:31].

.57

لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (57)

{وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ}

أي ما يطلبونه؛ من الدعاء بمعنى الطلب. أو ما يتمنّونه؛ من الادعاء، بمعنى التَّمَني. تقول! العرب: أدْعُ عليَّ ما شئت، أي تَمَنَّ.

.58

سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ (58)

.59

وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (59)

{وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ}

انفرِدوا عن المؤمنين إلى مصيركم من النار وكونوا على حِدَة. يقال: امتاز و تميَّز وامَّاز، أي انفصل بعضه من بعض.

.60

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (60)

{أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ}

أوصيكم أو أكلفكم.

.61

وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (61)

.62

وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (62)

{أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا}

أغوى منكم خَلقا كثيرا [الشعراء:184].

.63

هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (63)

.64

اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (64)

{اصْلَوْهَا}

ادخلوها، أو قاسُوا حَرَّها.

.65

الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (65)

.66

وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (66)

{وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ}

بيانٌ لأنهم في قبضة القدرة، ومستحقون للعذاب لكفرهم وإنكارهم. أي في قدرتنا إذا شئنا – جزاءً لهم على جناياتهم– أن نمحُو أعينهم ونمسَحَها، أو أن نزيل ضوءَها فيصيروا عُمْيا لا يقدرون على التردد في الطرق لمصالحهم، ولكنا أبقينا عليهم نعمة البصر فضلا منا، فحقّهم أن يشكروا عليها ولا يكفروا.

{فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ}

أي تبادروا إلى الطريق ليجُوزوه كعادتهم فلم يستطيعوا.

{فَأَنَّى يُبْصِرُونَ}

فكيف يبصرونه وقد طمسنا على أعينهم!.

.67

وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ (67)

{وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ .. }

وفي قدرتنا إذا شئنا – عقابا لهم على ضلالهم – أن

تغير صُورَهم الإنسانية إلى صور حيوانية قبيحة وهم في أماكنهم، فلا يقدروا على الفِرار منّا باقبال أو إدبار، ولكنا لم نفعل ذلك جَرْيا على سَنَن الرحمة والحكمة الداعيتين إلى إمهالهم. {عَلَى مَكَانَتِهِمْ}

أي في أمكنتهم.

.68

وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ (68)

{وَمَنْ نُعَمِّرْهُ}

نُطل عُمرَه

{نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ}

نَرده إلى أرذل العُمر، فنبدِّله بالقوة ضعفا، وبالشباب هَرَماً، وبالعقل خَرفا. يقال نكستهُ نكساً – من باب قتل – إذا قلبته فجعلت رأسه أسفله؛ أليس ذلك دليلا على كمال قدرتنا على البعث! {أَفَلَا يَعْقِلُونَ} ذلك!.

.69

وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (69)

.70

لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (70)

{لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا}

أي عاقلا أو مؤمناً؛ فهو الذي ينتفع بالإنذار.

.71

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (71)

{أَوَلَمْ يَرَوْا .. }

دليل آخرُ من أدلة القدرة، وتنديدٌ بالمشركين، وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم. أي ألم يتفكروا ولم يَرَوْا .. !؟.

.72

وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (72)

{وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ}

صيرناها مسخرة منقادة لهم.

.73

وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (73)

.74

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ (74)

.75

لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ (75)

{وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ}

أي وآلهتُهم من الأصنام جندٌ لهم، محضرون معهم في النار ليعذَّبوا بهم فيها؛ على حد قوله تعالى: {وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} [البقرة:24،التحريم:6].

.76

فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (76)

.77

أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (77)

{فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ}

مبالغ في الخصومة والجدل الباطل، ظاهرٌ متجاهرٌ في إنكار البعث، مع علمه بأصل خلقته، كيف ومن قدر على أن يجعل من هذه النطفة إنسانا سويا! لا ريب أنه يقدر على أن يعيد خلقه كما بدأه، بل ذلك أهون عليه!.

.78

وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78)

{وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا .. }

وضرب لنا ذلك الإنسان الخصيم المُنكر للبعث مثلاً. أي أورد في شأننا قصة هي كالمثل في الغرابة، وهي إنكار إحيائنا العظام، فقال منكرا: {مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ}! ونسيَ خَلْقنا إياه من نطفة، وتقليبه في أطوار شتى حتى صار إنساناً سويًّا.

{رَمِيمٌ}

أي بالية أشد البلى، بمعنى فاعل؛ من رَمّ اللازم بمعنى

بليَ، ولم تلحقه التاء لصيرورته بالغلبة أسما لما بلي من العظام فانسلخ عن الوصفية. أو بمعنى مفعول؛ من رمَّ المتعدِّي بمعني أبلى. يقال: رمَّه أي أبلاه فيستوي فيه المذكر والمؤنث.

.79

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79)

.80

الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (80)

{الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ .. }

النديّ الرّطب؛ كالمَرْخ والعَفار؛ وهما نبتان أخضران إذا ضُرب أحدهما بالآخر إتقدت منهما شرارة.

.81

أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (81)

{بَلَى}

هو هو قادر على خلق مثلهم.

.82

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82)

{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا}

[البقرة 117].

.83

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (83)

{مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ}

أي مِلْك كل شيء مِلكاً تاما، زيدت الواو والتاء فيه للمبالغة؛ كما في جبروت ورَحموت.

والله أعلم.

سُورَةُ الصَّافات

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (1)

{وَالصَّافَّاتِ صَفًّا}

أقسم الله تعالى بجماعات وطوائف ثلاث من خلقه، ولله أن يُقْسم بما شاء، تنويها بعظم شأن المقسم به. فأقسم بالصّافات أنْفُسها في العبادة؛ صلاةً أو جهاداً أو غيرهما، ملائكة أو أناس أو غيرهما.

.2

فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (2)

{فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا}

فالزاجرات عن ارتكاب المعاصي بالأقوال والأفعال كائِنين من كانوا.

.3

فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (3)

{فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا}

فالتاليات آياتِ الله على الناس للتعليم ونحوه كذلك. والترتيبُ بالفاء على سبيل الترقّي في الصفات: فالأولى كمالٌ والثانية أكمل؛ لِتعدّي منفعتها، والثالثة أكملُ وأكملُ: لتضمنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل ولا تدافُعَ بين هذه الصفات، فقد تجتمع كلها في جماعة واحدة. و (صفا) و (زجرا) و (ذكرا) مصادرُ مؤكّدة.

.4

إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (4)

{إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ}

جواب القسم. وإثبات المطالب المهمة بتقديم القسم طريقة مألوفة عند العرب. وقد عقَّبه بالدليل اليقين على وحدانيته تعالى فقال: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (5)} فإن وجودها وبقاءها على هذا النمط البديع من أظهر

الأدلة على وحدانيته تعالى.

.5

رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (5)

{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ}

الربُّ: المالك. والمشارقُ: مشارق الشمس إذ أنها في كل يوم تشرق من مشرق، وتغرب في مغرب. واكتفي بذكرها عن المغارب لاستلزامها إياها، ولأن الشروق أدل على القدرة وأبلغ في النعمة. وقيل: مشارق الكواكب وهي متعدّدة.

.6

إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (6)

.7

وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (7)

{وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ}

أي وحفِظنا السماء حفظا من كل شيطان متجرِّد عن الخير بخروجه عن طاعة الله تعالى. والماردُ والمَرِيد بمعنى [النساء:117].

.8

لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (8)

{لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى}

أي الملائكة في السماء جملةٌ مستأنَفةٌ لبيان حالهم عند حفظ السماء، مع التنبيه على بيان كيفيّة الحفظ، وما يعتريهم في أثنائه من العذاب. أي لا يُمكَّنون من التسمع مبالغة في نفي السماع.

{وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ}

أي ويُرجَمون بالشهب من كل جانب من جوانب السماء إذا حاولوا الصعود إليها لاستراق السمع.

.9

دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (9)

{دُحُورًا}

أي للدُّحور، وهو الطرد والإبعاد. مصدرُ دَحَره يَدْحَرُه دحْراً ودحُورا: أبْعَده.

{وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ}

أي دائم في الآخرة غير الرجم. يقال: وصبَ الشيءُ يَصِب وصُوبا، دام و ثبت؛ ومنه قوله تعالى: {وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا} [النحل:52] أي الطاعةُ دائما.

.10

إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (10)

{إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ}

أي لا يَسّمع الشياطينُ إلّا الشيطان الذي سلب السَّلبة من كلام الملائكة بسرعة وخفة فيما يتفاوضون فيه مما سيكون في العالم قبل أن يعلمه أهلُ الأرض، وذلك في غير الوحي؛ لقوله تعالى: {إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (212)} [الشعراء]. والخطفُ الاختلاس والأخذ بخفَّة وسرعة على غَفْلة. والاستثناء من واو {يَسَّمَّعُونَ}، و (مَنْ) في محل رفع بدلٌ منه.

{فَأَتْبَعَهُ}

تَبِعه ولحقه. وأتْبعَ وتَبع بمعنىً كأردفه وردفَه.

{شِهَابٌ}

[الحجر:18].

{ثَاقِبٌ}

مضيءٌ كأنه يثقب الجوَّ بضوئه.

.11

فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (11)

{إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ}

أي لاصقٍ بعضه ببعض. يقالُ: لزَبَ الشيء يلزُب لزْباً ولُزوباً، دخل بعضه في بعض، ولزَب: لصَق وصَلُب. وطينٌ لازب: يلزق باليد لاشتداده، أي فليسوا أصعب خلقا وأشقَّ ايجادا ممن خلقنا من هذه المخلوقات العظيمة. فمن قَدَر على ذلك كيف يعجز عن الإعادة والبعث!؟.

.12

بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (12)

{بَلْ عَجِبْتَ}

من قدرته تعالى على هذه الخلائق العظيمة وإنكارهم البعث.

{وَيَسْخَرُونَ}

وهم يسخرون من تعجُّبك وتقريرك للبعث.

.13

وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (13)

.14

وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (14)

{يَسْتَسْخِرُونَ}

يبالغون في السخرية والاستهزاء.

.15

وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (15)

.16

أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (16)

{أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا}

أي أنبعث إذا متنا وكان بعض أجزائنا ترابا وبعضها عظاماً!؟

.17

أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (17)

{أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ}

أي أو أباؤنا الذين ماتوا وصاروا ترابا وعظاما مَبْعوثون كذلك؟! والهمزة للاستفهام الإنكاري داخلةٌ على واو العطف.

.18

قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ (18)

{قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ}

أي قل تُبعثون أنتم وآباؤكم وأنتم صاغرون أذلاء [النحل:48].

.19

فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ (19)

{فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ}

أي فإنما البَعْثةُ صيحة واحدة، من زَجرَ الراعي غَنَمه، صاح عليها. وهي نَفخة البعث وسميت زجرة لأنها طردٌ بصوت، كما تُزجر الإبل والخيل عند السَّوق.

{فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ}

أي فإذا هم أحياء يُبصرون كما كانوا في الدنيا.

.20

وَقَالُوا يَاوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (20)

{يَاوَيْلَنَا}

يا هلاكنا احضر.

{يَوْمُ الدِّينِ}

أي الجزاء على الأعمال.

.21

هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (21)

.22

احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (22)

{وَأَزْوَاجَهُمْ}

أمثالَهُم من العصاة: عابد الصنم مع عابد الصنم، وعابد الكوكب مع عابد الكوكب، وكذا الزناة مع الزناة، وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر، وهكذا.

.23

مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (23)

.24

وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (24)

{وَقِفُوهُمْ}

احبسوهم في الموقف

{إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ}

عن العقائد والأعمال. يقالُ: وقف الدّابة وقفا، حبسها عن المشي.

.25

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (25)

.26

بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (26)

.27

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (27)

{يَتَسَاءَلُونَ}

يتلاومون ويتخاصمون؛ أي الأتباع والرؤساء، يسأل بعضهم بعضا سؤال تقريع ومخاصمة.

.28

قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (28)

{قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ}

قال الأتباع للرؤساء: إنكم كنتم تأتوننا من الناحية التي منها الخير وهو الدِّين، تهوّنون أمره علينا، وتصرفوننا عنه، وتزيّنون لنا الضلالة. واليمينُ بمعنى الدِّين. وقد أجابهم الرؤساء بخمسة أجوبة في الآيات 29 – 32.

.29

قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (29)

.30

وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (30)

{بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ}

مجاوزين الحدّ في العصيان؛ اختيارا منكم لا جبْرا منّا.

.31

فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (31)

{فَحَقَّ عَلَيْنَا}

ثبت ووجب علينا.

.32

فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (32)

{فَأَغْوَيْنَاكُمْ}

فدعوناكم إلى الغيّ والضلال دعوة غير مُلجئة , فاستجبتم لنا باختياركم الغيَّ على الرشد.

{إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ}

فلا عَتْب علينا في تعرّضنا لإغوائكم بتلك الدعوة لتكونوا أمثالنا في الغَواية.

.33

فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (33)

.34

إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (34)

.35

إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (35)

.36

وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ (36)

.37

بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (37)

{بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ .. }

بل أتى محمّد بالحق، وهو التوحيد الذي دعا إليه جميع الرسل؛ فكان مصدقا لهم في الدعوة إليه، فكيف تقولون شاعر مجنون!!.

.38

إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (38)

.39

وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (39)

.40

إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (40)

{الْمُخْلَصِينَ}

الذين أخلصهم الله لطاعته.

.41

أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (41)

.42

فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (42)

.43

فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (43)

.44

عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (44)

.45

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (45)

{بِكَأْسٍ .. }

هو إناء فيه شراب، فإن لم يكن فيه شراب فهو قَدَح. ويسمَّى الشرابُ نفسه كأسا، فيقال: شربت كأسا؛ من تسمية الشيء باسم محله.

{مِنْ مَعِينٍ}

أي من نهر معين أو شراب معين، أي خارج من العيون والمنابع؛ من عان الماءُ إذا نبع، أو ظاهر للعيون جار على وجه الأرض كالأنهار؛ من عان الماء إذا ظهر. ووصفت الكأس بكونها من معين لإفادة كثرة الخمر في الجنة.

.46

بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (46)

{بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ}

صفتان للكأس باعتبار ما فيه، أوله بمعنى الخمر، أي أنها بيضاء اللون عند مزجها، لذيذة الطعم والرائحة عند الشاربين.

.47

لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (47)

{لَا فِيهَا غَوْلٌ}

ليس فيها غائله كخمر الدنيا؛ فلا أذى فيها، ولا مضرة على شاربيها في جسم أو عقل، وحقيقتها غير حقيقة خمر الدنيا، وكذا سائر ما في الجنة. والغَوْل: إهلاكُ الشيء من حيث لا يحس به. يقال: غاله يغوله غَوْلا، واغتاله اغتيالاً، أهلكه وأخذه من حيث لم يَدْر.

{هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ}

أي ولا هم بشربها تُنزَع عقولُهم، ويُذهب بها كخمر الدنيا. والنَّزفُ في الأصل: نزعُ الشيء وإذهابه بالتدريج. يقالُ: نَزَف ماء البئر ينزِفه، إذا نزحه ونزعه كلَّه منها شيئا فشيئا. ونُزِف الرجل – كعُني –: سَكِر أو ذهب عقله؛ فكأن الشارب ظَرْفٌ للعقل فَنُزِع منه وأخرج، و عن بمعنى باء السببية، كما في قوله تعالى: {وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي}

[الكهف:82]. وخُصت هذه المفسدة بالذِّكر مع عموم ما قبلها لكونها من أعظم مفاسد الخمر؛ ولذا سميت أم الخبائث.

.48

وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (48)

{قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ}

قصرن أبصارهنّ على أزواجهن، لا يمدُدْنها إلى غيرهم؛ لفرط محبتهن لهم.

{عِينٌ}

أي نُجْل العيون حسانُها. جمعُ عَيْناء، وهي الواسعة العين في جمال.

.49

كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (49)

{كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ}

أي أنهنَّ كبَيْض النَّعام – الذي كنَّه الريش في العُش؛ فلم تَمَسه الأيدي ولم يصبه الغبار – في الصفاء وشوْب البياض بقليل صُفرةٍ مع لمعان؛ وهو لون محبوب في النساء عند العرب، فيشبِّهون النساء بالبَيْض ويقولون لهن: بيضات الخدور.

.50

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (50)

.51

قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (51)

.52

يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (52)

.53

أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ (53)

{أَإِنَّا لَمَدِينُونَ}

أي [أإننا] لمبعوثون ومجْزيون بأعمالنا بعد أن صرنا تراباً وعظاماً!؟؛ من الدِّين بمعنى الجزاء، أي أنه لا يصدق ذلك.

.54

قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (54)

{قَالَ}

أي ذلك المؤمن الذي في الجنة

{هَلْ أَنْتُمْ}

يا أهل الجنة

{مُطَّلِعُونَ}

على أهل النار لأريكم ذلك القرين الذي قال لي ما حكيتُه لكم!.

.55

فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (55)

{فَاطَّلَعَ}

على أهل النار.

{فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ}

في وسط النار؛ وسُميَّ الوسط سواء لاستواء المسافة منه إلى الجوانب.

.56

قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (56)

{إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ}

لتهلِكُني بصدك إياي عن الإيمان بالبعث والجزاء. يقال: أردى فلان فلاناً، إذا أهلكه. ورَدِيَ فلان – من باب رضِيَ – إذا هلك.

.57

وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (57)

{لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ}

أي من الذين أحضِرُوا للعذاب مثلك ومثل أحزابك. وأُحْضِر لا يستعمل عند الاطلاق إلا في الشر.

.58

أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (58)

{أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ .. }

أي أنحن مخلَّدون. فما نحن بميّتين!؟

.59

إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (59)

.60

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (60)

.61

لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (61)

.62

أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (62)

{أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا}

النُّزل: ما يعد ويهيّأ من الطعام للنازل.

{أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ}

هي شجرة لا وجود لها في الدنيا، وإنما يخلقها الله في النار، كما يخلق فيها الحيّات والعقارب وخزنة النار، والأغلال والقيود.

.63

إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (63)

{فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ}

محنة وعذابا لهم في الآخرة.

.64

إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (64)

{أَصْلِ الْجَحِيمِ}

قعر جهنم.

.65

طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (65)

{طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ}

أي ثمرُها الذي يطلع منها – في تناهي قبحه وكراهيته كأنه رءُوس الشياطين في قبح منظرها وبشاعتها؛ يُكره أهل النار على أكله، فهم يتزقمونه على أشد الكراهة والتشبيه بها على نحو ما جرى به استعمال المخاطبين من التشبيه بالشيطان إذا أرادوا المبالغة في تقبيح الشيء. فيشبِهون كل ما تناهي في القُبح بما يتخيّله الوهم وإن لم يروْه، وهو

وجه الشيطان أو رأسُه؛ على حد التشبيه بأنياب الأغوال. والمعنى: أذلك الرزق المعلوم المعد لأهل الجنة خيرٌ أم شجرة الزقوم المُعدّة لأهل النار؟!.

.66

فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (66)

.67

ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (67)

{إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا}

أي

إن لهم على هذه الشجرة لخلط ومِزاجاً

{مِنْ حَمِيمٍ}

هو ماء شديد الحرارة. أي يُشاب طعامهم منها الذي ملأوا منه بطونهم، بعد ما غلبهم العطش بهذا الماء الحار الذي تقطع منه أمعاؤهم: قال تعالى: { .. وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (15)} [محمد].

.68

ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (68)

.69

إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (69)

.70

فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (70)

{فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ}

أي فهم يُزعَجُون ويُحثُّون على الإسراع في السعي على آثار آبائهم من غير تدبر، ومع ظهور كونهم على الباطل بأدنى تأمل. والإهراع: الإسراع الشديد، أو إسراعٌ فيه رِعدة. يقال: هَرَع وأهرِع – بالبناء للمجهول فيهما – إذا استُحثّ وأُزْعِج، وأقبل يُهرِع: أي يُرْعد في غضب أو ضَعْف أو خَوْف.

.71

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (71)

.72

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (72)

.73

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (73)

.74

إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (74)

.75

وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (75)

{وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ}

شروع في ذكر سبع قصص تُبين أحوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم، وأحوالَ المنذَرين وسوء خاتمتهم. وهي قصة نوح، وقصة إبراهيم، وقصة إسماعيل، وقصة موسى وهارون، وقصة إلياس وقصة لوطٍ، وقصه يُونس؛ عليهم السلام. وفيها عبرٌ بالغةٌ، و إنذار وتهديدٌ وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم.

.76

وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76)

.77

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (77)

.78

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (78)

{وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ}

أبقينا على نوح ذكرا جميلا، وثناءً حسنا فيمن بعده إلى آخر الدهر.

.79

سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (79)

{سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ}

دعاء منه تعالى لنوح عليه السلام بالسلامة من أن يُذكر بسوء في الملائكة والثقلين جميها. وقيل: الجملة مفعول (تركنا)؛ أي تركنا عليه أن يسلّموا عليه إلى يوم القيامة.

.80

إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (80)

.81

إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (81)

.82

ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (82)

.83

وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (83)

{وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ}

أي وانَّ ممَّن على منهاجه وسنته في الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالله تعالى {لَإِبْرَاهِيمَ}

[الأنعام:65].

.84

إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (84)

.85

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (85)

.86

أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (86)

{أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ}

أي أتريدون إفكا آلهة دون الله! والإفكُ: الكذبُ، أو أسوأ الكذب. وهو مفعول (تريدون) و (آلهة) بدل منه، وجُعلت نفس الإفك مبالغة.

.87

فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (87)

{فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ}

أيْ أيُّ سبب حملكم على ظنِّ أنه تعالى يترككم بلا عقاب حين عبدتم غيره؟! والاستفهام إنكاري.

.88

فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (88)

{فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ}

كان قومُه يعبدون الكواكب ويعتقدون تأثيرها في العالم، وكانوا يعبدون الأصنام ويتخذونها ذريعة إلى عبادة الكواكب، واستنزالِ رُوحانيّاتها كما يزعمون، فأراد أن يكايدهم في أصنامهم، ليُلزمهم الحجة في أنها لا تجلب خيرا ولا تدفع شرا، وأن عبادتها شركٌ وضلال، فدبَّر أن يحطمها في غفلة منهم، وأن يتخلف عن الخروج معهم في يوم العيد كعادتهم ليتمكن من ذلك.

.89

فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (89)

فأراهم [فأرى ابراهيم قومه] أنه نظر في النجوم – وكانوا يتعاطون علم النجوم – فاستدل بها على أنه مشارف للسَّقم فلا يستطيع الخروج معهم.

.90

فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (90)

{فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ}

خشية العدْوَى؛ فمال في غيبتهم إلى الأصنام فحطَّمها. وإنما أراهم ذلك – وهو لم ينظر في النجوم إلا نظرة المؤمن الذي يشهد فيها الدليل على قدرة مبدعها ووحدة صانعها – ليوهمهم أنه نظر فيها على غرارهم، فيطمئنوا إلى صدق اعتذاره عن الخروج، و يتم له ما يريد من قمع الشرك وإقامة التوحيد. وقوله {إِنِّي سَقِيمٌ}

أي مشارفٌ للسّقم: صدقٌ، لأن كل إنسان لابُدَّ أن يَسْقَم. وكفى باعتلال المِزاج أوّلَ سريان الموت سَقاما، ومن شارفه السّقم وبدت له أماراتُه وأعراضه يقول: إني سقيم. وقد سلك عليه السلام بنظره في النجوم وبقوله إني سقيم مسلك التَّعريض الفعلى والقولي: وهو ليس بكذب. وقد قيل: إن في المعاريض لمندوحةً عن الكذب. وتسميتُه كذبا في الحديث الصحيح إنما هو بالنظر لما فَهِم القوم منه لا بالنظر إلى قصده عليه السلام، وجعله ذنبا في حديث الشفاعة لما يتبين له أنه كان منه خلاف الأَوْلى. وكذلك يقال في قوله: (بل فعله كبيرهم) وقوله في زوجته سارة: هي أختي.

.91

فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (91)

{فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ}

فمال بخفية إلى أصنامهم ليكسرها. وأصل الرَّوغ: الميل إلى الشيء على سبيل الاحتيال. يقال: راغ إليه، مالَ نحوه لأمر يريده منه بالاحتيال. وراغ الثعلب رَوْغا وروَغانا: مال إلى جانب ليخدع مَنْ خلْفَه؛ فتُجُوز به عما ذُكر.

.92

مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (92)

.93

فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (93)

{ضَرْبًا بِالْيَمِينِ}

أي ضاربا باليد اليمنى، أو بالقوة {فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58)} [الانبياء].

.94

فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (94)

{فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ}

يُسرعون؛ من زَف الظليمُ يَزِفّ زَفاً وزَفِيفا: عدا بسرعة كأنه يطير.

.95

قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (95)

{مَا تَنْحِتُونَ}

أي الأصنام التي تنحتونها بأيديكم.

والنَّحت: النَّجر والبرّيُ. يقال: نحته ينحِتُه نّحتا: براه.

.96

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (96)

{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}

أي وخلق عملكم، أو الذي تعملونه.

.97

قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (97)

{فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ}

أي النار الشديدة التأجُّج. وكلُّ نار بعضها فوق بعض جحيمٌ؛ من الجَحمة وهي شدة التأجج والاتّقاد. يقال: جحم النار – كمنع – أوقدها.

.98

فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (98)

.99

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (99)

{ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي}

أي إلى المكان الذي أمرني ربي بالمسير إليه وهو الشام.

.100

رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (100)

{هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ}

أي هب لي ولدا صالحاً.

.101

فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101)

{فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ}

هو – على الراجح – إسماعيل عليه السلام، وهو الذي كان معه بمكة في القصة التالية دون إسحاق؛ بدليل قوله بعدُ {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (112)}. وقيل: هو اسحاق وإليه ذهب أهل الكتابيْن.

.102

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102)

{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ}

أي مرتبةَ أن يسعى معه في أعماله وحاجاته. قيل: كانت سنُّه يومئذ ثلاث عشرة سنة.

.103

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103)

{أَسْلَمَا}

استَسلَما وانقادا لأمره تعالى.

{وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ}

صَرَعه وأسقطه على شِقه فوقع جبينُه على الأرض. وأصلُ التَّل: الرّمْيُ على التَّل، وهو الرمل المجتمع، ثم عُمّم في كل صرع ودفع. يقال: تله تلاًّ –من باب قتل– فهو متلول وتليل، صرعه أو ألقاه على عنقه وخدَّه. والجَبين: أحد جانبي الجبهة، وللوجه جبينان، والجبهة بينها.

.104

وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ (104)

.105

قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105)

.106

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106)

{إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ}

أي الابتلاء والاختبارُ المُبيّن الذي يتميز به المخلص من غيره. أو المِحْنةُ الظاهرة صعوبتها لكل أحد.

.107

وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107)

{وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ}

بمذبوح عظيم القدر؛ لكونه بأمر الله تعالى. مصدر بمعنى المفعول؛ كالطحن بمعنى المطحون.

.108

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (108)

.109

سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (109)

.110

كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (110)

.111

إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (111)

.112

وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (112)

.113

وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (113)

.114

وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (114)

.115

وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (115)

.116

وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (116)

.117

وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (117)

.118

وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (118)

.119

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ (119)

.120

سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (120)

.121

إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (121)

.122

إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (122)

.123

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (123)

{إِلْيَاسَ}

نبي من أنبياء

بني إسرائيل، من سِبط هارون عليه السلام.

.124

إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (124)

.125

أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (125)

{أَتَدْعُونَ بَعْلًا}

أتعبدون بعلاً! وهو صنم سَمّيت باسمه بعد مدينتُه بَعْلبك بالشام.

.126

اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (126)

.127

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (127)

.128

إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (128)

.129

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (129)

.130

سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ (130)

{إِلْ يَاسِينَ}

لغةٌ في إلياس: بزيادة الياء والنون، ونظيره سيناء وسينين، وقيل: هو جمع إلياس على التغليب بإطلاقه على قومه.

.131

إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (131)

.132

إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (132)

.133

وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (133)

.134

إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (134)

.135

إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (135)

{إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ}

الباقين في العذاب.

.136

ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (136)

{دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ}

أهلكناهم.

.137

وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (137)

{مُصْبِحِينَ}

أي في الصباح.

.138

وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (138)

{وَبِاللَّيْلِ}

والمساء.

.139

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (139)

.140

إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (140)

{أَبَقَ}

أي هرب من قومه بغير إذن ربّه. يقال: أبق العبد –كضرب ومنَع وسَمِع – هرب من سيده من غير خوْف ولا كدِّ عمل؛ فهو آبق.

{الْمَشْحُونِ}

المملوء.

.141

فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (141)

{فَسَاهَمَ}

فقارع من في السفينة بالسِّهام.

{فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ}

أي المغلوبين بالقرعة. يقال: أدحض الله الحجة فدحضت، أي أبطلها فَبَطَلَت. والدَّحض في الأصل: الزَّلق في الماء والطين.

.142

فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (142)

{فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ}

ابتلعه بسرعة؛ من لَقِم الشيء– كسَمِع – والتقمه: أكله بسرعة. وتَلَقَّمه: ابتلعه في مُهلة. وكان ذلك في نهر دَجْلَة.

{وَهُوَ مُلِيمٌ}

أي مكتسب ما يُلام عليه من مفارقة قومه بغير إذن ربه. يقال: ألامَ الرجل: إذا أتى ما يُلام عليه من الأمر وإن يُلَمْ. وأمّا الملُومُ: فهو الذي يُلام، سواء أتى بما يستحق أن يُلام عليه أم لا.

.143

فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143)

{الْمُسَبِّحِينَ}

الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح.

.144

لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144)

.145

فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (145)

{فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ}

أمرنا الحوتَ بطرحه في الفضاء الواسع من الأرض، على شط النهر قرب نينوى من أرض الموصل، حيث لا يواريه شيء من شجر أو غيره؛ من النَّبذ وهو الطرح والإلقاء. والعَراءُ: الأرض الواسعة التي لا نبات بها ولا مَعْلم: مشتقٌّ من العُرْي وهو عدم السُّترة.

.146

وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (146)

{وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ}

أي من الشجر الذي لا يقوم على ساق. ويقال لكل ما لا ساق له من النبات ونحوه: يَقطين. وللقَرْعة الرَّطبة: يقطينة.

.147

وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (147)

.148

فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (148)

.149

فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (149)

{فَاسْتَفْتِهِمْ}

أي فاستفت كفار مكة. معطوفٌ على قوله تعالى: {فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا ... } [الصافات:11].

.150

أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (150)

.151

أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (151)

{إِفْكِهِمْ}

كذبهم على الله.

.152

وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (152)

.153

أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (153)

{أَصْطَفَى}

أختار؟ (استفهام توبيخ).

.154

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (154)

.155

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (155)

.156

أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ (156)

{سُلْطَانٌ}

حجة و برهان.

.157

فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (157)

.158

وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (158)

{وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا}

أي جعل المشركون بين الله تعالى وبين الملائكة نسبا؛ بقولهم: الملائكة بنات الله. وسُمّيت الملائكة جِنَّة من الاجتنان وهو الاستتار؛ لأنهم لا يرون بالأبصار.

{وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ}

أي علمت الملائكة أن المشركين القائلين ذلك لَمُحضرون النار للعذاب لكذبهم فيه. وقالت تنزيها الله عن ذلك: {سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (159)}.

.159

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (159)

.160

إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (160)

{إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ}

أي لكن عبادُ الله المخلصون الذين نحن منهم: بَراءٌ من أن يصفوه بما لا يليق به. وهو استثناء منقطع من فاعل (يَصِفون). ثم علّل الملائكة هذه البراءة بقولهم: {فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (161)} أي الأصنام التي تعبدونها.

.161

فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (161)

{فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ}

أي الأصنام التي تعبدونها.

.162

مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (162)

{مَا أَنْتُمْ}

جميعا

{عَلَيْهِ}

على الله تعالى

{بِفَاتِنِينَ}

بمفسدين أحدا باغوائكم {إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ (163)} داخلها. و (عَلَيْهِ) متعلق (بِفَاتِنِينَ). والفَتْنُ هنا: الإفساد، من قولهم: فتن عليه غلامه، إذا أفسده. وجملة (ما انتم عليه بفاتنين) خبر إنَّ.

.163

إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ (163)

{إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ}

داخلها، و (صالِ) بكسر اللام معتل كقاض. ثم قالت الملائكة تبيينا لتحيزهم في موقف العبودية وإظهارا لقصور شأنهم:

.164

وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (164)

{وَمَا}

أحدٌ في

{مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ}

في المعرفة والعبادة والانتهاء إلى أمره تعالى.

.165

وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (165)

{وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ}

أنفسنا في مواقف العبودية والعبادة دائما.

.166

وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (166)

{وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ}

أي المنزِّهون الله تعالى عما لا يليق به في كل حال، ومنه ما نسبه المشركون إليه تعالى.

.167

وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ (167)

{وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ}

أي كفار مكة قبل البعثة:

.168

لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ (168)

{لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا}

أي كتابا من جنس كتبهم؛ كالتوراة والإنجيل:

.169

لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (169)

{لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ}

أي لأخلصنا العبادة له، ولكنا أهدى منهم.

.170

فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (170)

{فَكَفَرُوا بِهِ}

لمَّا جاءهم.

.171

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171)

.172

إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172)

{إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ}

تفسير للكلمة {وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}.

.173

وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173)

{وَإِنَّ جُنْدَنَا}

حِزْبَنا، وهم الرسل وأتباعُهم .. والجند: الأنصار والأعوان.

{لَهُمُ الْغَالِبُونَ}

والمراد بالنصرة والغلبة: ما كان بالحجة، أو ما كان بها دائما، وفي مواطن القتال غالبا. على أن العاقبة المحمودة لهم على كل حال، كما قال تعالى: (والعاقبة للمتقين).

.174

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (174)

.175

وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (175)

.176

أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (176)

.177

فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ (177)

{فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ}

فإذا نزل بهم العذاب الذي استعجلوه. والسّاحةُ في الأصل: الفِناء الواسع عند الدُّور، يكنى بها عن القوم أنفسهم.

{فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ}

الذين أنذروا بالعذاب.

.178

وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (178)

.179

وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (179)

.180

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (180)

{رَبِّ الْعِزَّةِ}

الغلبة والقدرة والبطش.

.181

وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (181)

.182

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (182)

والله أعلم.

سورةُ ص~

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (1)

{ص~}

من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله تعالى. وقيل: اسمٌ للسورة، أو للقرآن.

{وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ}

أي الشرف، أو الذكرى والموعظة، أو المذكور فيه ما يحتاج إليه في الدين من الشرائع والأحكام وغيرها، وهو قسَمٌ جوابه محذوف؛ لدلالة: {مُنْذِرٌ مِنْهُمْ} عليه؛ أي انك لمن المرسلين.

.2

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (2)

{بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ}

حَمِيَّة و استكبار عن قبول الحق.

{وَشِقَاقٍ}

مخالفة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

.3

كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (3)

{كَمْ أَهْلَكْنَا}

كثيرا أهلكنا.

{مِنْ قَرْنٍ}

أمة وأقوام من الأمم الخالية، مقترنين في زمن واحد.

{فَنَادَوْا}

أي استغاثوا حين نزول العذاب بهم.

{وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ}

أي ولا تنفعهم الاستغاثة في هذا الحين. و"لا" حرف نفي والتاء مزيدة لتأكيد النفي. والحين: وقت بلوغ الشيء وحصوله؛ وهو ظرف مبهم يتخصَّص بالإضافة. والمناص: بمعنى الفرار والخلاص. يقال: ناصَ عن قِرنه – من باب قال – نَوْصاً ومناصاً، إذا فرَّ وراغَ، أي ليس الوقت وقت فِرار وخلاص. أو بمعنى النجاة والفَوْت. يقال: ناصه، إذا فاته ونجا، أي ليس الوقت وقت نجاة وفوت.

.4

وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (4)

.5

أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (5)

{إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}

متجاوز حد العجب، وهو أبلغ من عجيب؛ مثل قولهم للرجل الذي فيه طُول: طويل، وللذي تجاوز حد الطول: طُوال. قال المشركون ذلك حين ذهبوا إلى أبي طالب يطلبون منه أن يكف الرسول عن شتم آلهتهم، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لعمه: (إني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها يدين لهم بها العرب، وتؤدِّي إليهم بها العجم الجزية) فقالوا: ما هي؟ وأبيك لنُعطينكها وعشرا معها. قال: (لا إله الا الله) فقاموا فزعين يقولون: (أجعل الآلهة إلها واحدا! إن هذا الشيء عجاب). [اخرجهُ الترمذي وصححه].

.6

وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (6)

{وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا}

أي يقول بعضهم لبعض: امضُوا على طريقتكم! وداوموا على سيرتكم، ولا تدخلوا مع محمد في دينه.

{وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ}

اثبتوا على عبادتها، متحمِّلين ما تسمعونه فيها من القدح.

{إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ}

أي لشيء عظيم خطير! يريد محمد منّا امضاءه وتنفيذه لا محالة، أو لشيءٌ من نوائب الدهر يراد بنا! فلا حيلة لنا إلا تجرّعُ مرارة الصبر عليه.

والاستمساك بالرأي فيه.

.7

مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (7)

{مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ}

أي ما سمعنا بهذا التوحيد الذي يدعو إليه محمد في ملة العرب، التي أدركنا عليها آباءنا.

{إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ}

أي ما هذا الذي يدعو إليه الا كذب وتخرُّص تَخلقه من نفسه. يقال: خَلَق الكلام وغيره، صنعه. واختلق الإفك: افتراه؛ كتخلقه.

.8

أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (8)

{أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا}

ونحن السادة العظماء وهو دوننا .. ! يريدون انكارَ كون القرآن منزلا عليه من عند الله.

.9

أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (9)

{أَمْ عِنْدَهُمْ .. }

أي بل أيملكون خزائنَ رحمته تعالى فيتصرفون فيها كما يشاءون فيتخيرون للنبوة من يريدون.

.10

أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ (10)

{فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ}

أي إن كان عندهم خزائن الرحمة ولهم ذلك المُلك: فليصعَدوا في المعارج والطرق التي توصلهم إلى العرش حتى يستوُوا عليه، ويدبّروا أمر العالم ويُنزّلوا الوحي على من يختارونه، ويمنعوا إنزالها على محمد! يقال: رَقيَ يرقى وارتقى، إذا صَعِد. والأسباب: جمع سبب؛ وأصله كل ما يتوصل به إلى غيره من حبْل أو نحوه. والأمر للتهكم.

.11

جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ (11)

{جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ}

أي هم – والمراد قريشٌ – جند كثير من الكفار المتحزبين مهزوم مكسور عما قريب؛ فمن أين لهم تدبير الإلهية والتصرف في الأمور الربانية؟ فلا تكترث بهم. والهزيمة المبشر بها: ما وقع لهم يوم بدر، أو يوم الفتح. وأصل الهَزْم: غمزُ الشيء اليابس حتى يتحطم و يُكسَر، يقال: تهزمت القِربة، يَبست وتكسرت. وهزمتُ الجيش: كسرته.

.12

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (12)

{وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ}

أي المباني العظيمة الضخمة. أو الجنود الذين يُقَوون ملكه كما تقوي الأوتاد البيت، أو الملك الثابت ثبوت البيوت بالأوتاد.

.13

وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (13)

{وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ}

هم قوم شعيب عليه السلام [الحجر:78].

.14

إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (14)

.15

وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ (15)

{وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ}

ما ينتظر كفارُ مكّة الذين هم أمثال أولئك الكفار المهلكين

{إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً}

هي نفخة البعث

{مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ}

أي من توقُّف و انتظار مقدارَ فَوَاق ناقة، وهو الزَمن الذي بين الحلْبتَيْن، أو رجوع اللبن في الضرع بعد الحلب. وقرئ بالضم بمعناه.

.16

وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (16)

{عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا}

أي نصيبنا من العذاب الذي توعدتنا به، ولا تؤخره إلى يوم الحساب الذي مبدؤه الصيحة المذكورة. والقِطُّ: النَّصيب المفروز؛ كأنه قُطّ وقطع من غيره. ويُطلق على صحيفة الجائزة؛ لأنها كانت تخرج في صِكاك مقطوعة. أي عجِّل لنا صحيفة أعمالنا لننظر فيها. وجمعُه قطوطٌ وقِططَة.

.17

اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (17)

{وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ}

قصَّ الله تعالى في هذه السورة قصص طائفة من الأنبياء عليهم السلام، تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم. أي أذكر ما حصل لهم من المشاقّ والمحن، فصبروا عليها حتى فرج الله عنهم. فكانت عاقبتُهم أحسن عاقبة، فكذلك أنت! تَصَبَّر، وأمرُك آيلٌ لا محالة إلى أحسن حال.

{ذَا الْأَيْدِ}

أي القوة في العبادة والدين. يقال: آد الرجل يئيد أيْدا و ايادا، إذا قَوَى واشتدَّ، فهو أيد: ومنه: أيَّدك الله تأييداً.

{إِنَّهُ أَوَّابٌ}

رجَّاع إلى ما يُرضي الله. ورويَ في تفسيره: أنه الرجل يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله تعالى: من آب الرجلُ إلى أهله: رجع.

.18

إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (18)

{يُسَبِّحْنَ}

يقدسن الله تعالى معه إذا سبّح.

{بِالْعَشِيِّ}

أي من الزوال إلى الغروب، أو إلى الصباح.

{وَالْإِشْرَاقِ}

أي ووقت إشراق الشمس، أي وقت ارتفاعها عن الأفق الشرقي وصفاء شُعاعها، وهو الضحوة الصغرى. يقال: شَرَقت الشمس، إذا طلعت، وأشرقت: إذا أضاءت وصفت. وتخصيص هذين الوقتين بالذكر لاختصاصهما بمزيد شرفٍ.

.19

وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (19)

.20

وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (20)

{وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ}

قَوّيناه بأسباب القوة كلها.

{وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ}

النُّبوة وكمال العلم وإتقان العمل.

{وَفَصْلَ الْخِطَابِ}

فصل الخصام بالتمييز بين الحق والباطل. أو الكلام الفاصل بين الصواب والخطأ؛ وهو كلامه في القضايا والحكومات، وتدبير المُلك والمشورات.

.21

وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21)

{وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ}

أي المتخاصمين، أو الخصماء. والخصْمُ: يطلق على الواحد والأكثر والمذكر والمؤنث. والمخاصمةُ: المنازعة. وأصلها: أن يتعلق كل واحد بخُصم الآخر، أي بجانبه. أو أن يَجذب كل واحد خصم الجوالق من جانب.

{تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ}

علوْا سُور غرفته التي كان يتعبد فيها، ونزلوا من أعلاه إليه. والسُّور: الحائط المرتفع؛ نظيرُ: تسَّنم الجمل، إذا علا سنامه.

.22

إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22)

{بَغَى}

تعدى وظلمَ {بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ}.

{وَلَا تُشْطِطْ}

ولا تتجاوز الحق في الحُكم. يقال: شطّ عليه في الحكم يَشِطّ شططا. واشتط وأشطّ: جار وتجاوز الحد.

{وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ}

أرشدنا إلى قصْد السبيل، وهو الوَسط العَدْل. والمرادُ: عين الحق.

.23

إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23)

{أَكْفِلْنِيهَا}

أي اجعلني: أكفُلها. والمراد ملكْنِيها، وانزل عنها حتى أكفُلها. يقال: كَفل عنه بالمال لغريمه، وأكفله المال ضمّنه إياه، وكَفَله إيّاه بالتخفيف – فكَفَل هو به – من بابَيْ نصر ودخل – وكفّله إياه تكفيلا مثله. وقيل: اجعلها كِفلي أي نصيبي.

{وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ}

غلبني في المحاجّة، بأن أتى فيها بما لم أطق رده. يقال: عزه في الخطاب وعازّه، غلبه.

.24

قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24)

{الْخُلَطَاءِ}

الشركاء.

{وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ}

عَلِم وأيقن أننا ابتليناه بما جرى في مجلس الحكومة

{فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ}

لِزَلَّته بالنسبة لمقامه ومنزلته.

{وَخَرَّ رَاكِعًا}

أي ساجدا لله تعالى. وعبر عنه بالركوع لأن في كل منهما انحناء، ولذا كانت آية سجدة.

{وَأَنَابَ}

رجع إلى الله تعالى بالتوبة من ارتكابه خلافَ الأوْلى في هذه القصة. وحاصلها كما ذهب إليه أبو حيان وغيره: أن المتسوّرين المحراب كانوا إنساً، وقد دخلوا إليه من غير المدخل المعتاد، وفي غير وقت جلوسه للحكم؛ ففزِع منهم ظانا أنهم بريدون اغتياله، إذ كان منفردا في محرابه ابتلاء منه تعالى له. فلما ظهر له أنهم جاءوا إليه في خصومة ليحكم بينهم، وأنَّ ما ظَنَّة غير واقع استغفر من ذلك الظن حيث اختلف ولم يقع مظنونه، وخر ساجدا منيبا إلى الله تعالى، فغفر الله له ذلك الظن الذي ما كان ينبغي من مثله؛ وحسناتُ الأبرار سيئاتُ المقرَّبين. ويقرب منه ما قيل: إنهم كانوا يقصدون قتله، فوجدوا عنده أقواما فتصنعوا هذه الخصومة؛ فعلم قصدهم، وعزم أن ينتقم منهم، فظن أن ذلك امتحان من الله تعالى له؛ هل يغضب لنفسه أم لا فاستغفر ربه مما عزم عليه لحقِّ نفسه لعدوله عن العفو الأليق به.

.25

فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (25)

{وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى}

لقُربة منا ومكانة. والزُّلفى والزُّلفةُ القربة والمنزلة.

{وَحُسْنَ مَآبٍ}

أي مَرْجع ومنقلب، وهو الجنة.

.26

يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (26)

{يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً}

استخلفهُ الله على الملك في الأرض، والحكم فيها بين أهلها، وأرشده لما يقتضيه منصب الخلافة. وفيه إرشاد لمن سواه من الحكام.

{فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}

أي فيكون اتباع الهوى سببا لضلالك عن الدلائل التي نصبها الله تعالى على الحق؛ تشريعا وتكوينا، عقليّة ونقليّة. والضلالُ عن سبيل الله يستلزم نسيان يوم الحساب الموجب للعذاب الشديد.

.27

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (27)

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا}

أي خلقاً عبثا مجردا عن الحكمة؛ بل خلقناها خلقا مشتملا على الحكم الباهرة، والمصالح الجمّة، والأسرار البالغة. وذلك أقوى دليل على عظم القدرة، وأنه لا يتعاصاها أمر البَعث والحساب، وعلى أنه تعالى لا يترك الناس سُدى إذا ماتوا؛ بل يعيدهم ويحاسبهم على ما قدموا وأخّروا.

{ذَلِكَ}

أي خلْقُها باطلاً

{ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا}

أي مظنونهم؛ فإنَّ جحودَهم البعث والجزاء ذهابٌ منهم إلى أن خَلْقها عبثٌ خال عن الحكمة.

{فَوَيْلٌ}

هلاك، أو واد في جهنم.

.28

أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (28)

{أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا .. }

تقرير لوجوب البَعث والجزاء؛ إذ لو لم يجب لاستوى المصلحون والمفسدون، والمتقون والفُجَّار؛ وذلك محال.

.29

كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (29)

.30

وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (30)

.31

إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (31)

{إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ}

متَعلق بـ (اذكر) مقَدَرة.

{بِالْعَشِيِّ}

أي من الزوال إلى الغروب.

{الصَّافِنَاتُ}

الصافِنُ من الخيل: القائم على ثلاث قوائم، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر. يقال: صَفَن يصْفِن صفونا، فهو صافن.

{الْجِيَادُ}

جمع جواد، وهو الفرسُ– ذكرا كان أو أنثى – إذا كان سريع العدو، أو جيّد الرَّكض. يقال: جاد الفرس يجود جُودَة فهو جَوَاد، إذا صار رائعا. وُصفت هذه الخيل بوصفين محمودين واقفة وجارية. وقد استمر عرضها حتى غابت الشمس ولم يُصَّلُ العصر.

.32

فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (32)

{فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ}

آثرت

{حُبَّ الْخَيْرِ}

أي الخيل. والعرب تسمي الخيل خيرا.

{عَنْ ذِكْرِ رَبِّي}

أي عليه.

{حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ}

أي استترت الشمس

{بِالْحِجَابِ}

بما يحجبها عن الأبصار.

.33

رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (33)

{رُدُّوهَا عَلَيَّ}

أي أعيدوا عرض الخيل مرة أخرى.

{فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ}

أي شرع يضرب سوقها وأعناقها بالسيف قربة لله تعالى، وكان تقريب الخيل مشروعا في شريعته. وقيل: المراد بالمسح وَسْمها لتعرف أنها خيل محبوسة في سبيل الله. وقال الإمام في تفسير الآية: إن رباط الخيل كان مندوبا إليه في شريعتهم، كما هو مندوب في شريعتنا؛ ثم إن سليمان احتاج إلى الجهاد، فأمر بإحضار الخيل وإعدائها، وقال: إني لا أحبُّها لأجل الدنيا وحظ النفس، وإنما أحبها لأمر الله وتقوية دينه؛ وهو المراد بقوله: {عَنْ ذِكْرِ رَبِّي} ثم أمر بإعدائها حتى توارت بالحجاب، ثم يَردّها إليه؛ فلما عادت إليه طفق يمسح سُوقها وأعناقها، عناية بها لكونها من أعظم عُدد الجهاد، وإعلاماً بأن من الحزم مباشرةَ الوالي الأمور

بنفسه كلما استطاع؛ لأنه كان أعلم الناس بأحوال الخيل ومحاسنها، وعيوبها وأمراضِها، فكان يمسحها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض. وقال: إن هذا الذي ينطبق عليه لفظ القرآن، ولا يترتب عليه شيء من المحظورات. اهـ ملخَّصا. ونقل الآلوسي عن الشعراني نحوه، ثم بعد أن ناقش هذا التفسير قال: إنه وجه ممكن في الآية على بُعْد، إذا قُطع النظر عن الأخبار المأثورة.

.34

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34)

{وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ .. }

ابتليناه واختبرناه. وسبَبُ ذلك على ما في الصحيحين: أنه حلَف ليطوفنَّ على نسائه الليلةَ لتلدَ كلُّ واحدة فارسا يجاهد في سبيل الله، فقيل له: قل إن شاء الله، فَنَسيَ ولم يقل. فطاف عليهن جميعا فل تحمل منهن إلا واحدة جاءت بشق إنسان، وهو الجسد الذي ألقته القابلة على كرسيه حين عرضته عليه ليراه، فكان ذلك محنَتَهُ لأنه لم

يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني؛ وذلك بالنسبة إلى مقامه خلاف الأوْلى. وقد عدّه ذنبا فأناب إلى الله ورجع إليه، وإلى ذلك ذهب المحققون كالقاضي عِياض وغيره.

.35

قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (35)

.36

فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَاب (36)

{تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً}

ليّنة غير عاصفة.

{حَيْثُ أَصَابَ}

أي قصد وأراد.

.37

وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (37)

{وَغَوَّاصٍ}

في البحر لاستخراج نفائسة.

.38

وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (38)

{وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ}

مقرون بعضهم ببعض بالأغلال والقيود، وهم المردةُ من الشياطين.

.39

هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39)

{بِغَيْرِ حِسَابٍ}

غير محاسب على شيء من الأمرين.

.40

وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (40)

{لَزُلْفَى}

لقربا وكرامة.

.41

وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (41)

.42

ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (42)

.43

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (43)

.44

وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (44)

.45

وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (45)

{أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ}

أولي القوة في الطاعة، والبصيرة في الدِّين. جمع يد بمعنى القُوة. وبَصَرٍ بمعنى بصيرة مجازاً.

.46

إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (46)

{إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ}

جعلناهم خالصين لنا بخصْلة خالصة عظيمة لا شوب فيها؛ هي تذكرهم للآخرة دائما. والباء للسببية.

.47

وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (47)

.48

وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ (48)

{وَذَا الْكِفْلِ}

هو رجل صالح من بني إسرائيل، تكفل لأحد أنبيائهم بطاعات فَوفي بها.

.49

هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (49)

{هَذَا ذِكْرٌ}

المذكور من محاسنهم شرف لهم.

.50

جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ (50)

.51

مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (51)

.52

وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (52)

{قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ}

حابساتٌ نظرهن على أزواجهن؛ لشدة محبتهن لهم.

{أَتْرَابٌ}

أي مستويات في السِّن والشباب والحُسن.

.53

هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (53)

.54

إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ (54)

{مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ}

أي انقطاع وفناءٍ أبدا. يقالُ: نَفِد نفاداً و نفدا، فَنِي وذهب.

.55

هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (55)

{لَشَرَّ مَآبٍ}

لأسوأ منقلب ومصير.

.56

جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (56)

{جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا}

يدخلونها أو يقاسون حرَّها.

{فَبِئْسَ الْمِهَادُ}

أي ما مهّدوه لأنفسهم وهو الفراش.

.57

هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (57)

{حَمِيمٌ}

ماءٌ بالغ أقصى الحرارة.

{وَغَسَّاقٌ}

صديدٌ يَسيل من أجسادهم؛ من قولهم: غَسِقَ الجرح –كضَرَب وسَمِع – غسقانا؛ اذا سال منه ماء أصفر.

.58

وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (58)

{وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ}

أي وعذابٌ آخر من مثل الحميم والغَسَّاق في الشِّدة والفظاعة: أصنافٌ وأجناس.

ثم يقول بعض الطّاغين لبعض عند دخولهم النار مع أتباعهم:

.59

هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ (59)

{فَوْجٌ}

أي جمع كثير من أتباعكم في الضلال.

{مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ}

داخل معكم النار كرها، مُقاسٍ فيها ما تُقاسونه؛ فإنهم يُضربون بمقامع من حديد حتى يقتحموها بأنفسهم خوفا من تلك المقامع. يقال: قَحَم في الأمر يَقْحُم قُحوهاً؛ رمى بنفسه فيه من غير رويّة، وأقحم فرسَه النَّهر فانقحم: أي أدخله فدخل.

{لَا مَرْحَبًا بِهِمْ}

دعاءٌ عليهم

بضيق المكان، أي لا أتوْا مكانا رَحباً بل ضيقا.

{إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ}

داخلوها أو مُقاسُو حرها مِثلنا [مريم:70].

.60

قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (60)

{أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا}

أي أنتم قدمتم الصُّليَّ لنا بإغوائنا وإغرائنا على ما قدمنا من الكفر ولم نرتكبه من تلقاء أنفسنا!.

.61

قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (61)

.62

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ (62)

{وَقَالُوا}

أي الطَّاغون بعضهم لبعض:

{مَا لَنَا لَا نَرَى}

في النار

{رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ}

في الدنيا من الأشرار أي الأراذل الذين لا خير فيهم. يعنُون بذلك الضعفاء من المؤمنين كَعَمار وبلال وصُهيب وسلمان وخَبّاب.

.63

أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ (63)

{أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا}

الهمزةُ للاستفهام، وقد سقطت لأجلها همزة الوصل. و (سِخْرِيًّا) أي هُزءاً وسخرية في الدنيا. أنكروا على أنفسهم ذلك الاستسخار؛ حيث لم يَرَوْهم معهم في النار.

{أَمْ زَاغَتْ}

مالت

{عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ}

فلا نراهم وهم فيها.

.64

إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (64)

.65

قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (65)

.66

رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (66)

.67

قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (67)

{قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ .. }

أي ما أنبأتكم به من كوني رسولاً منذرا من عند الله الذي لا إله إلا هو- نبأ جليل خطيرٌ، يجب أن تُلْقُوا إليه بالا، وتُذعنوا له إذعاناً، ولكنكم قابلتموه بالإعراض والتكذيب، لفرط غفلتكم وتماديكم في ضلالتكم. ثم عُقّب ذلك بذكر نبأ لا يمكن أن يعرف إلا من طريق الوَحي؛ ليكون دليلا على صدقه صلى الله عليه وسلم في أخباره، وأنه رسولٌ من عند ربه، وهو قصة خلق آدم.

.68

أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (68)

.69

مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (69)

{بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى}

الملائكة.

{إِذْ يَخْتَصِمُونَ}

في شأن آدم وخلقه وخلافته.

.70

إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (70)

.71

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71)

.72

فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72)

{سَوَّيْتُهُ}

أتممت خلقه بالصورة الإنسانية.

{وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي}

أفضت عليه ما به الحياةُ من الروح التي هي من أمري.

{فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ}

تحية له وتكريما.

.73

فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73)

.74

إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74)

.75

قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75)

{لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}

أي للذي خلقتُه بيدي. ومذهب السلف فيه: أن اليد – مفردة وغيرَ مفردة – إذا وصف الله تعالى بها نفسه، فهي صفةٌ ثابتة له على الوجه الذي يليق بكماله، مع

تنزهه تعالى عن مشابهة الحوادث في الجسمية والجوارح؛ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا! ومذهب الخلف: تأويل اليد بالقدرة أو النّعمة. والتثنيةُ للتأكيد، أو أنه تمثيل للاعتناء بخلقه، [راجع المسألة الرابعة من المقدمة].

{الْعَالِينَ}

المستحقين للعلو والرفعة.

.76

قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (76)

.77

قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (77)

{رَجِيمٌ}

مرجوم مطرود.

.78

وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (78)

.79

قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (79)

{فَأَنْظِرْنِي}

فأمهلني.

.80

قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (80)

.81

إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (81)

{إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ}

المعيَّن لفناء الخلق، وهو وقت النفخة الأولى لا إلى يوم البعث.

.82

قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82)

{فَبِعِزَّتِكَ}

أي بسلطانك وقهرك

{لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}

لأضلّهم بتزيين المعاصي لهم.

.83

إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83)

.84

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (84)

{قَالَ}

الله تعالى

{فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ} {الْحَقُّ}

الأولى مبتدأ خبره محذوف، أي فالحقُّ قَسمي لأملأن جهنم. أقسم الله بالحق الذي هو ضد الباطل تعظيما له، أو بالحق الذي هو من أسمائه تعالى. {الْحَقَّ} الثاني مفعول لـ (أقول) قُدّم عليه لإفادة الحصر؛ أي لا أقول إلا الحق، والجمله معترِضةٌ بين القسم والمقسم عليه لتقرير مضمون الجملة القسَمية.

.85

لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (85)

.86

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (86)

{وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ}

من المتصنِّعين الذين يتحلّوْن بما ليسوا من أهله، حتى أنتحِلَ النبوة وأتقوّل القرآن، وأتخرّص مالم يأمرني به الله. يقالُ: تكلَّفت الشيء، إذا تجشَّمتَه على خلاف عادتك. والمتكلِّف: العرِّيض لما لا يعنيه.

.87

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (87)

.88

وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (88)

{نَبَأَهُ}

صدق أخباره.

والله أعلم.

سُورَةُ الزُّمَر

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1)

{تَنْزِيلُ الْكِتَابِ}

أي القرآن، مبتدأ خبره: {مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} فليس قولاً مفترًى كما يزعم الجاحدون.

.2

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (2)

{إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ}

أي متلِّبسا بالحق والصواب، وذلك يوجب قبوله والعملَ بكل ما فيه، وإخلاصَ

العبادة لمن أنزله.

{فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ}

العبادة: غاية التّذلل للمعبود. والدّين هنا: العبادة والطاعة، والإخلاص فيه: أن يمحض العبد عبادته لله تعالى، ولا يجعل له شريكا فيها، ولا يقصد بعمله الا وجه الله تعالى؛ فلا يشوبه بشيء من الرِّياء.

.3

أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (3)

{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ}

أي آلهة يعبدونها قائلين: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} ويشفعوا لنا عنده فيما ينُوبُنا من أمور الدنيا.

{إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ}

وبين خصمائهم الذين هم المخلصون له الدِّين يوم القيامة.

{فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}

من التّوحيد والشرك، بإدخال الموحِّدين الجنة، والمشركين النار. فقوله {مَا نَعْبُدُهُمْ} حالٌ من فاعل {اتَّخَذُوا}، وجملة {إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ} خبر الموصول.

.4

لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (4)

{لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ... }

قال المشركون: الملائكةُ بنات الله، وقالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله، فردَّ الله تعالى عليهم بأنه لو أراد اتخاذ الولد على ما يظنونه، لاختار من خلقه ما يشاء هُو؛ لا ما يختارونه هم ويشاءُونه؛ لكنّه لم يختر أحدا، فدل ذلك على أنه لم يُرِدْ اتخاذَ الولد، وهو نظير قوله تعالى: {لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ (17)} [الانبياء]. وإرادةُ الاتخاذ في الآيتين ممتنعةٌ؛ لأن الإرادة لا تتعلق إلا بالممكنات، واتخاذُ الولد محالٌ كما ثبت بالبرهان القطعي فتستحيل إرادتُه، وجعلُها في الآيتين شرطا وتعليقُ الجواب عليها، لا يقتضي إمكانها فضلا عن وقوعها. وقد عُرف في فصيح الكلام: تعليقُ المحال على المحال جوازا ووقوعا.

على أن الوالديَّة تقتضي التجانس بين الوالد والولد: إذ هو بضع منه. وقد ثبت أن كل ما سواه تعالى حادث مخلوق له. فيلزم بموجب التجانس أن يكون المخلوق من جنس الخالق، وهو يستلزم حدوث الخالق أو قدم المخلوق، وكلاهما مُحال.

{سُبْحَانَهُ}

تنزيها لله تعالى عن اتخاذ الولد!.

.5

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (5)

{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ}

أي متلبسا بالصواب مشتملا على الحِكَم والمصالح؛ ومن كان هذا شأنه: استحال أن يكون له شريكٌ أو صاحبةٌ أو ولد. وقد اشتملت هذه الآية والتي بعدها على ثمانية أدلة على كمال قدرته تعالى، وعلى وحْدته وقهره ما سواه: خَلقُ السماوات والأرض بالحق، وتكويرُ الليل على النهار، وعكسه، وتسخير الشمس والقمر لمنافع الخلق، وخلقُ

النوع الإنساني من نفس واحدة خَلَقها وهي آدم، وخلقُ حواء من آدم، وخلق الأنعام ثمانيةَ أزواج، وتطور الأجنّة في بطون الأمهات.

{يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ .. }

تكويرُ الشيء إدارتُه وضمُّ بعضه إلى بعض ككوْر العمامة. أي أن هذا يكُرُّ على هذا، وهذا يكُرُّ على هذا كرورا متتابعا كتتابع أكوار العمامة بعضها

على أثر بعض، إلا أن أكوار العامة مجتمعة وفيما نحن فيه متعاورةٌ، وقريب منه قوله تعالى: { .. يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا .. } [الاعراف:54]. وقيل المعنى: يزيد الليل على النهار ويضُمُّه إليه: بأن يجعل بعض أجزاء الليل نهارا فيطول النهار عن الليل. ويزيدُ النهار عن الليل ويضمُّه إليه: بأن يجعل بعض أجزاء النهار ليلاً فيطول الليل عن النهار. وهو كقوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (61)} [الحج].

{كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى}

هو وقتُ نهاية دَوْرته أو وقت انقطاع حركته.

.6

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (6)

{وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ .. }

أي من كلّ من الإبل والبقر والضأن والمعز زوجين: ذكراً وأنثى، يتم بها التناسل وبقاء النوع. وعبر عن الخلق بالإنزال لأن الخلق إنما يكون بأمر من السماء.

{فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ}

: ظلمات البطن، والرحم، والمشيمة التي بداخله. وفيما يتم تكوين الجنين وتصويره، ونفخ الروح فيه وتدبيرُه حتى يولَد. وهو من أقوى الأدلة على القدرة الباهرة.

{فَأَنَّى تُصْرَفُونَ}

فكيف تصرفون عن التوحيد إلى الشرك؟ وتزعمون أن له شريكا أو ولدا مع وفور الأدّلة الصّارفة عن هذا الزعم الفاسد؛ من الصرف وهو إبدال الشيء بغيره. وفعلُه من باب ضرب.

.7

إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (7)

{وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ}

أي لا يحْمَد منهم الكفر ويمدحه. أو لا يجازي الكافر مجازاة المرضيّ عنه بل مجازاة المغضوب عليه. ثم إن الرضا غير الإرادة، فإنها تسبق الفعل، وهو يتأخر عنه؛ فنفيه لا يستلزم نفيها.

{وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}

[الأنعام:164].

.8

وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (8)

{دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ}

راجعاً إليه تعالى بالدعاء. مُنْصرفا عما كان يدعوه من دون الله وقت الرخاء.

{ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ}

أعطاه نعمة عظيمة تفضُّلاً منه سبحانه وملَّكه إياها؛ من

التخويل، وأصله إعطاء الخَول؛ أي العبيد والخدم أو إعطاء ما يحتاج إلى تعاهده والقيام عليه، ثم عُمِّم لمطلق الإعطاء.

{وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا}

أمثالا و نظائر يعبدها من دون الله. جمعُ ند، وهو الممثل والنظير.

.9

أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (9)

{أَمَّنْ}

أصلها (أمْ) التي بمعنى بل وهمزة الاستفهام، و (منْ) التي هي اسم موصول؛ أي بل أمَنْ.

{هُوَ قَانِتٌ}

أي قائم بواجب الطاعات، ودائم على وظائف العبادات كمن ليس كذلك!؟ من القنوت وهو لزوم الطاعة مع الخشوع؛ وحُذِف المعادِل لدلالة الكلام عليه.

{آنَاءَ اللَّيْلِ}

أي ساعاته.

.10

قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (10)

{وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ}

فسيحة، فمن لم يدرك التقوى والإحسان في وطنه فيهاجر إلى حيث يتمكن منها، كما هو دَأبُ الأنبياء والصالحين.

{إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ}

على مفارقة الأوطان واحتمال الشدائد في طاعة الله.

{أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}

من الحاسبين.

.11

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (11)

.12

وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (12)

.13

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (13)

.14

قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (14)

.15

فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (15)

.16

لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ (16)

{لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ}

أي لأولئك الخاسرين أطباقٌ كثيرة من النار فوقهم كهيئة الظل. جمع ظُلّة، وأصلها السحابة تُظِلُّ ما تحتها، وأكثر ما يقال في يُستوخم ويُكره.

{وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ}

من النار. والمرادُ: أن النار محيطة بهم إحاطةً تامةً من جميع الجوانب. واطلاقُ الظلة على ما تحتهم لكونها ظُلة لمن تحتهم من أهل الدركات، وهو كقوله تعالى: {لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (41)} [الاعراف] وقوله تعالى: {يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (55)} [العنكبوت].

.17

وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (17)

{اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا}

أي اجتنبوا عباده الطاغوت، وهو الأصنام أو الشياطين، وكلُّ معبود من دون الله [البقرة:256]، ويُستعمل في الواحد والجمع والمذكر والمؤنث.

{أَنَابُوا إِلَى اللَّهِ}

رجعوا إلى عبادته وحده.

.18

الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (18)

.19

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (19)

{أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ}

كان صلى الله عليه وسلم حريصاً على إيمان قومه أشد

الحرص؛ فأعلمه الله أن من سبق عليه القضاء بأنه من أهل النار لا يقدر الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينقذه منها بجعله مؤمنا. أي أأنت مالك أمر الناس قادر على التصرّف فيهم؛ فن حقَّ عليه كلمة العذاب فأنت تُنقِذه! أي لست مالكا ولا قادرا على ذلك. وزيدت همزة الاستفهام في (أفأنْتَ) لاستطالة الكلام.

.20

لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (20)

{لَهُمْ غُرَفٌ}

منازل رفيعة عالية في الجنة.

.21

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (21)

{أَلَمْ تَرَ .. }

تمثيلٌ للحياة الدنيا – في سرعة زوالها وقرب اضمحلاها – بما ذُكر من أحوال الزرع، تحذيرا من الاغترار بها، وتنفيرا من التشبث بأذيالها، بعد أن وصفت الجنة بما يُرغِّب فيها ويشوّق إليها.

{فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ}

أدخله في عيون ومسارب في الأرض. جمع يَنبوع وهو المنبعُ والمَجرى.

{ثُمَّ يَهِيجُ}

يَيْبس ويجفُّ؛ من الهيج بمعنى اليُبس والجفاف. يقالُ: هاجَ النبتُ هَيْجا وهِياجاً، يبسَ واصفرَّ. أو يثور: من الهَيْج بمعنى الحركة. يقال: هاج الشيءُ يهيج، ثار لمشقة أو ضرر.

{ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا}

فُتاتا متكسراً. يقال: حَطِمَ الشيءُ حَطَما – من باب تعب – إذا تكسّر. وحَطَمته حَطْما– من باب ضرب – كسرته. وتحطَّم العودُ: إذا تفتّت من اليُبْس.

.22

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (22)

{أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ .. }

أي أكلُّ الناس سواءٌ؟ فمن شرح الله صدره وخلقه مستعدا لقبول الإسلام فبقي على الفطرة النقية التي لم تَشُبْها العوارض المكتسبة القادحة فيها {فَهُوَ} بمقتضى ذلك {عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ} وهداية – كمن قسا قلبُه، وحَرِج صدره بتبديل الفطرة بسوء الاختيار، واستولت عليه ظلمات الغَيّ والضلال؛ فأعرض عن ذكر ربه؟

{فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ}

هلاكٌ وخزيٌ لهم.

.23

اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (23)

{أَحْسَنَ الْحَدِيثِ}

ابلغه وأصدقه وأوفاه (القرآن).

{كِتَابًا مُتَشَابِهًا}

يشبه بعضه بعضا في فصاحته وبلاغته، ونظمه وإعجازه، وفي صحة معانيه وأحكامه، وصدقه وهدايته وحكمته، واستتباعه مصالح الخلق في المعاش والمعاد وغير ذلك.

{مَثَانِيَ}

تُثنى وتكرر فيه القصص والمواعظ، والأمثال والأحكامُ والوعدِ والوعيد، وتُثنى تلاوته؛ فلا يُمَل على كثرة الترداد. جمع ثِني؛ ومثْناة ومثْنى؛ من التَّثنية بمعنى التكرير والإعادة. وصف القرآن كلُّه هنا بالمثاني، وسُميت الفاتحةُ بالمثاني في سورة الحجر [آية:87].

{تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ}

تعلوها قشعريرةٌ ورعدةٌ من الخوف مما فيه من الوعيد؟ من الاقشعرار وهو التقبُّض الشديد. يقال: اقشعر جلدُه، أي تقبض تقبُّضاً شديدا. أوقَفَّ شعره إذا عَرَض له خوفٌ شديد من أمر هائل دَهَمه بغْتةً. وهو كناية عن شدّة خوفهم من الله تعالى.

{تَلِينُ جُلُودُهُمْ}

تسكن وتطمئن لينة غير منقبضة.

.24

أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (24)

{أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ}

أي أكلُّ الناس سواء! فمن يتقي بوجهه العذاب السِّيئ الشديد لكون يده التي كان يتقي المكاره بها مغلولة إلى عنقه – كمن هو آمن لا يناله مكروه، ولا يحتاج إلى الاتقاء بوجه من الوجوه!

.25

كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (25)

.26

فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (26)

{فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ}

الذُّل والهوان والصَّغار.

.27

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (27)

.28

قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (28)

{غَيْرَ ذِي عِوَجٍ}

ليس صاحبَ عوج. أي لا لَبْس ولا اختلاف ولا اختلال فيه [آل عمران:99].

.29

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (29)

{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا .. }

أي للمشرك الذي يعبد آلهة كثيرة: عبداً مملوكا لجماعة متشاحنين، الشكاسة أخلاقهم وسوء طباعهم، يتجاذبونه ويتعاورونه في أغراضهم المتباينة؛ فهو في حيرة من أمره، لا يدري على أيُّهم يعتمد، ولا أيُّهم يرضى بخدمته، وضرب للموحِّد مثلا: رجلا خالصا لفرد واحد، ليس لغيره سبيلٌ عليه يخدمهُ بإخلاص، وذلك الفَرْد يعولُه ويعرف له صدق بلائه، فهو في راحة من الحَيْرة وتوزُّع القلب؛ فأيُّ الرجلين خير؟

{مُتَشَاكِسُونَ}

متنازعون شرسُو الطباع. يقال: رجل شَكْسٌ وشَكِس، أي صعبُ الخُق وفعلُه كَكَرُم.

{وَرَجُلًا سَلَمًا}

أي خُلوصاً لفرد واحد. مصدرٌ وصُف به مبالغة. وقرئ (سِلْما) بمعناه.

.30

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (30)

.31

ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (31)

{عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ}

فتقيم عليهم الحجة بأنك بلّغت الرسالة، وهم يعتذرون بالأباطيل والتَّعلات الكاذبة.

.32

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (32)

{مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ}

مأوى ومُقام لهم.

.33

وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (33)

.34

لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (34)

.35

لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (35)

.36

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (36)

{أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ}

أي الله تعالى كاف نبيَّه صلى الله عليه وسلم شر من عاداه من الكافرين، أدخلت فيه همزة الإنكار على كلمة النَّفي فأفاد إثبات الكفاية.

{وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ}

أي بالأوثان التي اتخذوها آلهة. وقد رويَ أن قريشا قالت له صلى الله عليه وسلم: لتكُفنَّ عن شتم آلهتنا أو ليصيبنَّك منها خبل؛ فنزلت الآيه.

.37

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ (37)

.38

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (38)

{أَفَرَأَيْتُمْ}

أخبروني.

{مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}

أي الأصنام التي تعبدونها من دونه تعالى.

{حَسْبِيَ اللَّهُ}

كافيّ في جميع أموري من إصابة الخير ودفع الشر.

.39

قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (39)

{اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ}

على حالتكم من العداوةِ التي تمكنتم فيها. وأصل المكانة: المكانُ المحسوس؛ استعيرت للحالة التي عليها الإنسان استعارة المحسوس للمعقول، أو على حسب تمكنكم واستطاعتكم، والأمر للتهديد.

.40

مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (40)

{مَنْ يَأْتِيهِ}

مفعول {تَعْلَمُون} بمعنى تعرفونه.

{يُخْزِيهِ}

يذله ويهينه.

{وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ}

أي ينزل به عذاب دائم [طه:81].

.41

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (41)

.42

اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (42)

{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ}

أي يقبض الأرواح حين الموت. وحين النوم: بأن يقطع تعلُّقَها بالأجسام تعلُّق التصرّف ظاهرا وباطنا في الموت. وظاهرا فقط في النوم.

{فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ}

أي لا يردُّها إلى البدن

{وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى}

إلى بدنها عند اليقظة

{إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى}

وهو الوقت المحدودُ للموت. ومن قدَرَ على ذلك قَدَر لا محالة على البعث.

.43

أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (43)

{أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ}

يَنْعى على كفار قريش تركهم التفكُّر في دلائل قدرته على البعث، وتفرده بالألوهية، واتخاذَهم الأصنام آلهة تشفع لهم عند الله، أي بل أتَّخذوا؟ وهمزة الاستفهام المقدرةُ: للإنكار عليهم في اتخاذهم اياها.

.44

قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (44)

{قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا}

أي أنه تعالى مالك الشفاعة كلها، لا يستطيع أحد شفاعة عنده إلا أن يكون المشفوع مرتضى، والشفيع مأذونا له في الشفاعة، كما قال تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الانبياء:28] وقال تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ} [البقرة:255] وكلاهما مفقود هنا.

.45

وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (45)

{اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ}

أي نَفَرت وانقبضت من ذكره تعالى وحده دون أن تُذكر معه آلهتُهم؛ من الشَّمز وهو نفور النَّفس مما تكره. يقال: اشمأَزّ، أي انقبض واقشعرَّ أو ذُعِر. وتَشمَّز وجهه: تمعَّر وتقبَّض. والمشمئزُّ: النافِرُ الكاره، أو المذعور.

.46

قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (46)

{فاطِرَ .. }

يا مبدع ومخترع.

.47

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (47)

{وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ}

أي ظهر لهم من فنون عذاب الله ما لم يَكن في حُسْبانهم.

{يَحْتَسِبُونَ}

يظنونه ويتوقعونه.

.48

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (48)

{وَحَاقَ بِهِمْ}

أي أحاط بهم، وأنزل.

.49

فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (49)

{ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا}

أعطيناه إياها تفضلا منا.

{بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ}

محنة وابتلاء له؛ ليظهر أيشكر أم يكفر.

.50

قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (50)

.51

فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (51)

{وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ}

أي بفائتين من عذاب الله.

.52

أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (52)

{وَيَقْدِرُ}

أي يضيِّق الرزق لمن يشاء ابتلاء. وسَعَة الرزق قد تكون استدراجا. وتقتيره قد يكون إعظاماً.

.53

قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)

{أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ}

أفرطوا في المعاصي جانين على أنفسهم بارتكابها. والخطابُ للمؤمنين المذنبين. والإسراف: تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان؛ وإن كان ذلك في الإنفاق أشْهَر، ولتضمنه معنى الجناية عُدِّي بـ "على".

{لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ}

لا تيأسوا من مغفرته تعالى لكم. والقنوطُ: اليأس. وفعلُه كنَصَر وضرب وحّسِب وكرُم.

{إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا}

يَستُرها، أو يمحوها ولا يؤاخذ بها؛ أي لمن شاء من عصاة المؤمنين تابوا أو ماتوا من غير توبة. فإن تابوا قَبِلَ توبتهم كما وعد؛ فضلا منه، وإن لم يتوبوا فهم في مشيئته تعالى؛ إن شاء غفر لهم، وإن شاء عذبهم، ثم أدخلهم الجنة بفضله ورحمته. أمّا غير المؤمنين: فإن تابوا مِن الكفر قَبِل الله توبتهم؛ والإسلام يَجُبُّ ما قبله. وإن ماتوا مصِرين على كفرهم فلن يغفر الله لهم؛ كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (48)} [النساء]، وهذه الآية أرْجَى آية في كتاب الله. ونَضْرَع إلى الله الرءوف الرحيم؛ أن يغفر ذنوبنا، ويستر عيوبنا بمنه وكرمه {إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}.

.54

وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (54)

{وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ}

ارجعوا إليه بالتوبة {وَأَسْلِمُوا لَهُ}

أخلصوا له العبادة. وفي الآية حثٌّ على المبادرة إلى التوبة.

.55

وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (55)

{بَغْتَةً}

فجأة.

.56

أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56)

{أَنْ تَقُولَ}

أي كراهة أن تقول نفس

{نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا}

أي يا حسرتي وندامتي

{عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ}

أي بسبب تفريطي وتقصيري في طاعة الله، أو في حقه تعالى؛ أي ما يحق له ويجب وهو الطاعة، وأصل الجنْب والجانب: الجهة المحسوسةُ للشيء، وأطلق على الطاعة مجازا حيث شُبّهت بالجهة؛ بجامع التعلُّق في كلٍ بصاحبه، فالطاعة لها تعلق بالله. كما أن الجهة لها

تعلق بصاحبها.

{السَّاخِرِينَ}

المستهزئين بدينه وكتابه وأهله.

.57

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (57)

.58

أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (58)

{كَرَّةً}

رجعة إلى الدنيا.

.59

بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (59)

.60

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ (60)

{مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ}

مأوى ومقام لهم.

.61

وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (61)

{بِمَفَازَتِهِمْ}

أي ينجيهم بسبب فوزهم. أو بمكان فوزهم وهو الجنة.

.62

اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62)

.63

لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (63)

{لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}

مفاتيح خزائنهما. جمع مِقْلاد أو مِقليد، أو اسم جمع لا واحد له؛ من التقليد بمعنى الإلزام. أي أنه لا يملك أمر السماوات والأرض، ولا يتمكن من التصرُّف فيهما غيره تعالى.

.64

قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (64)

.65

وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (65)

{وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ .. }

أي ولقد أوحينا إليك وإلى كل رسول تقدمك: لان أشركت بالله شيئا ليبطُلَنَّ عملك الذي عملت قبل الشِّرك.

{لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ}

ليبطُلَنَّ عملك ويفسدن.

{وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}

وهو كلام على سبيل الفرض للإعلام بغاية شناعة الشرك، وكونه بحيث يُنهي عنه من يستحيل أن يباشره فكيف بمن عداه! ويقرب منه ما قيل: إن الخطاب للرسول والمقصود أمتُه [الأنعام:88].

.66

بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (66)

.67

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (67)

{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}

ما عظموه تعالى حق تعظيمه. [الأنعام:91].

{وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}

بيانٌ لعظم قدرته تعالى، وأنَّ المتولي لإبقاء السماوات والأرض في الدنيا هو المتولي لتخريبهما يوم القيامة؛ فله سبحانه وحده القدرة التامة على الايجاد والإبقاء والإفناء في الدَّارين، فكيف يشركون به غيره!؟:: والقَبْضة: المرَّةُ

من القبض، وتطلق على المقدار المقبوض بالكف، أي والأرض – مجموعة – مقبوضة له تعالى يوم القيامة. وخصَّ بالذكر وإن كانت قدرته شاملةً لدار الدنيا أيضا، لأن الدعاوي تنقطع في
ذلك اليوم، كما قال: { .. وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (19)} [الانفطار] وقال: { .. لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (16)} [غافر].

{وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ}

قال الزَّمخشري: الغرض من هذا الكلام إذا أخذتَه بمجموعه – تصوير عظمته تعالى، والتوقيف على كُنْه جلاله لا غير؛ من غير ذهاب بالقبضة واليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز. فهو تمثيلٌ لحال عظمته تعالى، ونفاذ قدرته – بحال من يكون له قبضة فيها الأرض جميعا، ويمين بها يطوي السماوات. وقيل: هو تنبيه على مزيد جلالته وعظمته تعالى؛ بإفادة أن الأرض كلها مع عظمها وكثافتها في مقدوره، كالشيء الذي يقبض عليه القابض بكفه. فالقبضة مجازٌ عن الملك أو التصرف، كما يقال: هو في يد فلان وفي قبضته، للشيء الذي يهون عليه التصرف فيه وإن لم يقبض عليه، واليمينُ: مجاز عن القدرة التامة. والسَّلفُ– كما ذكره الألوسيُّ – يذهبون إلى أن الكلام تنبية على مزيد جلالته وعظمته، ورمزٌ إلى أن آلهتهم – أرضية أم سماوية – مقهورة لله تعالى. إلا أنهم لا يقولون بالتجوُّز بالقبضة عن الملك أو التصرُّف، ولا باليمين عن القدرة؛ بل يُنزهونه تعالى عن الجوارح والأعضاء، ويؤمنون بما نسبه تعالى إلى ذاته بالمعنى اللائق به الذي أراده سبحانه. قال الخطابي: ليس عندنا معنى اليد الجارحة، إنما هي صفةٌ جاء بها التوقيف؛ فنحن نطلقها على ما جاءت لا نكيِّفُها، وننتهي إلى حيث انتهي بنا الكتاب والأخبار المأثورة. وقال سفيان بن عُيَيْنَة: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره: تلاوتُه والسكوت عليه.

.68

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (68)

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ}

أي في القَرْن، النفخة الأولى التي بها الموت.

{فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ}

خرَّ ميتا من كان حيًّا فيها.

{ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى}

نفخة البّعْث.

{يَنْظُرُونَ}

ينتظرون ماذا يُفعل بهم.

.69

وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (69)

{وَوُضِعَ الْكِتَابُ}

أي صحائف الأعمال في أيدي أصحابها؛ فآخذٌ بيمينه وآخذ بشماله.

.70

وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (70)

.71

وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (71)

{زُمَرًا}

جماعاتٍ متفرقةً بعضها في إثر بعض. جمع زُمْرة وهي الجماعة القليلة؛ ومنه شاةٌ زَمِرة: أي قليلة الشعر. ورجلٌ زَمِر: أي قليل المروءة.

{حَقَّتْ}

وجبت وثبتت.

.72

قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (72)

{مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ}

مأوى المستكبرين عن طاعة الله.

.73

وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (73)

{وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا}

أي وقد فتحت أبوابُها. والجمله حالية، وجواب (إذا) مقدَّر بعد (خالدين)، أي سَعِدوا أو فازوا.

{طِبْتُمْ}

طهرتم من دنس المعاصي.

.74

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74)

{صَدَقَنَا وَعْدَهُ}

أنجزنا ما وعدنا من النعيم.

{نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ}

أي ينزل كلُّ واحد منا من جنته الواسعةِ حيث يريد.

.75

وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (75)

{وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ}

محدقين محيطين بالعرش، مصطفّين بجافته وجوانبه. جمع حافٍّ وهو المحدق بالشيء. يقال: حففت بالشيء، إذا أحطت به، مأخوذ من الحِفاف وهو الجانب.

والله أعلم.

سُورَةُ غافِر

.1

حم (1)

{حم~}

من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه. وقيل: اسم من أسمائه تعالى، أو من أسماء القرآن. والسور المبتدأة بها سبع متواليات، كلها مكية إلا آيات. وتسمى آلَ حم، أو ذوات حم؛ أي السُّور المصحوبة بهذا اللفظ، كما تسمى الحواميم.

.2

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2)

.3

غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3)

{غَافِرِ الذَّنْبِ .. }

هو وما بعده صفاتٌ للاسم الجليل. وكلها للترغيب إلا الثالثة فإنها للتَّرهيب. ومجموعها للحث على ما هو المقصود من انزال الكتاب، وهو المذكور بعدُ: من التوحيد والإيمان بالبعث المستلزم للإيمان بما سواهما، والإقبال على الله تعالى. وه (غافر) أي ساتر؛ من الغَفْر وهو السَّتر

والتغطية. يقال: غفر الله ذنبه يغفرُه غَفْرا ومغفرة وغُفرانا وغفيرا، غطى عليه وعفا عنه. والذَنْب: كل فعلٌ تُستوخَم عقباه؛ أخذاً من ذَنَب الشيء، وجمعه ذنوب. والله تعالى غافر وغفار وغفور وذو مغفرةٍ للذنوب.

{وَقَابِلِ التَّوْبِ}

أي الرجوع عن الذنب والتوبة منه. مصدرٌ كالأوْب بمعنى الرجوع، أو اسم جمع لتَوْبة.

{ذِي الطَّوْلِ}

ذي الفضل بالثواب والإنعام، أو بهما وبترك العقاب. والطول: السَّعة والغنى، أو القدرة أو الإنعام.

.4

مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (4)

{فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ}

أي تصرُّفهم فيها بالتجارات الرابحة، وسلامتُهم فيها مع كفرهم؛ فإنه استدراج، وعما قريب يؤخذون بكفرهم أخذ من سبقهم من الأمم المكذبة. وهو تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم، ووعيد لهم بسوء العاقبة. والتَّقلبُ: الخروج من أرض إلى أخرى.

.5

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (5)

{لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ}

ليزيلوا ويبطلوا به الحق الذي جاءهم به الرسل [الكهف:56].

.6

وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (6)

{وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ .. }

أي كما وجب حُكمُه تعالى بالإهلاك على الأمم الماضية المكذبة، وجب على الذين كفروا من قومك فلا تحزن، وهو وعيد لهم.

.7

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (7)

{الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ .. }

أي الملائكة الحاملون للعرش والحافُّون به

{يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ}

أي ينزِّهونه تعالى عن كل ما لا يليق بجلاله، متلبسين بالثناء عليه.

{وَيُؤْمِنُونَ بِهِ}

إيمانا كاملا

{وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا}

مثلَهم، فهم مثابرون على ولاية المؤمنين ونُصرتهم. وفي هذا تسلية للرسول صلي الله عليه وسلم وتعزيزٌ للمؤمنين.

ويقال لهؤلاء الملائكة: الكَرُوبيُّون – أي الأقربون – جمع كرُوبيّ؛ من كَرَب بمعني قرب.

{رَبَّنَا وَسِعْتَ .. }

أي يقولون في استغفارهم ذلك،

{فَاغْفِرْ}

بمقتضى سَعةِ رحمتك وعلمك

{لِلَّذِينَ تَابُوا .. }

أي علمت منهم التوبة من الذنوب، واتباع سبيل الهدى الذي دعوت إليه

{وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ}

احفظهم منه.

.8

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (8)

{جَنَّاتِ عَدْنٍ}

أي إقامة، من عدَن بالمكان يَعدِن ويعدُن عَدْنا، إذا لزمه فلم يَبْرح منه.

ومنه المَعْدِن المعروف لاستقراره في الأرض.

{وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ .. }

أي وأدخل معهم في جنات عدن هؤلاء؛ ليكمل سرورهم، ويتضاعف ابتهاجهم.

.9

وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (9)

{وَقِهِمُ}

أي هؤلاء الأتباع

{السَّيِّئَاتِ}

أي جزاءها وهو عذاب النار.

{وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ}

أي في يوم القيامة

{فَقَدْ رَحِمْتَهُ}

برحمتك الواسعة

{وَذَلِكَ}

أي وقايتهم من جزائها

{هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}

الذي لا مطمع وراءه لطامع.

.10

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (10)

{لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ .. }

أي يقال للكفار وهم في النار، وقد مقتُوا أنفسهم الأمارة بالسوء التي أوقعتهم في هذا العذاب الأليم: – لمقت الله إياكم أعظم وأشد من مقتكم أنفسكم اليوم؛ لأنكم قد دعيتم إلى الإيمان به مرارا فأبيتم وكفرتم. والمَقْت: أشدُّ البغض. يقال: مقَتَه مقتًا ومقَّته، فهو مقيت وممقوت.

.11

قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (11)

{أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ}

أرادوا بالأولى: خلقهم مادة لا رُوح فيها وهم في الأرحام، وبالثانية: قبض أرواحهم عند انقضاء آجالهم. والإماتةُ: جعل الشيء عادم الحياة، سُبق بحياة أم لا.

{وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ}

أرادوا بالأولى: نفخ أرواحهم في أبدانهم وهي في الأرحام، وبالثانية: نفخ الأرواح فيها يوم البعث والنشور. وهو نظير قوله تعالى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28)} [البقرة].

.12

ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (12)

{تُؤْمِنُوا}

تذعنوا وتقروا بالشرك.

.13

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ (13)

{يُنِيبُ}

يرجع إلى التفكر في الآيات.

.14

فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (14)

{فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}

خطاب للمُنيبين. أي إذا كان الأمر كما ذكر من اختصاص التذكير بمن ينيب؛ فاعبدوه أيها المؤمنون مخلصين له دينكم.

{وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}

وإن

غاظهم ذلك منكم.

.15

رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (15)

{رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ}

أي هو تعالى المرتفع بعظمته في صفات جلاله وكماله ووحدانيته عن كل ما سواه.

{ذُو الْعَرْشِ}

أي خالقه ومالكه.

{يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ}

أي هو يُنزل الوَحْيَ أو الكتب المنزلة بقضائه. أو ينزل جبريل عليه السلام من أجل تبليغ أمره تعالى.

{يَوْمَ التَّلَاقِ}

يوم القيامة الذي يلتقي فيه الأولون والآخرون.

.16

يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (16)

{هُمْ بَارِزُونَ}

خارجون من القبور ظاهرون لا يسترهم شيء.

{لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ .. }

السائل والمجيب هو الله تعالى. وقيل: المجيب أهل المحشر جميعا.

.17

الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (17)

.18

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (18)

{وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ}

يوم القيامة. وأصلُ معنى الآزفة: القريبةُ، من أزف الرَّحيل – كفرح – أزَفًا وأُزوفًا: دنا وقَرُب؛ ثم جعلت اسما للقيامة لقربها بالإضافة إلى ما مضى من عمر الدنيا أو لما بقي.

{إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ}

إذ قلوبهم مرتفعة عن مواضعها من صدورهم، متشبّثة بحلوقهم. والحناجرُ: جمع حُنجور أو حَنجرة، وهي الحُلقوم.

{كَاظِمِينَ}

ممسكين عليها لا تخرج مع أنفاسهم؛ كما يمسك صاحب القِربة فمَها لئلا يُهراق الماء [آل عمران:134]. وهو كناية عن شدة الفزع وفَرْطِ الغَم.

{مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ}

قريب مشفق. يقال: أحتمّ فلان لفلان. أي احتدّ: فكأنه الذي يحدّ حماية لذويه. ومنه قيل لخاصّة الرجل: حامَّتُه؛ ولذا فُسر الحميمُ بالصديق.

.19

يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (19)

{يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ}

أي هو تعالى يعلم النَّظرة الخائنة؛ كمُسارقة النَّظر إلى ما نهى الله عنه.

{وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ}

أي والذي تخفيه الصدور من المكنونات، فيجزي كل نفس بما كَسبت.

.20

وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (20)

.21

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (21)

{وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ}

أي من دافع يدفع عنهم عذاب الله ويحفظهم منه. يقال: وقاه وقاية. أي صانه وحفظه: ومنع عنه ما يضره. وهو وعيد شديدٌ للمكذبين.

.22

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (22)

.23

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (23)

.24

إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (24)

.25

فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (25)

{قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ}

أي قال فرعون ومن معه: أعيدوا على بني إسرائيل ما كنتم تفعلونه بهم أوّلا من قتل الذكور من أولادهم كي تصدوهم عن مظاهرة موسى فالقتل وقع مرتين.

{وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ}

أي استبقوا الإناث من أولادهم للخدمة كما فعلتم من قبل.

{ضَلَالٍ}

ضياع وخسران.

.26

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (26)

.27

وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (27)

{إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ .. }

لجأت إليه واستجرت به من شر كل مستكبرٍ عن الإذعان للحق، كافر بالبعث والجزاء؛ يقال: عاذ به وأستعاذ، لجأ إليه واستجار به.

.28

وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (28)

.29

يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (29)

{ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ}

غالبين عالين على بني إسرائيل في أرض مصر؛ لا يقاومكم أحد في هذا الوقت.

{فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ}

أي عذابه

{إِنْ جَاءَنَا}

فلا تتعرضوا بقتله لعذاب الله ونقمته.

{مَا أُرِيكُمْ}

ما أشير عليكم برأي إلا بما أرى من قتله.

.30

وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (30)

{يَوْمِ الْأَحْزَابِ}

الأمم الماضيه المتحزبة على الأنبياء.

.31

مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (31)

{دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ}

عادتهم في الإقامة على التكذيب.

.32

وَيَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (32)

{يَوْمَ التَّنَادِ}

يوم القيامة الذي يكثر فيه نداء أهل الجنة أهل النار و بالعكس، والنداء بالسعادة لأهلها، وبالشقاوة لآخرين، ونداءُ الكفار بعضهم بعضا للاستغاثة وللتخاصم.

.33

يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (33)

{مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ}

مانع يمنعكم من عذابه. يقال: عَصَمه الطعام، منعه من الجوع، واعتصم بالله؛ امتنع بلطفه من المعصية.

.34

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (34)

{وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ .. }

هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام، وكان مجيئه إلى آبائهم؛ فنسب ما للآباء إلى الأبناء، لاشتراكهم جميعا في الضلال والتكذيب.

{مُرْتَابٌ}

في دين الله شاك في وحدانيته.

.35

الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (35)

{الَّذِينَ يُجَادِلُونَ .. }

مبتدأ خبره (كَبُرَ) والفاعل ضمير راجع إلى الجدال المفهوم من (يُجَادِلُونَ)، أي كَبُرَ جدالهم.

{بِغَيْرِ سُلْطَانٍ}

بغير برهان وحجة و (مَقْتًا) تمييز محوَّل عن الفاعل، أي عظم بُغضا جدالهم عند الله وعند المؤمنين.

.36

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَاب (36)

{يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا}

[القصص:38].

{صَرْحًا}

قصرا. أو بناء عاليا ظاهراً.

{أَبْلُغُ الْأَسْبَاب}

الابواب أو الطرق.

.37

أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (37)

{أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ}

أي طرقها وأبوابها، جمع سبب وهو كل ما يتوصل به إلى الشيء.

{فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى}

فأنظر إليه.

{وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا}

في إثبات إله غيري، والمرادُ بالظنّ: اليقين، لقوله في آية القصص: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} [القصص:38] مريداً به نفيَ وجود إله غيره. وقد أسلفنا في تفسيرها: أنَّ أمره ببناء الصرح ورجاءه الاطلاع على إله موسى من ضروب التهكُّم والسخرية بموسى عليه السلام.

{وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ}

وما مكْره واحتياله في إبطال آيات موسى إلا في خُسران وهلاك. يقالُ: تبَّ الله فلانا، أي أهلكه. وتَبَّت يداه: خَسِرتا. وتبَّ الشيء: قطعه.

.38

وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (38)

.39

يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (39)

.40

مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (40)

{بِغَيْرِ حِسَابٍ}

بلا نهايه من الرازق لما يعطى.

.41

وَيَاقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (41)

.42

تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (42)

.43

لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (43)

{لَا جَرَمَ .. }

حقَّ وثبت أن ليس لآلهتكم دعوةٌ أصلا، فليست آلهة حقة [هود:22].

{لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ}

مستجابة، أو استجابة دعوة.

{مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ}

رجوعنا بعد

الموت إليه تعالى للجزاء.

.44

فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (44)

.45

فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (45)

{وَحَاقَ}

أحاط أو نزل.

.46

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46)

{النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا}

أي تُعرض أرواحُهم عليها في الغُدْوة والعشي. والمراد: دوام عذابها في البَرْزخ إلى قيام الساعة. وفي الآية إثبات لعذاب القبر.

.47

وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (47)

{مُغْنُونَ عَنَّا}

دافعون، أو حاملون عنَّا.

.48

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (48)

.49

وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (49)

.50

قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (50)

.51

إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (51)

{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا .. }

أي شأننا دائما أن ننصر رسلنا وأتباعهم في الدنيا بالحجة والظفر، والانتقام لهم من المكذبين بالعقوبات القاسية، وفي الآخرة؛ كما قال تعالى:

{وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} الحفظةُ والأنبياءُ والمؤمنون، جمع شهيد أو شاهد؛ يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب.

.52

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (52)

{مَعْذِرَتُهُمْ}

عذرهم أو اعتذارهم حين يعتذرون.

.53

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (53)

.54

هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (54)

.55

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (55)

{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ}

أي دم على التسبيح والتحميد لربك، أوصَلِّ لربك.

{بِالْعَشِيِّ}

، وهو من بعد الزوال إلى الليل

{وَالْإِبْكَارِ}

وهو من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس. والمرادُ الدوام عليه. وقيل: هو أمرٌ بالصلوات الخمس.

.56

إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (56)

{سُلْطَانٍ}

حجة و برهان.

{إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ}

أي ما في قلوبهم إلا تَكبُّرٌ عن

الحق، وتعاظمٌ عن التعلم وأنفة عن الطاعة، وهو الذي حملهم على التكذيب.

{مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ}

و أي ببالغي مقتضى ذلك الكبر وموجبه، وهو الرياسة أو النبوة.

.57

لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (57)

{لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .. }

أي لخلقُها أعظم من خلقه تعالى الإنسان، فمن قدر على الأعظم فهو على خلق مالا يُعَدُّ شيئا بالنسبة إليه بدءا وإعادة أقدر وأقدر!

.58

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ (58)

{وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى .. }

فلابُدَّ أن يكون لهم حال أخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت، وهي فيما بعد البعث.

.59

إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (59)

.60

وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (60)

{سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}

صاغرين أذِلّاء [النحل: النحل].

.61

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (61)

{اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ .. }

ذكر في هذه الآية وما بعدها ستّة أدلةٍ على قدرته تعالى على البعث، توجب الإقرار به وتوحيده في العبادة.

.62

ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (62)

{فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ}

فكيف تصرفون عن عبادته عز وجل إلى عبادة غيره.

.63

كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (63)

{يُؤْفَكُ}

يصرف عن التوحيد الحق.

.64

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (64)

{الْأَرْضَ قَرَارًا}

مستقرا تعيشون فيها.

{وَالسَّمَاءَ بِنَاءً}

كالقُبة المضروبة على الأرض من غير عمد ولا حامل. ويُطلق البناء

على ما يقيمه العرب من القباب للسكنى؛ و إطلاقه على السماء على سبيل التشبيه البليغ.

{فَتَبَارَكَ اللَّهُ}

تعالى بذاته وتعظم، أو كَثُر خيره وإحسانه.

.65

هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (65)

{مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}

أي الطاعة.

.66

قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (66)

{وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ .. }

أي أسَلِّم أمري لهُ تعالى وأنقاد لحُكمه، أو أُخلص توحيدي له.

.67

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (67)

{نُطْفَةٍ}

منيّ.

{عَلَقَةٍ}

قطعة دَمٍ جامد.

{ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ}

أي ثم يبقيكم لتتكامل قواكم ويتناهي شبابكم.

{وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}

عن ربّكم أنه يحييكم كما أماتكم، ويعيدكم كما بدأكم.

.68

هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (68)

{فَإِذَا قَضَى أَمْرًا}

[البقرة:117].

.69

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (69)

{أَنَّى يُصْرَفُونَ}

كيف يُصرفون عن آيات الله الواضحة، الموجبة للإيمان بها، إلى الجحود والتكذيب، والجدال الباطل فيها.

.70

الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (70)

.71

إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (71)

{إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ}

أي فسوف يعلمون عقوبة تكذيبهم؛ إذ الأغلال والسلاسل في أعناقهم يجرون بها في الحميم، ثم في النار يحرقون فيكونون وَقودها. و (الأغلال): جمع غُلٍّ، وهو القيد يوضع في اليد والعنق فيجمعها؛ ولذا يسمَّى الجامع.

{وَالسَّلَاسِلُ}

: جمع سلسلة؛ من تَسَلْسل الشيء: إضطرب؛ كأنه تُصُوِّر منه تسلسل متردد فرُدِّد لفظه تنبيها على تردد معناه. ومنه ماء سَلسَلٌ: أي تردّد في مقرِّه حتى صفا.

.72

فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (72)

و {الْحَمِيمِ}

الماء البالغ غاية الحرارة.

{يُسْجَرُونَ}

توقد أو تملأ بهم. من سَجر التنُّور: إذا ملأه وَقودًا.

.73

ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (73)

.74

مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (74)

.75

ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (75)

{تفْرَحُونَ}

تبطرون وتأشرون.

{وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ}

تتوسعون في الفرح بما أوتيتم من النِّعم حتى نسيتم الآخرة.

.76

ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (76)

{فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ}

فبئس مقامُهم جهنم لتكبرهم عن الحق؛ من ثوَى بالمكان: إذا أقام به.

.77

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (77)

فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ .. }

أي فإن نُرك بعض الذي نعدهم به من القَتل والأَسر فذاك، أو نتوفينّك قبل ذلك

{فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ}

يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم.

.78

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (78)

{وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ}

فالمعجزاتُ على تشعُّب فنونها عطايا من الله، قَسَمها بين رُسُلِه؛ حسبما اقتضته مشيئته تعالى المبنيّة على الحِكَم البالغة، ليس لهم فيها اختيار. فليس لي أن آتي بأية مما اقترحتم إلا أن يأذن الله بها.

.79

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (79)

{اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ}

المراد بها الإبل خاصة.

.80

وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (80)

{وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ}

أي أمرا ذا بالٍ تهتمون به؛ كحمل الأثقال والأسفار.

.81

وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ (81)

{وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ}

الدالة على كمال قدرته؛ بحيث تشاهدونها في كل شيء إذا استعملتم عقولكم، وتجردتم من أهوائكم.

{فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ}

أي ليس شيءٌ من هذه الآيات يستطيع عاقل إنكاره لوضوحها!. والاستفهام للتوبيخ.

.82

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (82)

{أَفَلَمْ يَسِيرُوا .. }

أي أقعدوا فلم يسيروا في أقطار الأرض، فينظروا كيف كان عاقبة الأمم المكذبة، كعاد وثمود قوم لوط وأصحاب مدين وغيرهم.

{فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ}

فما دفع عنهم وما نفعهم.

.83

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (83)

{فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ}

أي فرح الكفار بما لديهم من العلوم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها. واستهزأوا بعلوم الدين لما فيها من قمع الأهواء والحد من الشهوات. واعتقدوا أنه لا علم أنفع من علومهم ففرحوا بها.

{وَحَاقَ بِهِمْ}

أحاط، أو نزل بهم جزاء {مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}

.84

فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (84)

{فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا}

عاينوا في الدنيا شدة عذابنا. وأصل البأس: الشدة والمكروه.

.85

فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (85)

{خَلَتْ}

مضت.

والله أعلم

سُورةُ فُصِّلَت

وتسمى حم السَّجْدة

.1

حم (1)

.2

تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2)

.3

كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3)

{كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ}

مُيِّزت آياته: لفظاً بفواصل ومقاطعَ، ومعنىً بكون بعضِها في بيان صفاته وأفعاله تعالى، وبعضها في عجائب خلقه في العوالِم كلها، وبعضها في الأحكام، وبعضها في المواعظ والأخبار، وبعضها في التبشير والإنذار، وبعضها في رياضة النفوس وتهذيبها، وغير ذلك من الفنون والعلوم التي لا تُحصى.

.4

بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (4)

.5

وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (5)

{قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ}

أغطية متكاثفةٍ فلا تفْقه ما تقول، جمعُ كِنان.

{وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ}

صمَمٌ يمنع من استماع قولك.

{وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ}

ساترٌ وحاجزٌ منيع يمنع التواصل بيننا. وهو تمثيل لنُبُوِّ قلوبهم عن إدراك الحق وقبوله، ومجِّ أسماعهم له، وامتناع موافقتهم للرسول صلى الله عليه وسلم؛ لتباعد ما بين المذهبين.

.6

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (6)

{فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ}

فالزمُوا الاستقامة في طريقكم إليه تعالى بالإيمان به، وطاعته والإخلاص في عبادته.

{وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ}

هلاك وخِزيٌ لهم لشركهم بربهم.

.7

الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (7)

.8

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (8)

{لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}

غيرُ مقطوع عنهم؛ من مَنَنت الحبل: إذا قطعته. أو غير منقوص عما وعدهم الله به.

.9

قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (9)

{قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ}

أي أوجدها في مقدار يومين من أيام الدنيا. وقيل: اليوم منها كألف سنة من أيامنا. والآية: تنديدٌ بالمشركين، لتماديهم في الشرك مع ظهور الدلائل الموجبة للإيمان

بوحدانيته تعالى وكمال قدرته.

{أَنْدَادًا}

أمثالا من مخلوقاته تعبدونها.

.10

وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (10)

{وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ}

جبالاً ثوابت

{مِنْ فَوْقِهَا}

لئلا تميد وتضطرب

{وَبَارَكَ فِيهَا}

جعلها مباركة قابلة للخير؛ كالإنبات و إخراج ما ينفع الناس.

{وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا}

جعل أقوات أهلها التي يحتاجون إليها في معايشهم على مقادير معينة؛ بحيث جعل في كل قُطر ما يناسب أهله، ليكون الناس محتاجا بعضهم إلى بعض فيما يرتفقون به. وهو سبب عمارة الأرض ونظام العالم.

{فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ}

أي خلق ما في الأرض في تمام أربعة أيام

{سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ}

مستوية كاملة. مصدرٌ مؤكِّدٌ لُمضْمر هو صفة (أيام)، أي استوت سواءً أي استواءً، وقُيّدت به لدفع توهم التجوُّز بإطلاقها على ما دونها بقليل.

{لِلسَّائِلِينَ}

أي قدر فيها أقواتها لأجل الطالبين لها المحتاجين إليها من المُقتاتين. فمدةُ خلق كلٍّ من الأرض وما فيها مقدار يومين. وتمام المُدَّتين أربعة أيام كاملة.

.11

ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11)

{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ}

أي قصد إلى خلْقها وإيجادها. وظاهرُ هذه الآية وآية {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (29)} [البقرة] يدلُّ على تقدم خلق الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها، وإليه ذهب جمهورُ المفسرين. وقيل: إن خلق السماء متقدمٌ على خلق الأرض: أخذاً بظاهر قوله تعالى في سورة النازعات: {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (30)} [النازعات] أي بسطها. ووفق بعضهم بين ظواهر الآيات؛ كما روي عن ابن عباس بأن الله خلق الأرض قبل خلق السماء. ثم خلق السماء ثم دحا الأرض بعد ذلك. واعترض عليه بأن آية البقرة صريحة في خلق ما في الأرض قبل خلق السماوات. ومعلومٌ أن خلق ما فيها إنما

هو بعد الدّحْو: فكيف يكون الدّحْو متأخرا عن خلق السموات!؟ ولذلك رجح الجمهور القول الأول، وأوّلُوا قوله تعالى: {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (30)} بما سيأتي بيانه في تفسيرها بمشيئته تعالى.

{وَهِيَ دُخَانٌ}

مكونة مما يشبه الدخان.

{فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا .. }

أخرجا ما خلقتُ فيكما من المنافع لمصالح العباد.

{قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ}

فعلنا ما أمرتنا به منقادين؛ وهو تصوير لانفعالها بالقدرة الإلهية.

.12

فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (12)

{فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ}

ففرغ من تسويتهن على أبدع صورة وأحكم وضع

{فِي يَوْمَيْنِ}

أي في مقدارهما؛ فمدّةُ الخلق كلها ستة أيام، كما قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} [هود:7].

{وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا}

أي خلق في كلٍّ منها ما اقتضت حكمتُه أن يكون فيها من الملائكة والنَيّرات وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى.

{وَحِفْظًا}

أي وحفظناها حفظا من الاختلال والاضطراب والسقوط.

.13

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (13)

{أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ}

عذابا مهلكاً مثل عذابهم. والصاعقةُ في الأصل: كلُّ ما أفسد الشيء وغيره عن هيئته، وتُطلق على الصّيحة التي يحصل بها الهلاك.

.14

إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (14)

15.

فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (15)

16.

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ (16)

{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا}

شديدةَ السَّموم، من الصَّر – بالفتح – وهو شدة الحر. أو شديدة البرودة مهلكة، من الصِر– بالكسر – وهو شدة البرد الذي يَصِر، أي يجمع ظاهر جلد الإنسان ويقبضه، أو شديدة الصوت من صَرّ يَصِرُّ صَرًّا وصريرا: إذا صوّت وصاح بشدة، والحقُّ أنها تجمع الشِدَّتين.

{فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ}

مشائِمَ عليهم. استمرت بهم حتى أُبيدوا. جمع نَحِسةٍ صفة مشبَّهة؛ من نَحُس – كفَرح وكرُم – ضدُّ سَعِد، وهي أيام الحُسوم، وتسمَّى أيام العجوز. وقرئ (نَحْسات) بسكون الحاء للتخفيف.

{أَخْزَى}

أشد إذلالاً وإهانة.

17.

وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (17)

{فَهَدَيْنَاهُمْ}

بينا لهم طريق الضلال والرشد.

{فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ}

أي الهوان والذُّل؛ وُصف به العذاب مبالغة، أو بمعنى المُهين.

18.

وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (18)

19.

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (19)

{فَهُمْ يُوزَعُونَ}

يُسْتوقف سوابقهم ليلحق بهم أواخرُهم حتى يجتمعوا؛ فإذا تكاملت العدة سيقوا إلى النار وبُدِئ بالأكابر فالأكابر جُرما. وهو كنايةٌ عن كثرتهم؛ من الوَزْع وهو المنع. أو يساقون ويدفعون إلى النار [النمل:17].

.20

حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (20)

.21

وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21)

.22

وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (22)

{وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ .. }

أي تقول لهم جوارحُهم يوم القيامة حين يلومونها على الشهادة عليهم: ما كنتم في الدنيا تُخفون شيئا عنا، مخافة أن نشهد عليكم بما ترتكبون من الكفر والمعاصي؛ لأنكم كنتم غير عالمين بشهادتنا عليكم، بل كنتم تستترون بالحيطان والحجب؛ لاعتقادكم أنه تعالى لا يعلم خفيات أعمالكم، وهذا هو الذي أهلككم فأصبحتم في الآخرة من الخاسرين.

.23

وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23)

{وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ}

وهو اعتقادكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون، وهو ما تخفُونه.

{أَرْدَاكُمْ}

أهلككم، وهو خبر (ذلكم). يقال: رَدِيَ – كصديَ –هلك، وأرْداه غيره: أهلكه.

.24

فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ (24)

{وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ}

وإن يطلبوا الرِّضا فما هم من المرضيّ عنهم، بل لابد لهم من الثَّواء في النار. أو إن يسألوا العُتبى وهي الرجوع إلى ما يُرضي الله تعالى جزَعاً مما هم فيه ...

{فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ}

أي المجابين إليها [النحل:84].

.25

وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (25)

{وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ}

هيأنا وسبَّبنا لهم من حيث لم يحتسبوا قرناء السُّوء من الجن والإنس؛ يضلونهم بالإغواء، ويستولون عليهم استيلاء القَيْض على البَيْض. والقيض: قشر البيض الأعلى. يقال: قيّض الله فلانا لفلان، جاءه به وأتاحه له. والقُرناء: جمع قرين وهو النظير.

{وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ}

وجب وتحقق مقتضاه، وهو قوله تعالى لإبليس: {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (85)} [ص].

.26

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (26)

{وَالْغَوْا فِيهِ .. }

ائتُوا في

القرآن أثناء تلاوة محمد [صلى الله عليه وسلم] له باللغو، وهو ما لا معنى له؛ من نحو الصياح والمُكاء والتصدية، لعلكم تغلبونه على القراءة. يقال: لَغِيَ يلغَى – كلقِيَ يلقى – إذا تكلم باللغْو.

.27

فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (27)

.28

ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (28)

.29

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (29)

{الْأَسْفَلِينَ}

في الدرك الاسفل من النار.

.30

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)

{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ}

شروعٌ في بيان حُسن أحوال المؤمنين في الدّارين، بعد بيان سوء أحوال الكافرين فيهما: أي قالوا ذلك اعترافا بربوبيّته، واقرارا بوحدانيته

{ثُمَّ اسْتَقَامُوا}

أي ثبتوا على الاستقامة في أمر الدين والتوحيد.

.31

نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (31)

{وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ}

تطلبون وتتمنوْن لأنفسكم [يس:57].

.32

نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (32)

{نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ}

أي رزقا وضيافة مهيّأةً لكم من الله تعالى. والنُّزل: هو القِرَى الذي هيأ للضيف النازل لإكرامه.

.33

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33)

.34

وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34)

{كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}

صديقٌ قريب مصاف لك.

.35

وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (35)

{وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا}

أي ما يؤتى هذه الخَصلة الشريفة إلا الذين فيهم خلق الصبر على المكاره، وكظم الغيظ وتركِ الانتقام.

.36

وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (36)

{وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ .. }

أي وإن تَعرِض لك من الشيطان وسوسة، تَصرفك عن تلك الخصلة الشريفة فاستعذ بالله [الأعراف 200].

.37

وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (37)

{وَمِنْ آيَاتِهِ}

رَدٌّ على عبدة الشمس والقمر، كالصابئة الذين يعبدون الكواكب.

.38

فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (38)

{فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ}

هم الملائكة. والعِندِيّة: عنديّة مكانةٍ وتشريف، لا عنديّةُ مكان فهي على حد: (أنا عند ظن عبدي بي).

{وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ}

لا يمَلون تسبيحه وعبادته؛ من السآمة وهي المَلالة والضّجَر مما

يكرَّر فعله [البقرة:282]. يقال: سئِم الشيء ومنه يَسْأم سَأْما وسامًا وسأمة وسامة، أي مَلّه.

.39

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39)

{وَمِنْ آيَاتِهِ}

أي ومن آياته الدالة على قدرته على البعث أنك ترى الأرض خاشعه يابسة جامدة، من خشعت الأرض: يبست ولم تُمطر. ويقال: أرض خاشعة، أي متغيّرة مُتهشمةُ النبات. وبلده خاشعة: أي مغبرة لا منزل بها.

{فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ}

تحركت بالنبات قبل بروزه على سطحها وبعده.

{وَرَبَتْ}

انتفخت وعلت: لأن النبات إذا دنا أن يظهر ارتفعت له الأرض وانتفخت، ثم تصدعت عنه. يقالُ: هزَّ الشيء فاهتز، حركه فتحرك؛ وبابه رد. وَرَبا الشيء: زاد؛ و بابُه عدا.

.40

إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40)

{يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا}

يميلون عما يليق في شأن آياتنا بالطعن والتحريف والتأويل الباطل، واللغو فيها؛ من الإلحاد وهو الميل عن الاستقامة [الأعراف:180].

.41

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41)

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ}

خبر (إنَّ) محذوف لدلالة السياق عليه. ويقدر بعد قوله: (حميد) [آية 42]، أي يخلَّدون في النار، أو يعذَّبون و نحوه.

.42

لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42)

.43

مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (43)

.44

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (44)

{وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا}

أي ولو أنزلناه بلغة العجم، كما قالوا: هلا أنزل القرآن بلغة العجم؟

{لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ .. }

هلا بُيِّنت بلسان عربيّ نفهمه! ولقالوا منكرين: | أقرآن أعجميٌّ ورسول عربي! قاصدين بذلك إنكار القرآن من أصله. فهم لا يؤمنون به لا عربيا ولا أعجميا لفرط تعنتهم!. والأعجميُّ: يطلق على الكلام الذي لا يفهمه العربيُّ، وعلى المُتَكلِم به، والياء للمبالغة في الوصف – كأحمري – وليست للنسب.

{فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ}

صَمَم مانع عن سماع القرآن.

{وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى}

ظلمة وشبهة مستولية عليهم.

.45

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (45)

{لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ}

مُوقِعٍ في الرِّيبة. أو موجبٍ للقلق والاضطراب.

.46

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (46)

{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}

أي بذي ظلم لهم. فظَلَّامٌ: صيغة نسب – كتمّار وخبّاز – لا صيغة مبالغة.

.47

إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ (47)

{إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ}

إرشاد للمؤمنين في التَّقصِّي عن هذا السؤال إذا وُجّه إليهم – بتفويض العلم فيه إلى الله وحده؛ وقد سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن وقت قيامها.

{مِنْ أَكْمَامِهَا}

من أوعيتها. جمع كِم – بالكسر – وهو وعاءُ الطلع، وغطاء النَّوْر، كالكمامة الكِمَّة بالكسر فيهما – ويُجمع أيضا على أكمَّة وكِمَام.

{قَالُوا آذَنَّاكَ}

أعلمناك بلسان الحال، وبما تعلم من قلوبنا أنه ليس منا أحد يشهد لهم بالشرِّكة. يُقال: آذنه الأمرَ وبه، أعلمه.

.48

وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (48)

{وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ}

أيقنوا ألا مهرب لهم من العذاب. يقال: حاص يحيص حيصا ومحيصا، إذا هرب.

.49

لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (49)

{لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ}

لا يملّ ولا يفْتر

{مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ}

أي من طلب السَّعة في النعمة وأسباب العيش.

{وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ}

الضيق والعسر.

{فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ}

فهو يئوس قنوط من فضل الله ورحمته. واليأس: أن يقطع رجاءه من الخير. وهو من عمل القلب. والقُنُوط: أن يَبْدو أثر ذلك عليه في الصورة، وهو التضاؤل والانكسار. وفعل اليأس من باب فَهِم. وفعل القنوط من باب جَلَس ودَخَل وطَرِب وسَلِم.

.50

وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (50)

{هَذَا لِي}

هذا حق أستحقه بعملي.

{عَذَابٍ غَلِيظٍ}

شديد لا يفتر عنهم.

.51

وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (51)

{وَنَأَى بِجَانِبِهِ}

أي ثنى عِطْفَه. وهو كناية عن الانحراف والتكبر والصلف، على أن الجانب هو العِطْف. أو ذهب بنفسه وتباعد عن شكر النعمة تكبُّراً واختيالاً؛ على أن الجانب في الأصل الناحية والمكان. ثم كُنِّيَ به عن الشيء نفسِه. والنَّأْي: البُعد. يقال: نأيته ونأيت عنه نأيا، أي تباعدت عنه.

{فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ}

كثير مستمر. مستعارٌ مما له عرْضٌ متسع للإشعار بكثرته؛ والعرب تستعمل الطول والعَرْض في الكثرة. يقال: أطال فلان في الكلام، وأعرض في الدعاء، إذا أكثر.

.52

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (52)

{أَرَأَيْتُمْ}

أخبروني عن حالتكم العجيبة [الأنعام:40].

.53

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53)

{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ}

سنريهم آياتِ وحدانيتنا وقدرتنا في أقطار السموات والأرض؛ من الشمس والقمر والنجوم، والليل والنهار، والرياح والأمطار، والرعد و البرق والصواعق، والنبات والأشجار، والجبال والبحار وغيرها. جمع أُفْق: كأعناق وعنق. أو جمع أفَق؛ كأجبال وجبل، وهو الناحية. يقال: أفَق فلان يأفِقُ، ركب رأسه وذهب في الآفاق. والنِّسبة إليه أفَقِي بفتحتين، وأفُقِيّ بضمتين , وهو القياس.

{وَفِي أَنْفُسِهِمْ}

بما أودعنا فيهم من الحواس والقُوى، والعقل والروح، وما نصيبُهم به من البلايا والمِحن، وما نجريه عليهم من النِّعم.

.54

أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (54)

{مِرْيَةٍ}

شكٍ عظيم.

والله أعلم.

سُورة الشُّورَى

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

حم (1)

.2

عسق (2)

.3

كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (3)

{كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ .. }

أي مثلَ ما في هذه السورة من الدعوة إلى التوحيد والتصديق بالبعث والنُّبوة – أوحى الله به إليك وإلى الرُّسل من قبلك، لتبلِّغوه للناس هداية وتبصيرا، و إنذارا وتبشيرا. فالكافُ مفعولُ (يوحي) وفاعله لفظ الجلالة، والمشار إليه ما في هذه السورة. وجيء بـ (وحي) بدلَ أوْحى للدلالة على استمراره في الماضي، وأن إيحاء مثله عادته تعالى.

.4

لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (4)

.5

تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (5)

{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ}

أي يتشقَقْن فيسقطن مع عظمهن

{فَوْقِهِنَّ}

من أعلاهن، من علوِّ شأنه تعالى وعظمته، وهيْبَته وجلاله.

{وَالْمَلَائِكَةُ}

في السموات العُلا

{يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ}

ينزّهونه

عما لا ينبغي له من الشريك والولد وسائر النقائص – مُتَلبسين بحمده تعالى والثناء عليه؛ إيمانا به وإذعانا لعظمته.

{وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ}

يطلبون للمؤمنين من أهل الأرض عفو الله وغفرانه؛ خوفا عليهم من سطوة جبروته.

.6

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (6)

{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ}

شركاء وأندادا: وهم الذين جهلوا عظمته تعالى فنسبوا إليه ما لا يليق به، والله حفيظ عليهم رقيب عليهم، يحصي أعمالهم فيجازيهم بها.

{وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ}

بموكَّل عليهم، ولا مفوَّض إليك أمرُهم: بل ما عليك إلا البلاغ، وعلينا الحساب.

.7

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (7)

{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ .. }

أي ومثل ذلك الإيحاء البديع البيّن أوحينا إليك قرآنا عربيًّا، لا لبس فيه عليك ولا على قومك.

{لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى}

أي أهل أم القرى وهي مكة: وسُميَّت بذلك لأنها بالنسبة لما حولها كالأصل.

{وَمَنْ حَوْلَهَا}

أي وتنذر من حولها من العرب العذاب على الشرك بالله. وخُصُّوا بالذكر مع عموم الرسالة لأنهم أول المنذرين، وأقرب من سواهم إليه صلى الله عليه وسلم.

{وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ}

أي وتنذر الناس هولَ يومِ القيامة الذي يجتمع فيه الخلائق للحساب، ويُقضى فيه على فريق بالعذاب ولفريق بالثواب.

.8

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (8)

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً}

أي على الدين الحق، فلم تختلف آخرتهم. ولكنه لم يشأ ذلك لحكمته البالغة، فافترق الناس على أديان شتى، والحقُّ واحد؛ ليقضي الله أمراً كان مفعولا. وهو كقوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى} [الانعام:35]، وقوله تعالى: {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} [السجدة:13].

{وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ}

وهم الذين عرفوا الدين الحق واتبعوه.

{وَالظَّالِمُونَ}

لأنفسهم بجهلهم به ومعاندتهم له

{مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ}

يوم الجزاء.

.9

أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (9)

{أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ}

أي بل اتَّخذوا –متجاوزين الله – أولياء من الأصنام وغيرها. ف (أم) بمعنى بل وهمزة الاستفهام الإنكاري؛ وهي لانكار وقوع ذلك ونفيْهِ على أبلغ وجه. أي أنّ ما فعلوا ليس من اتخاذ الأولياء في شيء؛ لأن ذلك فرعُ كونِ الأصنام أولياء،

وهو أظهر المحالات.

.10

وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (10)

{وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}

إليه أرجع في كل الأمور.

.11

فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11)

{فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}

خالقُها ومبدعها على غير مثال سابق؛ من فطره – من باب نصر – ابتدأه واخترعه.

{يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ}

يكثركم بسبب هذا التَّزاوج بين الذكور والإناث. يقال: ذرأ الشيء كثَّره. والذَّرءُ والذَّرُ أخوان، والضمير المنصوب عائد إلى المخاطبين وإلى الأنعام على سبيل التَّغليب، و (في) بمعنى باء السببية، والضمير المجرور عائد إلى التزاوج المفهوم من قوله: {جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا}.

{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}

ليس شيء مثله تعالى في شئونه؛ والكاف زائدة، أو ليس مثل صفته شيء من الصفات التي لغيره، أو ليس كذاته شيءٌ؛ والكافُ أصلية، والمِثلُ بمعنى الذات. تقول العرب: مثلُك لا يبخل، يعنُون: أنت لا تبخل؛ على سبيل الكناية، قصداً إلى المبالغة في نفي البُخل عن المخاطب بنفيه عن مثله، فيثبت انتفاؤه عنه بدليله. والمراد: تنزيهه تعالى عن مشابهة شيء من الخلق في شيء؛ ذاتاً وصفات وأفعالا.

.12

لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (12)

{لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}

له مفاتيح خزائنهما؛ ومن يملك المفاتيحَ يملك الخزائن [الزُّمر:63].

{وَيَقْدِرُ}

يُضيّق ويقْتُرُ على من يشاء.

.13

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (13)

{شَرَعَ لَكُمْ}

الخطاب لأمته صلى الله عليه وسلم. أيْ سنَّ لكم من الشريعة.

{وَصَّى بِهِ}

ما أمر به وألزم أرباب الشرائع من مشاهير الأنبياء، وأمرهم به أمراً مؤكدا، وهو:

{أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ}

أي توحيد الله والإيمان به، وطاعة رسله فيما جاءوا به من الشرائع. والمرادُ باقامته: قَبولُه والعملُ به.

{وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}

أي لا تختلفوا في الدين، أي في هذه الأصول التي أجمعت عليها الشرائع الإلهية.

{كَبُرَ}

عظم وشق.

{اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ}

يصطفي ويختار لرسالته من يشاء من عباده [آل عمران:179].

{يُنِيبُ}

يرجع إليه ويُقبلُ على طاعته.

.14

وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (14)

{وَمَا تَفَرَّقُوا .. }

أي الأمم السابقة بعد موت أنبيائهم.

{بَغْيًا بَيْنَهُمْ}

ظلما وتجاوزاً للحد بسبب الحِرْص على الدنيا

وزينتها.

{وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ}

هي العِدَة بتأخير العذاب عنهم

{إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى}

وهو يوم القيامة،

{لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ}

باستئصال المبطلين حين افترقوا.

{وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ}

هم أهل الكتاب الذين كانوا في عهده صلى الله عليه وسلم.

{لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ}

موقع في الريبة وقلق النفس واضطرابها.

.15

فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (15)

{فَلِذَلِكَ فَادْعُ}

أي فلأجلِ هذا التفرُّق والتَّشعب فادع إلى التوحيد، وإلى الاتفاق على المِلّة الحنيفية.

{وَاسْتَقِمْ}

الزم المنهج المستقيم، الذي لا عِوج فيه ولا انحراف.

{لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ}

لا احتجاج ولا خصومة بيننا وبينكم؛ لأن الحق قد ظهر، فلم يبق للإحتجاج حاجة ولا للمخالفة محملٌ سوى المكابرة والعناد.

.16

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (16)

{اسْتُجِيبَ لَهُ}

استجاب الناس وأذعنوا لدين الله،

{حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ}

باطلة زائلة، كالشيء الذي يزل عن موضعه [الكهف:56].

.17

اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (17)

{وَالْمِيزَانَ}

أي وأنزل الميزان، أي العدل الذي يحكم به بين الناس، و إنزالُه: أمرهم به وتكليفهم إقامته، وتسميته ميزانا من تسمية الشيء باسم آلته؛ لأن الميزان آله الإنصاف بين الناس في المعاملات.

{لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ}

لعل مجيئها قريب، أو لعل البعث قريب.

.18

يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (18)

{يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا}

استعجال استهزاء و انكار.

{وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا}

خائفون من قيامها مع اعتناء بها؛ لأنهم لا يدرون ما الله فاعل بهم؛ من الإشفاق وهو عناية مشوبة بخوف، لأن المشفِق يحب المشفق عليه ويخاف ما يلحقه. فإذا عُدِّي بمن فمعنى الخوف فيه أظهر. وإذا عُدِّي بفي فمعنى العناية فيه أظهر؛ كما في قوله تعالى: {قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (26)} [الطور].

{يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ}

يجادلون، أوْ يِشُكُّون فيها.

.19

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (19)

{اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ}

بارٌّ

بهم ورفيق، يَفيض عليهم أجمعين من صنوف البرّ ما لا تبلغه العقول. وقيل: اللُّطف منحُ الهداية، والتوفيق للطاعة، وهو خاصٌّ بالمؤمنين. وما يُرى من النِّعِمِ على الكفار ليس بلطف، وإنما هو إملاء واستدراج؛ إلا ما آلَ إلى وفاة على الإسلام.

.20

مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (20)

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ .. }

أي من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة – وهو شأن المؤمن – نضاعفه له. والحرث في الأصل: مصدر بمعنى إلقاء البذر في الأرض، ويطلق على الحاصل به وهو الزرع. ويستعمل مجازا في ثمرات الأعمال ونتائجها؛ تشبيها لها بثمرات البذور.

.21

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (21)

{كَلِمَةُ الْفَصْلِ}

الحكم بتأخير العذاب للآخرة.

.22

تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (22)

{تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ .. }

أي تراهم يوم القيامة خائفين خوفا شديداً مما كسبوه في الدنيا من السيئات؛ والعذاب عليه واقع بهم لا محالة.

{فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ}

في أشرف بقاعها وأطيبها وأنزهها. جمع روضة، وهي الموضع النّزه الكثير الماء والخضرة، ولا تقول العرب لمواضع الأشجار؛ رياض.

.23

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (23)

{الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}

أي لكن أسألكم أن تُوادُّوني لقرابتي منكم، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم فتحفظوني؛ فالقرابة هنا: قرابة الرَّحم، و (في) للسببية بمعنى لام التعليل. أو لكن أسألكم أن تودُّوا قرابتي وأهل بيتي، و (في) للظرفية المجازيّة، أي إلا مودة واقعة في قرابتي.

{وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً}

يكتسب أيَّ حسنة؛ من القَرْف وهو الكسب [الأنعام:113].

.24

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (24)

{وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ}

كلام مستأنفٌ غير داخلٍ في جزاء الشَّرط، لأنه تعالى يمحو الباطل مطلقا. وسقطت منه الواو لفظا لالتقاء الساكنين، وخطاً حمْلاً له على اللفظ؛ كما كتبوا {سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (18)} [العلق] فهو مرفوع لا مجزوم، ويؤيده عطف (يُحق) المرفوع عليه.

.25

وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (25)

{يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ}

أي من أهل طاعته بالتّجاوز عما تابوا منه. و (عن) بمعنى من.

.26

وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (26)

.27

وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (27)

{لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ}

أي لَطَغوْا وعتوا جميعاً فيها لغِناهم؛ من البغي وهو الظلم وتجاوز الحد. والغنى: مبطرةٌ مأشرة أو لتَّكبّروا في الأرض، وفعلوا ما يستتبعه الكبْر من العلُوّ فيها والفساد؛ من البَغْي بمعنى الكبر.

{وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ}

بتقدير

{مَا يَشَاءُ}

وهو ما تقتضيه حكمته جل شأنه!.

.28

وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (28)

{مَا قَنَطُوا}

يئسوا من نزوله.

.29

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (29)

{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ .. }

أي ومن الآيات الدالة على كمال قدرته الموجبة لتوحيده، وتصديق ما وعد به من البعث: خلق السموات والأرض على هذه الصورة العجيبة والنظام المحكم.

{وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ}

أي وخلقُ ما فرق ونشر فيهما من دواب. والدّابة اسم لكل ما دبَّ على وجه الأرض أو غيرها. وظاهرهُ وجود دوابَّ في السموات. وجوّزه الزَّمخشريّ فقال: يجوز أن يكون للملائكة مشيٌ مع الطيران؛ فيوصفون بالدبيب كما يوصف الحيوان، وأن يخلق الله في السموات حيوانات يمشون فيها مشي الحيوانات في الأرض. وقال الفرّاء: أراد ما بث في الأرض دون السماء، وهو من نسبة ما في أحد الشيئين إليهما جميعا؛ اذ يصدُق أنه فيهما وإن كان في أحدهما، على نمط قوله تعالى: {يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (22)} [الرحمن] وهما إنما يخرجان من الملح، ومن قبيل: بنو تميم فيهم شاعر مجيد؛ وإنما هو في فخذ من أفخاذهم.

.30

وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (30)

{وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ}

في مسند الإمام أحمد عن علي كرم الله وجهه قال: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر الآية ثم قال: (وسأفسرها لك يا علي ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله تعالى أكرم من أن يثنّي عليكم العقوبة في الآخرة، وما عفا الله تعالى عنه في الدنيا فإنه سبحانه أحلم من أن يعاقب به بعد عفوه). وقال عليٌّ: هذه الآية أرجى آية في كتاب الله، وإذا كان يكفّر عنا بالمصائب و يعفو عن كثير، فأيُّ شيء يبقى بعد كفارته وعفوه.

.31

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (31)

{بِمُعْجِزِينَ}

بفائتين من العذاب بالهرب.

.32

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (32)

{وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ}

ه أي السفن الجارية في البحر كأنها من عظمها أعلامٌ أي جبال شاهقة، جمع جارية وهي السفينة، وسُمّيت جارية لجريانها في الماء.

{كَالْأَعْلَامِ}

جمعُ عَلَم وهو الجبل الطويل، وأصله الأثر الذي يعلم به الشيء، كعلم الطريق وعلم الجيش؛ وسُمّي الجبل علما لذلك.

.33

إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (33)

{فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ}

فيصِرن

{رَوَاكِدَ}

ثوابت على ظهر البحر لا يجرين. يقال: رَكد الماء ركودا – من باب قعد – سكن؛ فهو راكد. وكلُّ ثابت في مكان فهو راكد.

.34

أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ (34)

{أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا}

يُهلكهن بارسال الرياح العاصفة المغرقة؛ بسبب ما كسبه رُكبانها من الذنوب. يقال: أوْبقه، حبسه أو أهلكه. ووبق – كوعَد ووجِل وورِث – وبُوقا ومَوْبقا: هلك. وهو عطف على {يُسْكِنِ}. والأصلُ: أو يرسلها – أي الريح – عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم، وينج ناسا بالعفو عنهم، وبهذا ظهر وجه جزم {يَعْفُ}.

.35

وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (35)

{وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ .. }

بالنصب عطف على مقدَّر؛ أي لينتقم منهم ويَعلم. أو لِيظهر عظيم قدرته ويعلم.

{مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ}

ما لَهم مهرب من العذاب على مجادلتهم في آيات الله. يقال: حاصَ عنه حَيْصا وحُيوصا ومحيصا ومحاصاً، عدل وحاد.

.36

فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (36)

.37

وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (37)

{وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ}

عطف على (الذين آمنوا).

{كَبَائِرَ الْإِثْمِ}

: ما ترتب عليها الوعيد، أو ما وجب فيها الحدُّ. أو كل ما نهي الله عنه. والفواحشُ من الذنوب: ما فحُش وعظُم قُبحه، وعطفُها من عطف الخاص على العام.

.38

وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (38)

{وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}

أي شأنهم إذا حَزَبهم أمر يحتاج إلى مراجعة الرأي: التَّشاور فيه بينهم. والشورى: مصدر شاورته، مثل البُشرى والذِّكرى. والتَّشاور والمشاورة والمشورة: استخراج الرأي بمراجعة البعض البعض؛ من قولهم: شِرت العسل – بكسر الشين – إذا أخذته من موضعه واستخرجته منه.

.39

وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (39)

{وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ}

قال القاضي أبو بكر بن العربي: "ذكر الله الانتصار في

البغي في معرض المدح [أي مدح الانتقام]، وذكر العفو عن الجرم في موضع آخر في معرض المدح [أي مدح العفو]، فاحتمل أن يكون أحدهما رافعاً للآخر. واحتمل أن يكون ذلك راجعاً إلى حالتين: إحداهما – أن يكون الباغي معلناً بالفجور، مؤذيا للصغير والكبير؛ فيكون الانتقام منه أفضل. وفي مثله قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون للمؤمنين – أن يُذِّلوا أنفسهم فتجترئ عليهم الفُساق. الثانية أن يقع ذلك ممن لم يعرف بالزَّلة ويسأل المغفرة، فالعفو ههنا أفضل. وفي مثله نزل: {وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} [البقرة:237]،وقوله: {فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ

فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ} [المائدة:45]،وقوله: { ... وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (22)} [النور]،ومثله ما ذكره الكيا الطَّبري في أحكامه، الا أنه عند الانتصار تُراعى المماثلة لقوله تعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} [الشورى:40]، وقوله: {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} [البقرة:194].

{يَنْتَصِرُونَ}

ينتقمون ممن ظلمهم ولا يعتدون.

.40

وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40)

{فَمَنْ عَفَا}

عمن أساء إليه.

{وَأَصْلَحَ}

ما بينه وبين المسيئ إليه بالإغضاء عما صدر منه

{فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ}

أي فيجزيه الله أعظم الجزاء. والمرادُ التحريض على العفو.

.41

وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (41)

{وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ}

أي بعد ما ظُلم

{فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ}

أي مؤاخذةٍ وملامةٍ، لأنهم أتوا بما هو مباح لهم.

.42

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (42)

{وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ}

يفسدون، أو يتجبرون فيها.

.43

وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43)

{وَلَمَنْ صَبَرَ}

على الظلم

{وَغَفَرَ}

أي تجاوز عن ظالمه ولم ينتصر

{إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}

منه؛ أي من الأمور التى نُدب إليها.

.44

وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (44)

.45

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ (45)

{خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ}

خاضعين متضائلين بسبب الذُّل؛

من الخشوع وهو الانكسار والتواضع.

{يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ}

أي يبتدئ نظرهم من تحريك ضعيف لأجفانهم بمسارقة النظر، كما يُرى المصبور ينظر إلى السيف. وهكذا الناظر إلى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها و يملأ عينيه منها؛ كما يفعل في نظره إلى ما يحب.

.46

وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ (46)

.47

اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (47)

{وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ}

أي لا تجدون يومئذ مُنكِرا لما ينزل بكم من العذاب لاستحقاقكم له عدلاً.

.48

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ (48)

{فَرِحَ بِهَا}

بطر لأجلها.

.49

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (49)

.50

أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (50)

{وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا}

لا وَلد له؛ ذكرا كان أو أنثى. يقال: رجل عقيم، وجمعه عُقماء وعِقام، وامرأة عقيم، وجمعها عقائم وعُقم. وفعله كفرح ونصر وكرُم وغنيَ.

.51

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (51)

{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا}

دلت الآية على أن تكليم الله تعالى للبشر وقع على ثلاثة أنحاء: الأول – بالإلقاء في القلب يقظة أو مناما، ويسمَّى وحيا؛ وهو يشمل الإلهام والرؤيا المناميَّة. مصدر وحَى إليه – كوعى – وأوْحى إليه مثلُه. تقول العرب: وحيتُ إليه وله، وأوحيت إليه وله؛ ولغة القرآن الفاشيةُ (أوحى) بالألف. وأصل الوَحي: الإشارة السريعة. يقال: أمْرٌ وَحي أي سريع؛ ثم غلب استعاله فيما يُلقى للمصطفين الأخيار من الكلمات الإلهيَّة. الثاني – باسماع الكلام الإلهي من غير أن يرى السامع من يكلّمه؛ كما كان لموسى عليه السلام، وكما كان للملائكة الذين كلمهم الله في قصة خلق آدم؛ وهو المراد بقوله تعالى: {أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ}. الثالث – بإرسال مَلَك تُرى صورته المُعيَّنة. ويُسمع كلامه؛ كجبريل عليه السلام فيوحي للنبي ما أمر الله أن يوحى به إليه، وهو المعنى بقوله تعالى: {أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ}. ومعنى الآية على ما اختاره الزَّمخشريُّ: وما صحَّ أن يكلم الله أحدا في حالٍ إلا موحِيا أو مُسمعا من وراء حجاب، أو

مرسلاً رسولاً.

.52

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (52)

{وَكَذَلِكَ}

أي ومثل إيحائنا إلى غيرك من الرسل

{أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا}

أي القرآن.

{مِنْ أَمْرِنَا}

أي بأمرنا.

{مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ}

أي شرائعه ومعالمُه وتفاصيله، مما لا طريق إلى العلم به إلا السمع؛ لا أصل الإيمان.

{صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}

دين قويم (دين الإسلام).

.53

صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (53)

والله أعلم.

سُورة الزُّخرُف

.1

حم (1)

.2

وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2)

{وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ}

أقسم الله تعالى بالقرآن الذي أبان طريق الهدى من طريق الضلال، وأبان ما يحتاج إليه الناس من الدين.

.3

إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (3)

وجواب القسم: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا}

أي أنزلناه بلسان العرب؛ لأن كل نبيّ أُنزل كتابه بلسان قومه؛ ليفهموه ويحيطوا بما فيه.

.4

وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (4)

{وَإِنَّهُ}

أي القرآن

{فِي أُمِّ الْكِتَابِ}

وهو اللوح المحفوظ؛ إذ هو أصل الكتب السماوية، وكلها منقولة منه، قال تعالى: { .. وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (39)} [الرعد]، {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (78)} [الواقعة]، {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (22)} [البروج]، أو هو العلم الأزليُّ.

{لَدَيْنَا}

أي عندنا

{لَعَلِيٌّ}

رفيع القدر

{حَكِيمٌ}

مُحكم النظم في أعلى طبقات البلاغة؛ فلا يضيره تكذيبُ المكذبين، ولا طعن الطّاعنين.

.5

أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ (5)

{أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا}

أنُهملكم فنُعرض عن أن نذكّركم بالقرآن اعراضا من أجل إسرافِكم على أنفسكم في كفركم جهالة منكم؟ لا يكون ذلك! يقال: ضربت عنه صَفحا، إذا أعرضت عنه وتركتَه. والصفْحُ: مصدر صفحت عنه، إذا أعرضت عنه، وذلك أن توليه صفحة وجهك وعنقك.

{أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ}

لكونكم مفرطين في الجهالة والضلالة؟ لا نتركه.

.6

وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (6)

{وَكَمْ أَرْسَلْنَا}

كثيراً أرسلنا.

{فِي الْأَوَّلِينَ}

في الأمم السابقة.

.7

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (7)

.8

فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (8)

{فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ}

أي من هؤلاء المسرفين.

{بَطْشًا}

سطوة وقوة. يقال: بطش به يَبْطِش ويَبْطُش، أخذه بالعنف والسّطوة.

{وَمَضَى}

سلف في القرآن غير مرّة.

{مَثَلُ الْأَوَّلِينَ}

أي ذكرُ قصصهم التي يَحِقُّ أن تسير مسير المثل لشهرتها.

.9

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (9)

{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ .. }

أي ولئن سألتهم عمن خلق هذا العالم ليقولُنَّ: خلقه الله المتصف في نفس الأمر بالعزة والعلم، لا أنهم يصفونه تعالى بهما. وقولهم: خلقها الله؛ اعتراف منهم بأنه الخالق لكل ما سواه، وأن معبوداتهم بعض مخلوقاته , وذلك أسوأ لحالهم وأشدُّ لعقوبتهم. ثم وصف الله نفسه بصفات خمس، موجبة للإيمان به وإفراده بالعبادة، وفيها من الإلزام لهم بالحجة ما فيه.

.10

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (10)

{مَهْدًا}

فَرْشا لإمكان الاستقرار عليها. وقُرئ (مهادا) أي فراشا.

{سُبُلًا}

طرقا تسلكونها، أو معايش.

.11

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (11)

{وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ}

بقدر الحاجة وحسبما تقتضيه المصلحةُ. يقال، قَدَرت الثوب فانقدر، إذا جاء على المقدار.

{فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا}

فأحيينا به بلدة مُجدبة، لا نبات فيها ولا زَرع [الأنبياء:21].

{كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ}

أي مثل ذلك الإنشار والإحياء تبعثون من قبوركم أحياء، فكيف تنكرونه وتتعاظمونه!؟

.12

وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (12)

{وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا}

وهي ما يتقلب فيه الإنسان من خير وشر، وإيمان وكفر، ونفع وضُر، وغنى وفقر، وصحة وسقم، وغير ذلك من المتقابلات.

{وَالْأَنْعَامِ}

ومن الأنعام وهي الإبل.

.13

لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (13)

{لِتَسْتَوُوا}

لتستقروا وتستعلوا.

{سَخَّرَ لَنَا هَذَا}

ذلل لنا هذا المَرْكب الصَّعب، وجعله منقادا لنا.

{وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ}

أي مطيقين، من أقرن الشيء وله: أطاقهُ وقوى عليه؛ كأنه صار له قِرناً، أي مثله في الشدة، أو ضابطين، يقال: فلان مقرن لفلان، أي ضابطٌ له.

.14

وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (14)

.15

وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ (15)

{وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا}

فقالوا: الملائكة بناتُ الله.

.16

أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (16)

{أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ .. }

أي بل أتخذ لنفسه من خلقه البنات، واختار لكم البنين!؟ والاستفهام للإنكار والتوبيخ.

{وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ}

أخلصكم وآثركم بهم.

.17

وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (17)

{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا .. }

أي والحال أن أحدهم إذا بشر بولادة أنثى له، اغتم وتربّد وجهُه غيظا و تأسُّفا. وهو ممتلئ من الكرْب والكآبة.

{وَهُوَ كَظِيمٌ}

مملوء في قلبه غيظا وغمًّا.

.18

أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (18)

{أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ .. }

أي أيجترئون ويجعلون الله من شأنه وطبيعته أن يتربَّى في الزِّينة والنعمة، ويستكمل بهما، وهو إذا احتاج إلى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال، ومنازلة الأقوياء كان غير مبين، أي ليس عنده بيان، ولا يأتي ببرهان، (ويُنَشَّأُ) أي يُربى و يَشب. يقال: نشأ في بني فلان نشئاً ونشوءًا، إذا شبَّ فيهم. ونُشِّئَ وأُنشيءَ بمعنى.

.19

وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (19)

.20

وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (20)

{وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ}

احتج المشركون بأن الله تعالى لم يشأ ترك عبادتهم الملائكة، ولو شاء سبحانه ذلك لتحقّق؛ بل شاء تعالى عبادتها، وتحققت، فتكون مأمورا بها أو حسنة، ويمتنع أن تكون منهيًّا عنها أو قبيحة، وهي حجة داحضة؛ فإن المشيئة لا تستلزم الأمر ولا الرضا، لأنها ترجيح بعض الممكنات على بعض، حسنة كانت أو قبيحة، وهي تابعة للعلم. والله تعالى قد علم من سوء استعداد الكافر، وفساد فطرته، أنه لو خُلّي ونفسه لاختار الكفر ديناً، فأراده منه؛ وهو لا

يقع في ملكه إلا ما يريد، لكنه لم يأمره به ولا يرضاه منه، لأنه تعالى لا يأمر بالفحشاء والمنكر، ولا يرضى لعباده الكفر. وقد بعث الرّسلَ والأنبياء، وأنزل الشرائع والكتب بالتوحيد والنَّهي عن الشرك، وإنذار المشركين، فكيف يأمرهم بما نهاهم عنه! ومن أين علموا رضاه تعالى عن عبادتهم الملائكة؟

{مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ}

يكذبون [الأنعام:116].

.21

أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (21)

{أَمْ آتَيْنَاهُمْ .. }

أي بل آتيناهم كتابا من قبل القرآن ينطق بصحة ما يدّعونه، فهم به مستمسكون؟

.22

بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (22)

{بَلْ قَالُوا}

بعد عجزهم عن الحجة من العقل أو النقل:

{إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ}

على دين وطريقة تُؤَّم وتُقصد. وهي الشرك في العبادة.

.23

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (23)

{وَكَذَلِكَ}

أي الأمر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتمسّكهم بالتقليد الباطل. وقوله {مَا أَرْسَلْنَا .. } استئناف مبيِّن لذلك، دالٌّ على أن التقليد فيما بينهم ضلالٌ قديم. ليس

لأسلافهم أيضا مستند غيره.

{قَالَ مُتْرَفُوهَا}

مُنَعَّموها، وهم الرؤساء والطغاة الذين صرفهم التَّنعُّم وحبُّ البطالة عن النظر إلى التقليد. جمع مُتْرَف، يقالُ: ترف – كَفرِح – تنعَّم، وأترفتْهُ النَّعمة: أطغته.

{وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ}

بهم. فاعترفوا بأنهم لا مستند لهم سوى تقليدِ آبائهم؛ وهم جهلة أمثالهم.

.24

قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (24)

{قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ .. }

ردَّ عليهم. أي أتقتدون بآبائكم ولو جئتكم بدين أهدى وأصوب مما وجدتموهم عليه من الضلال!؟.

.25

فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (25)

.26

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (26)

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ .. }

أي اذكر لهم قصة إبراهيم مع أبيه وقومه، إذ أنكر عليهم عبادة الأصنام، ونهاهم عنها، ولم يقلدهم في جهالتهم تمسُّكا بالبرهان الحق؛ ليسلكوا مسلكه في النظر والاستدلال، معرضين عن التقليد فيما لا يصح التقليد فيه، وهم لا يمارون في حقِّيَّة دينه، ولا في أنه أعظمُ آبائهم.

{إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ}

أي برئ منهم. وهو مصدر وقع موقع الصفة وهي بريء مبالغة. يقال: تبرأ منه، فهو منه براءٌ– بالفتح والمد – يستوي فيه الواحد والمثنى والجمع و المذكر والمؤنَّث. وأصلُ البَراء والبرْء والتَّبرّي: التَّفصِّي مما يكره مجاورته.

.27

إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (27)

{إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي}

أي لكن الذي خلقني وأوجدني

{فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ}

يُرشدني إلى دينه القويم.

.28

وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (28)

{وَجَعَلَهَا}

أي كلمة التوحيد، أو هذه المقالة.

{كَلِمَةً بَاقِيَةً}

كلمة التوحيد، أو البراءة.

{فِي عَقِبِهِ}

ذريته إلى يوم القيامة.

{لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}

[لعلهم يرجعون: أي رجاء أن يتوبوا إلى الله ويرجعوا إلى توحيده كلما ذكروها وهي لا إله إلا الله.].

.29

بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ (29)

.30

وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (30)

.31

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (31)

{وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ}

استعظموا أن ينزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم، وهو في زعمهم دون عظمائهم جاهاً، ومالاً، فقالوا: هلّا نُزل هذا القرآن الذي يزعم محمد أنه وحي من عند الله على رجل عظيم من إحدى القريتين: مكَّة والطائف! يريدون الوليد بن المُغيرة المخزومي من مكة، أو حبيب بن عمرو بن عمير الثّقفي من الطائف في قول؛ فجهّلهم الله تعالى بقوله: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ}.

.32

أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (32)

{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ}

أي أبأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاءوا، ويختارون لها من أرادوا؟

{نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}

وتولّينا تدبير أسبابها بمشيئتنا المبنيَّة على الحكم والمصالح، ولم نَكِلْه إليهم لعلمنا بعجزهم عنه.

{وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ}

في الرزق ومبادئ المعيشة

{لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا}

أي ليستخدم بعضهم بعضا في حوائجهم ويسخِّر بعضهم بعضا في مهامهم؛ فيكون بينهم من التعاون والترافُد ما ينتظم به أمر المعاش والعمران، ولو وكلنا ذلك إليهم لتهارجوا وتهالكوا، واختل النظام، وتقوض العُمران، وإذا كانوا

عاجزين عن تدبير أسباب معيشتهم في الحياة الدنيا، فما ظنُّهم بأنفسهم في تدبير أمر الدين، وهو أعلى شأناً وأبعد شأوًا من أمر الدنيا! وكيف يتحكّمون على الله في منصب الرسالة، وبتخيرون له من يشاءون؟ إنهم لا علم لهم بالله، ولا بحكمه وشئونه وتدبيره، وقد اصطفي لرسالته من شاء من عباده بإرادته وحكمته، ولا معقب لحُكْمه.

و {سُخْرِيًّا}

بضم أوله – من التسخير بمعنى التذليل. يقال: سخَّر الله السفينة تسخيرا: ذللها حتى جرت وطاب لها السير. وكلُّ ما ذلَّ وانقاد وتهيأ لك على ما تريد فقد سُخِّر لك، وهو سُخريّ.

{وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}

تصغير لشأن الدنيا.

.33

وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (33)

{وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ .. }

بيان لحقارة الدنيا عنده تعالى. أي لولا كراهةُ أن يكفر الناس جيمعاً إذا رأوا الكفار في سعة من الرزق، بسبب ميلهم إلى الدنيا وتركهم الآخرة، لأعطينا الكفار في الدنيا ما وصفنا من أسباب التَّنعم لهوانها علينا؛ ولكن اقتضت الحكمة أن يكون فيهم الغني والفقير، كما اقتضت أن يكون ذلك في المؤمنين، ليتميز من يطلب الدنيا للدنيا، ومن يطلبها لتكون زادا للآخرة.

{أُمَّةً وَاحِدَةً}

أي مجتمعة على الكفر.

{سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ}

جمعُ سَقْف.

{وَمَعَارِجَ}

مصاعد من الدَّرج من فضة، جمع مَعْرج.

{عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ}

يرْتقون.

.34

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (34)

{وَسُرُرًا}

من فضة.

.35

وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (35)

{وَزُخْرُفًا}

ذهبا أو زينة. أي وجعلنا لهم زُخرفاً ليجعلوه في السُّقُف والمعارج والأبواب والسُرر، ليكون بعض كل منها من فضة، وبعضه من ذهب.

{لَمَّا مَتَاعُ}

الّا متاع.

.36

وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (36)

{وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ}

من يتعام ويعرض عن ذكر الله فلا ينظر في حججه إلا كنظر من عشا بصرُه؛ فلا يخاف سطوته ولا يخشى عقابه، مُتبعا أقاويل المبطلين. يقال: عشا – كدعا – وعَشِيَ– كرضِيَ – إذا ضعف بصره وأظلمت عينه، كأن عليه غشاوة؛ ومنه ناقة عشْواء. وقرئ (يعشَ) بفتح الشين بمعناه.

{نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا}

أي نُتح له شيطانا يستولي عليه استيلاء القَيْض على البيض فيُغويه.

{فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ}

مصاحب له لا يفارقه.

.37

وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (37)

.38

حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (38)

.39

وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (39)

.40

أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (40)

.41

فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ (41)

.42

أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ (42)

.43

فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (43)

.44

وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (44)

{وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ}

أي وإن ما أوحيَ إليك – وهو القرآن – لشرف عظيم لك ولقومك أي لقريش، أو للعرب عامة، أو لأمتك. {وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} يوم القيامة عنه، وعن القيام بحقه.

.45

وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (45)

.46

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (46)

.47

فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ (47)

.48

وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (48)

.49

وَقَالُوا يَاأَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (49)

{بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ}

من كشف العذاب عمن اهتدى.

.50

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (50)

{إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ}

ينقضون عهدهم بالإيمان فلا يؤمنون. وأصلُه: نكثُ الأكسية والغزْل، وهو قريب من النقض؛ فاستعير لنقض العهد.

.51

وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (51)

.52

أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (52)

{أَمْ أَنَا خَيْرٌ}

أي أم تبصرون. ولمّا لم تذكر جملة تبصرون أقيم مقامها جمله {أَنَا خَيْرٌ} لأنهم إذا قالوا ذلك كانوا عنده بُصراء فأقم السبب مقام المسبّب.

{هُوَ مَهِينٌ}

ضعيف حقير.

{وَلَا يَكَادُ يُبِينُ}

أي لا يكاد يبين الكلام من لُثغة في لسانه.

.53

فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (53)

{أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ}

جمعُ سوار؛ وهو كناية عن تمليكه. وكانوا إذا سوّدوا رجل سوّروه بسواريْن، وطوقوه بطوق من ذهب، علامة لسيادته.

{مُقْتَرِنِينَ}

مقرونين به يصدقونه.

.54

فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (54)

{فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ}

طلب منهم الخفّة والسُّرعة لإجابته

ومتابعته. أو حمَلَهم على الخفة والجهل.

.55

فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (55)

{فَلَمَّا آسَفُونَا}

أسخطونا وأغضبونا أشدَّ الغضب بالإفراط في الفساد والعصيان. منقولٌ بالهمزة؛ من أسِف أسفا: إذا اشتدّ غضبه.

.56

فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ (56)

{فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا}

قدوة لمن بعدهم من الكفار في استيجاب مثل عقابهم، وهو مصدرٌ وصف به مبالغةً؛ ولذا يطلق على القليل والكثير. يقال: سَلَف – كطلب – سَلَفًا، أي تقدم ومضى، وسلف له عمل صالح: أي تقدم؛ ومنه الأسلاف: أي المتقدمون. وقيل: هو اسم جمع لسالف.

{وَمَثَلًا}

أي عظة وعبرة وللاخرين.

.57

وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (57)

{وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا}

رُوي أن عبد الله بن الزِّبعري قبل إسلامه قال للنبي صلى الله عليه وسلم وقد سمعه يقرأ {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (98)} [الانبياء] أليست النصارى يعبدون المسيح، وأنت تقول كان نبيا! فإن كان في النار فقد رضينا أن نكون نحن والهتُنا معه؟ فضحك كفار قريش، وارتفعت أصواتهم؛ وذلك قوله تعالى:

{ .. إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ}

وقُرئ بضم الصاد، ومعناهما: يضجون ويصيحون فرحاً. يقال: صَدَّ يَصِد ويَصُدُّ، ضجَّ.

.58

وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (58)

{وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ}

أي عيسى؛ فإذا كان هو في النار فلنكن نحن وآلهتُنا معه. وقد أبطل الله قولهم بقوله:

{مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا}

أي لأجل الجدل والغلبة في القول بالباطل، لا لطلب الحق.

{بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ}

لدُّ شِداد الخصومة، مجبولون على اللجاج في الباطل. جمع خَصِم – بفتح فكسر وهو المجادِل.

.59

إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (59)

{مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ}

أي كالمثل في غرابته، حيث خلقناهُ من غير أب، دليلا على كمال قدرتنا.

.60

وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ (60)

{وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ}

أي بدلا منكم، أو بدلكم.

.61

وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (61)

{وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ}

أي وإن عيسى عليه السلام بنزوله من السماء لِتعْلَم به الساعة. وقرئ لعَلمٌ، أي لعلامة على قربها؛

وهو من أعظم أماراتها، وجاءت به الأحاديث الصحيحة. {فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا}

فلا تشكُّنَّ في قيامها.

.62

وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (62)

.63

وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (63)

.64

إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (64)

.65

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (65)

{فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ}

أي النصارى فيه، فمنهم من قال هو الله، ومنهم من قال هو ابن الله، ومنهم من قال ثالث ثلاثة. وكلُّهم ظالمون؛

إذ لم يقولوا إنه عبد الله ورسوله.

{فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا}

هلاك أو عذاب، أو حسرة أو فضيحة للذين ظلموا أنفسهم بالكفر، وجحودِ أنه عبد الله ورسوله، وزعمهم فيه تلك المزاعم الباطلة.

.66

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (66)

{هَلْ يَنْظُرُونَ}

هل ينتظرون.

{بَغْتَةً}

فجأة.

.67

الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (67)

{الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ}

أي الأصدقاء الذين تخللت المحبة قلوبهم في الدنيا.

{بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ}

يوم القيامة

{إِلَّا الْمُتَّقِينَ}

الذين تحابُّوا في الله واجتمعوا على طاعته.

.68

يَاعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (68)

.69

الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (69)

.70

ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (70)

{تُحْبَرُونَ}

تفرحون وتسرُّون سرورا يظهر حَباره – بفتح الحاء وكسرها – أي أثَره على وجوهكم نَضْرة وحُسنا؛ من الحَبَر – بفتحتين – وهو الأثر، أو تُزَّينون؛ من الحِبَر – بالكسر والفتح – وهو الزينة وحسن الهيئة.

.71

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (71)

{يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ}

أي بأطعمة وأشربة في أوان من ذهب. ولم تذكر الأطعمة والأشربة للعلم بأنه لا معنى للإطافة بالصحاف والأكواب من غير أن يكون فيها شيء. جمعُ صفحة وكوب، وهو إناء لا عروة له يستعمل للشراب.

.72

وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (72)

.73

لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (73)

.74

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (74)

.75

لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (75)

{لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ}

لا يُخفف عنهم العذاب ولا يسكن [الأنبياء:20].

{وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ}

آيسون من تخفيف العذاب؛ من الإبلاس وهو الحزن المعترض من شدة اليأس [الأنعام:44].

.76

وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (76)

.77

وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (77)

{لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ}

أي

ليُمتْنا لِنستريح؛ من قضى عليه: إذا أماته.

.78

لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (78)

{وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ}

أي كلّكم. وعبر بالأكثر لأن من الأتباع من كفر تقليدا.

.79

أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (79)

{أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا}

كلام مستأنَفٌ ناعٍ على المشركين ما دبروا من الكيد للرسول صلى الله عليه وسلم. أي بل أحكموا أمرا من كيدهم في دار النَّدوة؛ إذ تآمروا على قتله صلى الله عليه وسلم و (بل) للانتقال من توبيخ أهل النار إلى حكاية جناية هؤلاء المشركين، وهمزة الاستفهام لإنكار ما وقع واستقباحه، والإبرام: الإتقان والإحكام؛ وأصله: الفَتْل المحكم. يقال: أبرم الحبل، إذا أتقن فتله.

{فَإِنَّا مُبْرِمُونَ}

محكمون كيدنا بهم باستئصال صناديدهم يوم بدر.

.80

أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (80)

{سِرَّهُمْ}

ماحدَّثوا به أنفسَهم من ذلك الكيد.

{وَنَجْوَاهُمْ}

ما تناجَوْا به ولم يطلع عليه سواهم.

.81

قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (81)

{قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ .. }

أي إن صح بالبرهان القاطع ذلك فأنا أول من يعظم ذلك الولد، ويسبقكم إلى طاعته، كما يعظم الرجل ولد الملك. واللّازم [الولد] منتف بالمشاهدة فكذا الملزومُ [العبادة].

.82

سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (82)

.83

فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (83)

{فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا}

في باطلهم

{وَيَلْعَبُوا}

في دنياهم

{حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ}

أي يوم القيامة.

.84

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (84)

{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ}

أي وهو الذي هو في السماء معبودٌ بحق، وهو في الأرض معبود بحق.

.85

وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (85)

{وَتَبَارَكَ}

تعظم، أو تزايدت بركته وخيراته [الأعراف:54].

.86

وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (86)

.87

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (87)

{فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ}

فكيف يُصرفون عن عبادته تعالى إلى عبادة غيره؟ ويُشركون به مع إقرارهم بأنه خالقُهم؟ والمراد: التعجب من شركهم مع ذلك [المائدة:75].

.88

وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ (88)

{وَقِيلِهِ يَارَبِّ}

بِجر اللام؛ أي وقوله، مصدرُ قال، معطوفٌ على لفظ الساعة. أي وعنده علم الساعة وعلمُ قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ياربِّ. أو الواو للقسم، أي وأقسم بقول محمد: يارب، وجواب القسم قوله تعالى: {إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ}. وقُرئ بالنصب عطفا على محل الساعة؛ إذ هي في محل نصب بالمصدر المضاف إليها على أنها مفعول له، فكأنه قيل: يعلمُ السّاعة، ويعلم قيله يارب.

.89

فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (89)

{فَاصْفَحْ عَنْهُمْ}

فأعرض عنهم، ولا تطمع في إيمانهم لشدة كفرهم وعنادهم.

{وَقُلْ سَلَامٌ}

أي أمري وشأني الآن

مُشاركتُم بسلامتكم مني وسلامتي منكم. والمراد به: الإعراضُ عنهم، والكف عن مقابلتهم بالكلام. ثم هُدّدوا بقوله تعالى: {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} عاقبة كفرهم وإصرارهم.

والله أعلم.

سُورةُ الدُّخانِ

.1

حم (1)

.2

وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2)

{وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ}

أقسم الله بالقرآن المبين؛ إعلاما ببلوغه غاية العظمة ورفعة القدر. وجواب القسم: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ}.

.3

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (3)

{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ}

أي ابتدأنا إنزاله على محمد صلى الله عليه وسلم يقظة في ليلة مباركة وهي على الصحيح: ليلة القدر. ووصفها بالبركة لزيادة خيرها، ولاستتباع ما أنزل فيها منافع الخلق الدينية والدُّنيوية، ولله تعالى أن يخص بعض الأزمنة والأمكنة بما شاء من الفضل والخير؛ فيفضل ما سواه.

{إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ}

مخوِّفين ومحذِّرين؛ أي لأن من شأننا وعادتِنا الإنذار بالكتب المُنزَّلة. والإنذارُ: اخبار فيه تخويف وترهيب؛ كما أن التبشير اخبار فيه تأمينٌ و ترغيبٌ.

.4

فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (4)

{فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}

أي في هذه الليلة يُفصَلُ ويُبيَّن كلُّ أمر ملتبس بالحكمة، أو مفعول على ما تقتضيه الحكمة. والجملةُ مستأنفة لبيان تخصيص الإنزال بهذه الليلة. أي وكان انزالُنا إياه في هذه الليلة خصوصا؛ لأن إنزال القرآن من الأمور الحكيمة.

وهذه الليلة مفْرَق كل أمر حكيم؛ إذ يفرق ويبيَّن فيها للملائكة كل أمر من أرزاق العباد وآجالهم، وجميع شئونهم؛ من هذه الليلة إلى ليلة القدر التي تليها من السنة المقبلة.

.5

أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (5)

{أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا}

منصوب على الاختصاص. أي أعني به أمراً عظيما صادرا من عندنا؛ كما اقتضاه علمنا وتدبيرنا. {إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ. (5) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ... (6)} بدل من قوله تعالى {إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ} أي أنزلنا القرآن لأن من شأننا إرسال الرسل بالكتب إلى العباد لأجل الرحمة عليهم.

وحاصل المعنى: أنه تعالى أنزل القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر المباركة، التي يبين فيها للملائكة كل أمر حكيم من الأمور المتعلقة بعباده، صادر على وفق علمه وتدبيره، والقرآن من أجلّها، وقد أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم رحمة على العباد.

وهداية وتعليما، جريا على سننه في خلقه.

.6

رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (6)

.7

رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (7)

{إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ}

أي إن كنتم على يقين في إقراركم حين تُسألون عمَّن خلق السموات والأرض وما بينهما بأنه الله – علمتم ما يقتضيه من أنه هو المُنزّل للقرآن، المُرسل لرسوله رحمة وهداية؛ لظهور اقتضائه إيَّاه ظهورا بيّنا.

.8

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (8)

.9

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (9)

{بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ}

إبطالٌ لإيقاهم لعدم جرْيهم على مقتضاه. أي أنهم ما قالوا ذلك عن جدٍّ و اذعان، بل قالوه مختلطا بهزء ولعب.

.10

فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (10)

{فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ}

ورد أنه لما استعصت قريش على الرسول صلى الله عليه وسلم – وأبى أكثرهم الإسلام قال: {اللّهم أعنِّي عليهم بسبع كسبع يوسُف} [البخاري]، فأصابهم قحط وجَهْد وبلاء؛ حتى أكلوا العظام والميتةَ والجلودَ؛: ونزلت الآية، وكنَّى عنه بالدخان، لأن الهواء يتكدر سنة الجدب بكثرة الغبار المشبه للدخان لقلة الأمطار المُسكَّنة له، ولأن الجوع الشديد تعرض فيه للبصر ظلمة من شدة الضَّعف حتى يرى صاحبه فيما بينه وبين السماء كهيئة الدُّخان. ثم أتوا الرسول صلى الله عليه وسلم فطلبوا أن يستسقي لهم، ووعدوه بالإيمان إن كشف الله عنهم العذاب بقولهم: {رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (12)}،فاستسقى، فَسقُوا الغيث مدرارا، فأنزل الله تعالى: {إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (15)}. وقد تحقق ذلك فلم يؤمنوا كما وَعدوا!

.11

يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (11)

{يَغْشَى النَّاسَ}

يشملهم ويحيط بهم.

.12

رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (12)

.13

أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (13)

{أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى}

من أين لهم الاتعاظ بشيء من ذلك!

.14

ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ (14)

{وَقَالُوا}

معرضين عنه.

{مُعَلَّمٌ}

يعلِّمه بشرٌ، وتارة:

{مَجْنُونٌ}

اختلط عقلُه.

.15

إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (15)

.16

يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ (16)

{يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى}

هو يوم بدر، وقيل يوم القيامة؛ من بطش به يبطِشُ ويبطُشُ: إذا أخذه بعنْف وقوة.

.17

وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (17)

{وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ}

امتحنّاهم بإرسال موسى

عليه السلام. أو أوقعناهم في الفتنة بالسَّعة في الرزق والإمهال حتى طَغَوْا.

.18

أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (18)

{أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ}

أي أدُّوا إليّ حقَّ الله من الإيمان به، وقبول الدعوة إليه يا عباد الله. و (أنْ) مُفسرة أو مخفَّفة.

.19

وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (19)

{لَا تَعْلُوا}

لا تتكبروا، أو لا تفتروا.

{بِسُلْطَانٍ}

حجة وبرهان على صِدقي.

.20

وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (20)

{وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ}

اعتصمت بربي وربِّكم، واستجرت به منكم أن تؤذوني ضربا أو شتما، أو تقتلوني. يقال: عاذ بالله عَوْذا ومَعاذا ومعاذةً، لجأ إليه واستجار به.

.21

وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ (21)

{وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ}

فكونوا بمعزِل مني، لا عليّ ولا ليَ! ولا تتعرضوا لى بسوء.

.22

فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ (22)

.23

فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (23)

{فَأَسْرِ بِعِبَادِي}

أي سِرْ ببني إسرائيل ومَن آمن بك من القبط من مِصر بقِطْع من الليل؛ و همزتُه للقطع؛ من أسْرى يَسري إسراء. وقُرئ بهمزة الوصل؛ من سرى يَسري سُري.

{لَيْلًا}

تأكيد له بغير اللفظ، إذ الإسراء والسُّرى: السَّيْر ليلا.

{إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ}

يتبعكم فرعون وجنوده.

.24

وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (24)

{وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا}

اتركه ساكنا على هيئته التي هو عليها بعد ضربه بالعصا، ليدخله القبط. فإذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم. يقال: رَها البحر يَرهُو، سكن. وجاءت الخيل رَهوا: أي ساكنة. أو اتركه مفتوحا على حاله منفرجة؛ من رَها الرجُل رهوًا: فتح بين رجليه وفرج بينهما. وهو حالٌ من البحر. والمرادُ به: البحر الأحمر.

{جُنْدٌ}

جماعة.

.25

كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (25)

.26

وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (26)

{وَمَقَامٍ كَرِيمٍ}

محافل مزيَّنة، ومنازلٌ حسنةٍ.

.27

وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (27)

{وَنَعْمَةٍ}

أي تنعُّم وترفُّهٍ. أو نضارةِ عيشٍ ولذاذتِه. والمراد بها: ما يُتَنَعَّم به.

{كَانُوا فِيهَا}

أي في تلك النعمة.

{فَاكِهِينَ}

متنعمين. جمعُ فاكهٍ، وهو المستمتع بأنواع اللذة كما يتمتع الآكل بأنواع الفاكهة. وقرئ (فَكِهين) وهما لغتان بمعنى واحد كالحاذر والحَذر، والفَاره والفَرِه.

.28

كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (28)

.29

فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (29)

{وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ}

مؤخَّرين إلى وقت آخر في الدنيا؛ لتوبةٍ وتدارك تقصير. أو إلى يوم القيامة، بل عُجِّل لهم العذاب في الدنيا.

.30

وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (30)

.31

مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ (31)

{كَانَ عَالِيًا}

متكبرا جباراً.

.32

وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (32)

{عَلَى الْعَالَمِينَ}

أي عالمي زمانهم؛ بدليل قوله تعالى لهذه الأمة: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران:110].

.33

وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ (33)

{بَلَاءٌ مُبِينٌ}

نقمة ظاهرة، أو اختبارٌ ظاهر بالرخاء والشّدة، والنِّعم والنِّقم؛ لننظر كيف يعملون.

.34

إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (34)

{إِنَّ هَؤُلَاءِ}

أي مشركي مكة، وهو تتمَّة لما سبق من الكلام في شأنهم. وذِكرُ قصة فرعون وقومه في الوسط للدلالة على أنهم أشباهٌ في الإصرار على الضلالة و في سوء العاقبة.

.35

إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (35)

{وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ}

وما نحن بمبعوثين بعدها؛ من أنشر الله الموتى نشورا: أحياهم؛ فهم منشرون.

.36

فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (36)

.37

أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (37)

{أَهُمْ}

في القوة

{خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ}

هو تُبَّع الحِمْيَري أبو كَرب أسعد بن مليك، أحد ملوك التَّتابعة، وكان مؤمنا، وإليه نُسب الأنصار، وكان قومه كفارا فأهلكهم الله، ولم تُغن عنهم قوتهم من الله شيئا. وتُبَّع: لقب لكل ملكٌ مَلَكَ اليمن والشَّحر وحضرموت، مثل كِسرى للفرس، وقيصر للرُّوم، وفرعون لمصر.

.38

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (38)

.39

مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (39)

.40

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (40)

{إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ}

بين المحق والمبطل.

{مِيقَاتُهُمْ}

أي وقت موعدِهم {أَجْمَعِينَ}.

.41

يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (41)

{يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا}

لا يدفع قريب عن قريبه، ولا صديق عن صديقه شيئا من العذاب. والمَوْلى: يطلق على القريب كابن العم و نحوه، وعلى. الصاحب والحليف.

.42

إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (42)

.43

إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (43)

{إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ}

[الصافات:62].

.44

طَعَامُ الْأَثِيمِ (44)

{طَعَامُ الْأَثِيمِ}

كثير الآثام وهو الكافر.

.45

كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (45)

{كَالْمُهْلِ}

كالنُّحاس المذاب [الكهف:29].

.46

كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (46)

{الْحَمِيمِ}

أي الماء البالغ غاية الحرارة.

.47

خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (47)

{خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ}

يقال للزّبانية: خذوا الأثيم الفاجر؛ فجرُّوه بقهر وسُوقوه بعنف إلى {سَوَاءِ الْجَحِيمِ} وسطها؛ من العَتل وهو الأخْذ بمجامع الشيء وجَرُّه بقَهْر. يقال: عتلت الرجل أعتُله وأعتِله عتلاً، إذا جذبته جذبا عنيفا، وسقته بجفاء. وقرئ بضم التاء.

.48

ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (48)

.49

ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (49)

.50

إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (50)

{إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ}

إن هذا العذاب هو ما

كنتم فيه تجادلون وتخاصمون في الدنيا على مذهب الشك والريبة. وقد كانوا في إنكار البعث صنفين: صنف يجحده وهم أئمة الكفر، وصنف حائر فيه؛ يجحده إذا سمع مقالة أولئك، ويشك فيه إذا سمع الآيات الدالة عليه؛ ومنشأ هذه الحيرة عدم التصديق بالرسالة، والإيمان بصدق الخبر مع الجهالة وفساد الاستعداد.

.51

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (51)

.52

فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (52)

.53

يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (53)

{سُنْدُسٍ}

مارَقَّ من الحرير. واحده سُندسة.

{وَإِسْتَبْرَقٍ}

ما غلظ منه.

.54

كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (54)

{كَذَلِكَ}

أي الأمر كذلك.

{بِحُورٍ}

يحار فيهن الطرف لفرط حسنهن، وجمال بياضهن، وصفاء ألوانهن جمع حوراء، وهي التي يحار فيها الطرف، أو البيضاء؛ من الحَوَر وهو البياض.

{عِينٍ}

جمع عيناء. أي واسعة العينين.

.55

يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (55)

{يَدْعُونَ فِيهَا}

يطلبون فيها.

.56

لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (56)

.57

فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (57)

.58

فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (58)

{فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ}

سهّلنا عليك تلاوته وتبليغَه إليهم، منزَّلاً بلغتك ولغتهم.

{لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}

كي يتَّعظوا فيؤمنوا به و يعملوا بما فيها؛ لكنهم لم يتعظوا ولم يؤمنوا.

.59

فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ (59)

{فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ}

فانتظر ما يحل بهم انهم ينتظرون ما يحل بك؛ كما قالوا: { .. نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (30)} [الطور].

والله أعلم

سُورَةُ الجاثِية

.1

حم (1)

.2

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (2)

.3

إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (3)

{إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .. }

اشتملت هذه الآيات الثلاث على ستة أدلة كونية: خلق السماوات والأرض، والمتأمل فيها يعلم أنه لابد لها من صانع حكيم، فيؤمن به. وخلْقُ الإنسان وانتقاله في أطواره، وخلق ما على الأرض من صنوف الحيوان؛ والمتأمل فيها وفي ارتباط تكونها بالعالم العلوي يصل بالمتأمل إلى مرتبة اليقين، والحوادث المتجددة في كل وقت من اختلاف الليل والنهار، ونزول

الأمطار الذي به حياة الأرض بالنبات. وتقلب الرياح، وآثارها في البر والبحر، والمتأمل فيها يؤدي إلى استحكام العلم وقوة اليقين، وذلك لا يكون إلا بالعقل الكامل، ولذا ختمت كل آية بما يناسب ما سبق فيها من الدليل.

.4

وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (4)

{يَبُثُّ}

أي ينشر ويفرّق [لقمان:10].

.5

وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (5)

{وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ}

تقليبها من جهة إلى أخرى، ومن حالة إلى حالة [البقرة:164].

.6

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (6)

{فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ}

أي بعد حديث الله الذي يتلوه عليكم الرسول وهو القرآن. وقد جاء إطلاق الحديث عليه في قوله تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ} [الزمر:23].

{وَآيَاتِهِ}

دلائله وحججه {يُؤْمِنُونَ}.

.7

وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (7)

{وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ}

هلاك، أو عذاب، أو حَسرةٌ لكل كذاب كثير الإثم. ويدخلُ في الآية من نزلت فيه دخولا أوليّا: أبو جهل، أو النضر بن الحارث وكان يشترى أحاديث الأعاجم ليُلهِّي الناس بها عن سماع القرآن.

.8

يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (8)

{ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا}

ثم يقيم على كفره وضلاله، مستكبرا عن الإيمان بالآيات. والإصرارُ على الشيء: ملازمتُه وعدم الانفكاك عنه، من الصَّر وهو الشَدّ. ومنه صُرّة الدراهم.

.9

وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (9)

{اتَّخَذَهَا هُزُوًا}

اتخذ الآيات هزوا وسخرية.

.10

مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (10)

{وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ .. }

لا يدفع عنهم.

.11

هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (11)

{لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ}

مؤلِمٌ موجعٌ من أشد العذاب. والرِّجزُ: يطلق على أشد العذاب وعلى العذاب. وقرئ (أليمٍ) بالجر على أنه صفة لـ (رجْزٍ).

.12

اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12)

.13

وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (13)

.14

قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14)

{قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا .. }

حث للمؤمنين على التجاوز والصّفح عما يصدر من المشركين

من الكلمات البذيئة المؤذية، وعلى ترك منازعتهم بمثلها. أي قل للمؤمنين أغفروا يغفروا للمشركين الذين لا يتوقّعون وقائع الله بأعدائه.

{لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ}

لا يتوقعون وقائعه بأعدائه.

{لِيَجْزِيَ قَوْمًا}

أي أمروا بذلك ليجزيهم الله يوم القيامة بما كسبوا في الدنيا من الأعمال الصالحة، ومنها الصبر على أذى الكفار، والإغضاءُ عنهم، واحتمالُ المكروه منهم.

.15

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (15)

.16

وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (16)

{وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ .. }

أنعم الله على بني إسرائيل بنعم كثيرة، منها هذه النعم المذكورة في الآية فلم يشكروها، بل اختلفوا في أمر الدين بَغْياً وحَسدا. فكذلك كفار مكة جاءهم الهدى فأصروا على الكفر، وأعرضوا عن الإيمان عداوة وحسداً، والكتاب: التوراة، والحكم: الفصل بين الناس في الخصومات.

.17

وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (17)

{بَيِّنَاتٍ}

الدلائل الظاهرة، ومنها معجزات موسى عليه السلام.

{بَغْيًا بَيْنَهُمْ}

عداوة وحسدا فيما بينهم. والبَغيُ: طلب تجاوز الاقتصاد فيما يُتحرَّى، والمذموم منه: تجاوز الحق إلى الباطل؛ ومنه العداوة بغير حق، والحسد على النّعمة.

.18

ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (18)

{ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ}

على طريقة ومنهاج واضح من أمرنا الذي أَمَرنا به مَنْ قبلك من رسلنا؛ من شَرَعه: إذا سَنّه ليُسلك. والشّريعة في الأصل: ما يَرِده الناس من المياه والأنهار. وجمعُها شرائع، واستعيرت للدِّين؛ لأن العباد بأخذهم به تحيا نفوسهم كما يحيا العطاش بالماء.

.19

إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (19)

{لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ}

لن يدفعوا عنك.

.20

هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (20)

{بَصَائِرُ لِلنَّاسِ}

بينات تبصرهم سبيل الفلاح.

.21

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ}

اكتسبوا ما يسوء من الكفر والمعاصي؛ من الاجتراح وهو الاكتساب [المائدة:4]- أي بل أحَسِبوا أن نُسَوّى في الدنيا وفي الآخرة بينهم مع اجتراحهم السيئات وبين أهل الحسنات! كلا! لا يستوون فيها؛ فإن المحسنين في عِزِّ الإيمان والطاعة وشرفهما في المَحْيا، وفي رحمة الله ورضوانه في الممات. والمسيئين في ذُلّ الكفر والعصيان وهوانها في المحيا، وفي لعنة الله وعذابه في الممات.

{سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}

أي بئس حُكماً حُكمهم أن نسوّي بين الفريقين.

.22

وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (22)

.23

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (23)

{أَفَرَأَيْتَ}

أي أخبرني! أو أنظرتَ مَنْ هذه حالته فرأيتَه .. ! فإن ذلك مما يقضى منه العجب

{مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ}

جعل هواه معبوده يخضع له ويطيعه، كما يخضع العابد لمعبوده.

{وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ}

فلا يتأثر بموعِظة، ولا يتفكَّر في آية.

{وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً}

أي غطاء فلا يُبصر هُدًى. والكلام تمثيل بليغ.

.24

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (24)

{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا}

أي ما الحياةُ إلا هذه الحياة الدنيا التي نعيش فيها، وليس هناك حياة أخرى بعد الممات!

{وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ}

أي مرور الزمان. وكانوا ينسبون الأفعال إلى الدهر لا إلى الله تعالى.

.25

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (25)

.26

قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (26)

.27

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ (27)

.28

وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (28)

{وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً}

أي وترى يوم تقوم السَّاعة أهل كلِّ ملةٍ ودينٍ عند الحساب من هول الموقف باركين على الرُّكب. مستوفرين على هيئة المذنب المنتظر لما يكره؛ من الجُثُوّ وهو

الجلوس على الركب. يقال: جثا على ركبتيه يجثو ويجثي جُثُوًّا وجُثِيا.

{تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا}

إلى سجل أعمالها الذي أمر الله الحفظة بكتابته لتحاسب عليه.

.29

هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (29)

{نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}

نأمر حفظتنا بنسخ أعمالكم، أي بكتابتها وتثبيتها عليكم في الصُحف، حسنةً كانت أو سيئة. فالمراد بالنسخ: الإثباتُ لا الإزالة.

.30

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (30)

.31

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ (31)

.32

وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (32)

{إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا}

هذا قول المتحيِّرين منهم بين ما يُتلى عليهم من الآيات في أمر الساعة، وبين ما يسمعونه من أكابرهم وأبائهم.

{وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ}

أي بموقنين أن الساعة آتية. والكافرون بالبعث – كما قدمنا – صنفان: جاحد له بإصرار، وحائرٌ بين الجحود والشك [الدخان:].

.33

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (33)

{وَحَاقَ بِهِمْ}

نزل أو أحاط بهم.

.34

وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (34)

{نَنْسَاكُمْ}

نتركم في النار. واستعمالُ النِّسيان في الترك مجاز بعلاقة السببية.

{مَأْوَاكُمُ النَّارُ}

منزلكم ومقركم النار.

.35

ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (35)

{اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا}

مهزوءاً بها، ولم ترفعوا لها رأسا.

{وَغَرَّتْكُمُ}

خدعتكم ببهرجها.

{وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ}

أي لا يُطلب منهم أن يُزيلوا عَتْب ربّهم عليهم؛ وهو كناية عن إرضائه تعالى. أي لا يُطلب منهم إرضاؤه عز وجل في ذلك اليوم لفوات أوانه [النحل:84].

.36

فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (36)

.37

وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (37)

{وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ}

العظمة والملك. أو كمالُ الذات وكمالُ الوجود.

والله أعلم.

سُورَةُ الأحْقَاف

.1

حم (1)

.2

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (2)

.3

مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ (3)

{إِلَّا بِالْحَقِّ}

أي إلا خَلْقاً متلبِّسا بالحق الذي تقتضيه المشيئة الإلهية، والحكمةُ الرّبانية.

{وَأَجَلٍ مُسَمًّى}

أي وإلا بتقدير أمَدٍ معيّن لبقاء هذه المخلوقات تفنى في نهايته؛ وذلك عند قيام الساعة. والأجلُ: المدة المضروبة للشيء.

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا}

من قيام الساعة وحدوث أهوالها والبعث في اليوم الآخر والجزاء {مُعْرِضُونَ}.

.4

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (4)

{أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}

أي أخبروني، ومفعول {أَرَأَيْتُمْ} الأول هو {مَا تَدْعُونَ}، وجملة {مَاذَا خَلَقُوا} سدّت مسدَّ مفعولها الثاني. وقوله {أَرُونِي} تأكيدٌ لها، لأنها بمعنى أخبروني.

{مِنَ الْأَرْضِ}

أي العوالم السُّفلية تفسير لقوله {مَاذَا خَلَقُوا}.

{أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ}

أي بل ألهم شِركةٌ معه تعالى في خلق السماوات، أي العوالم العُلويّة. يقال: شَرَكه في البيع يَشْرَكه – مثل عَلِمه. يعْلَمه – شِرْكَة، والاسم الشِّرك، وجمعه أشراك.

{ائْتُونِي بِكِتَابٍ}

إلهيٌّ دالٌّ على صحة دينكم!! والأمر للتبكيت بعَجزِهم عن الإتيان بدليل نقلي، بعد تبكيتهم بالعجز عن الإتيان بدليل عقلي.

{مِنْ قَبْلِ هَذَا}

الكتاب: أي القرآن الناطق بابطال الشرك.

{أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ}

بقية من علم يؤثَر عن الأوّلين ويُسند إليهم، شاهدةٍ باستحقاقهم العبادة، و {أَثَارَةٍ} –بفتح الهمزة – مصدر كالسماحة، معناها البقية. يقال: سمِنَت الناقة على أثارة، أي على عَتِيق شحْم كان عليها قبل ذلك؛ فكأنها حملت شحما على بقية شحمها.

.5

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (5)

.6

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (6)

.7

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (7)

.8

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (8)

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ}

بل أيقولون اختلق القرآن وتقوّله محمدٌ!؟ من الافتراء وهو الاختلاق والكذب. والاستفهام للإنكار والتّعجيب.

{تُفِيضُونَ فِيهِ}

أي تندفعون فيه من القدح في آيات القرآن؛ من الإفاضة، وهي الأخذ في الشيء باندفاع وأصلُه من فاض الماءُ: إذا سال منصبًّا. وأفاض إناءه: إذا ملأه حتى أساله.

.9

قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (9)

{بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ}

ما كنت أوّل الرسل الذين جاءوا بكتاب من عند الله، بل كان قبلي رُسلٌ كثيرون أُرسلوا بالكتب إلى أمم قبلكم، فكيف تنكرون عليَّ ما جئتكم به؟ يقال: هو بِدْعٌ في هذا الأمر، أي أوْلٌ لم يسبقه أحد. أو ماكنت بديعا منهم؛ اي لستُ مبتدعا لأمر يخالف ما جاءوا به من الدعوة إلى التوحيد. فهو صفة مشبَّهة، كخِلٌ بمعنى خليل؛ من الابتداع وهو الاختراع.

{وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ}

لا أعلم من تلقاء نفسي ما سيفعله الله لي ولا بكم مما لا سبيل إلى العلم به إلا الوحي

{إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ}

اي ما أفعل إلا اتباعَ ما يوحيه الله إليَّ؛ فلا أعلم ما لم يوح إلى من الغيب ولا أُخبر به.

.10

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10)

{أَرَأَيْتُمْ}

أخبروني ماذا حالكم.

{وَكَفَرْتُمْ بِهِ}

أي وقد كفرتم به؛ أي بالقرآن الموحى إليَّ به.

{وَشَهِدَ شَاهِدٌ}

عظيم الشأن

{مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ}

الواقفين على أسرار الوحي بما أوتوا من التوراة.

{عَلَى مِثْلِهِ}

أي على مثل القرآن من المعاني المنطوية في التوراة، من التوحيد والبعث والوعد والوعيد وغير ذلك من أصول الشرع، فإنها في الحقيقة عَيْن ما فيه.

{فَآمَنَ}

بالقرآن

{وَاسْتَكْبَرْتُمْ}

عن الإيمان به. وجوابُ الشرط محذوف، أي فقد ظلمتم. والمراد بالشاهد: عبد الله بن سلام من مؤمني اليهود، وكان من العلماء بالتوراة.

.11

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ (11)

{لَوْ كَانَ خَيْرًا}

أي لو كان القرانُ الذي جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم – خيراً.

{مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ}

أي ما سَبَقَنا إليه أولئك الضعفاء الفقراء، كعمّار وبلال وأضرابهما

{فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ}

أي فسيقول الكافرون الذين لم يهتدوا بالقرآن: هذا القرآنُ كذب قديمٌ من أخبار الأولين، نسبه محمد إلى ربه. وهو كقولهم: {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (5)} [الفرقان]. والإفكُ: الكذبُ.

.12

وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ (12)

.13

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (13)

{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ .. }

أي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم، وبين الاستقامة في الدين التي هي منتهي العمل.

.14

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (14)

.15

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (15)

{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا}

أمرناه أن يُحسن إليهما احساناً، ويَبَرَّهُما بصنوف البر في حياتهما وبعد مماتهما. والإحسانُ: خلاف الإساءة. وقُرِئ (حُسنًا). نزلت هذه الآية إلى قوله {وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ} في أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وهو مَثَلٌ رفيع في الجمع بين التوحيد والاستقامة في الدين.

{حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا}

أي ذاتَ كُرْه ومشقة أثناء ثقل الحمل والوضع؛ منصوبٌ على الحال من الفاعل، وقُرئ بفتح الكاف، وهما لغتان بمعنًى؛ كالضَّعف والضُّعف.

{وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ}

مدة حمله وفطامه من

الرضاع.

{بَلَغَ أَشُدَّهُ}

أي بلغ زمن، استحكام القوة وكمال العقل، وقدر بثلاث وثلاثين سنة؛ لكونه أخر سنِّ النُّشوء والنمَّاء.

{وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً}

هو أكبر الأشُدِّ وتمام الشباب وهو سن النبوة عند الجمهور.

{قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي}

رغِّبني ووفقني إلى شكر نعمتك [النمل:19].

.16

أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (16)

{وَعْدَ الصِّدْقِ}

وعدهم الله وعد الصدق، أي وعدا صادقا.

.17

وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (17)

{وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ}

عند دعوتها إياه إلى الإيمان. والمراد به الجنس؛ فهو في معنى الجمع، ولذا أخبر عنه بقوله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ}.

{أُفٍّ لَكُمَا}

إظهاراً لتضجره؛ وهو صوت يصدر عند التضجُّر، أو اسم للفعل الذي هوا أتَضجّر.

{أَنْ أُخْرَجَ}

أُبْعث من القبر بعد الموت.

{خَلَتِ الْقُرُونُ}

مضت الأمم ولَم تُبعَث.

{وَيْلَكَ}

أي يقولون له (ويلك)، وهي في الأصل كلمة دعاء بالثبور والهلاك، وهي مصدر منصوبٌ بفعل ملاق له في المعنى الأصلي، أي هلكت هلاكا، والمراد بها هنا: حثُّ المخاطب وتحريضه على الإيمان، لا الدعاء عليه بذلك.

{آمِنْ}

أمرٌ بالإيمان، وهو من جملة مقولهما، وكذا {إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ}.

{أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}

خرافاتُهم وأباطيلهم التي سطروها في كتبهم.

.18

أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (18)

{أُولَئِكَ}

خبرُ {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ}، كما قدمنا.

{حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ}

هو قوله تعالى لإبليس: {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (85)} [ص].

{خَلَتْ}

مضت وتقدمت.

.19

وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (19)

.20

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (20)

{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا .. }

أي يعذبون بها؛ من

قولهم: عُرض الأسرى على السيف، إذا قتلوا به.

{أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ}

أي يقال لهم ذلك.

{عَذَابَ الْهُونِ}

أي الهوان، أو الخِزي.

.21

وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (21)

{وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ}

هو هود عليه السلام

{إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ}

جمع حِقْف، وهو في الأصل: ما استطال من الرّمل واعوج، ولم يبلغ أن يكون جبلاً. أو جمع حِقاف الذي هو جمع حقف. والمراد بها: منازلُ عاد الأولى باليمن. وكانت في شمال حَضْرَموت، وفي شمالها الرّبع الخالي، وفي شرقيّها عُمان، وموضعُها اليوم رمالٌ خالية، وكان أهلها من أشد الناس قوةً.

.22

قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (22)

{لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا}

لتصرفَنا عن عبادة آلهتنا إلى عبادة ما تدعونا إليه وإلى اتّباع قولك! أو لتزيلنا عن عبادتها بالافك والكذب [المائدة:75].

.23

قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (23)

.24

فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (24)

{رَأَوْهُ عَارِضًا}

أي رأوه سحابا عارضا في أفق السماء. والعرب تُسمِّي السحاب – الذي يُرى في بعض آفاق السماء عشيًّا، ثم يُصبح من الغد قد استوى وحبا بعضه إلى بعض –: عارضا؛ وذلك لعَرْضه في بعض أرجاء السماء حين نشأ.

.25

تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (25)

{تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ}

تُهلكُ كل شيء تمرُّ عليه

{بِأَمْرِ رَبِّهَا}

إيّاها بإهلاكه.

.26

وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (26)

{فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ}

أي في الذي لم يُمكنكم فيه من السَّعة والبسطة والقوة.

{فَمَا أَغْنَى}

فما دفع عنهم. {وَحَاقَ بِهِمْ}

نزل وأحاط بهم.

.27

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (27)

{وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ}

كرّرناها بأساليب مختلفة

{لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}

عمّا هم فيه من الكفر والمعاصي إلى الإيمان والطاعة؛ فلم يرجعوا.

.28

فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (28)

{فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ}

فهلا منعهم من الهلاك

{الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ}

أي الآلهة الذين اتخذوهم من دون الله

{قُرْبَانًا}

متقربا بها إلى الله في زعمهم؛ حيث قالوا: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمر:3] وأصلُه: كلُّ ما يُتقرب به إلى الله تعالى من طاعة أو نَسيكة، وجمعُه قرابين. وهو حالٌ من (آلهة) الواقعة مفعولاً ثانيا لـ (اتخذوا).

{وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ}

أي ضلالُ آلهتهم عنهم، أثَرُ إفكهم وكذبهم الذي هو اتخاذُهم إيّاها آلهة، وزعمُهم أنها تقرِّبهم إلى الله تعالى.

.29

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (29)

{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ .. }

أي واذكر لقومك إذا وجَّهنا إليك جماعةً من الجنِّ، وكانوا من جنِّ نصيبين من ديار بكر قرب الشام، أو من جنِّ نينوى قُرب الموصل. وكان عليه الصلاة والسلام يصلي بأصحابه صلاة الفجر بنخلة في طريق الطائف، بينها وبين مكَّة مسيرة ليلة، ويقرأ سورة العلق – وقيل سورة الرحمن – فاستمعوا للقرآن، ثم عادوا إلى قومهم منذرين.

{أَنْصِتُوا}

اسكتوا واصغوا لنسمعه.

{فَلَمَّا قُضِيَ}

فُرِغ من التلاوة. وعن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشعر بهم في هذه الواقعة، ولم يقصد ابلاغَهم القرآن، وإنما صادف حضورهم وقت قراءته، ويؤيده ظاهرُ آيةِ {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1)} [الجن]، وهم المعنِيُّون في هذه الآية. ولايعارضه مارُوي عن ابن مسعود من ذهابه صلى الله عليه وسلم إلى الجن، وإبلاغهم القرآن وإنذارهم به؛ فإنه في واقعة أخرى. بل دلت الأحاديث على أن وفادة الجن كانت ستَّ مرات، ولتعدد الوقائع اختلفت الروايات في عدد الجن الذين حضروا: وفي المكان والزمان. والمقصود من ذكر القصة: توبيخ كفار مكة، اذا كفروا بالقرآن وجحدوا أنه من عند الله، وهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن، ومع ذلك عجزوا عن معارضته، ومن جنس الرسول الذي جاء به، والجن – وهم ليسوا من أهل لسانه، ولا

من جنس الرسول – استمعوه وأنصتوا إليه، وآمنوا به بمجرد سماعه. والنَّفر – بفتحتين –: ما بين الثلاثة والعشرة، ويطلق على ما فوق العشرة إلى الأربعين.

.30

قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (30)

.31

يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (31)

.32

وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (32)

{فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ}

له فائت منهُ بالهرب.

.33

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (33)

{أَوَلَمْ يَرَوْا .. }

أي ألم يتفكروا ولم يعلموا {أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} أي العالَمْين العلوي والسُّفلي

{وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ}

لم يَتْعب ولم يَنْصب به؛ من عَيِيَ بالأمر وعيَّ –كفرح: إذا تعب، أو لم يعجز عنه ولم يتحيرَّ فيه؛ من عيي بأمره وعيَّ: إذا لم يهتد لوجهه، وانقطعت حيلته

فيه.

{بَلَى}

أي هو قادر على احياء الموتى.

.34

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (34)

{أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ}

أي أليس هذا العذابُ بالحق! وقد كنتم تقولون {وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (138)} [الشعراء]!

.35

فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (35)

{أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}

ذوُو الجدِّ والثَّبات، والصبر على الشدائد والأذى – في القيام بأعباء الرسالة. وأصح الأقوال: أنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبيُّنا محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم. وهم أصحاب الشرائع المذكورون في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (7)} [الاحزاب]. وقوله: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى .. } [الشورى:13].

{بَلَاغٌ}

أي هذا الذي وعظتم به كاف في الوعظ إذا تدبرتم فيه. أو تبليغٌ من الرسول لكم. أو هذا القرآن تبليغ من الله لكم على لسان رسوله.

والله أعلم.

سُورَة مُحمَّد

وتسمى سورة القتال

.1

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (1)

{الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ}

أي منعوا غيرهم عن الإسلام. ويدخل فيهم المُطْعِمون يوم بدر دخولاً أوّليًّا؛ من الصَّد. يقال: صده عن الأمر صدًّا، منعه وصرفه عنه؛ كأصدَّ. أو أعرضوا عن الإسلام، من الصُّدود. يقال: صدَّ عنه صُدوداً، أعرض.

{أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ}

أبطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ كالإنفاق الذي فعلوه في تلك الغزْوَة لمحاربته – بنصرته لرسوله صلى الله عليه وسلم وإظهار دينه على الدين كله أو جعل ما كانوا يعملونه من أعمال البر والمكارم ضلالا، أي غيرَ هدىً وغير رشاد؛ لأنهم عملوه على غير استقامة، من الضلال، وأصلُه العدول عن الطريق المستقيم وضدَّه الهداية.

.2

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (2)

{كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ}

محَا عنهم بإيمانهم وصالح عملهم سيئ أعمالهم قبل الإيمان فلم يعاقبهم عليه، من الكفر؛ وأصله ستر الشيء وتغطيته، واستعمل في المحو مجازا.

{وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ}

حالَهم وشأنهم في الدِّين والدنيا بالتوفيق والتّأييد.

.3

ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (3)

{كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ}

أي مثلَ ذلك البيان يبيّن الله للناس أحوال الفريقين وأوصافها الجارية في الغرابة مجرى الأمثال، وهي اتّباع المؤمنين الحقِّ وفوزُهم، واتّباع ألكافرين الباطل وخسرانهم.

.4

فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (4)

{فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا}

أمرٌ بجهادهم بعد بيان خسرانهم. والمرادُ بهم: المشركون ومن لا ذِمّة لهم من أهل الكتاب قرب.

{فَضَرْبَ الرِّقَابِ}

أي فاضربوا رقابَهم ضربًا في الحرب، فحُذف الفعل وأقيم المصْدر مقامه مضافا إلى المفعول به. وهو مجازٌ عن القتل، وعبّر به عنه لتصوير القتل بأبشع صورةٍ، وهو جَزُّ العنق واطارة العضو الذي هو رأس البدن وأشرف أعضائه.

{حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ}

أكثرتم فيهم القتل، وأوهنتموهم بالجراح، ومنعتموهم النهوض والحركة. يقال: أثْخنَ في الأرض اثخانا. سار إلى العدوِّ وأوسعهم قتلا. وأثخنته: أوهنته بالجراحة وأضعفته.

{فَشُدُّوا الْوَثَاقَ}

فأحْكِموا قيدَ من أسرتموهم، لئلا يُفلتوا منكم. والوَثاق – بالفتح والكسر – اسمٌ لما يوثق به كالقيد والحبل ونحوه. وجمعه وُثُق: كعناق وعُنق.

{فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً}

أي فإمّا تمنّون عليهم بعد الأسر، بالإطلاق منًّا، وإمّا تفدون فِداءً. والمنُّ: الإطلاقُ بغير عِوض. يقال: منَّ عليه إذا أثقله بالنعمة – واصطنع عنده صنيعة. والفِداء ما يفدى به الأسير من الأسر. والآية محكمةٌ على ما ذهب إليه جمهور الأئمة. وذهب الحنفية إلى أنها منسوخة باية {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة:5].

{حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا}

أوزار الحرب: الاتُها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها، كالسِّلاح والكُرّاع وغير ذلك من الآلات المعروفة في الحروب قديما وحديثا. ووضعها كناية عن انقضاء الحرب بهزيمة العدوّ أو بالموادعة، و (حَتى) عند الجمهور غايةٌ للضرب أو للشدّ، أو للمَنِّ والفداء معا، أو للجموع من قوله: (فضرب الرقاب) إلى آخره. بمعنى أن هذه الأحكام جارية فيهم، حتى لا تبقى حرب مع المشركين بزوال شوكتهم. وعند الحنفية غاية للمن والفداء إن حملت الحرب على حرب بدر: أي يَمنُّ عليهم ويفادون حتى تضع هذه الحرب أوزارها. وغاية للضرب والشّد إن حُملت على جنس الحرب؛ أي أنهم يُقتلون

ويؤسرون حتى لا تبقى حرب مع المشركين، بمعنى ألا يبقى لهم شوكة. وتفصيل المذاهب في الفقه.

{وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ}

أي ولكن أمركم الله بالقتال ليختبر بعضكم ببعض؛ فيمتحن المؤمنين بالكافرين تمحيصا للمؤمنين. ويمتحن الكافرين بالمؤمنين تمحيقا للكافرين.

{فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ}

فلن يبطلها بل يوفيهم ثوابها.

.5

سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (5)

.6

وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (6)

{عَرَّفَهَا لَهُمْ}

يهدي أهل الجنة إلى بيوتهم ومساكنهم، لا يخطئونها كأنهم ساكنوها منذ خُلقوا، وذلك بإلهام منه تعالى.

.7

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (7)

.8

وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (8)

{فَتَعْسًا لَهُمْ}

فهلاكاً لهم. يقالُ: تعِسَ – من باب مَنَع وسمِع – هَلك. أو إذا خاطبت قلت: تَعسَت، كمنعت. وإذا حكيت قلت: تَعِسَ، كسَمع. وأتعسه الله: أهلكه. و (تعساً) منصوبٌ على المصدر بفعل مُضمرٍ من لفظه، واللامُ لتبيين المخاطب؛ كما في سَقْيا له، أي أعني له.

.9

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (9)

{فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ}

فأبطلها لكراهتهم القرآن.

.10

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (10)

{دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}

أهلك ما يختص بهم من النّفس والأهل والمال. يقال: دمَّره الله، أهلكه. ودمّر عليه: أهلك ما يختص به؛ والثاني أبلغ. وأتى بـ (على) لتضمين التدمير معنى الإيقاع أو الهجوم ونحوه.

.11

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (11)

{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا}

ناصرهم على أعدائهم.

.12

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (12)

{وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ}

مسكنٌ لهم ومأوى، وجمعه مثاوِي.

.13

وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (13)

{وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ}

أي وكثيرٌ من قرية [آل عمران:146].

.14

أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (14)

.15

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (15)

{مَثَلُ الْجَنَّةِ}

أي صفتُها. مبتدأ خبره: (كَمن هُو خالدٌ في النار). أي أمَثَلُ الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار؟ وقُدِّر الاستفهام في المبتدأ لأنه مرتب على الإنكار السابق في قوله: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ}.

{غَيْرِ آسِنٍ}

غير متغيِّر الطعم والرّيح، لطول مكث ونحوه. وفعله من باب ضَرَب ودَخَل، وفي لغة من باب طَرِب.

{مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى}

خالص مما يخالطه. قيل: هو تمثيلٌ لما يجرى مجرى الأشربة في الجنة، بأنواع ما يُستطاب منها، أو يُستلذ في الدنيا بالتَّخلية عما يَنْقُصها ويُنَغِّصها، والتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها.

{وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا}

مفرطا في الحرارة، مكان تلك الأشربة اللذيذة التي لأهل الجنة.

.16

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (16)

{مَاذَا قَالَ آنِفًا}

أي مبتدئًا. أي ما القولُ الذي ائتنفه الآن قبل مفارقتنا له؟ منصوب على الحال من فاعل (قال). ومقصود المنافقين بهذا الاستهزاءُ لا الاستعلام الحقيقي. وهو اسم فاعل بتجريد فعله من الزوائد؛ لأنه لم يسمع له فعل ثلاثيٌّ، بل سُمع ائتنف يأتنف واستأنف يستأنف، بمعنى ابتدأ.

{طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ}

ختمَ الله عليها بالكفر؛ فلم تتّجه للخير.

.17

وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (17)

{وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}

أعانهم على تقواهم. أو أعطاهم جزاءها.

.18

فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ (18)

{فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ .. }

أي لم يذكّرهم باتيان الساعة ما مضى من أحوال الأمم وما جاء من أخبارهم. فما ينتظرون للتذكر إلا إتيان الساعة نفسها فجأة، إذ لم يبق من الأمور الموجبةُ للتذكرُّ سوى المفاجأة بها فقد ظهرت علاماتها ولم يرفعوا لها رأسا، فيكون إتيانها بطريق: المفاجأة لا محالة.

{أَشْرَاطُهَا}

: علاماتها، ومنها بعثته صلى الله عليه وسلم. جمع شَرَط – بالتحريك – وهو العلامة، وأصله الإعلام. يقال: أشرط فلا نفسه لكذا. أعلمها له وأعدّها؛ ومنه الشُّرطي – كتُرُكي وجُهَني – والجمع شرط. سمُّوا بذلك لأنهم أعلموا أنفسهم بعلامات يُعرفون بها.

{فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ}

فكيف لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة بغتةً؟.

.19

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (19)

{وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ .. }

أي استغفر الله مما يُعَدُّ بالنسبة لمنصبك ذنبا، وهو ترك الأوْلى بك، وهو الفَترات والغَفَلات من الذكر الذي كان شأنه صلى الله عليه وسلم الدوام عليه. فإذا فَتَرَ وغفل عن ذلك بالاشتغال بالنظر في مصالح المسلمين عدَّ ذلك ذنبا واستغفر

منه، وإن كان في ذاته من أعظم الطاعات وأشرف العبادات؛ وحسنات الأبرار سيئات المقربين.

{وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ}

أي كل متقلَّب لكم وكلَّ إقامة. والمراد: أنه يعلم جميع أحوالكم فلا يخفي عليه شيء منها. والمُتقلَّب: المُتصرَّف؛ من التَّقلب وهو التَّصرُّف. والمَثوى: المسكن والمأوى.

.20

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ (20)

{نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ}

أي كنظر المحتضَر الذي لا يَطرِف بصُره. والمراد: أنهم يشخصون نحوه بأبصارهم، وينظرون إليه نظرا شديدا من شدة كراهتهم للقتال معه، إذْ فيه عزٌّ للإسلام، ونصرٌ للرسول صلى الله عليه وسلم، وهم لها كارهون مبغضون.

{فَأَوْلَى لَهُمْ}

كلمة توَعُّد وتهدُّد. وهي فعل ماضي بمعنى قارَبَ. وفاعله ضميرُ الهلاك بقرينة السياق، واللام مزيدة: أي قارَبَهم ما يُهلكهم. أو اسم تفضيل بمعنى أحق وأحرى. خبرٌ لمبتدأ محذوف. واللام بمعنى الباء: أي العقابُ أجدر بهم وأحرى.

.21

طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (21)

{طَاعَةٌ}

مبتدأ {وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ} عطف عليها. والخبرُ محذوف، أي أمثل بكم من غيرهما. وقيل: (أوْلى) مبتدأ و (طاعةٌ) خبر و (لهم) متعلق بـ (أولى) واللام بمعنى الباء؛ أي أولى بهؤلاء المنافقين من النظر إليك نظر المغشى عليه من الموت: طاعة وقول معروف.

{عَزَمَ الْأَمْرُ}

جد ولزمهم الجهاد.

.22

فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22)

{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ}

أي فهل يتوقَّع منكم أيَّها المنافقون إن توليتم أمور الناس وكنتم حُكاماً {أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ} بما ترتكبون من المنكرات تناحُرًا على الولاية، وتكالبا على الدنيا

{وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ}

بالبغي والظلم والقتل!. وهو من عطف الخاص على العام. والاستفهامُ للتوبيخ والتقريع.

.23

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (23)

.24

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (24)

{أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}

أي بل على قلوب قاسية أقفالها؟، فهي لا تقبل التدبر والتفكر في الآيات!؟ والاستفهام للتقرير. والأقفالُ: جمع قفل وهو الحديد الذي يُغلق به الباب. والمرادُ: التسجيل عليهم بأن قلوبَهم مغلقة، لا يدخلها الإيمان، ولا يخرج منها الكفر.

.25

إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ (25)

{إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ}

رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر والضلال. وهم المنافقون.

{مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى}

بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة

{الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ}

زين هم ارتدادهم؛ من التسويل [يوسف:18].

{وَأَمْلَى لَهُمْ}

بفتح الهمزة، أي مدَّ لهم في الأماني والآمال، وأسباب الغواية والضلال؛ من " الإملاء وهو الابقاء ملاوة من الدهر، أي برهةً منه. وقُرئ "أُملي " بالبناء للمفعول، و "لهم" نائب الفاعل، والجملةُ مستأنفة، أي أُمهلوا ومُدَّ في أعمارهم.

.26

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (26)

{ذَلِكَ}

أي ارتدادهم

{بِأَنَّهُمْ}

أي بسبب أنهم

{قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا}

أي لبني قريظة والنَّضير من اليهود الكارهين لنزول القرآن على النبي صلى الله عليه؛ مع علمهم بأنه من عند الله حسدا وطمعا في نزوله على أحد منهم.

{وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ}

إخفاءهم ما يقولون. مصدرُ أسررت إسراراً، بمعنى كتمته.

.27

فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (27)

.28

ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (28)

.29

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ (29)

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ .. }

أي بل أحَسِب هؤلاء المنافقون، الذين في قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين: أن لن يُظهر الله أحقادهم الشديدة للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فتبقى مستورةً؟ والاستفهام للإنكار.

{أَضْغَانَهُمْ}

والأضغان: جمع ضِغْن، وهو الحقد الشديد. يقال: ضَغِن صدره ضغنا:– من باب تَعِب – حقد، والاسم الضَّغن. ومنه تضاغن القوم واضطَغَنوا، أي انطوَوْا على الأحقاد. وأصل الكلمة من الضَّغن، وهو الالتواء والأعوجاج في قوائم الدابة والقناة وكل شيء.

.30

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (30)

{فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ}

أي بِعلامات تسِمُهُم بها. يقال: سوَّم الفرس تسويماً، جعل له سيمه أي علامة.

{وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ}

لحنُ ألقول: أسلوب من أساليبه المائلة عن الطريق المعروفة؛ كأن يعدل عن ظاهره من التصريح إلى التعريض والإبهام. وكان المنافقون يصطلحون فيما بينهم على ألفاظ يخاطبون بها الرسول صلى الله عليه وسلم مما ظاهره حسن ويريدون به القبيح، وما ظاهره الاتباع وهم بخلاف ذلك. يقالُ: لحنت له ألحَن لَحْناً، إذا قلت له قولاً يفهمه عنك و يخفي على غيره؛ فلحنِه هو– بالكسر – أي فهمه. ويقال: فهمته من لحْن كلامه وفحواه ومعاريضِه بمعنى واحد.

.31

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (31)

{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ}

أي ولنعاملكم معاملة المختبر بالأمر بالجهاد وجوه من التكاليف الشاقة.

{حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ}

علما شهوديا يشهده غيرُنا، مطابقا لما نعلمه

علما غيبيا؛ فنستخرج منكم ما جُبلتم عليه مما لا يعلمه أحد منكم. أو عِلما يتعلق به الجزاء.

{وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ}

نظهرها ونكشفها.

.32

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (32)

{وَشَاقُّوا الرَّسُولَ}

أي عادوه وخالفوه وهم بنو قُريظة والنَّضير، أو قومٌ نافقوا بعد الإيمان، أو المُطْعِمون يوم بدر. وأصل المشاقَّة: أن تصير في شقٍّ غير شقّ صاحبك.

.33

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (33)

{وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ}

بارتكاب المعاصي، أو بالنفاق أو الرياء، أو المنّ بالإسلام أو بالعجب.

.34

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (34)

.35

فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (35)

{فَلَا تَهِنُوا}

لا تَضعُفوا عن قتال الكافرين الذين يصدون عن سبيل الله. وفعله كوَعَد وورِث وكرُم.

{وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ}

أي ولا تدعوهم إلى الصُّلح والمُسالمة خَوَرًا وإظهارا للعجز

{وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ}

في الحُجّة، الأغلبون بقوة الإيمان

{وَاللَّهُ مَعَكُمْ}

بنصره

{وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ}

لن ينقصَكم أجور أعمالكم. يقال: وتَرْتُ زيدا حقه – من باب وَعَد – نقصتُه. ووترتَ الرجل: إذا قتلتَ له قتيلا، أو سَلبت ماله وذهبت به. ومحل النّهي عن الدعوة إلى صلح الكفار ومسالمتهم إذا لم تكن بالمسلمين حاجة بهما؛ وإلا جاز الجنوح إلى السَّلم. وهو محمل قوله تعالى: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (61)} [الانفال].

.36

إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (36)

{لَعِبٌ وَلَهْوٌ}

باطل وغرور، لا ثبات لها ولا اعتدادَ بها، فكيف تمنعكم عن طلب نعيم الآخرة والسّعي إليه؟.

.37

إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ (37)

{إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ}

أي فيُجهدكم بطلبها كلها [أي بطلب اموالكم كلها].والإحفاءُ والإلحافُ: المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء. يقال: أحفاه في المسألة، إذا لم يترك شيئا من الإلحاح. وأحْفَى شاربه: استأصله وأخذه أخذا متناهيا. وأصلُه من أحْفَيْت البعير: جعلته حافيًا؛ أي مُنْسَجح الخفّ من المَشي حتى يرق.

{تَبْخَلُوا}

بها فلا تعطُوها.

{وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ}

ويظهر أحقادكم؛ لمزيد حُبكم للمال.

.38

هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (38)

{وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ}

أي يبخل عن داعي نفسه لا عن داعي ربّه، أو يبخل على نفسه. يقال: بخل عليه وعنه – كفَرِح وكرُم – بمعنى؛ لأن البخل فيه معنى المَنع والإمساك، ومعنى التضييق على من منع عنه المعروف، فعُدِّي

بـ "عن" نظرا للأول، وبـ " على نظرة الثاني.

والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الفَتْح

نزلت في السفر بين مكة والمدينة بعد صرفه صلى الله عليه – وسلم من الحديبية في ذي القعدة، سنة ست من الهجرة عند كُرَاعِ الغَميم [موضع على ثلاثة أميال من عَسفان التي على مرحلتين من مكة] أو عند ضَجْنان [بوزن عطشان، جبل قرب مكة]. فقرأها صلى الله عليه وسلم على الناس وهو على راحلته وقال: لقد أنزلت عليّ الليلة سورة أحَبُّ إلى من الدنيا وما فيها [أخرجهُ البخاري]. وقد طلب المشركون من رسول الله صلى الله عليه وسلم الموادعة على اثر مناوشات ظهر لهم فيها أن المصلحة في الصلح. وتمّ على شروط قد تبدُو في ظاهرها مجحفة بالمسلمين، ولكنها في الواقع كانت خيرا عظيما لهم، وشرا على الشرك والمشركين.

.1

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1)

{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا}

إخبارٌ عن صلح الحُدَيْبية؛ عند الجمهور. وسُمِّيَ هذا الصُّلح فتحاً لاشتراكهما في الظهور على المشركين، فإنهم ما سألوا الصُّلح إلا بعد أن ظهر المسلمون عليهم ورمَوْهم بسهام وحجارة. وقيل: هو إخبار عن فتح مكة، والتعبير عنه بالماضي قبل وقوعه لتحققه. قال ابن عطيّة: والقولُ الأوّل هو الصحيح.

.2

لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (2)

{لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ}

هو كناية عن عدم المؤاخذة. أو المرادُ بالذنب: ما فرط من خلاف الأوْلى بالنسبة إلى مقامه صلى الله عليه وسلم؛ فهو من باب: حسنات الأبرار سيئات المُقربين. أو المراد بالغفران: الحيلولة بينه وبين الذنوب كلها، فلا يصدر منه

ذنب، لأن الغَفْر هو السَّتر. والسَّتر إما بين العبد والذنب، وهو اللائق بمقام النبوة. أو بين الذنب وعقوبته، وهو اللائق بغيره. واللام في (لِيَغْفِرَ) للعلة الغائية؛ أي أن مجموع المتعاطفات الأربعة غايةً للفتح المبين ومُسَّببٌ عنه لا كلُّ واحد منها. والمعنى: يسرنا لك هذا الفتح لإتمام النعمة عليك، وهدايتك إلى الصراط المستقيم، ولنصرك نصرًا عزيزا. ولما امتن الله عليه بهذه النِّعم صدَّرها بما هو أعظم، وهو المغفرة الشاملة، ليجمع له بين عِزَّي الدنيا والآخرة، فليست المغفرة مسبَّبةً.

.3

وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (3)

.4

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (4)

{أَنْزَلَ السَّكِينَةَ .. }

هو أوجد الطمأنينة والثبات في قلوبهم بهذا الصلح الذي ترتب عليه الأمن بعد الخوف، ليزدادوا يقينًا على يقينهم.

{وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}

يدبّر أمرها كما يشاء؛ فيسلط بعضها على بعض تارةً، ويوقع بينها السّلم والصُّلح أخرى: حسبما تقتضيه مشيئته ومن ذلك هذا الصلح العظيم.

.5

لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا (5)

{لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ .. }

أي دَبَّر ما دَبَّر ليشكر المؤمنون نعمته تعالى فيدخلهم الجنة، وليتغيّظ أعداؤهم فيعذبهم بالنار. {وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ} يغطيها، والمراد يمحو أثرها ولا يعاقب عليها.

.6

وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (6)

{وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ}

أي ظن الأمر الفاسدِ المذموم، وهو أن الله تعالى لا ينصر رسوله والمؤمنين، وأنهم لا يرجعون إلى المدينة أبدا لاستئصالهم بمكة.

{عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ}

دعاء عليهم بأن يحيق بهم ما تربصوه بالمؤمنين. والدائرةُ في الأصل: الخط المحيط بالمركز، ثم استعملت في النازلة المحيطة بمن نزلت به؛ الا أن أكثر ما تُستعمل في المكروه.

.7

وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (7)

.8

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (8)

.9

لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (9)

{وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ}

تنصروه وتعظموه. وقيل: التَّعزيرُ: النُّصرة مع التعظيم. والتَّوقير: التعظيم والإجلال والتفخيم والضميران لله تعالى؛ بقرينة قوله: {وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} أي تُنزهوهُ عما لا يليق به، أو تصلُّوا له تعالى غُدْوة وعشيّا. والمراد ظاهرهما أو جميع النهار. ويُكنى عن جميع الشيء بطرفيه، كما يقال: شرقاً وغرباً لجميع الدنيا.

.10

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (10)

{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ}

بيعة الرضوان بالحُدَيْبية على ألا يَفِرُّوا.

{إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ}

أي يطيعونه؛ لأن المقصود من البيعة طاعة الله وامتثال أمره. وعُبِّر عن ذلك بالبيعة مشاكلةً.

{يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ}

مذهب السلف في هذه الآية ونظائرها من آيات الصفات ما بيناه في المقدمة. والخَلَف يؤوّلون اليد بالقوة؛ أي قوة الله ونصرتُه فوق قوتهم ونصرتهم، كما يقال: اليدُ لفلان: أي الغلبة والنصرة والقوة له، أو يَدُ الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم؛ كما روي عن ابن عباس رضي الله عنها.

{فَمَنْ نَكَثَ}

نقض العهد بعد إبرامه؛ كما تُنكثُ خيوط الصوف المغزول بعد ابرامه. وأصله من النِّكث – بالكسر – وهو أن تُنقض أخلاق الأكسية البالية فتغزل ثانية.

{وَمَنْ أَوْفَى}

يقال: وفَى بالعهد وأوفي به، إذا تممه.

{عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ}

بضم الهاء في"عليهُ"، توصلا إلى تفخيم لفظ الجلالة، الملائم لتفخيم أمر العهد المُشعر به الكلام. وقُرئ بكسرها لمناسبة الياء نقله العلامة الألوسيّ. .

.11

سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (11)

{الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ}

أي الذين خلّفهم الله عن صُحبتك، والخروج معك إلى مكة مُعتَمِرا عام الحُديْبِية؛ حين استنفرتهم ليخرجوا معك حَذراً من قريش أن يعرضوا لك بحرب أو يصدُّوك عن البيت، فتثاقلوا عنك وتخلفوا، وخافوا القتال وقالوا: لن يرجع محمد وأصحابه من هذه السفرة، ففضحهم الله بهذه الآية، وأعلمَ رسوله بقولهم واعتذارهم قبل أن يرجع إليهم؛ فكان كذلك. و (الْمُخَلَّفُونَ) جمع مخلَّف، وهو المتروك في مكان خَلْف الخارجين من البلد كالنساء والصبيان. والأعرابُ: سكَّان البادية، والمراد بهم: غفار ومُزيْنة وجُهيْنة وأشجع وأسْلم والدّيل.

.12

بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (12)

{لَنْ يَنْقَلِبَ}

لن يعود إلى المدينة.

{وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا}

أي وكنتم في علم الله تعالى قوما هالكين فاسدين، لا تصلحون لشيء من الخير؛ من بارَ الشيءُ: هلك وفَسَد. وبُور في الأصل: مصدر كالهُلك يوصف به المفرد والمُثنى والجمع، والمذكَّر والمؤنث، واستعمل هنا مؤولا باسم الفاعل. وقيل: جمع بائر: كحائل وحُول.

.13

وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا (13)

{سَعِيرًا}

نارا مسعورة، موقدة ملتهبة. يقال: سَعَرت النار – من باب مَنَع – أوقدتُها وهيجتُها؛ كسعَّرتها وأسعرتُها.

.14

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (14)

.15

سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا (15)

{سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ .. }

وعد الله أهل الحُدَيبية أن يعوّضهم من مغانم مكة مغانمِ خَيْبر إذا قفلوا موادعين لا يصيبون منها شيئا. وقد رجع منها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الصلح في ذي الحجة، وأقام بالمدينة بقيته وأوائل الُمحرم من سنة سبع، ثم غزا خَيْبر بمن شَهِد الحديبية ففتحها، وغنم أموالا كثيرة فخصهم بها كما أمره الله تعالى. أي سيقول: أولئك الأعراب المتخلفون عن الخروج معك إذا انطلقتم إلى مغانم خيبر لتأخذوها: {ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ}

اتركونا نخرج معكم لخيبر ودعونا نتبعكم ونشهد معكم قتال أهلها. تقول: ذَره. أي دعْه. وهو يَذَرُه: أي يَدعُه. ولم يُستعمل منه الماضي والمصدر واسم الفاعل؛ اكتفاء بقولهم: تركه تركا وهو تارك.

{كَلَامَ اللَّهِ}

وَعْدَه أهل الحديبية خاصّه بغنائم خيبر؛ كما قال تعالى: { .. وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (18) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (19)} [الفتح].

.16

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (16)

{أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ}

ذوى نجدة وشدّة في الحرب وهم فارس أو الروم، أو هوازن وغَطَفان يوم حُنَين، أو بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب.

.17

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (17)

{لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ .. }

ليس على هؤلاء إثم في التخلف عن الجهاد؛ لما بهم من الأعذار والعاهات المرخّصة لهم في التخلف عنه.

.18

لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (18)

{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ}

هم أهل الحُدَيْبية؛ الا جَدُّ بن قيس المنافق الذي لم يبايع. وكانت عدتُهم أربعمائة وألفا في قول. وتُسمَّى هذه البيعة بيعة الرضوان: أخذا من هذه الآية.

{يُبَايِعُونَكَ}

بيعة الرضوان بالحديبية.

{تَحْتَ الشَّجَرَةِ}

والشَّجرةُ كانت سَمُرة، والمشهور أن الناس كانوا يأتونها فيصلون عندها؛ فأمر عمرُ – رضي الله عنه – بقطعها خشية الافتتان بها لقرب العهد بالجاهلية.

{فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا}

هو فتح خيبر وغنائمها. وكان اثر انصرافهم من الحديبية.

.19

وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (19)

{ .. وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا}

هو فتح خيبر وغنائمها. وكان اثر انصرافهم من الحديبية.

.20

وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (20)

{وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ}

أي أيديَ أهل خيبر وحلفائهم من بني أسد وغطفان حين خفُّوا لنصرتهم، فقذف الله في قلوبهم الرُّعب فَنَكصوا على أعقابهم مدبرين.

.21

وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (21)

{وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا}

أي وعجّل لكم مغانمَ

أخرى، وهي مغانم هوازن في غزوة حُنَين؛ لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجَوْلة قبل ذلك.

{قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا}

قَدَر عليها واستولى؛ فأظهركم عليها.

.22

وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (22)

.23

سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (23)

.24

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (24)

{بِبَطْنِ مَكَّةَ}

أي بالحُدَيبية. والمراد بمكة: الحَرَم والحديبية منه، أو هي ملاصقة له.

{أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ}

أظهركم عليهم وأعلاكم.

.25

هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (25)

{وَالْهَدْيَ}

أي وصَدُّوا الهَدْيَ وهو ما يهدى إلى البيت المعظم، وكان سبعين بَدَنة على المشهور، وقيل، كان مائة بدنة.

{مَعْكُوفًا}

محبوسا. يقال: عَكَفه يَعكُفُه ويعكِفُه عَكْفاً، حبسَه. وعكف عليه عُكوفا: أقبل عليه مواظبا.

{مَحِلَّهُ}

أي مكانه المعهود. وللفقهاء فيه تفصيل.

{وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ .. }

أي ولولا كراهة أن تُهلكوا أناساً مؤمنين بين ظهراني الكفار بمكة جاهلين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروهٌ لَمَا كف أيديكم عنهم، وكان بمكة من ضعفاء المؤمنين تسعةُ نفر: سبعة رجال وامرأتان. ولو لم يكف الله أيديَ المؤمنين عن كفار مكة في ذلك اليوم، لانجرَّ الأمرُ إلى إهلاك هؤلاء بين ظهرانيهم فيصيب المؤمنين من ذلك مكروه.

{أَنْ تَطَئُوهُمْ}

أي تدوسوهم، والمراد تهلكوهم، بدل من ضمير " تعلموهم".

{مَعَرَّةٌ}

أي مكروه وأذى، والمراد به: السُّبة، إذ يقول المشركون: إنهم قتلوا من هم على دينهم. يقال: عرَّه يعُرّه عرّا إذا أصابه بمكروه؛ والمعرَّة مَفْعلة منه. وجواب: (لولا) محذوف تقديره ما ذكرنا.

{لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ}

أي فعل ما ذُكر من الكف رحمة بأولئك المستضعفين الذين كانوا بمكة بين ظهراني المشركين، فيتمّم لهم أجورهم بإخراجهم من بينهم، وفَك أسرهم ورفع العذاب عنهم.

{لَوْ تَزَيَّلُوا}

أي لو تميّزوا عن الكفار وخرجوا من مكة. يقال: زِلتُه زَيْلا، أي مِزْتُه. وزَيَّله فتزيل: فرَّقه فتفرق.

{لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}

بالقتل والسَّبي. و (منهم) للبيان لا للتبعيض والجملة مقررة لما قبلها.

.26

إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (26)

{الْحَمِيَّةَ}

الأنفة والتكبُّر. يقال: حَمي من: الشيء – كرضي – حَمِيّة، أنِفَ منه.

{سَكِينَتَهُ}

الاطمئنان والوقار.

{وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى}

أي الكلمةَ التي يُتَّقى بها الشرك، والعذاب، وهي كلمة التوحيد والإخلاص. ورُويَ أنها: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير).

.27

لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (27)

{لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ .. }

أي حقّق رؤياه بالحق، وذلك في عُمرة القضاء. وكان صلى الله عليه وسلم رأى في منامه قبل الحُدَيبية كأنه هو وأصحابه حلقوا وقصّروا؛ فأخبر بها أصحابه ففرحوا، وحَسبوا أنهم سيدخلون مكة عامهم ذلك، فلما رجعوا من الحديبية دون أن يدخلوا مكة قال المنافقون: والله ما حَلَقْنا ولا قصّرنا ولا دخلنا المسجد الحرام؛ فأنزل الله هذه الآية. ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المسجد الحرام آمنين في العام القابل، وحلق بعضهم وقصر بعضهم بعد سَعْي العُمْرة،

{فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا}

من المصلحة في الصلح عام الحديبية وفي عدم دخولكم مكة فيه.

{فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ}

أي من قبل دخولكم الحرم

{فَتْحًا قَرِيبًا}

هو فتح خَيْبر، يقويكم به على أعدائكم، أو هو صلح الحديبية، أو هما، ورجحه الطبريُّ.

.28

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (28)

{لِيُظْهِرَهُ}

ليعليه و يقويه.

.29

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (29)

{سِيمَاهُمْ}

علامتُهم، وهو نور يجعله الله يوم القيامة. أو حُسْن سَمْت يجعله الله في الدنيا.

{فِي وُجُوهِهِمْ}

في جباههم يُعرفون به {مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ}.

{ذَلِكَ مَثَلُهُمْ}

أي ذلك المذكور من نعوتهم الجليلة، هو وصفُهم العجيب الشّأن، الجاري مجرى الأمثال {فِي التَّوْرَاةِ}، {وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ} مبتدأ، خبره:

{كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ}

والشَّطءُ: فروخُ الزرع، وهو ما خرج منه وتفرع في شاطئيه أي جانبية، وجمعُه أشطاء وشُطوء. يقال: شطَأَ الزرع وأشطأ. إذا أخرج فراخه.

{فَآزَرَهُ}

أي فقوى ذلك الشطءُ الزرع. وأصله من شدّ الإزار. يقال: أزرته، اي شددت إزاره. وآزرت البناء – بالمد والقصر –: قوّيت أسافله.

{فَاسْتَغْلَظَ}

فتحول من الدقة إلى الغلظ.

{فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ}

فاستقام على قصبه وأصوله. جمع ساق؛ نحو لُوب ولابَةٍ.

{يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ}

لقوته و غلظه وحسن هيئته؛ وإذا أعجب أهل الزرع أعجب غيرهم بالأولى. وهو مثل ضربه الله للصحابة رضي الله عنهم. قَلُّوا في بدء الإسلام ثم كثروا واستحكموا، فعظم أمرهم يوما بعد يوم، بحيث أعجب الناس. وقيل: هو مثل للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه: فالزَّرعُ: النبي صلى الله عليه وسلم، قام وحده حين بُعث. والشطءُ: أصحابُه قواه الله بهم كما يقوّي: الطاقة الأولى ما يحتَفُّ بها مما يتولد منها.

{لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ}

عِلَّة لما أفاده تشبيههم بالزَّرع؛ من نمائهم وقوتهم رضي الله عنهم وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

والله أعلم.

سُورَةُ الحُجُرات

بِسمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

.1

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (1)

{لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}

لا تقطعوا أمراً، وتجترئوا على ارتكابه قبل أن يحكم الله تعالى ورسولُه صلى الله عليه وسلم به ويأذَنَ فيه. وهو إرشاد عامٌّ في كل شيء، ومنعٌ من الافتئات على الله ورسوله في أيّ أمر. و"تُقَدِّمُوا" من قدَّم المتعدي. تقول: قدّمت فلانا على فلان، جعلته متقدما عليه. وحُذف مفعولُه قصدا إلى التعميم. و (بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) تمثيل للتعجُّل في الإقدام على قطع الحُكم في أمر من أمور الدين بغير إذن من الله ورسوله –بحالة من تقدّم بين يدي متبوعه إذا سار في طريق ; فإنه في العادة مستهجن. أو المرادُ: بين يدي رسول الله، وذُكر لفظ الجلالة تعظيما للرسول، و إشعاراً بأنه من الله تعالى مكان يوجب إجلاله.

.2

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (2)

{لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ}

نَهيٌ عن زيادة صوتهم على صوته في المكالمة.

{وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ}

نهي عن مساواة أصواتهم بصوته صلى الله عليه وسلم في المكالمة؛ فإن ذلك شأن الأقران والنُّظراء. والمراد بالنهيين: أن يجعلوا أصواتهم في مخاطبته أخفض من صوته صلى الله عليه وسلم ويتعهدوا في مخاطبته الخفض القريب من الهمس، كما هو الأدب عند مخاطبة المهيب المعظَّم.

{أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ}

أي خشية أن يبطل ثواب أعمالكم بفعل المنهي عنه.

.3

إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (3)

{إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ}

يخفضونها إجلالاً له صلى الله عليه وسلم. يقالُ: غض من صوته وغضَّ طرْفه، خفضه. وكلُّ شيء كففته فقد غضضته وباب الكل ردّ.

{أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}

أخلصها للتقوى، أي جعلها خالصة لها، فلم يبق لغير التقوى فيها حقٌّ، كأن القلوب خَلَصت ملكا للتَّقوى، وأصله من امتحان الذهب و إذابته

ليخلص إبريزُه من خَبثه ويُنقّى، واستُعير لما ذكر لتخليص القلوب فيه من جميع الشوائب. نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنها: فقد كان أبو بكر بعد نزول الآية السابقة لا يكلم النبي صلى الله عليه وسلم إلاكأخي السِّرار، وكان عُمر إذا تكلم عند الرسول صلى الله عليه وسلم لم يسمع كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته.

.4

إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (4)

{إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ .. }

أي حجرات نسائه صلى الله عليه وسلم. جمع حُجْرة، وهي القطعة من الأرض المحجورة، أي الممنوعة من الدخول فيها بحائط أو نحوه. نزلت في وفد بني تميم، وكانوا أعرابا جفاة. قَدِموا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتوا منزله فنادوه من وراء الحجرات بصوت جاف: يا محمد، أُخرج إلينا! ثلاثا.

{أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}

لا يجرون على مقتضى العقل من مراعاة الأدب مع أعظم خلق الله تعالى. وعُبِّر بالأكثر لأن منهم من لم يقصد ترك الأدب؛ بل نادى لأمرٍ ما.

.5

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5)

.6

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (6)

{إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ}

وهو مَن أخلّ بشيء من أحكام الشرع بترك مأمور به، أو فعل منهيّ عنه.

{فَتَبَيَّنُوا}

أي اطلبوا البيان والمعرفة. وقرئ "فتَثبتوا" وهو قريب منه. أي إن أخبركم فاسق خبر فتعرفوا صدقه، وتثبتوا منه خشية أن تصيبوا قوما بمكروه بسبب جهالتكم الحال؛ فتندموا على ما فعلتم بهم، متمنين أنه لم يقع منكم. والنَّدم: الغمُّ على وقوع شيء مع تمنى عدم وقوعه.

.7

وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7)

{لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ}

أي لو يطيعكم في كثير من الأخبار، وهو الباطل منها، فيرتب عليه أحكامه لوقعتم في الجَهد والتّعب، أو في الإثم والهلاك، ولكنه صلى الله عليه وسلم لا يطيعكم في غالب ما تخبرونه به قبل التبين والتثبت، ولا يسارع إلى العمل بما يبلغه قبل النظر فيه. والعَنَت: الوقوع في أمر شاق، والإثم. يقال: عَنِت فلان – من باب طَرِب – عَنَتا، إذا وقع في أمر يخاف منه التَّلف. والخطاب لغير الكُمَّل من المؤمنين.

{وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ}

والمحبب إليهم ذلك هم الكمَّل منهم.

.8

فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (8)

.9

وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (9)

{وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا .. }

أي تقاتلوا

{فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}

وجوبا بالنصح وإزالة الشبهة وأسباب الخصام، والدعاء إلى حكم الله تعالى. والخطابُ الأولى الأمر.

{فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى}

تعدت عليها بغير حق، وأبتِ الصّلح والإجابة إلى

حكم الله

{فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ}

أي ترجع إلى حُكمه

{فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ}

بفصل ما بينهما على حُكم الله، ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما، عسى أن يكون بينهما قتال فيما بعد

{وَأَقْسِطُوا}

اعدلوا في كل أمر؛ وهو تأكيد لقوله " بالعدل ".

{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}

العادلين، فيجازيهم أحسن الجزاء.

.10

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (10)

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ .. }

يجمعهم أصل واحد، وهو الإيمان؛ كما يجمع الإخوة أصل واحد وهو النسب. وكما أن أخُوَّة النَّسب داعية إلى التواصُل والتراحم والتَّناصر في دفع الشر وجلب الخير؛ كذلك الأخوّة في الدِّين تدعو إلى ذلك، بل هي أدعى إليه؛ لأنها في الله عز وجل!.

.11

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11)

{لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ}

لا يحتقر بعض المؤمنين بعضا، ولا يهزا بعضُهم من بعض؛ من السُّخرية، وهي احتقار الإنسان قولاً أو فعلاً بحضرته على وجه يُضحك. يقالُ: سخرت منه سَخْرا – من باب تعب – ومسْخراً وسُخُراً – بضمتين – هزأت به. والاسمُ السُّخريَّةُ. رُويَ أنها نزلت في قوم من بني تميم سَخِروا من بلال وعمار وصُهيب وأمثالهم لما رأوا من رثاثة حالهم.

{وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ}

لا يَعِبْ بعضكم بعضا بقول أو إشارة، سواء أكان على وجه يُضحكُ أم لا، وسواء , أكان بحضرته أم لا. واللَّمْزُ: العيبُ. وفعله من باب ضَرَب ونَصر. وعُطِف هذا النهي على ما قبله من عَطْف العام على الخاصّ.

{وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ}

لا يَدْعُ بعضُكم بعضا بما يستنكره من الألقاب. والتَّنابُز: التعاير والتداعي بالألقاب. يقال: نَبَزه يَنْبِزه، لقَّبه كَنَبزَه. والنَّبزُ بالتحريك: اللقب، محبوبا كان أو مكروها. وخصَّ عُرفا بالمكروه.

{بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ}

أي بئس الذّكر للمؤمنين بسبب ارتكاب واحد من هذه الأمور الثلاثة القبيحة – أن يُذكروا بالفسوق بعد اتصافهم بالإيمان.

.12

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (12)

{اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ}

أي تباعدوا منه. نُهُوا عن ظنون السُّوء بأهل الخير من المؤمنين، التي لا تستند إلى دليل أو أمارة صحيحة وسبب ظاهر، وإنما هي مجرد تُهَم؛ مع كون المظنون به ممن شُوهد منه التَّستر والصلاح، وأُونست منه الأمانة في الظاهر.

وفي الحديث: (إن الله تعالى حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يُظنَّ به ظن السوء) [رواه البيهقي]. وأما من يلابس الرِّيب، ويجاهرُ بالخبائث فلا يحرم سوءُ الظن فيه، وإن لم يره الظانُّ متلبسا بها.

{إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ}

أي مؤثِم. والإثمُ: الذّنب الذي يستحق العقوبة عليه: يقال: أثم يأثَم إثما فهو آثم، أي مرتكب ذنبا، وبابه عَلِم.

وهذا البعضُ هو الكثير المأمور باجتنابه.

{وَلَا تَجَسَّسُوا}

أي خذوا ما ظهر، ولا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم، وما ستروه من أمورهم؛ فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جَوْف بيته. وقُرِئ "تحسَّسوُا " بالحاء، من الحَس الذي هو أثر الجس وغايتهُ. وقيلَ التجسُّس بمعنى، وهو تعرُّف الأخبار.

{وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا}

نُهوا عن الغيبة وهي ذِكرُ العَيْب بظَهْر الغيب. يقال: اغتابه اغتياباً، إذا وقع فيه. والاسمُ الغِيبة، وهيَ من الكبائر.

{أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا}

تمثيل لما يناله المُغتاب من عِرض المغتاب على أفحش وجه.

{فَكَرِهْتُمُوهُ}

تقرير لذلك أي فقد كرهتموه فلا تفعلوه. أو عُرض عليكم ذلك فكرهتموه.

13.

يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)

{إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى}

أي من آدم وحواء فأنتم في ذلك سواء؛ فلا محل للتفاخر بالأنساب. وقد كانوا يتفاخرون بها ويزدرون بالضعفاء والفقراء.

{وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ}

جمعُ شَعب، وهو الجمع العظيم المنسوبون إلى أصل واحد، وهو يجمع القبائل. والقبيلةُ تجمع العمائر، والعِمارة تجمع البطون، والبَطنُ يجمع الأفخاد، والفَخذ تجمع الفصائلَ، والفصيلة تجمع العشائر.

{لِتَعَارَفُوا}

ليعرف بعضكم بعضا، فتَصِلوا الأرحام وتتبيّنوا الأنساب وتتعاونوا على البِر؛ لا للتفاخر والتطاول بالآباء والقبائل.

{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}

أي إن أرفعكم منزلة لديه عزّ وجلّ في الدنيا والآخرة هو الأتقى، فإن فاخرتم ففاخروا بالتقوى. وفي الحديث: (يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، لا فضل لعربي على عجمي. ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى، ألا هل بلّغتُ قالوا بلى يا رسول الله! قال:- فليبلغ الشاهدُ الغائب) [رواه البيهقي].

.14

قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (14)

{قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا}

من الإيمان، وهو التصديق مع الثقة وطُمأنينة القلب، نزلت في بني أسَد بن خُزيمة، وقد أظهروا الإسلام نفاقا؛ طمعا في المغانم، وكانوا يمنُّون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامهم.

{قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا}

بقلوبكم

{وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا}

من الإسلام، وهو الانقياد الظاهرِيّ بالجوارح. والذين أسلموا بظواهرهم ولم يؤمنوا بقلوبهم هم المنافقون.

{وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ}

أي لم يدخل فيها،

ولكنهُ متوقعٌ منكم؛ وقد آمنوا كلُّهم أو بعضهم.

{يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا}

لا يَنقُصكم من أجور أعمالكم شيئا من النقص. يقالُ: لاتَه حقُّه كباعه – نقصه.

.15

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (15)

.16

قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (16)

{أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ}

أتخبرونه بقولكم آمنا.

.17

يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (17)

.18

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18)

والله أعلم

سُورَةُ ق~

بِسمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

.1

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (1)

{ق~}

من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه. وقيل: اسمٌ من أسمائه تعالى أقسم به، أو اسمٌ من أسماء القرآن، أو اسمٌ للسُّورة.

{وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ}

أي أُقسم بالقرآن المجيد إنا أنزلناه إليك لتُنذر به الناس، وحُذف جواب القسم للدلالة عليه بقوله: {بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ}. و (المجيد) الكريم على الله، الكثير الخير. فكلُّ من طلب منه مقصوداً وجده فيه، وكل من لاذ به استغنى به عن غيره؛ وإغناء المحتاج غاية الكرم. مأخوذٌ من المَجد؛ وهو السعة في الكرم. وأصلُه من مَجَدتْ الإبل وأمجدَتْ: إذا وقعت في مرعى كثير واسع.

.2

بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (2)

{بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ}

يُخوّفهم بالقرآن عذاب اليوم الآخر إذا أصرُّوا على كفرهم، وهو إضرابٌ عما يدلّ عليه جواب القسم؛ أي فلم يؤمنوا بل قابلوا المُنذِر والمنذَر به بالإنكار والتعجب.

{فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ} أي البعث الذي أنذر به محمد، أمرٌ يُتعجَّب منه. ثم قرروا التعجب بقولهم: {أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا} أي أحين نموت ونصير ترابا نرجع كما يقول!؟

.3

أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (3)

{أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا}

أي أحين نموت ونصير ترابا نرجع كما يقول!؟

{ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ}

أي البعثُ بعد الموت رجعٌ بعيد عن الأفهام أو العادة، أو الإمكان. يقالُ: رجعتُه أرجعه رجْعا. ورجَعَ هو يرجع رُجوعاً.

.4

قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (4)

{قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ}

أي ما تأكل الأرض من أجسادهم بعد الموت؛ فكيف يستبعِدون أن نُرجعهم أحياء كما كانوا؟

{وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ}

أي وعندنا مع علمنا بذلك كتابٌ حافظ لتفاصيل الأشياء كلّها، كلياتها وجزئياتها. ومنها أجزاؤهم وعددهم وأسماؤهم وأعمالُهم. وهو تأكيدٌ لعلمه تعالى بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده سبحانه.

.5

بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ (5)

{بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ}

أي بل جاءوا بما هو أفظعُ من تعجُّبهم، وهو تكذيبهم بالنبوة الثابتة بالمعجزات الظاهرة؛ من غير تفكُّر وتدبُّر – المستلزم لتكذيب أنباء البعث والتوحيد وغيرهما.

{فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ}

مختلط أو فاسدٍ، أو قلق مضطرب. يزعمون مرة أن النبيَّ لا يكون بشرا، وأخرى أن الأحق بالنبوة أهل الجاه والثَّراء، ويزعمون مرة أن النبوة سحر، وأخرى أنها كهانةٌ، ويستبعدون البعث، ويتعجبون منه مرة، ويجحدونه أخرى، فأي اضطراب أشنع من هذا!؟ يقال: مَرِج الدِّين والأمر– من باب طَرِب – اختلط، ومرِجت أمانات الناس: فسدت، مَرِج الخاتم في أصبعه: إذا قَلق من الهُزال.

.6

أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (6)

{أَفَلَمْ يَنْظُرُوا .. }

شروع في بيان بعض أدلة القدرة التامة على البعث، ردًّا لاستبعادهم إياه. وهو سبعة أدلة: أي أغَفَلوا أو أعَمُوا فلم ينظروا – حين أنكروا البعث – إلى السماء فوقهم كيف أحكمنا بناءها. ورفعناها بغير عمد، وزيّناها بالكواكب.

{وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ}

شقوق وفُتوق وصُدوع. جمع فَرْج، وهو الشق بين الشيئين. والمرادُ: سلامتُها من كل عيب وخلل.

.7

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7)

{وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا}

بسطناها في رأي العين، وهذا لا ينافي كرويّتها لمكان عِظَمها؛ كما أسلفناهُ مرارا.

{وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ}

جبالا ثوابت تمنعها من المَيَدان والاضطراب، جمع راسية.

{وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}

من كل نوعٍ من النبات حَسَنٍ يسُرُّ الناظرين؛ من البَهْجة وهي الحُسْن. يقال: بَهُج – كظرُف – فهو بهيج، أي حسن.

.8

تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (8)

{لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ}

راجع إلى ربه بالتدبُّر في بدائع صنعته، ودلائل قدرته.

.9

وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (9)

{مَاءً مُبَارَكًا}

كثير المنافع.

{وَحَبَّ الْحَصِيدِ}

أي حبَّ النبات الذي من شأنه أن يُحصد كالقمح والشعير؛ والإضافةُ لأدنى ملابسية، وخَصَّ بالذكر لأنه المقصود بالذات.

.10

وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (10)

{وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ}

وأنبتنا به النخل طوالا؛ من البُسوق وهو الطول. يقال: بَسقَ فلان على أصحابه – من باب دخل – علاهم وطال عليهم في الفضل. والنَّخلُ اسم جنس يذكر ويؤنث ويجمع. وخُصّ بالذكر لمزيد فضله وكثرة منافعه.

{لَهَا طَلْعٌ}

أي للنخل الباسقات طلعٌ وهو الكُفُرَّي [الكُفُرَّي هي ما يطلع من النخلة ثم يصير ثمراً إن كانت أنثى.] قبل أن ينبسق.

{نَضِيدٌ}

منضود، أي متراكب بعضه فوق بعض؛ من نَضَد المتاع يَنْضِدُه: إذا وضع بعضه فوق بعض، كنضَّده.

والمراد: كثرة ما فيه من مادّة التّمر.

.11

رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (11)

{وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا}

أرضا جَدْبة لانماء فيها. وتذكير (مَيْتًا) لكون البلدة بمعنى المكان.

{كَذَلِكَ الْخُرُوجُ}

أي مثلُ تلك الحياة البديعة حياتُكم بالبعث من القبور.

.12

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (12)

{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ .. }

بيانٌ لكون البعث مما أجمع الرسلُ على حقِّيَّته، وتهديدٌ لكفار مكة. وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم بأن شأنه مع قومه في ذلك شأن الرسل السابقين مع أقوامهم؛ والعاقبةُ للصابرين.

{وَأَصْحَابُ الرَّسِّ}

البئر التي كانوا مقيمين حولها [الفرقان:38].

.13

وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (13)

.14

وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (14)

{وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ}

قومُ شعيب عليه السلام. [الشعراء:176].

{وَقَوْمُ تُبَّعٍ}

باليمن [الدخان:37].

{كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ}

أي فوجب ونزل بهم وعيدي، وهو كلمة العذاب.

.15

أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (15)

{أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ}

تقرير لصحة البعث الذي حُكيت أحوال المنكرين له من الأمم المُهْلَكة. أي أقَصَدْنا الخلق الأول فعجزنا عنه حتى يُتَوَهَّم عجزنا عن الإعادة! أي لم نَعْيَ به ولم نعجز عنه؛ من عَيِيَ بالأمر؛ إذا عجز عنه وانقطعت حيلته فيه، ولم يهتد لوجه مراده [الأحقاف:33].

{بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ}

أي هم مقرُّون بأنا خلقنا الخلق الأول، فكيف ينكرون قدرتنا على اعادته! بل هم في خلط وشبهة

{مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ}

مستأنف لما فيه من مخالفة العادة. يقال: لَبس عليه الأمر – من باب ضرب – خَلَطه. وألبسه: غطاه.

.16

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16)

{مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ}

أي ما تحدّثه به وتُخطِرُه بباله. والوسوسة: الصوت الخفيُّ.

{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}

أي ونحن بعلمنا به و بأحواله كلها أقرب إليه من أقرب شيء إليه، وهو عرق الوريد الذي في باطن عنقه، وهو مَثلٌ في فَرط القُرب. والحبلُ: العِرقُ. فالمرادُ القربُ بالعلم لا القربُ في المكان لاستحالته عليه تعالى.

.17

إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17)

{إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ}

أي يكتب الملَكان في صحيفتي حسناته وسيئاته ما يعمله. {عَنِ الْيَمِينِ} قعيد {وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ}. فأحدهما عن يمينه لكتابة الحسنات والآخر عن شماله لكتابة السيئات.

.18

مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (18)

{مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ}

ملك

{رَقِيبٌ}

حافظ يكتب قوله

{عَتِيدٌ}

معَدٌّ مهيا لذلك حاضرٌ عنده لا يفارقه.

والمراد به: الاثنان المتلقّيان؛ وأن كلا منهما رقيبٌ عتيدٌ. يقال: عَتُد الشيءُ – ككَرُم – عتادةً وعتَادا، حضر؛ فهو عَتَدٌ وعَتيد. ويتعدّى بالهمزة والتضعيف فيقال: أعتده صاحبُه وعَتَّده: إذا أعدَّه وهيّأه.

.19

وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19)

{وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ}

شدته وكرْبُه

{بِالْحَقِّ}

بحقيقة الأمر من سعادة الميت وشقاوته أو بنفس الموت، وهو الأمر الذي لابُدَّ أن يكون لكل حي.

{ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ}

أي الموتُ هو ما كنت منه أيها الإنسان تهرب وتفر في حياتك فلم ينفعك منه الهَرب والفرار. يقال: حاد عن الشيء، يحيدُ حيدةً وحُيودا، تَنَحى عنه وبَعُد.

.20

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (20)

.21

وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (21)

{وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ}

بَرّة أو فاجرة

{مَعَهَا سَائِقٌ}

مَلكٌ يسوقها إلى المحشر.

{وَشَهِيدٌ}

مَلَك يشهد عليها بعملها.

.22

لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22)

ثم يقال للكافر إذا عاين مالم يكن يصدّق به في الدنيا لغفلته: {لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا}

الذي تعاينه.

{فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ}

فأزلنا عنك الغفلة التي كانت تحجبك عن أمور المعاد.

{فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}

نافذٌ قويٌّ تُبْصر به ما كنت تجحده في الدنيا. يقال: هو حديدُ النظر وحديدُ الفهم، إذا كان نافذا.

.23

وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (23)

{وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ}

أي قال شيطانه المُقيَّض له في الدنيا: هذا – أي الكافر – الذي عندي وفي مَلكتي مهيّأ لجهنم بإغوائي وإضلالي. أو قال الملك الموكَّل بكتابة السيئات: هذا الذي في صحيفته من السيئات مكتوب عندي عتيدٌ مهيَّأ للعرض؛ فيقالُ للملكين من خزنة النار، أو للسائق والشهيد: {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ}.

.24

أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (24)

يقالُ للملكين من خزنة النار، أو للسائق والشهيد:

{أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ}

إطرحا في جهنم كل مبالغ في الكفر، شديد في العناد وإباء الانقياد للحق.

.25

مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (25)

{مُعْتَدٍ}

ظالم متجاوز للحد.

{مُرِيبٍ}

شاكٌ في الله وفي دينه.

.26

الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (26)

.27

قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (27)

{قَالَ قَرِينُهُ}

أي الشيطان، ردًّا لقوله ربنا أطغاني شيطاني،

{رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ}

فأعنته عليه بالإغواء والتزيين من غير قَسرٍ له ولا إلجاء.

.28

قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (28)

{وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ}

على الكفر في دار العمل في كتبي وعلى ألسنة رسلي؛ فلا تطمعوا في الخلاص ما أنتم فيه بالمعاذير الباطلة.

.29

مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (29)

{وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}

إذ آخذهم بما قدَّموا، وأعاقِبُهم بما أسلفوا؛ فعذابهم عدلٌ لا شائبة للظلم فيه.

.30

يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (30)

.31

وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (31)

{وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ .. }

أُدنِيَت وقُرِبت للذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب معاصيه في مكان غير بعيد منهم. يقالُ: أزلفه، اذا قرّبه؛ ومنه. الزُّلفةُ والزُّلفي، بمعنى القُربة والمنزلة.

.32

هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (32)

{لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ}

لكل رجَّاع إلى الله حافظٍ لحدوده؛ بدلٌ من " المتقين".

.33

مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (33)

{بِقَلْبٍ مُنِيبٍ}

راجع إلى الله تعالى مخلص في طاعته.

.34

ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (34)

.35

لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (35)

.36

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ (36)

{مِنْ قَرْنٍ}

قوم و"من"زائدة.

{هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا}

قوةً، أو أخذاً شديدا في كل شيء؛ كعاد وقوم فرعون. والبطْشُ: السطوة، أو الأخذ بالعنف.

{فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ}

طوَّفوا فيها وساروُا في نُقوبها طلباً للهرب، فلم يسلموا من الهلاك. يقال: نقّب في الأرض، ذهب؛ كأنقب ونقَّب. وأصل النّقْب: الخرقُ والدّخول في الشيء؛ ومنه نَقَب الجدار. وجمعه نُقوب.

{هَلْ مِنْ مَحِيصٍ}

معدِل ومهرب منه. يقالُ: حاص يَحيصُ حَيْصا و مَحِيصا، عدلَ وحادَ.

.37

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (37)

.38

وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ (38)

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ .. }

أي خلقنا السماوات في يومين، ومنافعها في يومين، ولو شاء الله لخلق الكل في أقل من لمح البصر، ولكنه تعالى من فضله علمنا بذلك التأني في الأمور.

{وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ}

تعب وإعياء. مصدرُ لغَب – من باب دخل – أي أعيي، وهو ردٌّ على اليهود في قولهم: إن الله استراحَ يوم السبت.

.39

فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (39)

{وَسَبِّحْ}

أي نَزِّهْ ربك عما لا يليق به، أو صلِّ له تعالى

{قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ}

وهما وقتا الفجر والعصر.

.40

وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (40)

{وَأَدْبَارَ السُّجُودِ}

أي وسبحه أعقابَ الصلوات. وهو ما ورد في حديث (من سبح لله في دُبُر كل صلاة ثلاثا وثلاثين، وحمِدَ الله ثلاثا وثلاثين، وكبر الله ثلاثا وثلاثين: فتلك تسعة وتسعون، وتمام المائة: لا اله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله

الحمد، وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه وإنا كانت مثل زبد البحر) [رواه احمد ومسلم]. وقيل التسبيح (وأدبار السجود): النوافلُ بعد المكتوبات.

.41

وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (41)

.42

يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (42)

{يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ}

أي يسمعون النفخة الثانية متلبسة بالحق. وهو البعث والنُّشور.

{ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ}

من القبور.

.43

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (43)

.44

يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (44)

{يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ .. }

أي يخرجون يوم تنفلق عنهم الأرض سِراعاً إلى المحشر.

.45

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ (45)

{وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ}

أي بمسلط عليهم تجبرُهم على الإسلام؛ وهو كقوله تعالى: {لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (22)} [الغاشية]. و " جَبّار" صيغة مبالغة؛ من جَبَرَ الثلاثي. يقال: جبره على الأمر، أي قهره عليه كأجبره.

والله أعلم.

سُورَةُ الذَّارِيَات

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (1)

{وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا}

أقسم تعالى بالرياح التي تذرو التراب وغيره لقوّتها. (والذاريات) من ذَرت الرّيح التراب تذرُوه ذّرْواً. وتَذريه ذَرياً – من بابَي عَدَا ورمى – سَفَتّه وطيّرته. و (ذّرْواً) مصدر مؤكد.

.2

فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (2)

{فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا}

أقسم تعالى بالسحب الحاملات للأمطار، (وِقْراً) أي حِملاً وثِقْلاً. مفعولٌ به.

.3

فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (3)

{فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا}

أقسم تعالى بالسفن الجاريات جريا سهلا في البحار. (يُسْراً) أي جَرْيا ذا يُسر وسهولة إلى حيث سُيّرت؛ صفة مصدر محذوف بتقدير مضاف.

.4

فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (4)

{فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا}

أقسم تعالى بالملائكة المُقسّمات الأمور المقدرة بين الخلق على ما أُمِرتْ به. (أَمْرًا) مفعول به.

.5

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (5)

{إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ}

على أن ما وعدوا به من البعث موعود صادق. وأن الجزاء يوم القيامة محقق واقع.

وقد رتبت هذه الأقسام باعتبار تفاوتها في الدلالة على كمال قدرته تعالى؛ وإن كانت كلها من أعظم دلائل القدرة على البعث. والمقصودُ بها: أن من قدَر على هذه الأمور العجيبة، يَقدِر على إعادة ما أنشأه أولا.

.6

وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (6)

{وَإِنَّ الدِّينَ}

الجزاء بعد الحساب.

.7

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (7)

{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ}

ثم أقسم تعالى بالسماوات ذوات الطُرق التي تسير فيها الكواكب؛ وهي من بدائع الصُّنع. جمعُ حَبيكة؛ كطريقة وزْناً ومعنىً. أو حِباك؛ كمُثُل ومثال. والحَبيكة والحِباك: الطريقةُ في الرمل ونحوه. ويقال: حُبُك لما يرى في الماء أو الرمل إذا مرت به الريح اللينة من التكسر والتثني. أو ذات الخُلق السَّوي الجيّد؛ من قولهم: حَبَك الثوب يَحْبكه حَبكًا، أجاد نسجه. وكلُّ شيء أحكمته وأحسنت عمله فقد احتَبكْته. وجواب القسم:

{إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (8)}.

.8

إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (8)

{إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ}

أي متخالف متناقض في أمره تعالى حيث تقولون: إنه خالق السماوات والأرض، وتعبدون الأصنام من دونه، وفي أمرِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم فتقولون تارة: مجنون، وأخرى ساحر، وفي أمر الحشر فتنكرونه تارة، وتزعمون أخرى أنَّ أصنامكم شفعاؤكم عند الله يوم القيامة. والنُّكتَة في هذا القسم: تشبيه أقوالهم في اختلافها وتنافي مناحيها بطرائق السماوات في تباعدها واختلاف هيئاتها.

.9

يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (9)

{يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ}

يُصرف – عن الإيمان بما كُلِّفوا الإيمان به، ومنه البعث والجزاء أو عن القرآن – من صُرِف؛ الصرفَ الذي لا أشد منه ولا أعظم؛ من الأفْك، وهو صرف الشيء عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه.

.10

قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (10)

{قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ}

لُعن الكذّابون أصحاب القول المُختلِف؛ وهو دعاء عليهم بذلك. وأطلق على اللعن قَتْلٌ لأن الملعون بمنزلة المقتول الهالك. جمع خرّاص وهو الكذاب. يقالُ: خَرَص يخْرُص خرْصاً. أي كذب؛ كخلق واختلق. وأصل الخَرْص: الظّنُ والتَّخمين، ثم تُجُوِّز به عن الكذب؛ لأنه ينشأ غالبا عن الظن.

.11

الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (11)

{فِي غَمْرَةٍ}

في جهالة تغمرُهم كالماء الذي يغمُرُ ما فيه. والغَمرةُ: ما سَتَرَ الشيء وغطاه: ومنه نهرٌ غَمْر: أي: يغمر من دخله.

{سَاهُونَ}

غافلون عما أمروا به. والسَّهو: الغفلة عن الشيء.

.12

يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (12)

.13

يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (13)

{يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ}

جواب لقولهم (أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ) أي يقع يوم الدين والجزاء يوم يحرقون بالنار؛ من قولهم: فَتَنتُ الذهب؛ أي أذبتُه ليختبر ويظهر خَبَثَه، ثم استعمل في الإحراق والتعذيب، وعُدّي الفعل ب (على) لتضمُّنه معنى يعرضون، أو على بمعنى في.

.14

ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (14)

.15

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (15)

.16

آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (16)

.17

كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17)

{كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ}

أي كانوا ينامون من الليل زمانا قليلا ويقُومون أكثره. والهُجُوع: النوم ليلا، وقيّده بعضهم بالقليل، وبابهُ خَضَع، و (ما) زائدة.

.18

وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (18)

{وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}

جمع سَحَر، وهو الجزء الأخير من الليل [آل عمران:17]. أي هم دائماً مع هذا الأجتهاد يَعُدُّون أنفسهم مذنبين، ويطلبون من الله المغفرة؛ لوفور علمهم بالله، وأنهم لا يستطيعون أن يَقْدُروه حقَّ قدره مهما اجتهدوا في العبادة والطاعة. وقيل: معناه: يصلُّون بالأسحار لطلب المغفرة.

.19

وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (19)

{وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ .. }

أي يوجبون على أنفسهم في أموالهم حقا للسائل والمحروم. تقرُّبا إلى الله عز وجل بمقتضي كَرَم النفس وجودها؛ يَصِلُون به الأرحام والفقراء والمساكين. والحقُّ هنا: غيرُ الزّكاة المفروضة، إذ السورة مكية، والزكاةُ إنما فرضت بالمدينة. والسائلُ: هو من يسأل الناس لفاقته. والمحرومُ: هو المتعفِّف عن السؤال مع الحاجة؛ فَيُحرَم الصدقة من أكثر الناس لظنهم فيه الغنى.

.20

وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20)

{آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ}

دلائل للموحدين الذين سلكوا الطريق السَّوي الموصّل إلى اليقين. وخُصُّوا بالذكر لأنهم هم المنتفعون بالنظر فيها.

.21

وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21)

{وَفِي أَنْفُسِكُمْ .. }

في نشأتها وأطوارها وسائر أحوالها آياتٌ للمُتبصّرين.

.22

وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22)

{وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ}

أي سبب رزقِكم وهو المطر. والسماء: السحابُ.

{وَمَا تُوعَدُونَ}

أي وفي السماء مكتوب ما توعدون به من الثواب والعقاب، والبعث والخير والشر.

.23

فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (23)

{إِنَّهُ لَحَقٌّ}

أي إن جميع ما ذكر من أول السورة إلى هنا لحقٌّ ثابت لا مِرْية فيه.

{مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ}

أي كمثل نطقكم المعلوم لكم ضرورة.

.24

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (24)

{ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ}

وهم الملائكة الذين نزلوا عنده. والضَّيْف في الأصل: مصدر بمعنى المَيْل؛ ولذلك يُطلق على الواحد والأكثر.

.25

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (25)

{قَوْمٌ مُنْكَرُونَ}

أي هؤلاء قومٌ غرباء لا نعرفهم. قال ذلك في نفسه.

.26

فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (26)

{فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ}

عَدَل ومال إليهم في خفية. يقال: راغ فلان إلى كذا، مال إليه لأمر يريده منه بالاحتيال. وراغ الثّعلب رَوْغا وروغاناً: ذهب يَمنةً ويسرةً في سرعة وخديعة؛ فهو لا يستقر في جهة.

.27

فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (27)

.28

فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (28)

{فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً}

أحس منهم في نفسه خوفا حين رأي عليه السلام إعراضهم عن طعامه.

{بِغُلَامٍ عَلِيمٍ}

هو هنا اسحاق عند الجمهور.

29.

فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (29)

{فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ}

في صيحة وضجَّة تعجُّبا من هذه البشرى، من الصَّرير وهو الصوت. ومنه صرير الباب: أي صوته.

{فَصَكَّتْ وَجْهَهَا}

لطمَتْه بيدها تعجُّبا، وهو فعل النساء إذا تعجبن من شيء. والصَّكُّ: الضّربُ الشديدُ بالشيء العريض.

30.

قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (30)

31.

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (31)

{فَمَا خَطْبُكُمْ}

ما حالُكم وشأنُكم الخطير، الذي لأجله أرسلتم سِوى هذه البشرى!.

32.

قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (32)

33.

لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (33)

34.

مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (34)

{مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ}

مُعَلَّمة عند الله قد أعدها لرجم من قضى بِرِجْمه من المسرفين في العصيان؛ من السَّومة وهي العلامة.

35.

فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (35)

{مَنْ كَانَ فِيهَا .. }

لوطا وابنتيه.

.36

فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (36)

.37

وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (37)

.38

وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (38)

{وَفِي مُوسَى}

وتركنا في قصة موسى آية، وكذلك يقال في (وفي عاد) وفي (وفي ثمُود).

.39

فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (39)

{فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ}

أي أعرض فرعونُ عن الإيمان بموسى، وهو مِثْلُ نأى بجانبه وثنى عِطْفُه. والرُّكن: جانبُ البَدَن وعِطفُه. أو أعرض بجنوده عن الإيمان، وهم الرُّكن؛ لأنه يركن إليهم ويُتقوى بهم. أو تولَّى معرضا بقوته وسلطانه؛ والرُّكنُ: العِزَّةُ والمَنَعة.

.40

فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (40)

{وَهُوَ مُلِيمٌ}

آتٍ بما يُلام عليه من الكفر والطغيان؛ من ألام: إذا أتى ما يُلام عليه؛ كأغربَ: إذا أتى أمراً غريبا.

.41

وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (41)

{الرِّيحَ الْعَقِيمَ}

الشديدة التي لا خير فيها من إنشاء مطر أو القاح شجر؛ وهي ريحُ الهلاك. ورُويَ أنها الدَّبُور. وصفت بالعُقم لأنها لمّا أهلكتهم وقطعت نسلَهم أشبهت الإهلاك بعدم الحمل؛ لما فيه من إذهاب النَّسل.

.42

مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (42)

{كَالرَّمِيمِ}

كالهشيم المفتَّت. يقال للنَّبت إذا يَبس و تفتَّت: رميم وهشِيم. و رَمَّ العظم: بلى. ويقال للبالي:: رُمام؛ كغُراب.

.43

وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ (43)

.44

فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (44)

{فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ}

فاستكبروا عن طاعة ربهم.

{فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ}

أهلكتهم. وكل صاعقة في القرآن فهيَ العذاب المهلك.

.45

فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ (45)

.46

وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (46)

.47

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (47)

{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ}

أي ملتبسة بقوة وقدرة. يقال: آدَ الرجل يئيدُ – من باب باع – اشتد وقوى

{وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}

لقادرون؛ من الوُسْع بمعنى الطاقة. يقال: أوسَع الرجُلُ، أي صار ذا وُسُع؛ كأوراق الشجر: أي صار ذا وَرَق.

.48

وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (48)

{فَرَشْنَاهَا}

مهّدناها كالفراش للاستقرار عليها.

{فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ}

المسوون المصلحون.

.49

وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (49)

{زَوْجَيْنِ}

نوعين متقابليْن كالليل والنهار، والسماء

والأرض، والهدى والضلال، إلى غير ذلك.

.50

فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (50)

{فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ}

فاهربوا من عقابه إلى ثوابه.

.51

وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (51)

.52

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (52)

.53

أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (53)

{أَتَوَاصَوْا بِهِ}

أجَمَعهم على هذا القول الشنيع وصية بعضهم بعضا به حتى قالوه جميعا؟ ثم أضرب عن ذلك وبيَّن أن الجامع لهم عليه هو طغيانهم جميعا فقال: {بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ}.

.54

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (54)

.55

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (55)

{وَذَكِّرْ}

دُم على التذكير والوعظ.

.56

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)

{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}

أي لم أخلق الثقلين إلا مهيئين لعبادتي بما رَكْبت فيهم من العقول والحواس والقوى؛ فهم على حالة صالحة للعبادة مستعدةٍ لها، فذكِّرْهم بوجودي وتوحيدي وعبادتي. فمن جرى على موجب استعداده وفطرته آمن بي و عبدني وحدي، ومن عاند استعداده وفطرته واتّبع هواه، سلك غير سبيل المؤمنين. وفي جعل الخلق مُغيّا بالعبادة مبالغة؛ بتنزيل استعدادِهم للعبادة منزلة العبادة نفسها. أو أنه تعالى ما خلقهم إلا لغاية كماليةٍ وهي عبادته؛ وتَخَلُّف بعضهم عن الوصول إليها لا يمنع كونها غايةً كماليةً للخلق. وقيل: المراد بالجن والانس: المؤمنون؛ واللام للغاية.

.57

مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (57)

.58

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58)

.59

فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ (59)

{فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ}

أي حظا ونصيبا من العقاب نازلاً بهم؛ مثل نصيب من سبقهم من الكفار. والذَنوب في الأصل: الدَّلو العظيمة المملوءة ماء. ولا يقال لها ذنوب إذا كانت فارغة. وجمعُها ذنائب: كقَلُوص وقلائص، وكانوا يستقون الماء فيقسِمونه بينهم على الأنصباء؛ فيكون لهذا ذنوبٌ ولهذا ذنوب. ومن ثَمَّ فَسَّر الذنوب بالنصيب.

.60

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (60)

{فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا .. }

هلاك، أو حسرة في يوم بدر، أو في يوم القيامة.

والله أعلم.

سُورَةُ الطُّور

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

وَالطُّورِ (1)

أقسم الله في مُفْتَتَح هذه السورة بخمسة من أعظم المخلوقات؛ دلالة على عظيم قدرته تعالى وبديع صنعته؛ لتأكيد وقوع العذاب بالكافرين يوم البعث والجزاء.

{وَالطُّورِ}

فأقسم بجبل طور سيناء، الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام تكريما له وتذكيرا بما فيه من الآيات. وبكتبه المنزلة على أنبيائه بالهدي والحق. وببيته الحرام المعمور بالطائفين والقائمين والركع السجود، الذي جعله للناس مثابة وأمنا. وبالسماء المرفوعة بلا عمد، وفيها من عجائب الصنعة مالا يُقادَرُ قدرُه. و بالبحار المحيطة التي تسير فيها السُّفن كالأعلام، وفيها عجائب شَتى. وجواب القسم: {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ} بالمكذِّبين.

.2

وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (2)

{وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ}

أي مكتوبٍ مُنَّسق الكتابة بسطور مصفوفة في حروف مرتبةٍ جامعةٍ لكلمات متفقة. وقيل: المرادُ به التوراة، أو القرآن، أو صحائف الأعمال.

.3

فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (3)

{فِي رَقٍّ}

هو كلُّ ما يكتب فيه من ألواح وغيرها. وأصلُه: الجلدُ الرقيق يُكتب فيه.

{مَنْشُورٍ}

مفتوح غير مطوي. والمراد: أنه معرَّض لكل ناظر. وفيه إلماعٌ إلى سلامته من العيوب، شأن ما يُعرض للناس عامَّة.

.4

وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (4)

{وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ}

هو البيت الحرام. وقيل: هو بيت في السماء، مُسامِتٌ للكعبة وتطوف به الملائكة.

.5

وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (5)

{وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ}

السماء.

.6

وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (6)

{وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ}

أي المملوء ماءً. يقالُ: سَجَر النهر، ملأه، وهو البحر المحيط؛ والمرادُ الجنس. وقيل: الموقَد نارا عند قيام الساعة، كما قال تعالى: {وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6)} [التكوير]، أي أُوقدت ناراً؛ من سَجر التنور يسجُرُه سَجْرا، أحماه. وُصف البحر بذلك إعلاماً بأن البحار عند فناء الدنيا تحمى بنار من تحتها فتتبخر مياهُها، وتندلع النار في تجاويفها وتصير كلها حُمما.

.7

إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (7)

{إِنَّ عَذَابَ .. }

جواب القسم بما سبق.

.8

مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (8)

.9

يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (9)

{يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا}

أي أن هذا العذاب لواقع يوم تضطرب السماء وتدور كالرحى، وتتداخل وتختلف أجزاؤها وتتكفا بأهلها؛ وذلك عند خراب العالم وانقضاء الدنيا. والمَوْر: الحركة والاضطراب والدوران، والمجيء والذهاب، والتَّموُّج والتكفُّؤ.

.10

وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (10)

{وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا}

تزول عن أماكنها وتطير كالسحاب، ثم تتفتَّت كالرمل، ثم تصير كالعهن المنفوش، ثم تطيّرها الرياح فتكونُ هباء مُنبثا.

.11

فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (11)

{فَوَيْلٌ}

هلاك وحسْرَة.

.12

الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (12)

{فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ}

في

اندفاع في الباطل يلهون، لا يذكرون حسابا، ولا يخشون عقابا [النساء:140].

.13

يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (13)

{يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا}

يُدفعون إليها دفعًا بعنف؛ ويطرحون فيها؛ من الدَّع وهو الدّفع العنيف. يقال: دَعّه يَدُعُّه دعًّا، دفعه في جفوة؛ ومنه {فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2)} [الماعون].

.14

هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (14)

.15

أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (15)

.16

اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (16)

{اصْلَوْهَا}

أدخلوها، أو قاسوا حرها [النساء:10].

.17

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (17)

.18

فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (18)

{فاكِهِينَ}

ناعمين. وقُرئ (فَكِهين) وهو بمعناه [يس~:55].

.19

كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (19)

.20

مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (20)

{عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ}

موضوعةٍ على صَفٍ وخط مستَو.

{وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ}

قرناهم بهن [الدخان:54].

.21

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (21)

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ .. }

بيان لحال طائفة من أهل الجنة، وهم الذين شاركتهم ذرّيتُهم – الأقل منهم عملا – في الإيمان. والذرّيةُ: تصدق على الأبناء والآباء؛ أي أن المؤمن إذا كان عمله أكثر، أُلحق به من دونه في العمل، إبناً كان أو أبا، سواء كان الأبناء صغارا أم كبارا. وروي عن ابن عباس رضي الله عنها: إن الله ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل؛ لتَقرَّ بهم عينُه [أخرجهُ الحاكم والبيهقي]. وعنه مرفوعا: (إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال له: إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك؛ فيقول: يا ربِّ قد عملت لي ولهم، فيُؤمرَ بالحاقهم به) [أخرجه البزار والطبراني]. وقوله {وَالَّذِينَ آمَنُوا} مبتدأ خبره جملةُ {أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} أي في الدرجة، {وَاتَّبَعَتْهُمْ} عطف على {آمَنُوا}، و {بِإِيمَانٍ} متعلق به، والباء للسببية أو الظرفية؛ أي اتبعتهم بسبب الإيمان أو فيه.

{وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ}

أي وما نقصنا المتبوعين من ثواب أعمالهم شيئا بالحاق ذريتهم بهم في الدرجة؛ بل أعطيناهم ثوابهم كاملا، ورفعنا ذريتهم إلى درجتهم فضلا وإحسانا. يقال: ألَتَه حقه يأْلِته – من باب ضَرَب – نقصه.

{كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ}

أي كلُ امرئ مرهونٌ عند الله بكسبه وعمله، فإن كان عملُه صالحا فكَ نفسه وخلّصها، كما يَخْلُص المرهون من يد مرتهنه؛ والا أهلكها.

.22

وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (22)

.23

يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (23)

{يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا}

أي

يتجاذبون للمداعبة، أو يتعاطون فيها إناءً فيه الشراب المسمى خمرا. أو نفس الشراب الذي في الإناء.

{لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ}

أي لا يصدر منهم في شُربها كلام ساقط لا خير فيه، ولا يأتون ما يؤثَم به فاعله، وإنما يتحدثون بأحاسن الكلام، لا كما يحصل بين ندامى الخمر في الدنيا.

.24

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (24)

{كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ}

أي كأنهم في الصفاء والبياض: لؤلؤٌ محفوظ في الصَّدف، لم تنله الأيدي. يقال: كَنَنْت الشيء كنّا وكُنُونا، جعلتُه في كِن، وسترته بنحو بيت أو ثوب؛ فهو مكنون.

.25

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (25)

.26

قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (26)

{مُشْفِقِينَ}

أي مُعتنين بطاعته تعالى، خائفين من عصيانه. والإشفاقُ: عنايةٌ مختلطةٌ بخوف. وإذا عُدِّيَ بـ (من) فمعنى الخوف فيه أظهر. وإذا عُدّيَ بـ (في) –كما هنا– فعنى العنايةِ فيه أظهر.

.27

فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (27)

{وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ}

عذاب النار النافذة في المَسَام نفوذ السَّموم، وهي الريح الحارة التي تتخلل المسام، وتؤثر في الأجسام تأثير السَّم.

.28

إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (28)

{إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ}

المحسنُ على عباده.

.29

فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (29)

{فَذَكِّرْ}

فاثبُت على ما أنت عليه من التذكير، ولا تكترث بما يصفونك به من الأوصاف القبيحة.

{فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ}

أي فما أنت بسبب انعام الله عليك

{بِكَاهِنٍ}

تخبر بالغيب من غير وحي من الله

{وَلَا مَجْنُونٍ}

تقول ما لا تقصد.

.30

أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (30)

{أَمْ}

وذُكرت (أم) في هذه السورة خمس عشرة مرة، وكلها الزامات للمخاطبين ليس لهم عنها جواب. وقال الخليلُ: إن كل ما في سورة الطور من "أم" فهو استفهام لا عطف، وإنما استفهم تعالى مع علمه بهم توبيخا لهم، على نمط قول الإنسان لغيره: أجاهل أنت! مع علمه بجهله.

{أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ}

أي بل أيقولون هو شاعر!

{نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ}

ننتظر به حوادث الدهر وصروفه المهلكة! والرَّيْب مصدرُ رابه إذا أقلقه، والمَنون: الدهرُ؛ من المنِّ بمعنى القطع؛ لأنه يقطع الأعمار وغيرها؛ أريد به حوادث الدهر مجازا؛ لأنها تقلق النفوس كما يقلقها الشك، وعُبِّر عنها بالمصدر مبالغة. أو ننتظر به نزول المنية. والمنون: المنيَّة؛ لأنها تنقص العَدَد وتقطع المَدَد، والرَّيبُ: النزول؛ من راب عليه الدهر: أي نزل. والمرادُ بنزولها، الهلاكُ. وذُكرت (أم) في هذه السورة خمس عشرة مرة، وكلها الزامات للمخاطبين

ليس لهم عنها جواب. وقال الخليلُ: إن كل ما في سورة الطور من "أم" فهو استفهام لا عطف، وإنما استفهم تعالى مع علمه بهم توبيخا لهم، على نمط قول الإنسان لغيره: أجاهل أنت! مع علمه بجهله.

.31

قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (31)

.32

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (32)

{أَحْلَامُهُمْ}

عقولهم. جمع حلم – بالكسر – وهو في الأصل ضبطُ النفس عن هيجان الغضب، واطلاقه على العقل لكونه منشا له.

{قَوْمٌ طَاغُونَ}

مجاوزون الحدَّ في المكابرة والعناد.

.33

أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (33)

{تَقَوَّلَهُ}

اختلق القرآن وافتراه من تلقاء نفسه. والتَّقولُ: تكلُّف القول، ويستعمل غالبا في الكَذِب. يقال: تقول عليه. أي كذب، وقوّلْتني ما لم أقل: ادّعيته علي.

.34

فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (34)

.35

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35)

.36

أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (36)

{بَلْ لَا يُوقِنُونَ}

بأنه الخالق وإلا لما أعرضوا عن عبادته تعالى؛ فإيقانُهم به كالعدم.

.37

أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (37)

{خَزَائِنُ رَبِّكَ}

مقدوراته.

{هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ}

[الْمُسيْطِرُونَ] الأرباب القاهرون المتسلطون، حتى يدبروا أمر الربوبية على ارادتهم ومشيئتهم! والمُصيْطر: القاهر الغالب؛ من صَيْطر عليه: إذا قهره. والمسلَّط على الشيء ليُشرف عليه ويتعهَّد أحواله ويكتب أعماله.

.38

أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (38)

{لَهُمْ سُلَّمٌ}

مَرقى إلى السماء يصعدون به.

.39

أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (39)

.40

أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (40)

{فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ}

أي فهُم من ثِقل ما حمَّلتهم من الغُرم مُتْعبون مجهدون، فلذلك لا يتَّبعونك! يقالُ: أثقله الحِمل، أتعبه. والمَغرم والغُرْم: ما ينوب الإنسان في ماله من ضَرر لغير جناية منه أو خيانة.

.41

أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (41)

.42

أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (42)

{هُمُ الْمَكِيدُونَ}

هم المغلوبون الذين يحيق بهم كيدُهم، ويعود عليهم وبَاله. اسم مفعول من الكَيْد، وهو المكر والخُبثُ والحيلة والحرْب. وهو إشارة إلى ما دبروه في دار النَّدوة بمكة من الفتك به صلى الله عليه وسلم؛ فعصمه الله منهم وردَّهم خائبين. وقُتلوا يوم بدر في السنة الخامسة عشرة من البعثة. وقد كُرِّرت "أم" –كما قدمنا – خمس عشرة مرة، بعدد هذه السنين، ولذا قالوا: إنه من معجزات القرآن، وكم له من معجزات وغرائب وأسرار!!

.43

أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (43)

.44

وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ (44)

{كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ}

قطعةً عظيمةً نازلة من السماء. أي أنهم لفرط طغيانهم إن عاينوا ذلك ...

{يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ}

أي هو سحاب متراكم، مُلقى بعضه على بعض يسقينا؛ ولم يصدقوا أنه كِسْف عذاب.

.45

فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (45)

{فِيهِ يُصْعَقُونَ}

يهلكون، وذلك يوم بدر.

.46

يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (46)

.47

وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (47)

{دُونَ ذَلِكَ}

أي غير ذلك العذاب الذي وقع يوم بدر، وهو عذاب القبر وعذاب الآخرة.

.48

وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (48)

{فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}

مذهب السّلف في هذه الآية ما بيناه في أمثالها. والخَلف يقولون: المعنى فإنك بمرأي منَّا، أو كما قال ابن عباس: نَرى ما يُعمل بك، أو فإنك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون إليك بمكروه، فالعِيْن مجاز عن الحفظ.

{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ}

أي سبّحه متلبِّسًا بحمده تعالى.

{حِينَ تَقُومُ}

من مجلسك أو من منامك، أو حين تقوم إلى الصلاة. وقيل: التسبيحُ الصلاة إذا قام من نومه.

.49

وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (49)

{وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ}

نزهه بقولك: سبحان الله وبحمده. أو صلِّ له النوافل، أو صلاة المغرب والعشاء.

{وَإِدْبَارَ النُّجُومِ}

أي وقت إدبارها وغروبها آخر الليل. والتسبيحُ فيه: التنزيه، أو صلاة ركعتي الفجر، أو صلاة فريضة الصبح. والله أعلم.

سُورةُ النَّجْمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

نزلت حين قال المشركون: إن محمدا – صلى الله عليه وسلم – يختلق القرآن.

1.

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1)

{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى}

أقسم الله تعالى بالنجم وقت غروبه على أن محمدا – صلى الله عليه وسلم – مُنزَهٌ عن شائبة الضلال والغواية.

والنجم: اسمُ جنسٍ لكل كوكب. فالمُقسَمُ به جنسُ النجم المعروف إذا هوى، أي سقط وغرب. يقالُ: هوى يَهْوي هُويًّا، سقط من فوق إلى أسفل. وقيل: المصدر بالضم إذا سقط، وبالفتح إذا صعد، وقيل بالعكس. وتقييد المُقسم به بوقت هَوِيِّه لأنه إذا كان في وسط السماء يكون بعيدا عن الأرض فلا يهتدي به الساري؛ لأنه لا يعلم به المَشْرق من المغرب، ولا الجنوب من الشمال. فإذا هبط من – وسط السماء تبين بهبوطه جانب المغرب من المشرق والجنوب من الشَّمال.

2.

مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2)

{مَا ضَلَّ}

ما عدل عن طريق الحق في أقواله وأفعاله.

{وَمَا غَوَى}

أي ما اعتقد باطلا قطُّ. والغيُّ: جهلٌ ناشئ من اعتقاد فاسد. ويقابله. الرَّشد، وهو من تعرفون – لطول صحبتكم له –ـ اتصافه بغاية الهدى والرشاد.

3.

وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3)

{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى}

أي لا يصدر نطقه فيما يأتيكم به عن هوى نفسِه ورأيه.

.4

إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)

{إِنْ هُوَ}

أي ما الذي ينطق به من ذلك

{إِلَّا وَحْيٌ}

أي موحَى به.

{يُوحَى}

إليه من الله تعالى. والجملة صفة مؤكِّدة لـ"وحي" رافعةٌ لاحتمال التجوُّز به.

.5

عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5)

{عَلَّمَهُ}

علم النبيَّ صلى الله عليه وسلم الوحي أو القرآن.

{شَدِيدُ الْقُوَى}

جبريل عليه

السلام. فقد بلغ من شدة قوته أن اقتلع قرى قوم لوط. ورفعها إلى السماء ثم قَلَبها، وصاح بثمود صيحة أهلكتهم. وكان هبوطه على الأنبياء وعروجه إلى السماء في أسرع من رجْعِ الطَّرف.

.6

ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (6)

{ذُو مِرَّةٍ}

ذو حَصَافة و استحكامٍ في عقله ورأيه. وهو كناية عن ظهور آثاره البديعة وأفعاله العجيبة، أو ذو منظر حسَن.

{فَاسْتَوَى}

فاستقام وظهر في صورته الملائكية في ناحية المشرق، وكان النبي صلى الله عليه وسلم عند حِراء في مبادئ النبوة.

.7

وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (7)

{وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى}

بالجهة العليا من السماء؛ فسدَّ الأفق إلى المغرب. وكان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة آدمية، فسأله أن يُرِيَه نفسه على صورته التي جُبل عليها، فأراه نفسه مرتين: مرة في الأرض، ومرة في السماء، ولم يره أحد من الأنبياء على صورته التي خلق عليها إلا نبينا صلى الله عليه وسلم، وهذه المرة أولاهما، فخر مغشِيًّا عليه. فنزل جبريل متمثلاً في صورة آدمية وضمه إلى نفسه حتى أفاق وسكن رَوْعُه؛ وذلك قوله تعالى: {ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (8)}.

.8

ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (8)

{ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى}

أي قرب جبريل عليه السلام من النبي صلى الله عليه وسلم، فزاد في القرب حتى كان أقرب شيء إليه؛ كما قال تعالى: {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (9)}.

.9

فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (9)

{فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى}

منه. أي فكان من النبي صلى الله عليه وسلم قدر قوْسين من الأقواس العربية المعهودة بل أقرب. والقابُ: القدْرُ؛ وقد جاء التقدير للأطوال بالذراع والباع والرُّمح والسَّوط والقوْس، وربما سَمَّوْا الذراع قوسا؛ والمعنى عليه: كمقدار ذراعين بل أقرب. وقيل القابُ: ما بين وتر القوس ومقبضها. وكان العرب في الجاهلية إذا تحالفوا يُخرجون قوسين ويلصقون إحداهما بالأخرى، فيكون قاب إحداهما ملاصقا للآخر حتى كأنها قاب واحد، ثم ينزعونهما معا ويرمون بها سهما واحدا فيكون ذلك رمزا إلى أن رضاء أحدهم رضاء الآخر، وسخطه سخطه، فكان جبريل ملاصقا له صلى الله عليه وسلم كما يلاصق القاب القاب من القوسين. وهذا المعنى أليَق برواية: (ضمَّه إلى نفسه).

.10

فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (10)

{فَأَوْحَى}

جبريل بأمر الله تعالى {إِلَى عَبْدِهِ} عبد الله محمد صلى الله عليه وسلم {مَا أَوْحَى} وأُبهم الموحى به للتفخيم؛ كما في قوله تعالى: { .. فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (78)} [طه]. أو ما أوحى إليه ربُّه.

.11

مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11)

{مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}

أي ما كذب فؤادُ محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه ببصره من صورة جبريلَ؛ أي ما قال فؤاده لمّا رآه ببصره: لم أعرِفْك، ولا يمكن أن يقول ذلك! لأنه عرفه بقلبه كما رآه ببصره.

.12

أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (12)

{أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى}

أتكذّبونه فتجادلونه فيما يراه من الصُّور التي يأتي بها إليه جبريل عليه السلام بعد ما رآه قبل وحققه بحيث لا يشتبه عليه بأي صورة أتى، أو فيما رآه من صورة جبريل عليه السلام على خلقته الأصلية. يقال: ماراه يُماريه مُماراةً و مِراءً، جادله. مشتق من مَرَى النّاقة يَمْريها: إذا مسح ضرعها ليخرج لبنها وتدر به. فشبه به الجدال؛ لأن كُلاً من المتجادلين يَمْري ما عند صاحبه، أي يسعى لاستخراجه ليُلزمه الحجة. وعُدّى الفعل بـ (على) لتضمُّنه معنى المغالبة.

.13

وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13)

{وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى}

أي رأي النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته التي

خُلق عليها نازلا من السماء نزلة أخرى {عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14)} ليلة المعراج.

.14

عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14)

{عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى}

ليلة المعراج. وهذه هي المرة الثانية، وكانت قبل الهجرة بسنة وأربعة أشهر، وقيل بثلاث سنين؛ فكان بين الرؤيتين نحو عشر سنين. والسّدرةُ في الأصل: شجرة النَّبق، وخلقُ شجرةٍ في السماء كخلق شجرة الزَّقوم في أصل الجحيم، وعدم رؤيتها بالأرصاد لا يدل على عدم وجودها لفرط بعدها. وقيل: إطلاق السِّدرة عليها مجاز؛ لأن الملائكة تجتمع عندها كما يجتمع الناس في ظل السدرة المعروفة. والمنتهى: إسمُ مكان، أو مصدَرٌ ميميٌّ بمعنى الانتهاء، وإضافة السِّدرة إليه من إضافة الشيء إلى مكانه، كأشجار البستان. وقيل لها: سدرة المنتهى لانتهاء علوم الخلائق إليها، وما وراءها لا يعلمه إلا الله تعالى.

.15

عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (15)

{عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى}

التي يأوي إليها المتقون يوم القيامة. أو هي جنة تأوي إليها أرواح الشهداء أو الملائكة.

.16

إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (16)

{يَغْشَى السِّدْرَةَ}

يغطيها ويسترها.

.17

مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17)

{مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى}

ما مال بصرُه صلى الله عليه وسلم عما أُذن له في رؤيته، وما تجاوزه، إلى ما لم يُؤذن له فيها؛ بل أثبته اثباتا صحيحا مستيْقنًا؛ من الزَّيْغ: وهو الميل عن الاستقامة. والطغيان: وهو تجاوز الحد.

.18

لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (18)

.19

أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19)

{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى .. }

أي أعُقَيْبَ ما سمعتم من آثار كمال عظمته تعالى، وأحكام قدرته ونفاذ أمره، رأيتم هذه الأصنام مع غاية حقارتها بنات الله سبحانه!! وكانوا يقولون لها وللملائكة: بناتُ الله. واللات: صخرةٌ لثقيف بالطائف. والعُزّى: سَمُرات بنخلة لغَطفان، وهي التي قطعها خالد بن الوليد بأمره صلى الله عليه وسلم. ومناة: صخرة لهذيل وخزاعة أو لثقيف. وقيل: إنَّ الثلاثة كانت أصناما بالكعبة.

.20

وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (20)

{الثَّالِثَةَ}

وصفٌ للتأكيد.

{الْأُخْرَى}

صفةُ ذمٍّ لثالثة بأنها متأخرة في الرتبة، وضيعة القدر، وكانت عندهم أعظم الثلاثة. وتتضمن ذم السابقتين أيضاً.

.21

أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (21)

.22

تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (22)

{قِسْمَةٌ ضِيزَى}

وقُرِئ (ضِئزى)، أي جائرة أو منقوصة حيث جعلتم له تعالى ما تستنكفون منه. يقال: ضاز في حكمه جار. وضازه حقه يضيزه ويَضوزه ضيْزا: نقضه وبخسه. وضأزه – كمَنعه – بمعناه.

.23

إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (23)

.24

أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (24)

{أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى}

أي بل أللإنسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه. والمراد: أنه ليس له كلُّ ما يتمناه، ومنه شفاعة الآلهة لهم، والظَّفر بالحسنى عند الله يومَ القيامة، ونزول القرآن على رجل عظيم من إحدى القريتين.

.25

فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى (25)

{فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى}

فهو سبحانه لا يُعطي جميع الأماني فيها لأحد. ولكنه يُعطي فيها ما يشاء لمن يريد. وليس لأحد أن يتحكم عليه في شيء منها. ثم رد الله عليهم في زعمهم أن الأصنام تشفع لهم بقوله: {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ .. }.

.26

وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (26)

{وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ .. }

أي أن الملائكة مع قربهم وعُلوّ منزلتهم لا تنفع شفاعتهم، إلا إذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له و يرضاه، ويراه أهلاً لأن يشفع له؛ فكيف تشفع الأصنام لكم؟!.

.27

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى (27)

.28

وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (28)

.29

فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (29)

.30

ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (30)

.31

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (31)

{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}

خلقاً وملكاً لا لغيره. وقد خلق ما فيهما

{لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا}

أي بسببه

{وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى}

أي بسبب الأعمال الحسنى، أو بالمثوبة الحسنى. ثم وصف المحسنين بقوله: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ}.

.32

الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (32)

{الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ}

هو ما كَبُرَ عقابه من الذنوب.

{وَالْفَوَاحِشَ}

ما عَظُم قُبحه من الكبائر.

{إِلَّا اللَّمَمَ}

ما صَغُر من الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة من قولهم: ألَمّ بالمكان، إذا قل لُبثُه فيه. وألَمَّ بالطعام: إذا قل أكله منه. وقيل: هو مقاربة الذنب من غير مواقعته، فهو الهَمُّ به دون أن يفعله. من قولهم: ألَمّ الشيءُ: قرُب. وألَمَّ بكذا: قاربه ولم يخالطه. والجمهور على أن الذنوب منقسمة إلى كبائر وصغائر. وضابط الكبيرة ما لحق صاحبها عليها بخصوصها وعيدٌ شديد في الكتاب أو السنة. وقيل: كل جريمة تؤذن بقلّة اكتراث مرتكبها بالدين ورقَّة الديانة. وقيل غير ذلك

واعتمد الواحدي أنه لا حد لها بحصرها ويعرفها العباد به وقد أخفي الله أمرها ليجتهدوا في اجتناب المنهِيّ عنه رجاء أن تُجتنب الكبائر وعرفها بعضهم بالعّد، ومنها الموبقات السبع تراجع [الزواجر لابن حجر].

{هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ ... }

أي يعلم أحوالكم، إذ أنشأكم في ضمن إنشاء أبيكم آدم من تراب.

{وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ}

فيعلم أطواركم فيها، وحاجتكم إلى الغذاء، ويعلم العدد والذكورة والأنوثة، ووقت الانفصال عن الأم، ومدة المُكث في الرَّحم، وغير ذلك من شئونها.

{فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ}

أي إذا كان عدم المؤاخذة باللَّمم مع كونه من الذنوب، إنما هي لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره منكم؛ فلا تمدحوا أنفسكم بالطهارة من الذنوب بالكلية، بل اشكروه تعالى على فضله وواسع مغفرته.

.33

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (33)

{أَفَرَأَيْتَ}

أي أخبرني. ومفعولها الأول الموصولُ، والثاني جملةُ {أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ .. }.

.34

وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (34)

{وَأَعْطَى قَلِيلًا}

أعطى شيئاً قليلا من المال،

{وَأَكْدَى}

و قَطعَ العطاء؛ من قولهم: أكدى الحافِر، إذا بلغ حفْرُه الى الكُدْية – وهي حجر صُلب –فلم يمكنه الحفر فانقطع عنه. وكَدَيتْ أصابعُه: إذا كلت من الحفر فلم تعمل شيئا. نزلت في الوليد بن المغيرة حين همَّ بالإسلام بعد أن سمع قراءة الرسول – صلى الله عليه وسلم –، وشهد تلاوة القرآن، وجلسَ إلى الرسول ووعظه، فعاتبه أحد المشركين، وضمن له أن يتحمل عنه عذاب الآخرة إذا أعطاه كذا وكذا من المال؛ فرجع عما هَمَّ به وأعطى الذي ضمن له بعض المال ثم منعه تمامه.

.35

أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (35)

.36

أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (36)

.37

وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (37)

{الَّذِي وَفَّى}

أتم وأكمل ما أمُر به.

.38

أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (38)

{أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}

[الأنعام:165].

.39

وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39)

{وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى}

أي أم لم يُنَبأ بما في صحف موسى وإبراهيم أن ليس للإنسان الا سعيه!؟ فلا يثاب بعمل غيره، كما لا يؤاخذ بذنب غيره، أما في شريعتنا فقد ثبت بالكتاب والسُّنة والإجماع انتفاع الإنسان بعمل غيره. ونقل العلامة الجمل في حاشيته على الجلالين بحثاً نفيساً لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد ابن تيمية: ننقل خلاصته لمزيد فائدته. قال: (من: اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماع؛ وذلك باطلٌ من وجوه: أحدها– أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره. ثانيها أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لأهل الموقف في الحساب، ثم لأهل الجنة في دخولها. ثالثها – يشفع لأهل الكبائر في الخروج من النار , وهذا انتفاع بسعي الغير. رابعه – أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض وذلك منفعةٌ بعمل الغير. خامسها – أن الله تعالى يُخرِج من النار من لم يعمل خيراً قطُّ – أي من المؤمنين – بمحض رحمته؛ وهذا انتفاعٌ بغير عملهم. سادسها – أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم، وذلك انتفاع بمحض عمل الغير. سابعها – قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين: (وكانَ أبُوهما صالحاً) [الكهف]، فانتفعا بصلاح أبيهما وليس من سعيهما. ثامنها – أن الميت ينتفعُ بالصدقةِ عنه وبالعتق، بنص السنة والإجماع، وهو من عمل الغير. تاسعها– أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحَجِّ وليّه بنص السُّنة؛ وهو انتفاعٌ بعمل الغير. عاشرها – أن الحج المنذور أو الصوم المنذور

يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة؛ وهو انتفاع بعمل الغير. حادي عشرها – المدينُ قد امتنع صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة. وقضى دين الآخر على بن أبي طالب وانتفع بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو من عمل الغير. ثاني عشرها – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن صلى وحده: (ألا رجل

يتصدق على هذا فيصلي معه)، فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير. ثالث عشرها – أن الإنسان تبرأ ذمته من ديون الخلق إذا قضاها عنه قاض: وذلك انتفاع بعمل الغير. رابع عشرها – أن من عليه تبعات ومظالمُ إذا حلل منها سقطت عنه؛ وهذا انتفاع بعمل الغير. خامس عشرها – أن الجار الصالح ينفع في المحيا والمات – كما جاء في الأثر –؛ وهذا انتفاع بعمل الغير. سادس عشرها – أن جليسَ أهل الذكر يُرحم بهم؛ وهو لم يكن منهم، ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له، والأعمال بالنيات، فقد انتفع بعمل غيره. سابع عشرها – الصلاة على الميّت والدعاء له في الصلاة، انتفاع للميت بصلاة الحي عليه؛ وهو عمل غيره.

ثامن عشرها – أن الجمعة تحصل: باجتماع العدد، وكذا الجماعة بكثرة العدد؛ وهو انتفاع للبعض بالبعض. تاسع عشرها – أن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ... (33)} [الانفال]. وقال تعالى: { .. وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ ... (25)} [الفتح] فقد رفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض، وذلك انتفاع بعمل الغير. عشروها – أن صدقة الفِطر تجب على الصغير وغيره ممن يَمُونه الرجل؛ فإنه ينتفع بذلك من يُخْرج عنه ولا سعيَ له فيها. ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله مالا يكاد يحصى؛ فكيف يجوز أن نتأول الآية الكريمة على خلاف صريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة!؟) اهـ. فإما أن يقال: إن الآية عامة قد خصصت بأمور كثيرة مما ذكر. أو يقال: إنها مخصوصة بقوم موسى وإبراهيم؛ لأنها حكاية عما في صحفهما. وأما هذه الأمة فلها ما سعت هي وما سعى لها غيرها، بدليل ما ذكر. وبدليل قوله تعالى: { .. أَلْحَقْنَا بِهِمْ ... (21)} [الطور] حين أدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء. أو يقال: إنَّ سَعْيَ غيره لمّا لم ينفعه إلا مَبنيًّا على سعيِ نفسِه وهو بكونه مؤمنا كان كأنه سَعيُ نفسه. أو يقال: إنَّ المرادُ بالإنسان الكافر. والمعنى: أنه ليس له من الجزاء إلا ما عمل هو، وهذا هو العدل. أما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله من فضله ما يشاء. وفي الحديث الصحيح: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث – وفيه –: أو ولد صالح يدعو له) [البخاري]. وهذا كله تفضل منه تعالى، كما أن تضعيف الحسنات فضل منه تعالى. هذا وقد نقل الخازن في تفسيره الأحاديث الصحيحة الواردة في الحج عن الغير، ثم قال: وفي الحديثين الآخرين دليل على أن الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصل ثوابها إليه؛ وهو إجماع العلماء. وكذلك أجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين؛ للنصوص الواردة في ذلك. ويصح الحجُّ عن الميت

حجة الإسلام. وكذا لو أوصى بحج تطوع على الأصح عند الشافعي. واختلف العلماء في الصوم عنه، والراجح جوازه عنه. والمشهور من مذهب الشافعي أن قراءة القرآن لا يصل ثوابها للميت. وذهب أحمد وجماعة من العلماء و من أصحاب الشافعي إلى أنها تصل؛ فالاختيار أن يقول القارئ بعد فراغه: اللهم أوصل ثواب ما قرأته إلى فلان، ونحو ذلك. وأما الصلوات وسائر التطوعات فلا يصل ثوابها عند الشافعي والجمهور. وقال. أحمد يصله ثواب الجميع. انه وقد أشبعنا الكلام في هذا المقام في فتوى الأربعين. والله أعلم

.40

وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40)

.41

ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (41)

.42

وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (42)

.43

وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (43)

.44

وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (44)

.45

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (45)

.46

مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (46)

{مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى}

أي تُدفق في الرَّحم. يقال: أمنى الرجل ومَنَى بمعنى واحد. أو بمعنى تُقّدّر: يقال: منى لك الماني، أي قدّر لك المقدِّر. وما يدفق فيه مكون مما يُسمَّى ماء الرجل وماء المرأة، أو منيهُما، ولا حجرَ في التسمية.

.47

وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى (47)

{النَّشْأَةَ الْأُخْرَى}

الأحياء بعد الإماتة كما وعد.

.48

وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى (48)

{وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى}

أغنى الناس بالأموال.

{وَأَقْنَى}

أعطى القُنيَة، وهي المال الذي تأثلته [تَأَثَلَ فلانٌ: ادخر مالاً ليستثمره] وعزمت ألا تخرجه من يدك. يقال: أقناه الله مالا وقناه إياه، أي أكسبه اياه. وقيل: (أقنى) أرضى. وتحقيقه أنه جعل له قنية من الرِّضا والطاعة. وقيل:"أقنى" أفقر، لأن الهمزة فيه للسلب والإزالة، كما في أشكى.

.49

وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى (49)

{وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى}

هي الكوكب المضيء الذي يطلع بعد الجوزاء في شدّة الحر وتسمَّى الشعرى اليمانية. وخُصت بالذّكْر – وإن كان الله ربًّا لسائر المخلوقات لأن بعض العرب كان يعبدها، فأعلمهم الله تعالى أن الشعرى مربوبة وليست برب كما يزعمون.

.50

وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (50)

{عَادًا الْأُولَى}

قوم هود.

.51

وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (51)

{ثَمُودَ}

قوم صالح.

.52

وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى (52)

.53

وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى (53)

{وَالْمُؤْتَفِكَةَ}

أي والقرى التي ائتفكت بأهلها – أي انقلبت – وهي قرى قوم لوط.

{أَهْوَى}

أسقطها إلى الأرض بعد أن رفعها على جناح جبريل إلى السماء. يقال: أفَكَه عن كذا يأفِكه، أي قلبه وصرفه. وهَوَى يهوي – كرمى يَرمي–: سقط. وأهوى: أسقط.

.54

فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى (54)

{فغَشَّاهَا مَا غَشَّى}

ألبسها ما ألبسها من الحجارة المنضودة المسوَّمة، كما قال تعالى: {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (82) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ .. (83)} [هود]. ويجوز عوْد الضمير لجميع الأمم المذكورة، أي غشاها من العذاب ما غشّاها.

.55

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى (55)

{فبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى}

فبأيّ نعم ربك تتشكَّك أيها الإنسان. والمرادُ

بالنّعم: ما عُدّ في الآيات قبلُ، وسُمِّي الكلُّ نعماً مع أن منه نِقما لما في النِّقم من العبر والمواعظ للمعتبرين فهي نعم بهذا الاعتبار.

.56

هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى (56)

{هَذَا نَذِيرٌ .. }

أي هذا القرآن إنذارٌ من جنس الإنذارات الأولى التي أُنذرَ بها من سبقكم من الأمم وسمعتم عواقبها.

.57

أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (57)

{أَزِفَتِ الْآزِفَةُ}

أي قَرُبت الساعة ودَنَت القيامة. يقال: أزف التَّرحل –كفرح– أزَفاً وأُزوفا، دنا وقَرُب، وهو كقوله تعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ .. (1)} [القمر]. وقد وصفت بالقرب في غير آية من القرآن.

.58

لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (58)

{كَاشِفَةٌ}

نفسٌ تكشف أهوالها وشدائدها.

.59

أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (59)

{أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ}

القرآن.

.60

وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (60)

.61

وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (61)

{وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ}

أي وأنتم لاهون معرضون. يقال: سَمَد يسْمُد – من باب دخل – إذا لهَا وأعْرض. أو وأنتم رافعون رؤوسكم تَكبُّرًا. يقال: سَمد سُمُودا، رفع رأسه تكبُّرًا وعلا. وكلُّ رافع رأسه فهو سامَدٌ؛ ومنه بعيرٌ سامِدٌ في سيره: أي رافع رأسه.

.62

فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا (62)

والله أعلم.

سُورَةُ القَمَر

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (1)

{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ}

قربت القيامة جدا.

{وَانْشَقَّ الْقَمَرُ}

وانفلق فلقَتَيْن معجزة له صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين؛ حين سأله أهلُ مكة أن يريهم آية تدل على صدقه، فأراهم القمر فلقتين حتى رأوا جبل حراء بينهما؛ فقال صلى الله عليه وسلم اشهدوا!! وقد رآه كثير من الناس؛ والأحاديث الصحيحة في هذه المعجزة كثيرة. وقيل: اقتربت الساعة، فاذا جاءت انشق القمر بعد النفخة الثانية.

.2

وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (2)

{وَإِنْ يَرَوْا آيَةً .. }

أي وإن يروْا كلَّ آية يعرضوا عن التأمل فيها والإيمان بها

{وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ}

مارٌّ ذاهبٌ زائل عما قريب؛ من قولهم: مرّ الشيء واستمر، إذا ذهب. أو دائم، أو مُحْكمٌ قويٌّ شديد؛ من المِرَّة بمعنى القوة: وهي في الأصل من إمرار الحَبْل، وهو شدّةُ فتله.

.3

وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (3)

{وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ}

أي وكلُّ أمر لابُد أن يصير إلى غاية يستقر عليها لا محالة، وكذلك أمره صلى الله عليه وسلم سيصير إلى غاية ينتهي عندها أنه حقّ، كما أن أمر هؤلاء المكذبين سيصير إلى وبال محقق. وهو إقناطٌ لهم مما أمَّلُوه من عدم استقرار أمره صلى الله عليه وسلم حيث قالوا {سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ}.

.4

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (4)

{وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ}

أي جاءهم في القرآن من أخبار الأمم المهلكة لفرط عنادها

{مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ}

ازدجارٌ وانتهارٌ لهم ما هم عليه من القبائح. وأصله مُزْتَجر؛ من الزَّجر بمعنى المنع والانتهار. يقال: زجره وازدجره فانزجر وازدجر بمعنى؛ فأبدلت

تاء الافتعال دالا.

.5

حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (5)

{حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ}

أي ذلك الذي جاءهم حِكمة واصِلَة غاية الإحكام.

{فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ}

فما تنفع فيهم الأمور التي أُنذروا بها، أو فأيَّ غنى تُغني النذر إذا استمروا على ما هم عليه من الكفر. و (ما) نافية أو للاستفهام الإنكاري.

و {النُّذُرُ}

جمع نذير: كجُدُد وجديد، بمعنى منذر، أي محذِّر مخوِّف من وقوع العذاب بهم.

.6

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (6)

{يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ}

ظرفٌ لـ (يخرجون). والداعي: إسرافيل عليه السلام، وحُذفت الواو من {يَدْعُ} لفظا لالتقاء الساكنين، ورسما تبعا للفظ، وحذفت الياء من {الدَّاعِ} تخفيفا.

{إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ}

إلى أمر فظيع عظيم تُنكِرهُ النفوس وتكرهه؛ لعدم العهد بمثله وهو هولُ القيامة. أو لشدته وهو الحساب. والنُّكر: بضم الكاف وسكونها –: المُنْكر؛ كالنَّكراء، الأمر الشديد.

.7

خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (7)

{خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ}

ذليلة خاضعة من شدة الهول.

{يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ}

أي القبور أذلة أبصارهم من شدة الهَوْل.

{كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ}

في الكثرة والموج والانتشار في الأقطار حين يتوجهون إلى المحشر.

.8

مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (8)

{مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ}

مسرعين مادِّي أعناقهم إليه؛ من الإهطاع، وهو الإسراع في المشي مع مَدِّ العنق إلى الأمام. يقال: أهطع في عدوه، أسرع. وأهطعَ: مدَّ عنقه وصوب رأسه؛ فهو مُهْطِع.

{يَوْمٌ عَسِرٌ}

صعب شديد؛ لما يعاينون أهواله، ويتوقعون فيه من سوء العاقبة.

.9

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (9)

{وَازْدُجِرَ}

أي وزَجروه ومنعوه عن تبليغ رسالة ربه بأنواع الأذى والتخويف.

.10

فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (10)

{مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ}

مقهور فانتقم لي منهم.

.11

فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (11)

{أَبْوَابَ السَّمَاءِ}

السحاب.

{بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ}

منصبٍّ بقوة في كثرةٍ وتتابعٍ. يقالُ: هَمَره يهمِره ويَهمُره، صبَّه؛ فهمَر هو وانهَمَر.

.12

وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (12)

{وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ}

شققناها.

{فَالْتَقَى الْمَاءُ}

أي: اجتمع ماء السماء وماءُ الأرض.

{عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ}

أي قد قدّره الله وقضاه أزلاً؛ وهو هلاكهم بالطوفان، و (على) تعليليَّة.

.13

وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (13)

{وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ}

أي على سفينة ذات ألواح من الخشب ومسامير تُشدُّ بها ألواحُها. جمعُ دِسار أو دَسْر: وهو المسمار. وأصل الدَّسْر: الدَّفع الشديدُ بقَهْر فسُمِّي به المسمار لأنه يُدقُّ فيُدفع بقوة.

.14

تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (14)

{تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا}

بمرأي منّا، أي بكلاءة وحفظ منا.

.15

وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (15)

{وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا}

أي أبقينا

هذه الفعلة التي فعلناها بهم.

{آيَةً}

عبرة وعظة لمن يعتبر ويتعظ بها.

{فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}

فهل من معتبر يعتبر بها؟ استفهام بمعنى النَّفي؛ أي لا معتبر ولا متعظ بها. وأصله مُذتكَر من الذكر، أُبدلت التَّاء دالاً مهملة وكذا الذال المعجمةُ وأدغمت فيها؛ ومنه: { .. وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ .. (45)} [يوسف]؛ أي تذكر بعد نسيان.

.16

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (16)

{فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ}

أي و انذاري إياهم؛ أي كانا على كيفية هائلة لا يُحيط بها الوصف.

.17

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (17)

{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ .. }

أيْ والله لقد سهّلنا القرآن لقومك بأن أنزلناه بلغتهم عربيًّا مبينا. وشحنَّاهُ بأنواع المواعظ والعبر، وصرَّفنا فيه من الوَعْد والوعيد؛ فهل من معتبر ومُتَّعظ!؟ وقد وردت هذه الجملة القَسميَة في آخر قصة قوم نوح، وقصة عاد، وقصة ثمود، وقصة قوم لوط؛ تقريرا لمضمون ما سبق من قوله تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (4) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (5)}، وتنبيهاً على أن كل قصة منها مستقلَّة بإيجاب الادِكار، كافية في الازدجار؛ ومع ذلك لم يحصل منهم اعتبار.

.18

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (18)

{كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ}

أي إنذاري لهم بالعذاب قبل وقوعه، وكُرِّرت في قصص السورة لتفظيع أمر العذاب والانذار به، ولتجديد الاتِّعاظ عند سماع كل قصَّة.

.19

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (19)

{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا}

أي باردة؛ أو شديدة الصَّوت [فُصِّلت:16].

{فِي يَوْمِ نَحْسٍ}

شُؤْم وشرٍّ.

{مُسْتَمِرٍّ}

أي دائم الشُّؤم، استمر عليهم بنحوسته واستمر فيه العذاب إلى الهلاك.

.20

تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (20)

{تَنْزِعُ النَّاسَ}

تقْلَعهم من أماكنهم. رُوِيَ أنهم دخلوا الشِّعاب والحُفَر، وتمسك بعضهم ببعض؛ فقلعَتْهم الريح وصرعتهم موتى.

{كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ}

الأعجازُ: جمعُ عَجُز، وهو مؤخر الشيء، وأعجاز النخل: أصولها، والمراد بها: النخلُ بتمامه ماعدا الفروع. و {مُنْقَعِرٍ} صفة لـ {نَخْلٍ} أي منقلع من أصله. يقالُ: قَعَر النخلةَ-كمَنَع – قلعها من أصلها؛ فانقعرت، وقَعَر البئر: وَصَل إلى قَعْرها. أي كأنهم حين تقلعهم الريح من الحفر وترميهم صرعى، اعجاز نخل منقلع من مغارسه، ساقط على الأرض. وشبِّهوا بها لأن الريح كانت تقلع رءوسهم فتبقيهم أجسادا بلا رءوس، وكانوا ذوي أجساد عظام طوال.

.21

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (21)

.22

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (22)

.23

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (23)

.24

فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (24)

{إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ}

أي إنا إذا اتّبعناه لفي خطأ وذهاب عن الحق والصواب.

{وَسُعُرٍ}

جنون. يقال: ناقة مسعورة، إذا كانت تُفْرط في سيرها كالمجنونة. أو نيران: جمع سعير وهو النار.

.25

أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (25)

{كَذَّابٌ أَشِرٌ}

أي بَطِر – متكبِّر، يريد أن يتعظم علينا بادعاء النبوة وأنه يوحى إليه؟ والبَطَر: دَهَشٌ يعتري الإنسان من سوء احتمال النِّعمة وقلةِ القيام بحقها، وصرفها إلى غير وجهها.

.26

سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ (26)

.27

إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (27)

{فِتْنَةً لَهُمْ}

ابتلاءٌ وامتحاناً لهم؛ ليظهر للناس هل يؤمنون أم يكفرون.

{فَارْتَقِبْهُمْ}

فانتظر ما هم صانعون وما يُصْنعُ بهم و ..

{وَاصْطَبِرْ}

اصبر على أذاهم حتى يأتي أمر الله.

.28

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (28)

{وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ}

أي مقسومٌ بينهم وبين النَّاقة؛ لهم يوم لا تشاركهم فيه، ولها يوم لا يشاركونها فيه، كما قال تعالى: { .. لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (155)} [الشعراء].

{كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ}

أي كل نصيب من الماء يحضره من هو له، فالناقة تحضر الماء يوما، وهم يحضرونه يوما اخر.

.29

فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (29)

{فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ}

قُدار ابن سالف، أحيْمر ثمود.

{فَتَعَاطَى}

فتناول السيف {فَعَقَرَ} الناقة.

.30

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (30)

.31

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (31)

{صَيْحَةً وَاحِدَةً}

من السماء صاح بهم جبريل عليه السلام في طَرَف منازلهم.

{فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ}

أي ما تهشم وتفتتَ من الشجر اليابس منه. والهَشيمُ: يا بِسُ كلَّ كلأٍ وكل شجر؛ من الهَشْم وهو كسر الشيء اليابس أو الأجوف. والمُحتَظِر: عندما يعمل المحتَظِرُ حظيرة لماشيته. وهي الزَّريبة التي يصنعها العرب وأهل البادية للمواشي والسكنى من يابس الأغصان والأشجار؛ من الحَظْر وهو المنع.

.32

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (32)

.33

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (33)

.34

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (34)

{حَاصِبًا}

أي ريحاً شديدة ترميهم بالحصباء، وهي الحجارة الصغيرة.

{بِسَحَرٍ}

أي في سحر، وهو الوقت الذي يختلط فيه سواد آخر الليل ببياض أول النهار، وهو قُبيل الصبح.

.35

نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (35)

.36

وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (36)

{وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا}

خوّفهم أخذتنا الشديدة لهم بالعذاب.

{فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ}

فكذبوا بها متشاكين.

.37

وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (37)

{وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ}

أرادوا منه تمكينهم من أضيافه ليخبثُوا بهم. يقال: راودته على كذا مُرَاودَة ورواداً، أي أردته. وعُدّي بـ (عن) لما فيه من معنى البعد؛ أي أن يَبعُد عن الأضياف بألا يمنعهم عنهم.

{فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ}

فحجبنا

أبصارهم؛ فدخلوا المنزل فلم يروا شيئا. وكُني عن ذلك بالطمس، وهو المَحو وإذها الأثر.

.38

وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (38)

{وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ}

أتاهم وقت الصباح

{بُكْرَةً}

أي في البكرة وهي أول النهار. وهو كالتأكيد لما يفيده {صَبَّحَهُمْ}.

{عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ}

دائم لا ينفك عنهم؛ إلى أن يُفضِي إلى عذاب الآخرة.

.39

فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (39)

.40

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (40)

.41

وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (41)

.42

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (42)

{أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ}

أخذ غالب في انتقامه؛ من العِزَّة بمعنى الغَلَبة، قادر على إهلاكهم، لا يعجزه شيء.

.43

أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (43)

{أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ}

أي أكفار كم يا أهل مكَّة أقوى وأشدُّ وأقدر! أو أقلُّ كفرا وعنادا من أولئك الكفار الماضين، ليكون ذلك سبباً لأمْنِكم من حلول مثل عذابهم بكم؟ ليس الأمر كذلك؛ فلم لا تخافون أن يحل بكم مثلُ ما حل بهم من العذاب!؟ والخطاب لهم على ضربٍ من التجريد، فكأنه جرد منهم كفار وأضيفوا إليهم مبالغة في كفرهم.

{أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ}

أي بل ألكفّاركم براءة فما نزل من الكتب من العذاب على الكفر فلذلك لا تخافون؟! ليس الأمر كذلك!

.44

أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (44)

{أَمْ يَقُولُونَ}

أي بل أيقول هؤلاء الكفار واثقين بشوكتهم:

{نَحْنُ جَمِيعٌ}

أي نحن يدٌ واحدةٌ، على من خالفنا

{مُنْتَصِرٌ}

أي ممتنع على من عادانا فلا نُغلب. يقال: نصره الله فانتصر، أي منعه فامتنع، أو مُعانٌ على عدوّه؛ من النصر بمعنى العون. وقد رد الله تعالى عليهم بقوله: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}.

.45

سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (45)

{سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}

وقد كان ذلك يوم بدر، وهو من أعلام النبوة، فإن الآية مكية، وقد نزلت قبل فرض الجهاد.

.46

بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (46)

{وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ}

أي وعذابُ الساعة أعظمُ داهيةً، وأشدُّ مرارة مما سيصيبهم من عذاب الدنيا. و {أَدْهَى} من الدّاهية، وهي الأمر المنكر الفظيع الذي لا يُهتدى للخلاص منه. يقال: دهاه أمرُ كذا، أي أصابه. و {وَأَمَرُّ} من مَرَّ الشيءُ اذا صار مُرًّا.

.47

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (47)

{فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ}

نيران مسعرة أو جنون. [آية 24 من هذه السورة].

.48

يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (48)

{ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ}

أي يقال لهم: قاسُوا ألمها وعذابها. و {سَقَرَ} علمٌ على جهنم؛ من سَقَرتْه الشمس وصَقّرته: إذا لوحَتْه وأذابته. وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث.

.49

إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49)

{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}

أي مقَدَّراً محكَما، مستوفي فيه ما تقتضيه الحكمة التي عليها مدار التكوين؛ وهو كقوله تعالى: { .. وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (2)} [الفرقان]. والقدَرُ: اسم لما صدر عن القادر مقدَّراً. يقال: قَدَرْتُ الشيء وقدَّرتُه – بالتخفيف والتثقيل – بمعنى واحد. أو المعنى: خلقناه مُقَدَّرا مكتوبا في اللوح قبل حدوثه، فهو بالمعنى المشهور الذي يقابل القضاء. وقال النَّوويّ: القدر تقدير الله الأشياء في القدم، وعِلْمه تعالى أنها ستقع في أوقاتٍ معلومةٍ عنده سبحانه، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها الله تعالى. اهـ. وفي شرح المواقف: قضاء الله هو ارادتُه الأزليَّة المتعلقه بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال. وقدَرُه:

إيجاده إياها على قدر مخصوص وتقديرٍ معين في ذواتها وأحوالها. وقد ناقشه محشّيه المولى حسن جلبي، واختار: أن القضاء هو الفعل مع الإتقان؛ بحيث يأتي على ما تقتضيه الحكمة. والقَدَر: تحديد كلِّ محدود بحده الذي يوجد به.

.50

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (50)

{وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ}

وما أمرُنا في خلق الأشياء إلا كلمة واحدة، وهي قول: (كُن)؛ فتوجد كلمح البصر في السّرعة. وهو نظير قوله تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82)} [يس~] والمرادُ: التقريب للعقول في سرعة تعلُّق القدرة بالمقدور على وفق الإرادة الأزلية. واللَّمْحُ: النَّظرُ بالعجلة. يقال: لمح الشيء، إذا أبصره بنظر خفيف، والاسمُ اللمحة. أو وما أمرنا في قيام الساعة إلا كلمة واحدة فتقوم كلمح البصر؛ فهو كقوله تعالى: { .. وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ .. (77) [النحل].

.51

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (51)

{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ}

أشباهكم في الكفر من الأمم السابقة؛ فاحذروا أن يصيبكم مثلُ ما أصابهم. وأصلُ الأشياعِ: الأتباع؛ أريد به ما ذُكِرَ مجازاً.

.52

وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (52)

{وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ}

أي مكتوبٌ ومحفوظٌ في كتب الحَفَظة، فلا مفر منه.

.53

وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (53)

{وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ}

أي وكل صغير وكبير من الأمور والأعمال، ومنها الذنوب: مسطورٌ عندنا، ومحصيٌّ على صاحبه. يقالُ: سَطَرَ يَسْطُرُ سَطراً، كتب واسْتَطر مثله، وهو تأكيد لما قبله.

.54

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (54)

{فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ}

أي وأنهارٍ، فالمرادُ به الجنس، وأفرد في اللفظ لموافقة رؤوس الآي.

.55

فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (55)

{فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ}

في مكان مَرْضِيٍّ. أو مجلس حق لا لغوٌ فيه ولا تأثيم، وهو الجنة.

{عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ}

أي مقربين عند ملِك عظيم المُلك، قادر عظيم القدرة. تعالى أمرُه في الملك والاقتدار! بحيث أبهم على ذوي الأفهام.

والله أعلم

سُورَةَ الرَّحْمن

بسم الله الرحمن الرحيم

وتسمى عروس القرآن

.1

الرَّحْمَنُ (1)

{الرَّحْمَنُ}

من أسمائه تعالى؛ وتخصيصه بالذكر هنا للتَّنبيه إلى أن تعليم القرآن من آثار رحمته الواسعة.

.2

عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2)

{عَلَّمَ الْقُرْآنَ}

بدأ سبحانه في معرض الامتنان على عباده بجلائل النِّعم– أعظمها شأنا، وأرفعِها مكانا؛ وهو تعليم رسوله صلى الله عليه وسلم وأمَّتِه القرآن، وهو هدى وشفاءٌ، ورحمة وعصمة، وأمانٌ ونور للناس في دينهم ودنياهم، وهو أعْظم وحي الله إلى أنبيائه، وأشرفهُ منزلةً عند أوليائه، وأكثرُه ذكرا، وأحسنُه في أبواب الدِّين أثراً.

.3

خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3)

{خَلَقَ الْإِنْسَانَ}

أي خلق النَّوع الإنسانيَّ على أبدع صورة.

.4

عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)

{عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}

مكَّنه من بيان ما في نفسه بالمنطق الفصيح، ومِن فِهْم بيان غيره؛ فتميز بذلك عن الحيوان، واستعد لتلقى العلوم و الخلافة في الأرض. وهذه نِعَم عظمى توجب الشكر والتعظيم لله تعالى.

.5

الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5)

{الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ}

أي يجريان بحساب معلوم مقَدّر في بروجها ومنازلها لا اختلال فيه ولا اضطراب. وبذلك تُعلم الشهور والسّنُون والفصول، ويعرف الحساب، وتتّسق أمور الكائنات الأرضية. وهذه نعم أخرى تستوجب الحمد والإقرار له تعالى بالربوبية. وهو مصدر كالغُفْران، أو جمع حساب، كشهاب و شُهبان.

.6

وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6)

{وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ}

النَّجم هنا: النباتُ الذي يَنْجُم، أي يظهر ويطلع من الأرض ولا ساق له، والشجر: النبات الذي له ساق. وسجودُهما: أنقيادهما له تعالى فيما يريد بهما طبعا، كانقياد الساجد لخالقه.

.7

وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7)

{وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا}

خلقها مرفوعةً؛ مسموكةً فوق الأرض بلا عمد.

{وَوَضَعَ الْمِيزَانَ}

شرع العدل وأمر به؛ ليستقيم أمرُ العالم. أو خلق الآلة المعروفة التي تعرف بها مقادير الأشياء؛ ليتوصل بها الناس في الأرض إلى الإنصاف والانتصاف في المعاملات.

.8

أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8)

{أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ}

أي لئلا تتجاوزوا الحق فيه.

.9

وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9)

{وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ}

قوّموا وزنكم بالعدل. والمرادُ: حث الإنسان على مراعاته في جميع أقواله وأفعاله.

{وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ}

أي لا تَنْقُصوه، فإن من حقه أن يُسوَّى. أمَرَ الله تعالى بالتَّسوية، ونهى عن الطغيان فيه الذي هو اعتداء وزيادةٌ، وعن الخسران فيه الذي هو تطفيف ونقصان؛ وكلاهما ظلم، وكرر لفظ (الميزان) للتوصية به، وتقوية الأمر باستعماله والحثّ عليه.

.10

وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10)

{وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا}

خلقها مخفوضة عن السماء.

{لِلْأَنَامِ}

للحيوان كلِّه، أو للإنس والجن، للانتفاع بها.

.11

فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (11)

{وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ}

أي الأوعية التي يكون فيها التَّمر وهو الطَّلْع، جمعُ كِمّ، بالكسر. أو ذات سبائب اللّيف، وهي التي في أعناق النَّخل.

.12

وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (12)

{وَالْحَبُّ}

أي وفي الأرض الحَبُّ؛ كالبُرِّ والشَّعير مما يُتغذى به.

{ذُو الْعَصْفِ}

أي التِّبن أو القِشر الذي يكون على الحَب. وسُمِّيَ عصفا تعصِف الرياح به لخفته.

{وَالرَّيْحَانُ}

أي وفيها الريحانُ: وهو كل مشموم طيّب الرائحة من النبات. امتنّ الله على عباده بما خلقه لهم من الفاكهة للتلذذ، ومن النَّخل للتلذذ والغذاء، ومن الحبة لغذاء الإنسان والحيوان، ومن الريحان للتلذذ بطيب رائحته. وقرئ بالجَرّ عطفا على (العصف) وفُسر باللبّ؛ فكأنه قيل: والحبُّ ذو العصّف الذي هو رزق دوابِّكم، والُّلب الذي هو رزقكم.

.13

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (13)

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}

الخطاب للمكلفين من

الأنام، وهم الإنس والجن. أي فبأيّ فرد من أفراد نِعم ربِّكما تكفران وتجحدان!؟ أبتلك النِّعم المذكورة هنا أم بغيرها؟ مع أن كل نعمة ناطقةٌ بالحق شاهدةٌ بالصّدق!. والاستفهام للتقرير بالنِّعم وتأكيدها في التذكير، وقيل: للتوبيخ والإنكار.

وقد عدد الله تعالى في هذه السورة كثيرا من نَعْمائه. وذكر خلقه بعظيم من آلائه. ثم أتبع كل خَلّة وصفها، ونعمة وضعها بهذه الآية الكريمة، فذكرها في واحد وثلاثين موضعاً، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين؛ لينبههم على النِّعم، ويقرّرهم بها، ويقيم عليهم الحجَّة عند جحودها.

ولهذا الأسلوب البديع في العربية الفصحى شواهد كثيرة فذكر ثمانية منها عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله، ومبدأ الخلق ومعادُهم، ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها؛ بعدد أبواب جهنَّم وحَسّن ذكر الآلاء عقبَها؛ لأن من جملة الآلاء: رفع البلاء وتأخير العذاب. ثم ثمانية في وصف الجَنَّتين وأهلها: بعدد أبواب الجنة. وثمانية أخرى في الجِّنتين الّلتَيْن هما دون الجنتين الأوليين؛ فمن اعتقد الثِّمانية الأولى، وعمل بموجبها استحق هاتين الثمانيتين من الله ووقاه السبعة السابقة.

.14

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14)

{خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ}

طين يابس غير مطبوخ

{كَالْفَخَّارِ}

أي الخَزَف المجوَّف الذي طُبِخ.

.15

وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (15)

{وَخَلَقَ الْجَانَّ}

أي جنس الجن.

{مِنْ مَارِجٍ}

من لهب خالص لا دُخَان فيه، أو مما اختلط بعضُه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر، الذي يعلو النار إذا أوقدت. {مِنْ نَارٍ} بيان لـ {مَارِجٍ}.

.16

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (16)

.17

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17)

{رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ}

مشرِق الشمس في الشتاء والصّيف.

{وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ}

مغربها فيهما. وفي هذا التدبير المحكم منافع عظمى للإنسان والحيوان والنبات.

.18

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (18)

.19

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19)

{مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ}

أرسل الله المياهَ العذبة والمَلِحة في مجاريها أنهارا وبحارا على سطح الأرض، متجاورة متصلة الأطراف، ومع ذلك لم تختلط؛ الاقتضاء حكمته تعالى إقامة حواجز بينها من أجرام الأرض تمنعها من الاختلاط، ولولاها لبَغى أحد النوعين على الآخر؛ فبقِيَ العذب على عذوبته، والمِلحُ على ملوحته لينتفع بكل منهما في خُلق لأجله. ومن بدائع الصنعة ودلائل القدرة: إبقاءُ الأنهار والبحار الهائلة المحيطة في مجاريها على سطح الأرض على ما نشاهده مع كُرويّتها،

وإمساكها عن الطُّغيان على اليابس وهو دونها بكثير؛ وإلا لغرق الناس، وفَني العالم، والله على كل شيء قدير؟ و {مَرَجَ} أرسل؛ من مرج الدابة – من باب نصر –: أرسَلَها ترعى في المَرْج.

{يَلْتَقِيَانِ}

يتجاوران، أو تلتقي أطرافُهما.

.20

بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20)

{بَرْزَخٌ}

حاجزٌ من أجرام الأرض، وذلك بقدرته تعالى.

{لَا يَبْغِيَانِ}

لا يطغى أحدهما على الآخر بالممازجة، أولا يتجاوزان حدَّيهما بإغراق ما بينهما.

.21

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (21)

.22

يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (22)

{يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ}

أي يخرج من أحدهما وهو المِلْح: اللؤلؤ والمرجان المعروفان. وإنما قيل (منهما)، لأنهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما؛ كما يقال: يخرجان من البحر، وهما لا يخرجان من جميعه، ولكن من بعضه، وكما تقول: خرجتُ من البلد، وإنما خرجت من محلّة من محالّاته. وقد يُنْسب إلى الاثنين ما هو لواحد كما يسند إلى الجماعة ما صدر من أحدهم. والعرب تجمع الجنسين وتريد أحدهما، وجاء على هذا الأسلوب قوله تعالى: {يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ... (130)} [الانعام] وإنما الرُّسل من الإنس دون الجن. وقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (15) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (16)} [نوح] والقمرُ في سماء الدنيا، ولكنه أجمل ذكر السماوات السبع، فساغ أن يجعل ما في إحداهن فيهنّ.

.23

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (23)

.24

وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (24)

{وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ}

أي وله السُّفن الجاريات في البحار، المرفوعات القلوع كالجبال الشاهقة. جمعُ جارية، وهي السفينة. ومُنْشأَةٍ: أي مرفوعة الشِّراع وهو القِلْع؛ من أنشأه: أي رفعه. وعَلَم وهو الجبل الطويل [الشورى:32].

.25

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (25)

.26

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26)

{فَانٍ}

هالك.

.27

وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27)

{ذُو الْجَلَالِ}

ذو العَظَمة والاستغناء المطلق.

{وَالْإِكْرَامِ}

الفضل التام بالتجاوز والإحسان والإنعام. يقالُ: جَلَّ الشيء يَجِلُّ، أي عَظُم. وأجللته: أعظمته.

.28

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (28)

.29

يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (29)

{يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}

جميعاً ما يحتاجون إليه في كل شأن؛ بلسان المَقال أو بلسان الحال.

{كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}

أي كلَّ وقت ولحظة يُحدث أمورا، ويجدّد أحوالاً، حسبما تقتضيه مشيئتُه المبنيّة على الحِكَم البالغة، فيغفر ذنوبًا، ويُفرّج كروبا، ويرفع أقواما ويضع آخرين، ويحيي ويميت، ويُعز ويُذلّ، ويَخلق ويرزق، ويَشفي ويُمرض، ويعافي ويَبْتلي؛ وكلها شئون يُبديها ولا يبتديها، لا يَشغله شأن عن شأن.

.30

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (30)

.31

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ (31)

{سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ}

الفراغُ هنا: القصدُ إلى الشيء والإقبالُ عليه. يقالُ: فراغ له وإليه –كَمنَع وسَمِع ونصَرَ – قصد. وسأفرُغُ لفلان: سأجعله قصدي. والثَّقلان: الإنس والجنُّ؛ تثنيةُ ثَقَل بفتحتين، وأصله: كل شيءٍ له قَدْر ووزن يُنافس به؛ وأطلق عليهما لعِظَم قدرهما. أو لأنها أثقلا بالتكاليف. أي سنقصِد يوم القيامة إلى محاسبتكم ومجازاتكم على ما قدمتم من الأعمال، وسيكون ذلك شأننا في هذا اليوم فحسب!

.32

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (32)

.33

يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33)

{لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ}

أي لا تقدرون على الخروج من أمرى وقضائي الا بقوّة وقهر وأنتم بمعزل عن ذلك.

.34

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (34)

.35

يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (35)

{يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا}

يُصبُ عليكما شواظ

{شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ}

لهبٌ خالصٌ من الدخان

{وَنُحَاسٌ}

صُفْرٌ مذاب. وقيل النحاس: الدُّخان الذي لا لهب فيه. أي أنه يُرسل عليهما هذا مرة وهذا مرة.

.36

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (36)

.37

فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37)

{فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ}

تصدَّعت في يوم القيامة. وجوابُ (إذا) محذوف تقديره: رأيتَ ما يُذهل ويُفْزع.

{فَكَانَتْ وَرْدَةً}

فكانت حين تصدعها كالوردة في الحمرة أو حمراء كلْون الفرس الورْد، وهو الأبيض الذي يَضرب إلى الحمرة في الشتاء.

{كَالدِّهَانِ}

أي كدُهن الزيت في الذوبان من حرارة جهنم، أو محمرَّة كالدِّهان، أي الأديم الأحمر.

.38

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (38)

.39

فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (39)

{فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ}

أي ففي حين خروجهم من القبور لا يُسألون عن الذنوب، ولكنهم يُسألون في موقف الحساب؛ كما قال تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92)} [الحجر]. وقال: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (24)} [الصافات]. فلترك السؤال موطنٌ و غيرُ موطن السؤال.

.40

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (40)

.41

يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (41)

{يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ}

أي بسواد الوجوه، وزرقة العيون. أو بما يعلوهم من الكآبة والحزن.

{فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ}

فتأخذُ الملائكةُ بنواصيهم – اي بشعور مقدم رؤوسهم – مجموعة إلى أقدامهم فتقذفهم في النار.

.42

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (42)

.43

هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (43)

.44

يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (44)

{يَطُوفُونَ بَيْنَهَا}

يترددون بين التصلِيةِ بنارها الشديدة،

{وَبَيْنَ حَمِيمٍ}

ماءٍ حارًّ.

{آنٍ}

بالغ في الحرارة أقصاها. يقال: أني ألحميمُ، أي انتهي حَرّه إلى غايته، فهو آن. وبلغ هذا أَناه– و بكسرٍ– غايته، أو نضجه و ادراكَه.

.45

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (45)

.46

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (46)

{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ}

ولمن خاف قيام ربه وهَيْمَنتَه عليه ومراقبته له. أو قيامه بين يدي ربه للحساب،

{جَنَّتَانِ}

ينتقل من إحداهما إلى الأخرى؛ لتتوفر دواعى لذَّته، وتظهر ثمار كرامته.

.47

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (47)

.48

ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (48)

{ذَوَاتَا أَفْنَانٍ}

صفة

(جنتان) أي صاحبتا أنواع من الأشجار والثمار؛ جمعُ فنٍّ– كدَنٍّ – بمعنى النَّوع. أو صاحبتا أغصان؛ جمع فنَن – كطَلل – وهو ما دقَّ ولانَ من الأغصان.

.49

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (49)

.50

فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (50)

.51

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (51)

.52

فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (52)

{فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ}

صنفان: معروفٌ، وغريب غير مألوف؛ وكلاهما حلوٌ يُستلذ به.

.53

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (53)

.54

مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (54)

{بَطَائِنُهَا}

جمع بطانة، وهي ما قابل الظهارة من الثياب.

{مِنْ إِسْتَبْرَقٍ}

ديباج غليظ.

{وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ}

ما يُجْنى ويُؤخذ من ثمارهما قريب من المتناول، من الدّنُو بمعنى القُرب.

.55

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (55)

.56

فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (56)

{فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ}

نساء قاصرات أبصارَهنّ على أزواجهن، لا يَنظرن إلى غيرهم.

{لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ}

أي أنهن أبكار، لم يَفتَّضهُن قبل أزواجهن أحد. يقالُ: طَمَث الرجل امرأته – من باب ضَرَب وقتل – افتَّضها. وأصل الطَّمْث: الجماعُ المؤدِّي إلى خروجِ دم البكر؛ ثم أطلق على كل جماعٍ وإن لم يكن معه دمّ.

.57

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (57)

.58

كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (58)

{كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}

كأنهن الياقوت في صفاء اللون، والمرجان في الحُمْرة.

.59

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (59)

.60

هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (60)

.61

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (61)

.62

وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (62)

{وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ}

أي ومن دون تينك الجَنّتين في المنزلة والقدْر – وهيا اللتان للسابقين المقرَّبين –: جنتان أخريان لمن هم دونهم من أصحاب اليمين.

.63

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (63)

.64

مُدْهَامَّتَانِ (64)

{مُدْهَامَّتَانِ}

أي هما شديدتا الخُضرة؛ والخضرةُ إذا اشتدَّت ضربت إلى السواد من كثرة الرّيّ من الماء. أو سوداوان من شدّة الخضرة من الرِّيِّ؛ من الدُّهمَة، وهي في الأصل: سواد الليل، ويعبر بها عن الخُضرة الكاملة اللون. يقال: ادهامَّ يدهام فهو مُدْهامٌّ، إذا اسْودَّ أو اشتدّت خضرتُه.

.65

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (65)

.66

فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (66)

{فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ}

فوّارتان بالماء لاتنقطعان. والنَّضْخُ – بالخاء المعجمة – فوق النَّضح– بالحاء المهملة – وهو الرشُّ بالماء.

.67

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (67)

.68

فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (68)

.69

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (69)

.70

فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (70)

.71

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (71)

.72

حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (72)

{حُورٌ}

أي فيهن نساءٌ حُورٌ [الدخان:54].

{مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ}

أي مخدَّرات. يقالُ: امرأة مقصورةٌ وقصيرةٌ ملازمة لبيتها لا تطوف في الطرق. والنساءُ تُمدحن بذلك لدلالته على صيانتهن. والخيام: البيوت. قيل: هي في الجنة من لؤلؤ؛ كما جاء في الأحاديث الصحيحة.

.73

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (73)

.74

لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (74)

.75

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (75)

.76

مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (76)

{مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ}

أي على الوسائد أو الفرُش المرتفعة، أو الرقيق من ثياب الدِّيباج، ذات اللون السُّندسيِّ الأخضر، أو على ثياب خضر، تُتخذ منها الستور التي تُبسط على وجه الفراش للنوم عليه. واشتقاقُه من رَفَّ: إذا ارتفع، وهو اسم جمع واحده رَفْرفة، أو اسم جنس جمعيّ.

{وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ}

طنافس، وهي أبسطةٌ لها أهداب رقيقة، أو هو الثياب الموشاة، وكلُّ ثَوبٍ وشي فهو عند العرب عبقري، أو هو الديباج الغليظ. والعبقريُّ في الأصل: الكامل من كل شيء أو الجليل النَّفيس الفاخر من الرِّجال وغيرهم؛ وياؤه كياء كرسيّ وبُختي. والمرادُ الجنسُ أو هو اسمُ جمع، أو جمعٌ واحده عبقريّة، ولذا صف بالحسان.

.77

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (77)

.78

تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (78)

{تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ}

تعالى اسمُه الجليل وارتفع عما لا يليق بشأنه العظيم! أو تعالت صفته. أو كثُرت خيراتُه [الأعراف:54].

{ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}

[آية 27 من هذه السورة].

والله أعلم.

سُورَة الواقِعَة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

.1

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (1)

{إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ}

أي اذكر لهم إذا نزلت القيامة؛ فإنَّ في ذكر أحوالها وأهوالها عظة؛ من وقَعَ الطائر: نَزل عن طيرانه. والواقعةُ من أسماء القيامة، وسميت بذلك للإيذان بتحقق وقوعها.

.2

لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (2)

{لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ}

أي لا تكون حين تقع نفس تكذِب على الله، وتكذب في تكذيبه سبحانه في خبره بها؛ كما كان ذلك من المنكرين لها في الدنيا، بل كل نفس حينئذ مؤمنة، صادقة مصدقة بها لتحقق وقوعها بالمشاهدة. واللام للتّوقيت كما في: كتبته لخمس خلْون من كذا.

.3

خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (3)

{خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ}

أين هي خافضة للأشقياء إلى الدَّركات، رافعةٌ للسعداء إلى الدّرجات. والرفع والخفض يستعملان عند العرب في المكان والمكانة، والعز والإهانة، ونسبتُهما إلى القيامة مجاز.

.4

إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (4)

{إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا}

أي زلزلت وحُرِّكت تحريكا شديدا. يقال: رجَّه يرُّجه رجًّا، حركه وزلزله، فارتجَّ. ومنه: ارتج البحر وغيره، اضطرب. والرَّجرجة للاضطراب. و (اذا) بدلٌ من (اذا) الأولى. أو منصوبة بـ (خافضة رافعة).

.5

وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (5)

{وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا}

فُتّتت تفتيتا حتى صارت كالسَّويق الملتوت؛ من بسَّ السويق: إذا لتَّه.

.6

فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا (6)

{فَكَانَتْ هَبَاءً}

فصارت غبارا، أو كالهباء، وهو ما يثور مع شعاع الشمس إذا دخل من كوَّة، أو ما يتطاير من النار على هيئة الشرر إذا أضرمت.

{مُنْبَثًّا}

متفرقا.

.7

وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (7)

{وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً}

أي وصرتم في ذلك اليوم بما كان في جبلاتكم وطبائعكم، وما كان من أعمالكم في الدنيا أصنافا ثلاثة، صنفان سُعداء، وهم السابقون وأصحاب الميمنة، والثالث أشقياء، وهم أصحاب المشأمة. والخطاب للأمة الحاضرة والأمم السابقة على سبيل التغليب، وقيل للأمة الحاضرة فقط. والزَّوج: يُطلق على كل ما يقترن بأخر مماثلا له أو مضاداً؛ كما يطلق على كل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوان المتزاوج، وعلى كل قرينين فيه وفي غيره كالخف والنَّعْل.

.8

فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (8)

{فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ}

أي ناحية اليمين، وهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، أو يُؤتَون صحائفهم بأيمانهم.

{مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ}

أي أيُّ شيء هم في أحوالهم وصفاتهم! والجمله مبتدأ وخبر، وهي خبرُ قوله {فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ} وضع فيها الظاهر موضع الضمير للتفخيم، ومثله يقال في: {وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (9)} وقد وُضع فيها الظاهر موضع الضمير للتفظيع. والمقصود فيهما: تَعجيب السامعين من شأن الفريقين في الفخامة والفظاعة.

.9

وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (9)

{وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ}

أي ناحية الشِّمال، وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشِّمال إلى النار، أو يؤتَون صحائفهم بشمائلهم.

.10

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10)

{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ}

هم الصُنف الثالث من الأزواج الثلاثة، وهم الذين سارعوا إلى كل ما دعا الله إليه. والجملة مبتدأ وخبر؛ على حدّ: أنا أبو النَّجم وشِعْري شِعري؛ أي والسابقون هم الذين اشتهرت أحوالهم وعُرفت فخامتهم.

.11

أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (11)

.12

فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (12)

.13

ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (13)

{ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ}

أي أولئك السابقون المقرَّبون جماعة كثيرة من الأمم الماضية، وهم الذين عاصروا الأنبياء وآمنوا بهم.

.14

وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (14)

{وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ}

وهم الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم وآمنوا به، ولا شك أن جملة الذين عاصروا الأنبياء السَّابقين وآمنوا بهم؛ أكثر ممن عاصروا نبينا صلى الله عليه وسلم وآمنوا به، ولذلك عبر عن الأولين بالثلة وهي الجماعة الكثيرة، وقوبلت بالقليل من الآخرين. وهذا لا ينافي كون أمته صلى الله عليه وسلم على الإطلاق أكثر من الأمم الماضية كذلك. وقيل – بناء على أن الخطاب هذه الأمة خاصة –: إن الثلّة والقليل: منها؛ أي السابقون المقرَّبون ثُلَّة من صدر هذه الأمة وقليلٌ من بعدهم.

رُوي عن الحسن أنه قال في هذه الآية: أمّا السابقون فقد مضوْا،

ولكن اللَّهم اجعلنا من أصحاب اليمين.

.15

عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (15)

{عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ}

أي مستقرين على سُرر منسوجة بالذهب نسجا محكما للرَّاحة والكرامة. يقال: وضَنَ الغزل يضِنُه، نسجه. ودرعٌ موضونة: أي منسوُجة أو متقاربة النسج، أو منسوجة حلقتين حلقتين.

.16

مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (16)

.17

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (17)

{يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ}

أي يدور حولهم للخدمة غِلمانٌ مُبقَون أبدا على شكل الولدان وحدِّ الوصافة.

.18

بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (18)

{بِأَكْوَابٍ}

بأقداح لاعُرا لها.

{وَأَبَارِيقَ}

أوانٍ ذات عُرًا وخراطيم.

{وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ}

إناء من خمر جارية من العيون [الصافات:45].

.19

لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (19)

{لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا}

لا يصيبهم صداع بسبب شربها، و (عن) بمعني باء السببية.

{وَلَا يُنْزِفُونَ}

بضم الياء وكسر: الزاي، أي لاتُذهب الخمر عقولهم من السكر كما في خمر الدنيا؛ من أنزف الشارب: إذا ذهب عقله. وقرئ بفتح الزاي؛ من نُزِف الشارب– كعُنِيَ –: ذهب عقله [الصافات:47].

.20

وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (20)

.21

وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (21)

.22

وَحُورٌ عِينٌ (22)

{وَحُورٌ عِينٌ}

[الدخان:54].

.23

كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (23)

{كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ}

أي هنّ في صفاء بياضهنّ وحسنهنّ كاللُّؤلؤ الذي صين في أصدافه فلم تمسسه الأيدي، ولم تقع عليه الشَّمس والهواء؛ فكان في نهاية الصفاء.

.24

جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24)

.25

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (25)

{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا}

لا يسمعون في الجنة مالا يُعتَدُّ به من الكلام، أو كلاماً قبيحاً، ولا نسبة إلى الإثم [الطور:23].

.26

إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (26)

.27

وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (27)

.28

فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (28)

{فِي سِدْرٍ}

هم في سِدْر، هو شجر النَّبق واحده سِدرة.

{مَخْضُودٍ}

خُضِدَ شوكه. يقال: خَضَدَ الشجر – من باب ضرب – قطع شوكه؛ فهو خضيدٌ ومخضود. أو موقر حمْلا حتى تَثنَّت أغصانه، من خضدتُ الغصن: ثنيتُه.

.29

وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (29)

{وَطَلْحٍ}

هو شجر الموز، واحده طلحة.

{مَنْضُودٍ}

متراكب بعضه فوق بعض، قد نُضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه، فليست له ساق بارزة؛ من النَّضد، وهو الرَّصُّ. يقالُ: نَضَدَ متاعه – من باب ضرب – وضع بعضه على بعض، فهو نضيد ومنضود.

.30

وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (30)

{وَظِلٍّ مَمْدُودٍ}

مُمتد منبسط لا يزول، وهو ظل أشجارها. والعرب تقول لكل مالا انقطاع له: ممدود. والجنةُ كلها ظل أشجارها لا شمس معه.

.31

وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (31)

{وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ}

مصبوب يجرى على وجه الأرض من غير حَفْر بالليل والنهار حيث شاءوا. يقال: سكبه كما صبه. وأعرفُ الناس بهذه النعمة أهل البوادي والبلاد الحارّة.

.32

وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (32)

.33

لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (33)

.34

وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (34)

{مَرْفُوعَةٍ}

على الأسرَّة أو منضدة مرتفعة.

.35

إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (35)

{إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ .. }

أي نساء الدنيا، أو الحور العين.

.36

فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (36)

.37

عُرُبًا أَتْرَابًا (37)

{عُرُبًا}

متحبِّبات إلى أزواجهن، يُحْسنَّ التّبعُّل، جمع عَرُوب، كرُسُل ورسول. من أعربَ إذا بيّن.

{أَتْرَابًا}

مستويات في سِنًّ واحدة؛ كأنهن أشبهن في التساوي الترائب، وهي ضلوعُ الصَّدر. جمعُ تِرب: كشِبهٍ وأشباه.

.38

لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (38)

.39

ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (39)

{ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ}

أي أصحاب اليمين – وهم دون السابقين منزلة – جماعةً كثيرة من الأمم الماضية. وجماعةٌ كثيرة من هذه الأمة.

وإذا قيل إن الثُلثْين من هذه الأمة. فالمعنى: أن أصحاب اليمين جماعة ممن شاهد النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به، وجماعةٌ ممن لم يشاهده وآمن به.

.40

وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (40)

.41

وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (41)

.42

فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (42)

{فِي سَمُومٍ}

ريحٍ حارة تدخل في مسام البدن، وتفعل فيه فِعلَ السُّم.

{وَحَمِيمٍ}

ماء متناه في الحرارة.

.43

وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (43)

{وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ}

أي دُخانٍ شديدِ السواد. والعرب تقول لكل شيء وصفته بشدّة السواد: أسودُ يحموم؛ من الأحَمِّ أو من الحَمَم، وهما الأسود من كل شيء؛ كما في اللسان وتسميتُه ظلاً على سبيل التَّهكم.

.44

لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (44)

{لَا بَارِدٍ}

كسائر الظلال يُسْتَرَوح به.

{وَلَا كَرِيمٍ}

نافع لمن يأوي إليه من أي الحرّ.

.45

إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (45)

{إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ}

متنعمين بَطِرين، متبعين هوى أنفسهم، ليس لهم رادع عن معاصي الله؛ من التُّرفة [هود:116].

.46

وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ (46)

{وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ}

يداومون على الذنب العظيم البالغ الغاية في العِظم، وهو الشِّرك. وقيل: على القَسَم على إنكار البعث المشار إليه بقوله: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ .. (38)} [النحل].

.47

وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (47)

{وَكَانُوا يَقُولُونَ .. }

بيان لاستدلالهم الفاسد على عدم البعث.

.48

أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (48)

{أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ}

[الصافات:17].

.49

قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (49)

.50

لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (50)

.51

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (51)

.52

لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (52)

{مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ}

أي لآكلون من شجر أو شجراً هو الزَّقُوم؛ ف (من) الأولى ابتدائية أو زائدة، والثانيةُ بيانية. والزَّقوم: تقدم في [الصافات:62] فطعامُهم الزَّقوم، وشرابهم الحميم، كما قال تعالى {فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (54)} أي الماء البالغ.

.53

فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (53)

.54

فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (54)

{فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ}

أي الماء البالغ نهاية الحرارة.

.55

فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (55)

{فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ}

الإبل العطاش التي لا تُروى بالماء، لداء يصيبها يشبه الأستسقاء يسَمَّى الهُيام، فلا تزال تشرب حتى تهلك، أو تَسْقم سقما شديدا. جمعُ أهْيم للمذكَّر، وهَيْماء للمؤنث.

.56

هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (56)

{هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ}

هذا المذكور من أنواع العذاب هو ما أُعدَّ لهم أول قدومِهم يوم الجزاء، كالنُّزل الذي يعد للضيف أول نزوله تكرمةً له؛ وتسميتُه نُزلاً تَهكمٌ بهم.

.57

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (57)

{فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ}

أي فهلا تصدقون بالخلْق، ولمّا كان إقرارهم بأن الخالق هو الله مقترنا بما ينبئ عن خلافه، وهو الشرك والعصيان – كان بمنزلة العدم والإنكار؛ فحُضُّوا على التصديق بذلك. وقيل: إنه حثٌّ على التصديق بالبعث وترك إنكاره: ثم ذكر في الآيات التالية أربعة أدلة على القدرة على البعث: الأول – خلقه الإنسان، والثاني – خلقه النبات، والثالث – خلقه الماء العذب، وهو سبب حياتهما، والرابع – خَلقُه النار وهي ضد الماء، وفيهما الإنذار والنفع العظيم.

.58

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (58)

{أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ}

أخبروني؟ ما تقذفونه من النُّطف في الأرحام؟ أأنتم تقدِّرونه وتصوِّرونه بشرا سويا! بل أنحن لا غيرنا المقدرون المصورون له؟ يقال: أمنى النطفة ومَناها – من باب رمى – قذفها. ومفعول: " أرأيتم" الأول الاسم الموصول، والثاني الجمله الاستفهامية بعده {أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (59)}.

.59

أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (59)

{أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ}

"أم" منقطعة لوقوع جملة بعدها، وتقدر ببل وهمزة الاستفهام التقريري؛ فيكون الكلام مشتملا على استفهامين: الأول {أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ}

؟ وجوابه لا. والثاني مأخوذٌ من "أم"، أي بل أنحنُ الخالقون؟ وجوابه نعم. وكذا يقال في نظائره بعد.

.60

نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (60)

{وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ}

أي وما نحن بمغلوبين عاجزين عن إهلاككم و {عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ .. (61)} وأن نبدِّل منكم أشباهكم.

.61

عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (61)

.62

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (62)

.63

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (63)

{أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ .. }

أخبروني! البَذر الذي تلقونه في الأرض: أأنتم تنبتونه وتُنشئونه حتى يشتد ويقومَ على سُوقه، بل أنحن المنبتون له!؟

وأصل الحرث: تهيئة الأرض للزراعة وإلقاءُ البذر فيها. والمناسبُ هنا: حمله على البَذْر الذي يُلقى، والزرعُ: الإنباتُ. يقال: زرعه الله، أي أنبته.

.64

أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64)

{تَزْرَعُونَهُ}

تنبتونه حتى يشتد ويبلغ الغاية.

.65

لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (65)

{لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ}

أي لجعلنا ذلك الزرع متكسراً متفتاً لشدّة يُبسه، لا نفع فيه بعد ما أنبتناه، فأنتم بسبب ذلك تتعجّبون من سُوء حاله بعد خضرته ونضارته. أو تَنْدمون على ما تعبتم فيه وأنفقتم عليه من غير طائل. وأصلُ التَّفكه: التنقل بصنوف الفاكهة، ثم استعير للتنقُّل بالحديث، وهو هنا ما يكون بعد هلاك الزرع، وكُنّي به في الآية عن التعجُّب أو النَّدم.

.66

إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (66)

{إِنَّا لَمُغْرَمُونَ}

أي تقولون إنا لمهلكون بهلاك أقواتنا؟، من الغرام وهو الهلاك. أو لملزمون غرامة بنقص رزقنا؛ من الغُرْم وهو ذهاب المال بلا عوض.

.67

بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (67)

{مَحْرُومُونَ}

ممنوعون الرزق بالكلية.

.68

أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (68)

.69

أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (69)

{مِنَ الْمُزْنِ}

أي السحاب أو أبيضه. جمع مُزْنة.

.70

لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (70)

{جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا}

مِلحاً زُعافا، لا يطاق لشدة مرارته [الفرقان:53].

.71

أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (71)

{أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ}

أخبروني! النار التي تقدحونها وتستخرجونها من الشجر الرَّطب، أأنتم خلقتم شجرتها التي منها الزَّناد، واخترعتم أصلها، بل أنحن الخالقون لها بقدرتنا!؟ والعرب تقدح بعودين، يُحك أحدهما على الآخر. ويسمُّون الأعلى الزَّند والأسفل الزَّندة؛ تشبيها بالفحل والطُّروقة فيوري. يقال: ورَى الزَّند– كوعىَ ووَلِي – وَرى ورْيا، خرجت نارّه. وأوراه غيرُه: استخرج نارَه. وجمعُه زناد، كسَهْم وسهام.

.72

أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (72)

.73

نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (73)

{نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً}

لنار جهنم الكبرى؛ ليعتبر بها الناس، ويحذروا ما أُوعِدوا به من عذاب الآخرة.

{وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ}

أي ومنفعة للمسافرين، من أقوى الرّجل: دخل في القَواء – بالمد والقصر – وهو القفر الخالي من العمران. وإطلاق المقوين على المسافرين لأنهم كثيرا ما يسلكون القفراء والمفاوز؛ وتخصيصهم بالذكر لأن منفعتهم بها أكثر من المقيمين، وخاصة في البوادي ليلا. أو منفعة للمحتاجين، ينتفعون بها في سفرهم وإقامتهم وسائر شئونهم، كانه تُصُوِّر من حال الحاصل في القَفر: الفقر، فقيل: أقوى فلان، أي افتقر. كقولهم: أترب وأرمل؛ ثم أريد منه مطلق المحتاج إليها بعلاقة اللزوم.

.74

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (74)

{فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}

أي وإذ قد علمت ما عُدّد من بدائع الصنعة وجلائل النعم، فدم على التسبيح بذكر اسم ربك. أو بذكر ربك العظيم؛ منزها له تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته وقدرته،

الكافرون بنعمه مع عظمها وكثرتها، أو شاكراً له على تلك النعم، أو متعجبا من غَمط هؤلاء الكفار لها مع جلالة قدرها، وأقبل على إنذارهم بالقرآن والاحتجاج عليهم به؛ فأقسم إنه قرآنٌ كريم.

.75

فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75)

{فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ}

أي فأُقسم بمواقع النُّجوم. و"لا" مزيدة للتأكيد في قول أكثر المفسرين، مثلها في قوله: {لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ... (29)} [الحديد]. وقيل: زيدت جرياً على سنن العرب من زيادتها قبل القسم: كما في: لا وأبيك! كأنهم ينفون ما سوى المقسم عليه فيفيد التأكيد. وقيل: هي للنَّفي؛ أي لا أقسم بها، إذ الأمرُ أوضح من أن يحتاج إلى قسم؛ أي أنه لا يحتاج إلى قسم أصلاً فضلاً عن هذا القسم العظيم.

ومواقع النجوم: مساقطها ومغاربها في السماء. جمع موقع؛ من الوقوع بمعنى السقوط والغروب، وأقسم بها لما فيها من الدلالة على وجود مؤثر دائم لا يزول تأثيره. وجواب القسم: {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77)} [نفس السورة].

.76

وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76)

.77

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77)

{إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ}

أي نفّاعٌ جَمُّ الفوائد والمنافع؛ لاشتماله على أصول العلوم المهمة في إصلاح المعاش والمعاد.

.78

فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (78)

{فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ}

مصون عن غير المقرَّبين من الملائكة، لا يطلع عليه سواهم، وهو اللوحُ المحفوظ. أو مصون عن التبديل والتغيير؛ وهو المصحف، ويتضمن ذلك الإخبار بالغيب؛ لأنه لم يكن إذ ذاك مصاحف.

.79

لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (79)

{لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}

أي لا يطلع عليه قبل نزوله الا الملائكة المقرَّبون؛ وكنّي عن ذلك بالمس للزومه له. أو لا يَمَس القرآن إلا المطهرون من الأحداث؛ وهو خبر بمعنى النهي. أو لا يجد طعمه وحلاوته ونفعه و بركته إلا المؤمنون به الذين طهروا أنفسهم من الشرك والنفاق ورذائل الأخلاق.

.80

تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (80)

.81

أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (81)

{أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ}

أتُعرضون! فبهذا القرآن العظيم الذي ذكرت نعوتُه الجليلةُ أنتم متهاونون! كمن يُدْهن في الأمر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به. والادهانُ في الأصل: جعلُ الأديم ونحوه مدهونا بشيء من الدُّهن ليَلِين؛ ثم صار حقيقة عرفيَّة في المداراة والملاينة. ثم تُجُوِّز به هنا عن التهاون؛ لأن المتهاون في الأمر يلين جانبه ولا يتصلَّب فيه. أو انتم مكذبون! إذ التكذيبُ من فروعِ التهاون. أو منافقون، والمدهن: المنافق يُلين جانبه ليُخفي كفره؛ فهو شبيه بالدُّهن في سهولة ظاهره.

.82

وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (82)

{وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ}

شكر رزقكم إذا مُطِرتم وسُقيتم.

{أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ}

بكونه من الله تعالى! فتقولون: مُطرنا بِنوْء كذا. وهو سقوط النَّجم في المَغرب مع الفجْر. أو وتجعلون شكرَكم لنعمة القرآن التكذيب به.

.83

فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (83)

{فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ}

توبيخٌ لهم على تكذيبهم الآيات الدالة على أنهم تحت سلطانه وقهره سبحانه، من حيث ذواتهم وطعامهم وشرابهم وسائر أسباب معايشهم. أي إن

كنتم أيها الجاحدون لآياتنا، المكذبون لرسولنا، المنكرون لقدرتنا على سائر شئونكم – غير مربوبين لنا، ولا مقهورين بسلطاننا، وكنتم صادقين في اعتقادكم ذلك، فهلّا تردون إلى المحتضر روحه إذا بلغت حلقومه، وشارفت الخروج من جسده؟ و (لولا) حرف تحضيض بمعنى هلا. (إذا) ظرف لقوله: (ترجعونها [آيه:87]).

.84

وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (84)

{وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ}

وأنتم تشاهدون ما يقاسيه من هول الفَزَع وسكرات الموت! وتحرصون كل الحرص على إنجائه منه؟ وجملة (وانتم تنظرون) حال من فاعل (بلغت) [آية:83].

.85

وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (85)

{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ}

ونحن أقرب إليه منكم بعلمنا وقدرتنا، حيث لا تعرفون كُنه حالته، ولا تفقهون أسبابها الحقيقية، ولا تقدرون على دفعها، ونحن العالمون بها، المسيطرون عليها، النازعون لروحه من هيكلها الجسماني. ولكنكم لا تدركون ذلك لفرط جهالتكم بربكم؟ وجملة (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ) مستأنفة لتأكيد توبيخهم على صدور ما يدل على سوء اعتقادهم في ربهم.

.86

فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (86)

{فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ}

أنكم إن كنتم غير مربوبين كما تقتضيه أقوالُكم وأعمالُكم. {غَيْرَ مَدِينِينَ} أي غير مربوبين لنا، من دان السلطان الرعية: إذا ساسهم وتعبدهم.

.87

تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (87)

{تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}

فما لكم لا ترجعون الرُّوح إلى البدن إذا بلغت الحلقوم! وتردونها كما كانت بقدرتكم وسلطانكم! (لولا) تأكيد لـ (لولا الاولى).

{تَرْجِعُونَهَا}

أي تردونها، وهو جواب الشرطين: إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ [آية:86]-إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [آية:87]).

.88

فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (88)

{فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ}

أي فأمّا إن كان المتوفي الذي بُيّن حالُه من السابقين.

.89

فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (89)

{فَرَوْحٌ}

أي فله رحمةٌ أو فرح وسرور.

{وَرَيْحَانٌ}

استراحة، أو طيب رائحةٍ عند قبض روحه وفي قبره، وعند بعثه، وجنَّة ذات تنعُّم في آخرته.

.90

وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (90)

.91

فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (91)

{فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ}

أي فيقول الملائكة للمتوفَّى من أصحاب اليمين عند قبض روحه وفي قبره وفي الجنة: سلامٌ لك يا صاحب اليمين من أصحاب اليمين؟!

.92

وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (92)

.93

فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (93)

{فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ}

أي فله قِرًّى و اكرامٌ عذاب شديد في البرزخ بحرارة النار ودخانها.

.94

وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (94)

{وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ}

إدخال في النار في الآخرة، ومقاساةٌ لألوان عذابها.

.95

إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (95)

{إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ}

أي إن الذي قصصناه عليك في هذه السورة لهو الحق الثابت من اليقين. واليقينُ: هو العلم المُتَيَقَّن الذي لا شك فيه.

.96

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (96)

والله أعلم.

سُورَةُ الحَدِيد

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1)

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}

نزَّه الله تعالى عمّا لا يليق به جميعُ العوالِم، فتنزية الملائكة والمؤمنين من الثقلين بلسان المقال، وتنزيه باقي الخلق بلسان الحال؛ بمعنى دلالتها على وجوده وتنزيهه. فإن كل الموجودات دالة بامكانها وحدوثها على الصانع القديم، المُتصف بكل كمال، المُنزَّه عن كل نقص، خاضعة لسلطانه وتصرفه؛ وهو المراد من قوله. تعالى: { .. وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ .. (44)} [الاسراء]؛ من سَبح في الأرض والماء يَسْبح: ذهب وأبعد فيهما، واللام [لله] للتأكيد، كما في شكرت له. وعُبِّر هنا [الحديد] وفي الحشر والصَّف بالماضي، وفي الجمعة والتغابن بالمضارع، وفي الأعلى بالأمر، وفي الأسراء بالمصدر؛ استيفاء للجهات المشهورة لهذه المادة، وإعلاماً بتحقق تسبيح الكائنات لخالقها في جميع الأوقات.

{الْعَزِيزُ}

القادر الغالب على كل شيء.

.2

لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (2)

.3

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (3)

{هُوَ الْأَوَّلُ}

أي السابق على جميع الموجودات، من حيث انه موجدها ومحدثها؛ فهو موجود قبل كل شيء بغير حدٍّ ولا بداية.

{وَالْآخِرُ}

أي الباقي بعد فنائها. وجميعُ الموجودات الممكنة إذا نُظر إليها في ذاتها، وقطع النظر عن مُبقيها– فانية؛ والله تعالى هو الباقي بعد كل شيء بغير نهاية.

{وَالظَّاهِرُ}

أي الظاهر وجوده بالأدلة الواضحة أو الغالبُ العالي على كل شيء.

{وَالْبَاطِنُ}

أي المحتجب بكُنْهِ ذاته عن إدراك الأبصار والحواس والعقول. أو العالِم بما بَطُنَ – أي خفيَ – من الأمور. يقال: أنت أبْطَنُ بهذا الأمر، أي أخْبَرُ به وأعْلَمُ.

.4

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (4)

{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ .. }

[الأعراف:54].

{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}

استواء يليق به سبحانه! بلا كيف ولا تمثيل ولا تشبيه [الأعراف:54].

{يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ .. }

ما يدخل من مطر وغيره [سبأ:2].

{وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا}

ما يصعد إليها من الملائكة والأعمال.

{وَهُوَ مَعَكُمْ}

بعلمه المحيط بكل شيء، أي عالم بكم أينما كنتم. فالمعيّه مجاز عن العلم بعلاقة السببيّة، والقرينة السِّباق واللَّحاق، مع استحالة الحقيقة.

وقد أوّل السلف هذه الآية بذلك؛ كما أخرجه البَيْهقى عن ابن عباس والثوري. وفي البحر: أن الأمة مجمِعة على هذا التأويل فيها، وأنها لاتُحمل على ظاهرها من المعيّة بالذات لاستحالتها.

.5

لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (5)

.6

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (6)

{يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ}

يدخله [آل عمران:27].

{وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}

أي بمكنوناتها من نيّات ومعتقدات وخير وشر.

.7

آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (7)

.8

وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (8)

.9

هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (9)

.10

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (10)

{وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}

أي يرث كلَّ شيء فيهما، ولا يبقى لأحد مال ولا ملك. والجملة حال من فاعل (لا تنفقوا). أومن مفعوله المعلوم مما تقدم.

{لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ}

. هم السابقون الأوَّلون من المهاجرين والأنصار.

{قَبْلِ الْفَتْحِ}

فتح مكة أو صلح الحديبية.

{الْحُسْنَى}

المثوبة الحسنى (الجنة).

.11

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (11)

{يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا}

حثٌّ من الله تعالى على الإنفاق في سبيله. مؤكِّدٌ للأمر السابق به وللتوبيخ على تركه. والقرض الحسن: الإنفاق من المال الحلال، مع صدق النية وطيبِ النفس، وابتغاء وجه الله تعالى به؛ دون رياء أو سُمعة، أو مَنٍّ أو أذى، ومع تحرّي أكرم الأموال وأفضل الجهات. والعرب تقول لكل من فعل فعلا حسنًا: قد أقرض؛ وسُمِّي قرضا لأن القرض إخراج المال لاسترداد البدل، والله تعالى يبدله أضعافا.

.12

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12)

{بَيْنَ أَيْدِيهِمْ}

أي أمامهم.

{وَبِأَيْمَانِهِمْ}

أي عنها. والمراد في جميع جهاتهم؛ وذُكرت الأَيمان لشرفها.

.13

يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (13)

{انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ}

اي انتظرونا لنلحق بكم نُصِب شيئا من نوركم نستضئ به، وذلك أنه يُسْرِع بالخلّص إلى الجنة على نُجُب فيقول المنافقون: انتظرونا لأنا مشاة لا نستطيع

لحوقكم. وقُرئ (أَنظِرونا) بفتح الهمزة وكسر الظاء؛ من الإنظار بمعنى الانتظار؛ أي انتظرونا. والاقتباسُ في الأصل: طَلب القبس، أي الجذوة من النار؛ وتُجُوِّز به عما ذُكر.

{فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ}

أي فضرب بين المؤمنين والمنافقين سُور حاجزٌ. قيل: هو الحجاب المذكور في سورة الاعراف.

.14

يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (14)

{يُنَادُونَهُمْ}

ينادي المنافقون المؤمنين.

{فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ}

محنتموها وأهلكتموها بالنفاق.

{وَتَرَبَّصْتُمْ}

أي انتظرتم بالمؤمنين الحوادث المهلكة. يقالُ تربص بفلان، انتظربه خيراً أوشرا يحل به، والمراد هنا الثاني.

{وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ}

خدعتكم أطماعُكم الفارغة، وآمالكم الكاذبة؛ فصدتكم عن سبيل الله وأضلتكم.

{وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ}

خدعكم الشيطان بسبب سَعة رحمة الله تعالى؛ فأطمعكم في النجاة من العقوبة بنحو قوله:: إنَّ الله عفوٌّ كريمٌ لا يعذِّبكم، وإن الله محسنٌ وحليم. ولا يزال الشيطان بالإنسان يَغُرُّه حتى يوقعه في الهَلَكة.

.15

فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (15)

{هِيَ مَوْلَاكُمْ}

أي النار أوْلى بكم. والأصلُ: هي مكانكم الذي يقال فيه هو أوْلى بكم؛ كما يقال: هو مَئِنَّة [للشَّيْء مَوْضِعه ومظنته والخليق والجدير وكل شَيْء دَلك على شَيْء فَهُوَ مئنة لَهُ كَأَنَّهُ جدير] الكَرَم: أي مكانٌ لقول القائل: إنه لَكَرِيم، أو ناصرُكم؛ من باب قولهم: تحيّةُ بينهم ضربٌ وجيعُ، أي لا ناصر لكم إلا النار. والمراد: نفي النّاصر قطعاً بعد نفْي أخذ الفدية وخلاصهم بها من العذاب. ونظيره قوله تعالى: {وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ .. (29)} [الكهف].

.16

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (16)

{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا .. }

عتابٌ لطائفة من المؤمنين على الفتور والتكاسُل فيما نُدبوا إليه، بعد أن أصابوا من لين العيش ما أصابوا. أي ألم أت الوقت الذي تلين فيه قلوبهم فتخضع وتذل لذكر الله والقرآن!؟ مضارعُ أنى الشئُ-:كرَمَى-أنْيا وأناءً-بالفتح-

وإِنَىً- بالكسر-، حان أناه أي وقته؛ فهو معتل حذفت منه الياء للجازم. وقريءَ (يَئِن) كيَبِع،، بمعنى يحِنْ ويقْرُب؛ مضارع آن أيْناً – من باب باع – أي حان.

{أَنْ تَخْشَعَ}

وقت أن تخضع و ترق وتلين.

{الْأَمَدُ}

الأَجل او

الزمان

.17

اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (17)

{اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ .. }

تمثيل لإحياء القلوب القاسية بذكر الله وآياته وتلاوة كتابه – باحياء الأرض المَوات بالغيث؛ للترغيب في الخشوع، والتحذير من القساوة والغلظة.

.18

إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (18)

{وَأَقْرَضُوا اللَّهَ .. }

أي والذين أقرضوا؛ وحذف الموصول لدلالة ما قبله عليه.

.19

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (19)

{أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ .. }

أي هم في حكمه تعالى بمنزلة الصِّدِّيقين والشُّهداء المشهورين بعلُوّ الرتبة، ورفعة الدرجة.

{لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ}

أي لهم مثل أجرهم ونورهم يومَ القيامة. وناهيك ما للصديقين والشهداء من الأجر والنور في ذلك اليوم! وحُذف ما يفيد التشبيه في الجملتين؛ للتنبيه على قوة المماثلة وبلوغِها حد الاتحاد.

.20

اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (20)

{اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ .. }

بيانٌ لحال الحياة الدنيا التى ركن إليها الكفارُ المكذِّبون، واطمأنوا بها، وقصروا همّهم عليها، ولم يبالوا ا وراءها بانها من أحقرات التى لا يركن إليها العقلاء. اذ هي لعب لا ثمرة له سوى التعب، ولهو شاغِلٌ عما يعني ويَهُم، وزينةٌ لا يحصل منا شرفٌ ذاتيٌّ؛ كالملابس الجميلة والمراكب البهية، وتفاخرٌ بالأنساب والعظام البالية، وتكاثر بالعَدد والعُدد.

{كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ}

تقريرٌ لما وُصفت به الدنيا، وتمثيل لها في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها وقلة جدواها؛ للتنفير عن ألعكوف عليها. وجعلها الغاية والمقصِد الأعلى – بحال نباتٍ أنبته الغيْثُ فستوى وأُعْجِب به الحرّاثُ، ثم هاج – أي يبس – بعاهة بعد نضارته، أو ثار ونما إلى أقصى ما يتأتى له؛ فاصفر بعد الخضرة، ثم صار حطاما هشيما من اليُبس. و (كمثل) خبر مبتدإ محذوف؛ أي مَثلُها كمثل. و (الكفار) الزُّراع الذين يحرثون الأرض ويبذرون فيها البَذْر. وسُمُّوا كفارا من الكَفْر وهو السَّتْر؛ لسترهم البذر في الأرض للانبات. وقيل: هم الكافرون بالله سبحانه. وخُصُّوا بالذكر لأنهم أشد إعجابا بزينة الدنيا واغتراراً بها.

{يَهِيجُ}

يبس في أقصى غايته [الزمر:21].

{يَكُونُ حُطَامًا}

فتاتا هشيماً متكسراً بعبد يبسه.

.21

سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (21)

{سَابِقُوا}

سارعوا مسارعة المتسابقين في المضمار.

{عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}

[آل عمران:95].

.22

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22)

{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ .. }

أي نائبةٍ من نوائب الدنيا التي تَعرِض للأرض، كالجدب والعاهة والزلزال والطُّوفان، وللناس؛ كالمرض والآفات والآلام.

{إِلَّا فِي كِتَابٍ}

أي إلا مكتوبةٌ في اللوح المحفوظ

{مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا}

أي نخلُقَها. وقيل في علم الله تعالى؛ وأطلق عليه كتاب للتنبيه إلى أنه لايغادر صغيرة ولاكبيرةً إلا أحصاها وأثبتها؛ كما يُثبَت الشئ في الكتاب.

.23

لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (23)

{لِكَيْلَا تَأْسَوْا}

أي أخبرناكم بذلك لكي لا تحزنوا؛ من الأسى وهو الحزن. يقالُ: أسِيَ على كذا–بالكسر–يأسى؛ أسًى، حزن فهو أسيٌّ. وأسِيتُ عليه –كَرضِيت– أسى: حزنت.

{عَلَى مَا فَاتَكُمْ}

من نعم الدنيا حُزن قنوطٍ

{وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ}

منها فرح بَطَر وأشر؛ فإن من علم أن ذلك مقدرٌ أزلا من الله تعالى رضيَ واطمأن، وصَبرَ أو شكر.

{مُخْتَالٍ}

متكبِّر عن تخيل فضيلة تراءت له من نفسه.

{فَخُورٍ}

على الناس يباهيهم بنحو المال والجاه.

.24

الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (24)

.25

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (25)

{وَالْمِيزَانَ}

أي وأنزلنا معهم الميزان؛ أي العدل في كل الأمور بانزال الكتب الإلهية المتضمّنة له. أو هو ما يوزن به ويُتعامل. وانزاله: أمرُ الناسِ باتخاذه مع تعليم كيفيَّته.

{لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ}

أي بالعدل في كل شئونهم. أو في معاملاتهم.

{وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ}

أي خلقناه لكم؛ كقوله تعالى {وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ .. (6)} [الزمر]. أو هيأناه لكم وأنعمنا به عليكم، وعلمناكُم استخراجه من الأرضِ وصنعتَه بإلهامنا.

{فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ}

أي فيه قوةٌ وشدة، فمنه جنَّة وسلاح، وآلات للحرب وغيره. وفي الآية إشارة إلى احتياج الكتاب والميزان إلى القائم بالسيف؛ ليحصُل القيام بالقسط.

{وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ}

أي معاشهم ومصالحهم. وما من صنعة الا والحديدُ آلتُها؛ كما هو مُشاهد، فالمنةُ به عظمى.

{إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}

قوى في أخذه عزيز في انتقامه، منيع غالب.

.26

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (26)

.27

ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (27)

{ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا}

أرسلنا بعدهم رسولا بعد رسول، حتى انتهينا إلى عيسى عليه السلام [البقرة:87].

{وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ}

وهم الحواريُّون وأتباعهم الذين آمنوا بأنه عبدُ الله ورسوله، وبالكتاب الذي جاءهم به؛ ولم يغيروا ولم يبدلوا شريعته وكتابه.

{رَأْفَةً}

لينًا وخفض جناح.

{وَرَحْمَةً}

شفقة. أما الذين جاءوا بعدهم فغيَّروا وبدلوا، وغلوْا في عيسى حتى جعلوه إلهًا، أو جُزْء إله؛ فهم بمعزل عن الحق، وعن الرأفة والرحمة اللتين أودعهما الله في قلوب الذين اتبعوه.

{وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ}

وقد تغالى أولئك الذين اتبعوا عيسى عليه السلام في العبادة، وحمَّلوا أنفسهم المشاق الزائدة فيها في ترك النكاح، واستعمال الخشن في المطعم والمشرب والملبس، مع ألتقلل منها؛ وحبسوا أنفسهم في الصوامع والأديرة والكهوف والغيران! وكان ذلك ابتداعاً من تلقاء أنفسهم؛ لم يؤمروا به، ولم تجئ به شريعتُهم، ولكنهم ألتزموه ابتغاء مرضاة الله تعالى؛

{فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا}

ثم جاء أخلافهم فغيَّروا وبدلوا في دين الله، وزعموا في عيسى ما لا يرضاه ولا يُرضي الله – وسلكوا في العبادة الباطلة مسلك الرهبنة الأولى؛ فجمعوا إلى الكفر بالله المبالغة في التعبد الباطل؛ فما رعاها أخلافهم الذين أتوْا بعدهم.

{فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ}

وهم أسلافهم الذين كانوا على الحق.

{وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ}

وهم أخلافهم ولخروجهم عن طاعة الله، وكفرهم به بزعم التثليث، أو ألوهية عيسى، أو أنه ابن الله، تعالى اللهُ عمَّا يقولون علُوًّا كبيرا! وهم في الواقع على دين غير دين عيسى عليه السلام.

.28

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (28)

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ .. }

أي اثبتوا على التقوى والإيمان برسوله صلى اللهُ عليه وسلم، يؤتكم نصيبين من الأجر: نصيبا على الإيمان به، ونصيباً على الإيمان بالرسل السابقين. كما أعطى الله مؤمني أهل الكتاب نصيبين من الأجر: أحدُها للإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم، والآخر للإيمان بالرسول السابق الذي نسخت - شريعته بالشريعة المحمدية. نزلت حين افتخر مؤمنوا أهل الكتاب على الصحابة بأن لهم أجريْن؛ كما قال تعالى في حقهم: {أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ .. } [القصص]، وأن المؤمنين من غيرهم لهم أجرٌ واحد، فجعل الله لهؤلاء أجرين مثلهم، وزادهم النور يمشون به يوم القيامة. والكِفل: النصيب [النساء:85].

.29

لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (29)

{لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ}

أي أعلمناكم بذلك ليعلموا أنهم ليسوا مُلّاك فضله سبحانه! فَيزْووه عن المؤمنين، ويستبدُّوا به دونهم.

{وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ}

وقد أعطى الله المؤمنين من غيرهم أجريْن كما أعطاهم أجرين.

والله أعلم.

سُورةُ المُجادَلة

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (1)

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ .. }

تُراجعك الكلام في شأن زوجها وظِهاره منها؛ من المجادلة وهي المفاوضة على سبيل المنازعة والمُغالبة. وأصلها من جَدَلتُ الحبل: إذا أحكمت فَتْله.

{وَتَشْتَكِي}

تُظهر بَثها وحزنها وتضرعُ {إِلَى اللَّهِ} في أمرها؛ من الشَّكو، وأصله فتح الشَّكوة وإظهار ما فيها؛ وهي سقاء صغير يُجعل فيه الماء، ثم شاعَ فيما ذُكر. نزلة في خوله بنتِ ثعلبة، وزوجها أوس بن الصامت، حين ظاهر منها بقوله: أنتي عليَّ كظهر أمِّي. وكان ذلك في الجاهلية تحريما مؤبدا؛ كما قدمنا أول سورة الأحزاب. وهو أوَّلُ ظهار في الإسلام؛ فشكت أمرها إلى النبى – صلى الله عليه وسلم – فقال لها: (ما أراك إلا قد حَرُمْت عليه) [ابن ابي حاتم]. فما زالت تُجادله حتى نزلت الآيات الأربع. والسَّماعُ: كناية عن الإجابة والقبول.

{وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا}

تراجُعَكما الكلام. يقال: حاورته، راجعتُه الكلام. وأحار الرجلُ الجواب: ردّه. وما أحارَ جوابا: ما ردَّه.

.2

الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (2)

{الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ .. }

أي يقولون لنسائهم: أنتُنَّ علينا كظهور أمهاتنا؛ قاصدين بذلك تحريمهن على أنفسهم كتحريم أمهاتهم.

{مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ}

أي ليس نساؤُهم , أمهاتهم على الحقيقة؛ فهو كذب محض.

{وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ}

يُنكره الشرع والعقل والطبع.

{وَزُورًا}

كَذبًا وباطلاً، منحرفاً عن الحق.

.3

وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (3)

{وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ}

تفصيلٌ لحكم الظِّهار شرعاً.

{ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا}

يرجعون عمّا

قالوا فيريدون الوطءَ، أو يرجعون لتحليل ما حرَّموه على أنفسهم بالظهار.

{فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ}

فعليهم إعتاق رقبة.

{مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا}

أي يستمتع أحدها بالآخر. فيحرمُ عليهما الجماع ودواعيه قبل التكفير. وتفصيلُ أحكام الظِّهار في الفقه.

.4

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (4)

.5

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (5)

{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}

نزلت في غزوة الأحزاب بشارة للنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين. أي إن أعداءكم المتحزّبين القادمين عليكم سيُكبتُون ويذِلُّون، ويتفرق جمعُهم فلا تخشوا بأسهم. والمُحادَّة: المعاداة. وأصلها أن تكون في حدٍّ يخالف حدَّ صاحبك؛ فيكنى بها عن المُعاداة لكونها لازمة للمعاداة.

{كُبِتُوا}

أي سيُكبتون ويذِلُّون، أو يُهلكون. يقالُ: كبت الله العدوَّ كبتًا – من باب ضرب –أهانه وأذلَّه. وكبَتَه: كبَّه، أي صرعه لوجهه.

.6

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (6)

{أَحْصَاهُ اللَّهُ}

أحاط بأعمالهم عدداً، ولم يفتْهُ سبحانه منها شيء. والمرادُ: أنه أحاط بها علماً.

{وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}

مطلع لا يغيب عنه أمر من الامور اصلا.

.7

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (7)

{مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ .. }

أي ما يقع من تناجي ثلاثة، أي مسارَّتهم بالحديث بحيث لا يسمعه غيرهُم

{إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ}

أي إلا هو تعالى يعلمه كأنه حاضر معهم، مشاهد لهم؛ كما يعلمه الرابع يكون مَعَهم في التَّناجي. أي ما يكونون في حالٍ من الأحوال ثلاثة، إلا في حال تصيير الله تعالى لهم اربعة؛ حيث إنه سبحانه يطلع على نجواهم. فالاستثناء مفرَّغ من أعم الأحوال، وكذلك يقال في

قوله: (إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ)، (إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ). وخص الثلاثة والخمسة بالذكر لأن قوما من المنافقين تخلَّفُوا للتناجي فيما بينهم مغايظة للمؤمنين. وكانوا مرَّةً ثلاثة، ومرة خمسة؛ فنزلت الآية تعريضا بالواقع.

.8

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (8)

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى. .}

تعجيب للرسول – صلى الله عليه وسلم – من اليهود والمنافقين. فقد كانوا يتناجوْن فيما بينهم، ويتغامَزُون بأعينهم على المؤمنين ليغيظوهم، ويوهموهم بذلك أن أقاربهم قتلوا في الغزو ليُحزنوهم. فنهاهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن ذلك؛ فعادوا لما نهوا عنه، فنزلت الآية.

{وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ .. }

وكان اليهود إذا جاءوا النبي صلى الله عليه وسلم يحيُّونه بقولهم: السَّام عليك، يُوهمون السلام ظاهرا ويعنون الموت باطناً، فيقول النبي – صلى الله عليه وسلم – (وعليكم) [رواه البخاري ومسلم] وهو يعلم مايعنون، فترلت الاية.

{وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ}

إذا خرجوا من عنده – صلى الله عليه وسلم – {لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ} هلَّا يُعذبنا الله بسبب ذلك القول لوكان محمد نبيًّا؟.أي لوكان نبيًّا حقًّا لعذبنا الله بما نقولُ له! واسند في الآية فعل البعض إلى اليهود والمنافقين جميعا لرضاهم به.

{حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ}

كافيهم جهنم عذاباً.

{يَصْلَوْنَهَا}

يدخلونها، أو يقاسون حرها.

.9

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (9)

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}

بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، وهم المنافقون.

.10

إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (10)

{إِنَّمَا النَّجْوَى}

المعهودةُ منكم فيما بينكم ومع اليهود

{مِنَ الشَّيْطَانِ}

أي من تزنينه ووسوسته

{لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا}

ليوقِعَهم في الحزن بما يحصل لهم من توهم أنهم في نكبة أصابتهم. والحُزْن: الهمُّ. يقالُ: حزَنه –من باب قتل–جعلَ فيه حُزنا: فهو محزون وحزين،،كأحْزنه. {وَلَيْسَ} الشيطان، أو التناجي {بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} بقضائه وقدره.

.11

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11)

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا .. }

أمر الله المؤمنين بما هو سبب للتوادِّ والتوافُق، إذا اجتمعوا في أي مجلس للخير والأجر؛ كحرب أودرس علم أو صلاة جمعة، أو عيد أو نحو ذلك؛ ومنه مجلسه – صلى الله عليه وسلم – أي إذا قال لكم قائل: توسَّعوا في المجالس؛ ليُفسح بعضكم لبعض. ولا تتضامُّوا

فيها. يقالُ فسَحت له في المجلس فسْحاً –من باب نفع – فَرَجْت له عن مكان يَسعه. وتفسَّح القومُ في المجلس: توسَّعوا فيه.

{وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا}

وقرئ بكسر الشين فيهما، وهما بمعنى واحد. أي وإذا قيل: ارتفعوا عن مواضعكم في المجالس للتوسعة على المقبلين؛ فارتفعوا ولا تتثاقلوا. يقال: نشَزَ ينْشُز وينشِز–من بابيْ نصر وضرب – إذا أرتفع عن مكانه.

.12

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (12)

{إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ}

أي أردتم مسارَّته في أمر ما ف {فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً} للفقراء. رُويَ عن ابن عباس أن الناس سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأكثروا حتى شق عليه؛ فأراد الله أن يخفف على نبيه فأمرهم أن يقدموا صدقة على مناجاته. وعن مُقاتل: ان الأغنياء كانوا يأتون – صلى الله عليه وسلم – فيُكثرون مناجاته، ويغلبون الفقراء على مجالسه؛ حتى كره عليه الصلاة والسلام طول جلوسهم ومناجاتِهم، فنزلت الآية. ولم يُبَيَّن فيها مقدار الصدقة الواجبة؛ ولعله ما يُعدُّ في العُرْف صدقة تسد حاجة الفقير. وقد أُمر بها الواجد لها دون الفقير، واستمر أحكم زمنا قيل عشرة ايام، ثم نُسخ بعدالعملِ به زمناً بقوله تعالى في الآية التالية:

.13

أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (13)

{أَأَشْفَقْتُمْ}

أَخِفْتم الفقر والعيلة.

{وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ}

حين شق الأمر على الأغنياء، وظهر منهم الخوف من الفقر إذا استمرَّ الحكم؛ وهم حريصون على المناجاة لشدة حاجتهم إليها. والآية الناسخة متأخرة في النزول، وإن كانت تالية للآية المنسوخة في التلاوة. والظاهر – والله أعلم – أن الحادثة من باب الابتلاء والامتحان؛ ليظهر للناس محب الدنيا من محب الآخرة؛ والله بكل شيء عليم.

.14

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (14)

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا}

تعجيب من حال المنافقين الذين اتخذوا اليهود أولياء، يناصحونهم وينقلون إليهم أسرار المؤمنين. أي ألم تنظر إلى هؤلاء المنافقين الذين وَالُوا اليهود المغضوب عليهم؛ ما هم من المؤمنين ولا من اليهود، بل هم مذبذبون بين هؤلاء وهؤلاء.

{غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}

هم اليهود.

.15

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (15)

.16

اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (16)

{اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ}

الفاجرة

{جُنَّةً}

وقاية وسُترة يدفعون بها عن انفسهم وأموالهم؛ من الجَنِّ وهو ستر الشئ عن الحاسّة.

.17

لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (17)

{لَنْ تُغْنِيَ .. }

لن تدفع ..

.18

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (18)

.19

اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (19)

{اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ}

استولى عليهم وغلبهم بوسوسته وتزيينه حتى اتبعوه؛: من الحَوْذ، وهوَ أن يتبع السائق حاذيي البعير، أي أدبار فخذيه فَيعْنُفَ في سوقه. يقال: حاذَ: الإبل يحوذها، أي ساقها سوقاً عنيفاً، أو من قولهم: استحوذ العير على الأتان، أي استولى على حاذِيَيْها،:أي جانِبِيْ ظهرها، ثم أطلق على الاستيلاء.

.20

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (20)

{يُحَادُّونَ}

يعادون ويُشاقُّون.

{فِي الْأَذَلِّينَ}

أي في عداد أذلِّ خلق الله تعالى، وهم حزب الشيطان، أما المؤمنون فلا يوادُّن إلا أحباب الله.

.21

كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (21)

{عَزِيزٌ}

غالب أعدائه غير مغلوب.

.22

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (22)

{بِرُوحٍ مِنْهُ}

بنور يقذفه في قلوبهم، إو بألقرآن، {أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

والله اعلم.

سُورةُ الحَشْر

وتُسمَّى سورة بني النَّضير

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1)

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ}

نزَّه الله تعالى عما لا يليق به جميعُ العوالم [الحديد:1]. نزلت هذه إلسورة في بنى النَّضير، وهم رهطٌ من اليهود من ذرية هارون بقرب المدينة. وكانوا قد صالحوا الرسول – صلى الله عليه وسلم – على الا يكونوا عليه ولا له، فلما هُزم المسلمون في غزوة أحُدٍ أظهروا العداوة له، ونقضوا العهد، وحالفوا قريشاً على أن يكونوا يداً واحدة عليه

صلى الله عليه وسلم. وكان أشدَّهم حربًا على الإسلام، وفُحشًا في الرسول صلى الله عليه وسلم زعيمُهم: كعب بن الأشرف. الذي اغتاله محمَّدُ بنُ مسلمة؛ فحاصرهم النبي – صلى الله عليه وسلم – إحدى وعشرين ليلة. ولما قَذَف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصرة المنافقين لهم كما وعدهم عبد الله بن أُبيّ رأس المنافقين بالمدينة – طلبوا الصلح فأبى عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلا الجلاء؛ على انَّ لهم ما اقلّت الإبل من الأمتعة والأموال، إلا السلاح. فجلوا إلى خيبر والحيرة، وأريحاء وأذرعات بالشام. وكانوا أوّل من أُجليَ من أهل الذّمة من الجزيرة، وكان جلاؤهم أوّل حشر من المدينة. ثُم أجليَ آخرهم في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه؛ وهوآخر حشر لهم منها. وقد دَّبروا أثناء الحصار الغدر بالرسول – صلى الله عليه وسلم – والفتك به؛ فأطلعه الله على كيدهم.

.2

هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ (2)

{هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ}

اي بنى النَّضير.

{مِنْ دِيَارِهِمْ}

قُرب المدينة على ميلين منها.

{لِأَوَّلِ الْحَشْرِ}

أي عند أوّل حَشْر؛ أي إخراجٍ إلى الشام وغيرها. والحشر: إخراجُ الجماعة عن مقرهم، وإزعاجُهم عنه إلى الحرب وغيرها. وألّلام للتوقيت. كما في قوله تعالى: { .. لِدُلُوكِ الشَّمْسِ .. (78)} [الاسراء].

{مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا}

لعزتهم ومنعتهم.

{وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ}

أي من بأسه ونقمته.

{فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا}

فأخذهم الله من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم أنهم يؤخذون. وكانوا يظنون بالمسلمين الضعف في ذلك الوقت.

{وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ}

ألقى فيها الخوف و الفزع الشديد. وأصل القذْف: الرَّميُ بقوة أو من بعيد. والرُّعبُ: الانقطاعْ من امتلاء القلب بالخوف.

{فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ}

فاتعظوا بما نزل بهم، واحذروا أن تفعلوا مثل فعلهم؛ فتُعاقبوا مثل عقوبتهم. والاعتبارُ: من العبور والمجاوزة من شيء إلى شيء؛ ومنهُ العَبرةُ لانتقالها من العين إلى الخد، واعتبارُ القائِس لانتقاله من الأصل إلى الفرع.

.3

وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (3)

{كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ}

قدر وقضى عليهم الخروج أو الإخراج من وطنهم على هذه الصورة اللائقة بهم جزاء خيانتهم. يقال: جَلَا عن وطنه وجَلاهُ عنه جلاءً، خرج، و أجلاه عنه إجلاء: أخرجه. والواحد جالٍ، والجماعة جاليةٌ.

.4

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (4)

{شَاقُّوا اللَّهَ}

عادُوه وخالفوه، فكانوا في شِقٍّ وجانب غير شِقه وجانبه. ومشاقتُهم للرسول – صلى الله عليه وسلم – مشاقةً لله تعالى.

.5

مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (5)

{مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ}

واحدة اللينِ، وهو النخل كله، أو إلا العجوة، أو هو كرام النخل، أو واحدة اللون، وهو جميع ألوان التمر سوى البُرنى والعجوة؛ ويسميه أهل المدينة الألوان. وأصل لينة لِوْنة، فقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها. نزلت حين اختلف الصحابة في قطع نخل لبني النَّضير كان موضعاً للقتال؛ فمنهم من قطع، ومنهم من أمسك. أي أيَّ شيء قطعتم منه أو تركتم على ماهو عليه فبأمرالله تعالى؛ فلا جناح عليكم في شيء منهما ولا لوم.

{عَلَى أُصُولِهَا}

على سوقها.

.6

وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6)

{وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ .. }

الفئ: الرجوع. يقال: فاءَ عليه، إذا رجع، وافأته عليه إذا رددته عليه.

{فَمَا أَوْجَفْتُمْ}

والإيجاف الإسراع في السير. يقال: أوجفت البعير، أسرعته [أي لم تعانوا فيه مشقة].

{وَلَا رِكَابٍ}

والركاب: الإبل.

نزلت حين طلب الصحابة منه صلى الله عليه وسلم أن يقسم بينهم أموال بنى النضير قسمة الغنائم، فبيَّن الله تعالى أنها فئٌ لا غنيمة إذ أنهم لم يقطعوا لها شُقة، ولم يَلْقوْا فيا مشقةٌ، ولم يلتحموا فيها بقتال شديد؛ بل ذهبوا إلى قُراها رجالاً، وكانت على ميلين من المدينة، وفُتحت صُلحاً. فهي للرسول صلى الله عليه وسلم خالصة، يتصرف فيها كما أمره الله تعالى في الآية التالية؛ حيث جعل فيها خمس الفئ، من أموال الكفار عامة مقسوما على خمسة اسهم لمن ذكرهم الله فيها، لا على ستة لأن سهمه سبحانه وسهم رسوله سهم واحد. وذكره تعالى افتتاحُ كلامٍ للتيمن والتبرك؛ فإن لله ما في السماوات وما في الأرض. وفيه تعظيم لشأن رَسوله – صلى الله عليه وسلم –. وجعل أربعة أخماسه الباقية لمصالح المسلمين على ما يراه صلى الله عليه وسلم، وله أن يَعُم بها وأن يخص. ولذلك احتبس – صلى الله عليه وسلم – بنى النضير شيئاً لنوائبه وما يعْرُوه. وقسم أكثرها بين فقراء المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها شيئاً سوى ثلاثة نفر أعطاهم لفقرهم ؟ وقال للأنصار: (إن شئتم قسمتُ أموال بنى النضير بينكم وبينهم وأقمتم على مواساتهم في ثماركم وإن شئتم أعطيتها للمهاجرين دونكم وقطعتم عنهم ما كنتم تعطونهم من ثماركم)؟ فقالوا: بل تعطيهم دوننا، ونَقُم على مواساتهم؛ فاعطى المهاجرين دونهم. فاستغنى القوم جميعاً [رواه الضحاك]، المهاجرون بما أخذوا، والأنصار بما رجع إليهم من ثمارهم.

.7

مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (7)

{أَهْلِ الْقُرَى}

هم أهل قرى الكفار عامةً، الذين نيلت أموالهم صلحاً بغير إيجاف خيلٍ ولا ركاب.

{وَلِذِي الْقُرْبَى}

هم بنوهاشم وبنو المطلب.

{كَيْ لَا يَكُونَ}

الفئُ الذي حقه أن يكون للفقراء يعيشون به.

{دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ}

خاصة، أي حظاً بينكم؛ تتكاثرون به. أو مُتداولا تتعاورونه فيما بينكم فلا يصيب الفقراء: والدُّولة– بالضم

وبالفتح – اسم لما يدور من الجَدِّ والحظ أو لما يتداول في الأيدي؛ فيحصل في يد هذا تارة، وفي يد هذا تارة. وقال ابن العلاء: الدُّولة–بالضم–في المال، وبالفتح في الحرب. وظاهر التعليل: اعتبار الفقر في الأصناف الأربعة الأخيرة.

{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ}

أي يجب عليكم الإذعان والعمل بكل ما جاءكم به الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ومنه ما يأمر به في الفيء، و لتأكيد التعميم عقبه بقوله: {وَاتَّقُوا اللَّهَ} أي في كل أمر ونهي. وفي الآية دليل على وجوب الأخذ بالسُّنن الصحيحة في كل الأمور. وعن أبي رافع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا ألْفيَنَّ أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه أمر ما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري! ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه). [أخرجه أبو داود، والترمذي وقال: هذا حديث حسن] وهو من أعلام النبوة؛ فقد وقع ذلك بعدُ من الجاهلين بكتاب الله ومنصِب الرسالة، ومن الزنادقة الصادين عن سبيل الله!

.8

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8)

{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ}

بدل من {ولذِي القُرْبى} أو متعلق بفعل محذوف، والجملة استئنافٌ بيانيٌّ. وذلك انهم كانوا يعلمون أن الخمس يصرف لمن تضمنه قوله تعالى: {فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ} ولم يعلموا مصرف الأربعة الأخماس الباقية، فكأنهم قالوا: فلمن تكون هذه؟ فقيل: تكون للفقراء المهاجرين والأنصار ومن جاء بعدهم؛ فهي للمسلمين عامة، وهو صلى الله عليه وسلم يتصرف فيها تخصيصا وتعميماً كما يشاء.

.9

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9)

{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ}

نزلوا المدينة وأقاموا بها؛ معطوف على المهاجرين.

{وَالْإِيمَانَ}

أي وأخلصوا الإيمان.

{مِنْ قَبْلِهِمْ}

أي من قبل تبوُّء المهاجرين لها. وقيل: الجملة مستأنفة لمدح الأنصار بخصال حميدة؛ منها: محبتهم للمهاجرين، ورضاهم باختصاص الفئ بهم.

{وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً}

أي شيئاً محتاجاً إليه

{مِمَّا أُوتُوا}

مما أُعطيَ المهاجرون من الفئ وغيره

{خَصَاصَةٌ}

حاجةٌ وأصلها: من خَصَاص البيت، وهوما يبقى بين عيدانه من الفُرَج والفتوح.

{وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ}

أي يوق بتوفيق الله شُحّها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حُبّ المال وبغض الإنفاق. والشحُّ البخل مع الحرص.

10.

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (10)

{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ}

أي من بعد هؤلاء إلى يوم القيامة. وقيل: المرادُ بهم الذين هاجروا حين قوى الإسلام. معطوفٌ على المهاجرين.

وقيل:

يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ

مبتدأ، خبره {يَقُولُونَ رَبَّنَا}.

{غِلًّا}

حقدا.

و الحاصل: أن الآية الأولى أفادت اختصاصه – صلى الله عليه وسلم – بفئ بنى النضير. والآية الثانية أفادت تعميم الحكم في كل فئ من أموال الكفار، وبيّنت مصارف خمس الفئ. وقوله: (للفقراء ...) بيانٌ لمصرف الاربعة الاخماس الباقية منه. وقد خصه الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالمهاجرين؛ لاقتضاء مصلحة المهاجرين والأنصار هذا التخصيص،. وبهذا يخالف الفئُ الغنيمة؛ فإن أربعة أخماسهاحق للمقاتلين دون سواهم من المسلمين، كما في آية الأنفال. وفي الآية أقوالٌ أخرى لعل ما ذكرناه أوضحها. والله أعلم باسرار كتابه.

11.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (11)

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا}

حكاية لماجرى بين المنافقين –وعلى رأسهم عبد الله ابن أُبي–وبين بني النَّضير أثناء حصارهم.

{وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ}

أي في قتالكم

{أَحَدًا أَبَدًا}

من الرسول أو المسلمين.

{وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}

في وعودهم المؤكدة بالأيمان لبنى النَّضير. وصفهم الله في هذه الآية بالكذب وفي الآية التالية بالجُبن، وهكذا حال المنافقين دائماً.

.12

لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (12)

.13

لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (13)

{لَأَنْتُمْ}

أيها المؤمنون.

{أَشَدُّ رَهْبَةً}

أي مرهوبية

{فِي صُدُورِهِمْ}

أي صدور المنافقين.

{مِنَ اللَّهِ}

من رهبتهم من الله؛ فقد كانوا يظهرون لكم خوف الله؛ وأنتم أرهبُ في صدورهم من الله.

.14

لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (14)

{لَا يُقَاتِلُونَكُمْ}

أي اليهود والمنافقون. وقيل: اليهود. أي لا يقدرون على قتالكم

{جَمِيعًا}

اي مجتمعين متفقين في موطن واحد.

{إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ}

الخنادق والحصون ونحوها.

{أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ}

يتستَّون بها دون أن يصْحَروا لكم ويبارزوكم؛ لفرط رهبتهم منكم، جمعُ جدار.

{بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ}

أي إذا لم يَلقَوْا عدوًّا نسبوا أنفسم إلى الشدة والبأس، ولكن إذا لقوا العدو انهزموا.

{وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى}

أهواؤهم متفرقةٌ فيما بينهم.

.15

كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (15)

{كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا}

أي مثلُ يهود بنى النَّضير كمثل اليهود الآخرين، وهم بنو قَيْنُقاع الذين غزاهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأجلاهم قبل غزوة بنى النضير.

{ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ}

سوء عاقبة كفرهم [المائدة:95].

.16

كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (16)

{كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ}

أي مَثلُ المنافقين فيما صنعوه مع بنى النضير كمثل الشيطان.

.17

فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (17)

.18

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18)

.19

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (19)

{نَسُوا اللَّهَ}

تركوا ذكره، ولم يراعوا حقوقه.

{فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ}

فلم يسعَوْا بما ينفعها، ولم يعملوا ما يخلّصها.

.20

لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (20)

.21

لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (21)

{خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا}

متذللاً متشققاً

{مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}

وخوفه، وهو تمثيل لعلوّ شأن القرآن وقوة تأثيره في القلوب. وتوبيخ لقساة القلوب، ومتحجّري الضمائر، الذين أعرضوا عنه وكفروا به، ولم ينتفعوا بما جاء فيه.

.22

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (22)

{عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ}

السر والعلانية. أو ما لا يُرى ولا يُحسّ، أو ما سيكون وما قد كان.

.23

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23)

{الْمَلِكُ}

المالك لكل شيء. أو المتصرف في كل شيء. أو الذي لامَلك فوقه ولا شيء إلا دونه.

{الْقُدُّوسُ}

البليغ في الطهارة والتنزه عما لا يليق به سبحانه من جميع النقائص والعيوب؛ من القُدْس وهو الطهارة. وأصله القَدَس –بالتحريك – وهو السَّطْل؛ لأنه يُتطهر به، ومنه القادوس المعروف.

{السَّلَامُ}

ذو السلامة من النقائص والعيوب؛ فهو صفة ذات. أو ذو السلام على عباده في الجنة. أو الذي سَلِم الخلق من ظلمه؛ وعليهما يكون صفة فعل.

{الْمُؤْمِنُ}

المصدِّق لرسله بإظهارالمعجزات على أيديهم، او مصدق المؤمنين ما وعدهم به من الثواب، والكافرين ما أوعدهم به من العقاب؛ من الإيمان وهو التصديق. أو الذي يأمن أولياؤه من عذابه، ويأمن عبادُه من ظلمه. يقال: آمنه: من الأمان الذي هو ضدُّ الخوف. كما قال تعالى: {وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)} [قريش].

{الْمُهَيْمِنُ}

الرَّقيبُ الحافظ لكل شيء , من الأمن بقلب همزته هاء، أو الشهيد، أو القائم على خلقه برزقه، أو الأمين، أو العَليُّ.

{الْعَزِيزُ}

القوي الغالب الذي لا يُعجزه شيء.

{الْجَبَّارُ}

العظيم الشأنِ في القدرة والسلطان؛ فهو صفة ذاتٍ. أو المصلحُ أمور خلقه. المصرِّف لهم فيما فيه صلاحُهم أو القهّار الذي يجبر الخلق على ماشاء من أمره؛ فهو صفةُ فعل. وهو في حق الله صفة مدح، وفي حق الخلق صفةُ ذم.

{الْمُتَكَبِّرُ}

المتعظم عما لايليق بجماله وجلاله من صفات المحدَثين. أو المتكبر عن ظلم عباده.

.24

هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24)

{الْبَارِئُ}

المبدعُ المخترعُ للأشياء، والمبرزُ لها من العدم إلى الوجود.

{الْمُصَوِّرُ}

مصوِّرُ الأشياء ومركبها على هيئات مُختلفة وصور شتى كيف شاء؛ من التصوير وهو التخطيط والتشكيل.

{لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}

التي سَمَّى بها نفسه، والتي هي أحسن الأسماء؛ لدلالتها على معانٍ حسنة، من تحميد وتقديس وغير ذلك. والحُسنى: تأنيث الأحسن.

والله أعلم.

سُورةُ المُمْتحِنة

بسم الله الرحمن الرحيم

1.

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (1)

{لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ .. }

نزلت في حاطب بن أبي بلتعة. وكان من المهاجرين وبمن شهد بدراً، وكان له في مكة قرابة قريبة، وليس له في قريش نسب؛ إذ هو مولى. فأرسل كتابا إلى أناس المشركين بمكة، يخبرهم ببعض أمر النبى صلى الله عليه وسلم في شأن غزوهم. ليتَّخذ عندهم يدا فيحموا أقاربه – مع مولاةٍ تسمى سارة. فأوحى الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم بما كان منه؛ فأرسل في أثرها علياً – كرم الله وجهه – ومعه آخرون فأحضروا الكتاب، واعتذر: حاطبٌ؛ وقَبِل الرسول صلى الله عليه وسلم عذره. نهى الله تعالى المؤمنين عن موالاة أعدائه وأعدائهم، وفسرها بقول: تعالى:

{تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ}

أي ترسلون إليهم أخباره صلى الله عليه وسلم بسبب ما بينكم وبينهم من المودّة، وبقوله: {تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ}. والحُكم عام ولاعبرة بخصوص السبب. وقد ورد النَّهي عن موالاتهم واتخاذهم بطانة ووليجة من دون االمؤمنين في غير آية، وبُينت حكمة النَّهي في هذه الآية وفي غيرها بما يشهد به الواقع.

{أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ}

أي لأجل إيمانكم بربكم؛ فهو العلة لإخراج الرسول والمؤمنين من مكة، وهو العلة دائماً في كراهة الكفار للمسلمين.

{وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ .. }

أي ومن يتخذهم منكم أولياء فقد أخطأ طريق الحق والصواب.

.2

إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (2)

{إِنْ يَثْقَفُوكُمْ}

أي يظفروا بكم ويتمكنوا منكم [البقرة:191].

{يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً}

أي يظهروا لكم ما في قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها أحكامها.

{وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ .. }

بما يسوءكم من القتل والأسر والأذى.

{وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ}

أي ويُظهروا وَدَادتَهُم أن تكونوا مثلهم كافرين، ويُرتبوا على ذلك آثاره. وهو معطوفٌ على {يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً}.

.3

لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (3)

{لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ}

قراباتُكم،

{وَلَا أَوْلَادُكُمْ}

الذين توالون المشركين من أجلهم، وتتقرّبون إليهم محاماة عنهم بشئ من النفع {يَوْمَ الْقِيَامَةِ} الذي يفر المرء فيه من أخيه وأمه وأبيه. ثم قال تعالى:

{يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ}

أي يفرّق بينكم وبين أرحامكم وأولادكم بما يكون فيه من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر. ويجوز أن يتعلق (يوم القيامة) بالفعل بعده.

.4

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (4)

{أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}

خصلة حميدة، جديرة أن يُقتدى بها

{فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ}

إذ أعلنوا براءتهم من الكفار ومن آلهتهم التي يعبدونها.

{بُرَآءُ}

جمع بريء. يقال: بَرِئَ من الأمر يَبْرَأُ بَراءً وبراءة وبُروءًا، وتبرأ منه وتفصّى [عن الأمر أو عنه إذ تخلص منه] لكراهته.

{إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ .. }

أي اقتدوا به في جميع أموره إلا في الاستغفار لأبيه المشرك؛ فلا تتأسوا به فيه. وكان قد استغفر له لمَوْعدة وعدها إياه، فلما تبين له أنه عدوله تبرأ منه.

{إِلَيْكَ أَنَبْنَا}

إليك رجعنا تائبين.

.5

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (5)

{لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً .. }

أي مفتونين معذَّبين لهم؛ بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله؛ من فَتَن الفضة: إذا أذابها؛ فهي مصدرٌ بمعنى المفتون، أي المعذَّب.

.6

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (6)

.7

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (7)

{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ .. } . وعدٌ للمؤمنين الذين تشدّدُوا في معاداة آبائهم وأبنائهم وسائر أقاربهم المشركين، وفي مقاطعتهم إياهم بالكلية – بأنه تعالى سيجعل من هؤلاء من يوافق المؤمنين في الدِّين ويؤمن بعد الكفر؛ فيتَّصل حبل المودة بينهم بعد الإيمان.

.8

لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8)

{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ .. }

ترخيصٌ للمؤمنين في البر والصلة–قولاً وفعلاً – للكفار الذين لم يقاتلوهم لأجل الدِّين، ولم يُلحقوا بهم أذى؛ فهو في المعنى تخصيصٌ للآية أوّل السورة. رُويَ أنها نزلت في أسماء بنت أبي بكر، وكانت لها أمٌّ في الجاهلية تدعى قُتيلة بنت عبدالعزى، فأتتها في عهد قريش بهدايا فقالت لها أسماء: لا أقبل لك هدية ولاتدخلي على حتى يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فذكرت ذلك عائشة للرسول – صلى الله عليه وسلم – فأنزل الله الآية.

{تبَرُّوهُمْ}

تحسنوا إليهم وتُكرِمُوهم.

{وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ}

أي تُفظوا اليهم بالعدل.

{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}

أي المنصفين الذين يُنصفون الناس، ويعطونهم العدل من أنفسهم؛ فيَبَرون من برَّهم، ويحسنون إلى من احسن إليهم.

.9

إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (9)

{وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ}

عاونوا عليه؛ كمشركى مكة. يقال: ظهر علية، غلبه، وتظاهروا: تعاونوا.

{أَنْ تَوَلَّوْهُمْ}

أن تتخذوهم أولياء.

.10

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (10)

{إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ}

لما وقع صلح الحُدَيبية مع المشركين على أنَّ من أتى النبي – صلى الله عليه وسلم –منهم يردّهُ اليهم وان كانَ مسلما– جاءت سُبَيْعة بنت الحارث الى النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو في الحديبية بعد الفراغ من الكتاب مظهرة الإسلام، فأقبل زوجها وكان مشركا وطلب رَدها إليه، فنزلت: الآية بياناً لخروج النساء المسلمات من العموم؛ للفرق الظاهر بينهُن وبين الرجال. فإنَّ الرجل لايُخشى عليه من الرَدِّ ما يُخشى على المرأة من إصابة المشرك إياها، وتخويفها وإكراهها على الرِدة، فلم يردّها النبي – صلى الله عليه وسلم – إليه واستحلفها. وعن ابن عباس في كيفية أمتحانهن: كانت المرأة إذا جاءت النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – حلَّفها عمر بالله ما خرجت من بُغض زوج، وبالله

ما خرجت رغبة عن ارض إلى أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ماخرجت الا حبًّا لله ولرسوله [رواه الطبراني وابن المنذر].

{أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ}

أي هذا الامتحان لكم، أمّا سرائرُهن فموكولةٌ إلى علام الغيوب.

{فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ}

أي ظننتموهن ظنًّا قويًّا يشبه العلم بعد الامتحان.

{مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ}

ثم عُلّل ذلك بقوله. {لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ} ثم أمر الله تعالى أن يُعطى الأزواج المشركون الذين هاجرت نساؤهم مؤمناتٍ إذا عُلم إيمانهن بالامتحان – ما دفعوا في نكاحهن من الصّداق بقوله: {وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا} وذلك إذا كان الازواج معاهَدين، أمّا اذا كانوا حربيّين فلا يُعطوْن ما أنفقوا اتفاقاً.

{أُجُورَهُنَّ}

مهورهن.

{وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ}

جمعُ كافرة. والمرادُ: المشركاتُ الباقيات بدار الحرب، أو اللاحقات بها مرتدات. والعِصمُ: جمع عصمة وهي ما يُعتصم به من عقد وسبب. والمرادُ هنا: عقدُ النكاح, أي لا يكن بينكم وبين هؤلاء الزوجات المشركات عُلقة زوجيّة؛ لانقطاع العصمة باختلاف الدارَيْن.

.11

وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (11)

{وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ .. }

أي وإن انفلتَ أحد من أزواجكم إلى الكفار، ولم يؤدُّوا إليكم ما دفعتم لهنَّ من المهور.

{فَعَاقَبْتُمْ}

أي فأصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم منهم.

{فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ}

من الغنيمة.

{مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا}

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يعطى الذي ذهبت زوجته من الغنيمة – قبل ان يخمسّها – المهر ولا ينقص من حقه شيئا. وروى عن مجاهد وقتادة وعطاء: أن هذا الحكم منسوخ. وقيل غير منسوخ.

.12

يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (12)

{يُبَايِعْنَكَ}

يعاهدنك. وأصلُ المبايعة: مقابلة شيء بشيء على جهة المعاوضة. وسُمِّيت المعاهدة مبايعة تشبيها لها بها؛ فإن الناس إذا التزموا قبولَ ما شُرط عليهم من التكاليف الشرعية، طمعاً في الثواب وخوفاً من العقاب. وضَمن لهم عليه الصلاة والسلام ذلك في مقابلة وفائهم بالعهد– صار كأن كلَّ واحد منهم با ع ما عنده بما عند الآخر.

{وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ}

المراد به وأد البنات. وكان ذلك في الجاهلية يقع تارة من الرجال، وأخرى من النساء؛ فكانت المرأة إذا حانت ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأسها؛ فإذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وردت التراب عليها، وإذا ولدت غلاما أبقته. ويستفاد من هذا النهي حكمُ اسقاط الحمل بعد نفخ الروح فيه.

{وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ}

ولا يأتين بأولادٍ يلتقطْنهم وينسبْنَهم كذبا إلى الأزواج؛ وليس لمراد به الزّنى لتقدم ذكره.

{وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ}

أي أمر معروف، ومنه الا يَنُحن ولأ يَشْقُقْن جيباً، ولا يَخدِشن وجها، ولايَدْعنَّ بِوَيْل عند موت أو مصيبة.

{فَبَايِعْهُنَّ}

وَرَدَ أن النبي – صلى الله عليه وسلم – بايع النساء بغير مصافحة؛ وكان عددهُن أربعمائة وسبعًا وخمسين امرأة.

.13

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (13)

{لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}

لا تتخذوهم أولياء وأنصارًا لكم. نزلت نهيًا عن موالاة ليهود؛ فقد كان أناسٌ من فقراء المسلمين يواصلونهم بأخبار المسلمين ليصيبوا من ثمارهم. والحكم عامٌّ فيهم وفي سائر الكفار الذين يقاتلون المسلمين لاجل الدّين، ويؤذونهم بما فيه ضررهم وضرر الإسلام.

{قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ}

أي قد ترك هؤلاء اليهودُ العمل للآخرة، وآثروا عليها الحياة الفانية؛ فكانوا بمنزلة اليائسين منها يأسًا تامًا، شبيها بيأسهم من موتاهم أن يعودوا إلى الدنيا أحياء. أو بيأس الكفار الذين ماتوا على الكفر وعاينوا العذاب في القبور من نعيم الآخرة.

والله أعلم.

سُورةُ الصَّف

وتُسمَّى سورةَ عيسى وسورة الحواريّين

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1)

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ}

نزهه ومجده تعالى و دل عليه. [الحديد:1].

.2

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2)

{لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ}

استفهام على جهة الإنكار والتوبيخ، على أن يقول الإنسان عن نفسه من الخير ما لم يكن قد فعله او ما لا يفعله؛ فهو إمّا كذب وإمّا خُلفٌ وكلاهما مذموم. وحذفت ألف ما الاستفهامية مع حرف الجر تخفيفاً لكثرة استعمالهما معا نحو: بم، ممَّ، عمَّ، فيمَ. رُويَ أنَّ نفراً من المسلمين قالوا: لو علمنا: أحبَّ الأعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا؛ فلما نزل الأمر بالجهاد كرهوه، فنزلت الآية توبيخاً لهم على إخلافهم ما وَعدوا.

.3

كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (3)

{كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}

عَظمَ قولكم ما لا تفعلون مقتَا عند الله. والمقتُ: أشدُّ البغض، و (مَقْتًا) تمييز محوَّل عن الفاعل، والأصل: كَبُرُ مقت قولكم؛ أي المقتُ المترتب على قولكم المذكور.

.4

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (4)

{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ .. }

بيان لما هو مرضى عنده تعالى، بعد بيان ما هو ممقوت عنده. أي أنه تعالى يرضى عن الذين يقاتلون في سبيل مرضاته تعالى، صافّين أنفسهم في

القتال او مصفوفين صفوفًا مُتراصة؛ كأنهم في التحامهم وتماسكهم واتحادهم بنيان محكَمٌ، لا فُرجة فيه ولا خلل، حتى صار شيئا واحدا؛ وهذا شأن الصادقين في الجهاد. يقال: رصصت البناء – من باب رد –لأمْتُ بين أجزائه، وألزَقتُ بعضها ببعض حتى صار كالقطعة الواحدة؛ ومنه: التراص للتَّلاصُق.

{بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ}

متلاصق محكم لا فرجة فيه.

.5

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (5)

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ .. }

اي حين ندبهم إلى قتال الجبابرة فعصوه وقالوا: { .. إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا .. (22)} [المائدة]. وقالوا: { .. فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24)} [المائدة]، وأصروا على ذلك وآذوه عليه السلام كل الأذى.

{فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}

فلما أصرُّوا على المَيْل عن الحق والانحراف عنه امال الله قلوبهم عن قبوله؛ لصرفهم اختيارهم نحو العمى والضلال. أو فلما زاغوا عن الطاعة أزاغ الله قلوبهم عن الهداية؛ من الزيغ، وهو الميل عن الحق. يُقال: زاغ يزيغ زيغاً وزيغانًا، مال. وازاغه: اماله.

.6

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (6)

{اسْمُهُ أَحْمَدُ}

هو علمٌ لنبينا صلى الله عليه وسلم، ومعناه: أحمدُ الحامدين لربه، بَشّرت به وبرسالته الخاتمة للرسالات السماوية: التوراة والإنجيلُ، اللّذان لم يحرفا ولم يبدّلا على لسان موسى وعيسى عليهما السلام.

{فَلَمَّا جَاءَهُمْ}

أي عيسى، أو محمد عليهما الصلاة والسلام.

.7

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (7)

.8

يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (8)

{يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ .. }

أي يريدون أن يطفئوا دينه، أو كتابه، أو حجَّته النيِّرة بطعنهم فيه. أو هو تمثيل لحالهم في إبطال الحق بحال من ينفخ في نور الشمس بفمه ليطفئه؛ تهكُّماً بهم وسخريةً.

.9

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (9)

{أَرْسَلَ رَسُولَهُ}

محمداً – صلى الله عليه وسلم –

{بِالْهُدَى}

بالقرآن أو بالمعجزة

{وَدِينِ الْحَقِّ}

أي المِلَّةِ الحنيفيّة.

{لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ}

أي ليُعليَه على جميع الاديان المخالفة له.

.10

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10)

.11

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11)

.12

يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12)

.13

وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (13)

{وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا}

أي ولكم إلى ما ذكر من النعم العظيمة نعمة أخرى تحبونها، وفسّرها بقوله:

{نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ} أي عاجل، وهو فتح مكة، أو فارس والروم.

.14

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (14)

{لِلْحَوَارِيِّينَ}

أصفياء عيسى عليه السلام وخواصه. وكانوا اثنى عشر رجلاً، وهم أوّل من آمن به من بني إسرائيل [آل عمران:52].

{مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ}

من جُندي متوجِّهاً إلى نصرة الله.

{نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ}

أي نحن الذين ينصرون دين الله.

{فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا}

أي قوّينا الذين امنوا بعيسى، وانه عبد الله ورسوله.

{فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ}

غالبين مؤيَّدين بالحجج والدلائل بعد مبعثه – صلى الله عليه وسلم – على الكافرين بالله، الزاعمين أن عيسى هو الله أو وثالث ثلاثة؛ تعالى الله عما يقولون عُلوًّا كبيرا!

والله أعلم.

سُورةُ الجُمُعَة

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1)

{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ... }

ينزّهه تعالى عما لا يليق به جميع العوالم [الحديد:1].

{الْمَلِكِ}

مالك الأشياء كلها.

{الْقُدُّوسِ}

البليغ في الطهارة والنزاهة عن جميع النقائص والعيوب [الحشر:23].

{الْعَزِيزِ}

القادر الغالب القاهر.

.2

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (2)

{فِي الْأُمِّيِّينَ}

أي في العرب المعاصرين له صلى الله عليه وسلم؛ لأن اكثرهم لا يكتبون ولا يقرأون [البقرة:78].

{وَيُزَكِّيهِمْ}

يطهرهم من دنس

الكفر. أو يحملهم على ما يصيرون به أزكياء طاهرين من خبائثِ العقائد والأعمال.

{وَالْحِكْمَةَ}

الفقه في الدِّين، أو السُّنة.

.3

وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (3)

{وَآخَرِينَ مِنْهُمْ}

أي وبَعَث في آخرين من الأميّين.

{لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ}

أي لم يجيئوا بعد، وسيجيئون؛ وهم الذين جاءوا من العرب بعد الصحابة إلى يوم الدين. وجميع العرب: قومه – صلى الله عليه وسلم – الذين بُعث فيهم. وأمّا المبعوث إليهم وهم الثقلان كافة فلم تتعرض له هذه الآية، وقد تعرضت لإثباته آياتٌ أُخر.

.4

ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (4)

.5

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (5)

{مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ .. }

ضرب الله هذا المثل لليهود الذين أوتوا التوراة وكُلِّفوا العمل بها؛ فأعرضوا عنها ولم يتتفعوا بها، وكذبوا بمحمد – صلى الله عليه وسلم –وقد أمروا فيها بتصديقه واتّباعه؛ فشبههم بالحمار يحمل على ظهره أحمالاً من كتب العلم لاينتفع بها، ولايعقِل مافيها، وليس له إلا ثِقلُ الحمل من غير فائدة.

.6

قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6)

{قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا}

نزلت لما ادّعت اليهود الفضيلة، وقالوا: {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ .. (18)} [المائدة] وزعموا أن الدار الآخرة لهم خالصةٌ، وأنه لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً؛ فأمر الله نبيه أن يُظهرَ كذبهم بأن يقول لهم: {إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ

لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ} وللأولياء عند ا لله كرامة {فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ} لتنتقلوا من دار البليّة إلى محل الكرامة {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} في زعمكم؛ فإن من أيقن أنه من أهل الجنة أحبَّ أن يتخلّص إليها من هذه الدار المليئة بالأكدار. ثم أخبر سبحانه عن حالتم المستقبلة بقوله:

.7

وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (7)

{وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا}

قيلَ: هو خاص بمن كانوا في عهده – صلى الله عليه وسلم – من اليهود.

.8

قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8)

{عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ}

[الحشر:23].

.9

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (9)

{نُودِيَ لِلصَّلَاةِ}

أذِّن لها

{مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ}

أي فيه. والمرادُ به: الآذان على باب المسجد عند جلوس الخطيب على المنبر؛ إذ لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين بعده غير هذا الأذان. ثم استحدث عثمانُ – رضي الله عنه – أذانا قبله بالزَّوْراء؛ لكثرة المسلمين وتباعُدِ منازلهم حتى إذا سمعوه اقبلوا للصلاة. فإذا جلس الخطيب على المنبر أذن المؤذن ثانيا ذلك الأذان الذي كان على عهده صلى الله عليه وسلم– وأقرّ

الصحابة عثمان – رضي الله عنهم – على ذلك؛ فكان اجماعًا.

{فَاسْعَوْا}

فامضُوا

{إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}

هو عِظة الإمام في خطبته، وصلاة الجمعة.

{وَذَرُوا الْبَيْعَ}

اتركوه وتفرغوا لذكر لله.

.10

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (10)

{فَانْتَشِرُوا}

تفرقواً للتصرف في حوائجكم.

.11

وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (11)

{وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا}

عن جابر – رضي الله عنه –؛ أن النبى – صلى الله عليه وسلم – كان يخطب قائما يوم الجمعة، فجاءت عيرٌ من الشام؛ فانفتلَ الناس إليها حتى لم يبق بالمسجد إلا اثنا عشر رجلا، فنزلت الآية. وكانت العيرُ تحمل طعاما إلى المدينة، والوقتُ وقت غلاء وشدة. وكان من عادتهم إذا أقبلت العيرُ استقبلوها بالطبل والتصفيق؛ وهو المراد باللهو في الآية. ويروى أن هذه الحادثة وقعت ثلاث مرات. وأنه – صلى الله عليه وسلم – قال بعد الثالثة: (والذي نفسى بيده لو اتبع آخرُكم أوَّلكم لالتهب عليكم الوادي نارًا).

{انْفَضُّوا إِلَيْهَا}

تفرقوا عنك إليها؛ من الفض: وهو كسر الشيء والتفريق بين أجزائه؛ كفض ختْم الكتاب. وقيل: إن الذي سوّغ اليهم الخروج وترك رسول – صلى الله عليه وسلم – يخطب، أنهم ظنُّوا أن الخروج بعد تمام الصلاة جائز، لانقضاء المقصود وهو الصلاة، وقد كان – صلى الله عليه وسلم – أوّل الإسلام يصلى الجمعة قبل الخطبة كالعيدين، فلما وقعت هذه الواقعة ونزلت الآية قدّم الخطبة وأخر الصلاة.

{وَتَرَكُوكَ}

على المنبر

{قَائِمًا}

تخطب. ثم وعظهم الله بقوله:

{مَا عِنْدَ اللَّهِ}

من الثواب على الثبات مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

{خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ}

مما يُلهيكم عن الطاعة، وعن البقاء مع الرسول

{وَمِنَ التِّجَارَةِ}

التى تبتغون منها الربح والمنافع العاجلة، ولن يفوتكم ما قُدِّر لكم من الرزق والنفع إذا أقمتم على طاعته. {وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}.

والله أعلم.

سُورةُ المُنافِقون

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (1)

{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ}

نزلت هذه السورة في عبد الله بن أُبيّ بن سَلُول وأتباعه، وكان رأسا في النفاق والكفر، والأذى لرسول – صلى الله عليه وسلم –، والكيد للمسلمين والضغينة لهم، والتكبر على الله والناس،

والكذب، وإشاعة الفاحشة في المؤمنين؛ وقد استمر على ذلك حتى هلك [رواه قتادة].

{وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}

أي في قولهم

{نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ}

لأنهم اضمروا خلاف ما اظهروا. وحقيقة الإيمان: أن يواطيء القلب اللّسان؛ فمن أخبر عن شيء وهو يضمر خلافه فهو كاذب.

.2

اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (2)

{اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً}

وقاية من القتل والسبي ونحوهما يستترون بها كما يستتر المستجنُّ بجنته في الحرب، وهي الترس ونحوه.

{فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}

فاعرضوا عن الإسلام. او صَرفوا عنه من أراد الدخول فيه. أو صرفوا المؤمنين عن الجهاد وطاعة الرسول؛ أي أن دأبهم ذلك؛ من الصَّد وهو الصرف عن الشئ والمنعُ منه.

.3

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (3)

{ذَلِكَ}

أي ما ذكر من حالهم الذي دأبوا عليه

{بِأَنَّهُمْ}

بسبب أنهم

{آمَنُوا}

في الظاهر

{ثُمَّ كَفَرُوا}

في الباطن. و {ثم} للترتيب الإخباري لا الإيجادي.

{فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ}

ختم عليها بالكفر فلا يدخل فيها الإيمان.

{لَا يَفْقَهُونَ}

لا يعرفون حقية الايمان.

.4

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (4)

{كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ}

ذمٌّ لهم؛ أي كأنهم – في جلوسهم مجالس الرسول – صلى الله عليه وسلم – مستندين فيها، فارغةٌ قلوبهُم من الإيمان والخير– خُشُب منصوبة مُسندةٌ إلى الحائط، لاتحس ولا تعقل ولا تتحرك

{يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ}

أي واقعة عليم، ضارَّة لهم؛ لجُبْنهم وهلعهم. إذ كانوا على وَجَل من أن يُنْزل الله تعالى فيهم ما يهتك أستارهم، ويبيح دماءهم وأموالهم.

{هُمُ الْعَدُوُّ}

أي الكاملون في العداوة الراسخون فيها.

{فَاحْذَرْهُمْ}

واتق شرهم، ولا تغتر بظواهرهم.

{قَاتَلَهُمُ اللَّهُ}

لعنهم وطردهم من رحمته.

{أَنَّى يُؤْفَكُونَ}

كيف يُصرفون عن الحق والرشد إلى ما هم عليه من الكفر والضلال!

.5

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (5)

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا}

نزلت في عبد الله بن أبيّ حين افتضح أمرُهُ، وطُلب منه أن يذهب إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليستغفر لهُ؛ فأعرضَ واستكبر. وجميع الضمائر في الآية من باب: بنو تميم قتلوا فلاناً، والقاتل بعضُهم. أو لأن أتباعه مثله في ذلك.

{لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ}

عطفوها وثنوْها وهو كناية عن التكبر والإعراض؛ ونظيرُه قولُه

تعالى: {ثَانِيَ عِطْفِهِ .. (9)} [الحج]. أو حركوها وأمالوها استهزاءً برسول الله – صلى الله عليه وسلم – وباستغفاره؛ إذ يستوى عندهم استغفارُه وعدمه. وقد أخبر الله تعالى انه لن يغفرهم؛ لانهماكهم في الكفر والفسق والقبائح. يُقالُ: لوَى رأسه وبرأسه. أماله، ونظيره: { .. فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ .. (51)} [الاسراء] أي يحركونها استهزاء.

.6

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (6)

.7

هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (7)

{حَتَّى يَنْفَضُّوا}

أي كي يتفرقوا عنه – صلى الله عليه وسلم – ولا يصحبوه.

.8

يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (8)

{يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ}

قائل ذلك هو عبدُ الله بن أبيّ. ويعني بالأعَزّ– أي الاقوى –: نفسه ومن معه من المنافقين، وبالأذل– أي الأضعف والأهون –: من عداهم من المؤمنين؛ من العزة ضد الذِلة. فرد الله عليهم بقوله: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ} أي الغلبة {وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} لا لغيرهم.

.9

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (9)

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}

نهيٌ للمؤمنين عن التشبه بالمنافقين في الاغترار بالأموال والأولاد.

{لَا تُلْهِكُمْ}

لا تشغلكم وتصرفكم.

.10

وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (10)

{لَوْلَا أَخَّرْتَنِي}

هلا أمهلتني وأخرت أجلي.

.11

وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (11)

والله أعلم.

سُورةُ التَّغابُن

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1)

{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ .. }

ينزهه ويمجده ويدل عليه. [الحديد:1].

{لَهُ الْمُلْكُ}

التصرف المطلق في كل شيء.

.2

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (2)

{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ}

بيان لبعض آثار قدرته تعالى العامة، أي أوجدكم وأ نشأكم كما أراد.

{فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ}

أي فبعض منكم كافر به – وبعض منكم مؤمن به؛ فالفاء لتفصيل الإجمال في {خَلَقَكُمْ} كالفاء في قوله تعالى {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ .. (45)} [النور]. أو هو الذي خلقكم خلقاً بديعاً، حاوياً للكمالات العلمية والعمَلية؛ ومع ذلك فمنكم مختارٌ للكفر، كاسب له على خلاف ما تقتضيه الفطرة. ومنكم مختارٌ للإيمان، كاسب له حسبما تقتضيه الفطرة وكان الواجب عليكم جميعا أن تكونوا مختارين للإيمان، شاكرين له نعمة الخلق والإيجاد، وما يتفرع عليهما من سائر النعم؛ فلِمَ تفعلوا ذلك مع تمام تمكنكم منه؛ بل تفرّقتم شيعا! فالفاء للترتيب لا للتَّفصيل: كالفاء في قوله: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (26)} [الحديد].

.3

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3)

{بِالْحَقِّ}

بالحكمة البالغة.

{وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ}

أتقنها و أحكمها على وجه لامثيل له في الحسن والمنظر، ومن ذلك خَلْقه إياكم مستوي القامة غير منكبّين، وجعلكم أنموذج جميع مخلوقاته في هذه النشأة.

.4

يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (4)

.5

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (5)

{أَلَمْ يَأْتِكُمْ .. }

استفهام توبيخ أوتقرير. والخطابُ لأهل مكة.

{فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ}

سوء عاقبة كفرهم، في الدنيا من غير مهلة [المائدة:95].

.6

ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (6)

{وَتَوَلَّوْا}

اعرضوا عن الإيمان بالرسل.

.7

زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (7)

.8

فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (8)

{وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا}

هو القرآن، فإنَّه بإعجازه يبيِّن نفسه، مُبيِّنٌ لغيره؛ كما أنَّ النور كذلك.

.9

يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (9)

{يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ}

أي لَتُنبؤنَّ بما عملتم يوم يجمعكم في اليوم الذي يَجتمع فيه الأوّلون والآخرون للحساب والجزاء، وهو يوم القيامة.

{ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ}

أي يوم غَبَن فيه بعض الناس بعضاً؛ بنزول السُّعداء منازل الأشقياء التي كانوا ينزلونها لوكانوا سعداء. ونزولُ الأشقياء منازل السُّعداء التي كانوا ينزلونها لوكانوا أشقياء. مستعارٌ من تغابن القومُ في التجارة: اذا غبن بعضهم بعضا فيها؛ وفعله من باب ضرب. وفيه تهكُّمٌ بالأشقياء؛ لأنهم بنزولهم منازلهم من النار لا يغبِنُون السعداء.

.10

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (10)

.11

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (11)

{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ .. }

هي الرزيّةُ، وما يسوء العبد في نفس او مال او ولد، أو قول أو فعل. أي ما أصاب أحدا مصيبة إلا بعلمه تعالى وتقديره وإرادته.

{وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ}

عند المصيبة للصبر والتسليم لأمر الله والرضا بقضائه وقدره. او لليقين؛ فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وماً أخطأه لم يكن يصيبه.

.12

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (12)

.13

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (13)

.14

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (14)

{إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ}

يحولون بينكم وبين الطاعات، وقد يحملونكم على السَّعي في اكتساب الحرام وارتكاب الاثام؛ لفرط محبتهم وشدّة التعلق بهم.

{فَاحْذَرُوهُمْ}

ولا تأمنوا غوائلهم.

{وَإِنْ تَعْفُوا}

عما يقبل العفو من ذنوبهم.

{وَتَصْفَحُوا}

بترك التثريب والتعيير لهم.

{وَتَغْفِرُوا}

تستروا عيوبهم، وتمهّدُوا لهم الاعتذار.

{فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}

نزلت في قوم من أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يهاجروا؛ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم. فلما أتوا للرسول – صلى الله عليه وسلم – فرأوا الناس قد فقهوا في الدِّين همُّوا أن يعاقبوهم؛ فأنزل الله الآية.

.15

إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (15)

{إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ}

بلاءٌ ومحنة. وقد يحملونكم على كسب الحرام ومنه حقُ الله تعالى – والوقوع في العظائم؛ فلا تطيعوهم في معصية الله تعالى.

.16

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (16)

{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ}

ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم.

{وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ}

أي من يكْفِهِ الله شح نفسه فيفعل في ماله جميع ما امر إلله به، طيب النفس به.

{فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}

الفائزون [الحشر:9].

.17

إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (17)

{قَرْضًا حَسَنًا}

احتساباً بطيبةِ نفسٍ وإخلاص [الحديد:11].

{شَكُورٌ}

ذو شكر لأهل الإنفاق في سبيله؛ بحسن الجزاء ومضاعفة الثواب.

{حَلِيمٌ}

لا يعجل بعقوبة المسيء. بل يُمهل طويلا؛ ليتذكر العبد الإحسان مع العصيان فيتوب.

.18

عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18)

{عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ}

السِّر والعلن [الحشر:22].

{الْعَزِيزُ}

الغالب –الشديد في انتقامه ممن عصاه.

{الْحَكِيمُ}

في صنعه وتدبير خلقه.

والله اعلم.

سُورَةُ الطّلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (1)

{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ}

خُصَّ – صلى الله عليه وسلم – بالنداء، وعُمَّ الخطاب بالحكم لكونه إمام أمته؛ اظهارا لتقدُّمه واعتبارا لترؤسه فكان هو وحده في حكمهم كلهم؛ كم يُقالُ لرئيس لقوم: يا فلان – افعلوا كيت وكيت، او المعنى: قل للمؤمنين

{إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ}

أي أردتم تطليق نسائكم المدخولِ بِهِنَّ من المعتدّات بالحيْض

{فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ}

أي مستقبلات لعدّتهن. والمرادُ أن يُطلَّقن في طُهر لم يُجامعنَ فيه، ثم يُترَكن حتى تنقضي عدتهن؛ وهذا أحسن الطلاق. وفي الآية نهيٌ عن الطلاق في الحيض، وهو طلاقٌ بِدعيٌّ محرَّم. وتفصيل أحكام الطلاق في الفقه. وقد اشتمت هذه السورة على الطلاق المسنون، وعلى حرمة الإخراج والخروج من مسكن العدّة، وعلى الأدب الشرعي في الإمساك والفراق، وعلى ندب الإشهاد على الرَّجعة والطلاق – وعلى عدة الآيسة والصغيرة التى لم تحض وعدة الحامل – وعلى وجوب إسكان المعتدّة والإنفاق على المعتدّة بالحمل، وعلى حكم اجرة الرَّضاع.

{وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ}

اضبطوها وأكملوها ثلاثة قُروء كوامل.

{لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ}

إلى أن تنقضى عدّتُهن.

{وَلَا يَخْرُجْنَ}

بأنفسهن.

{إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ}

أي بأمر ظاهر القبح، وهو ما يوجب حدّا، كالزنا أو السرقة فتخرجوهن لإقامة الحدِّ عليهن. وقيلَ: هو البَذاء على الزوج أو على الأحماء. وقيل: هو النشوز، فتخرجُوهنَّ من البيت لذلك؛ فهو اسثناء من قوله: {لَا تُخْرِجُوهُنَّ}.

.2

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2)

{فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ}

أي قاربن انقضاء العدة فراجعوهن بحُسن معاشرة، أو فارقوهن بإيفاء الحقوق من غير مضارّة لهن

{وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ}

عند الرجعة أو عند الفرقة. والأمر للندب.

{وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ}

أدُّوها على وجهها عند الحاجة أداءً خالصا لوجه الله تعالى.

{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ}

أي من يخف الله، فيعمل بما امره الله، ويجتنب ما نهاه عنه

{يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}

من الضيق، وفرجاً من الكرب في أمره {وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}.

.3

وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (3)

{وَيَرْزُقْهُ}

ويهيئ له أسباب الرزق

{مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}

أي من وجه لا يخطر بباله.

{فَهُوَ حَسْبُهُ}

كافيه ماأهمه في جميع أموره.

{قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}

تقديراً قبل وجوده أو توقيتاً.

.4

وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4)

{يَئِسْنَ}

انقطع رجاؤهن لكبرهن.

{إِنِ ارْتَبْتُمْ}

شككتم في عدَّتهن، أو جهلتموها

{وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ}

وهنَّ الصغيرات من النساء؛ أي فعدتُهنّ ثلاثة أشهر كالآيسات.

{أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ}

ولو نحو مضغة أو علقة؛ سواء كنَّ مطلقات أو متوفي عنهن أزواجُهنَّ.

{يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا}

يُسَهّل عليه أمرَه ويوفقه للخير.

.5

ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (5)

.6

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى (6)

{أَسْكِنُوهُنَّ .. }

أسكنوا المعتدّات بعض مكان سكناكم.

{مِنْ وُجْدِكُمْ}

من وُسْعِكم وطاقتكم. والوُجْدُ – مثلثة الواو –: السَّعة والقدرةُ.

{وَأْتَمِرُوا}

أي تشاوروا. والمعنى: ليأمر بعضُكم بعضا بجميل في الأجرة والإرضاع؛ فلا يكن من الأب مماكسَةٌ، ولا من الأم معاسَرة.

{وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ}

أي تضايقتم بالمشاحَّة في الأجرة فأبت الأم الإرضاع، والأب دفع الأجرة لها

{فَسَتُرْضِعُ لَهُ}

أي للأب

{أُخْرَى}

غير أمّه المبانة.

.7

لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (7)

{ذُو سَعَةٍ}

غنى وطاقة.

{وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ}

أي ضُيّق عليه.

{إِلَّا مَا آتَاهَا}

أي إلا بقدر ما أعطاها من الطاقة – أو من الأرزاق.

.8

وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا (8)

{وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ}

أي كثير من أهل قرية [آل عمران:146].

{عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا .. }

تكبرت وتجبرت، مُعْرضة عن امر ربها ورسله؛ من العُتوُّ عن الطاعة. يقال: عتا يعتو عتُوًّا وعُتيًّا، إذا تجبر وظلم.

{عَذَابًا نُكْرًا}

مُنكرًا فظيعاً، وهو عذاب الآخرة. والنُّكر: الأمر الصعب الذي لايعرف.

.9

فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (9)

{فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا}

سوء عاقبة عتّوها وكفرها [المائدة:95].

{عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا}

خسارا لا يقادَرُ قدْرُه. وأصل الخُسْر: انتقاصُ رأس المال.

.10

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (10)

{الَّذِينَ آمَنُوا}

أي أعنى بـ {أُولِي الْأَلْبَابِ} الذين آمنوا.

{أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا}

أي أنزل إليكم قرآنا. وقيل الذّكر: هو الرسول – صلى الله عليه وسلم –، {رَسُولًا} [الآيه 11] بدل منه [ذِكْرًا]، و اطلق عليه ذكر لمواظبته على تلاوة القرآن وهو ذكر، أو على تبليغه والتَّذكير به. وعُبِّر عن إرساله بالإنزال لأن الإرسال مسبَّبٌ عن إنزال الوحى إليه.

.11

رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا (11)

{رَسُولًا .. }

أي أرسل رسولاً وهو محمد – صلى الله عليه وسلم –.

.12

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (12)

{وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ}

أي في العدد، فهي سبعٌ. والتعدُّد باعتبار أصول الطبقات الطينية وألصخرية وألمائية والمعدنية ونحو ذلك.

{يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ}

يجرى أمرُ الله وقضاءه وقدرُه بينهن، وينفُذ حكمُهُ فيهن.

والله اعلم.

سُورةُ التَّحريم

وتسمَّى سورة النبى – صلى الله عليه وسلم –

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (1)

{لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ}

رويَ في الصحيح أن النبى –صلى

الله عليه وسلم – كان يمكث عند زوجه زينب بنت جحش ويشربُ عندها عسلاً، وكان يحبُّ الحلواء والعسل؛ فتواصت عائشة وحفصة – لما وقع في نفسيهما من الغَيْرة من ضرتهما–أن أيّتهما دخل عليها النبي – صلى الله عليه وسلم – فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير! اكلت مغافير؟ [هو صمغ حُلوٌ يَنْضحه شجر العُرْفط يؤخذ ثم يُنضح بالماء فيشرب، وله راحةكريهة] فدخل – صلى الله عليه وسلم – على حفصة فقالت له ذلك. فقال: (لا بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش). فقالت: جَرَست نحلُه العُرفُط – أي أكلت ورعت –؛ فحرّم العسل وقال: (لن أعودَ وقد حلفت فلا تخبري أحدا). فأخبرت عائشة بذلك كله؛ فأطلعه الله تعالى على إفشائها القصة لعائشة. فأعلم حفصة ببعض الحديث الذي افشته وقد استكتمها إيّاه، ولم يخبرها بباقيه تكرما لمافيه من مزيد خجلتها، والكريم لا يستقصي. فظنَّت حفصة أن عائشة هي التى أخبرته بالقصة؛ فقالت له صلى الله عليه وسلم {مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا .. (3)}؟ {قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ .. (3)}. وقد عاتب الله نبيه – رفقا به –وتنويها بقدره، وإجلالا لمنصبه – أن يراعي مرضاة أزواجه بما يشق عليه، وذلك جريا على ما ألف من لطف الله به، وشرَعَ له ولأمَّته التحلُّل من اليمين بالكفارة رأفة ورحمة. وعاتب حفصة وعائشة إذ مالتا عن الواجب عليهما من مخالفته – صلى الله عليه وسلم – بحبّ ما يحبه، وكراهة ما يكرهه، إلى مخالفته وتدبير ما عساه يشق عليه.

{تَبْتَغِي}

تطلب.

.2

قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (2)

{تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ}

أي تحليلها بالكفارة المذكورة في سورة المائدة. وأصلُها تحللة، مصدَرُ حلَّل المضاعف؛ كتكرمة من كرَّم.

{اللَّهُ مَوْلَاكُمْ}

ناصركم ومتولى أموركم.

.3

وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (3)

{نَبَّأَتْ بِهِ}

أخبرت به غيرها.

{وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ}

أطلعه عليه، أي على إفشائه.

{عَرَّفَ بَعْضَهُ}

وهو قوله لها: (كنتُ شربت عسلا عند زينب ولن أعود) [أَخْبَرَ حَفْصَةَ بِبَعْضِ الحَدِيثِ الذِي أَفْشَتْهُ].

{وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ}

وهو قوله (وقد حلفت) [وَأَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ بَعْضِ الحَدِيثِ الذِي أَفْشَتْهُ (وَهُوَ قَوْلُهُ وَقَدْ حَلَفْتُ فَلاَ تُخْبِرِي أَحَداً)، فَلَمْ يُخْبِرْهَا بِهِ تَكَرُّماً مِنْهُ لِكَيْلا يَزِيدَ فِي خَجلِهَا مِنْهُ.].

.4

إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (4)

{فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا}

مالت عن الواجب [مَالَتْ إِلَى الخَيْرِ]. يقال: صغا يَصْغُو ويَصغى صَغْواً، وصغِيَ

صغاً وصُغْيًّا: مال. وصغت الشمس: مالت للغروب. ولم يقل {قلباكما}

لكراهة اجتماع اثنتيْن فيما هو كالكلمة الواحدة مع ظهور المراد. والجملة تعليل لجواب الشرط المحذوف؛ أي إن تتوبا فلتوبتكما سبب فقد صغت قلوبكما.

{وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ}

تتعاونا عليه بما يسوؤه من الافراط والغيرة وإفشاء سره.

{فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ}

ناصره ومعينه.

{ظَهِيرٌ}

معين. أي جبريل وصالح المؤمنين: أبو بكر وعمر، والملائكة بعد نصرة الله تعالى له مظاهرون له.

.5

عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (5)

{مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ}

منقادات لله ورسوله بظواهرهنّ، مصدّقاتٍ بقلوبهنّ.

{قَانِتَاتٍ}

مطيعات لله خاضعات له.

{سَائِحَاتٍ}

ذاهباتٍ في طاعة الله أيَّ مذهب؛ من ساح الماء: إذا ذهب، أو مهاجرات، أو صائمات؛ تشبيها لهنَّ بالسائح الذي لا يصحب معه الزاد غالبا؛ فلايزال مُمسكا حتى يجد ما يُطعمه.

{ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا}

جمع ثيب؛ بوزن سيد. يقال: ثاب يثوب ثوْبا، إذا رجع. وسُمِّيت الثيب به لأنها ثابت إلى بيت أبويها. والأبكارُ: جمع بكر، وهي العذْراء التي لم تفْتَرَعْ [لم تفترع: أي لم تُفتض بكارتها.]. وسُمّيت بكرا لأنها لاتزال على أول حالتها التي خُلقت عليها.

.6

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6)

{قُوا أَنْفُسَكُمْ}

بترك المعاصي وفعل الطاعات.

{وَأَهْلِيكُمْ نَارًا}

بحملهم على ذلك بالنصح والتأديب. أمرٌ من وقَى يقِي؛ كضرب يضرب.

{عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ}

أي موكل عليها ملائكة وهم الزبانية

{غِلَاظٌ}

قُسَاة في أخذهم أهل النار؛ من الغلظة وهي ضد الرقة. والفعل ككرُم وضَرَب.

{شِدَادٌ}

أقوياءٌ عليهم. يقال: فلانٌ شديد على فلان، أي قويٌّ عليه يعذّبه بأنواع العذاب.

.7

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (7)

.8

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (8)

{تَوْبَةً نَصُوحًا}

بالغة في النُّصح، وهي أن يندم العبد على الذنب الذي أصاب؛ فيعتذر إلى الله تعالى ثُم لا يعود إليه؛ كما لا يعود الماء إلى الضَّرْع. أوتوبة ترفُو خروقه في دينه، وترُمّ خلله؛ من نصح الثوب: أي خاطه؛ فكأن التَّائب يرقِّع ما مزَّقه بالمعصية. أو توبة خالصة؛ من قولهم: عسلٌ ناصح – إذا خلص من الشمع.

{لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ}

لا يذله بل يعزه ويكرمه.

.9

يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (9)

{وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ}

استعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهم به إذا بلغ الرِّفق مداه.

.10

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (10)

{فَخَانَتَاهُمَا}

فكانت امرأةُ نوح تقول للناس: إنه مجنون. وكانت امرأة لوط تَدُل قومها على الأضياف؛ ليخبُثوا بهم.

.11

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11)

.12

وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (12)

{أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا}

حفظتْه وصانته من أن يصل إليه أحدٌ. وهو كناية عن عِفّتها.

{فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا}

فنفخ رسولُنا جبريل عليه السلام في جيب درعها روحًا من أرواحنا هي روح عيسى.

{وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ}

من عداد المواظبين على الطاعة، و (من) للتبعيض، والتذكير للتغليب، أو من نسلهم، و (من) لابتداء الغاية.

والله أعلم.

سُورةُ المُلك

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1)

{تَبَارَكَ}

تعالى وتعاظم جلا وعلا. أوكثُر خيره ودام [الأعراف:54].

{الْمُلْكُ}

بالضم: السلطان والقدرة، ونفاذ الأمر.

.2

الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2)

{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ}

أي خلق بقدرته موت من شاء وما شاء موته، وحياة من شاء وما شاء حياته من الممكنات المقهورة بسلطانه. والحياة صفة وجوديّة تقتضي الحسَّ والحركة. والموتُ: صفة وجودية تضاد الحياة. أو هو عدم الحياة عما هي من شأنه. وخلقهُ على المعنى الأوّل: إيجادُه. وعلى الثاني تقديرُه أزلا. {لِيَبْلُوَكُمْ}

ليختبركم، أي يعاملكم معاملة من يختبركم. وإلا فهو سبحانه أعلم بكم،

{أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}

أسرعُ في طاعة الله، وأورع عن محارم الله، وأتمُّ فهماً لما يصدُر عن الله، وأكمل ضبطاً لما يؤخذ من خطابه سبحانه.

والجملةُ مفعول ثاني {لِيَبْلُوَكُمْ} لتضمُّنِه معنى العِلم؛ فإن الاختبار طريقٌ إليه.

.3

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3)

{سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا}

أي بعضها فوق بعض. مصدرُ طابق مطابقة وطباقاً؛ من طابق النَّعل: أي جعله طبقة فوق أخرى. وُصفَ به للمبالغة. أو بتقدير مضاف، أي ذات طباق. قال البقاعي: بحيثُ يكون كلُّ

جزء منها مطابقا للجزء من الأخرى، و لا يكون جزء منها خارجا عن ذلك – وهي لا تكون كذلك إلا أن تكون الأرض كريةً، والسماء الدنيا محيطة بها احاطة قِشر البيضة من جميع الجوانب، والسماء الثانية محيطة بالسماء الدنيا، وهكذا إلى أن يكون العرش محيطاً بالكل، والكرسيُّ الذي هو أقربها بالنّسبة اليه كحلقة في فلاة؛ فما ظنك بما تحته! وكلُّ سماء من التي فوقها بهذه النسبة. وقد قرر أهل الهيئة أنها كذلك، وليس في الشرع ما يخالفه، بل ظاهره يوافقه. ا هـ.

{مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ}

ما ترى في خلق السموات السّبع، شيئا من الاختلاف وعدم التناسب، فلا عيب ولا نقص، ولا اعوجاج ولا اضطراب في شيء منها – بل كلها محكمة جارية على مقتضى الحكمة. يقال: تفاوت الشيئان تفاوتا: تباعد ما بينهما؛ من الفَوْت، وأصله الفرجة بين أصبعين. والجملة صفة لسبع سماوات.

{فَارْجِعِ الْبَصَرَ}

أي إن كنت في شك من ذلك، فكرر النّظر فيما خلقنا حتى يتضح لك الأمر، ولا يبقى عندك شبهةٌ فيه.

{هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ}

أي خلل ووَهن. وأصل معنى الفطور: الشقوق والصدوع؛ جمعُ فَطْر. يقال. فَطره فانْفطر. وتفطر الشيء: تشقق؛ وبابه نصر. أريد منه ما ذكرنا لعلاقة اللُّزوم.

.4

ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (4)

{ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ}

أي رجعتين أخريين. والمرادُ: كرره مرة بعد أخرى؛ فانظر هل ترى فيها خللاً أو وهنًا أو عيبا. والكرة: المرّة من الكرِّ، وهو العطف على الشئ بالذات أو بالفعل، والرجوع اليه.

{يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا}

يَعُدْ إليك البصر صاغراً مبعَدا من إصابة ما التمسه من العيب والخلل [البقرة:65]. يُقال: خسأتُ الكلب، أبعدته وطردته. وخسأ الكلب بنفسه – من باب قطع – فانخسأ.

{وَهُوَ حَسِيرٌ}

كليل منقطع من كثرة المراجعة والمعاودة، لم يدرك ما طلب؛ من حسر بصره يحسر حُسُورا: إذا كلَّ وانقطع من طول المدى.

.5

وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (5)

{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا}

بكواكب مضيئة كإضاءة الصبح ليست كمصابيحكم التي تعرفونها.

{وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ}

أي جعلنا منها مراجم للشياطين بانقضاض الشهب المنبعثة عنها على مسترقي السَّمع منهم. جمعُ رجْم، وهو في الأصل مصدر رَجَمه رجما – من باب نصر –: إذا رماه بالرِّجام أي الحجارة؛ سُمّي به ما يُرجم به.

{وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ}

عذاب النار المُشتعلة في الآخرة، بعد الرجم في الدنيا بالشهب. يقال سَعَر النار–كمنع – ألهبها؛ كسعّرها و أسعرها، فهي مسعورةٌ وسعيرٌ.

.6

وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (6)

.7

إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (7)

{سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا}

صوتاً منكرا عند إلقاء الكفار فيها؛ كصوت الحمير وهو أنكر الأصوات.

{وَهِيَ تَفُورُ}

تغلي بهم غليان المرجل بما فيه. والفَوْر: شدّة الغليان؛ ويقال ذلك في النار إذا هاجت: وفي القِدر اذا غَلت.

.8

تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8)

{تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ}

تتميز، اي تتقطع وينفصل بعضها من بعض من شدة الغضب عليهم. والغيظ: أشدُّ الغضب.

{فَوْجٌ}

جماعة من الكفار.

.9

قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (9)

.10

وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10)

.11

فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (11)

{فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ}

فبُعداً لهم من رحمة الله؛ وهو دعاءٌ عليهم. والسُّحق: البعد. يُقال!: سَحُق – ككَرُم وعلِم – سُحْقا: أي بعد بعداً، فهو سحيق. وأسحقه الله: أبعده، وهو بمصدر ناب عن فعله في الدّعاء؛ أي أسحقهم الله سُحقا. واللام في (لأصحاب) للتبيين؛ كما في: سَقْياً لك ؟ وجدْعاً له وعقْرًا.

.12

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (12)

.13

وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (13)

{وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ .. }

أي إسرارُكم بالنَّيل من محمد – صلى الله عليه وسلم – وجهرُكم به سيَّان، فلا يخفي علينا منه شيء؛ فهو من تتمَّة الوعيد. نزلت في المشركين الذين كانوا ينالون من النبي – صلى الله عليه وسلم –؛ فلما أطلعه الله على أمرهم قال بعضهم لبعض: أسِرُّوا قَوْلكم كيلا يسمعه ربَّ محمد.

.14

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (14)

.15

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (15)

{ذَلُولًا}

سهلةً مذلَّلة مسخّرة لما تريدون منها؛ من مشيٍ عليها، وغَرس فيها، وبناء فوقها؛ من الذل وهو سهولة الانقياد واللين.

{فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا}

جوانبها. أو طرقها وفجاجها أو أطرافها. وهو مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية، وليس أمرا بالمشي حقيقة.

{وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}

إحياء الموتى يوم القيامة؛ فيسألكم هل شكرتم له نعمه أم كفرتم!؟

.16

أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (16)

{أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ .. }

أي أأمنم من في السماء وهو الله تعالى أن يُذهب الأرض إلى سُفل ملتبسة بكم. والآية من متشابه القرآن. وقدا أجمعت القرون الثلاثة على إجراء المتشابهات على مواردها مع التَّنزيه بِليس كمثله شيء؛ وقد أوضح الآلوسيُّ بهذا غاية الإيضاح في تفسير هذه الآية.

{فَإِذَا هِيَ تَمُورُ}

تضطرب وتتحرك، فتعلوا عليهم وهم يُخسفونَ فيها الى أسفل سافلين؛ منَ المَوْر، وأصلهُ التردد في الذهاب والمجيء. يقالُ: مار يمور، تحرك وجاء وذهب.

.17

أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (17)

{أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ .. }

أي بل أأَمِنْتُمْ!؟ وهو إضرابٌ عن وعيد شديد بعذابٍ أرضي وقع مثله لقارون، إلى وعيد بعذاب سماوىّ وقع مثلُه لقوم لوط واصحاب الفيل. والحاصِبُ: الرّيح فيهاحجارة. أو هي الحجارة المرسلة من السماء.

{فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ}

أي كيف إنذارى عند مشاهدتكم للمنذر به؟ ولكن لا ينفعكم العلم.

.18

وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (18)

{وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ .. }

تحذيرهم مما وقع للأمم الماضِية من العذاب حين أصرُّوا على الكفر ليعتبروا به.

{كَانَ نَكِيرِ}

انكاري عليهم بالهلاك.

.19

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (19)

{أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ}

تصوير لقدرته تعالى. وأن مَنْ قَدَر على إمساك الطير في السماء عند الصَّف والقَبْض، قادر على أن يَخسف بهم الأرض، ويُرسل عليهم الحاصب.

{صَافَّاتٍ}

باسطات أجنحتهن في الهواء عند الطيران.

{وَيَقْبِضْنَ}

يضمُمنها إذا ضربن بها جُنوبهن حينًا فحينًا للاستظهار بها على التحرك.

{مَا يُمْسِكُهُنَّ}

في الجوّ في الحالين

{إِلَّا الرَّحْمَنُ}

الذي وسعت رحمتُه كل شيء، ووهب كل شيءٍ خاصَّته.

.20

أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (20)

{أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ .. }

تبكيتٌ آخرُ بنفي أن يكون لهم ناصرٌ غيرُ الله إذا أراد أن يخسف بهم الارض.

{غُرُورٍ}

خديعة من الشيطان وجنده.

.21

أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (21)

{أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ .. }

تبكيتٌ آخر بنفي الرّازق لهم إن أمسك رزقه عنهم؛ فلم يرسل لهم المطر. وأرسل بدله حاصبا من السماء.

{بَلْ لَجُّوا}

تمادَوْا في اللِّجاج، وهو تقَحُّم الأمر مع كثرة الصّوارف عنه.

{فِي عُتُوٍّ}

استكبار وطغيان

{وَنُفُورٍ}

شرود وتباعد عن الحق.

.22

أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (22)

{أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ .. }

المُكِبُّ: الساقط على وجهه. يقال: كبَّه وأكبَّه، قلبه وصرعه. وهو مثلٌ ضربه الله للكافر والمؤمن؛ أي أفمن يمشي وهو يعثُر في كل ساعة ويخِرُّ على وجهه في كل خطوة؛ لتوعر طريقه واختلافه بانخفاض وارتفاع– أهدَى وأرشد إلى المقصد الذي يؤمُّه. أم من يمشي قائما سالما من الخبط والعِثار على طريق مستوٍ لا اعوجاجَ فيه ولا انحراف.

.23

قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (23)

.24

قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24)

{ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ}

خلقكم وبثكم وكثركم فيها.

.25

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (25)

{مَتَى هَذَا الْوَعْدُ}

أي الموعود وهو الحشر.

.26

قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (26)

.27

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ (27)

{فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً}

فلما رأوْا العذاب يوم القيامة قريبًا منهم.

{سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا}

ساءت رؤيتُه وجوهَهم، بأن غَشِيتها كآبة وذلة. و {زُلْفَةً} حال من مفعول (رأوْه) وهو اسم مصدر لأزلف إزلافًا.

{تَدَّعُونَ}

تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه إنكارًا واستهزاء؛ من الدعاء بمعنى الطلب. ويؤيّده قراءة (تدْعون) بسكون الدال.

.28

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (28)

{أَرَأَيْتُمْ}

أخبروني

{إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ}

أي أماتني كما تتمنون!

{يُجِيرُ الْكَافِرِينَ}

ينجيهم. أو يمنعهم أو يؤمّنهم.

.29

قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (29)

.30

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (30)

{غَوْرًا}

غائراً ذاهبا في الإرض لا تناله الدلاء؛ وكان ماؤهم من بئر زَمْزم وبئر ميمون بن الحضرمى. يقال: غار يغور غورا، إذا نضَب. مصدرٌ وصف به للمبالغة. أو مُؤَوَّلٌ باسم الفاعل.

{فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ}

جارٍ. أو ظاهر تراه العيون، وتناله الأيدي والدلاء كمائكم.

والله أعلم.

سُورةُ القَلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وتُسمَّى سورة ن~

.1

ن~ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1)

{ن~}

من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه. أو هي اسم للسورة، أو للقرآن.

{وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ}

أقسم الله تعالى – على براءة النبى – صلى الله عليه وسلم – مما نسبه إليه المشركون من الجنون؛ حسدا وعداوةً ومكابرة، وعلا ثبوت الأجر الدائم له على قيامه بأعباء الرسالة؛ وعلى كونه على دين الإسلام والتوحيد–بجنس القلم الذي يخط به في السماء في اللوح المحفوظ. وفي صحف الملائكة والحفظة، وفي الأرض بما ينفع الناس. واقسم بما يكتبهُ الكاتبون مما هو خيرٌ ونفع.

.2

مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2)

{مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ}

ردٌّ لقوهم: { .. يَاأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (6)} [الحجر]. أي لا تكون مجنونا وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة.

.3

وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (3)

{وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ}

أي غير منقوص ولا مقطوع على صبرك وتحمُّلك اعباء الرسالة؛ من مننتُ الحبل: اذا قطعتُه، أو غير ممنون به عليك.

.4

وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)

{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}

دينٌ عظيم؛ لادينٌ أحبُ اليّ ولاأرضى عندى منه وهو دين الإسلام. وقيل: آدابُ القرآن. وعن عائشة – رضي الله عنها: كان خُلُقه القرآن، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه [رواه ابن المنذر].

.5

فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (5)

{فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ}

وعدٌ له – صلى الله عليه وسلم –، ووعيدٌ لأهل مكة.

.6

بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ (6)

{بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ}

أي في أي فريق منكم الذي فُتِن بالجنون، ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين؟ أي في أيّهما يوجد من يستحق هذا الوصف، والباءُ بمعنى في وهو تعريض بغلاة المشركين الذين وصفوه – صلى الله عليه وسلم – بهذا الوصف القبيح.

.7

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (7)

.8

فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (8)

{فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ}

أي لا تداهنهم ولا تُدارهم استجلابا لقلوبهم. ثم علل ذلك بقوله تعالى: {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ}.

.9

وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (9)

{وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ}

أي أحَبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الأمور بترك ما لا يرضوْنه مُصانعةً لهم.

{فَيُدْهِنُونَ}

فهم الآن يُدهنون بترك بعض ما لا ترضى به، فجواب التَّمني المفهوم من {وَدُّوا} جملة اسمية. والادْهان: إللّين والمصانعة والمقاربةُ في الكلام.

.10

وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (10)

{وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ}

كثير الحلف في الحق والباطل.

{مَهِينٍ}

حقير ذليل وضيع.

.11

هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11)

{هَمَّازٍ}

عيّاب. أو مُغتاب للناس؛ من الهَمْز، وهو واللمزُ الضرب طعنا باليد أو العصا ونحوها؛ ثم استُعير للذي ينال الناس بلسانه وبعينه وإشارته، ويقع فيهم بالسُّوء.

{مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ}

نقال للحديث للإفساد بين الناس. والنَّميم والنَّميمة: مصدران بمعنى السّعاية والإفساد. يقال: نمَّ الحديث – من بابي قَتَل وضرب–سعَى ليُوقع به فتنة أو وَحشة؛ فالرَّجل نمّ ونمَّام. وأصلُها الهمس والحركة الخفيفة؛ ثم استُعملت فيما ذُكر مجازا.

.12

مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12)

.13

عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (13)

{عُتُلٍّ}

جاف غليظ؛ من عَتَلة يَعْتِله ويَعتُلُه: إذا جره بعنفٍ وغلظة. أو شديد الخصومة بالباطل.

{زَنِيمٍ}

مُلصقٍ بالقوم، دعيٌّ فيهم؛ كأنه فيهم زَنَمَة، وهي ما يتدلى من الجلد في حَلْق المعز تحت لحيها. وقيل: الزَّنيم هو الذي يعرف بالشر أو باللؤم بين الناس؛ كما تُعرف الشاة بزنمتِها، او هو الفاجر. وقيل: العتل الزنيم: الفاحش اللئيم.

.14

أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (14)

.15

إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (15)

{أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}

أباطيلهم وخرافاتهم التي سطروها في كتبهم السّابقة. جمعُ اسطورة.

.16

سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (16)

{سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ}

سنبيّن أمرَه بياناً واضحًا، حتى يعرفه الناس فلا يخفي عليهم؛ كما لا تخفي السِّمةُ على الخُرطوم. أو سنلحق به عاراً لا يفارقه. تقول العرب للرجل يُسبُّ سبّة سوء قبيحة باقية: قد وُسِم مَيسمَ سوء، أي ألصق به عارٌ لا يفارقه؛ كما أن السّمة وهي العلامة لا يمحى أثرها. والخُرطوم: الأنف من الإنسان؛ والوسْم عليه يكونُ النار، وكنى به عما ذُكر.

.17

إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (17)

{إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ}

أي امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع؛ حتى أكلوا الجيّف

بدعوته صلى اله عليه وسلم.

{كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ}

المعروف خبرهم عندهم، وهم أصحاب بستان بأرض اليمن قريبا من صنعاء ورثوه عن أبيهم، وكان يؤدِّب للمساكين حق الله فيه؛ فلما مات بخلوا به فكان من أمرهم ما قصه الله في هذه السورة.

{إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ}

ليقطعُنّ ثمارها بعد استوائها داخلين في وقت الصباح الباكر قبل أن تخرج المساكين؛ من الصَّرم وهو القطع. يقال: صَرم النخل– من باب ضرب –جزَّه؛ ومنه الانصرام. أي الانقطاع. ويقال: أصبح، أي دخل وقت الصباح.

.18

وَلَا يَسْتَثْنُونَ (18)

{وَلَا يَسْتَثْنُونَ}

حصّة المساكين كما كان يفعل أبوهم. والجملة عطف عل، {لَيَصْرِمُنَّهَا} ومُقسَم عليه.

.19

فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (19)

{فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ}

نزل بها بلاء محيطٌ من عند الله تعالى، والطائفُ غلب في الشر.

.20

فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (20)

{كَالصَّرِيمِ}

كالبُستان الذي صُرمت ثماره؛ بحيث لم يبق منها شيءٌ.

.21

فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (21)

{فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ}

نادى بعضهم بعضا حين أصبحوا.

.22

أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (22)

{أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ}

باكروا مقبلين على ثماركم.

{صَارِمِينَ}

قاصدين قطعها.

.23

فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (23)

{وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ}

يتسارُّون بالحديث فيما بينهم، بقول بعضهم لبعض: {لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ}. يقالُ:- خفت يخفِتُ خفوتاً، إذا سَكت ولم يبين.

.24

أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (24)

.25

وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (25)

{وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ}

ساروا إلى جنتهم غدوة على أمر قد قصدوه واعتمدوه، واستسرُّوه بينهم قادرين عليه في أنفسهم، وهو حرمان المساكين. و الحَرْد: القصد؛ من قولهم: حَرَد فلان حَرْد فلان – من باب ضرب- أي قصدَ قصده. أو غدَوْا إلى جنتهم منفردين عن المساكين ليس أحد منهم معهم، قادرين على صرامها؛ من حَرَد عن قومه: إذا تنحَّى ونزل منفردًا؛ ومنه رجلٌ حريد: أي وحيد.

.26

فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (26)

{قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ}

أي عن طريق جنتنا وما هي بها، ثم قالوا بعدَ التأمُّل: لسنا ضالين عنها {بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (27)}.

.27

بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (27)

{بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ}

حُرمنا منفعتها بذهاب حرثها؛ جزاء حرماننا المساكين من حظهم منها.

.28

قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (28)

{قَالَ أَوْسَطُهُمْ}

أعدلهم وأرجحهم رأيًا.

{لَوْلَا تُسَبِّحُونَ}

أي هلا تذكرون الله وتتوبون إليه من خُبث نيتكم. وكان قد قالَ ذلك لهم من قبل فَعَصَوه.

.29

قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (29)

.30

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (30)

{يَتَلَاوَمُونَ}

يلوم بعضُهم بعضا على القسم. وقَصْد حرمان المساكين.

.31

قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (31)

.32

عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (32)

{إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ}

طالبون منه الخير والعفو.

.33

كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (33)

{كَذَلِكَ الْعَذَابُ}

أي مِثلُ الذي بلوْنا به أصحاب الجنة من اهلاك حرثهم وهم في غاية القدرة عليه والثقة به – عذابُ من خالف أمرَنا من كفار مكة وغيرهم.

.34

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (34)

.35

أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35)

{أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ}

لما سمع المشركون قوله تعالى: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (34)} قالوا: إن الله فضلنا عليكم في الدنيا. فإن صحَّ أن هناك بعثاً فلابدَّ أن يفضلنا عليكم في الآخرة، وإن لم يحصل تفضيل فلا أقلَّ من المساواة؛ فنزلت الآية. أي أنحيف في الحكم فنجعل الذين خضعوا لنا بالطاعة والعبادة، كالذين اكتسبوا المآثم وارتكبوا المعاصي؟ كلا! وقد وبَّخهم الله باستفهامات سبعة [أوّلها–هذا، والثانى والثالث:

.36

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36)

والثانى:–

{مَا لَكُمْ} ، والثالث –

{كَيْفَ تَحْكُمُونَ} ،

والرابع:

.37

أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (37)

والرابع

{أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ} ،

{فِيهِ تَدْرُسُونَ}

أي تقرأون فيه.

.38

إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (38)

{إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ}

أي إن لكم في حكمه للَّذي تختارونه، وهذه الجملة حكاية للمدروس على ما هو عليه. [أي بل ألكم كتاب منزل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه، يتضمن حكما مؤكدا كما تدّعون؟ ومفاد الحكم التسوية بين المطيع والعاصي، وهل في ذلك الكتاب أن لكم في الآخرة ما تختارون وتشتهون؟ وهذا نفي الدليل النقلي. (الوسيط للزحيلي)]

والخامس:

.39

أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (39)

والخامس

{أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ} . {أَيْمَانٌ} عهود مؤكدة بالأيمان.

{بَالِغَةٌ}

متناهية في التوكيد.

{لَمَا تَحْكُمُونَ}

للذي تحكمون به لانفسكم.

والسادس:

.40

سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ (40)

والسادس

{أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ}

كفيلٌ بان لهم في الآخرة ما للمسلمين. والزعيمُ: الضامن والمتكلِّم عن القوم.

والسابع:

.41

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (41)

والسابع

{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ} .

.42

يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (42)

{يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ}

اذْكر لهم يوم يشتدُّ الأمر ويَعْظَم الخطب، وهو يوم القيامة. وكشفُ الساق والتَّشمير عنها مَثَل في ذلك. وأصلُه في الرَّوع والهزيمة، وتشمير المخدرات عن سُوقِهنّ، وإبداء حزامِهنّ عند الهرب واشتداد الخطب، فكنّيَ به عما ذُكر؛ فلا ساقَ ولا كشف ثمَّة. وهو كما يقال للأقطع الشحيح: يدُه مغلولة. ولا يد ثمة ولا غُلَّ؛ وانما هو كناية عن البخل.

{وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ}

توبيخًا لهم وتحسيرا على تفريطهم في طاعة الله في الدنيا.

{فَلَا يَسْتَطِيعُونَ}

لصيرورة أصلابهم عظمًا واحدًا.

.43

خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (43)

{خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ}

ذليلة ابصارُهم. ونسبةُ الخشوع للإبصار لظهور أثره فيها.

{تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ}

تغشاهم ذلَّة

شديدة من عذاب الله. يقال؛: رَهقه. غشِيَه؛ وبابُه طَرِب. وأرهقه طغيانا: أغشاه.

.44

فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (44)

{فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ}

كِلْ إليّ من يُكذِّب بالقرآن! وخَلِّ بيني وبينه.! فإني عالم بما ينبغي أن يُفعل به مطيقٌ له، وسأكْفيكَه؛ ففرّغ بالك، وخلِّ همك منه، وتوكَّل علي في الانتقام منه. وهو من بليغ الكلام، وفيه تسلية لرسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وتهديدٌ للمكذّبين.

{سَنَسْتَدْرِجُهُمْ}

سنستزلهم إلى العذاب درجةً درجة، بالإمهال والإحسان وإسباغ النعم؛ حتى يظنُّوا ذلك تفضيلا لهم على المؤمنين، فيتمادون في الظغيان والكفر، ثم نأخذهم أخذ عزيز مقتدر [الأعراف:182].

.45

وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (45)

{وَأُمْلِي لَهُمْ}

أمهلهم وأنسيءُ في آجالهم مدة طويلة على كفرهم وتمردهم؛ لتتكامل الحجج عليم.

{إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ}

إنَّ إنعامي عليهم–استدراجا لهم –كيدٌ قويٌّ شَديدٌ لا يُدفع ولا يطاق. وتسميتُه كيدا لكونه في صورته حيث كات سببا في هلاكهم.

.46

أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (46)

{فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ}

أي فهم من غُرم ذلك الاجر مثقلون، قد أثقلهم القيام بأدائه فتحامَوْا قبول دعوتك؛ وتجنَّبوا الدخول في دينك.

.47

أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (47)

.48

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (48)

{وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ .. }

أي لا يوجدُ منك ما وُجد من يونس عليه السلام، من الضَّجر والغضب على قومه الذبن لم يؤمنوا؛:إذ دعا ربه في بطن الحوت وهو مملوء غيظاً عليهم؛ حتى لاتبتلى بنحو ما ابتليَ به، بل ادَّرِع الصبر حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا. وكان قد همَّ – صلى الله عليه وسلم – أن يدعُوَ على ثَقيف.

{مَكْظُومٌ}

مملوء غيظاً في قلبه على قومه.

.49

لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (49)

{لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ}

لطُرِح من بطن الحوت بالأرض الفضاء الخالية من النبات والأشجار و الجبال.

{وَهُوَ مَذْمُومٌ}

ملومٌ مؤاخذٌ بذنبة. وهو ترك الأفضل بالنسبة لمنصب النبوّة.

.50

فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (50)

{فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ}

أي إصطفاه فردَّ عليه الوحيَ بعد انقطاعه! وشفعه في نفسة وقومه، وقبل توبته.

{فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ}

الكاملين في الصّلاح لأداء رسالة ربه إلى قومه.

.51

وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (51)

{لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ}

ليُهلكونك، أو يزلُّون قدمك، أو يصرعونك بأبصارهم من شدة نظرهم إليك شزرا بعيون العداوة و البغضاء. وقرئ بفتح الياء، وهما لغتان بمعنًى وأحد. يقال: زلقهُ يَزْلقه، وأزلقه يُزلقه إزلاقا: نحاه وأبعدهُ. والباء للتَّعدية أوْ للسببيّة.

.52

وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (52)

والله أعلم.

سورة الحاقّة

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

الْحَاقَّةُ (1)

{الْحَاقَّةُ}

أي السّاعة التى تَحقُّ وتَثبت فيها الأمور الحقّةُ التى كانوا ينكرونها من البعث والحساب والجزاء؛ من حقَّ الشيءُ يحقُّ– من بابى ضَربَ وقَتَل–ثبت. أوالتي تُحقُّ فيها الأمور، أي تعرف على الحقيقة؛ من حققتُه أحُقُّه: إذا عرفت حقيقته. وإسناد الفعل إليها من الإسناد إلى الزمان؛ على حدِّ: نهارُهُ صائم. وقال الأزهري: الحاقة القيامة؛ من حاققتُه أحاقُّه فحققته: أي غالبته فغلبته؛ فهي حاقَّة، لأنها تحُقُّ كل محاق–أي مخاصم–في دين الله بالباطل فتغلبه. و (الحاقة) مبتدأ، خبره جملة {مَا الْحَاقَّةُ (2)}.

.2

مَا الْحَاقَّةُ (2)

.3

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (3)

{وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ}

أي أيُّ شيء أعلمك ما الحاقّة. أي لا علم لك بكنهها ومدى عظَمِها؛ إذ هي من الهول والشدة بحيث لا تبلغه دراية أحد ولا وَهْمُه. وكيفما قدرت حالها فهي وراء ذلك وأعظم!. وجملة (ماالحاقة) في محل نصب سادّة مسدَّ المفعول الثانى لـ (أدْرَاك).

.4

كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (4)

{كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ}

أي القيامة التى تَقْرع القلوب بشدة أهوالها وأفزاعها، والسماوات والأرض والجبال بالانحلال؛ من القرْع، وهو صكُّ جسم صُلب بآخر صُلبٍ بعنف. يقال: قَرَع الباب–كمنع – طرقه و نقر عليه؛ ومنه قوارِع الدهر: أي شدائدُه وأهواله.

.5

فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (5)

{فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ}

بالواقعه التى تجاوزت الحدَّ في الهول، وهي الصيحة؛ لقوله تعالى: {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (67)} [هود]، وبها فُسّرت الصاعقة في حم السجدة. وأمّا قوله تعالى في شأنهم: {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (78)} [الاعراف]– وهي الزلزلة–فلكونها مسبَّبة عن الصيحة.

.6

وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6)

{بِرِيحٍ صَرْصَرٍ}

[فصلت:16].

{عَاتِيَةٍ}

متجاوزة الحد في شدتها؛ فلم يقدروا عليها مع شدتهم وقوتهم.

.7

سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (7)

{سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ}

سلطها عليهم بقدرته تعالى.

{حُسُومًا}

أي متتابعة الهبوب حتى استأصلتهم؛ من حَسَمت الدابة: اذا تابعتَ كَيَّها على الداء مرة بعد أخرى حتى ينحسم.

أو نحسات مشئومات.

{كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ}

كأنهم اصول نخل بلا رووس، وهيَ الجذوع

{خَاوِيَةٍ}

ساقطة؛ من خوى النجم: إذا سقط للغروب. أوفارغة الأجواف بلًى وفساداً: من خوت الدار تخوى خَواء: خلتْ:

من أهلها: فهيَ خاوية.

.8

فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (8)

.9

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (9)

{وَالْمُؤْتَفِكَاتُ}

قُرى قَوم

لوط التي اقتلعها جبريل عليه السلام، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها؛ من ائتفك: أي انقلب. والمرادُ أهلها.

{بِالْخَاطِئَةِ}

أي جاءوا بالفعلات الخاطئة. واسنادُ الخطأ إليها مجاز؛ وإنما هو من أصحابها.

.10

فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً (10)

{أَخْذَةً رَابِيَةً}

زائدة في الشدِّة على الأخذات للأمم المهلكة، من رَبا الشيء يربو: إذا زادَ وتضاعف، ومن الرِّبا.

.11

إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (11)

{الْجَارِيَةِ}

سفينة نوح عليه السلام.

.12

لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (12)

{تَذْكِرَةً}

عبرة وعظة.

{وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ}

تحفظها أذنٌ من شأنها أن تحفظ مايجب حفظُه؛ من الوعي بمعنى الحفظ في النفس. يقال: وعَى الشئ يَعيه، حَفِظه.

.13

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (13)

{نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ}

هي نفخةُ الصَّعق.

.14

وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (14)

{حُمِلَتِ الْأَرْضُ}

رفعت من أماكنها بأمرنا.

{فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً}

كُسِّرتا وفُتتا حتى صارتا غبارًا بضرب بعضها ببعض ضربة واحدة إثر رفعهما.

.15

فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (15)

{فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ}

وُجدت القيامة وحصَلت.

.16

وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (16)

{انْشَقَّتِ السَّمَاءُ}

تفطرت وتصدعت من الهول.

{فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ}

أي فالسماء يومئذ ضعيفة مسترخية، ساقطة القوة. يقال: وَهَى البناء يهي وهْيًا فهو واه، إذا ضعُف جدا.

أومتشقّقة متصدِّعة.

.17

وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (17)

{وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا}

أي الملائكة واقفون على جوانب السماوات وحافاتها حين تشقق؛ لينظروا أمرالله لهم لينزلوا فيحيطوا بالأرض. جمع رَجًا، بالقصر.

{ثَمَانِيَةٌ}

من الملائكة، أو من صفوفهم.

.18

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (18)

{يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ}

بعد النفخة الثانية للحساب والجزاء.

.19

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19)

{هَاؤُمُ}

أي خذوا، اسم فعل أمْر. والهاءُ في {كِتَابِيَهْ} و (حسابيه) وما ماثلهما للسكت؛ لتظهرفتحة الياء.

.20

إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (20)

{ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ}

علمت أنى سيحاسبني ربي حسابا يسيرا، وقد حاسبني كذلك؛ فأنا اليوم فرِحٌ مسرور.

.21

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (21)

{فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ}

أي في حياة ذات رضا؛ أي ثابت لها الرضا ودائم لها. فهيَ صيغة نسب؛ كلابن وتامر لصاحب اللبن والتمر. أو مرضية يرضى بها صاحبها ولا يسخطها؛ فهيَ فاعلٌ بمعنى مفعول على حد: ماءٌ دافق، بمعنى مدفوق.

.22

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22)

.23

قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23)

{قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ}

ثمارها قريبة من المتناول، يقطفها كلما أراد. جمعُ قِطف بمعنى مقطوف؛ وهو ما يجتنيه الجاني من الثمار. و {دَانِيَةٌ} اسم فاعل، من الدُّنوّ بمعنى القرب.

.24

كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (24)

{هَنِيئًا}

أكلا غير منغص ولا مكدر.

.25

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25)

.26

وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26)

.27

يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27)

{يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ}

ياليت الموتةَ التي متُّها في الدنيا كانت القاطعة لأمري؛ فلم أبعث بعدها! ولم ألق ماألقي!

.28

مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28)

{مَا أَغْنَى عَنِّي}

ما دفع العذاب عني.

{مَالِيَهْ}

الذي كان لي من مال ونحوه.

.29

هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (29)

{سُلْطَانِيَهْ}

حجتي أو تسلطي وقوتي.

.30

خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30)

{خُذُوهُ فَغُلُّوهُ}

فاجمعوا يديه إلى عنقه في الغُلّ. والخطابُ للزَّبانية.

.31

ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31)

{ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ}

أي ثم لاتُدخلوه إلّا الجحيم [إلّا الى الجحيم]. وهي النار العظيمة الشديدة التَّأجج؛ لعظم ماارتكب من الذنب، وهو الكفر بالله العظيم.

.32

ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (32)

{ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا}

كناية عن عظم طولها. وليس المراد بالعدد التحديد؛ كماقيل في قوله تعالى: { ... إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ .. (80)} [التوبة]. وقوله {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3)} [القدر].

{فَاسْلُكُوهُ}

أدخلوه فيها؛ كأنه السلك الذي يدخل في ثقب الخرزات بعُسر لضيق الثَّقب.

.33

إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33)

.34

وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (34)

{وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ}

ولايَحُث على إطعام المسكين فضلا عن أن يُطْعمه.

.35

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (35)

{فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ}

صديق، أو قريب مشفقٌ يحميه ويدفع عنه.

.36

وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (36)

{وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ}

هو شجرٌ يأكله أهل النار؛ فيغسل بطونهم؛ أي يُخرج أحشاءهم، أو ما يسيل من أجسام أهل النار، أوشرُّ الطعام وأخبثه وأبشعه.

.37

لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (37)

{لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ}

الكافرون، من خطئ الرجل: اذا تعمد الذنب.

.38

فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (38)

{فَلَا أُقْسِمُ}

أي فلا أقسم لظهور الأمر واستغنائه عن التحقيق والتأكيد بالقسم. أو فأُقسم و (لا) مزيدة. أو فلا رادٌ لكلام سبق من المشركين؛ أي ليس الأمر كما تقولون. ثم استأنف فقال أقسم: {وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (39)}.

.39

وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (39)

{وَمَا لَا تُبْصِرُونَ}

أي بالمشاهدات والمغيبات؛ فهو عامٌ في جميع مخلوقاته تعالى.

.40

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40)

{إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ}

تبليغاً عن ربه.

.41

وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (41)

{قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ}

أي لا تؤمنون ألبتة.

.42

وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (42)

.43

تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (43)

.44

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44)

{وَلَوْ تَقَوَّلَ}

إفْتَرى القول. والأقاويلُ: الأقوالُ. أي لو نسب إلينا قولا لم نقله، أو لم نأذن له في قوله.

.45

لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45)

{لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ}

أي لأخذنا منه باليد اليمنى من يديه. وهو كناية عن إذلالِه وإهانته. أو لأخذناه بالقوة؛ وعبّر عنهما باليمين لأن قوة كلّ شيء في ميامِنه.

.46

ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (46)

{ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ}

ثم لقطعنا بضرب عُنُقِه و وتينَه، وهو النُّخاع المعروف. أو نياط القلب، الذي إذا إنقطع مات صاحُبه. وهو كناية عن الاهلاك بأفظع مايفعله الملوك بمن يعاقبونه.

.47

فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (47)

{عَنْهُ حَاجِزِينَ}

مانعين الهلاك عنه.

.48

وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (48)

.49

وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُمْ مُكَذِّبِينَ (49)

.50

وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (50)

{وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ}

أي وإن القرآن لحسرة وندامة عظيمة على الكافرين عند مشاهدتهم ثواب المؤمنين به.

.51

وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (51)

{وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ}

لليَقينُ الحقُ الذي لا شك في أنه من عند الله؛ لم يتقوّله محمد – صلى الله عليه وسلم –، فهو من إضافة الصفة للموصوف. وحقُّ اليقين فوق علم اليقين. قيل: مراتب العلم ثلاثةٌ: حقُ اليقين، ودونه علمُ اليقين. فالأول–كعلم العاقل الموت إذا ذاقه. والثاني–كعلمه به عند معاينة ملائكته. والثالث–كعلمه به في سائر أوقاته. [مراتب العلم ثلاثة: أعلاها: حق اليقين، ويليها: عين اليقين، ويليها: علم اليقين.] [فحق اليقين: كعلم الإنسان بالموت عند نزوله به، وبلوغ الروح الحلقوم. وعين اليقين:

كعلمه به عند حلول أماراته وعلاماته الدالة على قربه. وعلم اليقين: كعلمه بأن الموت سينزل به لا محالة مهما طال الأجل.] [الوسيط]

.52

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (52)

{فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}

نزّه اسم ربك العظيم عما لايليق به. أو نزِّه ربك العظيم عن السُّوء والنقائص.

والله أعلم.

سُورة المَعَارج

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (1)

{سَأَلَ سَائِلٌ}

دعا داعٍ

{بِعَذَابٍ وَاقِعٍ}

أي سيقع لامحالَة. والسائل: هوالنضر بن الحارث، حيث قال أستهزاءً: { .. إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (32)} [الانفال]، فنزل ماسأله. وقُتلَ يوم بدر صبرا [صبر الانسان وغيرهُ على القتل: أن يحبس ويرمى حتى يموت] هو وعقبة بن أبي معيط؛ ولم يُقتل صَبراً غيرهما. وقيل: السائلُ غيرُه.

.2

لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (2)

{لِلْكَافِرِينَ}

أي عليهم

{لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ}

يدفعه عنهم

{مِنَ اللَّهِ} .وعُبِّر بـ (واقع) بدل يقع للدلالة على تحقق وقوعه. إما في الدنيا وهو عذاب بدر، وإما في الآخرة وهو عذاب النار.

.3

مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (3)

{مِنَ اللَّهِ}

أي من عنده وجهته تعالى.

{الْمَعَارِجِ}

أي المصاعد. وهي السَماوات تعرُج الملائكةُ فيها من سماء الى سماء.

.4

تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (4)

{تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ}

أي تصعد الملائكة وجبريل عليه السلام إليه تعالى. ومعظم السلف على أنه من المتشابه، مع تنزيهه تعالى عن المكان والجسمية، ولوازم الحدوث التي لاتليق بشأن الألوهية. وقيل: معنى (إليه) الى عرشه، أو إلى محل بِرّه وكرامته.

{فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}

بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبُعد مداها على سبيل التمثيل. أي أنها من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين ألف سنة من سنِي الدنيا. أوبيانٌ لسرعة العروج؛ أي أنهم يقطعون فيه في يوم من أيامكم ما يقطعه الإنسان في خمسين ألف سنة لو فرض سيره فيها.

.5

فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (5)

{فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا}

لاشكوى فيه لأحد غير الله تعالى. أمره الله بالصبر على استهزاء النَّضر وأضرابه وتكذيبهم، وأن لا يضجر ولا يحزن؛ لأن العاقبة للمتقين.

.6

إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (6)

{إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ}

أي يوم القيامة

{بَعِيدًا}

من الإمكان، أومن الوقوع، ولذلك كذّبوا ما جئت به. واستهزأوا باخباره.

.7

وَنَرَاهُ قَرِيبًا (7)

{وَنَرَاهُ قَرِيبًا}

كائنا لا محالة.

.8

يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (8)

{يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ}

كدُرديِّ الزيت، وهو ما يبقى في أسفله. أو ما أُذيب من المعادن على مهَل. والمراد: يوم تكون السماء واهية. و (يوم) بدل من الضمير في (نَرَاه).

.9

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (9)

{وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ}

كالصُّوف المصبوغ ألوانا؛ لاختلاف ألوان الجبال. فإذا بُسّت وطيّرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيّرته الريح. قيل: أول ما تتغير تصير رملا مَهيلاً، ثم عِهْنا منفوشا، ثم هباء مُنبثًا.

.10

وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (10)

{وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا}

ولايسأل قريب قريبا عن شأنه لشُغله بشأن نفسه {لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (37)} [عبس].

.11

يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (11)

{يُبَصَّرُونَهُمْ}

يُعرَّفون أقرباءهم، فيعرف كلُّ إنسان قريبه؛ فذلك تبصير الله إياهم. ولكنهم لا يتسائلون لاشتغال كل واحدٍ بحالِ نفسه. يقال: بصّرتُه بالشئ، إذا أوضحته له حتى يبصره، ثم ضُمِّن معنى التعريف.

{يَوَدُّ الْمُجْرِمُ}

أي إن اشتغال كل مجرم بنفسه في ذلك اليوم بلغ إلى حيث يتمنى أن يفتدى بأقرب الناس إليه وأعلقهم بقلبه؛ فضلا عن أن يهتمَّ بحاله ويسأل عنها.

.12

وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (12)

.13

وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (13)

{وَفَصِيلَتِهِ}

أي عشيرته التي تضمُّه انتسابا إليها، أو لياذاً بها في الشدائد.

{تُؤْوِيهِ}

تضمه في النسب، او عند الشدة.

.14

وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (14)

{ثُمَّ يُنْجِيهِ}

ذلك الافتداءُ؛ أي يودُّ لو يفتدي ثم لو ينجيه ذلك الافتداء.

.15

كَلَّا إِنَّهَا لَظَى (15)

{كَلَّا}

ردْعٌ للمجرم عن هذه الوِدادة.

وتيئيس له من الإنجاء.

{إِنَّهَا لَظَى}

أي إن النار لظى؛ وهيَ اسم من أسمائها. أو اسم لطبق من أطباقها. واللظَى: اللهب الخالص.

.16

نَزَّاعَةً لِلشَّوَى (16)

{نَزَّاعَةً لِلشَّوَى}

قَلاعة لجلدة الرأس وأطراف البدن؛ كاليد والرجل، ثم تعود كما كانت، وهكذا أبداً. جمعُ شَواةٍ، وهي من جوارح الإنسان مالم يكن مقتلاً. يُقال: رمى فاشوى، إذا لم يُصب مقتلاً.

.17

تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى (17)

.18

وَجَمَعَ فَأَوْعَى (18)

{وَجَمَعَ فَأَوْعَى}

جَمع المالَ؛ فأمسكه في وعائه وكَنَزة، ولم يؤد منه حق الله تعالى فيه، وتشاغل به عن دينه.

.19

إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19)

{إِنَّ الْإِنْسَانَ}

أي الكافر

{خُلِقَ هَلُوعًا}

والهَلع: شدّةُ الجَزَع مع شدة الحرص والضَّجر؛ وقد بين الله تعالى ذلك بقوله: {إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20)}.

.20

إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20)

{إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا}

أي إذا مسّه الفقرُ أو المرض ونحوهما كان مبالغا في الجزع، مكثرا منه، لا صبرَ له على ما أصابه. و {جَزُوعًا} و {هَلُوعًا} خبران لكان مضمرة. وقيل: حالان من الضمير في (هلوعاً).

.21

وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21)

{وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا}

وإذا مَسه الغنى أو الصحة كان مبالغا في المنع والإمساك، لا ينفقه في طاعة، ولا يؤدِّي منه حقَّ الله فيه.

{مَنُوعًا}

كثير الجزع والاسى.

.22

إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22)

ثم لمّا وصف سبحانه من أدّبر و تولَّى مُعلِّلاً بهلعه وجَزَعه استثنى ما يقابله فقال: {إِلَّا الْمُصَلِّينَ} ووصفهم بما يُنبئ عن كمال تنزههم عن الهَلَع من الاستغراق في طاعة الله، والإشفاق على الخلق، والإيمان بالجزاء، والخوف من العقوبة، وكسرالشهوة، وايثار الآخرة على الأولى.

.23

الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23)

.24

وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24)

.25

لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25)

{وَالْمَحْرُومِ}

الفقير المتعفّفِ عن السؤال؛ فَيظنُّ استغناؤه لتعففه فيُحرم العطاءَ.

.26

وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (26)

.27

وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (27)

{مُشْفِقُونَ}

خائفون على أنفسهم مع مالَهم من صالح الأعمال؛ استقصارا لها واستعظاما لله تعالى.

.28

إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (28)

.29

وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (29)

.30

إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (30)

.31

فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (31)

{هُمُ الْعَادُونَ}

المجاوزون الحلال الى الحرام [المؤمنون:7].

.32

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (32)

.33

وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (33)

.34

وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (34)

.35

أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (35)

.36

فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (36)

{فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا .. }

فأيُّ شيء ثبت لهم حال كونهم مسرعين نحوك، مادّي أعناقهم إليك؛ ليظفروا باستماع ما يجعلونه هُزوا. أومسرعين اليك مديمى النّظر الشَّزر إليك [القمر:8].

.37

عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (37)

{عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ}

أي جماعات متفرقين عن يمينك وعن شمالك، وكانوا يجتمعون حلقًا عند الكعبة؛ فإذا صلى أوقرا يستهزئون به، فنزلت. جمعُ عِزّة، وهي الجماعة. وأصلها عِزْوة من العزو؛ لأن كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى؛ فلامُها واو. وقيل: لامُها هاءٌ؛ والأصل عزهة و (عن اليمين) متعلق بـ (عِزِينَ).

.38

أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (38)

.39

كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (39)

{إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ}

أي أنهم يعلمون أنا انشأناهم انشاء من مادة ضعيفة؛ وهو حجة بينة على قدرتنا على إهلاكهم، لكفرهم بالبعث والجزاء؛ واستهزائهم بالرسول والقرآن، وادّعائهم دخول الجنة بطريق السّخرية، وعلى أن نُنشئ بدلَهم قومًا آخرين خيرا منهم.

.40

فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (40)

{فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ}

أقسم. و (لا) مزيدة. [الحاقة:38]، والمَشارق والمغارب: مشارق الشمس والقمر والكواكب ومغاربها.

.41

عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (41)

{وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ}

أي بمغلوبين، أو عاجزين عن أن نأتيَ بقومٍ آخرين خير منهم.

.42

فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (42)

.43

يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (43)

{مِنَ الْأَجْدَاثِ}

القبور. جمعُ جَدَث.

{سِرَاعًا}

مسرعين إلى الداعي.

{كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ}

النُّصُب –بضمتين –: حجارة كانوا يعظمونها [المائدة:3]. وقيل: هي الأصنام.

{يُوفِضُونَ}

يسرعون. يقال: وفَضَ يَفِض وفْضًا، عدَا و أسرع، كأَوْفض و استوفض. أي يخرجون من القبور يسرعون إلى الداعي مستبقين إليه؛ كما كانوا يستبقون إلى نُصُبهم ليستلموها.

.44

خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (44)

{خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ}

ذليلةٌ خاضعةٌ؛ لا يرفعونها لما هم فيه من الخِزي والهوان.

{تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ}

يَغشاهُم الهوان الشديد. يقال: رهقَه الأمر يَرْهقه رَهَقا، غَشيَه بقهر: كأرهقه.

واللهُ أعلم.

سُورةُ نُوح

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (1)

{إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا}

هو ابن لَمْك بن مَتُوشَلَح بن أخنوخ، وهو إدريس عليه السلام.

{إِلَى قَوْمِهِ}

هم سُكَّان جزيرة العرب ومن قرُب منهم. والمشهور: أنه كان يسكن أرض الكوفة، وهناك أُرسل.

{أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ}

بأن أنذرهم وحذِّرهم عاقبة كفرهم؛ من الإنذار، وهوإخبار فيه تخويف. يقالُ: أنذره يُنذره إنذارا؛ فهو ; منذر ونذير، وهم منذَرون.

.2

قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (2)

.3

أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (3)

.4

يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (4)

{يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ}

أي يغفر لكم ذنوبَكم، أو بعض ذنوبكم وهو ماسلف قبل الإيمان مما لا يتعلق بحقوق العباد.

{إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ}

وقت مجيء عذابه إن لم تؤمنوا

{لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}

أي لوكنتم من أهل العلم لسارعتم الى ماأمركم به، أو لوعلمتم انَّ أجل الله إذا جاء لايؤخَّر- لأنبتم الى طاعة ربّكم.

.5

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (5)

.6

فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (6)

{فِرَارًا}

تباعُدًا من الإيمان وإعراضا عنه. والفرارُ: الرَّوغانُ و الهرَب. يقالُ: فَرَّ يفرُّ فرارًا فهو فَرور. وأصلُه الكشفُ عن سِن الدابة ليُعرف، واستعمل فيما ذُكِر لما فيه من الكشف عن مكنونات الصدور.

.7

وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (7)

{جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ}

سدُّوا مَسامعهم عن استماع الدَّعوة؛ فهو كناية عما ذُكر.

{وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ}

بالغوا في التّغطِّي بها. كأنهم طلبوا من ثيابهم أن تغشاهم؛ لئلا يروْه كراهة له من أجل دعوته، أو ليُعرِّفوه إعراضهم. وقيل: هو كناية عن العداوة؛ كما يقال: لَبِس لي فلان ثياب العداوة.

{وَأَصَرُّوا}

أقاموا على كفرهم؛ من الإصرار، وهو التعقد في الذنب والتشدُّد فيه، والامتناعُ من الإقلاع عنه. وأصله من الصَّرة بمعنى الشدة.

.8

ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (8)

.9

ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (9)

.10

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10)

.11

يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11)

{يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا}

ينزل المطر عليكم متتابعًا غزيرًا؛ وفي ذلك الخصب ورغدُ العيش [الأنعام:6].

.12

وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (12)

.13

مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13)

{مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا}

أي لاتعتقدون له عظمة، أو لا تخافون عظمته تعالى؛ فتطيعونه وتخشوْن عقابه. والاسفهام إنكارٌ لوقوع ذلك منهم. والرّجاء بمعنى الاعتقاد أو الخوف. والوقارُ: العظمة.

.14

وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (14)

{وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا}

أي وأنتم تعلمون أنه تعالى خلقكم مُدرّجًا لكم في أدوار متعاقبة، وحالات مختلفة. والإخلال بتوقير مَن هذا شأنُه مع العلم به مما لا يكاد يصدر عن عاقل! جمعُ طَور، وهو المرَّة والتارة. ويطلقُ على ما كان على حدّ الشئ وعلى المقدار، وكل ذلك مناسِبٌ للمعنى المراد.

.15

أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (15)

{أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ}

بيان لآيات آفاقية بعد بيان آيات الأنفس؛ للاستدلال بها على ما يوجب عليهم توقير الله وتعظيمه عز شأنه.

{سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا}

مُطابقة؛ بعضها فوق بعض–كالقِباب–من غير مماسة [الملك:3].

.16

وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (16)

{وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا}

جعله في سماء الدنيا نورا للأرض ومن فيها. وإنما قال (فيهن) لأنها محاطة بسائر السماوات، فما فيها يكون كأنه في الكُلِّ. أو لأن كل واحدةٍ منها شفافة؛ فيرى الكل كأنه سماءٌ واحدةٌ؛ فساغ أن يقال: (فيهن). والمرجح الإيجاز والملابسة بالكلية والجزئية، وكونها طباقًا شفافة.

{وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا}

يُزيل ظلمة الليل، ويُبصر أهل الدنيا في ضوئها كلَّ شيء، وهي في السماء الرابعة.

.17

وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (17)

{وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ}

أنشأكم من طينتها.

.18

ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (18)

.19

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (19)

{الْأَرْضَ بِسَاطًا}

فراشاً مبسوطا للاستقرار عليها.

.20

لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (20)

{سُبُلًا فِجَاجًا}

طرقا واسعاتٍ. جمعُ فَجٍّ، وهو الطريق الواسع. وقيل: هو المسلك.

.21

قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (21)

{إِلَّا خَسَارًا}

ضلالاً وذهابًا عن مَحَجة الصواب. مصدر خَسِر –كفرح وضرب –أي ضلّ. ويُطلق على الهلاك.

.22

وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (22)

{مَكْرًا كُبَّارًا}

عظيمًا بالغ الغاية في العِظم. يقال: كبير وكُبَارٌ وكبّار؛ والمشدَّد أبلغُ.

.23

وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (23)

{وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}

وهذه الخمسةُ اكبر الأصنام والصور التى كان قوم نوح يعبدونها، ثم عبدتها العرب من بعدهم كما عبدت غيرها؛ فكان ودٌّ لكَلْب بدومة الجَنْدل. وسُوَاع لهُذيل بساحل البحر أولهَمْدان. ويَغوث لبني غطيف من مراد بالجُرْف من سبأ، أولمراد ثم لغَطَفان. ويَعوقُ لهَمْدان باليمن، أو لمراد. ونَسرٌ لذي الكَلَاع من حمير.

.24

وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (24)

{وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا}

أي أضلَّ الرؤساءُ بهذه الأصنام كثيرا من الناس فعبدوها من دون الله!

{وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا}

هلاكا. والجملتان من كلام نوحٍ عليه السلام.

.25

مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا (25)

{مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا}

أي من أجل خطيئاتهم أغرقوا بالطوفان، لامِن أجل أمرٍ آخر؛ فـ (مِنْ) تعليلية و (ما) زائِدةٌ.

.26

وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (26)

{دَيَّارًا}

من يسكن دارا. أو من يدور ويتحرك في الأرض ذهابا وجَيْئة؛ من الدّار أو من الدّوران، وهو التحرُّك. والمرادُ: لاتذر منهم أحدا. والدَيَّارُ من الأسماء التي لاتُستعمل إلا في النَّفي العام، يقال: ما بالدار دَيّار، والمرادُ: ما بها من احدٌ.

.27

إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (27)

.28

رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (28)

{تَبَارًا}

هلاكًا أو خسارة ودمارًا. يقالُ: تَبَرَه يَتْبِره، إذا أهلكه. ويتعدَّى بالتضعيف، فيقالُ: تَبرّ الله تتبيرا ومنه: {إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ ... (139)} [الاعراف].

واللهُ اعلم.

سُورَةُ الجِنّ

بسم الله الرحمن الرحيم

عالم الجن من العوالم الكوْنيّة كعالم الملائكة؛ وقد أخبر الله تعالى انه خلقه من مارج من نار. أي أن عُنْصر – النار فيه هو الغالب – وأنه يرى الأناسيَّ وهم لايرونه. أي بصورته الجِبلّية، وإن كان يُرى حين يتشكل بأشكال أخرى؛ كما رُئيَ جبريل تشكَّل بشكل آدمي. وأخبر تعالى بأنه قادرٌ على الأعمال الشاقة. وأنَّه سخر الشياطين لسليمان يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابِ. وأخبر بأن من الجن مؤمنين. ومنهم شياطين متمردين؛ ومن هؤلاء إبليس اللعين. ولم يختلف أهلُ الملل في وجودهم، بل اعترفوا به كالمسلمين، وإن اختلفوا في حقيقتهم.

ولاتلازم بين الوجود والعلم بالحقائق، ولابينه وبين الرؤية بالحواس. فكثيرٌ من الأشياء الموجودة لاتزال حقائقها مجهولة، وأسرارها محجبة؛ وكثير منها لايُرى بالحواس. ألاترى الروح– وهي ما لاشك في وجودها في الإنسان والحيوان–لم يدرك كنهها أحد، ولم يرها أحد؛ وغايةُ ما علم من أمرها بعض صفاتها وآثارها. وكم في العوالم من أسرار، وفي الكون من حجب وأستار، تشهد بأن وراء علم الإنسان علومًا أحاط بها خالقُ الكَوْن ومبدعه؛ ومنها ما استأثر بعلمه، ولم يطلع عليه أحدا من خلقه.

وقد بُعث النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى الجنّ؛ كما بُعث الى الإنس. فدعاهم الى التوحيد، وأنذرهم وبلّغهم القرآن. وسيحاسبون على الأعمال يوم الحساب كما يحاسب الناس، فمؤمنُهم كمؤمنِهم، وكافرُهم ككافرِهم. وكل ذلك جاء صريحا في القرآن والسُّنة.

.1

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1)

{قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ ... }

أوْحى الله إلى نبيّه – صلى الله عليه وسلم أن

جماعة من الجن– وكانوا من جن نصيبين– استمعوا إليه وهو يقرأ القران في صلاة الفجر في بَطْن نخلة [وهي في طريق الطائف على مسيرة ليلة من مكة] فعادوا إلى قومهم فأخبروهم بما سمعوا، وآمنوا بالله، وكذَّبوا ما دعا إليه سفيههم من الكفر والضلال [الأحقاف:29].

{قُرْآنًا عَجَبًا}

بديعا مباينًا لما سبقه من الكتب في خصائصه وعلومه.

.2

يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (2)

{يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ}

داعيا إلى الرشد والهدى، في نظم محكم، واسلوبٍ حكيم.

{فَآمَنَّا بِهِ}

فصدَّقناه وأذعَنّا له ومحونا من قلوبنا الشرك والضلال، وعلمنا ما ينبغى لربّنا من الكمال.

{وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا}

في عبادته.

.3

وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (3)

{وَأَنَّهُ}

أي الحال والشأن.

{تَعَالَى}

تعاظم.

{جَدُّ رَبِّنَا}

عظمته وجلاله. أي تعاظمت عظمته، وجل جلاله عن أن ينسب إليه ماينافي ربوبيته، أوتعاظم ملكه وسلطانه عن أن يكون له شريك، أويكون له صاحبةٌ أو ولدٌ كما يزعم المشركون. وقوله: {مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا} بيانٌ وتفسيرٌ لما قبله. وقولُه: (وأنَّه) – بفتح الهمزة–معطوفٌ على الضمير في (به) أوعلى محل الجار والمجرور في (فآمنَّا به)؛ كأنه قيل: فصدّقناه وصدّقنا أنه تعالى جَدُّ ربّنا. وكذلك يقال في توجيه القراءة بالفتح في الإحدى عشرة آية التالية لهذه الآية التى آخرها آية 14. وأما قراءتها بالكسر فلعطفها على المحكيّ بعد القول.

.4

وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (4)

{وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا}

إبليس اللعين

{عَلَى اللَّهِ شَطَطًا}

قولا ذا شَطَط. أي بَعُد عن القَصد، ومجاوزة للحد؛ إذ نسب اليه الصاحبة والولد! أي آمنا بأن قوله ذلك غيٌّ وضلال بعد أن سمعنا القرآن، الدال على الرشد والحق.

.5

وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (5)

{وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا}

قولاً مكذوبا، وهو ذلك القولُ الشطط؛ أي حسبنا أن الإنس والجن لايكذبون على الله بنسبة الشريك والصاحبة والولد اليه، ولذلك صدقناهم في ذلك حتى سمعنا القرآن؛ فعلمنا بطلان قولهم وبطلان ماكنا نظنّه بهم من الصدق، وامنا بالحق. فهو اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم.

.6

وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (6)

{وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ .. }

أي وأنه كان في الجاهلية رجال من الإنس يستعيذون برجال من الجن حين ينزلون في أسفارهم بمكان موحِش، ويقول قائلهم: أعوذ بسيد هذا الوادي من شرّ سفهاء قومه؛ فيبيت في جواره حتى يصبح. وأول من فعل ذلك قوم من أهل اليمن، ثم من بني حنيفة، ثم فشت هذه الجهالة في العرب؛ فلما جاء الإسلام عاذوا بالله تعالى، وتركوا العوذ بالجن

{فَزَادُوهُمْ}

فزادَ الإنسُ الجنَّ بهذا العوذ

{رَهَقًا}

طغيانًا وسفهًا وجراءة عليهم، أوإثمًا واستحلالاً لمحارم الله. وأصلُ الرَّهق: غشيان المحظور. ومرادُ هذا النَّفر: أنهم لمَّا سمعوا القرآن أيقنوا بخطأ الإنس في هذا العَوذ،

وبضلال الجن في الطغيان والإثم.

.7

وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (7)

{وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا}

أي وأن الإنس ظنوا {كَمَا ظَنَنْتُمْ} أيها الجنُّ على انه كلامُ بعض الجن لبعض {أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا} بعد الموت، فأخطأوا وأخطأتم؛ إذ جاء القرآن بالبعث والحساب والجزاء فآمنا بأنه الحق.

.8

وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (8)

{وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ}

طلبنا أخبارها كما هي عادتنا، وكانوا يسترقون السمع من الملأ الأعلى، ليخبروا به الكهان إضلالاً للناس. واللمْسُ: المسُّ؛ فاستعير للطلب، لأن الماسَّ طالبٌ مُتعرِّف.

{فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا} حُرَّاسا أقوياء من الملائكة يحرسونها من استراق السَّمع. اسمُ جَمْعٍ لحارس.

{وَشُهُبًا}

تَنقضُّ على مسترقي السّمع [الحجر:18].

.9

وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (9)

{مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ}

مواضع في السماء نقعد فيها لاستراق السَّمع.

{فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ}

بعد نزول القرآن الذي بُعث به الرسول – صلى الله عليه وسلم –.

{يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا}

مُرْصداً؛. أي مُعدًّا ومهيأً له، ينقضُّ عليه فيصيبه، فمنع الاستراق بعد المبعث ونزول القرآن. والصحيحُ أن الرَّجم كان موجودا قبل المبعث؛ فلما بعث – صلى الله عليه وسلم – كَثر وازداد، كما ملئت السماء بأحُراس. وليس في الآية دلالة على أن كلَّ مايحدث من الشُّهب إنما هو للرَّجم؛ بل إنهم إذا حاولوا استراق السَّمع رجموا بالشهب. وإلا فالشُّهب الآن وفيما مضى قد تكون ظواهر طبيعية، ولأسباب كَوْنية.

.10

وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (10)

{رَشَدًا}

خيراً وصلاحاً ورحمة.

.11

وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (11)

{وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ}

أي الموصوفون بصلاح الحال واستقامتة، وهم الأخيار.

{وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ}

أي غير ذلك؛ وهم الأشرار.

{كُنَّا}

قبل استماع القرآن.

{طَرَائِقَ قِدَدًا}

أي مذاهب متفرقة مختلفة. جمعُ طريقة، وهي الحالة والمذهب. وجمع قِدّة، وهي الفِرقة من النَّاس هَوَى كل واحد على حِدَة. والجملةُ بيان لسابقتها.

.12

وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا (12)

{وَأَنَّا ظَنَنَّا .. }

تيقَّنا الآن بعد سماع القرآن أننا في قبضته تعالى وسلطانه، لن نفوته بهرب ولا غيره إن طَلَبنا.

.13

وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (13)

{وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى}

أي القرآن.

{آمَنَّا بِهِ}

صدقنا أنه من عند الله.

{فَلَا يَخَافُ بَخْسًا}

نقصًا من ثوابه.

{وَلَا رَهَقًا}

ظلما يلحقه بزيادة في سيئاته. أو غشيانَ ذِلةٍ بحمل سيئات غيره عليه.

.14

وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (14)

{وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ}

الجائرون العادلون عن الإسلام وقصْد السبيل. جمعُ قاسطٍ،

أي عادل عن الحق. اسمُ فاعل من قسط الثلاثي بمعنى جار، بخلاف المُقْسط، فإنه العادل إلى الحق؛ من أقسط الرباعي بمعنى عدل. وحقيقة أقسط: أزال القِسط وهو الجور؛ فالهمزة فيه للسلب.

{تَحَرَّوْا رَشَدًا}

قصدوا طريق الحق والهدى، وتوخَّوْه باجتهاد. يقالُ: حرَى الشيء يحريه، أي قصد حَرَاه أي جانبه. وتحرَّاه كذلك.

والرَّشد: خلاف الغيّ، ويستعملُ استعال الهداية.

.15

وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (15)

{حَطَبًا}

وقودا توقد به.

.16

وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا (16)

{وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ}

[وأنْ لَوْ ..] هو من قول الجن. معطوف على قوله (أنَّه اسْتَمَعَ)، واسم (أنْ) المخففة ضمير الشأن.

{لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا}

كثيرًا غزيرًا. يقالُ: غَدِقَت العين–كفرح–،كَثُر ماؤها فهي غَدِقة. والمراد أن الإنس والجن لو استقاموا على الإسلام لوسعنا عليهم الأرزاق، ومتّعناهم بالعيش الرغيد. وخُصَّ الغدق بالذكر لأنه أصل المعاش والسعَّة.

.17

لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (17)

{لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ}

لنختبرهم فيه؛ أي لنعاملهم معاملةَ المختبر؛ ليظهر للخلائق كيف شكرهم فيما خوَّلناهم من النعم.

{يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا}

يدخله عذابا شديدا شاقًّا. والصَّعد: المشقَة. يقالُ: فلانٌ في صَعدٍ من أمره، أي في مشقة. وهو مصدر صَعِد – كفرح – صعدا وصعوداً. وُصف به العذاب مُؤوّلاً باسم الفاعل.

.18

وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (18)

{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ}

أي وأُوحيَ إليَّ أن المساجد– وهي المواضع المعدّةُ للصلاة والعبادة –مُختصة بالله تعالى وعبادته وحده. وكان اليهود والنصارى يشركون بالله في كنائسهم وبِيَعهم؛ فأمر الله المؤمنين أن يفردوه في المساجد بالعبادة، ولايدعوا فيها أحدًا دونه.

.19

وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (19)

{وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ}

محمد – صلى الله عليه وسلم –

{يَدْعُوهُ}

يعبد الله في صلاة الفجر بنخْلة.

{كَادُوا}

أي الجن

{يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا}

أي متراكمين من الازدحام عليه؛ تعجبا مما شاهدوه من صلاته، وسمعوه من قراءته، ومن كمال اقتداء أصحابه به في الصلاة قياما وركوعًا وسجودًا؛ إذ لم يكن لهم عهد بذلك من قبل. وقيل: الضمير في (كادوا) لكفار قريش والعرب؛ أي وأنه لما قام يدعو لربّه وحده، ويُنذر من أشرك به؛ كادوا لتظاهرهم عليه يزدحمون عليه متراكمين ليطفئوا نوره، ولكن الله أبى إلا أن يتم نوره وينصر رسوله. و {لِبَدًا} جمع لِبْدة – ككِسْرة وكِسَر–: وهي الجماعة؛ شبّهت بالشي الملبَّد بعضه على بعض.

.20

قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (20)

.21

قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (21)

{رَشَدًا}

نفعاً أو هداية.

.22

قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (22)

{قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ}

أي لن يمنعني منه تعالى أحد من خلقه إن أرادني بسوء

{وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا}

ملجأً يُركن إليه. يقال: التَحَد إلى كذا، مال اليه.

.23

إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (23)

{إِلَّا بَلَاغًا}

أي لاأملك لكم شيئًا إلا بلاغًا إليكم.

.24

حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (24)

{فَسَيَعْلَمُونَ}

إذا حلَّ بهم العذاب في الآخرة

{مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا}

أجندُ ألله الذين آمنوا به، أم هؤلاء المشركون به!

.25

قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (25)

{أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا}

غاية بعيدة. والمرادُ: أنكم ستعذبون حتما، ولكن لاأدرى! أهو حالٌّ أم مؤجَّلٌ إلى أمد بعيد!

.26

عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26)

.27

إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (27)

{إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ .. }

فإنه يُظهره على ما شاء من غيبه؛ ليكون إخباره عنه معجزة له دالة على صدقه، وليخبر الناس بما يتعلق منه برسالته وشئون الآخرة من البعث والحساب والجزاء والخلود. فإذا أراد سبحانه إظهاره عليه يسلك من جميع جوانبه

حرسًا من الملائكة يحرسونه من تعرض الجن لما يريد إظهاره عليه؛ لئل يسترقوهُ ويهمسوا به الى الكهنة قبل أن يبلغهُ الرسول، وليحفظوه من وساوس الجن وتخاليطهم حتى يبلّغ رسالة ربه إلى الناس.

.28

لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (28)

{لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا}

أي أخبرناه – صلى الله عليه وسلم – بحفظنا الوحي؛: ليعلم أن الرسل قبله كانوا على حالته من التبليغ بالحق والصدق، وأنه حُفظ كما حفظوا من الجن.

{وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ}

أي وقد أحاط الله بكل ما عند الرسل والملائكة، وعلم عددالأشياء كلها، فلم يخفَ عليه شيء منها.

{وَأَحْصَى}

ضبط ضبطاً كاملاً.

والله أعلم.

سُورَةُ المُزمّل

بسم الله الرحمن الرحيم

روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبدالله قال: سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: (.. فَبيْنَا أنَا أمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رأسي، فَإِذَا المَلَكُ الذي جَاءَنِي بحِرَاءٍ جالسٌ علَى كُرْسِيٍّ بيْنَ السَّمَاءِ والأرْضِ، فَجَئِثْتُ [فَزِعْتُ] منه رُعبًا، فَرجعتُ فَقُلتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فدثروني–وفي روايةٍ–فَزَمَّلُونِي) فأنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ} إلى: {والرُّجزَ فَاهْجُرْ}. وقال المفسِّرون: وعلى أثرها نزلت (يا أيها المُزمِّل).

.1

يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1)

{يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ}

أي المتَزَمَّل

في ثيابه، المتلفِّف فيها؛ نوديَ بذلك تأنيسًا له وملاطفة؛ على عادة العرب في اشتقاق اسم للمخاطب من حالته التى هو عليها. يقال: زمَّلته بثوبه تزميلاً؛ مثلُ لففته فتلفّف.

.2

قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2)

{قُمِ اللَّيْلَ}

للصلاة والعبادة.

{إِلَّا قَلِيلًا}

منه.

.3

نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3)

{نِصْفَهُ}

بدلٌ من (قليلا)، اي فلا تقم هذا النصف للصلاة واتخذه للنوم والراحة. ووصف بالقِّلة للإشارة إلى أن النصف الآخر العامرَ بالقيام للصلاة بمنزلة الأكثر في الثواب والفضِيلة بالنسبة لهذا النصف الخالي منه.

{أَوِ انْقُصْ مِنْهُ}

أي من هذا النصف الخالي من القيام

{قَلِيلًا}

حتى يصير ثُلثًا، وتكون مدة القيام الثلثين.

.4

أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (4)

{أَوْ زِدْ عَلَيْهِ}

أي على هذا النصف قليلاً حتى يصير ثلثين؛ فتكون مدة القيام ثلثًا. فأوجب الله تعالى على نبيه – صلى الله عليه وسلم – وعلى أمته قيام الليل، وخيرّه بين قيام النصف تامًّا، وبين قيام الثلثين، وقيام الثلث؛ فصار هو وأصحابه يقومون كلَّ الليل خشية الإخلال بشئ من المقدار المعيَّن لعدم التمكن من ضبطه. و اشتدَّ ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم؛ فرحمهم الله تعالى بالتخفيف عنهم، فنسخ وجوب قيام هذا المقدار المعين في حقه وحقِّ أمَّته بقوله في آخر السورة: { .. فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ .. (20)} أي فصلوا بالليل ما تيسر لكم دون تحديد بالمقادير المعيَّنة. ثم نُسخ وجوب القيام في حقه – صلى الله عليه وسلم – وحق الأمة بفرض الصلوات الخمس مع ضميمة قوله صلى الله عليه وسلم للاعرابي حين سأله عن الصلوات الخمس بقوله على غيرها يا رسول الله؟ قال: (لا إلاّ أن تطوَّع) [رواه البخاري]. وقيل في حق الامة فقط، وبقيَ الوجوب في حقه – صلى الله عليه وسلم – لقوله تعالى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ .. (79)} [الاسراء] أي فريضة زائدة على الصلوات الخمس خاصة بك. وكان بين الناسخ والمنسوخ نحو سنة – كما رُويَ في الصحيح–بناء على أن السورة كلَّها مكية،

وهو الراجح. وقيل: نحو عشر سنين؛ بناء على أن آخرها مدنيٌّ. وقيل: كان القيام فرضا على النبي – صلى الله عليه وسلم – وحده؛ لتوجُّه الخطاب له، وهو قولٌ قوي.

{وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا}

أي بيّنه تبيينًا، وفصّله تفصيلا أثناء ماذكر من القيام؛ لأن ذلك أعونُ على تأمُّله، وأثبتُ لمعانيه في القلب؛ من قولهم: ثغرٌ رَتْلٌ، أي مُفلَّجُ الأسنان لم يتصل بعضها ببعض.

.5

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (5)

{إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ .. }

أي لاتُبال مشقة هذا القيام الذي أوجبناه عليك؛ لأنه مها بلغ أسهل، مما سيرد عليك في الوحي المنزَّل من التكاليف الكثيرة –فانهض به، ومرّن به نفسك على تحمل المشاق. والمراد من القول: وحيُ القرآن. وثقيلا أي على المكلَّفين ما فيه من الفرائض والحدود ومنها الجهاد. أوشديدا عليك تحمله؛ وقد كان – صلى الله عليه وسلم – يلقى من الوحى شدة عظيمة.

.6

إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (6)

{إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ}

أي إن العبادة التي تحدث في الليل

{هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا}

ثباتا في القلب ورسوخا فيه.

{وَأَقْوَمُ قِيلًا}

أبينُ قولا، وأشدُّ مقالاً، وأصوب قراءة من عبادة النهار؛ لحضور القلب، وهدوء الأصوات والحركة بالليل؛ وذلك أجمعُ للفكرة، وأبعث على التأمل والاستفادة. وقيل

الناشئةُ: النفس المتَهجدة التي تنشأ من مضجعها – أي تنهض–الى العبادة؛ من نشأ من مكانه ونشر: إذا نهض. أو هي ساعات الليل وأوقاتُه؛ لأنها تنشأ واحدة بعد واحدة، أي متعاقبة. والمراد: الحث على الاستدامة على هذه العبادة الليلية، والترغيب فيها بذكر مزاياها وآثارها في ترويض النفوس وشحذ القوى؛ أستعدادًا للقيام بما سيشرع مِن التكاليف.

.7

إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (7)

{سَبْحًا طَوِيلًا}

تقلبًا وتصرفا في مهماتك، واشتغالاً بأعباء الرسالة؛ فلا تستطيعُ أن تتفرغ للعبادة تفرُّغًا تامًا إلا في الليل، فعليك بها فيه – من السَّبح، وأصله المرُّ السريع في الماء، واستُعير لما ذكر.

.8

وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (8)

{وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ}

أي دُمْ على ذكره تعالى ليلا ونهارا بالتسبيح والتحميد والصلاة وتلاوة القرآن وغير ذلك؛ فهو تعميم بعد التخصيص.

{وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا}

انقطع إليه تعالى في العبادة والدّعاء انقطاعًا، وجرد نفسك من كل ماسواه؛ من التَبتُل, وهو الانقطاع إلى عبادة الله عز وجل. ومنه بَتلتُ الحبل: أي قطعتُه.

.9

رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (9)

.10

وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (10)

{وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا}

أي لاجزع فيه. قيل: هو منسوخٌ بآية القتال.

.11

وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (11)

{وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ}

دعني وإياهم فساكفيكهم.

{أُولِي النَّعْمَةِ}

أهل التَّنعُم والتَّرفه وغضارة العيش في الدنيا.

{وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا}

أي زمانا قليلاً هو مدة الدنيا. أو المدةُ الباقية إلى يوم بدْر، ثم يعذَّبون أشد العذاب.

.12

إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (12)

{إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا}

قيودًا شديدة. واحدها نِكْل – بكسر أوّله – وهو القيد الشديد يوضعُ في الرجل لمنع الحركة، وسمّيت القيود أنكالاً لأنها يُنكل بها أي يُمنع.

.13

وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (13)

{وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ}

يَنشَبُ في الحلوق، لا هو نازلٌ ولا هو خارج، وهو الزقوم [الصافات:62،الدخان:43] والغِسْلين [الحاقة:36] والضّريع [الغاشية:6] وسيأتي بيانه. والغُصَّة: ما يَنشب في الحلق من عَظْم أو غيره وجمعها غُصَص.

.14

يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا (14)

{يَوْمَ تَرْجُفُ}

أي استقرَّ ذلك العذاب لدينا يوم تضطرب الأرض والجبال وتتزلزل بما عليها وهو يوم القيامة؛ من الرّجْف، وهو الاضطراب الشديد. ومنهُ: الرَّجفة، والإرجافُ، وبحرٌ رجَّاف.

{وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا}

أي وتكونُ الجبال رملاً مجتمعًا، بعد أن كانت أحجارا صُلبة عظيمة؛ من كثبَ الشيء يَكْثُبه ويَكثِبه؛ جمعهُ من قُرْب وصبَّه. وجمعُه كُثُب وأكثِبة وكثبان؛، وهيَ تِلالُ الرَّمل.

{مَهِيلًا}

سائلاً مُتناثرًا بعد اجتماعه. والمَهيل: الذي يحرّك أسفله فينهال عليه من أعلاه ويتتابع.

.15

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (15)

.16

فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا (16)

{فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا}

ثقيلا شديدا، ردئ العُقْبى. يقال: ضَرْبٌ وبيل، أي شديد. وكَلأٌ وبيل: أي وَخِم لا يُستمرأُ لثقله. واستوبل فلانٌ كذا: لم يحمَد عاقبته.

.17

فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (17)

.18

السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (18)

{السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ}

أي السماء مع عظمها شيءٌ منشقٌّ في ذلك اليوم [آية 17]؛ لشدّته وهوْله. وقيل: التذكير لتأويل السماء بالسَّقف، أو لأن السماء اسم جنس واحده سماوَة؛ فيجوز فيه التذكير وا لتأنيث، والباء في (به) بمعنى في، والضمير عائدإلى اليوم.

.19

إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (19)

.20

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (20)

{إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ}

شروع في بيان النّاسخ للقيام المأمور به في أوّل السورة وحكمة نسخه.

{أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ}

أي زمنًا أقلَّ منهما بيسير، أفعلُ تفضيل؛ من دنا: إذا قَرُب. واستُعمل في القلة مجازا للزومها للقُرْب؛ لأن المسافة بين الشيئين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز.

{وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ}

أي وتقوم نصفه وتقوم ثلثه؛ فهو عطف على {أَدْنَىٰ}. وقرئ بالجرِّ عطفا على {ثُلُثَيِ} أي أقلَّ من نصفه وأقل من ثُلُثه

{وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ}

أي وتقوم معك طائفة من أصحابك، والباقون يقومون في منازلهم.

{وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ}

فلا يعلم ساعاتهما كما هي إلا هو سبحانه.

{عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ}

تأكيد لما قبله؛ أي علم أن لن تستطيعوا ضبطَ الساعات التى يستغرقها القيام المأمور به، الا أن تأخذوا بالأوْسع والأحوط؛ وذلك شاقٌ عليكم.

{فَتَابَ عَلَيْكُمْ}

أي بالتّرخيص لكم في ترك القيام المقدَّر بتلك المقادير الثلاثة، ورفع التَّبعة عنكم في تركه.

{فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ}

أي فصلوا ماتيسر لكم من صلاة الليل دون تقدير بجزء معيَّن منه. وسُمّيت الصلاة قرآنا كما في قوله تعالى: { .. وَقُرْآنَ الْفَجْرِ .. (78)} [الاسراء] أي صلاتَه؛ تسمية لها باسم رُكنها، كما سُمّيت قياما وركوعًا وسجودًا. وقدَّمنا أول السُورة مايتعلق بنسخ هذا الناسخ.

{عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى}

بيان للأسباب الداعية إلى النسخ، بعد أن امتحنهم الله بالقيام وقاموا به لوجهه تعالى كما أمرهم؛ بقدر طاقتهم مدَّةً من الزمن ليست بالقصيرة.

{يَضْرِبُونَ}

يسافرون للتجارة ونحوها.

{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ}

المفروضة.

{وَآتُوا الزَّكَاةَ}

قيل: المفروضة؛ فتكون مدنية والراجح أن الآية مكية، والمرادُ بالزكاة الصدقاتُ التى بها طُهْرة النفوس. أوالزكاة المفروضة من غير تعيين؛ فقد قيل: إن الزكاة فرضت بمكة من غير تعينن لأنصباء، والذي فُرض بالمدينة تعيينُها.

{قَرْضًا حَسَنًا}

احتسابا بطيبة نفس.

والله أعلم.

سُورَةُ المُدَّثِّر

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1)

{يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ}

أي المتلفِّف بثيابه؛ من تدثّر: أي لبس إلدِّثار، وهو ما كان من الثياب فوق الشِّعار الذي يلي البدن. نوديَ – صلى الله عليه وسلم – باسمٍ مشتقٍّ من صفته التى كان عليها؛ كما قدمنا في أوّل سورة المزّمل.

.2

قُمْ فَأَنْذِرْ (2)

{قُمْ فَأَنْذِرْ}

انهَض فخوِّف عشيرتك الأقربين العذاب؛ لقوله تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214)} [الشعراء]، أو جميع الناس، وبلِّغهم رسالة ربك؛ لقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا .. (28)} [سبأ]، من الإنذار، وهو إخبار معه تخويف.

.3

وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3)

{وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ}

أي أُخصُص ربَّك بالتكبير والتعظيم.

.4

وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4)

{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}

أي ونفسك فطهِّر عما تُذمُّ به من الأفعال، أو فطهِّرْ من الذنوب والآثام. وهو كما يقال: فلانٌ طاهرُ الثياب، ونقيُّ الثياب: اذا وصفوه بالنّقاء من المعايب أو من الآثام. والنبيُّ – صلى الله عليه وسلم – مأمور بالدوام على الطهارة الحسية والمعنوية في كل شئونه؛ وقد طبعه الله عليها، وكمّله بها تكميلاً.

.5

وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5)

{وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ}

اترك الأصنام والأوثان. أو المآثِمِ والمعاصي المؤدية إلى العذاب، ولا تتخلق بأخلاق هؤلاء المشركين. أي دم على ترك ذلك واثبت عليه. والرُّجزُ بالضم والكسر–:العذاب؛ كالذُّكر والذِّكر. والمرادُ: هجر ما يؤدِّي إليه. وقيل: المضموم بمعنى لصَّنم أوعبادة الأوثان. والمكسورُ: بمعنى العذاب، أو النقائص والفجور.

.6

وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6)

{وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ}

لاتُعطِ أحدا شيئًا طالبًا للكثير عوضًا عنه؛ فهو نهيٌ عن الاستعواض نهيَ تحريم؛ فيحرُم عليه أن ينتظر العِوضَ عما أعطى. وهو خاص به – صلى الله عليه وسلم –؛ لأن الله تعالى اختار لنبيِّه أشرف الأداب وأحسن الأخلاق. أما بالنسبة لأمته فهو جائز. وقيل: النهي للتنزييه بالنسبة له – صلى الله عليه وسلم – ولأمتة. أو لا تُنعم على أحد بشئ رائيًا ما أنعمت به كثيرا، لأن ذلك لايليق بك.

.7

وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (7)

.8

فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (8)

{فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ}

أي نفخ في الصُّور النَّفخةُ الثانيةُ؛ من النَّقر بمعنى التَّصويت. وأصلُه القَرْع الذي هو سببه.

.9

فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (9)

.10

عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (10)

.11

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (11)

{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا}

أي اتركنى وهذا

الذي خلقته وحيدًا فريدًا، لامال له ولاولد. وهو الوليد بن المغيرة المخزومى.

.12

وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (12)

{وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا}

كثيرا يمُدُّ بعضه بعضا؛ دائما غير منقطع.

.13

وَبَنِينَ شُهُودًا (13)

{وَبَنِينَ شُهُودًا}

حضورا معه بمكة لا يغيبون عنه؛ لعدم احتياجهم للغياب في طلب الكسب.

.14

وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (14)

{وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا}

بسطت له الجاه والرياسة. وأصل التمهيد: التسوية والتهيئةُ؛ ومنه مهد الصبي، وتُجوِّز به عما ذُكر.

.15

ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (15)

{ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ}

أي ثم لشدّة حرصه وطمعه يطمع في زيادة ما أنعمت به عليه؟!. دَعني و إياه فأنا أكفيكه، وأغنيك في الانتقام منه– لشدة كفره وطغيانه – عن أي منتقم.

.16

كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (16)

{كَلَّا}

كلمة ردع وزجر عن الطمع الفارغ.

{إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا}

جَحوداً، أو معانداً، أو مجانباً للحق [هود:59، إبراهم:15].

.17

سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (17)

{سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا}

سأُغشيه عقبةً شاقة المصْعد. وهو مثلٌ لما يُلقى من العذاب الشاق الصعب الذي لايطاق، ولاراحة منه. يقال: رَهِقه الأمر يرهَقُه، غشيه بقهر.

.18

إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18)

{إِنَّهُ فَكَّرَ}

أي ردّد فكره وأداره تابعًا لهواه فما يقوله طعنًا في القرآن.

{وَقَدَّرَ}

أي وهيأ ما يقوله في نفسه فقال: {فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25)} [نفس السورة]. يقالُ: قدَرت الشئ أقْدَره، إذا هيأته. وتقدّر – بالتشديد-: تهيأ.

.19

فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19)

{فقُتِلَ}

أي فلُعِن؛ أوعُذّب؛ وهو دعاء عليه.

.20

ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20)

{كَيْفَ قَدَّرَ}

استفهام تعجيب من تقديره، وإنكار وتوبيخ.

.21

ثُمَّ نَظَرَ (21)

.22

ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22)

{ثُمَّ عَبَسَ}

قطب ما بين عينيه لما لم يجد في القرآن مطعنا؛ وضاقت عليه مذاهب الحيل فما يقوله فيه. يقال: عَبس يعبِس عَبْسا وعُبُوسا، إذا قطّب جبينه وكلح وجهه. وأصله من العَبس، وهو ماتعلق باذناب الإبل من أبوالها وأبعارها وقد جف عليها. وباعتبار اليُبس والتَّقبض أطلق على ماذكر عبوس.

{وَبَسَرَ}

إتباع لما قبله أوتأكيد له؛ أي كَلَح وجهه. يقال: بَسر يَبسرُ بسرا وبُسورًا، إذا قبض مابين عينيه كراهية للشئ: واسود وجهه منه. ومنه وجه باسر: أي منقبض أسود. أو أظهر العبوس قبل أوانه؛ من البَسر بمعنى الاستعجال بالشئ. يقال: بسَر الرجل الحاجة، طلبها في غير أوانها. وبسر الفحل الناقة: ضربها قبل أن تَطلُب.

.23

ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23)

.24

فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24)

{سِحْرٌ يُؤْثَرُ}

يروي ويتعلم من السحرة.

.25

إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25)

.26

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (26)

{سَأُصْلِيهِ سَقَرَ}

أي سأدخله سقر ليذوق حرَّها؛ وهي طبقٌ من أطباق جهنم. والجملة بدل من {سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا}.

.27

وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (27)

.28

لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (28)

.29

لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (29)

{لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ}

هي مُغيِّرة للبَشَرات، مسوِّدَةٌ للجلود، تلفَحها لفحة فتدَعُها أشدَّ سوادا من الليل في أوّل الملاقاة ثم تهلكها. صيغة مبالغة؛ من لوّحتْه

الشّمس: إذا سودّت ظاهره وأطرافه. والبَشرُ: جمعُ بَشَرة، وهي ظاهر الجلد. وجمع البشر أبشار.

.30

عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (30)

{عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ}

مَلكا يَلُون امرَها.

.31

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (31)

{وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ}

أي ما أخبرنا بعدتهم هذه

{إِلَّا فِتْنَةً}

ابتلاء

{لِلَّذِينَ كَفَرُوا}

لاستبعادهم تولي تسعة عشر ملكا تعذيب أكثر الثَّقلين، واستهزائهم بذلك وأصله إنكارهم البعث.

{لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}

أي ليكتسب أهل الكتابيْن اليقين بنبوته – صلى الله عليه وسلم – وصدق القرآن لموافقته لهما في عدَّتهم.

{مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا}

أي هذا العدد المُستغرب استغراب المثل. يريدون بذلك نفي أن يكون من عند الله تعالى.

{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ}

أي وما يعلم خلائقه الذين منهم هؤلاء الملائكة من حيث العدد والقوة والتسخير إلاهو عزَّ وجل.

{وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ}

أي وماسقر وصفتُها الاتذكرة وموعظة للناس. أو وما هذه العدّة إلا تذكرة وعظة؛ من جهة أنّ في خلقه ماهو في غاية العظم والقوة حيثُ يكفي القليل منهم لإهلاك الكثير الذي لايُحصى.

.32

كَلَّا وَالْقَمَرِ (32)

.33

وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (33)

{وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ}

ولّى ذاهبا. وقُرئ (دَبَر) وهما لغتان بمعنّى واحد.

.34

وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (34)

{وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ}

أضاء وانكشف.

.35

إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (35)

{إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ}

إنَّ سقر لإحدى الدَّواهي الكُبر. أي إنها من بين البلايا العظيمة لواحدةٌ في العظم لا نظير لها.

.36

نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (36)

{نَذِيرًا لِلْبَشَرِ}

أي إنذارا لهم، وهو تمييز (لإحدى الكبر) أومنذرة لهم.

.37

لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (37)

{لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ .. }

أي نذيرا للذين إن شاءوا تقدموا للخير ففازوا، وإن شاءوا تأخروا عنه فهلكوا. أو منذرةً للمتمكِّنين من السعى الى الخير والتخلُّف عنه.

.38

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (38)

{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ}

أي مرهونة بكسْبها عنده تعالى، مأخوذة بعملها؛ فإما خلّصها وإمّا أوْبَقها.

.39

إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (39)

{إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ}

وهم المؤمنون المخلصون؛ فإنهم فاكُّون رقابهم بما أحسنوا من الأعمال، كما يفكُّ الراهن رهنه بأداء الدين.

.40

فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (40)

.41

عَنِ الْمُجْرِمِينَ (41)

.42

مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42)

{مَا سَلَكَكُمْ}

أي شيء أدخلكم؟

.43

قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43)

.44

وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (44)

.45

وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (45)

{وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ}

كنّا نشرع في الباطل مع الشارعين فيه، لا نتورع عن شيء منه [النساء:140]. وأكثر ما استعمل الخوض في القُرآن فيما يُذمُّ الشروع فيه.

.46

وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (46)

{بِيَوْمِ الدِّينِ}

بيوم البعث والحساب والجزاء.

.47

حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (47)

.48

فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (48)

.49

فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (49)

.50

كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (50)

{كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ}

كأنّ هؤلاء الكفار في إعراضهم عن القرآن حُمُر وحشية نافرة.

.51

فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (51)

{فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ}

هربت من أسد؛ من القسر بمعنى القهر؛ لأنه يقهر السباع. أو من جماعة الرُّماة الذين يصطادونها.

.52

بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً (52)

{صُحُفًا مُنَشَّرَةً}

كُتبا مفتوحة غير مطوية، يقرؤها كل من يراها. وهو كقولهم: { .. وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ .. (93)} [الاسراء].

.53

كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (53)

.54

كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (54)

.55

فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (55)

.56

وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (56)

{أَهْلُ التَّقْوَى}

أهلُ أن يتقيه عباده.

والله أعلم.

سُورَةَ القِيَامَة

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1)

{لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}

أي أقسم به.

.2

وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (2)

{وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ }

وأقسم بالنفس اللوامة. (ولا) زائدة في الموضعين؛ كما في قوله تعالى: {لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ .. (29)} [الحديد]. {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ .. (65)} [النساء]، وقولهم: لاوأبيك. إذ لا فرق بين زيادتها أول الكلام أووسطه. وقيل: هي نفي وردٌّ لكلام مضى من المشركين؛ حيث أنكَروا البعث والجزاء. كأنه قيل (لا)! أي ليس الأمر كما زعموا. ثم قيل: أُقسِم بيوم القيامة الذي يُبعث فيه الخلق للجزاء.

أي وأقسم بالنُّفوس اللّوامة، المتَّقية التي تلوم أنفسها على ما فات، وتَنْدَم على الشر لِمَ فعلته أو على الخير لِمَ لم تستكثر منه! فهيَ على الدوام لائمة لأنفسها. وجواب القسم محذوف لدلالة ما بعده عليه؛ أي لتُبعثنَّ وتُحاسبن على ما عملتم.

.3

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (3)

{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ}

بعد التفرق والبِلى!؟ استفهام تقريع وتوبيخ. والمراد بالإنسان جنسه، أوالكافر المنكر للبعث. وخُصَّ العظام بالذكر لأنها قالب الخلق.

.4

بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (4)

{بَلَى}

نجمعها ونؤلف بينها ونردها إلى أماكنها من الجسم كما كانت؛ بعد تفرقها وصيرورتها رميما ورُفاتًا حيثما كانت.

{قَادِرِينَ}

حال من فاعل الفعل المُقَدَّر بعد (بَلى) أي نجمعها قادرين.

{عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ}

أي نجعلها مستوية الخلْق. يقال: سوى الشئ: أي جعله سويا أي مستويا. والبنان أي الأصابع أو الأنامل، جمعُ بنانة. ويقال لكل مفصل منها: بَنانَة. أي قادرين على أن نجعل أصابعه أو أنامله بعد جمعها وتأليفها خلقا سويا كما كانت قبل الموت، وخصت بالذكر لأنها آخر مايتم به الخلق؛ فذِكرُها يدلُ على تمام خلق سائر الأعضاء. أو قادرين على أن نسوِّيَ ونضمَّ سُلامياتِه، مع صغرها ولطافتها؛ كماكانت في الحياة الأولى فكيف بالعظام لكبار!؟

.5

بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (5)

{بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ}

أي بل أيريدُ أن يمضيَ قُدما في الفجور فيما بين يديه من الأوقات ومايستقبله من الزمان ويدوم عليه! لا يثنيه عنه شيء ولايتوب منه؛ ومن ذلك إنكاره البعث وسؤاله عنه سؤال استهزاء بقوله: { .. أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (6)} أي متى يكون!

.6

يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (6)

{يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ}

أي متى يكون!

.7

فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (7)

{فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ}

وقرئ بفتح الراء، وهما لغتان بمعنى واحد. أي تحيَّر فَزَعًا ودهشا من رؤية ماكان يكذّبه. وأصْلُه من بَرِق الرجل–كفَرِح ونصر–: إذا نظر إلى البرق فَدَهِش ولم يُبْصِر. وقيل: المفتوح من البريق؛ أي لمعَ من شدة شخوصه.

.8

وَخَسَفَ الْقَمَرُ (8)

{وَخَسَفَ الْقَمَرُ}

ذهب ضوءُه.

.9

وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (9)

{وَجُمِعَ الشَّمْسُ .. }

أي قرن بينهما في الطلوع من المغرب.

.10

يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (10)

{يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ .. }

أي يوم إذ تقع هذه الأمور، وهو يوم القيامة: أيْن الفرار من الله أو من العذاب؟

.11

كَلَّا لَا وَزَرَ (11)

{كَلَّا}

رَدعٌ عن طلب المفر وتمنيه.

{لَا وَزَرَ}

لاملجأ ولامنجى لكم. وأصله: الجبل المنيعُ؛ من الوِزر وهو الثَّقْل، ثم شاع وصار حقيقة لكل مِلْجأ من جبل أوحِصْن أوغيرهما.

.12

إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (12)

.13

يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (13)

{يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ .. }

أي بما عمل وما ترك؛ أو بما قدم قبل موته من عمل صالح أو سيئ، وما أخّر من سُنّة حسنة أو سيئةٍ يُعمل بها بعد موته.

.14

بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14)

{عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ}

حُجّة بينة على نفسه، شاهدة بما كان منه من الأعمال السيئة، أو بل جوارحُه على نفسه بصيرة، أي شاهدة.

.15

وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (15)

{وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ}

ولو أدْلى بأية حُجَّة يعتذر بها عن نفسه، ويدافع بها عنها – لم ينفعه ذلك؛ وهو كقوله تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ .. (52)} [غافر]. جمع معذرة بمعنى العُذْر،.وهو تحري الإنسان ما يمحو به ذنوبه.

.16

لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16)

{لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ .. }

الخطابُ له – صلى الله عليه وسلم –، والضمير للقرآن. وقد كان عند نزول الوحي وقبلَ الفراغ منه يحرّك به لسانه وشفتيه مخافة أن ينفلت منه، يريد أن يحفظه؛ فأنزل الله تعالى الآية. فكان بعد ذلك إذا أتاه جبريل بالوحى أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله تعالى.

.17

إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17)

{إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ}

في صدرك؛ بحيث لا يذهب عنك شيء منه.

{وَقُرْآنَهُ}

أي إثباتَ قراءته في لسانك؛ بحيث تقرؤه متى شئت. فالقرآن مصدر كالغفران بمعنى القراءة؛ مضافٌ إلى المفعول بتقدير مضاف.

.18

فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18)

{فَإِذَا قَرَأْنَاهُ}

أتممنا قراءتَه عليك بلسان جبريل المبلغ عنّا.

{فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}

فاتبع بذهنك قراءتَه؛ أي فاستمع وأنصت حتى يرسخ في قلبك، ثم اقرأ.

.19

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19)

{ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}

أي بيان ما أشكل من معانيه وأحكامه.

.20

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (20)

{كَلَّا}

إرشادٌ له – صلى الله عليه وسلم – لترك العجلة، وترغيب له في الأناة

{بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ}

خطاب لمن تتأتَّى مخاطبته. كأنه قيل: بل انتم ايها الناس لأنكم خلقتم من عجل، وجبلتُم عليه، تعجلون في كل شيء! ولذا تحبون العاجلة

.21

وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (21)

{وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ}

أو إنَّ الذي دعاكم إلى إنكار البعث والجزاء، انما هو محبتكم الدنيا العاجلة، وإيثاركم لشهواتها على آجل الآخرة ونعيمها! فأنتم تؤمنون بالعاجلة وتكذبون بالآجلة!

.22

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22)

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ}

حسنةٌ مشرقةٌ، جميلةٌ من النعيم والغِبطة، وهي وجوه المؤمنين المخلصين: من النَّضرة وهي الحسن.

.23

إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23)

{إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}

ناظرة إلى ربِّها يوم القيامة، تراه على ما يليق بذاته سبحانه! وكما يريد أن تكون الرؤية له عزوجل، بلا كيفية ولا جهة؛ ولا ثبوت مسافة.

.24

وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (24)

{وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ}

كالحة شديدة العُبوس، وهي وجوه الكفار؛ وذلك قبل الانتهاء بها الى النار؛ من البَسْر [المدثر:22].

.25

تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (25)

{تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ}

تُوقِن أوتتوقع تلك الوجوه – والمراد أربابها – أن يُفعل بها فعل هو في شدَّته وفظاعته داهية عظيمة، تقْصِم فقار الظَّهر. يقالُ: فقرته الفاقرة، أي كسرت الداهيةُ فَقَار ظهره. وأصلُ الفَقْر: الوسم على انف البعير بحديدة او نار حتى يخلص إلى العظم. أو ما يقرب منه.

.26

كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (26)

{كَلَّا}

ردعٌ عن إيثار العاجلة. كانه قيل: ارتدعوا عن ذلك! وتنبهوا للموت الذي تنقطع عنده العاجلة، وتنتقلون به إلى الآجلة.

{إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ}

بلغت الروح التراقي–أي أعالي الصدر– وهي العظام المُكتنفة ثُغرَة النَّحر عن يمين وشمال، وهي موضع الحشرجة؛ جمع ترقوة وهو كناية عن الإشفاء على الموت. وجواب (اذا) محذوفٌ تقديره: وجدَ الإنسانُ ما عمله من خير أوشر. أو انكشفت له حقيقة الأمر.

.27

وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (27)

{وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ}

قال من حضر صاحبها: هل من طبيب يَرْقيه ويشفيه ويداويه!

وينجيه مما هو فيه برُقيته ودوائه!؟ من الرُّقية، وأصلها: ما يستشفا به الملسوع والمريض من القول الذي يُظنُّ أنه نافع في ذلك. والمراد من يَطِبّه بالقول أو بالفعل حتى ينجُو. وهو استفهام استبعاد وإنكار، أي قد بلغ حدا لا يستطيع معه أحد أن ينجيه من الموت. وفي رواية حفص عن عاصم سكتة لطيفة بين (من) و (راق).

.28

وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (28)

{وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ}

أيقن المحتضر. أوتوقّع أنه الموت الذي يفارق به الدنيا ونعيمها؟ أو تفارق فيه الرُّوح الجسد. وسُمِّي اليقين ظنًّا لأن الإنسان مادامت روحه متعلقة ببدنه فإنه يطمع في الحياة، ولاينقطع رجاؤه منها لشدة حُبِّه لها.

.29

وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29)

{وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ}

التوت ساقُه بساقه عند هلع الموت وقلقه، اويَبستا ولم تتحركا بالموت فكأنهما ملتفتان، أوهو كنايةٌ عن الشدة؛ كما في قوله تعالى: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ .. (42)} [القلم]؛ أي التفت شدة فراق الدنيا بشدّة إقبال الآخرة.

والعرب لا تذكر الساق إلا في المحن والشدائد العظام؛ ومنه قولهم: قامت الحرب على ساق.

.30

إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (30)

{إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ}

إلى حكم الله تعالى سَوْقه لا إلى غيره. مصدر ميمي كالمقال.

.31

فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى (31)

{فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى}

أي فلاصدق ذلك الإنسان الذي حسب أن لن نجمع عظامه بما يجب التصديق به، ولاصلى مافرض عليه. والجملة معطوفة على قوله {يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (6)} أي يسأل عنه، وما استعد له بما يجب عليه؛ بل بما بوجب دمارَه وهلاكه.

.32

وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (32)

.33

ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (33)

{ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى}

يتبخترُ افتخارًا بذلك، من المَط بمعنى المد. وأصله يتمطط، قلبت فيه الطاء حرف علة؛ كما قالوا: تظنَّ الظن، وأصله تظنن، أطلق على التبختر. لأن المُتبختر يمد خطاه.

.34

أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (34)

{أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى}

كلمة دُعاء وتهديد. أي قاربك مايُهلكك؛ أي نزل بك [القتال:20] وكُرّر للتأكيد. وذهب أَجْلال إلى أن المعنى: ولِيَكُ ماتكره! فهو أوْلى بك! والجملة الأولى للدعاء عليه بقرب المكروه، والثانيةُ للدعاء عليه بأن يكون أقرب اليه من غيره.

.35

ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (35)

.36

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36)

{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ .. }

أي أيظن أن يترك مُهملا فلا يُكلف ولا يجزى! أوأن يُترك في قبره فلا يبعث!. يقال: إبلٌ سُدى، أي مهملة بلا راعٍ. وأسْدى الشيء: أهمله، والاستفهام إنكارى.

.37

أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (37)

{أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً}

أي كيف يحسب ذلك ويجحدُ قدرتنا على بعثه! ألم يك قطرةَ ماء تُصبُّ في الرَّحم وتُراقُ فيه ا؟

.38

ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (38)

{ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً}

قطعة دم مُتَّجمد!؟

{فَسَوَّى}

فسواه الله بقدرته تسوية، وعدله تعديلا بنفخ الروح فيه، بعد تصويره في أحسن صورة.

.39

فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (39)

{فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ}

الصنفين

{الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى}

بدلٌ من الزوجين.

.40

أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (40)

{أَلَيْسَ ذَلِكَ}

أليس ذلك الرب العظيم الشأن والقدرة، الذي أبدع هذا الإبداع

{بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى}

ويبعثهم نشأة أخرى. وكان صلى الله عليه وسلم إذا قرأ هذه الآية قال: (سبحانك اللهم وبلى).

واللهُ أعلم

سُورة الإنْسان

بسم الله الرحمن الرحيم

وتُسمى سُورة الدهر. وهل أتى

.1

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (1)

{هَلْ أَتَى}

أي قد أتى على نوْع الإنسان. والمرادُ بنوآدم.

{حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ}

طائفة محدودة من الزمان الممتد غير المحدود. والدهر: يطلق على كل زمان طويل غير معين، وعلى مدة العالم كله.

{لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا}

بالإنسانية بل كان نطفة، ثم عَلقةً، ثم مُضغةً.

.2

إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2)

{مِنْ نُطْفَةٍ}

من منيٍّ؛ وهو ماءُ الرجل وماء المرأة، امتزج أحدهما بالآخر؛ كماقال تعالى:

{أَمْشَاجٍ} أي أخلاط بمعنى مختلط ممتزج من الماءيْن، أو من عناصر شتّى. يقالُ: مشج بينهما– من باب ضرب– خلط ومزج، وهو جمعُ مَشَج كسبَب، أومَشِج ككتِف، أو مشيج كنصير. وقيل: مختلطة، وأمشاجٌ مفرد جاء على أفعال: كأعشار في قولهم: بُرمة أعشارٌ، أي متكسِّرة.

{نَبْتَلِيهِ}

مبتلين له؛ أي مريدين ابتلاءه واختباره بالتكاليف حين يتأهل لذلك.

{فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}

ليتمكن من الاستماع للآيات التّنزيلية – والنظر في الآيات التكوينية.

.3

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3)

{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ .. }

أي دللناه على ما يوصله إلى البُغية؛ بإنزال الآيات، ونصب الدلائل في حالتَيْ شكره وكفره، أو دللناه على الهداية والإسلام؛ فمنهم مهتد مسلمٌ، ومنهم ضالٌّ كافر. فقوله:

{إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} حالان من مفعول هدينا، و (إما) للتفصيل؛ باعتبار تعدد الأحوال مع اتحاد الذات، أوللتقسيم للمهديّ باختلاف الذوات والصفات.

.4

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (4)

{إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ}

بها يُقادون

{وَأَغْلَالًا}

تَجمع أيديهم إلى أعناقهم؛ بها يقيَّدون.

{وَسَعِيرًا}

نارا مستعرة، بها يُحرَقون.

.5

إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (5)

{إِنَّ الْأَبْرَارَ}

بيانٌ لجزاء الشاكرين إثر بيان جزاء الكافرين. والأبرار: جمعُ بَرّ، والبَرُّ: المطيع المتوسع في فعل الخير. وقد ذكر الله من أوصافهم التي استحقُّوا بها هذه الكرامة: أنهم يوفون بالنَّذر، ويخافون الآخرة، ويواسون المساكين

واليتامى والاسرى. وبيّن جزاءهم في الآيات التالية التى آخرُها آية (5).

{يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ}

أي من خمر، أو من إناء فيه خمرٌ. وإطلاق الكأس على الثاني حقيقةٌ، وعلى الأول مجاز وهو المرادُ هنا، لقوله تعالى:

{كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا}

والكافور: لا يُمزج بالإناء، وإنما يمزجُ بالخمر التي فيه، والمِزاج: ما يمزج به. والكافور: طيب معروف فيه بياض وبرودة، وله رائحةٌ طَّيبة. والمرادُ: كان شَوْبُها ماء يُشبه الكافور في أوصافه. أو أنه تعالى جعل في خمر الجنة الأوصاف المحمودة في الكافور. وعَبَّر عن ذلك بالمِزاج على سَبيل التجوُّز. وعن ابن عباس: كل ماذكر في القرآن مما في الجنة وسماه ليس له من الدنيا شبيه إلا في الاسم، فالكافور والزنجبيل، والأشجار والقصور، والمأكول والمشروب، والملبوس والثمارُ، لايُشبه ما في الدنيا إلا في مجرد الاسم. واللهُ سُبحانه وتعالى يُرغِّب الناس ويطمعهم بأن يذكر لهم أحسن شيء و ألذّه وأطيبه مما يعرفونه في الدنيا؛ لأجل أن يرغبوا ويسعوْا فيما يوصلهم إلى هذا النّعيم المُقيم.

.6

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (6)

{عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا}

بدلٌ من (كأس) على المحل بتقدير مضاف؛ أي يشربون كأسًا أي خمرا خمرَ عين يشرب منها المؤمنون.

{يُفَجِّرُونَهَا}

يجرونها حيث شاءوا من منازلهم بسهولة.

.7

يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (7)

{كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا}

كان عذابُه فاشيا منتشرا غاية الانتشار؛ من استطار الفجر؛ اذا انتشرَ ضوءُه. واستطار الغبارُ انتشر في الهواء وتفرق؛ كأنه طار في نواحيه.

.8

وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8)

.9

إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9)

{إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ}

أي قائلين ذلك لمن أعْطوهم الطعام، بلسان الحال أوبلسان المقال.

.10

إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (10)

{إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا}

أي قائلين: إنا نخاف من ربنا عذاب يومٍ شديد الهول، عظيمَ الامر، تعبس فيه الوجوه وتَكْلح لهوله؛ من شدة مكارهه وطول بلائه ووصف اليوم بالعبوس– وهو وصْف لأهله – مجاز في الإسناد؛ من باب: نهاره صائم.

{قَمْطَرِيرًا}

شديدًا كريهًا. يقال: اقْمَطر يومنا، اشتد. ويومٌ مُقْمَطر وقمطريرٌ: إذا كان شديدا غليظاً. أو شديدًا في العبوس، يقبض مابين العينين لشدته.

.11

فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (11)

{وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً}

أعطاهم حُسنًا وبهجة في الوجوه، وسرورًا في القلوب؛ بدل عبوس الكفار وحزنهم.

.12

وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (12)

.13

مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (13)

{مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ}

على السُّرُر في الحِجال، أو على ما يُتكأُ عليه من سرير أوفراش ونحوه [الكهف:31].

{وَلَا زَمْهَرِيرًا}

بردا مفرطاً؛ ومنه زمْهَر اليومُ: اشتد بردُه. و المراد: أن هواء الجنة معتدل؛ وفي الحديث: ان هواء الجنة سَجْسَج لا حرٌّ ولا بردٌ [رواه ابن ابي شيبة]. والسَّجسج: الظل الممتد ما بين الفجر وطلوع الشمس.

.14

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (14)

{وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا}

عطف على الجملة قبلها الواقعة حالاً من الضمير في (متكئين) أي أن ظلالَ الأشجار قريبة منهم. مظلّةٌ عليهم؛ زيادة في نعيمهم.

{وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا}

سُخِّرت لهم ثمارها تسخيرا، وسُهِّل تناولها لهم تسهيلا؛ بحيث يتناولها القائم والقاعد والمضطجع، لا يردُّ أيديهم عنها بُعد ولاشوْك؛ من قولهم: ذلِّل الكَرْم–بالضم–أي دُلِّيت عناقيده. وأصلُه من الذُّل– بالضم والكسر– ضد الصعوبة. والقُطوف: جمع قِطف– بكسر القاف– وهو العنقود حين يقطف، أوالثمار المقطوفة.

.15

وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (15)

{وَأَكْوَابٍ}

أقداح بلا عُرًى، أي من فضة؛ فيسهل الشُّرب منها من كل موضع فلايحتاج عند التناول إلى إدارتها.

{كَانَتْ قَوَارِيرَا}

جُعلت هذه الأكوابُ جامعة بين صفاء الزجاج وشفيفه وبريقه، وبياض الفضة وحسنها ولينها وشرفها؛ بحيث يرى ما فيها من خارجها: جمع قارورة، وهي في الأصل: إناءٌ رقيق صافٍ من الزجاج، توضع فيه الأشربة ونحوها وتستقر فيه، وعن ابن عباس: ليس في الجنة شيء إلاأعطيتم في الدنيا شبهه إلاقواريرَ من فضة.

.16

قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (16)

{قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا}

قدَّر الطَّائفون بها شرابها على مقدار رِيّ الشاربين من غير زيادة ولانقصان؛ وذلك ألذُّ وأشهي.

.17

وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (17)

{كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا}

أي كان مزاج الخمر التي يسْقَوْنها زنجبيلاً؛ والعربُ تستلِذ الشراب الممزوج به، أوماء يُشبه الزَّنجبيل في طيب رائحته [آية 5 من هذه السورة].

.18

عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (18)

{عَيْنًا فِيهَا .. }

بدلٌ من (كأس) بتقدير مضاف، أي خمر عين في الجنة تسمَّى سلسبيلا؛ أي توصف بأنها سلسة في الانسياغ، سهلة المذاق. وأصل السَّلسبيل: ما كان من الشراب غاية في السلاسة، وسهولة الانحدار في الحلق، فيشربون تارةً خمرا ممزوجة بما يشبه الكافور، وتارة خمرا ممزوجة بما يشبه الزنجبيل في غاية السلاسة والسهولة.

.19

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا (19)

{وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ}

دائمون على ما هم عليه من الطَّراوة والبهاء.

{حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا .. }

ظننتهم من حسنهم، وصفاء ألوانهم، وإشراق وجوههم، وإنبثاثهم في مجالسهم – دُرًّا مفرَّقا في عَرصات المجالس.

واللؤلؤ إذا

نثر على البساط كان اصفي منه [من كونه] منظوما.

.20

وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (20)

{وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ}

أي هناك؛ يعني في الجنة.

.21

عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (21)

{عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ}

أي فوقهم ثيابٌ مخضرة من سندس: وهو مارَقَّ من الديباج.

{وَإِسْتَبْرَقٌ}

وهو ما غَلُظ منه. وهما لفظان معرَّبان.

{شَرَابًا طَهُورًا}

أي نوعا آخر من الشراب بالغا في الطهر غايتة. أو أن الخمر التي سيسْقونها في الجنة شراب طاهرٌ، ولانجاسة فيه ولا قذارة كخمر الدنيا التي وصفها الله تعالى بأنها رجس.

.22

إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا (22)

.23

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا (23)

.24

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (24)

{وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ .. }

أي لا تطع منهم داعيا إلى الإثم، ولاداعيًا إلى الكفر. ولم يُؤتَ بالواو لاحتمال الكلام عليه النَّهي عن المجموع، ويحصل الامتثال بالانتهاء عن واحد دون الآخر. قال الزجاج: إنَّ (أو) ههنا أوكد من الواو؛ لأنك إذا قلت: لاتطع زيدا وعمراً؛ فأطاع أحدهما كان غَير عاص، فأذا أبدلتها بأو فقد دللت على أن كل واحدٍ منهما أهلٌ لأن يُعصى، ويُعلم منه النهي عن إطاعتهما معا.

.25

وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (25)

{وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ .. }

أي دُم على ذكره في جميع الأوقات. أو دم على الصلاة في البكرة وهي صلاة الفجر، وفي صلاة الظهر و العصر. ومن الليل وهي صلاة المغرب والعشاء. وإطلاق السجود على الصلاة مجاز؛ من إطلاق اسم الجزء على الكُلّ.

.26

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (26)

{سَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا}

وتهجد له هزيعًا طويلا من الليل. والأمرُ للوجوب على القول ببقاء وجوب قيام الليل عليه خاصة وعدم نسخه. وللنَّدب على القول بنسخه في حقه – صلى الله عليه وسلم –؛ كما نُسخ عن أمته بفرضيَّة الصلوات الخمس.

فالمراد به: نافلة الليل.

.27

إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا (27)

{يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ}

أي الدنيا ولذائذَها. وينبذون وراء ظهورهم {يَوْمًا ثَقِيلًا}

شديد الهَوْل–: وهو يوم القيامة–فلا يحسبون له حسابا.

.28

نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا (28)

{وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ}

قوينا وأحكمنا خَلْقهم بإعطائهم جميع القُوى. ومنها ربْطُ مفاصلهم وأوصالهم بعضها ببعض بالعُروق والأعصاب.

يقال: أسره الله، خلقه؛ أوبابُه: ضرب. وفرسٌ شديدُ الأسر: أي الخلق. والأسْرُ: القُوْة؛ مشتق من الإسار–

بالكسر– وهو القِدُّ الذي تُشدُّ به الأقتاب [الرَّحْلُ الصغير على قدر سَنام البعير]. يقال: أسرتُ القَتَب أسْرًا، شددته وربطته؛ ومنه الأسير لأنه يُكتَف بالإِسار. والمراد: الامتنان عليهم بأن الله تعالى سوَّى خلقهم وأحكمه؛ ثم كفروا به.

.29

إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (29)

{إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ .. }

إن هذه الآياتِ التى اشتملت عليها هذه السورة: موعظةٌ بالغة؛ فمن شاء أن يتخذ إلى الله تعالى وسيلة يتقرب بها إليه اتخذها.

.30

وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (30)

{وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} وما تشاءون شيئًا الا وقت مشيئة الله لمشيئتكم.

.31

يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (31)

والله أعلم.

سُورة المُرْسلات

بسم الله الرحمن الرحيم

نزلت بمكَّة على – صلى الله عليه وسلم – ليلة الجن، وهو بغار في منى يعرف بغار المرسلات. وقد شُدِّد فيها النكير على منكري البعث – والتهديد لهم بالويل والهلاك، وأقيم لهم من الأدلة مايجعل إنكارهم له في حيِّز المكابرة والعناد. وهي من أقوى السُوَر صدعًا لقلوبهم، وإنذارًا بسوء عاقبتهم. قد أقسم الله تعالى في صدرها على أن الساعة آتية، والبعث واقع لا محالة– بخمسة أشياء عظيمة من خلقه، ذُكرت صفاتها ولم تُذكر هي؛ فاختلف المفسرون في تعيينها اختلافًا كثيرا. والظاهرُ: أن المقسم به شيئان، فصل بينهما بالعطف بالواو المشعر بالمغايرة. وأنه تعالى أقسم أولًا بالرياح المرسلة لعذاب المكذبين، من الإرسال وهو التسليط والتوجيه، ووصفها بالعصف وهو الشِدَّة؛ لاهلاكها من تُرسل إليهم، أو لسرعتها في مضيّها لتنفيذ أمره تعالى. يُقال: عَصَفت الرِّيح– من باب ضرب– اشتدّت. وعصفت الحربُ بالقوم: إذا ذهبت بهم. وناقةٌ عصوف: تعصف براكبها فتمضي به كأنها ريح في السرعة. والعطف بالفاء هنا يؤذن بأنه من عطف الصفات.

وأقسم ثانيا بالملائكة، وهي من أعظم خلق الله قوة. طوعًا لأمره، وإسراعًا إليه. فوصفها بالناشرات؛ لنشرهن أجنحتهن في الجو لنزولهن بالوحي. أو لنشرهن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما يوحين للأنبياء والرسل.

وبالفارقات؛ لفرقهن بين الحق والباطل بنزولهن بالوحي. وبالملقيات ذكرا: لإلقائهن الذِّكر إلى الأنبياء والرسل ليبلِّغوه للأمم للإعذار والإنذار.

ومن المفسرين من جعل ألأوصاف الخمسة للرياح، ومنهم من جعلها كلها للملائكة، ومنهم من غاير بينها.

.1

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (1)

{عُرْفًا}

متتابعة متلاحقة حين إرسالها. يقال: طار القطا عُرْفا عُرْفا: أي بعضها خلف بعض، والمعنى على التشبيه. أي حال كونها في تتابعها وتلاحقها كعُرف الفَرس ونحوها. وهو مَنْبت الشعر والرِّيش من العنق.

.2

فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (2)

.3

وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (3)

.4

فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (4)

.5

فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (5)

{فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا}

أي وحيًا إلى الأنبياء والرسل، يُذِّكر الناس ويَعِظُهم.

.6

عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (6)

{عُذْرًا}

أي للإعذار – بمعنى إزالة اعذار الخلق؛ على حد قوله تعالى: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (165)} [النساء].

{أَوْ نُذْرًا}

أي للإنذار والتخويف بالعقاب عند العصيان.

.7

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (7)

{إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ}

أي إن الذي توعدون به من قيام الساعة لواقع لا محالة! وهو جواب القسَم.

.8

فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (8)

{فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ}

مُحِقت، أو ذهب ضوءُها فلم يكن لها نور. يقال: طَمَستُ الشيء – من باب ضَرَب – محوتُه واستأصلت أثرهُ.

وجواب (إذا) وما عُطف عليها محذوف ; تقديره: وقع ما توعدون أو بان الأمر. وقيل: هو {لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ} بإضمار القول. أي. يقالُ لأي يوم أجلت.

.9

وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (9)

{وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ}

شُقَّت أو فتحت؛ كما قالَ تعالى: {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (1)} [الانشقاق]. {وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (19)} [النبأ]. والفُرجَة: الشقُّ بين الشيئين؛ كفُرْجة – الحائط. ومنه: { .. وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (6)} [ق~] أي شقوق وفتوق.

.10

وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (10)

{وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ}

اقتُلعت وأزيلت من أماكنها. يقالُ: نَسفَ البناء يَنسفُه، قلعه من أصله. أودُكَّت وذُرِّيت في الهواء، كما تُذرّي الرياح التِّبن.

.11

وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (11)

{وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ}

بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظرُه، وهو يوم القيامة للفصل بينهم وبين المكذِّبين؛ من التوقيت وهو جعل الشئ منتهيا الى وقته المحدود.

.12

لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (12)

{لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ}

أي أُخِّرت الأمور المتعلقة بالرسل؛ من تعذيب الكفار وإهانتهم؛ وتنعيم المؤمنين ورعايتهم، وظهور اهوال الآخرة.

.13

لِيَوْمِ الْفَصْلِ (13)

{لِيَوْمِ الْفَصْلِ}

بين الخلائق او الحق والباطل.

.14

وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (14)

.15

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (15)

{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}

هلاكٌ أوعذابٌ يوم القيامة للمكذبين به وبأخباره، وهو وعيد شديد. تكررت هذه الآيةُ في هذه السورة عشر مرات، عقب كل آية كذّب بها الجاحدون. وكأن الويل قُسّم بينهم على قدر تكذيبهم؛ فلكل مكذِّب بشيء نوعٌ من العذاب غيرُ النوع الذي لتكذيبه بآخر.

.16

أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (16)

{أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ}

من الأمم المكذِّبة.

.17

ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (17)

{ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ}

أي أهل مكة. وهو وعيد لهم؛ لأنهم مثل السابقين.

.18

كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (18)

.19

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (19)

.20

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (20)

{مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ}

من نطفة حقيرة ضعيفة. وفي القُرطبي: إن هذه الآية أصلٌ لمن ذهب إلى أن خلق الجنين إنما هو من ماء الرجل وحده. اهـ. وليس كذلك! فإن المراد بالماء جنسه الصادِقُ بالماءيْن؛ كما تشير اليه آياتٌ أخرى. وكلاهما يطلق عليه نطفةٌ ومنيٌّ.

.21

فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (21)

{فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ}

مقرٌّ يتمكن فيه، وهو الرَّحِم.

.22

إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (22)

{إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ}

أي مؤخَّر إلى وقت معلوم عند الله تعالى لخروجه منه.

.23

فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (23)

{فَقَدَرْنَا}

على ذلك.

{فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ}

عليه نحن! وقُرئ (فقدَّرنا) بالتشديد؛ أي فقدّرنا ذلك الوقت المعلوم تقديراً محكماً، لا يتقدّم الانفصال عنه ولا يتأخر؛ فهو كقوله تعالى {مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (19)} [عبس]. وقيل: القراءتان بمعنى التقدير.

.24

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (24)

.25

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (25)

{كِفَاتًا}

الكِفاتُ: الموضع الذي يُكْفَت في الشيء، أي يُضمُّ ويقبض. يقال: كفت الشئ يكفِته كفْتا، ضمّه وقبضه، فهو اسم آلةٍ.

.26

أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (26)

{أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا}

مفعول لفعلٍ محذوف؛ أي تُكفِتُ أحياء كثيرة على ظهرها، واموانا كثيرة في بطنها؛ بمعنى تجمع و تضم. وقيل: هو جَمع كِفت وهو الوعاء، والارضُ أوعية– باعتبار أقطارها – للأحياء والأموات، و (أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا) منصوبان على المفعولية لـ (نجعل) [آية 25] بتقدير مضاف، أي ذاتَ أحياء وأموات.

.27

وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (27)

{وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ}

جبالاً ثوابت

{شَامِخَاتٍ}

مرتفعات، جمع شامخ، وهو المرتفع جدًا.

{مَاءً فُرَاتًا}

عذباً من الأنهار الجارية، والآبار والعيون والامطار؛ تشربون منه انتم ودوابّكم، وتسقون زرعكم.

.28

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (28)

.29

انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (29)

.30

انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (30)

{انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ .. }

أي إلى ظلٍّ من دخان جهنم الذي يتصاعد من وقودها، ثم يتفرق ثلاث فرق؛ شأن الدخان العظيم إذا ارتفع.

.31

لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (31)

{لَا ظَلِيلٍ}

لامظلل لهم من حرّ ذلك اليوم. وهو تهكم بهم، ورد لما أوهمه لفظ الظل.

{وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ}

ولا يدفع عنهم شيئاً من حر اللهب. وعُديَّ (يُغني) بـ (من) لتضمنُّه معنى يُبعِد.

.32

إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (32)

{إِنَّهَا}

أي جهنم

{تَرْمِي بِشَرَرٍ}

هو ما يتطاير من النار في كل جهة. واحده شَرَرَة.

{كَالْقَصْرِ}

أي كلّ واحدة منه في عِظَمها وارتفاعها كالقَصْر وهو البناء العالي. وقيل: هو الغليظ من الشجر، او هو قِطعٌ من الخشب نحو الذراع او اقلُ او أكثر يستعد به للشتاء، مفرده قصْرة.

.33

كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (33)

{كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ}

جمعُ جَمَل؛ كحجارة وحجر. وجمعها جمالات –بتثليث الجيم–وهيَ الإبل السود. و قيل: لها صُفْر وهي سود لأن سواد الإبل يضرب إلى الصفرة؛ كما قيل للظباء البيض أُدْم، لما يعلو بياضا من الكُدرة. شُبِّه الشَّرر حين ينفصل من النار في عِظمه بالقَصر، وحين يأخذ في الارتفاع والانبساط لانشقاقه وتشعبُّه عن اعداد غير محصورة بالجمالة الصُّفر في اللون، وسُرعة الحركة، والكثرة والانشقاق والتتابُع، إذ كان ذلك شأن هذه الإبل عند اجتماعها وتزاحمها و اضطراب امرها.

.34

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (34)

.35

هَذَا يَوْمُ لَايَنْطِقُونَ (35)

.36

وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (36)

{وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ}

في الاعتذار والتنصل

{فَيَعْتَذِرُونَ}

فيتنصلون مما أجرموا في حق الله. يقال: اعتذرت إليه، أتيتُ

بعُذر. والعُذر هو تحري الإنسان ما يمحو به ذنوبة وإساءَتِه.

.37

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (37)

.38

هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (38)

.39

فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (39)

{لَكُمْ كَيْدٌ}

حيلةٌ لاتقاء العذاب.

.40

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (40)

.41

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (41)

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ}

شروعٌ في ذكر أحوال المؤمنين، بعد الإطناب في ذكر أحوال الكافرين. أي إن المتقين متقلبون في فنون التّرفه والوان التَّنعم في الجنة.

{فِي ظِلَالٍ}

أي ظلالُ الأشجار وظلال القصور. جمعُ ظِل: ضد الضُّحى، و يقال لكل موضع لم تصل إليه الشَّمس: ظل. والجنةُ لاشمس فيها.

{وَعُيُونٍ}

من ماء وعَسَل ولَبَن وخمر.

.42

وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (42)

{وَفَوَاكِهَ}

وهي ما يُتفكَّهُ به ويُتنعَّم. جمع فاكهةٍ.

.43

كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43)

.44

إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (44)

.45

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (45)

.46

كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (46)

.47

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (47)

.48

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (48)

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا .. }

أي صلوا مع محمد وأصحابه لايصلُّون. وسميت الصلاة ركوعا باسم ركْنها. أو اخْشعوا واخضعوا وتواضعوا لله تعالى لا يقبلون، عُلُّوا واستكباراً.

.49

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (49)

.50

فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (50)

{فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ}

أي بعد القرآن الناطق بأخبار النشأتيْن على نمط بديعٍ معجز، مؤسس على حُجج قاطعة.

{يُؤْمِنُونَ}

إذا لم يؤمنوا به؛ اي لايؤمنون بشيء، بعده.

والله اعلم

سُورَةُ النَّبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

لما بُعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأنذر المشركين بالبعث في اليوم الآخر للجزاء– استبعدوا ذلك؛ فمنهم من جحده وعدَّه من المحال وقال: {إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (37)} [المؤمنون]. ومنهم من ارتاب فيه وقال: { .. مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (32)} [الجاثية]. وأخذوا: يتساءلون فيما بينهم سؤال استهزاء وإنكار، فأنزل الله تعالى تقريعًا لهم ووعيدًا:

.1

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1)

{عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ}

عن أي شيء يسألُ هؤلاء الجاحدون بعضهم بعضا. أويسألون الرسولَ – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين استهزاء، و (عمَّ) أصلها: عن ما؛ فأدغمت النون في ما الاستفهامية، وحذفت ألفها للتخفيف. وفي هذا الاستفهام وإبهام المستفهَمِ عنه إشعارٌ

بفخامة امره، وتشويقٌ للسامعين إلى معرفة شأنه؛ فبيّنه الله تعالى بقوله: {عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (2)}.

.2

عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (2)

{عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ}

أي يتساءلون عن الخبر العظيم الشان الذي جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم –، ونطقَ به القرآن.

.3

الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (3)

{الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ}

أي الذي هم عريقون في الاختلاف فيه: فمنهم الجازم باستحالته، ومنم الشّاك فيه، وجميعهم ينكرون الرسالةَ، ويكذِّبون الرسول، ويجحدون القرآن مكابرةً وعنادًا، وإلا فآياتُ صدقِه، و تواتر معجزاته التي أعظمها وأبينها القرآن المبين–كافياً في تصديقه! ودلائل قدرة الله تعالى على البعث في اليوم الآخر– ناطقة بإمكانه لمن عقل وتبصَّر!

.4

كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4)

{كَلَّا}

ردع وزجر عن ذلك التساؤل.

{سَيَعْلَمُونَ}

وعيد لهم وتهديد. أي ليرتدعوا عما هم عليه من التساؤل استهزاء عن البعث؛ فإنهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال إذا حل بهم النّكال. ثم أكد ذلك الردع والوعيد بقوله: {ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (5)}.

.5

ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (5)

ثم أقام الله لهم من دلائل قدرته على البعث عشرة أدلة، لا يسعهم إنكارها، ولامناص لهم من الإقرار بها؛ فكيف ينكرونه أو يشكُّون فيه بعد ذلك!؟

.6

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (6)

{مِهَادًا}

فراشاً موطّأً كالمهد؛ لتمكينكم من الاستقرار عليها والتقلُّب في أنحائها والانتفاع بما أودعناه لكم فيها. والمهاد: مصدرٌ بمعنى مايُمَهَّد؛ وجُعلت به الأرض مهادا مبالغة في جعلها موطئا للناس والدواب يقيمون عليها. أوبتقدير مضاف , أي ذات مهاد.

.7

وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (7)

{وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا}

كالأوتاد للأرض؛ أي أرسيناها بالجبال لئلا تَميد وتضطرب؛ كما يُرسى البيت بالأوتاد لئلا تَعصف به الرّياح. جمعُ وتَد بفتح التاء وكسرها – وفعلُه كوعَد.

.8

وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (8)

{وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا}

مزدوجبن ذكرا وأنثى. ليتأتى التناسل وحفظ النوع، وتنظيم أمر المعاش في الأرض. أو أصنافاً في اللَّون والصُّورة، واللغة والقُوى، والمواهب والطبائع؛ لاقتضاء الحكمة هذا الاختلاف بين بني الإنسان.

.9

وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (9)

{وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا}

أي قَطْعا لأعمالكم. وهو إشارة إلى ماقاله تعالى في صفة الليل: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ .. (67)} [يونس] لتستريحوا فيه من عناء العمل طول النهار؛ من السَّبت وهو القطع. يقالُ: سَبتّ الشئ سَبْتا، قطعه. وسَبت شَعرَه وسلتَه: حلقه؛ والفعل كضرب ونصر. أو جعلناه نومًا غير ممتدٍّ حتى لايختل أمرُ معاشكم؛ من السَّبت بمعنى الراحة والسكون. يقال: سَبَت يسبُت، استراح وسكن.

.10

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (10)

{اللَّيْلَ لِبَاسًا}

سترًا لكم بما يغشاكم من ظُلمته؛ كما يغشى اللَّباس لابسه ويستره.

.11

وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (11)

{النَّهَارَ مَعَاشًا}

وقت معاش لكم تتقلّبون فيه لتحصيل ما تعيشون به.

.12

وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (12)

{سَبْعًا شِدَادًا}

سبع سموات قويّاتٍ محكمات، لايتطرق إليهنَّ فُطور ولاشقوقٌ على مَرّ الدهور، إلى أن يأتى أمر الله فيها من عجائب الخلق وبديع الصنع مايشهد بقدرة العليم الحكيم.

.13

وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (13)

{وَجَعَلْنَا سِرَاجًا}

أنشأنا في السماء مصباحا زاهرا مضيئًا، وهو الشمس.

{وَهَّاجًا}

بالغًا في الحرارة؛ من الوهج وهو الحرارة من بعيد، ومنه توهَّجت النار: توقدت. والشَّمس جامعة بين الإضاءة التى أشير إليها بالتعبير عنها بالسِّراج، وبين الحرارة التي أشير إليها بوصفه بالوهّاج. امتن الله على الخلق بإبداعها مضية حارة؛ لما في ذلك من المنافع العظمى التي لايحيط بها الوصف، والتي تتوقف عليها الحياة على سطح الارض.

.14

وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (14)

{مِنَ الْمُعْصِرَاتِ}

من السحائب التي قد آن لها إن تَمطُر لامتلائها بالماء. أوالتي تتحلّب بالمطر قليلا، ولمَّا تصبّه صبًّا. جمع مُعصِر.

{مَاءً ثَجَّاجًا}

منصبًّا بكثرة. يقال: ثَجَّ الماء –من باب ردّ–إذا انصب بكثرة. وثجّه: صبه كذلك. ومطر ثجاج: شديد الانصباب جدًّا.

.15

لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (15)

{لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا}

مايقتات به الناس كالحنطة والشعير.

{وَنَبَاتًا}

ما تعتلف به الدواب كالتبن والكلأ.

.16

وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (16)

{وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا}

بساتين ملتفة الشجر لتقارب اغصانها. و {أَلْفَافًا} اسم جمع لامفرد له؛ كالأوزاع للجماعات المتفرقة. وقيل: جمع لفيف؛ كأشراف وشريف.

وبعد أن بين الله لهم بهذه الدَّلائل المشاهدة قدرته ليلزمهم الحجة في أمر البعث حتى لا يجدوا سبيلا الى جحوده.

هدَّدهم أشد التهديد ببيان أن السّاعة آتيةٌ لامحالة، وفيها فصْل القضاء بين الحقِ والباطل، والحساب والجزاء فقال:

.17

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (17)

{إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا}

ميعادًا لبعْث الأولين والآخرين، ومايترتب عليه من الجزاء ثوابا وعقابا؛ لا يتقدم ولا يتأخر.

.18

يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (18)

{يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ}

للبعث من القبور.

{فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا}

أمماً مع كل أمة إمامُها؛ كما قال تعالى: {يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ .. (71)} [الاسراء]؛ أو زُمَرا أوجماعاتٍ مُختلفة الأحوال حسب اختلاف الأعمال. جمعُ فوج.

.19

وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (19)

{وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ .. }

شُقت وفُرجت لنزول الملائكة، فصارت شقوقها لسعتها كالأبواب؛ وهو كقوله تعالى: {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (1)} [الانشقاق] وقوله {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (1)} [الانفطار] وقوله: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (25)} [الفرقان].

.20

وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (20)

{وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ}

في الجوِّ على هيئتها بعد تفتتها، وقلعها من مقارّها.

{فَكَانَتْ سَرَابًا}

أي فصار بعد تسييرها كالسَّراب. فتُرى بعد تفتُّتها وارتفاعها في الهواء كانها جبال وليست جبالاً؛ وإنما هي غبار يتكاثف ويتراكم، يُرَى من بُعْدٍ كأنه جبل؛ كالسّراب يرى من بعد كأنه بحر وليس به.

.21

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (21)

{كَانَتْ مِرْصَادًا}

كانت معدة مهياة {لِلطَّاغِينَ}؛ من قولهم: ارصدت له، اي اعددت له.

وكافأته بالخير أو بالشر. أوموضع رصْدٍ وترقب؛ تَرْصدهم فيه خزنة النار لتعذيبهم.

.22

لِلطَّاغِينَ مَآبًا (22)

{مَآبًا}

مرجعا يرجعون إليها ويأوون فيها؛ بدل من (مرصادا).

.23

لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (23)

{لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا}

ماكثين فيها دهور متتابعة لانهاية لها، كلما مضى دهرٌ تبعه دهر. جمع حُقب – بضم فسكون وبضمّتين – وهو الدهر.

.24

لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (24)

{لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا}

أي شيئًا من الرَّوح والراحة ينفس عنهم حرّها.

{وَلَا شَرَابًا}

أي شيئا من الشراب يُطفيء غُلَّتهم، ويخفِّف عطشَهم.

.25

إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (25)

{إِلَّا حَمِيمًا}

أي و لكن يذوقون فيها حميماً، وهو الماء البالغ نهاية الحرارة.

{وَغَسَّاقًا}

وهوَ مايسيل من جلودهم من القَيح والصَّديد. يقال: غَسَق الجُرح– كضرب وسَمِع–غَسَقانا. سال منه ماء أصفر.

.26

جَزَاءً وِفَاقًا (26)

{جَزَاءً وِفَاقًا}

أي جُوزُوا بذلك جزاء موافقا لأعمالهم؛ كما يقتضيه العدل والحكمة. مصدرٌ بمعنى اسم الفاعل.

.27

إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (27)

.28

وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (28)

{وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا}

تكذيبًا مفرطا. ومجئ فِعَّال بمعنى تَفْعيل في مصدر فَعَّل، شائع في الفصيح.

.29

وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (29)

{أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا}

أي إحصاء، مصدر مُؤَكّد من معنى احصيناه. و الاحصاء: التحصبل بالعدد، وأصْله من لفظ الحصا. واستُعمل فيه من حيث إنهم كانوا يعتمدون على الحصا في العدد؛ كاعتادنا فيه على الاصابع.

.30

فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (30)

.31

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (31)

{إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا}

بيان لمحاسن أحوال المؤمنين إثر بيان سوء أحوال الكافرين، و {مَفَازًا} أي نجاة من العذاب، أو ظفرًا بما طلبوا من النَّعيم، أو موضع فَوْز وهو الجنة. والفَوْز: الظَّفر بالخير مع حصول السلامة.

.32

حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (32)

{حَدَائِقَ}

بساتين فيها ماءٌ وأشجارٌ مثمرة، ورياض وأزاهير. جمعُ حديقة: سمّيت بذلك تشبيهاً لها بحدقة العين في الهيئة وحصول الماء فيها.

.33

وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (33)

{وَكَوَاعِبَ}

جمعُ كاعب، وهي الفتاة التي تكَعَّب ثدياها؛ أي استدارا مع ارتفاع يسير، وذلك يكون عند البلوغ. يقال: كعبت الجارية – من باب دخل –بدا ثديها للنُّهود، فهي كَعَاب وكاعِب.

{أَتْرَابًا}

أي لِدات ينشأن معا في سن واحدة؛ تشبيها لهن في التساوي والتماثل بالترائب، وهي ضلوع الصدر.

.34

وَكَأْسًا دِهَاقًا (34)

{وَكَأْسًا دِهَاقًا}

أي مُترعة مليئة. يقال: دَهَق الحوض–كجعل–وأدهقه، ملأه. وأصلُه من الدهق، وهو ضغط الشئ وشدُّه باليد، كأنه لامتلائه انضغط.

.35

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (35)

{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا}

أي مالا يُعتد به من الكلام، وهو الذي يصدر لا عن فكر وَرويّة. أوكلاما قبيحا.

.36

جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (36)

{عَطَاءً}

إحساناً وتفضلاً.

{حِسَابًا}

كافيا. مصدرٌ أقيم مقام الوصف؛ من قولهم: أحسَبَه الشئ, اذا كفاه حتى قال حسبي.

.37

رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (37)

{خِطَابًا}

إلاّ بأذنه.

.38

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (38)

{يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ .. }

يوم يقوم جبريل عليه السلام بين يدي

الجبار، ترتعد فرائصه فَرَقا من عذابه تعالى، وقد عُبر عنه في آيات كثيرة بالرُّوح، ويقوم الملائكة صافِّين أنفسهم صفوفًا، وذلك يوم القيام.

.39

ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا (39)

{فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ}

أي فمن شاء أن يتّخذ مرجعا إلى ثواب ربّه، فعل ما يوجبه من الإيمان والطّاعة في الدنيا.

{مَآبًا}

مرجعاً بالإيمان والطاعة.

.40

إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (40)

{يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا}

يتمنى الكافُر أن لو كان في الدنيا ترابا؛ فلم يخلق بشرا ولم يُكلَّف. أو أن لوكان في الآخرة تُرابا، فلمْ يبعث ولم يحاسَب، ولم يُجاز بكفره.

والله أعلم.

سُورَةُ النَّازعاتِ

بسم الله الرحمن الرحيم

وتُسمَّى سورة السَّاهرة و الطّامة

.1

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (1)

أقسم الله تعالى في الآيات الخمس بطوائف من الملائكة موكَّلين بأعمالٍ جسام بأمره تعالى–على أن الخلق لابُدَّ أن يُبعثوا ويحاسبوا في اليوم الآخر. وحذف جوابُ القسم لدلالة مابعده عليه، والتقدير لتُبعثنَّ.

{وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا}

فأقسم الله تعالى بالملائكة التي تنزِع أرواح الكفار من أقاصي أجسامهم نزعًا بالغ الغاية في الشدة؛ من النَّزْع وهو جذب الشيء من مقره بشدة، كنزع القَوْس عن كبده.

{غَرْقا}

أي إغراقًا ونزعًا شديدًا. يقال: أغرق في الشئ يغرق فيه إذا أوْغل وبلغ أقصى غايته. ومنه قولهم: نزع في القوس فأغرق، أي فبلغ غاية المدّ حتى انتهي إلى النَّصْل. منصوب على المصدرية، وكذلك {نشطًا} و {سبحًا} و {سبقًا}.

.2

وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (2)

{وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا}

ثم أقسم بطائفة أخرى من الملائكة تنشط أرواح المؤمنين برفق ولين، دون تلك الشدة التي تُنْزع بها أرواح الكفار نزعا؛ من النَّشْط، وهو الإخراج برفق وسهولة. يقال: نشطتُ الدَّلو من البئر– من باب ضرب– إذا نزعتها بلا بَكَرة؛ ومنه بئرٌ أنشاط: قريبةُ القَعْر يخرج منها الدلو بجذبة واحدة.

.3

وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (3)

{وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا}

ثم أقسم بطائفة أخرى من الملائكة تنزل من السماء مسرعة بما أمرت به لتدبيره؛ كالفرس الجواد إذا أسرع في جرْيه يقال له: سابح.

.4

فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (4)

{فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا}

صفة للنّازعات والنّاشطات؛ أي المسرعات بأرواح الكفار التى نزعتها إلى النار، وبأرواح المؤمنين التى نشطتها إلى الجنة. والعطف بالفاء للدلالة على ترتيب ما بعدها على ماقبلها بغير مهلة.

.5

فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (5)

{فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا}

صفة للسابحات، {وأمرا} مفعول به.

ونسبة التَّدبير إلى الملائكة مجاز؛ فإن كلَّ المحدثات بقضاء الله وتقديره وتدبيره. وللمفسرين أقوالٌ أخرى في تفسير هذه الأقسام.

.6

يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (6)

{يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ}

أي لتبعثُن يوم النفخة الأولى التى تضطرب الأرض بها فيموت كلُّ شيء عليها بأمره تعالى. وسُمِّيت راجفة من الرَّجف. وهو الاضطراب الشديد؛ لأن بها يضطرب الأمر ويختل النظام.

.7

تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (7)

{تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ}

هي النفخة الثّانية التي تردُف الأولى ويبعث فيها الموتى بأمره تعالى. يقالُ: رَدِفه –كسَمِعه ونَصَره – إذا تَبِعه؛ كأردفه. وسُمّيت رادفة لمجيئها بعد الأولى. والجملة حال من (الراجفة).

.8

قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (8)

{قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ}

أي قلوبٌ في ذلك اليوم شديدة الاضطراب من الخوف والفزع. يقالُ: وَجَف القلبُ يَجِف وجْفًا ووجيفاً، إذا اضطرب من شدة الفزع، وأصلُ الوجف: سرعة السير. يقال: أوجفتُ البعير، أي أسرعته، واستُعمل فيما ذكر مجازاً لعلاقة اللُّزوم.

.9

أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (9)

{أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ}

أي أبصار أهلها – وهم منكرو البعث– ذليلة مما قد علاهم من الكآبة والحزن؛ لما يَرَون من عظيم الهَوْل. والجملة خبر (قلوب) و (واجفة) صفة لها.

.10

يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (10)

{يَقُولُونَ أَإِنَّا .. } أي يقولون إذا قيل لهم إنكم تُبعثون – منكرين له ومتعجبين منه –: أنردُّ إلى الحياة التي كنا فيها بعد أن نموت و نفنى!؟ يقال: رجع فلان في حافرته وعلى حافرته، أي طريقه التى جاء فيها فحفرها بمشيه؛ ثمَّ كنَّى به عن الرجوع إلى الأحوال التي كان عليها الإنسان من قبل.

{فِي الْحَافِرَةِ}

إلى الحالة الأولى (الحياة). ثمّ أكدوا ذلك بقولهم {أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (11)}.

.11

أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (11)

{أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً}

أي أئذا صِرنا عظاما بالية: نردُّ ونبعث مع كونها أبعدَ شيئ من الحياة؟! والاسفهام بمعنى الإنكار؛ من نَخِر العظم – من باب تعب–بَلِي وتفتت. وقرئ (ناخِرَة) بمعنى نَخِرة. أو بمعنى فارغة جوفاء، يجئ منها عند هبوب الريح نخير، أي صوت.

.12

قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (12)

{كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ}

رجعة خائبة غير رابحة! والكَرَّة من الكَرّ، أي الرجوع. وجمعها كَرّات. والخسران: ضد الربح، ونسبته إليها مجاز. والأصل خاسرٌ أصحابها، وهو استهزاء منهم.

.13

فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (13)

{فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ}

أي لا تحسبوا هذه الكرة صعبة على الله! فإنما هيَ حاصلة بصيحة واحدة وهي النفخة الثانية، وهيَ أهون شيء؛ من قولهم: زَجَر البعير– من باب نصر –إذا صاح عليه.

.14

فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (14)

{فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ}

فإذا هم حضور بالموقف في الأرض المستوية الخالية من النبات. وسُمِّيت ساهرة لأن السّراب يجري فيها؛ من قولهم: عينٌ ساهرة، أي جارية الماء. وفي ضدها: عين نائمة. وقيل الساهرةُ: وجهُ الأرض. والعربُ تُسمِّيه ساهرة؛ لأن فيه نومَ الحيوان؛ وسهرَه، فوصف بصفةٍ ما فيه. وقيل الساهرة: أرض الشام.

.15

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (15)

{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى .. }

تسلية للرسول صلى

الله عليه وسلم، وتهديدٌ لقومه أن يصيبهم بتكذيبهم مثل ما أصاب من كان اقوى واعظم منهم، اي أليس قد أتاك حديثه!

.16

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (16)

{طُوًى}

اسم للوادي المقدس بأرض الشام.

.17

اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (17)

{إِنَّهُ طَغَى}

جاوز الحَدَّ في الطغيان والضلال، بالتكبر على الله، والتجبر على الخلق واستعبادهم.

.18

فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (18)

{هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى}

هل لك ميل الى التزكية وتطهير النفس من الرِّجس والعناد. وهو طلبٌ ودعاء إلى التزكية في تلطف ورفق؛ كما يُقال: هل لك في الخير! وهل لك إلى الخير! أي ميل إليه وانعطاف.

.19

وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (19)

.20

فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (20)

{فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى}

هيَ قلب العصا حيّة. أو هي و اليَدُ البيضاء. و أطلق عليهما آية لاتحادهما مقصِدا.

.21

فَكَذَّبَ وَعَصَى (21)

.22

ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (22)

{ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى}

ثم تولى واعرض عن الإيمان والطاعة، مُجِدًّا في إبطال أمره ومعارضة آيته.

.23

فَحَشَرَ فَنَادَى (23)

{فَحَشَرَ}

فجمع السحرة من المدائن، أو الجُند. أو هما؛ من الحَشر، وهو إخراج الجماعة من مقرّهم، وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوه.

.24

فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24)

.25

فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (25)

{فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ .. }

أي نَكل الله به نكال الآخرة بالإحراق، والأولى بالإغراق. والنِّكال: مصدرٌ بمعنى التنكيل، وهو التعذيب الذي ينكل من رآه أو سمعه، ويمنعه من تعاطي ما يُفضِي إليه. يقال: نكل فلان بفلان، إذا أثخنه عقوبة. وهو منصوب على أنه مصدر مؤكِّد لـ (فأخذه) لأن معناه نكَّل به.

.26

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (26)

.27

أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (27)

{أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا}

أي أخلقكم بعد موتكم أصعب وأشق؛ {أَمِ السَّمَاءُ} نبههم فيه إلى امر معلوم بالمشاهدة، وهو أن خلق السماء أعظمُ وأبلغ في القدرة. وإذا كان الله قادراً على إنشاء العالم الأكبر، يكون على خلق العالم الأصغر بل على إعادته أقدر. ثم أشار إلى كيفية خلق السماء بقوله،:

{بَنَاهَا}

بهيئة بديعة محكمة.

.28

رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (28)

{رَفَعَ سَمْكَهَا}

أي جعل مقدار ارتفاعها عن الأرض مديداً رفيعاً. يقال: سمكتُ الشيء، رفعته في الهواء. وسمك الشئ سُمُوكاً: ارتفع. و بناء مسموك: عال.

{فَسَوَّاهَا}

جعلها ملساء، مستوية،. ليس في سطحها ما يحول دون الاستقرار عليها. أو جعلها متشابهة الأجزاء والشكل.

.29

وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (29)

{وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا}

أظلمه بمغيب شمسها. يقال: غطش الليل –من باب ضرب–، أظلم. واغطشه الله؛ من الغطش وهو الظلمة.

{وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا}

أبرز نهارها. والضحى في الأصل: أنبساط: الشمس وامتداد النهار؛ ثم سِمِّي به الوقت المعروف؛ وشاع في ذلك وتُجُوِّز به عن النهار بقرينة مقابلته بالليل. وعبِّر عن: النهار بالضحى لأنه

أشرفُ أوقاته وأطيبها. وأضيف الليل والضحى إلى السماء لأنهما يحدثان بسبب غروب شمسها وطلوعها.

.30

وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (30)

{وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}

أي ودحا الأرض – بمعنى بَسَطها –وأوسعها، بعد ذكر ذلك الذي ذكره من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وإغطاش ليلها وإظهار نهارها. وقد بين الله الدَّحوَ بقوله: {أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا}.

.31

أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (31)

{أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا}

بتفجير العيون، وإجراء الأنهار والبحار العظام.

{وَمَرْعَاهَا}

أي جميع ما يقتات به الناس والدواب بقرينة قوله بعدُ: {مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ}.

.32

وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (32)

{وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا}

أي وأرسى الجبال، أي أثبتها في الأرض كيلا تميد وتضطرب. وقوله: (أَرْسَاهَا) تفسيرٌ للفعل المضمر قبله.

.33

مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (33)

{مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ}

أي تمتيعًا لكم ولأنعامكم. والآية تقريع لكفار مكة المنكرين للبعث، زاعمين صعوبته، بعد أن بين الله كمال سهولته بالنسبة الى قدرته بقوله: {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (13)}.وبيانٌ لدليلين مشاهدين، وهما: السماء وما فيها والأرض وما فيها، لا يسعهم إنكارهما؛ ناطقين بكمال قدرته سبحانه! فأخبر الله بأنه هو الذي بنى السموات السبعَ ورفعها وسوَّاها، وخلق ظلمة لليل – وابرز النهار –وأخبرنا بعد ذلك بأنه هو الذي بسط الأرض – ومهدها لسكنى أهلها ومعيشتهم فيها. وقدم الخبر الأوّل لأنه أدل على القدرة الباهرة لعظم السماء، وانطوائها على الأعاجيب التي تحار فيها العقول. فبعديّة الدَّحو إنما هي في الذكر لا في الإيجاد، وبجعل المشار إليه هو ذكر المذكورات من البناء وما عطف عليه لاأنفسها، لا يكون في الآية دليل على تأخر الدَّحو عن خلق السموات وما فيها، ويكون الترتيب بين خلق الأرض وخلق السموات مستفادًا من دليل آخر. وقد ذهب جمهور المفسرين الى تقدُّم خلق الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها؛ اخذًا بظاهر آيتى البقرة وفصلت [اية 29 البقرة. وآيات 9 – 12 فصلت.] بناء على تفسير الخلق فيهما بالإيجاد، وهو معناه الظاهر، وتفسير ما عُطف عليه من الأمور الثلاثة في اية فُصِّلت بمعانيها الظاهرة، وعلى أن (ثم) للتراخي في الزمان.

وأمّا إذا فُسر الخلق فيهما بالتقدير، أو بالإيجاد مع تقدير الإرادة وكذلك ما عطف عليه، أو حُملت (ثم) فيهما على التراخي في الرتبة فلا يكون فيهما أيضا دليلٌ على الترتيب في الإيجاد.

.34

فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (34)

{فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى}

بيانٌ لأحوالهم في المعاد إثر بيان أحوالهم في المعاش. والطامة: الداهية التى تغْلِب وتعلو على ماسواها من الدواهي؛ من طَمّ اكى، يطُمُّه طمًّا: غَمَره. وكلُّ ما كثُر و علا حتى غلب فقد طمَّ. وهي كالعَلَم على القيامة؛ بل رُوِيَ أنها اسمٌ من أسمائها. وقيل: هي النفخة الثانية. وجواب الشرط محذوف تقديره: وقع مالا يدخل تحت الوصف. وقوله: {فَأَمَّا .. (37)} تفصيل له.

.35

يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (35)

.36

وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (36)

{وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ}

أُظهرت إظهاراً بيّنًا لا خفاء فيه على أحد.

.37

فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37)

.38

وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38)

.39

فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39)

{هِيَ الْمَأْوَى}

هي المرجع والمُقام له لا غيرها.

.40

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40)

{خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ}

أي عظمته وجلاله. أو قيامه بين يدي ربه عز وجل للحساب يوم الطامة الكبرى.

{وَنَهَى النَّفْسَ .. }

زجرها وكفها عن المَيْل إلى الشهوات المردِيَة وضبطها بالصبر، ولم يغتر بزهرة الدنيا وزينتها، لعِلمِه بوخامة عاقبته.

{عَنِ الْهَوَى} وأصل الهوى: مطلق الميل: وشاع في الميل إلى الشهوات. وسُمِّيَ هوى لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية.

.42

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (42)

{أَيَّانَ مُرْسَاهَا}

متى يقيمها الله ويثبتها [آيه 187 الأعراف].

.43

فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (43)

{فِيمَ أَنْتَ}

أيّ شيء أنت مِنْ أن تذكر لهم وقتها وتُعلمهم به حتى تُسأل عن بيانه! وهو مما استأثرالله بعلمه؛ كما قال تعالى {إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (44)} والاستفهام للإنكار.

.44

إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (44)

.45

إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا (45)

{مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا}

أي من يخاف أهوالها، وظيفتُك امتثال ما أُمرت به من بيان اقترابها وتفصيل أهوالها، لا تعيين وقتها الذي لم يفوض إليك؛ فما لهم يسألونك عما لم تُبعث له! ولم يفوَّض إليك أمره! وتخصيص الإنذار بمن يخشى مع عمومه للناس كافة لأنه هو الذي يُنتفع به.

.46

كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (46)

{عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا}

العَشِيَّة: من الزوال إلى الغروب. والضحى: ألبُكرة إلى الزّوال. والمراد: كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الإنذاز إلا ساعة من نهار.

والله أعلم!

سُورة عَبَس

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

عَبَسَ وَتَوَلَّى (1)

{عَبَسَ وَتَوَلَّى .. }

رُوِيَ أنَّ ابنَ أمِّ مكتوم– عمرو بن قيس، وكان أعمى وأسلم قديما بمكة –أتى النبيَّ: – صلى الله عليه وسلم – وعنده صناديد قريش؛ يناجيهم ويدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يُسلم بإسلامهم خلقٌ كثير؛ فقال: يارسول الله، أقرئني وعلِّمني مما علّمك الله، وكرر ذلك، وهُو لا يعلم تشاغله – صلى الله عليه وسلم – بالقوم، فكره رسول –

صلى الله عليه وسلم – قطعه لكلامه، وعبس وأعرض عنه. فنزلت هذه الآيات معاتبةً لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد انقضاء نجواه معهم وذهابه إلى أهله، وقيل: في أثنائها. فكان الرسول بعد ذلك يكرمه اذا رآه ويقول: (مرحبا بمن عاتبني فيه ربي)!، ويبسط له رداءه. واستخلفه على: المدينة مرتين [رواه ابن عبد البر في الاستيعاب].

وكان من المهاجرين

الأولين. قتل شهيدًا بالقادسية. والعُبوس: قطوب الجبين من ضيق الصدر. والتَّولِّي اذا عدِّيَ بعن لفظا أو تقديرا فمعناه الإعراض بالجسم، أوبترك الإصغاء.

.2

أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2)

.3

وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (3)

{وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى}

أي أيّ شيء يجعلك داريًا بحال هذا الأعمى الذي عبست في وجهه! لعله يتطهر بما يتعلمه منك من الشرائع من دنس الجهل؟ أو يتعظ فتنفعه ذكراك وموعظتُك! من الزكاة بمعنى الطهارة والنَّماء.

.4

أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (4)

{يَذَّكَّرُ}

يتَّعظ.

.5

أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (5)

{أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى}

عن الإيمان، وعما عندك من العلوم التى ينطوي عليها القرآن بما عنده ممّا لا خير فيه {فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (6)}.

.6

فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (6)

{فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى}

أي تتعرّض له بالإقبال عليه والإصغاء لكلامه! والاهتمام بإرشاده واستصلاحه، رجاء أن يُسلم ويُسلم بإسلامه غيره. يقال: تصدّى له، أي تعرض. وأصلُه تصدَّد من الصَّدد، وهو ما استقبلك وصار قبالتك. يقال: داري صدد داره، أي قبالتها؛ فأبدلت الدال حرف علّة للتخفيف، نحو تقضَّى البازي.

.7

وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (7)

{وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى}

أي أي شيء عليك في الا يتطهَّر من كفره فيسلم حتى يبعثك الحرص على إسلامه إلى الإعراض عمن أسلم وتطهّر؟ أي لا بأس عليك في بقاء هذا الذي استغنى على كفره وضلاله.

.8

وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (8)

{وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى}

أي مسرعًا في طلب ما عندك من العلم والخير.

.9

وَهُوَ يَخْشَى (9)

{وَهُوَ يَخْشَى}

الله ويتقيه. أو يخشى فواته.

.10

فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (10)

{فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى}

تُعرض وتتشاغل. يقال: لَهِيَ عنه–كرضى–وتلهى، سلا عنه وترك ذكره.

.11

كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (11)

{كَلَّا}

أي ما الأمر كما تفعل! وهو مبالغةٌ في إرشاده – صلى الله عليه وسلم – إلى عدم معاودة ما عوتب عليه. روى أنه – صلى الله عليه وسلم – ما عبس بعد ذلك في وجه فقير قط، و لا تصدَّى لغني قطُّ!.وعن سفيان الثوري: أن الفقراء كانوا في مجلسه أمراء.

{إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ}

أي إن آيات القرآن موعظة يجب أن يُتَّعظ بها ويعمل بموجبها. وفيه تعريضٌ بمن استغنى عنها.

.12

فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (12)

{فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ}

أي ذكر هذه التذكرة. وذكَّر الضمير لأن ألتذكرة بمعنى التذكير والوعظ. والجملة معترضة للترغيب في وَعْي هذه الآيات والاتعاظ بها. ثم وصف التذكرة بقوله تعالى:

.13

فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (13)

{فِي صُحُفٍ}

أي مثبتة في صحف منتسَخة من اللوح المحفوظ.

{مُكَرَّمَةٍ}

عنده تعالى.

.14

مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (14)

{مَرْفُوعَةٍ}

ذات منزلةٍ رفيعةٍ.

{مُطَهَّرَةٍ}

منزهة عن مساس ايدي الشياطين، او عن كل دنس.

.15

بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (15)

{بِأَيْدِي سَفَرَةٍ}

هم ألملائكة الذين جعلهم الله سفراء بينه وبين رسله. جمعُ سافر بمعنى سفير: أي رسول وواسطة، أو هم كتبة من الملائكة يَنْسخون الكتب من الَّلوح المحفوظ، جمع سافر، أي كاتب. يقالُ سَفر الكتاب، يَسْفِره كتبه؛ ومنه السِّفر للكتاب، وجمعه أسفار.

.16

كِرَامٍ بَرَرَةٍ (16)

{كِرَامٍ}

مكرَّمين معظمين عنده تعالى؛ من الكرامة بمعنى التوقير. {كِرَامٍ} أتقياء، أومطيعين. أو صادقين. جمع بَرّ.

.17

قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (17)

{قُتِلَ الْإِنْسَانُ}

لعن، أوعُذّب الكافر بالله. وعن مجاهد: ماكان في القرآن قُتل الإنسان. فإنما عُنيَ به الكافر. وهو دُعاءٌ عليه بأفظع الدعاء.

{مَا أَكْفَرَهُ}

ما أشدَّ كفره بالله، مع معرفته بكثرة إحسانه إليه. وهو تعجيبٌ من فَرْط كفره، وبيان لاستحقاقه الدعاء عليه بأشنع دعاء.

ثم بين نعمه الكثيرة عليه الموجبة للشكر بدلَ الكفر فقال:

.18

مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18)

{مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ}

أي من أيّ شيء خلق الربُّ تعالى هذا الكافر الجحود، حتى يتكبر ويتعظّم عن طاعته، والإقرار بتوحيده. ثمَّ بيَّن سبحانه ذلك بقوله:

.19

مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (19)

{مِنْ نُطْفَةٍ}

مهينة حقيرة

{خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ}

فهيّأه لما يصلح له ويليق به من الأعضاء والأشكال. أوفقدَّره أطوارًا من حال إلى حال، إلى أن تم خلقه وتكوينه.

.20

ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (20)

{ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ}

أي يسر الله له سبيل النَّظر القويم المؤدي الى الإيمان–بما وهبه من العقل، ومكنَّه من النظر، وهيأ له من أسبابه. أو يسر له سبيل الخير وسبيل الشر، وبيَّن له المسلكيْن، وأقدره على كل منهما. وهو مثل قوله تعالى. {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3)} [الانسان]، وقوله: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (10)} [البلد]. أو يسّره مخرجه من بطن أمه.

.21

ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (21)

{ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ}

جعله ذا قبر تُوارى فيه جيفته تكرمة له، ولم يَدَعه مطروحاً على وجه الأرض يستقذره النّاس كافة، وتنوشه الطير والسباع إذا ظفرت به كسائر الحيوان. والمراد انه تعالى أمر بدفنه. يقال: قبرَ الميتَ يقْبُره ويقبِره، اذا دفنه بيده؛ فهو قابر. وأقبره: اذا أمر بدفنه؛ أو مكَّن منه. وفي الآية إشارة إلى مشروعيّة دفن الإنسان. أما حرقه بعد موته كما يفعل بعض الوثنيين فنافٍ للتكرمة، ومنابذ للسُّنة الإسلامية؛ فضلا عما فيه من البشاعة والشناعة.

.22

ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (22)

{أَنْشَرَهُ}

أحياه بعد الموت للجزاء إذا جاء الوقت المقدر للبعث في علمه تعالى. يقال: أنشر الله الميت ونشره، بمعنى.

.23

كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (23)

{كَلَّا}

ردعٌ للإنسان عما هو عليه من الكفران البالغ حد الطغيان.

{لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ}

لم يقض ذلك الإنسان المستغني المتكبر شيئا مما أمره به ربُّه! مِنْ تركِ التكبُّر ومن التأمل في الآيات، والإيمان بالله، مع ما يتقلب فيه من النعم الجليلة.

ثم بعد أن ذكر خلق الإنسان ذكر رزقه ليعتبر ويقابل هذه النعمة بالشكر فقال:

.24

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24)

{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ}

كيف دُبّر.

.25

أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (25)

{أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا}

أنزلنا له الغيْث من السماء إنزالاً.

.26

ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (26)

{ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا}

شققناها بالنبات شقاً بديعًا، لائقًا بما يشقها منه صِغرًا وكبرًا، وشكلاً وهيئة.

.27

فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27)

{حَبًّا}

ما يقتات به الانسان ويدّخره؛ من نحو الحنطة والشعير والذرة.

.28

وَعِنَبًا وَقَضْبًا (28)

{وَعِنَبًا}

يتفكه به.

{وَقَضْبًا}

علفا رطبا للدواب، ويسمى الفِصْفِصة، وإذا يبس يسمى القَتَّ. وسمي قضبًا لأنه يُقضب أي يقطع بعد ظهوره مرة بعد أخرى، كالكلأ والبرسيم.

وقيل: القضب ما يُقضب من النبات ليأكله الإنسان غضًّا طريا؛ كالبقول التي تقطع فينبت أصلها.

.29

وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (29)

.30

وَحَدَائِقَ غُلْبًا (30)

{وَحَدَائِقَ}

بساتين مُحوطة، جمعُ حديقة. وهي ما احيط من النخل والشّجر؛ فإذا لم يحط فليس بحديقة، بل هو بستان؛ ومنه: أحدقوا به، أي أحاطوا به.

{غُلْبًا}

عظاما؛ جمع أغلب وغلباء. والغلباء الحديقة الغليظة الأشجار المُلتفَّة. وأصلها من الغَلَب –بفتحتين – بمعنى الغِلَظ. يقال: غَلِب –كفرح – أي غلظ عنقه. ومنه: الأغلبُ للغليظ الرقبة. وهضبة غلباء: أي عظيمة مشرفة.

.31

وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (31)

{وَأَبًّا}

الأبُّ: الكلأ والمرعى، وهوماتأكله البهائم من العُشْب؛ من أبَّهُ: إذا أمَّه وقصده؛ لأنه يُؤم ويُقصد. أو من أبَّ لكذا: إذا تهيأ له؛ لأنه مُتهيئ للرعي. أوما تأكله البهائم من العشب والنبات، رطبا كان أو يابسًا. فهو أعم من القَضْب. أوهو التِّبْن خاصة.

.32

مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (32)

.33

فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (33)

{الصَّاخَّةُ}

الداهية العظيمة؛ من صَخَّ بمعنى أصاخ أي استمع. والمراد بها: نفخة البعث؛ لأن الناس يَصُخون لها، أي يستمعون فجعلت مستمعة مجازا. أو من صخّه بالحجر: أي صَكَّه. وأصل الصّخ الصَّك الشديد. وجواب اذا محذوف لظهوره؛ تقديره: شُغل كل إنسان نفسه.

.34

يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34)

.35

وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35)

.36

وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36)

.37

لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (37)

{لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ .. }

أي لكل واحد منهم شغل شاغل يكفيه في الاهتام به. يقال: أغناه عن كذا، جعله في غُنية عنه.

ثمَّ بيّن تعالى مآل الناس يومئذ وانَّهم فريقان: سعداء، و أشقياء. فقال:

.38

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (38)

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ}

مضيئة مشرقة؛ من أسفر الصبح إذا أضاء.

.39

ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (39)

{ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ}

مسرورة بما اعطاها الله من النعيم، راجيةٌ المزيد، وهيَ وجوه المؤمنين. ثم أخبر عن وجوه الكافرين بقوله:

.40

وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (40)

{عَلَيْهَا غَبَرَةٌ}

غبار. وهو كناية عن تغيرها للغمّ والكآبة.

.41

تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (41)

{تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ}

تغشاها ظلمةٌ وسوادٌ. أو ذِلة وشِدَّة من الهَمّ. يقالُ: رهقه. أي غشيه. وقيل: الغَبرةُ والقَتَرة بمعنّى؛ إلَّا أن الغَبرة ما انحط من الغبار إلى الأرض. والقَترة ما أرتفع منه إلى السماء.

.42

أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (42)

و الله أعلم

سُورة التَّكْوِير

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذه السورة تصوير للقيامة ومباديها. ومنها هذه الأحداث العظام في السماوات وفي الأرض، التى بيَّن الله أنها إذا حَصَلت علمت كلُّ نفس في ذلك اليوم–علم مشاهدة–ماقدّمته من العمل في الدنيا، خيرًا كان أو شرّا، وحوسبت عليه. فإذا علم الإنسان ذلك الآن ارْعَوى عن غيه، وأناب إلى ربِّه فقال تعالى:

.1

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1)

{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}

أزيل نورها بعد انبساطه وانتشاره؛ فأظلمت. وأصل التَّكوير: التّلفيف على جهة الاستدارة؛ من كوَّرتُ لعمامة إذا لففتها. تُجوِّز به عما ذكر لعلاقة اللزوم؛ لأن الشئ الذي يُلف يذهب انبساطه وانتشاره، وتختفِي آثارُه.

.2

وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (2)

{وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ}

أي انقضت وتناثرت. يقالُ: انكدر؛ إذا أسرع ونقضَّ. وانكدر عليهم القوم: إذا جاءوا أرسالاً حتى يَنصبُّوا عليهم. أو تغيرت و انطمس نورها؛ من كدرت الماء فانكدر: جعلته كَدِرا، أي مائلا نحو السواد والغبرة.

.3

وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3)

{وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ}

أُزيلت عن أماكنها من الأرض؛ كما قال تعالى: {وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (20)} [النبأ:2]. أو سيِّرت في الجو؛ كما قال تعالى: {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ .. (88)} [النمل].

.4

وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4)

{وَإِذَا الْعِشَارُ}

جمع عُشَراء كنُفَساء، وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر – وتُسمَّى بهذا الاسم إلى ان تضع لتمام السنة.

{عُطِّلَتْ}

أهملت بلا راع كأنها غير موجودة. وهو تمثيل لما يصيب الناس في يوم القيامة من الذهول لشدة الهوْل، حتى لو كانت لهم فيه عشار–وهي أنْفسُ الأموال عندهم وأعزُّ شيء عليهم – لذُهلوا وشغلوا بأنفسهم عنها.

.5

وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5)

{وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ}

جُمعت من أوكارها، وخَرجت من أجحارها في ذهول عما تقتضيه طبائعها من التوحُّش والتعادي؛ لشدة الاضطراب والفزع مما نزل بالأرض والسماء. يقال: حَشَرهم يحشُرُهم ويحشِرهم حشراً،. جمعهم. وقيل أُهلكت؛ من قولهم: حَشَرت السَّنة مال فلان، أهلكته. وعن ابن عباس: جمعت بالموت فلا تُبعث؛ ولايحضر في القيامة غير الثَّقلين.

.6

وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6)

{وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ}

أُحميت بالنار حتى تبخرت مياهُها، وظهرت النار في مكانها؛ من قولهم: سجر التنور، أحماه. وقريب منه قولُ الحسن: يذهب ماؤها حتى لا يبق فيها قطرة. وقيل: ملئت بسبب التفجير وانسياب مياهها حتى اختلط عذْبُها بِملحها، وصارت بحرا واحدا؛ من قولهم: سَجَر الحوض، إذا ملأه فهو مسجور،؛ قال تعالى: {وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (6)} [الطور]. وذلك بسبب زلزلة الساعة التي وصفها الله بغاية العظم.

.7

وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (7)

{وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ}

أي قُرنت الأرواحُ بالابدان، واحيا الله الناس للحساب والجزاء، أو قُرنت كل نفس بكتابها أو بعملها، أو قرن كل إنسانٍ بشَكله.

.8

وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8)

{وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ}

أي المدفونة حيَّة {سُئِلَتْ} {بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9)}.

وكان الرجل في الجاهلية يئدُ بنته فيدفنها حيّة، ويهيل عليها التراب حتى تموت خشية العار أو الإملاق؛ فجاء الإسلام بتحريم ذلك تحريماً قاطعا.

.9

بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9)

.10

وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (10)

{وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ}

بُسطت بعد أن كانت مطويَّة، وهي صحف الأعمال التي كتبت الملائكة فيها ما فعل أهلها من خير أو شر؛ تُطوى عند الموت وتُنشر عند الحساب. أو هو كناية عن إعلامِهم بأعمالِهم.

.11

وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (11)

{وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ}

قُلعت وأزيلت، فلم تبق سماءٌ تغطي ما تحتها، كما يكشط الإهاب عن الذبيحة. والكَشْطُ: قلعٌ عن شدة التصاق. يقال: كشَطت البعير كشطا، نزعت جلده.

.12

وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (12)

{وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ}

أوقدت إيقادًا شديدا للكفار.

.13

وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (13)

{وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ}

أُدْنِيت وقُرِبت من المتقين؛ كقوله تعالى: {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (31)} [ق]،من تزلّف فلان: أي تقرب.

.14

عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (14)

{عَلِمَتْ نَفْسٌ .. }

تبين لكل نفس جميع ما عملته من خير وشر بإحضار صحفها؛ قال تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ .. (30)} [آل عمران] وهو جواب (إذا) في الآيات السابقة، والمراد بها: زمان ممتدٌّ يسع الأمور المذكورة، مبدؤه النفخة الأولى، ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق. وعلم النفوس؛ ما عملته وإن كان في جزء منه وهو وقت نشرالصحف، إلاّ أنه لما كان بعض هذه الأمور من مباديه وبعضُها من روادفه نسب علمها بذلك إلى زمان وقوع هذه الأمور كلها، تهويلًا للخطب، وتفظيعًا للأمر.

.15

فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (15)

{فَلَا أُقْسِمُ}

شروع في بيان شأن القرآن والنبوة، بعد إثبات المعاد؛ أي أقسِمُ بما ذكر [آية 75 الواقعة، آية 1 القيامة]. وجواب القسم {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (19)} وما عُطف عليه.

{بِالْخُنَّسِ}

كَرُكَّع، جمعُ خانس؛ من الخُنوس، وهو الانقباض و الاستخفاء. يقال: خنسَ إبهامه- كنصر وضرب-وخُنُوسًا، قبضها. وبفلان: غاب به؛ كتخنَّس به.

.16

الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (16)

{الْجَوَارِ}

جمع جارية، من الجَري وهو المر السريع.

{الْكُنَّسِ}

كَرُكَّع، جمع كانس، من كنس الظَّبيُ-من باب نزل- دخل كِناسه، وهو بيته الذي يتَّخذه من أغصان الشجر؛ لأنه يكنس الرمل حتى يصل إليه. أقسم تعالى بالنجوم التى تخنس بالنهار، أي يغيب ضوءُها فيه عن الأبصار مع كونها فوق الأُفُق، ويظهر بالليل. وتكنس، أي تستتر وقت غروبها، أي نزولها تحت الأفق؛ كما تكنِس الظباء في كُنُسها. وإنما أقسم بها لدلالتها بهذه الأحوال المختلفة والحركات المتّسقة- على عظيم قدرة مبدعها ومصرِّفها. وكذلك في القَسَمَيْن الآخرين. ومن ذلك خلقه ذلك المَلَك الكريم القويَّ الأمين، وإنزاله بالوحي على رسوله العظيم.

.17

وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (17)

{وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ}

أدبر ظلامه، أو أقبل؛ وهو من الأضداد. وقيل: العَسْعَسة رِقّة الظلام وذلك في طرفي الليل؛ فهو من المشترك المعنويّ و ليس من الأضداد. والمعنى: اقبل وأدبر معًا.

.18

وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (18)

{وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ}

أضاء وتَبَلّج. وأصل التنفُّس: خروج النفس من الجوْف؛ فجُعل الرّوح والنسيم الذي يُقبل بإقبال الصُّبح نَفَسًا له.

.19

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (19)

{إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ}

جواب القسم. أي إن القرآن

المبين لِمَا ذكر في هذه السورة وغيرها لقولُ رسول كريم، مرسل من الله تعالى إلى نبيّه محمدٍ – صلى الله عليه وسلم –، وهو جبريل عليه السلام؛ ونسبة القول إليه لانه الواسطة في تبليغ الوحي.

.20

ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (20)

{مَكِينٍ}

أي ذي مكانة رفيعة ومَنْزلة عظيمة عند الله تعالى. ثم عُطف على المُقسم عليه قوله: {وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (22)} أي محمد – صلى الله عليه وسلم –.

.21

مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (21)

.22

وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (22)

{وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ}

أي محمد – صلى الله عليه وسلم –. وقد نعته كفار مكة بذلك افتراء عليه، وهم اعلم الناس برجاحة عقله، وكمال صفاته.

.23

وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (23)

{وَلَقَدْ رَآهُ .. }

هو من المقسَم عليه أيضا. أي فقد رأى صاحبكم – صلى الله عليه وسلم – جبريل عليه السلام بصورته التى خلقه الله عليها بالأُفق الأعلى من ناحية المشرق بمكة. والمرادُ بها: الرؤية الاولى الواقعة بغار حراء.

.24

وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (24)

{وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ}

وما رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – ببخيل بالوَحْي، مُقصِّر في تبليغه لكم، وتعليمكم إياه؛ من الضِنّ– بالكسر والفتح–بمعنى البخل، و (على) بمعنى الباء، وقرئ (بِظنين) أي بمتَّهم على الغيب، بل هو صادق في كل ما أخبر به عن الله تعالى، من الظِّنَّة بمعنى التُّهمة، و (على) بمعنى في.

.25

وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (25)

{وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ}

أي ليس القرآن المُنزلُ عليه بقول شيطان مسترق للسّمع من الملأ الأعلى، حتى تقولوا انه كهانة!

.26

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (26)

{فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ}

أي فأيَّ طريق تسلكون أبْين من هذه الطريقة التي بيّنت لكم!؟

.27

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (27)

.28

لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (28)

.29

وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (29)

والله أعلم

سُورةُ الانْفِطار

بسم الله الرحمن الرحيم

اشتملت هذه السورة على طائفة من أهوال السّاعة. وأقسم الله بها لعِظمها على ان النفوس ستعلم يوم القيامة كلَّ ما عملته في الدنيا. وفي ذلك تأكيد للبعث والحساب والجزاء، فقال تعالى:

.1

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (1)

{إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ}

انشقت لنزول الملائكة؛ من الفَطر وهو الشقُّ؛ قال تعالى: {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (1)} [الانشقاق] وقال: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (25)} [الفرقان].

.2

وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (2)

{وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ}

تساقطت وتهاوت

متفرقة: وهو كقوله تعالى: {وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (2)} [التكوير] أي تناثرت. يقال: نَثر الشيء ينثُره وينثِره نثْرًا ونِثاراً. رماه متفرقًا، فانتثر وتناثر.

.3

وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (3)

{وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ}

شُقّقت جوانبها فزالت الحواجز التى بينها، و اختلط عذبها بملحها وصارت بَحْرًا واحدا؛ وهو كقوله تعالى {وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6)} [التكوير] على أحد المعنيين السابقين؛ من الفَجْر، وهو شق الشيء شقًّا واسعًا. يقال: فجّره فتفجّر. وتفجر الماءُ: سالَ.

.4

وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (4)

{وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ}

قلب ترابها، وأثير ما فيها من الموتى فبُعثوا للجزاء. يقالُ: بَعْثر الشئ، فرّقه وبدده وقلب بعضه على بعض، واستخرجه فكشفه وأثار ما فيه.

.5

عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (5)

{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ}

ما أسلفت من خير أو شر، وما أخرت من سُنّة حسنة أو سيّئة يُعمل بها بعدها، أو ما عملت مما كلفت به، وما لم تعمل منه. وهو جواب (إذا) في الآيات الاربع.

.6

يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6)

{مَا غَرَّكَ .. }

أيُّ شيء خدعك؟ وجرأك على عصيانه وارتكاب ما لا يليق بشأنه عز وجلّ. يقال: غرَّه غرًّا وغُرورا، خدعه و أطمعه بالباطل؛ فاغتر هو. والخطابُ للكافر والمؤمن العاصي.

.7

الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7)

{فَسَوَّاكَ}

جعل أعضاءك سوية سليمة، مهيّأةً لمنافعها، على حسب ما تقتضيه الحكمة؛ من التَّسوية، وهي في الأصل جعل الأشياء على سواء.

{فَعَدَلَكَ}

عدَل بعضها ببعض؛ بحيث اعتدلت ولم تتفاوت؛ من عَدَل فلانا بفلان: إذا ساوى بينهما. أو صرفها عن خلْقة غير ملائمة لها وجعلَها حَسنة؛ من عَدَل بمعنى صَرَف. وقُرئ بالتشديد بمعنى صيّرك معتدلاً متناسب الخَلْق من غير تفاوت فيه؛ لم يجعل إحدى اليدين أطول ولا إحدى العينين أوسع، ولم يخالف بين الأعضاء، في الالوان والهيئات، وعن بعضهم: أي المخفَّف والمشدد بمعنى واحد، ولا عِبرة بشذوذ الخلقة في قِلّة من الأفراد.

.8

فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8)

{فِي أَيِّ صُورَةٍ .. }

أي ركبك في أي صورة من الصُّور المختلفة اقتضتها مشيئَته تعالى.

.9

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (9)

{بَلْ تُكَذِّبُونَ .. }

أي ليس هناك شيء يقتضي غرورَكم بالله، ولكن تكذيبكم بالبعث والجزاء، أو بدين الإسلام اللذيْن هما من جملة أحكامه هو الذي حملكم على ما ارتكبتموه.

.10

وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10)

.11

كِرَامًا كَاتِبِينَ (11)

{كَاتِبِينَ}

يكتبون أعمالكم كلها ويُحصونها عليكم. والظواهر دالة عل أن الكَتْب حقيقيٌّ؛ لإقامة الحجة على العباد يوم الحساب. وأما العلمُ بآلة الكتابة وما يكتب فيه فمفوَّضٌ اليه تعالى.

.12

يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12)

.13

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13)

{إِنَّ الْأَبْرَارَ}

بيانٌ لنتيجة الحفظ والكتب من الثواب والعقاب. والأبرارُ: هم المؤمنون الذين برُّوا وصدَقوا في الإيمان. جمعُ برّ– بالفتح – وهو المتّصف بالخير.

.14

وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14)

{وَإِنَّ الْفُجَّارَ}

هم المكذِّبون رسول الله والقرآن، والمكذبون بيوم الدِّين المنكرون للبعث والجزاء؛ من الفجور، وهو شق سِتْر الدِّيانة. يقال: فجرَ فجورا فهو فاجر، وهم فُجّر وفَجَرة، وأصله الفَجْر، وهو شق الشئ شقاً واسعا.

.15

يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (15)

{يَصْلَوْنَهَا}

يدخلونها. أو يقاسُون حرّها.

.16

وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (16)

.17

وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (17)

.18

ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (18)

.19

يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (19)

{يَوْمَ لَا تَمْلِكُ .. }

بيان ليوم الدِّين. وأنّه يوم الجزاء لا تنفع فيه نفس نفسًا أخرى. ولا ينفع فيه إلا العمل؛ والأمر فيه لله وحده، لا سلطان لسواه!

والله اعلم

سُورَةُ المُطفِّفين

بسم الله الرحمن الرحيم

رويَ أنه لما قدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المدينة، كان أهلها من أخبث الناس كيْلا؛ فأنزل الله هذه السورة. وقرأها عليهم فأحسنوا الكيْلَ بعد ذلك. ومِثل الكيْل الوزن والذَّرع.

.1

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1)

{وَيْلٌ}

عذابٌ أو هلاك أو واد في جهنم [البقرة:79].

{لِلْمُطَفِّفِينَ}

الذين يبخسون حقوق الناس في الكيل والوزن عن الواجب لهم من الوفاء. جمعُ مطفِّف؛ من الطَّفيف، وهو التَّافه القليل؛ لأن ما يبْخَسه المُطفِّف شيء نزر حقير. وهو وعيد شديد لمن يأخذ لنفسه وافيا، ويعطى لغيره ناقصا، قليلاً كان أو كثيرا. وقد عظم الله أمر الكيل والوزن؛ لابتناء المعاملات عليهما، والناس لا يستغنُون عنهما. والتَّطفيف فيهما خيانة واعتداءٌ على الحقوق؛ ومبنى التعامُل على الأمانة والمعادلة فيها. وقد كان قوم شعيب عليه السلام من المطففين [الأعراف:85، هود: 84].

.2

الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2)

{إِذَا اكْتَالُوا}

أي إذا أخذوا من الناس ما لهم قِبَلهم من حق بحكم الشراء ونحوه

{يَسْتَوْفُونَ}

لأنفسهم؛ فيكتالونه منهم وافيًا وافرًا، و (على) و (من) يتعاقبان؛ فيقال: اكتلتُ عليه، أخذت منه ما عليه كيْلا، واكتلْتُ منه: استوفيت منه، وكال المعطي، واكتال الآخذ. وعُبِّر بـ (على) بدل (من)! لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء؛ أو للإشارة إلى أنه اكتيال ضار بالناس؛ لاحتيالهم فيه على الأخذ الوافر بما تيسر لهم من الحِيَل، وكانوا يفعلونه بكبْس المكيل أو تحريك المكيال، ونحو ذلك. ومثل الاكتيال: الاتزانُ فيما يُوزن، والذَّرعُ فيما يذرع.

.3

وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3)

{وَإِذَا كَالُوهُمْ .. }

أي وإذا كالوا لهم الكيل، أو وزنوا لهم الموزون لبيع ونحوه، يَنْقصون في الكيل أو الوزن. يقال: كاله وكال له. ويقال: خسر الميزان وأخسره، نَقَصَه.

.4

أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4)

{أَلَا يَظُنُّ .. }

اُدخِلت

همزة الاستفهام على (لا) النافية توبيخا و إنكارا و تعجُّبًا من اجترائهم على التَّطفيف؛ كأنهم لا يخطر ببالهم ولا يخمّنون تخمينًا أنهم مبعوثون ليوم عظيم الأهوال، مسئولون فيه عن مقدار الذَّرة!. فإن من يظن ذلك ولو ظنًّا ضعيفا لا يكاد يجتريء على بخس الحقّ!؟.

.5

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5)

.6

يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (6)

{لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}

لأمره وحكمه.

.7

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (7)

{إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ}

أي إن ما يُكتب من أعمالهم السيئة–لُمثبتٌ في ديوان الشرِّ الجامع لأعمال فُجّار الثقلين. والمراد بهم هنا: الكفّار والفَسَقة الذي منهم المطفِّفون. وأصل سجِّين: وصفٌ من السَّجْن بمعنى الحبْس؛ مصدر سَجَنه يسجُنُه سَجْنا: أي حبسه. أُطلق على هذا الكتاب لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم. وقيل: هو شرُّ موضع في جهنم.

.8

وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (8)

.9

كِتَابٌ مَرْقُومٌ (9)

{كِتَابٌ مَرْقُومٌ}

أي هو كتاب بَيِّن الكتابة؛ من رقَمَ الكتاب: اذا أعْجَمه و بيّنَه. أو مُعْلَم، يَعلمُ من رآه أنه لا خير فيه؛ مِن رقَم الكتاب: إذا جعل له رَقمًا؛ أي علامة يُعرف بها، وهو بيان لـ (كتاب).

.10

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (10)

.11

الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (11)

{يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ}

باليوم الذي يدين اللهُ فيه العباد؛ فيجزيهم بأعمالهم.

.12

وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12)

.13

إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (13)

{أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}

ما سطّره السابقون في كتبهم من الاباطيل والخرافات.

.14

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14)

{كَلَّا}

ردعٌ وزجر عن قولهم الباطل.

{رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ .. }

غلب وغطّى على قلوبهم ما كسبوه من اعمالهم السَّيئة. يقال: ران ذنبُه على قلبه – من باب باع – ريناً ورُيُونا، غلب عليه وغطّاه. وكلُّ ما غلبك فقد رَان بك، ورَانك وران عليك.

.15

كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (15)

.16

ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (16)

{إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ}

لداخلون النار. أو لُمقاسون حرَّها الشديد.

.17

ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (17)

.18

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (18)

{كِتَابَ الْأَبْرَارِ}

أي إن ما يُكتب من أعمالهم الحسنة– لمثبت في ديوان الخير الجامع لأعمال صلحاء الثَّقلين. وعِلِّيِّينَ: اسم لذلك الديوان؛ فهو مفرد كقِسْرين، منقول من جَمْع عِليّ بصيغة فِعِّيل من العُلُوّ، لأنه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنة. أو أن مايكتب من أعمالهم لفي أعلى الأماكن وأرفعها لشرفها.

.19

وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (19)

20

كِتَابٌ مَرْقُومٌ (20)

.21

يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (21)

{يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ}

يحضره جمعٌ من الملائكة.

.22

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (22)

.23

عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (23)

{عَلَى الْأَرَائِكِ}

أي الأسِرّة في الحجال [الكهف:31].

.24

تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (24)

{نَضْرَةَ النَّعِيمِ}

بهجة التَّنعم ورونْقه وغضارته.

.25

يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (25)

{مِنْ رَحِيقٍ}

من خَمْر طيبة بيضاء لذيذة. خالصةً مما يكدِّرُها حتى من الغَوْل الذي في خمر الدنيا.

{مَخْتُومٍ}

أوانيه وأكوابه {خِتَامُهُ مِسْكٌ} [آية 26].

.26

خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26)

{خِتَامُهُ مِسْكٌ}

ختامُها المِسْك بدل الطِّين. أو هو تمثيل لكمال نفاسته، وإلّا فليس هناك غبار أو ذباب أو خيانة؛ ليُصان الرَّحيق عن ذلك بالختم. أو المعنى: أن شاربه يجد في نهاية شربه رائحة المسك؛ ولا يجد تلك الرائحة الكريهة التي يجدها شارب الخمر في الدنيا.

{وَفِي ذَلِكَ .. }

أي وفي ذلك الرّحيق النفيس، او النعيمِ العظيمِ فلْيَرغب الراغبون، وليتسابق المتسابقون في الخير. وذلك إنما يكون بالمبادرة إلى الأعمال التي تقرب منه تعالى. وأصل التَّنافس: التغالب في الشيء النَّفيس. وهو الذي تحرص عليه النفوس، ويريده كل أحد لنفسه. يقال: نَفِس عليه الشيءَ– كفرح – نفاسة، ضنَّ به عليه، ولم يره أهلاً له.

.27

وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (27)

{وَمِزَاجُهُ}

أي مزاجُ ذلك الرحيق ماءٌ من عين في الجنة، منصبٌّ من عُلو، اسمها التَّسنيم؛ وهو مصدرُ سنمه: إذا رفعه؛ لأن شرابها أرفع شراب في الجنة يشرب منه المقرَّبون.

.28

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (28)

.29

إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (29)

.30

وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (30)

{يَتَغَامَزُونَ}

يشيرون إليهم بالأعين استهزاء.

.31

وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (31)

{انْقَلَبُوا فَكِهِينَ}

رجعوا إلى منازلهم متلذّذين باستخفافهم بالمؤمنين، والسخرية منهم.

.32

وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (32)

.33

وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (33)

.34

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34)

{مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ}

أي يضحكون من الكفار حين يروْنَهم أذلاء مهانين، بعد أن كانوا أعزّاء مستكبرين؛ كما كان الكفار يضحكون في الدنيا من المؤمنين.

.35

عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (35)

.36

هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (36)

{هَلْ ثُوِّبَ}

أي هل جُوزيَ الكفار ثواب ما كانوا في الدنيا يفعلون بالمؤمنين؛ من سخريتهم بهم، وضحكهم منهم، بضحك المؤمنين منهم في الآخرة؟ والاستفهام للتقرير؛ أي قد فعلنا ذلك. والتّثويب والاثابة: المجازاة. يقالُ ثوَبه وأثابه؛ إذا جازاه. وأكثر ما يُستعمل في الخير؛ على أنَّ المراد التَّهكُّم بهم.

والله أعلم.

سُورةُ الانْشِقَاق

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (1)

{إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ}

انصدعت وتفطّرت بالغمام حتى فَسْدت واختلّ نظامها؛ قال تعالى: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ .. (25)} [الفرقان]، وجواب الشَّرط وما عطف عليه في الموضعين محذوف، تقديره: لاقَى الإنسان ربه فوفّاه حسابه.

.2

وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (2)

{وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا}

استمعت لأمر ربِّها بالانشقاق. يقال: أذِن له أي استمع؛ وبابه طَرَب. والمراد: أنها انقادت وأذعنت لتأثير قدرته تعالى، حين تعلقت إرادتُه بانشقاقها؛ انقياد المأمور المُطيع إذا ورد عليه أمر الآمِر المُطاع.

{وَحُقَّتْ}

أي جُعلت حقيقةً وجديرة بالاستماع والطاعة. يقال: حُقَّ له ان يفعل كذا، أي حقيق به وخليق أن يفعله.

.3

وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (3)

{مُدَّتْ}

بُسطت بدكّ جبالها وآكامها وتسويتِها؛ حتى صارت قاعا صفصفاً لا ترى فيها عوجا ولا أمْتا.

.4

وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (4)

{وَأَلْقَتْ .. }

طرحتْ ما في جوفها من الموتى. وخلَت عنه غايةَ الخُلوّ، وذلك أثر الزلازل التي تصيبها. وصيغة التَّفعُّل للمبالغة؛ كما في قولهم: تكرّم الكريم، إذا بلغ غاية جهده في الكَرَم، وتكلّف فوق ما في طبعه.

.5

وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (5)

{وَأَذِنَتْ .. }

أي في الإلقاء والتخلي. وهي حقيقةٌ بذلك بالنسبة لقدرته تعالى.

.6

يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (6)

{إِنَّكَ كَادِحٌ}

جاهد ومجدٌّ في السير إلى لقاء ربّك. تَجْهد نفسك، وتكُدُّ في عملك طول حياتك إلى مماتك؛ حيث تلاقي ربك بعملك فيجازيك عليه، إن خيرًا فخير، وإنْ شرًا فشرٌّ. والكَدْح: جَهْد النفس في العمل والعَنَاء؛ من كَدَح جلده: إذا خَدشَه.

.7

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7)

.8

فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8)

{حِسَابًا يَسِيرًا}

هو عرضُ جميع الأعمال، ثم التجاوز عن المعصية، والإثابة على الطاعة؛ دون مناقشة او مطالبة بعذر او حجة.

.9

وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (9)

.10

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (10)

.11

فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (11)

{يَدْعُو ثُبُورًا}

يطلب هلاكا بقوله: واثُبوراه.

.12

وَيَصْلَى سَعِيرًا (12)

{وَيَصْلَى سَعِيرًا}

يدخلها. أو يقاسي حرها.

.13

إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (13)

.14

إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (14)

{إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ}

أي أيقن أن لن يرجع إلى ربّه حياً مبعوثا فيحاسب. يُقال: حار يحور حورًا، إذا رجع.

.15

بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (15)

{بَلَى}

أي لَيَحورنَّ ولَيُحاسبَنَّ.

.16

فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (16)

{فَلَا أُقْسِمُ}

أي أُقسِمُ بالشفق [الواقعة:75]. والشَّفقُ: الحُمرة التى تظهر في الأفق الغربى بعد الغروب، أو البياض الذي يليها؛ وسُمِّيَ شفقاً لرقته. ومنه: الشفقة لرقة القلب.

.17

وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (17)

{وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ}

أي وما جمعه وضمّه مما كان منتشرا في النّهار؛ من الخلق والدواب وغيرها. يقال: وسَقَ الشيء، يَسِقه؛ فاتسق واسْتَوسق: جمعه فاجتمع. ومنه إبل مستوْسِقَة: أي مجتمعة. وأمرٌ مُتسِق: مجتمعٌ على ما يسر.

.18

وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (18)

{وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ}

اجتمع وتمَّ نوره وصار بدْرًا؛ من الوَسْق وهو الجمع والضم.

أقسم الله تعالى بهذه الثلاثة، وهي حوادث متغيّرة طارئة على الأفلاك والعناصر؛ فإن الشَّفق حالة مخالفة لضوء النهار وظلمة الليل. اللّيل حالة مخالفة لانبساط ضوْء النهار، وما وَسَقه؛ فيه تغيير حالته من تفرق إلى اجتماع، ومن

يقظة وحركة إلى نوم وسكون. واتساق القمر بدرا حالة حادثة بعد نقصان؛ وكلها دلائل على القدرة توجب الإيمان.
وقد أقسم الله بها على أنهم يركبون المشاقَّ والأهوال من وقت الموت فما بعده؛ كما قال تعالى:

.19

لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (19)

{لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا .. }

جمع طبقة، وهي المرتبة. أي لَتُلاقنَّ أيها الكفار أحوالاً بعد أحوال. هي طبقات ومراتب في الشدة بعضها أرفعُ من بعض، وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة. والمراد بالركوب: الملاقاة. و (عن) بمعنى بَعْد، وهو في المعنى قَسم على صحة البعث وما وراءه من أهوال وشدائد.

.20

فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (20)

{فَمَا لَهُمْ .. }

أي إذا كان شأنه تعالى كما ظهر من كمال القدرة وبداعة الصَّنعة، فأيُّ شيء يمنعهم من الإيمان به وبالبعث. مع تعاضد أدلة القدرة عليه!؟.

.21

وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (21)

{وَإِذَا قُرِئَ}

أي ومالهم إذا سمعوا آياتِ الذِّكر الحكيم، وهي هدى ونور، لا يخضعون ولا يذعنون!. أنكر عليم عتوهم وكبرياءهم وإباءهم الخضوع للحق مكابرة وعنادًا.

.22

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (22)

.23

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (23)

{بِمَا يُوعُونَ}

أي بالذي يضمرون في صدورهم من الكفر والبغضاء فمجازيهم عليه. وأصلُ الإيعاء: حفظ الأمتعة في الوعاء. يقالُ: أوعى الزاد والمتاع، جعله في الوعاء. واستُعمل في الإضمار المذكور مجازاً.

.24

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (24)

.25

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (25)

{غَيْرُ مَمْنُونٍ}

غير مقطوع؛ من مَنَّ: إذا قطع. أو غير مُعتَدٍّ به ومحسوب عليهم؛ من منّ عليه: إذا اعتدّ بالصنيعة وحَسِبها.

والله أعلم.

سُورَةُ البرّوج

بسم الله الرحمن الرحيم

نزلت تثبيتا للمؤمنين على ما هم عليه من الإيمان. وتصبيراً لهم على ما يَلقوْنه من أذى المشركين، وإعلاما بما نال من سبقهم من المؤمنين من أذى العتاة الظالمين؛ ليردُّوهم عن الإيمان. وبما كان منهم من الثبات على الإيمان، والصبر على العذاب في سبيل الله. أي فكونوا مثلهم؛ وسيحيق بكفار مكة ماحاق بأمثالهم من الكفار السابقين، والعاقبةُ للمتقين!.

.1

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1)

{وَالسَّمَاءِ}

(أقسمَ) الله بها وبما بعدها.

{ذَاتِ الْبُرُوجِ}

ذات المنازل والطُّرق الإثني عشر التي تسير فيها الكواكب، شبهت بالقصور لنزول الكواكب بها؛ كما ينزل الأكابر والأشارفُ بالقصور. جمعُ بُرْج، وهو القصر العالي.

.2

وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (2)

{وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ}

هو يوم القيامة الذي وعد الله به الخلق.

.3

وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (3)

{وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ}

من يحضر ذلك اليوم من الخلائق المبعوثين، وما يحضر فيه من الأهوال والعجائب؛ من الشهادة بمعنى الحضور. أو من يَشْهد في ذلك اليوم على غيره – ومن يُشْهد عليه فيه؛ من الشهادة على الخصم، أو لَهُ. أقسم الله بالسماء ذات البروج لما فيها من الدَّلالة على القدرة. و بيوم القيامة وما فيه تعظيما له، وإرهابًا لمنكريه. وجواب القسم قوله:

.4

قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4)

{قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ}

بتقدير اللام وقد، أي لقد قتلوا، أي لعنوا أشد اللعن. والجملة خبرية، وقيل: هي دعاء عليهم بالإبعاد والطَّرد من رحمة الله تعالى. وجواب القسم محذوف لدلالتها عليه؛ كأنَّه قيل: أقسم بهذه الأشياء إن كفار مكة لَمَلْعُونون كما لُعن أصحابُ الأخدود. والأُخْدُوذ: الحَدُّ؛ وهو الشَّقُّ العظيم المستطيل في الأرض كالخندق؛ وجمعه أخاديد. وأصحاب الأخدود: قوم كافرون ذوو بأس وشدة، نَقِموا على المؤمنين إيمانهم بالله ونكّلوا بهم، فحفروا لهم أخدودًا في الارض، واسعروا النّار فيه، وألقَوْهم فيه لإبائهم الارتداد الى الكفر.

.5

النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (5)

{النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ}

بدل اشتمال من الأخدود؛ أي النار فيه.

.6

إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6)

{إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ}

أي لُعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها – مشرفين عليها من حافات الأخدود، يقذفون فيها المؤمنين، ويشهدون تعذيبهم هذا العذاب المهلك.

.7

وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7)

.8

وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (8)

{وَمَا نَقَمُوا ..}

ماعابوا عليهم، أوما كرهوا منهم إلا إيمانهم بالله. يقالُ: نَقَم الأمر– من باب ضرب –كرِهَه. وفي لغة كفَهِم.

.9

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (9)

.10

إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (10)

{فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ .. }

محنُوهم في دينهم بالأذى والتعذيب بالنار؛ ليرتدُّوا عن الإيمان. والفَتْن: تقدم في [البقرة:102].

{لَمْ يَتُوبُوا}

من فتنتهم.

{فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ}

بسبب فتنتهم

{وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ}

وهو نارٌ أخرى

زائدةٌ في الإحراق.

.11

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (11)

.12

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (12)

{إِنَّ بَطْشَ}

إن أخذ الله الجبابرة والظلمة لأليم عنيف. والبطش: الأخذ بقوة وعنف.

.13

إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (13)

{هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ}

أي يبديءُ البطش بالكفار في الدنيا، ثم يعيده عليهم في الآخرة؛ فبطشه بهم شديد.

.14

وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (14)

{وَهُوَ الْغَفُورُ}

لمن تاب وآمن.

{الْوَدُودُ}

كثير المحبة لمن أطاعه.

.15

ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (15)

{ذُو الْعَرْشِ}

خالقه أو مالكُه.

{الْمَجِيدُ}

العظيم في ذاته وصفاته.

.16

فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (16)

{فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}

لا يتخلّف عن إرادته مرادٌ من أفعاله تعالى وأفعال غيره.

.17

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (17)

{حَدِيثُ الْجُنُودِ}

الجموع القويّة الطاغية من الامم الخالية. الذين عُرفوا بالشدّة وقوة البأس. وتجنّدوا على الأنبياء وكفروا بهم، واجتمعوا على أذاهم. أي قد أتاك حديثُهم وعرفته – وعرفتَ وبال أمرهم؛ فذكر قومك بشئونه تعالى، وأنذرهم مثل ما أصاب أولئك الطاغين.

.18

فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (18)

.19

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (19)

{بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا}

أي من قومك أشدُّ كفرا من أولئك، واستيجابًا للعذاب؛ لاستقرارهم على التكذيب عنادًا.

.20

وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (20)

.21

بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (21)

{بَلْ هُوَ .. }

أي بل الذي كذّبوا به قرآن مُتنَاه في الشَّرف والرِّفعة.

.22

فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (22)

{فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ}

من التغيير والتبديل، ووصول الشياطين إليه؛ وهو أمُّ الكتاب.

والله أعلم.

سُورةُ الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1)

{وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ}

أقسم الله بالسماء وبالطارق. والمرادُ به هنا: النَّجم البادي باللّيل. وأصله: الآتي ليلا؛ لأنه في الأكثر يجد الأبواب مغلقة! فيطْرُقها؛ ثم اتسع فيه فأطلق على كل ما يأتي ليلا، ومنه النَّجم الطالع بالليل. وفي الإقسام بهما تفخيم لشأنهما، لدلالتهما–في عظم الشكل، وبداعة الصنع –على عظيم قدرته تعالى. وزاد النجم المقسم به تفخيما قوله:

.2

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2)

{وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ}

أي أيُّ شيء أعلمك ما هو؟ ثم فسّره

بقوله: {النَّجْمُ الثَّاقِبُ (3)}.

.3

النَّجْمُ الثَّاقِبُ (3)

{النَّجْمُ الثَّاقِبُ}

أي المضييء كأنه يثقب الظلام بنوره فينفذ فيه. والمرادُ به الجنس؛ فإن لكل كوكب ضوءًا ثاقبا. أو معهودٌ وهو الثُّرَّيا. أو النجم الذي يقال له: كوكب الصباح. وجواب القسم قولُه:

.4

إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (4)

{إِنْ كُلُّ نَفْسٍ .. }

أي ما كلُّ نفس الا عليها مُهَيْمِن قائم عليها في إيجادها بقائها؛ وهو لله سبحانه. أو من يحفظ عملها من الملائكة، ويحصي عليها ما تكسب من خير أو شرّ. وعُديَّ (حافظ) بعلى لتضمُّنه معنى القيام والإحصاء. وقُرِيءَ (لَمَا) بالتخفيف، (وما) زائدةٌ للتوكيد، (وإنْ) مخففة من الثقيلة واسمُها محذوف؛ أي إنَّه. ولمّا ذكر الله تعالى أن كلَّ نفس عليها حافظ اتبع ذلك بوصية الإنسان بالنظر في أول نشأته؛ حتى يعلمَ أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه. فيعمل لذلك ما يسرُّه في عاقبته فقال:

.5

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5)

{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ}

ثم بيّن جواب الاستفهام بقوله:

.6

خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (6)

{خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ}

أي من ماء ذي دَفْق. والدَّفْق: صبٌ فيه دفع وسيلان بسرعة. وكل من مني الرجل ومنى المرأة اللذين يتخلق منهما الجنين ذو دَفْق في الرَّحِم.

.7

يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7)

{الصُّلْبِ} : الظَّهر. والترائب: جمعُ تَريبة، وهي ما بين الثديين. أو أطرافُ المرء: يداه ورجلاه وعيناه. وهما كناية عن البدن كلِّه. والجملة صفة (ماء). أي يخرج هذا الماء الدّافق من بين صُلب كل واحدٍ من الرجل والمرأة وترائب كلٍّ منهما. أي أن أعضاء وقوى كل منهما تتعاون في تكوين ما هو مبدأٌ لتوالد الانسان: ماءُ الرجل وهو المنيّ، ومادَّةُ

المرأة وهي البويضة المصحوبة بالسائل؛ المنصبَّان بدفع وسيلان سريع إلى الرَّحِم عند الاتصال الجنسي. ويُسمِّي الفقهاء هذه المادة مَنِيًّا وماءً.

.8

إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (8)

{إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ.}

إنَّ الله تعالى الذي قدَر على خلق الانسان من ماء مهينٍ دافق، لَبَيِّنُ القدرة على إعادة خَلْقه بعد موته؛ بل ذلك أهونُ وأيسر.

.9

يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (9)

{يَوْمَ تُبْلَى .. }

يوم تُكشف المكنونات، وتبدو ظاهرة للعِيان. وهي ما أُسرَّ في القلوب من العقائد والنيات وغيرها، وما أُخْفيَ من الأعمال، ويُميز بين الطيب منها والخبيث، وهو يوم القيامة. وأصل الابتلاء: الاختبارُ والامتحان؛ وإطلاقه على الكشف والإظهار إطلاقٌ على اللازم.

.10

فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (10)

{فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ .. }

أي فما للإنسان في ذلك اليوم قوة في نفسه يمتنع بها ولا ناصرٌ ينتصر به.

.11

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11)

{وَالسَّمَاءِ}

أي المظلة

{ذَاتِ الرَّجْعِ}

أي المطر. وسُمِّيَ رجعًا لأن السحاب يحمل الماء من بخار البحار والأنهار، ثم يرجعه إلى الأرض مطرا. أو لأنه يعود ويتكرّر؛ من رَجَع: إذا عاد. ولذا يسمى أوْبًا؛ لرجوعه وتكرُّره.

.12

وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (12)

{ذَاتِ الصَّدْعِ}

ذات النبات: لتصدُّعها وانشقاقها عنه. وأصل الصّدع: الشق، وأطلق على النبات مجازا. والنباتُ في الأرض إنما يكون بسبب المطر النازل من

السماء. أقسم الله بهما على حقيّة القرآن الناطق البعث فقال:

.13

إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (13)

{إِنَّهُ}

أي إنَّ القرآن الذي من جملته هذه الآيات المتلوة في هذه السورة المشتملة على دلائل القدرة على البعث

{لَقَوْلٌ فَصْلٌ}

فاصلٌ بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وقد بلغ الغاية في ذلك؛ حتى كأنه نفس الفصل. وهو جواب القسم. ومن تتمته وصفه بقوله تعالى:

.14

وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (14)

{وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ}

ليسَ في شيء منه شائبة الهزل؛ وهو اللعِب والباطل. بل هو جدٍّ كلُّه، فيجب أن يُهتدى به، وأن يكون مهيبًا في الصدور، معظمًا في القلوب، يترفّع به قارئه وسامعهُ عن ان يُلِمّ بهزل، أو يتفكه بمزاح لا يناسب جلال القرآن وعظمته، ويتصوّر أن جبار السماوات والأرض يخاطبه؛ فيأمره وينهاه، ويَعِده ويتوعده، ويُبشّره ويُنذره.

.15

إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (15)

.16

وَأَكِيدُ كَيْدًا (16)

{وَأَكِيدُ كَيْدًا}

أجازيهم، وأقابل كيدَهم بكيد متين، لا يستطيعون له دفعا؛ فأسْتَدرِجُهْم من حيث لا يعلمون، ثم آخذهم أخذ عزيز مقتدر.

.17

فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (17)

{فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ}

امهلهم، ولا تستعجل عقابهم، وانتظر تدبير الله فيهم. يقال: مَهِّلْ وأمْهِل، بمعنى أنْظِر، والاسم منه المهْلة. والاستمهال: الانتظار. وهو وعيدٌ شديدٌ لهم.

{رُوَيْدًا}

أي أمهلهم إمهالاً قريبا أو قليلا حتى آمرك بقتالهم. مُصَغَّر رُودٍ، بوزن عُود، من قولهم: فلان يمشى على رُود، أي على مَهَل. وأصلُه: من رادت الريحُ ترُودُ، إذا تحركت حركة ضعيفة.

والله أعلم.

سُورةُ الأعْلى

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1)

{سَبِّح .. }

نَزِّه أسماءه تعالى عن كل ما لا يليق بها؛ فلا تُلْحد فيها بالتأويلات الزائغة، ولا تطلقها على غيره بوجه يُشعر بتشاركهما فيها، ولا تُسمِّ بها غيره تعالى إذا كانت مختصةً به؛ كلفظ الجلالة، والرحمن، ولا تذكرها في موضع لا يليق بها، أو على وجه ينافي التعظيم الإجلال. أو نَزِّة ربَّك عما لا يليقُ به سبحانه في ذاته وصفاته، وأفعاله وأحكامه وأسمائه، وعمّا يصفه به الملحدون. أو قل: سبحان ربِّيَ الأعلى.

.2

الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (2)

{خَلَقَ فَسَوَّى}

خلق الاشياء كلها، فجعلها سواء في الإحِكام والإتقان حسبما اقتضته حكمته؛ قال تعالى: {مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ .. (3)} [الملك].

.3

وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (3)

{قَدَّرَ فَهَدَى}

جعل الأشياء على مقادير مخصوصة في أجناسها وأنواعها وأفرادها، وصفاتها وأفعالها، وآجالها. فوجّه كل واحد منها إلى ما يَصدُر عنه، وينبغي له طبعًا واختيارًا، ويسّره لما خُلق له بخلق الميول والإلهامات، ونصب الدلائل وإنزال الآيات.

.4

وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (4)

{أَخْرَجَ الْمَرْعَى}

أنبت ما ترعاه الدَّوابُّ أخضر غضًّا رطبا.

.5

فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (5)

{فَجَعَلَهُ}

بعد ذلك

{غُثَاءً}

يابسًا جافًا. وأصلُه: الهالك البالي من ورق الشجر؛ ومنه غُثاء السَّيْل [المؤمنون: 41].

{أَحْوَى}

أسود من القدم والعتق؛ من الحُوَّة، وهي سوادٌ إلى الخضرة. أو حُمرة تضرب إلى السواد. وُصف به الغُثاء؛ لأن الغثاء إذا قدم وأصابته المياه أسود ونعفّن فصار أحوى.

.6

سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (6)

{سَنُقْرِئُكَ .. }

بيان لهدايته – صلى الله عليه وسلم – لتلقي الوحي، وحفظ القرآن الذي هو هدى للعالمين، وتوفيقه لهداية الناس أجمعين. أي سنقرئك القرآن على لسان جبريل، فتحفظه ولا تنساه في وقتٍ من الأوقات، {إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ .. (7)} إلا وقتَ مشيئة الله أن تنساه كلَّه؛ لكنه سبحانه لا يشاء ذلك، بدلالة قوله: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17)} [القيامه]. وقوله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)} [الحجر]. او المعنى: فلا تنسى مما سنقرئك إياه شيئًا، الا ما شاء الله أن تنساه؛ فيذهب به عن حفظك برفع حُكمه وتلاوته.

.7

إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (7)

{إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ .. }

والمقصود من هذا الاستثناء: بيان أنه تعالى لو أراد أن يُصَيِّره ناسيا للقرآن لقَدَر عليه؛ كما قال تعالى: {وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ .. (86)} [الاسراء] إذ هو على كل شيء قدير، ولكن لم يشأ ذلك فضلاً منه وإحساناً.

.8

وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (8)

{وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى}

نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليُسرى في كل باب من أبواب الدِّين: علمًا وعملا، واهتداء وهداية، ومن ذلك تيسير تلقّي الوَحْي، والإحاطة بما فيه مما يتعلق بتكميل نفسه وتكميل غيره. وقيل: اليسرى هيَ الأمور الحسنَة في الدين والدنيا والآخرة.

.9

فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (9)

{فَذَكِّرْ}

فذكِّر الناس– حسبما يسرناك له– بما يوحَى إليك – واهدهم إلى ما فيه خيرُهم، وحذِّرهم من متابعة أهوائهم.

وخُصَّ بالتذكير– بعد أن ذكَّرت الناس عامة وبالغت في ذلك–من يرجى منه التذكُّر، ولا تُتعب نفسك في تذكير من لا يورثه التذكير الا عُتُوًّا ونفورا. وهو كقوله تعالى: {فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ (45)} [ق] وقوله سبحانه: {فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا .. (29)} [النجم] أي بعد أن ذكّرت وبلّغت، كرر التذكير لمن يخاف الوعيد، ولا تكرره لمن أعرض عن ذكرنا.

.10

سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (10)

{سَيَذَّكَّرُ .. }

سينتفع بتذكيرك من في قلبه خشيةٌ من الله تعالى، وخوفٌ من عذابه، وهم المؤمنون.

.11

وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (11)

{وَيَتَجَنَّبُهَا .. }

ويتحامى الذكرى ولا ينتفع بها الكافر المصرُّ على العناد وإنكار المعاد، الذي خلا قلبُه من خشية الله؛ فكان أشقى الناس!

.12

الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (12)

{الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى}

وهيَ الطبقة السُّفلى من أطباق جهنم.

.13

ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (13)

{لَا يَمُوتُ فِيهَا} : فيستريح بالموت.

{وَلَا يَحْيَى}

فيها حياة طيبة يتلذذ بها.

.14

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14)

{قَدْ أَفْلَحَ}

قد ظفرَ بالمقصود، ونجا من المكروه من تطهَّر من الشرك والمعاصي، واتّعظ بالذكرى وانتفع بالموعظة.

.15

وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (15)

{وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ}

أي ذكر ربَّه بقلبه ولسانه. أوكبَّر لافتتاح الصلاة.

{فَصَلَّى}

الصلوات الخمس. أو هيَ وما تيسر من النوافل.

.16

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16)

{بَلْ تُؤْثِرُونَ}

أي بل تؤثرون أيها الكفار

{الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}

وترضوْن بها، وتُعرضون عن الآخرة إعراضا كليًّا، والالتفاتُ فيه لتشديد التوبيخ. وقيل: الخطاب للناس عامة. وإيثارُهم الدنيا: ترجيحها على الآخرة في السعي وترتيب المباديء. والالتفات فيه لتشديد التوبيخ في حق الكفار، وتشديد العتاب في حق المؤمنين.

.17

وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (17)

{وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ .. }

لأن لذائذ الدنيا مشوبةٌ بالآلام. والآخرةُ ليست كذلك. والدنيا فانية. والآخرةُ باقية.

.18

إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (18)

{إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى}

أي إنّ المذكور من قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} الى قوله: (وأبْقَى) لثابتٌ بمعناه في الصُّحف الأولى.

.19

صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (19)

والله أعلم

سُورة الْغَاشِية

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (1)

{هَلْ أَتَاكَ}

استفهامٌ أريد به التعجيب من حديث القيامة، والتشويق الى استماعه. وسُمِّيت القيامة غاشية؛ من غشِيَه الأمر: غطّاه؛ لأنها تَغْشى الخلق بأفزاعها وتجلّلهم فتعمُّهم.

.2

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2)

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ}

وجوهٌ يومَ إذ غشيت القيامةُ الخلقَ ذليلة لما اعترض أصحابَها من الخزي والهوان، وهم الكفار. يقالُ: خَشَع في صلاته، إذا تذلل ونكّس رأسه. وخشع الصوتُ: خفيَ.

.3

عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (3)

{عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ}

عاملة في ذلك اليوم في النار عملاً تنصب فيه وتتعب. وهو جرُّ السلاسل وحمل الأغلال. والخوضُ في النار خوض الإبل في الوحل، والصعود والهبوط في تلالها ووهادها؛ جزاء تكبرها عن طاعة الله، والايمان به في الدنيا. والمراد أصحابها. والنَّصَب: التَّعبُ والإعياء.

.4

تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (4)

{تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً}

تدخل نارًا متناهية في الحرارة، قد أُحْمِيتْ واوقد عليها مدة طويلة. يقالُ: حَميَ التَّنُور حَمْيًا، اشتد حرُّه.

.5

تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (5)

{مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ}

بلغت أناها. أي غايةَ حرِّها [الرَّحمن:44].

.6

لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (6)

{إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ}

هُو شجرٌ

في النار يشبه الشوك، أمرُّ من الصبر، وأنتنُ من الجيفة، وأشد حرارة من النار. وهو في الدنيا يَبيس الشِّبرق، وهوأخبثُ طعام وأشنَعه؛ لا تقربه دابة، وهو سُمّ قاتل. والمعذبون من الكفار طبقاتٌ: فمنهم من طعامه في النّار الضريع، ومنهم من طعامه الغسْلينُ، ومنهم من طعامه الزَّقوم، ومنهم من شرابُه الحميم، ومنهم من شرابه الصديد، لكل باب منهم جزء مقسوم. نسأل الله العفو والعافية؛ بمنّه وكرمه.

.7

لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (7)

{لَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ}

لا يدفع عنهم جوعا.

.8

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (8)

{نَاعِمَةٌ}

ذاتُ بهجة وحُسن؛ من النعومة. أو متنعِّمة في الجنة؛ من النعيم؛ وهم المؤمنون جزاء إيمانهم وطاعتهم لله تعالى.

.9

لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (9)

.10

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (10)

.11

لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (11)

{لَاغِيَةً}

أي كلمة ذات لغو، أو نفسًا لاغية. وأَللَّغْوُ: بُيِّن في [المؤمنون:3].

.12

فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12)

.13

فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13)

{سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ}

مرتفعة السمك أو رفيعة القدر.

.14

وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14)

{وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ}

كيزانٌ لا عُرا لها موضوعةٌ بين أيديهم. أو على حافات العيون للشرب بها.

.15

وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15)

{وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ}

وسائد صُفَّ بعضها إلى جانب بعض فوق الطنافس للاتكاء عليها. جمع نُمْرُقة، وهي الوسَادة الصغيرة.

.16

وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16)

{وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ}

بُسُط عِراضٌ فاخرة. أو هي الطنافس التي لها خمل [الخَمْل – بفتحٍ فسكون – هدب القطيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول كخمل الطنفسة؛ أي البساط.] رقيقٌ. مبسوطةٌ أو مفرَّقة في المجالس. واحدتها زُربِيّ؛ بالكسر و يُضمّ.

.17

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17)

{أَفَلَا يَنْظُرُونَ}

في الآية استدلال على القدرة على البعث بأربعة أدلة مشاهَدَة لا يستطيعون إنكارها. أي أينكرون البعث ويستبعدون وقوعه؛ فلا ينظرون إلى الإبل وهي نصب اعينهم يستعملونها كل حين، كيف خُلقت خلقًا بديعًا، معدولاً به عن سَنن خلْق أكثر الحيوان، في عظم جسمها، وشدة قوتها، وعجيب هيئاتها اللائقة بتأتي ما سُخرت له من الأعمال الشاقة، وغرب أحوالها وصفاتها.

.18

وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18)

.19

وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19)

.20

وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)

{وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ}

جُعل لها سطح لإمكان الاستقرار عليا. وهذا لا ينافي القول بأنها قريبة من الكُرة الحقيقية لمكان عظمها.

.21

فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (21)

.22

لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (22)

{بِمُصَيْطِرٍ}

أي مُسلَّط عليهم قاهر لهم، تجبرهم على ما تريد [الطور:37].

.23

إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (23)

.24

فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (24)

.25

إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25)

{إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ}

أي إن إلينا رجوعَهم

بعد الموت لا إلى احد سوانا.

.26

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (26)

و {إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ}

في المحشر لا على غيرنا، ونجازيهم جزاءً وفاقا. مصدرُ آب اذا رجع. وهو تهديدٌ ووعيد للكفار.

والله أعلم

سورة الفجر

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

وَالْفَجْرِ (1)

{وَالْفَجْرِ}

أقسم الله تعالى بهذه الأقسام الخمسة لشرفها وعظمها، ولما فيها من الفوائد الدِّينيّة والدُّنيوية. فأقسم بالفجر وهو الصُّبح، لما يحصل به من ظهور الضوء وانتشار الناس ابتغاء الرزق. وقيل: هو صلاة الفجر؛ لأنها مشهودة، يشهدها ملائكةُ الليل وملائكة النهار. وجوابُ هذا القسم وما بعده محذوف. يدلُّ عليه قوله , {أَلَمْ تَرَ .. } إلى قوله {فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ .. } تقديرُه.: ليعذبنَّ: أي الذين كفروا بالله وأنكروا البعث.

.2

وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2)

{وَلَيَالٍ عَشْرٍ}

وأقسم بِعَشْر ذي الحجَّة. أو بالعشر الأواخر من رمضان. أو بالعشر الأوائل من المُحرَّم.

.3

وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (3)

{وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ}

وأقسم بيوم النَّحْر ويوم عرفة، أو بالصلاة المكتوبة شفعها ووترها، وقرئَ بكسر الواو.

.4

وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (4)

{وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ}

وأقسم بالليل وقتَ أن يُسرى فيه. وإسناد السُّرَى إليه مجاز: على حدِّ: ليلٌ نائم، أي ينام فيه. وحُذفت ياؤه عند الجمهور وصلاً ووقفاً اكتفاء عنها بالكسرة؛ للتخفيف ولتوافق رءوس الآي. وأقسم به في هذه الحالة لما فيه من السّتر الذي قد يقتضيه الحال.

.5

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (5)

{هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ}

الحِجرْ–بكسر أوّله –: العقل. لأنه يَحْجُر صاحبه ويمنعه من التَّهافت فيما لا ينبغي. قال الفرّاء: يقال انه لذو حِجر، إذا كان قاهرا لنفسه ضابطاً لها. والمشار إليه بـ (ذلك) هو الأمور الخمسة المقسمُ بها. والاستفهامُ للتقرير؛ أي هل فيما ذُكر من هذه الأمور مُقسمٌ به لذي عقل يراه حقيقا بأن يُقْسَم به إجلالاً وتعظيما. والمُرادُ: تحقيق أنَّ الكل كذلك، وتقريرُ فخامة شأنها، وكونها أمورا جليلة خليقةً بالإعظام والإجلال عند العقلاء؛ توصُّلا إلى أن الإقسام بها أمر معتدٌّ به، خليقٌ بأن تؤكَّد به الأخبار؛ فيدلُ ذلك على تعظيم المُقسم عليه وتأكيده بطريق الكناية. وفائدةُ هذا القول بعد القسم بما ذكر: زيادةُ التأكيد والتحقيق للمقسم عليه؛ كمن ذكر حجةً باهرة ثم قال: أفما ذكرتُه حجّة؟

.6

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6)

{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ .. }

ذكر الله تعالى في هذه الآية ثلاث أمم متمرِّدة طاغية، كذَّبت الرسل فأهلكها الله تعالى، وجعلها أحاديث عبرة لأمثالها من المكذبين. وعادٌ هو: عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام: سُمِّيَ أولاده باسمه؛ كما سُمِّي بنو هاشم هاشمًا. وقيل لأوائلهم—وهم الذين أرسل إليهم هود عليه السلام–: عادٌ الأولى تسمية لهم باسم أبيهم، وإرَم تسمية لهم باسم جدِّهم؛ والتسمية باسم الأب والجد شائعة مشهورة .. وقيل لمن بعدهم عاد الآخرة.

.7

إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7)

{إِرَمَ}

بدل أو عطفُ

بيان لـ (عاد) ومُنع من الصّرف باعتبار القبيلة، وصُرف عاد باعتبار الحي. وقيل: إن (إرم) قبيلةٌ من عاد وهي بيت ملكهم؛ فهي بدل من (عاد) بدلُ بعض من كل.

{ذَاتِ الْعِمَادِ}

صفة لقبيلة (إرم)؛أي ذاتِ الأعمدة التي تُرفع عليها بيوت الشَّعر؛ إذ كانوا اهل خيام وعَمَد، ينتجعون الغيوث ويطلبون الكلأ حيث كان؛ ثم يعودون إلى منازهم. وقيل: ذات الرفعة والعزة.

.8

الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8)

{لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا}

صفة أخرى لها؛ أي لم يخلق في بلادهم مثلها في الأيدِ والشدة وعِظَمِ الأجسام. وهم الذين قالوا { .. مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً .. (15)} [فصلت]، وامتنَّ الله عليهم بقوله: { .. وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً .. (69)} [الاعراف].

.9

وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9)

{جَابُوا الصَّخْرَ .. }

قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتًا بوادى القرى بالحِجْر بين الشام والحجاز؛ كما قال تعالى: {وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (149)} [الشعراء]؛ من الجَوْب، وهو القطع والخَرْق.

.10

وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10)

{وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ}

ذي الجنود والعساكر الذين يشدون مُلكَه؛ كما تشُدُّ الأوتاد الخيام. وقيل لهم ذلك لكثرتهم وكثرة خيامهم التى يضربون أوتادها في معسكراتهم. أو ذي الأبنية العظيمة الشاهقة التي تشبه الجبال.

.11

الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11)

.12

فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12)

.13

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13)

{فَصَبَّ عَلَيْهِمْ .. }

أنزل بكل منهم نوعًا ولونًا من العذاب عقوبة لهم. والسّوْط في الأصل: مصدر ساط يسوط، إذا خلط، ثم شاع استعماله في الجِلْد المضفور الذي يُضرب به. وعُبِّرَ عن إنزال العذاب بالصّب وهو الإفراغ والإلقاء؛ للإيذان بكثرته وتتابعه. وسُمِّيَ ضروب العذاب النازلة بهم سوطاً تسمية للشيء، باسم آلته.

.14

إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (14)

{إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ}

المِرصاد في الأصل: المكان الذي يقوم به الرصد ويترقبون فيه. والمراد: أنه تعالى يرقُب عمل كلّ إنسان ويُحصيه عليه، ويجازيه بالخير خيراً، وبالشّر شرًّا؛ ولا يفوته من الناس أحد ولا من أعمالهم شيء، ومنهم اولئك الجبابرة الطغاة الذين أفسدوا في الأرض أكثر إفساد، وأضرابهم في ذلك ككفار مكة.

.15

فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15)

{ابْتَلَاهُ رَبُّهُ}

اختبره وامتحنه بالنّعم.

{فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ}

بالمال الوفير، والجاه العريض، واسباب القوة والعزة، فيقولُ:

{رَبِّي أَكْرَمَنِ}

رب فضلني بذلك؛ لمزيد استحقاقي له، وكوْني له أهلا. ولا يخطر بباله أنه فَضْلٌ تفضل به الله عليه، ليبلوه أيشكر أم يكفر.

.16

وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16)

{وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ}

أي اختبره بالحاجة وضيق الرزق، يُرى هل يصبِر أم يجزع.

{فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ}

ولا يخطر بباله أن ذلك اختبار وليس من الإهانة في شيء؛ بل التقتير قد يُؤدّي إلى كرامة الدّارين، والتّوسعةُ قد تُفضي إلى خسرانهما.

.17

كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (17)

{كَلَّا}

ردعٌ

للإنسان عن قوليْه المحكيين عنه، وتكذيبٌ له فيهما؛ فإن الإكرام والإهانة لايدوران على سَعة المال وضيقه. فقد يوَسَّع على الكافر وهو مهان، وقد يُضيَّق على المؤمن وهو مُكرَم؛ للاختبار والامتحان حسبما تقتضيه الحكمة الإلهية. والواجب على الإنسان في حالتي السَّعة والضِّيق أن يحمد الله تعالى على سائر نعمه التى لا تحصى، ويشكر عند الغنى، ويصبر عند الفقر.

{لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ}

التفات الى كفار مكة الداخلين فيما سبق دخولا أوّليًّا، لتشديد التّقريع والتوبيخ. أي بل لكم أحوالٌ أشدُّ شرا مما ذكر؟ وأدلُّ على تهالككم على المال وشُحّكم به، فلا تَبرُّون به أشدَّ الناسِ حاجة إليه، وهم فقراء اليتامى.

.18

وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (18)

{وَلَا تَحَاضُّونَ .. }

أي لا يَحُثُّ بعضكم بعضا على إطعام المساكين؛ ومن لازم ذلك أنهم لا يطعمونهم من أموالهم. والحضُّ على الشيء: الترغيب فيه.

.19

وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (19)

{وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ}

أي المال الموروث.

{أَكْلًا لَمًّا}

شديدًا لا تتركون منه شيئًا، لا فرق بين حلال وحرام، ولا بين ما يحمد وما لا يحمد. والمراد: أنكم تجمعون في أكلكم بين نصيبكم من الميراث ونصيب غيركم. وكانوا لا يُوَرِّثون الصغار والنساء.

.20

وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (20)

{حُبًّا جَمًّا}

كثيرًا مع حِرْص وشَرَه. يقال: جمَّ الماء في الحوض، إذا كثر واجتمع؛ ومنه الجَمُوم للبئر الكثيرة الماء.

.21

كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (21)

{كَلَّا}

ردعٌ وزجرٌ عن أفعالهم المذكورة.

{إِذَا دُكَّتِ .. }

أي إذا دكَّت الأرض دكا متتابعًا:؛ حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من أبنية وجبال، حين زلزلت المرة بعد المرة، فصارت هباء منثورا؛ من الدك بمعنى الكسر والدَّق. أو سُوِّيت تسوية بعد تسوية، ولم يبق على وجهها شيء؛ حتى صارت ملساء لا ارتفاع فيها؛ من الدَّك بمعنى حطِ المرتفع من الأرض بالبسْط والتسوية.

.22

وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (22)

{وَجَاءَ رَبُّكَ}

هذه الآية من آيات الصفات التي يجب الإيمان بها كما جاءت: من غير تكييف ولا تمثيل ولاتأويل على ما ذهب إليه جمهور السلف. ورويَ عن الحسن: جاء أمرُه وقضاؤه. وقيل: هو مثيلٌ: لظهرر آيات قدرته وسلطانه.

{وَالْمَلَكُ}

ملائكة كل سماء.

{صَفًّا صَفًّا}

مصطفِّين، أو ذوي صفوف.

.23

وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (23)

{وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى}

ومن أين له الأنتفاع بالذِّكرى. أو الاتعاظ والتوبة؛ وقد فرّط فيها في الدنيا وأطاع نفسه وهواه.

.24

يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (24)

{يَقُولُ يَالَيْتَنِي}

أي يقول حين يرى العذاب تندُّمًا عل تفريطه في الدنيا: ياليتني قدمت أعمالاً صالحة لأجل حياتي هذه في الآخرة. أو وقت حياتي في الدنيا؛ لأنتفع بها اليوم. واللامُ عل الأول تعليلية. وعلى الثاني توقيتيّة.

.25

فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (25)

{لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ .. }

أي لا يعذِّب كعذاب الله أحد. وقُرئ بفتح ذال (يُعَذِّبُ)، أي لا يعذَّب أحد في الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ.

.26

وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (26)

{وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ}

ولا يوثق كوثاقه أحد. والضمير عائد إلى الله تعالى. وقُرئ بفتح ثاء (يُوثِقُ) أي ولا يُوثق كما يُوثَقُ الكافر.

.27

يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27)

{يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ .. }

أي يقول الله تعالى على لسان ملائكته اكرامًا للمؤمنين عند تمام الحساب: يأيَّتها النفس الساكنة، الموقنة بالايمان والتوحيد، الناعمة بروْح اليقين؛ بحيث لا يخالطها شكٌّ، ولا يعتريها ارتياب. أو المطمئنة إلى ما وعد الله، المؤمنة بصدقه.

.28

ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28)

{ارْجِعِي}

بالثواب الذي أعطاك الله

{مَرْضِيَّةً}

عنده عز وجل.

.29

فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29)

{فَادْخُلِي فِي}

زمرة

{عِبَادِي}

الصالحين المرضيّين.

.30

وَادْخُلِي جَنَّتِي (30)

{وَادْخُلِي جَنَّتِي}

معهم للنَّعيم المقيم.

والله اعلم.

سُورة البَلَد

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (1)

{لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ}

[القيامة:1] أقسم سبحانه بالبلد الحرام وهو مكة؛ لشرفها وحُرمتها بالبيت المعظم–على أنَّ الإنسان خُلقَ مبتلى بالعمل، يكابد فيه المشاق، ويعاني الشّدائد؛ فلابُدَّ له من العَزْمِ والجلد. وجواب القسم قوله: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (4)}، والمقصرد تسليته – صلى الله عليه وسلم –.

.2

وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (2)

{وَأَنْتَ حِلٌّ .. }

أي وأنت حلالٌ به؛ أي في حل مما تصنع فيه في سبيل الله، تقتل إن شئت من أشرك بالله وأبى الّا المحادة و المُشّاقة، وتَدَعْ قتله إن شئت. وقد حرم الله مكة يوم خلق السموات والأرض إلى أن تقوم الساعة. ولم يُحلَّها إلا لنبيّه – صلى

الله عليه وسلم – ساعة من نهار يوم الفتح، ولن تحلَّ لأحدٍ بعده. يقال: هو حِلٌّ وحلال، وهو حِرْم وحرام، وهو مُحِلٌّ وهو مُحْرِم. وفي هذه الجملة المعترضة بين القّسم وجوابه بشارة للنبي – صلى الله عليه وسلم – بفتح مكة على يديه، وحلها له في القتال؛ وأنَّ عاقبة الاحتمال الفتحُ والظّفر. وقَد أنجز الله ذلك يوم الفتح.

.3

وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (3)

{وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ}

ثم أقسم بآدم عليه السلام وما تناسل منه؛ لأنهم أعجبُ خلق الله على وجه الأرض، لما ركز فيهم من العقل والإدراك، وقوة النُّطق والبيان، وكسب العلوم بالاجتهاد. وقد استخلف الله تعالى آدم أبا البشر في الأرض، وأمر الملائكة بالسجود له تكرمة له. وقيل: هو قسم بآدم والصالحين من سلالته. وقيل: بإبراهيم واسماعيل ومحمد – صلى الله عليهم اجمعين –.

.4

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (4)

{فِي كَبَدٍ}

في تعب ومشقة من مكابدة الهموم والشدائد في الدنيا، لا فرق في ذلك بين الصالحين وغير لصالحين، ولابين أن تكون المشاقُّ والمتاعب في خير أو شر، فالأنبياء والعُبّاد والمجاهدون في سبيل الله في كَبَد في الدنيا، ولهم النعيم في الآخرة.

والجاحدون للنبوة، والحاقدون والمفسدون في الأرض في كَبَد في الدنيا، ولهم وراء ذلك كَبد في الآخرة. والكَبَد: المشقة؛ من المكابدة للشيء، وهي تَحمُّل المشاق في فعله. وأصله من كبد الرجل–من باب طرب – فهو أكبَد: إذا وجعته كَبِدُه؛ ثم استُعمل في كل تعب ومشقة.

.5

أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (5)

{أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ}

أيحسب ذلك الإنسان الذي كان يكابد منه الرسول – صلى الله عليه وسلم – ما يكابد؛ وهو على ما قيل: الوليد بن المغيرة–أن لن يقدر على الانتقام منه أحد.

.6

يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (6)

{يَقُولُ}

مفاخرًا مباهيًا:

{أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا}

أنفقت مالًا كثيراً. يريد كثرة ما أنفقه فيما كانوا يعدُّونه في الجاهلية مكارم، أو في عداوة محمد – صلى الله عليه وسلم –. يقالُ: مالٌ لُبَد، أي كثير لا يخاف فناؤه؛ كأنه التَبَد بعضه على بعض والتصق، من تلبَّد الشيء: إذا اجتمع.

.7

أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (7)

.8

أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8)

.9

وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (9)

.10

وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (10)

{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}

بيّنا له طريقي الخير والشر؛ وهو كقوله: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3)} [الانسان].أو ألهمناه التمييز بينهما، ثم وهبناه الاختيار لأيِّهما. والنَّجد: الطريق المرتفع، وجمعه نجود، ومنه سُمِّيت نجد؛ لارتفاعها عن انخفاض تِهامة. ووصف طريق الشر بالرفعة انما هو على سبيل التغليب. وقيل النجدان: الثديان، وهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه.

.11

فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (11)

{فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ}

أي فلا اكتسب ذلك الإنسان بماله الكثير الأعمالَ العظيمة التى لها عند الله رفعة ومنزلة؛ وهي فك رقبة أو إطعام يتيم أو مسكين، بدل إنفاقها رياءَ وسُمعة فيما لا يعتدُّ به من الأعمال، أو في عداوة الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولا آمن بالله. والاقتحام في الأصل: الدخول في الشيء بسرعة وشدّة من غير رويّة. يقال: قَحَمَ في الأمر قُحُومًا – من باب نَصَر– رمى بنفسه فيه من غير روية. والعَقبة في الأصل: الطريق الوعر في الجبل؛ استُعيرت للأعمال

المذكورة لصعوبتها على النفوس. واقتحامُها: فعلُها وتحصيلُها والدخول فيها. وقيل.: العقبةُ النار أو جبل فيها. واقتحامها: مجاوزتها بمجاهدة النَّفس في طاعة الله في الدنيا. أو هي الصراط على متن جهنم؛ واقتحامها: المرور والجواز عليه بسرعة. أي فلا فعل ما ينجو به ويجوز بسببه العقبة الكئود يوم القيامة.

.12

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12)

{وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ}

أي أيُّ شيء، أعلمك ما اقتحام العقبة؟

.13

فَكُّ رَقَبَةٍ (13)

{فَكُّ رَقَبَةٍ}

أي هو –أي اقتحامها– اعتاقُ رقبةٍ وتخليصها من إسار الرقّ والعبودية، والفكُّ: تخليص الشيء من الشيء.

.14

أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14)

{ذِي مَسْغَبَةٍ}

اي مجاعة. مصدرٌ ميميٌّ بمعنى السّغب. يقال: سَغِب الرجل–كفَرِح ونصر–إذا جاع. ووُصف اليوم بذلك على حد: نهارُهُ صائم.

.15

يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15)

{ذَا مَقْرَبَةٍ}

أي قرابة. مصدر ميميّ؛ من قَرُب في النَّسب. يقال: فلان ذو قرابتي وذو مقربتي؛ بمعنى أن نسبي يتصل بنسبه.

.16

وْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (16)

{ذَا مَتْرَبَةٍ}

أي حاجة وافتقار شديد. مصدرٌ ميميٌّ، من تَرِب الرجل– من باب طَرِب – إذا افتقر؛ كأنه لصق بالتُّراب من الفقر، وليس له مأوّى سوى التُّراب. وأمّا أترب فمعناه استغنى؛ كأنه صار له مال كالتراب في الكثرة كما قيل في أثْرَى.

.17

ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (17)

{ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا}

عطفٌ على (اقْتَحم) المنفيّ، فكأنه قيل: فلا اقتحم ولا آمن، فتكون (لا) مكررة في المعنى.

{وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ}

أي بالرحمة على عباده تعالى.

.18

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (18)

{أُولَئِكَ}

الموصوفون بهذه الصفات الجليلة:

{أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ}

أي جهة اليمين التي فيها السعداء. أو جهة الذين يؤتوْن كتبهم بأيمانهم.

.19

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (19)

{أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ}

أي جهة الشّمال التي فيها الأشقياء. أو جهة الذين يؤتوْن كتبهم بشمائلهم.

.20

عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ (20)

{عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ}

أي مطبقة مغلقة أبوابُها عليهم؛ تشديدا في عذابهم. وقريء بالواو؛ من آصدت الباب وأوصدته: إذا أغلقته و أطبقته.

والاسمُ فيهما الإصادُ والوِصاد. والمرادُ: أنه لاضوء فيه ولا فُرج، ولا خروج منها أبداً.

و الله أعلم.

سُورة الشَّمس

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذه السورة ترغيب في تزكية النفوس وتطهيرها بالإيمان والطاعة. وترهيب من خسرانها بالكفر والمعاصي. وإنذار لكفار مكة وأضرابهم، أن يصيبهم من النَّكال ما أصاب ثمود حين كذّبوا رسولهم، وعقروا الناقة – وهي آية الله على

صدقه في رسالته. وقد أقسم الله تعالى فيها بكائنات عظيمة النفع والآثار في العالم العلوى والسُّفلي؛ دالة بوجودها واختلاف أحوالها على كمال قدرته تعالى ووحدانيته. وأقسم بنفسه تعالى؛ إذ كان سبحانه الموجد والمبدع والمدبر لها. أو بفعله الحكيم المتقن فقال:

.1

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (1)

{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}

اقسم بالشمس، وهي من العِظم والنفع للخلق بالمكان الذي لا يخفي. وبضحاها أي ضوئها، إذا أشرقت وارتفعت.

.2

وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (2)

{وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا}

أي تبعها وخلَفها في الإضاءة؛ بأن يَطلع مضيئا بعد غروبها اخذًا من نورها، سواء كان ذلك من غير تراخٍ، وهو في النصف الأول من الشهر، أو بعد مدة وهو في النصف الثاني منه.

.3

وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (3)

{وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا}

أي جلى الشمس وأظهرها؛ فإنها تنجلى إذا انبسط النهار ومضت منه

مدة، وهو وقت الضحى والضحاء. وقيل: جلَّى الدنيا؛ أي وجه الأرض وما عليه.

.4

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (4)

{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا}

أي يغشى الشَّمس فيُغطِّي ضوءها، أو يغشى الدنيا بظلمه.

.5

وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (5)

{وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا}

أي ومن أوجدها وأنشأها بقدرته. وإيثار {ما} على {من} لإرادة الوصفية تفخيمًا وتعظيمًا؛ كأنه قيل: والقادر العظيم الذي بناها.

.6

وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (6)

{وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا}

أي ومن بسطها من كل جانب، ووطأها للاستقرار عليها؛ كَدَحاها.

.7

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7)

{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا}

أي والنفوس ومن أنشأها وأبدعها مستعدةً لكمالها؛ وذلك بتعديل جميع قواها وأعضاها. وقيل: إن (ما) في الآيات الثلاث مصدرية؛ فيكون القسم ببناء السماء وطَحْوِ الارض وتسوية النفوس في الخلقة.

.8

فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8)

{فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}

عرّفها ما ينبغي لها أن تأتي أو تَذَر من خير أو شر، أو طاعة أو معصية؛ بحيث تميز رشدها من غيّها.

.9

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9)

{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا}

جواب القسم، وحذفت منه اللّام لطول الكلام المقتضي للتخفيف. أي لقد فاز بالمطلوب، ونجا من المكروه من أنْمى نفسه وأعلاها بتطهيرها من الكفر والمعاصي، وأصلحها بالصالحات من الأعمال.

.10

وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10)

{وَقَدْ خَابَ}

أي خَسِر.

{مَنْ دَسَّاهَا}

نقصها وأخفاها بالفجور؛ جهلا وفسوقًا. و أصلُ دَسَّى: دَسَّس مبالغة في دَسَّ بمعنى أخفي.

.11

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (11)

{كَذَّبَتْ ثَمُودُ}

نبيَّها.

{بِطَغْوَاهَا}

أي بسبب طغيانها وتجاوزها الحدَّ بالكفر مصدرٌ كالطغيان؛ واختير التعبير به لأنه أشبه برؤوس الآب.

.12

إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (12)

{إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا}

أي قام مسرعا أشقَى ثمود، وهو قُدار بن سالف ومن معه من الأشقياء لعقر الناقة. وانبعث مُطاوعُ بَعَث، تقول: بعثت فلانا على الأمر، إذا أرسلتَه؛ فانبعث له.

.13

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (13)

{نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا}

أي احذروا عَقْر ناقةِ الله، واحذروا سُقياها؛ أي شِرْبَها الذي اختصها الله به في يومها، فلا تمنعوها عنه في نَوْبتها ولا تستأثروا به عليها؛ منصوب على التحذير. و السُّقيا: مصدرٌ كالرُّجْعى.

.14

فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (14)

{فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ}

أهلكهم و أطبق عليهم العذاب. يقال: دَمْدَم عليه القبر: أي أطبقه. أو أتمَّ العذاب عليهم. والدّمْدَمَة: إهلاك باستئصال.

{بِذَنْبِهِمْ}

وهو الكُفُر والعَقْر.

{فَسَوَّاهَا}

جعل الدَّمدمة عليهم سواءً؛ فلم: يفلت منهم أحد إلا من آمن مع صالح عليه السلام.

.15

وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (15)

{وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا}

أي ولا يخافُ الله من أحدٍ تَبِعة: إهلاكهم؛ كما يخاف المُعاقِبون من الملوك تبعة ما يفعلون. وفي ذلك غاية الاحتقار لهم.

والله أعلم.

سُورةُ الليْل

بسم الله الرحمن الرحيم

أقسم الله تعالى بأقسام ثلاثة، على أنَّ أعمال الناس مُختلفة: بعضها هدًى، وبعضُها ضلال؛ كما أن أحوال الليل والنهار والمخلوقاتِ مختلفة. فقال:

.1

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (1)

{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}

أي أقسم باللَّيل كله حين يُغطي النهار بظلمته فيذهب ضوءه؛ كقوله تعالى: {يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ .. (54)} [الاعراف].أوحين يغطي كل شئ بظلمته؛ من التَّغشية بمعنى التَّغطية. وإنما أقسم به تعالى لِعظم فائدته؛ إذ يأوي فيه كل حيوان إلى مأواه، ويسكن فيه الخلق عن الحركة، ويغشاهم النوم الذي جعله الله راحة للأبدان، وغذاء للأرواح.

.2

وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (2)

{وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى}

وأقسم بالنهار حين ينكشف ويظهر بزوال ظلمة الليل؛ من الجلاء بمعنى الظهور. اذ به ينكشف ما كان مستورًا بظلمة الليل؛ وفيه الحركة والعمل.

.3

وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (3)

{وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى}

وأقسم بمن خلق الصِّنفين: الذكر والأنثى في الإنسان والحيوان والنبات لبقاء النوع؛ يعني نفسه عزَّ وجلَّ. وعُبِّر بـ (ما) لقصد الوصف؛ كأنه قيل: والقادر العظيم القدرة، الذي خلق صِنْفي الذكر والأنثى. وقيل: المُقسم به خلقُ الصِّنفين. وجواب القسم على القولين قوله تعالى:

.4

إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (4)

{إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى}

أي إن مساعيكم لَمُختلفة متباعدة؛ فإنَّ منكم المؤمن والكافر، والمطيعُ والعاصي، والساعي في فكاك نفسه من النار، والقاذف بنفسه فيها. و {سَعْيَكُمْ} مصدرٌ مضاف فيفيد العموم، فهو في معنى الجمع؛ أي مساعيكم. و (شَتَّى) أي متفرقة، جمعُ شتيت؛ من شَتَّ يَشِتُّ أي تفرّق. والاسمُ الشَّتات.

.5

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5)

{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى}

حق الله تعالى، أو أنفق في سبيله ما عنده من الفضل.

{وَاتَّقَى}

محارمه ومعاصيه.

.6

وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6)

{وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى}

أي أيقن بالخَصْلَة الحُسنى وهي الجنة. أو الخلف في الدنيا مع المضاعفة عما أنفق.

.7

فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7)

{فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى}

فسنهيِّئه للخصلة التي تؤدي إلى يسر وراحة، وهي الأعمال الصالحة التى تورث الخير والفلاح في الدنيا والآخرة.

.8

وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8)

{وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ}

بماله فلم يؤدّ حق الله فيه. أو لم ينفق منه في سبيله.

{وَاسْتَغْنَى}

زهد فيما عند لله، كأنه مستغن عنه سبحانه! فلم يتقه. أو استغنى بنعيم الدنيا عن نعيم العُقبى.

.9

وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9)

{وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى}

وهي ما أسلفنا بيانه.

.10

فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10)

{فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى}

فسنهيئه للخصلة التي تؤدي الى عُسْر وشدة، وهي الأعمال السيئة التي تورث الخُسران في الدنيا والآخرة. وأصلُ التيسير: التهيؤ والتَّسهل. يقال: تَيسر للقتال، و استيسر له الخروج: أي تَهيأ له. وتيسر واستيسر: تسهل، وتكون في الخير والشر؛ ومنه ما في الحديث: (اعملوا وسدِّدُوا وقاربوا فكلُ ميسَّر لما خُلق له) [رواه عبدالله بن الامام احمد بسند حسن] أي مهيَّأ مصروف مُسهَّل. وقيل المعنى: فأما من أعطى فسنلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة أيسر شئ عليه. وأما من بخل فسنخذُله ونمنعه الألطاف حتى تكون الطاعة أعْسَرَ شيء عليه.

.11

وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (11)

{وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ}

أي أيُّ شيء يغني عنه ماله الذي بخل به إذا سقط يومُ القيامة في الهاوية. والتردِّي: السقوط.

.12

إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (12)

{إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى}

أي لبَيَان الحقِ من الباطل، وطريق الأوّل لاتباعه، وطريق الثاني لاجتنابه.

.13

وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى (13)

{وَإِنَّ لَنَا}

أي وإن لنا التَّصرف الكامل فيهما كيفما نشاء، فنفعل فيهما ما نشاء. ومن ذلك ما ذكرنا فيمن أعطى وفيمن بخل.

.14

فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (14)

{فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى}

تتلهّب وتتوقد. وأصلُه: تتلظَّى، من اللظى و هو اللَّهب الخالص.

.15

لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (15)

{لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى}

لا يُعذَّب بين أطباقها، ولا يُقاسي حرها على وجه الأشدِّية إلا الكافر الذي كذب بالحق، وأعرض عن الطاعة،قيل: نزلت في أميَّة بن خلف ونظرائه من المكذبين.

.16

الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (16)

.17

وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (17)

{وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى}

وسيُبعد عنها بالكلية المبالغ في اتقاء الكفر والمعاصي.

.18

الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (18)

{الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى}

أي يتطهر به من الذنوب. أو يطلب به أن يكون عند الله زاكياً؛ إذ لم يؤته رياءً ولا سمعة. نزلت في الصّديق – رضي الله عنه –.

.19

وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19)

{وَمَا لِأَحَدٍ}

لا يفعل الخير ذلك الاتقى جزاءً على نعمةٍ سلفت إليه من أحد. لكنّه يفعله ابتداء خالصا لوجه اله تعالى.

.20

إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (20)

.21

وَلَسَوْفَ يَرْضَى (21)

{وَلَسَوْفَ يَرْضَى}

وعدٌ من الله لأبي بكر بنيْل جميع ما يبتغبه على اكمل الوجوه وأجملها.

واللهُ أعلم.

سُورة الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم

نزلت هذه السورة على الرسول – صلى الله عليه وسلم – تكذيبًا لقريش في قولهم لما أبطأ عليه الوَحْي أياما: قد ودَّع محمداً ربُّه وقَلاه. فقال تعالى:

.1

وَالضُّحَى (1)

{وَالضُّحَى}

أقسم بالضحى، وهو وقت ارتفاع الشمس وإشراقها، وهو وقت نشاط الحركة، والإقبال على العمل.

.2

وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2)

{وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى}

وأقسم بالليل حين يسكن. يُقالُ: سجا الليل و غيره يَسجُو سُجُوًّا وسَجْوًا، سكن ودام؛ ومنه ليلة ساجية: إذا كانت ساكنة الريح. أو أقسم به حين يمتد بظلامه، وذلك وقت السكون وانقطاع الحركة. وجواب القسم قوله تعالى:

.3

مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3)

{مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ}

ما تركك منذ اختارك؛ من التوديع وهو في الاصل: الدعاءُ للمسافر ببلوغِ الدَّعة وخَفْض العيش، ثم تُعورف في تشييع المسافر وتركه، ثم استعير للتَّرك مطلقاً. وقُرئ (وَدَعَك) بالتخفيف بمعناه.

{وَمَا قَلَى}

ما أبغضك ربُّك منذ احبك؛ من القَلِي وهو شدّة البُغْض. يقال: قلاه يَقْلِيه قلي وقَلاء، أبغضه وكرهه غاية الكراهة. كما تقول: قَرَيْت الضيف أقريه قِرى وقراءً.

.4

وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (4)

{وَلَلْآخِرَةُ}

بِشارة من الله لنبيه – صلى الله عليه وسلم – بأنه مع مواصلته إيّاه بالوَحْي والكرامة وتخصيصه بمنازل رفيعة لم يدركها من قَبْله، سيؤتيه في الآخرة ماهو أجل وأعظم مما أعطاه في الدنيا.

.5

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5)

{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ}

من خيري الدنيا وألآخرة كلَّ ما فيه رضا لك، من نصر وتمكين وفتوح، وإعلاء لكلمة الله على لسانك، وبدعوتك وجهادك، وتكثير لأتباعك، وتفضيل لأمَّتك، ومقاماتٍ وكراماتٍ لايحيط بها إلا المنعِم المنّان.

{فَتَرْضَى}

بما أعطاك.

ثم عدد الله من فنون النّعم العظيمة التي أفاضها على رسوله – صلى الله عليه وسلم – من أوّل أمره الى وقت النزول، ثلاثَ نعم جزيلة؛ تقوية لقلبه، وشرحا لصدره. والبداياتُ دلائل النهايات، والسوابق شواهد على اللواحق–فقال:

.6

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (6)

{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا}

حين مات أبوك، ولم يُخلف لك مالاً ولا مأوى.

{فَآوَى}

فآواك وضمَّك الى من يقوم بأمرك؛ حيثُ كفلك جدُّك عبدُ المطلب، ثم من بعده عمُّك الشقيق أبو طالب فأحسن تربيتك.

.7

وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7)

{وَوَجَدَكَ ضَالًّا}

غافلا عن معالم النبوة وأحكام الشريعة التي لا تهتدي اليها العقول وحْدها؛ كما قال تعالى: { ... مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ .. } (53) [الشورى].

{فَهَدَى}

فهداك الى مناهجها في تضاعيف ما أوْحى إليك من الكتاب المبين، وعلّمك ما لم تكن تعلم. امَّا أصل الإيمان بالله فإنه عليه الصلاة والسلام ماكفر بالله قط! ولاأشرك به قطُّ! فلم يَعبُد وثنا، ولم يؤلّهْ صنمًا، ولم يشهد لذلك رسمًا. وقد عصمه ربه من ذلك قبل النبوة، واهتدى إلى الإيمان بالله بفطرته، ولم تغب عنه إلا تفاصيل شريعته؛ حتى جاءه الحقُّ من ربه، فعلّمه منها ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيما.

.8

وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (8)

{وَوَجَدَكَ عَائِلًا}

فقيرا لامالَ لك، من عال الرجُلُ يعيل عَيْلة؛ إذا افتقر واحتاج.

{فَأَغْنَى}

فرضَّاك بما اعطاك من الرزق، وذلك حقيقة الغنى؛ وفي الحديث (ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكن الغِنَى غنى النفس). وإغناوه – صلى الله عليه وسلم –: إعطاؤه الكَفاف من العيْش.

.9

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9)

{فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ}

فلا تستذله ولا تحتقرْه، ولا تظْلِمه ولا تغلبْه على ماله، ولاتؤذه بأي نوع من انواع الاذى؛ فقد كنت يتيما. وفي الحديث (أنا وكافلُ اليتيم في الجنة هكذا) وأشار

با لسبابة والوسطى وفرَّج بينهما؛ أي إذا أحسن كفالته واتقى له فيه. والخطاب له ولأمته.

.10

وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10)

{وَأَمَّا السَّائِلَ}

ذا الحاجة إلى مال أو علم

{فَلَا تَنْهَرْ}

فلا تزجره ولاتُغلِظ له القول ولا تعبس في وجهه؛ بل اسعفه بمطلوبه ما استطعت. يقالُ نَهره وانتهره، إذا استقبله بكلام يزجره.

.11

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11)

{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ}

أي بما انعم عليك من النعم العظيمة

{فَحَدِّثْ}

أي فاذكرها وأذِعها؛ وذلك شكرها. والخطاب له ولأمّته. وإنما يجوز لغيره – صلى الله عليه وسلم – التحدُّث بماعمله من الخير إذا أمن على نفسه الفتنة، وقصد اقتداء الناس به. ونُدب التَّكبير عند خاتمة هذه السورة وما بعدها الى آخر القرآن العظيم، بلفظ: لا اله لاالله، والله أكبر. أو ذلك مع زيادة: ولله الحمد.

واللهُ أعلم.

سورة الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

كما عدّد الله لنبيه – صلى الله عليه وسلم – بعض نعمه العظيمة عليه في السُورة السابقة، ذكر له في هذه السورة نعمًا أخرى جليلة، حاثًا له بذلك على شكره على ما أنعم؛ ليستوجب بذلك المزيد منه، فقال:

.1

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1)

{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}

ألم نُوَسِّع صدرك بما أودعْنا فيه من الهدى والمعرفة والإيمان والفضائل والعلوم والحكم، ونفْسحْه بتيسير تلقي ما يوحَى اليك بعد ماكان يشق عليك!؟ والشَّرح في الأصل: التوسعة. يُقال: شرح الشيء، وسَّعه. و إذا تعلق بالقلب أو الصدر يرادُ منه بسطه بنور إلهي وسكينة من الله ورَوْح منه. والاستفهام للتقرير؛ أي قد شرحنا.

.2

وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (2)

{وَوَضَعْنَا عَنْكَ .. }

خفَّفْنا عنك ما أثقل ظهرك من اعباء النبوة والرسالة؛ حتى تقوم بها وتُبلِّغ رسالة ربك. والوزْر: الحمل الثقيل.

.3

الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3)

{الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ}

أي أثقله وأوْهنه حتى سُمِع له نَقيض، وهو الصوت الخفي الذي يسمع من ألرحل فوق البعير. يقال: أنقض الحِمْل ظهر البعير، إذا سُمِع له صرير من شدّة الحمل. وسمعت نقيض الرَّحل: أي صريره؛ والفعل كنصر. أو عصمناك من الذنوب، وطهرّناك من الأدناس التي تنقض ظهرك لو وقعت، وعبر عن ذلك بالوضع مبالغة في انتفاء الذنوب عنه؛ كما يقول القائل من لم يزره: رفعت عنك مشقة الزيارة، مبالغة في انتفاء الزيارة منه له.

.4

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4)

{وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ}

نَوْهنا باسمك، وجعلناه مذكورا على لسان كلِّ مؤمن في المشارق والمغارب، مقروناً باسمنا في كلمتي الشهادة والأذان والإقامة والتشهد والخطبة وغير ذلك. وقد جعل الله طاعته طاعته، وصلَّى عليه في ملائكته، وأمر المؤمنين بالصلاة عليه، وخاطبه بالالقاب وذكره في كتب الأولين.

.5

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5)

{فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}

أي خوّلناك ما خوّلناك من الفضل والكرامة؛ فلا تيأس من فضل الله تعالى، فإن بعد الشدة التي أنت فيها من مقاساة بلاء المشركين يسرًا عظيما، أي فرجا وسَعة بإظهارك عليهم.

.6

إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6)

{إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}

أي إن مع ذلك العُسر يُسْراً آخر، ولن يَغلب عسرٌ يُسْرَيْن.

.7

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (7)

{فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ}

لمّا عدد الله نعمه السابقة، ووعده بالنِّعم الآتية؛ بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة، والنَّصب فيها، وألآ يُخلي وقتًا من أوقاته منها؛ فإذا فرغ من عبادة أتبعها بأخرى. والنَّصَب: التعب والإعياء.

.8

وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (8)

{وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ}

اجعل رغبتك – أي ضراعتك –ومسألتك إلى ربّك، لا إلى غيره؛ فهو وحدَه القادر على إجابتك وإسعافك. يقال: رَغِبتُ إلى فلان في كذا، سألته إيّاه.

والله أعلم.

سُورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1)

{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ} . أقسم الله تعالى ببقاع مباركة عظيمة، ظَهر فيها الخير والبركة بسكنى الأنبياء. فالتّينُ والزَّيتون: مجازٌ عن منابتها بالأرض المباركة، وفيها مُهاجَر إبراهيم، ومولد عيسى ومسكنُه عليه السلام.

.2

وَطُورِ سِينِينَ (2)

{وَطُورِ سِينِينَ} : الجبل الذي كلَّم الله عليه موسى عليه السلام. وسِينين وسِيناء– ويفتح–وسِينَا: اسم للبقعة التي فيها الجبل. أو معناه: المبارك الحسن؛ وإضافة (طور) اليه من إضافة الموصوف الى الصفة. ويجوز في إعرابه أن يُجرى مجرى جمع المذكر السالم، وأن يَلزم الياء وتُحرك النون بحركات الإعراب.

.3

وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3)

{الْبَلَدِ الْأَمِينِ} : مكة المشرفة التي فيها البيت المعظم. وفيها ولد وبُعث أشرف الخلق محمد – صلى الله عليه وسلم –. والبلد الأمين: أي الآمن في الدارين داخلُه مؤمنًا بالله؛ من أمُنَ الرجل أمانةً–ككَرُم– فهو أمين، أو المأمون فيه من الغوائل؛ من أمّنَه: أي لم يُخِفْه.

.4

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4)

{لَقَدْ خَلَقْنَا}

جواب القسم، أي لقد خلقنا جنس الإنسان في أعدل قامة، وأحسن صورةٍ. مكمَّلًا بالعقل والمعرفة، ومتصفا بالحياة والعلم، والإرادة والقدرة، والسمع والبصر والكلام، والتَّدبير والحكمة. والتَّقْوِيم: التَّثقيف والتَّعديل.

.5

ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5)

{ثُمَّ رَدَدْنَاهُ .. }

أي رددناه أقبحَ مَنْ قَبُح صورة، وأشوهَه خِلقة؛ لعدم جَرَيانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التي لو عمل بمقتضاها لكان في أعلى علّيين، والمراد به أهلُ النار. وقيل: رددناه بعد ذلك التقويم أسفل من سفل صورة وشكلاً، بالهرم بعد الشباب، والضعف بعد القوة، والعجز بعد القدرة؛ كما قال تعالى: {وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ .. (70)} [النحل].وقال: {وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ .. (68)} [يس].

والسافلون: هم الضُّعفاء والزَّمْنى [دائم المرض، أو ضعيف من الكِبَر] والأطفال. وأسفَلُهم: الهرم. والمردود على المعنيين: بعض أفراد الجنس.

.6

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (6)

{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا .. }

وجَروْا على موجب تلك الصفات التى منحهم الله إيّاها، وأنشأهم عليها.

{فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}

أي غير مقطوعٍ عنهم. أو غير ممنون به عليهم جزاء إيمانهم، واستمساكهم بالحق، وقيامهم بما تقتضيه تلك الصفات، ولا تَقْبُح صورهم يوم القيامة، بل يزدادون بهجة وحسنا. والاستثناء مُتصل من ضمير (ردَدْنا) العائد على الإنسان، فإنه في معنى الجَمْع. أو لكن الذين كانوا صالحين من الهَرْمَى لهم أجر غير ممنون؛ لصَبرهم على ما ابتُلُوا به من الهرم المانع لهم عن النهوض لاداء وظائفهم من العبادة. والاستثناء منقطع بمعنى لكن؛ لدفع ما يتوهم من أن التَّساوي في ارذل العمر يقتضي التَّساوي في غيره.

.7

فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (7)

{فَمَا يُكَذِّبُكَ .. }

خطابٌ للإنسان الكافر على طريق الالتفات؛ لتشديد التوبيخ والتقريع. والاستفهام إنكاريٌّ؛ أي فأيُّ شيء يضطرك بعد ما بيَّنا من الدليل القاطع على القدرة على البعث والجزاء، إلى ان تكون كاذبا بسبب تكذيبك بالجزاء الذي يكون بعد البَعْث والحساب!؟ فإنَّ كل مكذِّب للحق فهو كاذب.

.8

أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (8)

{أَلَيْسَ اللَّهُ}

الذي فعل ما أنبأناك

{بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ}

أي أتقنهم صُنعاً وتدبيرا. أو أحكمهم قضاء بالحق وعدلاً بين الخلق؟؟ والاستفهام للتقرير بما بعد النَّفي. وكان الرسول – صلى الله عليه وسلم – إذا قرأها قال: (بلى! وانا على ذلك من الشاهدين).

والله أعلم.

سُورةُ العَلَق

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

الَّذِي خَلَقَ (1)

{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ .. }

في الحديث الصحيح: أن أول ما نزل به جبريل عليه السلام من القرآن على النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو يتحنث بغار حراء في شهر رمضان – صدرُ هذه السورة! إلى قوله (مالم يعلم). ثم نزل آخرها بعد ذلك بما شاء الله تعالى. وبعد نزول صدرها فَتر الوحي. ثم فاجأه الملك الذي جاءه بحراء؛ فَرعب منه – صلى الله عليه وسلم –. فرجع إلى أهله يقول: (زملوني زملوني) وفي رواية (دثروني)؛ فأنزل الله (يأيها المدثر– ثم–يأيها المزمل).ثم حمى الوحْيُ وتتابع؛ أي اقرأ ما يوحى إليك من القرآن، مفتتحا باسم ربِّك الذي له الخلق، أو الذي خلق كل شيء.

.2

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2)

{خَلَقَ الْإِنْسَانَ}

أي جنس الإنسان من بنى آدم، وخصه بالذكر لكونه أشرف المخلوقات؛ وفيه من بدائع الصُّنع والتدبير ما فيه.

{مِنْ عَلَقٍ}

دم جامد، وهو الطور الثاني من أطوار تخلُّق

المادة الإنسانية. والمراد: التنبيه إلى ما بين حالتيه الأولى والآخرة من التباين البيّن، وأن الذي خلقه من هذه المادة ثم سواه بشرا في أحسن تقويم، قادرٌ على كل شئ.

.3

اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3)

{اقْرَأْ}

أمض لما أمرتُك به من القراءة

{وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ}

الذي زاد كرمُه وفضله على كلّ كرم وفضل.

.4

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4)

{الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ}

أي علّم الإنسان الكتابة بالقلم ولم يكن له علمٌ بها؛ فضبط بها العلوم، وعرف بها أخبار الماضين وعلومَهم، وكانت أداة التفاهم والمعرفة. ولولاها ما استقام أمر الدِّين والدنيا؛ فلم يقم دين ولم يصْلُح عيش.

.5

عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)

{عَلَّمَ الْإِنْسَانَ}

أي كما علّمه بالقلم علّمه بدونه ما لم يعلمه من الامور على أختلافها، فهو سبحانه مفيض العلم على الإنسان، ومعلِّمه البيان بالقلم واللسان؛ ومن ذلك تعليمك القراءة والعلوم التي لا تُحيط بها العقول، وأنت أُميٌّ لا تكتب! وقد صرف الله نبيه عن الكتابة ليكون ذلك أثبت لمعجزته، و أقوى لحجته.

.6

كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (6)

{كَلَّا}

ردْعٌ للإنسان الكافر، الذي قابل تلك النِّعم الجليلة بالكفر والطغيان. قيل: نزلت هذه الآيةُ إلى آخر السورة في أبي جهل بعد زمن من نزول ما قبلها. وفي الحديث الصحيح: أن أبا جَهل حلف باللات والعُزّى لئن رأى محمدا – صلى الله عليه وسلم – يُصلي ليطأنّ على رقبته و ليَعْفِرن وجهه. فأتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو يصلي ليفعل؛ فما فاجأهم منه إلا وهو يَنْكص على عقبيه، ويتقي بيديه. فقيل له: مالك؟ فقال: ان بيني وبينه لخندقا من نار! وهولاً وأجنحة! فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا) فأنزل الله هذه الآية إلى آخر السورة. وقيل (كلا) بمعنى (ألّا) الاستفتاحية.

{إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى}

أي ليُجاوز الحدَّ ويتكبر على ربِّه ويكفر به! من أجل رؤية نفسه ذا غنّى وثراء، وقوة وقدرة!

.7

أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (7)

.8

إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (8)

{إِنَّ إِلَى رَبِّكَ}

يا محمد

{الرُّجْعَى}

أي رجوعَ هذا الطاغي وأضرابه بالبعث [الى الله]، فذائقون من أليم عقابه ما لا قبل لهم به. مصدرٌ بمعنى الرجوع. يقال: رجع إليه رُجوعًا ومرجعا ورُجْعى بمعنى واحد.

.9

أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (9)

{أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى}

نهى أبو جهل النبي – صلى الله عليه وسلم – عن الصلاة في المسجد الحرام؛ فلما رآه يصلي فيه قال: ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا! فانتهره النبي – صلى الله عليه وسلم –. فقال أبو جهل: أتهدّدني وأنا أكثر أهل الوادي ناديا! ورأى تتعدَّى لمفعولين أوّلهما (الذي)، وثانيهما محذوف دل عليه قوله تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (14)}.

.10

عَبْدًا إِذَا صَلَّى (10)

{عَبْدًا إِذَا صَلَّى}

أي أخبرني يا من يصلح للخطاب: هذا الطاغي الذي ينهى عبد الله عن الصلاة لربه؟ ألم يعلم بأن الله يراه ويطلع عليه فيجازيه على هذا الفعل المنكر!؟

.11

أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (11)

{أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى}

أي أخبرني! هذا

المصلي إن كان على الهُدى أو أمر بالتقوى!

ألم يعلم ناهيه بأن الله يراه! والمفعولان محذوفان تقديرها ما ذكرنا. وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (14)}.

.12

أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (12)

.13

أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (13)

{أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى}

أخبرني! هذا النّاهي عن الصلاة إن كذب الرسول وأعرض عن الإيمان:

.14

أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (14)

{أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى}

فمفعول (أرأيت) الأول وجواب الشرط محذوفان. والمفعول الثاني: الجملة الاستفهامية المذكورة.

.15

كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (15)

{كَلَّا}

رَدْع للناهي اللعين.

{لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ}

عما هو عليه وينزجر.

{لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ}

لنأخذنَّ بناصيته، ولنسحبّنه بها إلى النار، ولنُذلّنه بذلك الإذلال الشديد. والسَّفع: القبض على الشيء، وجذبه بشدة. يقال: سفعت بالشئ، إذا قبضت عليه وجذبته جذبًا شديدا. وقيل هو الاحتراق؛ من قولك: سفعَتْه النار، اذا غيرت وجهه الى حال تسويده. والنَّاصية: شعر مقدم الرأس.

.16

نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (16)

{خَاطِئَةٍ}

الخاطئ: هو الذي يأتي الذنب متعمِّدا، وهو الذي يوخذ بالعقاب. والمخطيءُ: هو الذي يأتيه غير عامد. ووَصفُ ألنّاصية بالخاطئة على حدّ: نهارٌ صائم؛ أيْ صائم صاحبه.

.17

فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (17)

{فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ}

أي عشيرته لنصرته في إيذاء الرسول – صلى الله عليه وسلم –، ومنعه من الصلاة في المسجد إن قدروا على ذلك. وهو أمر تعجيز ردًّا لتهديده النبي – صلى الله عليه وسلم –. والنّادي والنَّديُّ: المجلس الذي ينتدي فيه القوم؛ أي يجتمعون للحديث. يقال: ندا القوم ندْوًا – من باب غزا – اجتمعوا.

.18

سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (18)

{سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ}

الملائكة الغلاظ الشداد الموكَّلين بالعذاب لإلقائه في النار؛ والزَّبانِيَة في كلام العرب: الشُّرَط؛ جيع زَبْنِية، من الزَّبْن: وهو الدفع. وقيل: اسم جمع كأبابيل.

.19

كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (19)

{كَلَّا لَا تُطِعْهُ}

فيما دعاك إليه من ترك الصلاة، وصلّ لله تعالى ما أمرك به، وتقرب إلى ربِّك بطاعته والدعاء له؛ أي دُم على ذلك. والله أعلم.

سُورةُ القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1)

{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ}

أي ابتدأنا إنزال القرآن العظيم على محمد – صلى الله عليه وسلم –

{فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}

وهى على الأرجح ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان. وقد نزل مُنَجَّما على حسب الوقائع والمصالح: في ثلاث وعشرين سنة. وأوّل ما نزل من الآيات (إقرأ) وسُمِّيَت ليلة لقدر لعظم قدرها وشرفها؛ من قولهم: لفُلانٍ قَدْرٌ عند الأمير، أي مَنزلة وشرف. وشرفها لأنه أنزل فيها كتاب ذو قَدْر، بواسطة ملك ذي قَدْر، على رسول ذي قَدْر، لأمة ذات قَدْر. أو لأن للطاعات فيها قَدْرًا عظيما وثوابا جزيلا منه

تعالى؛ ولذلك حث النبي – صلى الله عليه وسلم – على قيامها بالعبادة فقال–كما رويَ في الصحيحين–: (من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) والليلة تستتبع يومها. ثم بيَّن الله تعالى منتهى علو قدرها بقوله:

.2

وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2)

.3

لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3)

{لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ .. }

أي هى أفضل من أشهر كثيرة مضت على الأمم السالفة؛ بما نزلَ فيها من القرآن والشريعة العظمى التى ختمت بها الرسالات الإلهية إلى البشر. أو العبادةُ فيها أكثرُ ثوابًا، و أعظم فضلا من العبادة في أشهر كثيرة ليس فيها ليلة القدر، والعمل القليلُ قد يفضل الكثير باعتبار الزمان والمكان وكيفية الأداء؛ وهو تفضلٌ منه تعالى، ولله أن يخُص ما شاء بما شاء. والمرادُ من الألف: التكثيرُ؛ كمافي قوله تعالى: {يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ .. (96)} [البقرة].

.4

تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4)

{تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ ... }

أي ومن فضلها وخيرها أن الملائكة – ومنهم جبريل عليه السلام– يتزلون فيها أفواجاً إلى الأرض بأمره تعالى، بكل أمر من الخير والبركة. على كل مسلم قائم أو قاعد يذكر الله تعالى فيها، تعبداً لله تعالى وشكر على أفضل نعمة على المسلمين، وهي إنزاله القرآن وبعثه الرسول والتَّوفيق للإيمان بربّ العالمين. فـ (من) بمعنى الباء، كما ذكره أبو حاتم. وعطف (الروح) على (الملائكة) عطف خاص لشرفه وتقدمه.

.5

سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (5)

{سَلَامٌ هِيَ .. }

أي ليلة القدر {سَلَامٌ هِيَ .. } على أولياء الله واهل طاعته، اي ليلة القدر سلامٌ؛ أي تسليم دائم إلى وقت طلوع الفجر من الملائكة على المؤمنين القائمين فيها لوجهه تعالى، أو سببٌ سلامة ونجاة من المهالك يوم القيامة لمن قامها إيمانا واحتسابا، أو سلامة من السوء والأذى ووسوسة الشيطان لكل مؤمن ومؤمنة متحققين بما يوجبه الإيمان حتى طلوع الفجر.

والله أعلم

سُورة البينة

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (1)

{لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا}

بالله تعالى وكذّبوا رسوله محمدا – صلى الله عليه وسلم – بعد بعثته.

{مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ}

وهم اليهود الذين كانوا حول المدينة.

{وَالْمُشْرِكِينَ}

وهم عبدة الاصنام من العرب.

{مُنْفَكِّينَ}

مزايلين ماكانوا عليه قبل بعثه من الوعد باتباع الحق والإيمان به متى بُعث.

{حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ}

أي الى أن بُعث؛ فانْفكُّوا عما كانوا عليه، وافترقوا في أمره. وكان اليهود يستفتحون على المشركين ويقولون: اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان، وذلك لما يجدونه في التوراة والإنجيل من نعوته وأمّارات بعثته.

وكان المشركون يسمعون ذلك منهم؛ فاعتقدوا

صحته حتى سمَّى بعضهم ولده محمداً رجاء أن يكون هو النبي الموعود. وكانوا يسألون اليهود عنه قبل بعثه هل هو النبي الموعود؟ و (البَينةُ) هي محمد – صلى الله عليه وسلم –، لأنه مُبيّن للحق، وحجةٌ ناطقة به، ظاهرة الدلالة على صدقه؛ لما جرى على يديه من المعجزات الباهرة، ولما جاء به من القرآن، وهو أكبر معجزة وأبينُها، وأقواها وأدْوَمها. وقد بيَّن الله ذلك بقوله:

.2

رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (2)

{رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ}

أي مبعوث من عنده الى الخلق.

{يَتْلُو}

يقرأ عليهم من حفظه.

{صُحُفًا}

من القرآن.

{مُطَهَّرَةً}

منزهة عن الباطل والكفر والزُّور، والاختلاف والشُّبهات.

.3

فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (3)

{فِيهَا كُتُبٌ}

مكتوباتٌ أو أحكامٌ

{قَيِّمَةٌ}

مستقيمة لا عوج فيها، ناطقة بالحق والعدل والصدق والصواب.

.4

وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (4)

{وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}

في نبوّته وصدق رسالته والإيمان به؛ فآمن بعضٌ وكفر بعض.

{إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ}

أي إلا من بعد أن بُعث فيهم، وهم على علم من كتابهم بنعوته ونبوته؛ فكان ذلك ممن لم يؤمن مجرّد عناد وحسَد.

ولم يذكر المشركون في هذه الآية لأنهم لم يكن لهم كتاب كأولئك؛ فكان التفرُّق مَنْ لهم كتاب أعجب وأغرب.

.5

وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (5)

{وَمَا أُمِرُوا}

أي والحال أن أهل الكتاب ما كُلِفوا في كتابهم بما كُلِّفوا به

{إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ}

أي لأجل عبادة الله تعالى وطاعته فيما أمر به، وتصديقه فيما أخبر عنه على لسان رسله.

{مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}

جاعلين دينهم له تعالى خالصًا.

{حُنَفَاءَ}

مائلين عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق، مؤمنين بجميع الرسل؛ إذ كانت ملتهم جميعا التوحيد، وهى الملة الحنيفية الحقة؛ من الحَنف وهو الميْل.

{وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ}

كما أُمروا في شريعتهم.

{وَذَلِكَ}

أي عبادة الله بالإخلاص، واقامة شرائع الله التي أمر بها

{دِينُ الْقَيِّمَةِ}

أي دين الملة المستقيمة. أو الكتب التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، التى بعث بها رسُله.

.6

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (6)

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا .. }

بيان لحالهم في الآخرة، إثر بيان حالهم في الدنيا وأنهم صائرون إلى النار يوم القيامة.

{شَرُّ الْبَرِيَّةِ}

أي الخليقة. والمرادُ أنهم شرُّ الناس أعمالاً لكفرهم، مع علمهم بصحة رسالته، ومشاهدتهم لمعجزاته، وصدِّهم الناس عن سبيل الله، واجترائهم

على الله بالكذب والافتراء والتحريف – ومحاربتهم لرسوله؛ من بَرَاه الله يبروه بَرْوا: أي خلقه. وأصله من البَرَي، وهو التراب؛ لخلقهم في الأصل منه. وقرئ بالهمز من برأ الله الخلق يَبْرؤُهم، أي خلقهم.

.7

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (7)

.8

جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (8)

{جَنَّاتُ عَدْنٍ}

اقامة خالدة في الآخرة في نعيم مقيم.

{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ}

قَبِل أعمالهم وكافأهم عليها.

{وَرَضُوا عَنْهُ}

فرحوا بما اعطاهم من انواع الكرامة والنعيم الدائم.

والله أعلم

سُورَةُ الزَّلْزلة

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1)

{إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا}

حرّكت حركتهَا الهائلة التي لا غاية وراءها. أو العجيبة التي لايُقادَر قدرُها؛ وذلك عند نفخة البعث؛ لقوله تعالى:

.2

وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2)

{وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا}

لفظت بسبب الزلزال ما في بطنها من الموتى أحياءً للحساب والجزاء؛ جمع ثِقْل –بكسر فسكون– وهوَ الحِمل الثقيل. أو لفظت كنوزَها؛ جمعُ ثَقَل–بالتحريك– وهو كل نفيس مصون.

.3

وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3)

{وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا}

وقال الكافر عند بعثه – وقد كان ينكره– ما للأرض زُلزلت، أو أخْرجت أثْقَالَها. أوهو كل فرد من أفراد الإنسان؛ على أن المؤمن يقول ذلك بطريق الاستعظام، والكافر بطريق التعجب.

.4

يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4)

{يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا}

أي في هذا اليوم تُبيّنُ الأرض أخبارها بالزلزلة والرجّة، و إخراج الموتى أو الكنوز من بطنها إلى ظهرها، بوحي الله اليها وإذنه بذلك. وقيل: تخبر بأمر الله تعالى من على ظهرها بما عملوا من خيرٍ أو شرّ.

.5

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (5)

{أَوْحَى لَهَا}

جعل في حالها دلالة على ذلك.

.6

يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (6)

{يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا}

يخرجون من قبورهم إلى موقف الحساب متفرقين بحسب أعمالهم، آمنين وفزعين، سعداء وأشقياء؛ ليُبصِرُوا جزاء أعمالهم.

وقيل: ينصرفون من موقف الحساب متفرقين؛ فآخذٌ جهة اليمين إلى الجنة، وآخذٌ جهة الشمال إلى النار؛ ليُبصروا جزاء أعمالهم. يقال: صدر الناسُ عن الوِرد، انصرفوا عنه. و {أَشْتَاتًا} جمع شتيت؛ أي متفرق؛ ومنه شتَّت الله جمعهم: أي فرّق امرهم.

.7

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7)

{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ}

تفصيل للرائين وما يروْنه. و (مِثْقال ذَرَّة) أي مقدار وزن أصغر نملة. أو ما يرى من الهباء في شُعاع الشمس الداخل من الكوة؛ وهو مثلٌ في القلّة. وعن ابن عباس: ليس مؤمنٌ ولا

كافرٌ عمل خيرًا أو شرًا في الدنيا الا أراه الله إيّاه يوم القيامة؛ فأما المؤمن فيرى حسناتِه وسيئاتِه فيَغفِر له سيئاته ويثيبه بحسناته. وأما: الكافر فيرى حسناته وسيئاته فيردُّ حسناته ويعذبه بسيئاته. وقولُه: (فيردُّ حسناته) أي لا يثيبه عليها؛ لكفره وهو مُحبط للعمل، وإن خفف عنه العذاب بسببها! للأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك.

.8

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)

والله أعلم.

سُورَة العَادِيات

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (1)

{وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا}

أقسم الله تعالى بخيل الغزاة في سبيل الله تعالى؛ تنبيهًا على فضلها، وفضلِ رباطها، ولما فيها من المنافع الدينية والدنيوية، والأجر والغنيمة. ووصفها بثلاث صفات فقال: (والعاديات ضبحاً) أي والخيل التي تعدو في سبيل الله

نحو العدوِّ بسرعة وهيَ تَضْبَح؛ وضَبحُها صوت أنفاسها عند عَدْوِها أو حَمْحمتها) , و (ضبحًا) مصدر منصوب بفعله المقدر؛ أي يَضْبحْنَ ضبحًا؛ والجملةُ حالٌ من (العاديات).

.2

فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (2)

{فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا}

أي فالخيل التي تُوَّري النار من صك حوافرها بالحجارة لشدة العَدْو نحو العدو؛ من الإيراء وهو إخراج النار. والقَدْح: الضرب والصَكُّ المعروف لإخراجها. يقال: وَرَى الزَّند– من باب وَعَد وَرْيا، إذا خرجت نارُه. وقَدَح فأورَى: إذا أخرج النار. ومنه القَدّاحة والقَدّاح: للحجر الذي يوري النار. و أصل القَدْح: الاستخراج.، ومنه قدحْتُ العين: إذا أخرجت ماءها الفاسد. و (قَدْحا) منصوب بفعلٍ محذوف تقديره: تَقدَحْن قدحًا.

.3

فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (3)

{فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا}

أي فالخيل التى تغير على العدو وقت الصباح. وكانوا إذا أرادوا الغارة سَرَوْا ليلا في غفلة الناس وباغتُوا العَدُوَّ صُبْحا. يقال: أغار على القوم غارة وإغارة، دفع عليهم الخيل. وأغار الفَرَس إغارة: اشتد عَدْوُه. و {صُبْحًا} منصوب على الظرفية.

.4

فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (4)

{فَأَثَرْنَ بِهِ}

أي فهيّجن في ذلك الوقت الذي تقع فيه الإغارة؛

{نَقْعًا}

أي غبارا من شدّة العَدْو. والإثارة: التَّهيج وتحريك الغبار ونحوه.

.5

فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (5)

{فَوَسَطْنَ بِهِ}

فتوسَّطْن في ذلك الوقت.

{جَمْعًا}

من جموع الأعداء، ففرّقنها وشتّتنها. يقال: وسطت القوم أسِطُهُم وَسْطا – من باب وعد – وسِطَة، أي صرت وسطهم.

.6

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (6)

{إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ}

جواب القَسَم. أي إن الإنسان لكفورٌ جحود لنعم ربّه عليه؛ أي إنه مطبوع على ذلك إلا من عَصَمه الله. يقالُ: كَنَدَ

النعمة – من باب دخل – جحدها ولم يشكرها. وكَنَد الحبل: قطعه؛ فكأنه يقطع ما ينبغي أن يواصله من الشكر. وقيل: المراد بالإنسان الكافِرُ.

.7

وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (7)

{وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ}

أي وإن الإنسان على كُنوده لشهيد بلسان الحال؛ لظهور أثره عليه في أعماله.

.8

وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (8)

{وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ}

أي وإنه في حب المال وإيثار الدنيا لَقَويٌّ مُطيق، مجدٌّ في طلبه، متهالك عليه. وهو في حُب عبادة الله وشُكر نعمه ضعيف متقاعس. تقول: هوشديدٌ لهذا الأمر وقويٌّ له؛ أي مطيق له ضابط. واللَام في (لِحُب) بمعنى في.

.9

أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (9)

{أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ .. }

أي أيفعل ما يَفعل من القبائح فلا يعلم مآله، إذا أُثير وقُلِب ما في القبور من الموتى فبُعثوا للجزاء؟. يقال: بعثرت المتاع، جعلت أسفله أعلاه. وهو تهديدٌ ووعيدٌ.

.10

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (10)

{وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ}

أي جُمع ما في القلوب من خير وشر، مما يظن مضمِرُه أنه سر لا يعلمه أحد، وأُظهر مكتوبًا في صحائف الأعمال. أو مُيِّز خيره من شره. وأصل التحصيل: إخراج الُّلب من القشر، ومن لازمه التمييزُ بينهما.

.11

إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (11)

{إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ}

أي إن رب المبعوثين لعليمٌ بأحوالهم الظاهرة والباطنة في ذلك اليوم، الذي يُبعث فيه من في القبور، ويُحصَّلُ فيه ما في الصدور؛ علمًا موجبًا للجزاء؛ وإلا فعلمه تعالى محيطٌ بما كان وما سيكون في كل وقت وحال.

والله أعلم.

سُورَة القَارِعة

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

الْقَارِعَةُ (1)

{الْقَارِعَةُ}

القيامةُ، ومبدؤها النفخةُ الاولى، ومنهاها فصل القضاء بين الخلائق؛ من القَرْع وهو الضرب بشدة بحيث يحصل منه صوت شديد. سُمّيت القيامة بها لأنها تقرع القلوب بأهوالها. تقول العرب: قرعتهم القارعة، وفقرتهم الفاقرةُ: إذا وقع بهم أمرٌ فظيع. وقيل: هيَ صوت النفخة يَقرع الأسماع ويَصُكها.

.2

مَا الْقَارِعَةُ (2)

{مَا الْقَارِعَةُ}

أي أيّ شي، هى القارعة؟ والمراد تعظيم شأنها، والتعجُّب من حالها. وا لجملةُ خبر (القارعة).

.3

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (3)

.4

يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (4)

{يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ}

أي اذكر يوم يكون الناس كالفراش وهو الطير الرقيق الذي يقصد النار، ولايزال يتقَحّم على المصباح ونحوه حتى يحترق، واحده فراشة.

{الْمَبْثُوثِ}

أي المنتشر المتفرّق. شبّه الله يوم القيامة – في كثرتهم وانتشارهم وذِلّتهم وضعفهم واضطرابهم وتطايرهم إلى الداعي حين يدعوهم إلى المَحشَر–بالفراش المنتشر المتطاير الى النار.

.5

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (5)

{وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ}

كالصُّوف الذي يُنفش ويفرّق باليد ونحوها. أو كالصوف

المصبوغ بالألوان المختلفة الذي يُندف بالمِنْدف في خفة طيرانه.

.6

فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (6)

{ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ}

أي رجحت موزوناته، وهى أعمالهُ الصالحة المرضيّة التى لها وزن وخطر عند الله. وقيل الوزن: القضاءُ السويُّ، والحكمُ العادل.

.7

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (7)

{فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ}

أعطت الرّضا من نفسها؛ أو ذات رضا، أو راضٍ صاحبها؛ وهيَ العيشة الهنيئة.

.8

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (8)

.9

فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (9)

{فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ}

فمأواه جهنم. وسُمِّيَ المأوى أمًّا لأن الانسان يأوي اليه كما يأوي الى أمّه. وسُمِّيت جهنمُ هاوية لغاية عمقها وبعد مهواها، أو من قولهم إذا دَعَوْا على الرجل: هوت أمُّه؛ لأنه إذا هوى–أي سقط وهلك– فقد هَوَت أُمُّه ثُكْلاً وحُزْنا عليه.

.10

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (10)

{وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ}

الهاء للسَّكت.

.11

نَارٌ حَامِيَةٌ (11)

{نَارٌ حَامِيَةٌ}

بالغة النهايةَ في الحَرَارة؛ من الحَمى وهو اشتداد الحرّ. يقال حَمِيَت الشمس والنار حَميّا وحُمُوًّا، اشتد حرُّهما.

والله أعلم

سُورةُ التَّكاثُر

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1)

{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}

ألخطابات في آيات هذه السورة عامة؛ تشمل الكفار وغيرهم. أي شغَلكم التَّباهي والتفاخر بكثرة الأموال والأولاد والعشيرة، والتهالك على الدنيا – عن القيام بما فُرض عليكم من الأعمال التى بها سعادتكم في الآخرة؛ حتى أتاكم الموت، ودُفنتم في القبور وأنتم على ذلك!! وألّلهوُ: ما يشغلك عما يعنى ويهمّ.

.2

حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2)

{حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}

حتى أتاكم الموت، ودُفنتم في القبور وأنتم على ذلك!! والمقابر: جمع مَقبُرة بفتح الباء وضمّها.

.3

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3)

{كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ .. }

(كلا) في المواضع الثلاثة كلمة ردْعٍ وزجر عن التشاغل بالدنيا عن الآخرة، وكرّرت لتأكيده. أي كلا سوف تعرفون سوء عاقبة ما أنتم عليه في الدنيا ا ثم كلا سوف تعرفونه! ثم كلا!. وفيه شدَّة تهديد ووعيد.

.4

ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4)

{ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}

ثم كلا سوف تعرفونه! ثم كلا!. وفيه شدَّة تهديد ووعيد.

.5

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5)

{لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ}

جواب {لو} محذوف، أي لو تعلمون اليوم سوء عاقبة أمركم في الآخرة، كعلمكم ما تستيقنونه من الأمور لَشَغَلكم ذلك عما أنتم عليه من التكاثر والتهالك على الدنيا.

{عِلْمَ الْيَقِينِ} وعلمُ اليقين: هو العلم الجازمُ المطابقُ للواقع الذي لاشك فيه؛ وإضافة (عِلْم) اليه من إضافة العام إلى الخاص.

.6

لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6)

{لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ}

جواب قسم مقدَّر لتأكيد الوعيد والتهديد، وبيان أن المهدَّد به رُؤية الجحيم في الآخرة. والتفسير بعد الإبهام يدل على التهويل والتعظيم؛ كأنه قيل: وما عاقبة الأمر؟ فقيل::إنها والله رؤية الجحيم عيانا. والمرادُ العذابُ بها.

.7

ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (7)

{ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ}

ثم لترَون الجحيم رُؤْية هي ذات اليقين ونفسُه؛ وهو تأكيد لما قبله، والعين بمعنى النفس والذات. تقولُ: جاء زيد عينه؛ أي نفسه وذاتُه. وقيل: رُؤية الجحيم في الآية الأولى بالبصر إذا وردوها، وفي الثانية بالذَّوق إذا دخلوها.

.8

ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8)

{ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}

ثم لتُسألُنّ يوم القيامة في موقف الحساب ما تقلبتم فيه من النِّعم الوافرة في الدنيا التي تتباهون بها وتتفاخرون، هل أدّيتم حق الله فيها، وقمتم بواجب شكره على الإنعام بها، واستعملتموها فيما أُعدّت له؛. فإن كنتم من المقصّرين في ذلك، أو الجاحدين له جوزيتم جزاءً وفاقاً. وما ذُكر في تفسير النعيم إنما هو من باب التمثيل، والأوْلَى عمومه.

والله أعلم

سُورَةُ العَصْرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

وَالْعَصْرِ (1)

{وَالْعَصْرِ}

أقسم الله بصلاة العصر لفضلها؛ لأنها الصلاة الوسطى عند الجمهور. أو بوقتها؛ لفضيلة صلاته، كما أقسم بالضحى، أو بعصر النبوة؛ لافضليّته بالنسبة لما سبقه من العصور أو بالزمان كله؛ لما يقع فيه من الاقدار الدالة على عظيم القدرة الباهرة. وجواب القسم:

.2

إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2)

{إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}

أي إن جنس الإنسان لا ينفك عن خسران ونقصان في مساعيه وأعماله وعمره. أو إن الكافر لفي خُسر، أي هلكة أو شر أو نقص.

.3

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)

{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا .. }

استثناء متصل إذا أريد بالإنسان الجنس، ومنقطع إذا أريد به خصوص الكافر. والأعمال الصالحات تشمل جميع ما يعمله الإنسان مما فيه خيرٌ ونفعٌ وبِرّ.

{وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ}

أوصى بعضهم بعضا بالتمسك بالحق؛ ومنه الثبات على الإيمان بالله وكتبه ورُسله، والعمل بشريعته في كل عقد وعمل؛ وذلك هو الأمر الثابت الذي لا سبيل إلى إنكاره، ولا زوال في الداريْن لمحاسن آثاره.

{وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}

أي أوصى بعضهم بعضا بالصبر عن المعاصي، التي تميل إليها النفوس بالطبيعة البشرية. والصبر على الطاعات التى يشقُّ على النفوس أداؤها؛ ومنها الجهاد في سبيله – وعلى البلايا والمصائب التى تصيب الناس في الدنيا، ويصعب على النفوس احتمالها.

والله أعلم.

سورة الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (1)

{وَيْلٌ}

عذاب وهلَكةٌ. أو واد في جهم.

{لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ}

أي مكثر من الهَمْز واللمْز. وهو الذي دأبه أن يَعيب الناس، ويَثلمَ أعراضَهم، ويطعن فيهم، ويمشي بينهم بالنميمة والإفساد. فالهُمَزَة واللُّمزة بمعنى واحد، وهما من

باب ضَرَب ونصر. وقيل: الهُمزة الذي يعيب في الحضور، واللّمزة الذي يعيبُ في الغيبة، وقيل بالعكس. وقيل: الهمزة ألذي يضرب باليد ويغمزُ بالعين، واللّمَزة الذي يلمز باللسان. ومرجع هذه الأقوال إلى أصل واحد: وهو الطعن وإظهار العيب. وأصل الهَمْز: الكسر والعضُّ على الشئ بعنف! و أصل اللمز: الطعنُ، ثُمّ خُصّا بما ذكر. نزلت في الوليد بن المغيرة وأضرابه من طُغاة قريش، وكانوا يهمزون النبي – صلى الله عليه وسلم – ويعيبونه.

.2

الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (2)

{الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ}

أي عده مرة بعد أخرى؛ حبًّا له وشغفًا به. أو أحصاه وحافظ على عدده حتى لا ينقص، فمنعه من فعل الخيرات. أو أعدّه وادّخره لنوائب الدهر؛ مثلُ كرم وأكرم.

.3

يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (3)

{يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ}

أي يعمل عمل من يظنّ أن ماله يخلِّده في الدنيا فلا يموت. والخُلْد – بالضم –: البقاء والدوام؛ وبابه دخل.

.4

كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (4)

{كَلَّا}

رَدْع له عن هذا الحُسبان الباطل، أو عن كل ما تضمنته الآيات السابقة من الصفات القبيحة.

{لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ}

جوابُ قسم محذوفٍ، أي والله ليُطْرحنَّ بسبب أفعاله الفاسدة في النار التي تحْطم كل ما يُلقى فيها؛ من الحَطْم، وهو كَسر الشيء، كالهشم، وفُسِّرت بقوله تعالى: {نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ}.

.5

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (5)

.6

نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (6)

{نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ}

أي المسعرة، الشديدة اللَّهب التى لا تخمد أبدا.

.7

الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (7)

{الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ}

أي تعلو أوساط القلوب وتغشاها وتحيط بها. والقلوبُ ألطف ما في الأجسام وأشدّها تألّمًا بأدنى أذى يمسها ولذا خُصَّت بالذكر.

.8

إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (8)

{إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ}

مطبقةٌ مغلقةٌ لاخلاص لهم منها أبدا. يقال: آصدت الباب، أي أغلقته [آية 20 سورة البلد].

.9

فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (9)

{فِي عَمَدٍ}

بفتحتين، وقُرئ بضمتين، جمعُ عمود، أو اسمُ جمعٍ له، أو جمعُ عماد، وهي أوتادالأطباق التي على أهل النار.

{مُمَدَّدَةٍ}

مطولة؛ أي أن الأبواب طبقت عليهم ثم شدت بأوتاد من حديد من نار، حتى يرجع عليهم حرُّها فلا ينفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم رَوْح، وقانا الله شرها، وأجارنا منها.

والله أعلم.

سُورةُ الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم

1.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1)

{أَلَمْ تَرَ}

ألم تعلمْ، والخطاب له – صلى الله عليه وسلم –، والاستفهام للتقرير بما تواتر نقله. وقد نزلت هذه السورة منبهة على العبرة في قصة الفيل، التي وقعت بمكة في عام مولده – صلى الله عليه وسلم –؛ إرهاصًا لبعثته على كيفية هائلة دالةٍ على عظم قدرة الله

تعالى، وعزته وانتقامه من الجَبَّارين، وعلى حُرمة بيته المعظَّم وشرفه، وعلى إنعامه على قريش بصدّ عدوِّهم عنهم؛ فكان حقيقاً بهم أن يعبدوه وحده، ولا يشركوا به شيئا. وفيها مع ذلك تنبيهٌ لهم ولأمثالهم من المكذبين إلى شدة أخذه تعالى للباغين، وأنه تعالى قادر أن يعذبهم بما شاء من أنواع العذاب؛ كما عذب الجبابرة من القرون الأولى، تارة بالخسف والغَرَق، والطاعون والزلزال، والصواعق والأمطار، وتارة بالحجارة تنزل من السماء. والمشهور أنه – صلى الله عليه وسلم – ولد بعدها بخمسين يوما.

{كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ}

هم جيش الحبشة الذي قدم مكة لهدم الكعبة المشرَّفة، بقيادة أبرهة الأشرم الحبشي أمير اليمن من قبل النجاشي ملك الحبشة، ومعه الفيل. فأهلكه الله، وأهلك جَيْشه؛ كما قص الله في هذه السورة.

2.

أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2)

{أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ}

أي قد جعل الله مكرَهم وسعيهم لتعطيل بيت الله وتخريبه في تضييع وإبطال وتخسير، بأن دمرهم أشنع تدمير. وأصلُ التَّضليل: من ضلّ عنه إذا ضاع؛ فاستُعير هنا للإبطال.

.3

وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (3)

{وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ}

سَلَّط عليهم طَيْرًا من جهة السماء جماعاتٍ عظاماً، متتابعة بعضها في إثر بعض، تجيء من كل ناحية، وكانوا قُرب عرفة قبل دخول الحرم على الأصح. وأبابيلُ: اسم جمع لاواحد له من لفظه، وقيل: واحده إبَّالة، وهي حزمة الحطب الكبيرة، شُبِّهت بها الجماعة من الطير في تضامّها. وقيل: إبَّوْل كعِجَّوْل، أو إبِّيل كَسِكّين.

.4

تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (4)

{تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ}

من طين متحجِّر محرق. أو بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدوَّن في السجِّيل، وهو الديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار؛ كما أن السجيل هو الديوان الذي كتبت فيه أعمالهم، واشتقاقه من الإسجال بمعنى الإرسال. وعن عكرمة: كانت ترميهم بحجارة معها كالحِمّصة؛ فإذا أصاب أحدهم حجرٌ منهاخرج به الجدري، وكان أوّل يوم رُئِيَ فيه الجدري بأرض العرب. وقال بن عباس: كان الحجر إذا وقعَ على أحدهم نَفِط جلده، فكان ذلك أول الجدري. وقيل: إن أوّل ما رئيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام. وقالَ ابن جزي في تفسيره: إن الحجر كان يدخل من رأس أحدهم ويخرج من أسفله. ووقع في سائرهم الجُدَريُّ والأسقام، وانصرفوا وماتوا في الطريق متفرقين، وتقطع أبرهة أُنملة أُنملة.

.5

فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (5)

{فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ}

كتِبْن اكلته الدّواب وراثته. والمرادُ: كَروْث، فَشبّه تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الرَّوْث. والعَصْف: قِشر البرُ: أي الغلاف الذي يكون فيه حبُّ القمح.

والله أعلم.

سُورة قريش

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1)

{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ}

كانت لقريش بمكة رحلتان للامتيار [امتار الرَّجلُ لأهله أو لنفسه جمعَ المِيرَةَ، أي: الطَّعامَ من الحبِّ والقوت قصد المدينةَ يمتار لصغاره] والاتّجار كلَّ عام. رحلةٌ في الشتاء إلى اليمن، ورحلة في

الصيف إلى بُصرى بالشام. وكانوا فيهما آمنين؛ إذ كانوا أهلَ حرم اللهِ، وولاة بيته المعظّم، فلا يتعرض لهم فيهما أحد بسوء، والناس بين متخطَّف ومنهوب، فذكرهم بهذه النعمة ليخلصوا له العبادة. ونبههم إلى أنه تعالى هو ربُّ هذا البيت المعظّم الذي يعتزُّون به، وبسببه نالوا الشرف والرفعة والأمن والخير. وإيلاف: مصدر آلفت فلاناً الشئ، إذا ألزمته إياه، وهو هنا مضاف لمفعوله، والفاعل هو الله تعالى، و (رِحْلة) مفعولٌ ثان، وهي بالكسر اسم مصدر؛ من ارتحل بمعنى الارتحال أي الانتقال، و (إيلافِهم) بدل من لـ (إيلاف)، واللام في (لإيلاف) للتعليل، والجار والمجرور متعلق بقوله: (فَلْيَعْبُدُوا)، وزيدت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط؛ إذ المعنى: أنَّ نِعم الله على قُريش لا تحصى؛ فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لأجل إيلافه إياهم الرحلتين أي جعله تعالى لهم آلفين لهما مسترزقين بهما، فإنهما أظهر نعمه تعالى عليهم. وقريش: هم ولدُ النَّضر بن كنانة على الأصح. والنَّضر: هو الأب الثالث عشر للنبي – صلى الله عليه وسلم –. وقيل: هم وَلَد فِهر بن مالك بن النضر بن كِنَانة، واسمه قريش، وفِهْرٌ لقبه، وكُنْيَتُه أبوغالب.

.2

إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2)

.3

فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3)

{فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ}

هو الكعبة المشرَّفة التي حماها الله من اصحاب الفيل؛ وشَرُفت قريش بها على سائر العرب.

.4

الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)

{الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ}

شديد كانوا فيه من قبل؛ فشبعوا بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكّنوا منهما بواسطة كونهم من جيران البيت المعظّم.

{وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}

عظيم، وهو خوف التَّخطُّفِ في بلدهم بدعوة ابراهيم عليه السلام إذ قال: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا .. (126)} [البقرة]. أو في أسفارهم حيثما ارتحلوا. أو خوف أصحاب الفيل.

والله أعلم.

سُورةُ الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1)

{أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ}

أي أعرفت الذي يكذب بالجزاء؟ أو أخبرني عن المكذِّب بالجزاء أو بالإسلام من هو!؟ وتتعدَّى الرؤية إلى مفعولَيْن: أولهما الموصول، وثانيهما الجملة الاستفهامية المحذوفة. والاستفهام للتشويق الى معرفته، وفيه تعجيب من أمره.

والخطاب للرسول – صلى الله عليه وسلم –، أو لكل من يصلح له، وقد بيّنه الله تعالى بقوله:

.2

فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2)

{فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ}

أي إن أردت أن تعرف هذا المكذِّب بالدِّين فذلك هو الذي شأنُه وديدَنُه أن يدفع اليتيم دفعًا عنيفا؛ ويزجره زجرا قبيحًا عن حقه وماله؛ من الدَّعِّ؛ وهو الدفع الشديد. وأصلُه أن يقال

للعاثر: دَعْ دَعْ؛ كمايقال له: لَعًا.

.3

وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (3)

{وَلَا يَحُضُّ}

أي ولا يحثُّ أهله وغيرهم من الموسرين.

{عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ}

أي على بذل الطعام إليه لشدة حرصه؛ والذي لا يحث غيره على ذلك لا يطعِمُه في العادة.

.4

فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4)

{فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ}

أي فهلاكٌ وعذابٌ لمن جمع هذه الخلالَ الثلاث، بعد ما ذُكر من دعَّ اليتيم والبخل بإطعام المسكين:

.5

الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5)

{الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}

الاولى: السَّهوُ عن الصلاة، بمعنى الغفلة عنها، و عدم المبالاة بها؛ وذلك بتركها أو بتأخيرها عن أوقاتها، أو بالإخلال بأركانها. وعن ابن عباس: هم المنافقون: يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس، ويصلونها في العلانية إذا حضروا معهم. وقيل: هم الذين لا يرجون لها ثوابًا إن صلّوْا، ولا يخافون عليها عقابًا إن تَرَكوا.

.6

الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (6)

{يُرَاءُونَ}

والثانية: المراءاة بالأعمال طلبًا للثناء والمِدْحة.

.7

وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (7)

{وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ}

والثالثة: ما أشير إليه بقوله تعالى: {وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} أي يمنعون عن الناس المعروف كله، أو ما يتعاورونه بينهم من امتعة البيوت؛ كالملح والماء، والقِدر والفأس، والأواني، ونحو ذلك. وهو يختلف باختلاف الزمان والمكان. ثم المنعُ يكون محظورًا إذا استُعير عن اضطرار، وقبيحًا في المروءة إذا كان عن غير اضطرار. والمرادُ: الزَّجر عن البخل بهذه الأشياء القليلة الحقيرة. والماعون: اسم مفعول؛ من أعان يُعين. والعَوْن: هو الإمداد بالقوة والآلات والأسباب الميسرة للأمر.

والله أعلم.

سُورَة الكَوْثَر

وتُسمى سورة النَّحر

وهي أقصر سورة في القرآن

.1

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1)

{إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ}

امتنّ الله تعالى على رسوله – صلى الله عليه وسلم – بإعطائه الْكَوْثَرَ؛ أي بتخصيصه به وبأُمته يوم القيامة. وهو كما في صحيح البخاري: نهر في الجنَّة. وقيل: هو حوضه – صلى الله عليه وسلم – في المَحْشر. وقيل: هو امتنانٌ بإعطائه الخير الكثير، والنِّعم الدنيوية والأخروية من الفضائل والفواضل، فيندرج في ذلك: النهرُ والحَوْض، و النبوّة والحكمة، و القرآن وسائر المعجزات، والخُلُق العظيم ورفعة الذكر، والنَّصر على الأعداء وكثرةُ الفتوحات، وإظهار الإسلام على الأديان، وكثرة الأصحاب والأتباع، والمقام المحمود وهو الشفاعة العظمى يوم القيامة. وتفسيره في الحديث بالنهر انما هو من باب التمثيل. والكوْثر: فَوْعل من الكثرة؛ مثل النَّوفل من النَّفْل، ومعناه: الشئ البالغ في الكثرة حدَّ الإفراط، والعرب تُسَمِّي كل شيء كثير في العدد، أو كثير القَدْر والخَطَر: كَوْثرا.

.2

فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2)

{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}

أي وإذ أعطاك الله ما لم يُعط أحدا من العالمين،، فَدُم على جَعْل صلاتك كلها لربك خالصاً لوجهه دونما سواه من الأنداد والآلهة، ونحرك البُدن التي هي خيار الأموال له تعالى دون الأوْثان؛ شكرا له تعالى على ما أعطاك من الكرامة، وخصّك به من الخير

الكثير؛ خلافا لما يفعله من كفر بالله من عبادة غيره والنحر للأوثان. والمراد: النَّحر للنسك في يوم الأضحى. وعن ابن عباس تفسير (وانحر) (استقبل) القبلة في الصلاة بنَحرك، ورُويَ تفسيرها بـ (ارفع) يديك إذا كبرت في الصلاة الى نحرك.

.3

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3)

{إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}

الشانِيء: المبغض. يقال: شناه –كَسمِعَه ومنعه – شَنئًا – ويثلث– أبغضه. والأبتر في الأصل: مقطوع الذنب، ثم أُجريَ قطعُ العقب مُجراه؛ فقيل: فلان أبتر، إذا لم يكن له عقب يخلفه. ورجل أبتر: أي انقطع ذِكْره عن الخير، من البتر وهو القطع. يقال: بترت الشيء بترًا، إذا قطعته قبل الإتمام. والمعنى أن مبغضك هو الأبتر المنقطع عن كل خير. أو الذي لا يبقى له عَقِب ونَسْل، ولا حُسْن ذكر. وأما أنت فتبقى ذريّتُك وحسن ذكرك، وآثار فضلك الى يوم القيامة. وقد حقق الله ذلك في شانئيه – صلى الله عليه وسلم –. قيل: نزلت في العاص بن وائل، سمَّى النبى – صلى الله عليه وسلم – أبتر حين مات ابنه القاسم؛ وهو أول مولود له قبل النبوّة في قول. وعمم شيخ الإسلام ابن

تَيْمِية كلا من الشانئ والأبتر فقال: إنه سبحانه يبتر شانِئ رسول – صلى الله عليه وسلم – من كل خير؛ فيبتر أهله وماله، ويَبتر حياته فلا ينتفع بها، ويبتر قلبه فلا يعي الخير، ولا يؤهله لمعرفته تعالى ومحبته، ويبتر أعماله فلا يستعمله في طاعته، ويبتره من الأنصار فلا يجد له ناصراً، ويبتره من جميع القرب فلا يذوق لها طعماً، ولا يجد لها حلاوة. والأولى التعميم.

والله أعلم.

سُورة الكافِرُون

.1

قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1)

{قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ}

خطاب لرهطٍ من مشركي قريش؛ طلبوا من النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يعبد آلهتهم سَنة، ويعبدوا إلهه سنة. فقال عليه الصلاة والسلام: (معاذ الله أن إشرك به غيره!) ثم نزلت السورة؛ فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملأُ من قريش فقام – صلى الله عليه وسلم – على رؤوسهم فقرأها عليهم فأيسوا [اخرجه ابن جرير وابن حاتم]،وقد علم الله من أمرهم أنهم لا يؤمنون أبدًا؛ فأمره تعالى أن يقول لهم:

.2

لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2)

{لَا أَعْبُدُ}

الآن

{مَا تَعْبُدُونَ}

من الأوثان والآهة الباطلة.

.3

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3)

{وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ}

أبدا

{مَا أَعْبُدُ}

دائمًا وهو الإله الحق.

.4

وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4)

{وَلَا أَنَا عَابِدٌ}

أبدًا

{مَا عَبَدْتُمْ}

من هذه الأوثان.

.5

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5)

{وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ}

فيما يستقبل أبدا

{مَا أَعْبُدُ}

فأيأسهم من الذي طمِعوا فيه، وأخبرهم أنه غير كائن منه في وقت من الأوقات. وأيْأس نبيه من الطمع في إيمانهم؛ وقد تحقق ذلك بموت بعضهم على الكفر، وقُتل باقيهم يوم بدر. وللمفسرين أقوالٌ كثيرة في تفسير هذه القرائن الأربع؛ فمنهم من حمل الأوليَيْن على الاستقبال، والأخريَيْن على المُضيّ أو على الحال، ومنهم من حمل الأوليْن على المُضيّ والأخريَين على الاستقبال. ومنهم من جعل القرينة الثالثة المنفية توكيدا للأولى، والرابعة توكيدا للثانية. وقيل غير ذلك. كما اختلفوا في (ما) في القرينة الثانية والرابعة، فحملها بعضهم على الصفة، كأنه قيل: ولا انتم عابدون ما اعبد من المعبود العظيم الشأن الذي لا يُقادر قدْره. واختار أبو مسلم: أنها في القرينتين الأولين موصولة، وفي الأخرين مصدرية؛ أي لا أعبد المعبود الذي تعبدون، ولا أنتم عابدون المعبود الذي أعبد، ولا أنا عابد مثل عبادتكم المبنية على الشرك المُخرج لها عن كونها عبادة حقيقية، ولا أنتم عابدون مثل عبادتي المبنية على التوحيد والإخلاص. وقيل غير ذلك.

.6

لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)

{لَكُمْ دِينُكُمْ}

وهو الشرك؛ أي هو مقصور عليكم، ومحالٌ أن يكون لي كما تطمعون! فلا تعلقوا أمانيكم بحصوله مني! وهو تقرير للقرينتين الأولى والثالثة.

{وَلِيَ دِينِ}

أي ديني وهو التوحيد؛ أي هو مقصور عليَّ، ومحال أن يكون لكم؛ لأن الله قد ختم على قلوبكم، وعَلِم من سوء استعدادكم، وفساد فِطرَكم أنكم لا تومنون، وهو تقرير للقرينتين الثانية والرابعة. أو لكم حسابُكم أو جزاءكم على عَمَلِكم، ولي حسابي او جزائي على عملي.

والدِّين: يطلق على الحساب والجزاء. والآية على التفسيرين محكمة غير منسوخة. وتفسيرها بما لا تكون عليه منسوخة أوْلى؛ لأن النسخ خلافُ الظاهر، لا يصار إليه إلا عند الضرورة، واقتضاء الدليل إياه.

والله أعلم.

سُورةُ النصر

وتُسمى سورة التوديع

بسم الله الرحمن الرحيم

روى أنها حين نزلت قال – صلى الله عليه وسلم –: (نُعيتُ إلى نفسي) [رواه البيهقي]. وقال في خطبته: (إن عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله تعالى) فقال أبو بكر: فديناك بأنفسنا وأموالنا! وآبائنا وأولادنا!!. وفي ذكر حصول النَّصر والفَتح ودخول الناس في الدِّين أفواجًا –دليلٌ على حصول الكمال والتمام، وذلك يعقبه الزوال والنّقصان. كما أن أمره – صلى الله عليه وسلم – بالتسبيح والحمد والاستغفار مطلقا واشتغاله بذلك، لمّا كان مانعًا له من اشتغاله بأمر الأمة كان كالتنبيه على أن أمر التبليغ قد تمّ وكَمُل، وذلك يقتضي قرب انقضاء الأجل.

.1

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1)

{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ}

أي إذا حصل عون الله لك وللمؤمنين على أعدائك.

{وَالْفَتْحُ}

أي فتوح مكة وغيرها من القرى وصيرورتها بلاد إسلام.

.2

وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2)

{وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ}

أي في ملة الإسلام، التي لا دينَ لله تعالى يضاف إليه غَيرُها.

{أَفْوَاجًا}

جماعات كثيرة من غير قتال لا أحادًا كما كان قبل فتح مكة.

.3

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3)

{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ}

فنزهه عما لا يليق به، بكل ذِكر يدل على التَّنزيه، حامدًا له على أنْ صدَق وعده زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة إنعامه عليك. أو فصلِّ له تعالى حامدًا على

نعمه. و (إذا) منصوب بـ (سبح) والفاء غير مانعة منه على ما عليه الجمهور.

{وَاسْتَغْفِرْهُ}

اطلب مغفرته، وأَمَرَهُ به لأنه – صلى الله عليه وسلم – كان دائم الترقي؛ فإذا ترقى الى مرتبة استغفر لما دونها. أو استغفاره مما هُو خلاف الأوْلى في نظره الشريف، أو لتعليم أمَّته أو مما كان يعرض له بمقتضى البشرية من الضجر والقلق عند إعراض قومه عنه، وإبائهم السماع والقبول منه، وإبطاء نصر الله له وللحق الذي جاء به. وقال القرطبي: إنه عليه الصلاة والسلام كان يستقصر نفسه لعِظم ما انعم الله به عليه، ويرى قصوره عن القيام بحق ذلك ذنوباً فيستغفر منها. وقيل: الإستغفار تعبد يجب إتيان به في ذاته لا للمغفرة؛ فإنه قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر.

{إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}

كثيرَ القبول لتوبة كثير من عباده التائبين. والجملة تعليل لما قبلها. وأخرج الإمام أحمد من حديث ابن عباس: (من اكثر من الإستغفار جعل الله تعالى له من كل هَمّ فرجا). وأنا أقول كما قال العلامة الآلوسي هنا: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله تعالى وأتوب إليه، وأسألُه أن يجعل لي من كل همٍّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً؛ بحُرمة كتابه الكريم، وسيد أحبابه العظيم، – صلى الله عليه وسلم –.

والله اعلم.

سُورة المسد

وتسمى سورة تَبَّت

رويَ أنه لما نزل {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214)} [الشعراء]، رَقيَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الصفا، وجمع أقاربه فجاء أبو لهب وقريش فقال – صلى الله عليه وسلم –: (أرأيتكم لو أخبرتكم أنَّ خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدّقي)؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقًا. قال: (فإني نذير لكم بين يديْ عذابٌ شديد)

فقال أبو لهب؛ تبا لك! ألهذا دعوتنا! وأخذ بيديه حجراً ليرميَ عليه السلام به، فنزلت السورة [الحديث متفق عليه]. و أبولهب هو عبد العزى بن عبدالمطلب، وذُكرَ بكنيته لاشتهاره بها، أو لكراهة ذكر اسمه القبيح في التنزيل. وكان شديد المعاداة والمناصبة له – صلى الله عليه وسلم –.

.1

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1)

{تَبَّتْ}

هلكت أوخسرت

{يَدَا أَبِي لَهَبٍ}

من التَّباب بمعنى القطع المُفْضي إلى الهلاك. وهو دعاءٌ عليه بهلاكه كله. واليَدَان كناية عن الذات والنفس؛ كما في قوله تعالى: {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ .. (10)} [الحج]، وقولهم: أصابته يدُ الدهر، ويد المنايا: يريدون أصابه كلُّ ذلك.

{وَتَبَّ}

أي وقد تَبَّ وهلك. فهو إخبار بحصول هلاكه بعد الدعاء عليه به: كما يقال: أهلكه الله وقد هلك. ويؤيدة قراءة (وَقَدّ تَبّ). وقد نزلت السورة قبل هلاكه؛ فالتعبير بالماضي لتحقُّق الوقوع.

.2

مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2)

{مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ}

لم ينفعه ماله الذي وَرِثه ولا ماله الذي كسَبَه بنفسه. أو لم ينفعه مالُه الموروث. ولا الذي كسبه من الأرباح والمنافع والجاه والأتباع حين حلَّ به الهلاك. أو لم يُفدْه ماله ولا الذي كسبه من عمله الخبيث، وهو كيدُه في معاداة الرسول – صلى الله عليه وسلم – طلباً للجاه والعلو، والظهور بين كفار قُريش. ويجوز أن تكون (ما) الاولى استفهامية، و (ما) الثانية موصولةً، أو استفهاميةً، أو مصدرية.

.3

سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3)

{سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ}

{وَامْرَأَتُهُ .. (4)} سيدخل هو وامرأته العَوْراء أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان بن حرب – ناراً ذات اشتعال وتَوَقّد عظيم، وهيَ نار جهنم.

.4

وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4)

{حَمَّالَةَ الْحَطَبِ}

منصوبٌ على الذم. وكانت [وامرأته العَوْراء أم جميل] شديدة العداوة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم –. تحمل بنفسها حزمة الشَّوك والحَسَك والسَّعْدان فتنشره بالليل في طريقه – صلى الله عليه وسلم – لتؤذيه بذلك. وقُرئ بالرفع صفة لـ (امْرَأَتُهُ) أو خبر مبتدا محذوف؛ أي هيَ حمّالة الحطب. وقيل: كانت تمشي بالنميمة، وتُلقي العداوة بين الناس، وتوقد نارها كما يوقد النار الحطب. وهيَ من كبائر الذنوب؛ فاستعير الحطب للنميمة. يقال: فلان يحطِبُ بفلان، إذا كان يُغري به. وقيل: حمالة الخطايا والذُّنوب؛ من قولهم: فلان يحْطِب على ظهره، إذا كان يكتسب الآثام والخطايا؛ فاستُعير الحَطَب للخطايا، لأن كلا منهما مبدأ للإحراق.

.5

فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (5)

{فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ}

الجِيدُ: العُنُق، والمَسَدُ: ما مُسِد، أي فُتل فَتلًا شديدا من الحبال من ليف أو جلد. أو من لحاء شجر باليمن يسَمَّى المسد؛ أي في عنقها حبْل ممّا مُسد من الحبال. وهو تصوير لها بصورة الحطابة التى تحمل الحزمة وتربطها في عنقها بحبل؛ تحقيرا لها لتمتعض من ذلك هي وزوجها، إذ كانا في بيت العزّة والشرف، ومَنْصب الثروة والجدة. ويحتمل أن يكون المعنى: أنها تكون في جهنم على الصورة التى كانت عليها في الدنيا؛ حين كانت تحمل حزمة الشوك لتلقيها في طريقه – صلى الله عليه وسلم – إيذاءً له؛ فلا تزال على ظهرها في النار حزمة من حطب شجرة الزَّقوم، أو من الضَّريع. وفي جيدها حبلٌ ممّا مُسد من سلاسل النار؛ كما يُعذَّب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه. وقد هلكت هى وزوجُها كافريْن.

والله أعلم.

سُورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1)

{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}

سأل اليهودُ أو كفار مكة رسول – صلى الله عليه وسلم – أن يصف ربَّه الذي يدعو إلى الإخلاص في عبادته؛ كما قال فرعون لموسى: { .. وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23)}؟ [الشعراء] فنزلت السُّورة. أي الذي سألتموني عنه الله الموجودُ

الحقُّ، الجامع لصفات الألوهيّة، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي. وهو (أحد) أي واحدٌ في الألوهية والرُّبوبيّة، وحدةً كاملةً؛ فهو مُنزَّه الذات عن أنحاء التركيب والتعدُّد خارجًا وذهنًا، وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيّز والمشاركة في الحقيقة والخواص. فليس مركبًا من
جواهر مادّية، ولا من أصلين؛ ولا من أصُول غير مادية كما يزعم أهل الأديان الأخرى، ولا شريك له كما يزعم المشركون. فالضمير مبتدأ، ولفظ الجلالة خبره. و (أحد) خبرٌ بعد خبر، أوخبرُ مبتدأ محذوف تقديره: هوا أحد، بمعنى واحد؛ على ما رويَ عن ابن عباس واختاره أبو عبيدة.

.2

اللَّهُ الصَّمَدُ (2)

{اللَّهُ الصَّمَدُ}

أي السيد؛ الذي ليس فوقه أحد، الذي: يصْمُد إليه الخلق في الحوائج، ويقصدونه في المطالب. فَعَل بمعنى مفعول.؛ من صَمَد إليه بمعنى قصده. أو هو الغَنيُّ المطلق، الذي لا يحتاج الى أحد ويحتاج إليه كلُّ أحد. وتعريفُه باللّام لإفادة الحصر في الواقع ونفس الامر؛ فإن قَصْدَ الخلق إليه في الحوائج أعمُّ من القصد الإرادي، والقصد الطبيعي، والقصد بحسب الاستعداد الأصلي الثابت لجميع الماهيات، إذ هي كلها متجهة إلى المبدئ تعالى في طلب كمالاتها منه عزوجل.

.3

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3)

{لَمْ يَلِدْ}

لم يصدر عنه ولد؛ لأن الولادة تقتضي انفصال مادة منه، وذلك يقتضي التركيب المنفي للأحدية والصَّمدية. أو لأن الولد من جنس أبيه، ولا يجانسه تعالى أحد؛ لأنه واجب وغيره ممكن.

{وَلَمْ يُولَدْ}

لم يصدر هو عن شئ؛ لاقتضاء المولودية المادة فيلزم التركيب المنافي للاحدية والصَّمدية. أو لاقتضائها سبقَ العدم ولو بالذات. أو لاقتضائها المجانسة، وكلٌّ منهما مستحيل عليه تعالى؛ إذ هو واجب الوجود لا أول لوجوده، ولا مجانس له من خلقه.

.4

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)

{وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}

لم يكن أحد من خلقه مكافئا ولا مشاكلاً ولا نظيراً، ولا شبيهاً له في ذاته وصفاته وأفعاله؛ (ليس كمثله شى وهو السميع البصير). وفي الحديث الصحيح: (ان هذه السورة تعدل ثلث القرآن). ومعناه على ما ذكره الإمام ابن شُريح: أن القرآن انزل على ثلاثة اقسام: ثلث منها الأحكام، وثلث منها وعد ووعيد، وثلث منها الأسماء والصفات وهذه السورة جمعت الأسماء والصفات.

والله أعلم.

سُورةُ الفَلق

وتُسمى هي وما بعدها بالمعوِّذَتين.

.1

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1)

{قُلْ أَعُوذُ}

أعتصم وأستجير

{بِرَبِّ الْفَلَقِ}

أي الصبح وسمي فلقا لانفلاق الليل وانشقاقه عنه؛ ومنه {فَالِقُ الْإِصْبَاحِ .. (96)} [الانعام] أي شاقُّ ظلمة آخر الليل عن بياض الصّبح، ومخرج له منها كما يخرج الشاة من إهابها. ويطلق الفلقُ على جميع المخلوقات، لأنه تعالى فلق عنها ظلمة العدم فأخرجها إلى نور الوجود.

.2

مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2)

{مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ}

أي من شر كل ذي شر من المخلوقات؛

فلا عاصم من شرها إلا الربُّ سبحانه، الذي هو المالك لها، والمدبر لأمرها، والقابض على ناصيتها، والقادر على تغيير احوالها وتبديل شؤونها. ويندرج في الشر المستعاذ منه شر الذنوب، وشرُّ النفوس، وشر الهوى، وشر النيَّات والأعمال.

.3

وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3)

{وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ}

أي واعوذُ به تعالى من شر الليل إذا دخل ظلامُه في كل شيء؛ لأن حدوث الشرِّ فيه اكثر، والتحرز منه أصعب وأعسر. والغاسق: الليل إذا اعتكر ظلامه. وأصلُ الغَسَق: الإمتلاء. يقال: غَسَقت العين، إذا امتلأت دمعاً. أو السيلان، يقال: غسقت السماءُ انصبت. وغسقُ الليل: انصباب ظلامه. والوقوب: الدخول. وأصل الوَقْب: النُّقرة و الحفرة؛ ثم استعمل في الدخول. وقيل: الغاسق القمر إذاامتلأ نورا. ووقوبه: دخوله في الخسوف واسوداده، أو محاقه في آخر الشهر؛ والإشتقاق اللغوي لا يأباه.

.4

وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4)

{وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ}

النَّفْث: شبيه بالنفخ وقيل: هو النفخ مع ريق قليل. والنفاثات: النفوس او الجماعات السَوَاحِرُ اللآتي يعقِدْن عُقداً في خيوط وينْفُثن عليها ويُرقين. قال ابن القيم: إنهم إذا سحروا استعانوا على تاثير فعلهم بنفث يمازجه بعضُ أجزاء أنفاسهم الخبيثة؛ أي اعوذ بالله من شر هؤلاء المفسدين. وقيل النفاثات: جمع نفّاثة؛ كعلّامة ونسّابة، يستعمل للمذكر والمؤنث. والعُقَد: جمع عُقْدة؛ من العَقْد ضد الحل. وهي اسم لكل ما ربط واحكم ربطه. أي أعوذ به تعالى من شر النفوس المفسدة التى تسعى بين الناس لإفساد ذات بينهم؛ كما يفعل أولئك السحرة الذين ينفُثُون للتفريق بين المرء وزوجه؛ وهم أخبث الناسِ نفوساً، وشرهم عملاً. وجمهور العلماء علي اثبات السحر، وانه حقيقة واقعة، وسبب عاديٌّ للتأثير في المسحور. وقد عرف قديما في بابل ومصر، وورد ذكره في آيات كثيرة من القرآن [راجع ما قدمناه في تفسير آية 102 من سورة البقرة]. وقال القُرْطبي في شرح صحيح مسلم: دلّ القرآنُ في غير ما آيةٍ، والسُّنة في غير ما حديث: على أن السحر موجودٌ، وله أثر في المسحور. وهو حِيَلٌ صناعية، يتوصّل اليها بالاكتساب؛ غير أنها لدقتها لا يتوصَّل اليها أحاد الناس. وأكثره تخييلات بغير حقيقة؛ كعلم السِّيمياء- وهو ما يفعله المشعوذون – فيعظم عند من لا يعرف ذلك. ولبعض أصناف السحر تأثير في القلوب كالحُب والبغض، والتفرقة بين المرء وزوجه، وفي الأبدان بالألم والسقم.

.5

وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5)

{وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ}

أي إذا أظهر ما في نفسه من الحسد؛ بترتيب مقدمات الشر، ومبادئ الإضرار بالمحسود قولا أو فعلا. والحسد: حقيقة واقعة، و أثره لاشك فيه. وأصله: أنفعال نفس الحاسد عند رؤية نعمة على المحسود انفعالاً شريرا يدفعه إلى

مباشرة أسباب المضرّة، سواء أكان ذلك في حضور المحسود أم في غيبته. وذكر العلامة الآلوسي: أن الحاسد إذا وجه نفسه الخبيثة نحو المحسود على وجه الغضب تتكيف نفسه بكيفية خبيثة، ربما تؤثر في المحسود بحسب ضعفه وقوة نفس الحاسد، وقد تصل الى حد الإهلاك. والحسدُ من الكبائر، وهو أول ذنب عُصيَ الله به في السماء، وأول ذنب عُصيَ به في الأرض؛ فحسد إبليس آدم، وحسد قابيل هابيل. وفي الحديث الصحيح: (لا تحاسدوا) والنهيُ عنه نهيٌ عن مباشرة أسبابه ومباديه، ومتابعة النفس وطواعيتها فيه، وتوجيهها اليه وإلى المحسود. وقانا الله شره. والله أعلم.

سُورةُ النَّاس

بسم الله الرحمن الرحيم

.1

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1)

{قُلْ أَعُوذُ}

ألتجيءُ وأستجير

{بِرَبِّ النَّاسِ}

مربيهم ومصلح أمورهم.

.2

مَلِكِ النَّاسِ (2)

{مَلِكِ النَّاسِ}

مالكهم مِلْكا تاماً،: والمتصرف فيهم تصرُّفا كاملاً، ملوكا وعبيدا.

.3

إِلَهِ النَّاسِ (3)

{إِلَهِ النَّاسِ}

معبودهم، القادر قدرة تامة على التصرف الكامل فيهم إيجادًا، وإعدامًا، المتَّصف بجميع صفات الكمال و الجلال. وأضيف الربُّ إلى الناس خاصَّة، وإن كان تعالى ربًا لجميع المخلوقات تشريفا لهم؛ ولأن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس، فكأنه قيل: أعوذ من شرّ الموسوس إلى الناس، بربهم، المالك لأمورهم، الذي هو إلههم ومعبودُهم.

.4

مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4)

{مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ}

أي الشيطان الموَسوس.

{الْخَنَّاسِ}

الذي يخنِس، أي يتأخّر إذا تيقّظ له الإنسان واستعان عليه بالله تعالى.

.5

الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5)

{الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ}

يُلقي فيها خُفية ما يُضلها عن سبيل الحق، ويكون سبب شقائها.

.6

مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (6)

{مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ}

بيانٌ للشيطان الذي يوسوس للإنسان. وأنه كما يكون من الجن يكون من الإنس؛ وكل من يفعل ذلك منهما يقال له شيطان، إذ هو لغة كلُّ عاتٍ متمرّد من الجن والإنس والدواب. وعن قتادة: أن من الجن شياطين، ومن الإنس شياطين؛ فنعوذ بالله من شياطين الإنس والجن. يشير الى ذلك قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا .. (112)} [الانعام].

وعن عائشة رضى الله عنها: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان إذا آوى إلى فراشه كلَّ ليلة جمع كفّيه ثم ينفِث فيهما فيقرأ: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) و (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) و (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده؛ يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل: ذلك ثلاث مرات.

ونختم القول بما رويَ عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال قيل: يارسول الله – أيُّ الأعمال أحب الى الله تعالى؟ قال: (الحالُّ المرتحِل).قيل: وما الحالُّ المرتحل؟ قال: (الذي يضرب من أوّل القرآن إلى آخره كلما حلَّ ارتحل) أخرجه الترمذي.

والله سبحانه أعلمُ بمراده وأسرار كتابه.

ربناً لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا. ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم. وصلى الله على سيدنا محمدٍ سيدَ المرسلين، وعلى آله وأصحابه، ومن دعا بدعوته وقام بنشر سنته إلى يوم الدِّين.

هذا، وقد أتم الله تعالى النعمة، وأعظم المنة، بالتوفيق لإتمام هذا التفسير في صبيحة يوم السبت السادس من شهر ربيع الأول من سنة **1375** (ألف وثلاثمائة وخمس وسبعين هجرية.) الموافق للثانى والعشرين من شهر اكتوبر سنة **1955** (ألف وتسعمائة وخمس وخمسين ميلادية) بالقاهرة.

على يد جامعه الفقير إلى الله تعالى: حسنين محمد مخلوف العدوي الأزهري، مفتي الديار المصرية السابق، وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف، ورئيس لجنة الفتوى فيه، عفا الله عنه بمنه وكرمه. ابن العلامة المحقق شيخ الشيوخ بالأزهر: الشيخ محمد حسنبن مخلوف العدوي المالكي. ابن العلآمة الشيخ حسنبن محمد علي مخلوف العدوي المالكي الأزهرى، رحمهما الله تعالى.